

**Enjoying humanity with the legitimacy of  
petition of dead prophets and the devouts**

**Prof. Ali migdady Alhatemy**

**إِنْخَافُ الْعَالَمِينَ**

**بِمَسْرُوعِيَّةِ التَّوَسُّلِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ**

**الْأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ**

**عَلِي مِقْدَادِي الْحَاتِمِي**

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قَالَ تَعَالَى :

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ  
الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

﴿ [المائدة : ٣٥] ﴾

وَقَالَ تَعَالَى :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ  
أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ

رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿ [الإسراء : ٥٧] ﴾

## المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيته وخليفه ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : 102] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : 1] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب : 70] .

أما بعد : فمن المعلوم أن مسألة التَّوَسُّلِ إلى الله تعالى بالأنبياء والصالحين من المسائل التي درجت عليها الأئمة قروناً طويلة حتى جاء ابن تيمية ومن بعده من التمسلفة ، فمنعوها واعتبروها شركاً ، مع أن ابتغاء الوسيلة وطلبها جاء في كتاب الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: 35] ، وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: 57] .

وجاء في القرآن الكريم الدعوة للمجيء إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كي يستغفر لمن ظلم نفسه ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: 64] .

وجاء في قصة إخوة يوسف عليه السلام قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ [يوسف: 97] ، وكان جواب يعقوب عليه السلام : ﴿ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يوسف: 98] ، فقد استجاب لطلبهم ، ووعدهم بالاستغفار لهم ، ولم يعنّفهم على طلبهم الاستغفار لهم ...

وفي السنة المطهرة وردت العديد من الأحاديث الدالة على جواز التَّوَسُّلِ والاستغاثة بالأنبياء والصالحين ... وقد ذكرنا في كتابنا هذا جملة وافرة منها ...

والغريب في هذه المسألة : أن من منعوا التَّوَسُّلِ بالأنبياء والأولياء والصالحين ، لم يُمانعوا ويُعارضوا التَّوَسُّلِ بالحيوانات والدواب ... فمن المعلوم أن بعض السلف استحبَّ في صلاة الاستسقاء أن يذهب الناس

ومعهم الدَّوَاب على اختلاف أنواعها كي تكون وسيلة إلى الله تعالى ، ولسان الحال يقول : يا ربَّ إن لم نحضَّ نحن برحمتك وغوثك فارحم هذه الدَّوَاب التي لا ذنب لها ولا حَوْل ولا طَوْل ... فهل يجوز التَّوَسُّل إلى الله تعالى بالخمير ولا يجوز التَّوَسُّل بالبشير النَّذير ؟!!!

قال الإمام أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الرُّوياني (٥٠٢هـ) : " ... قال : ولا أمر بإخراج البهائم ، وأراد لا يستحب ذلك ولا أكرهه ؛ لأنَّ بحضورها أثراً في الرَّحمة ، وروي أنَّ قوم يونس صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أظْلَمهم العذاب وطلبوا يونس صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُسَلِّمُوا هرب منهم فخرجوا إلى الصَّحراء وفرَّقوا بين النِّساء وأولادهنَّ وبين البهائم وأولادها ، فضجَّت الأمّهات وضجَّ الأولاد وكثر الدُّعاء فرفع الله تعالى عنهم العذاب ... وإِنَّمَا قلنا : لا يستحب ، لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يخرجها في الاستسقاء . وقال أبو إسحاق : يُستحب إخراج البهائم لعلَّ الله تعالى أن يرحمها ولا يؤاخذها بذنوب بني آدم ، لأنَّها تستضرُّ بالجلد أيضاً كبني آدم ، ومن قال بهذا قال : تأويل ما قال في " الأم " ، " ولا أمر بإخراج البهائم كما أمر بإخراج الصَّيبان والشُّيوخ " فجعل حضورهم أكد وأفضل .

وحكى القفال عن الشَّافعي أنَّه قال : أحبُّ إخراج البهائم وإيقافها في جانب بين النَّاس للخبر الذي ذكرنا ، وهذا غريب .

وقال في " الحاوي " : قال ابن أبي هريرة : إخراج البهائم أولى من تركها . وقال سائر أصحابنا : إخراجها مكروه لما فيه من تعذيبها واشتغال النَّاس بأصواتها ، وأثْمها من غير أهل التَّكليف ، وهذا خلاف النَّص الذي ذكرنا ، وحكى أن سليمان بن داود عليه الصَّلَاة والسَّلَام خرج يستسقي فرأى نملة قد استلقت على ظهرها تستسقي ، فقال : ارجعوا فقد سقيتم بغيركم " (١) .

قال النَّبهاني في " شواهد الحق " : " والحاصل أنَّ مذهب أهل السُّنَّة والجماعة صحَّة التَّوَسُّل وجوازه بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته وبعد وفاته ، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصَّالحين ، كما دلَّت عليه الأحاديث السَّابقة ، لأنَّنا معاشر أهل السُّنَّة لا نعتقد تأثيراً ولا خلقاً ، ولا إيجاداً ولا إعداماً ، ولا نفعاً ولا ضرراً إلاَّ الله وحده لا شريك له ، فلا نعتقد تأثيراً ولا نفعاً ولا ضرراً للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باعتبار الخلق والإيجاد والتَّأثير ولا لغيره من الأحياء والأموات ، فلا فرق في التَّوَسُّل بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره من

(١) انظر : بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي) (٢/٤٩٩) .

الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وكذا بالأولياء والصالحين ، لا فرق بين كونهم أحياءً أو أمواتاً لأنهم لا يُخلقون شيئاً ، وليس لهم تأثيرٌ في شيء ، وإنما يتبرك بهم لكونهم أحياء الله تعالى ، والخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لا شريك له . وأمّا الذين يفرّقون بين الأحياء والأموات ، فإنهم يعتقدون التأثير للأحياء دون الأموات ونحن نقول : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر : ٦٢] ، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَهُ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات : ٩٦] ، فهؤلاء المجوزون التوسّل بالأحياء دون الأموات هم الذين دخل الشُّرك في توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء دون الأموات ، فهم الذين اعتقدوا تأثير غير الله تعالى ، فكيف يدعون المحافظة على التوحيد وينسبون غيرهم إلى الإشراف ، سبحانه هذا بهتان عظيم . فالتوسّل والتشفع والاستغاثة كلّها بمعنى واحد ، وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلا التبرُّك بذكر أحياء الله تعالى ، لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتاً ، فالمؤثّر والموجد حقيقة هو الله تعالى ، وهؤلاء سببٌ عادي في ذلك لا تأثير لهم ، وذلك مثل السبب العادي ، فإنه لا تأثير له .

وحياة الأنبياء في قبورهم ثابتة بأدلة كثيرة استدلل بها أهل السنّة ، وكذا حياة الشهداء والأولياء ، وليس هذا محلّ بسط الكلام عليها . وشبهة هؤلاء المانعين للتوسّل أنّهم رأوا بعض العامّة يتوسّعون في الكلام ، ويأتون بألفاظ تُوهم أنّهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ، ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتاً أشياء جرت العادة بأنّها لا تُطلب إلا من الله تعالى ، ويقولون للولي : افعَل لي كذا وكذا ، وربّما يعتقدون الولاية في أشخاص لم يتصفوا بها ، بل اتّصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة ، وينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوالاً ومقامات ليسوا بأهل لها ، ولم يوجد فيهم شيء منها ، فإنّها أراد هؤلاء المانعون للتوسّل أن يمنعوا العامّة من تلك التوسّعات دفعاً للإيهام وسدّاً للذريعة ، وإن كانوا يعلمون أنّ العامّة لا تعتقد تأثيراً ولا نفعاً ولا ضرراً لغير الله تعالى ، ولا تقصد بالتوسّل إلا التبرُّك ، ولو أسندوا للأولياء شيئاً لا يعتقدون فيه تأثيراً . فنقول لهم : إذا كان الأمر كذلك وقصدتم سدّ الذريعة ، فما الحامل لكم على تكفير الأمّة عالمهم وجاهلهم خاصّهم وعامّهم ، وما الحامل لكم على منع التوسّل مطلقاً ؟ بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامّة من الألفاظ الموهمة ، وتأمروهم بسلوك الأدب في التوسّل ، مع أنّ تلك الألفاظ الموهمة يمكن حملها على الإسناد المجازي مجازاً عقلياً ، كما يحمل على ذلك قول القائل : هذا الطّعام أشبعني ، وهذا الماء أرواني ، وهذا الدّواء أو الطّبيب نفعني ، فإنّ ذلك كلّ عند أهل السنّة محمول على المجاز العقلي ، فإنّ الطّعام لا يشبع ، والمشيع هو الله تعالى ، والطّعام سبب عادي لا تأثير له ، وكذا

ما بعده . فالمسلم الموحد متى صدر منه إسناد الشيء لغير من هو له ، يجب حملة على المجاز العقلي ، وإسلامه وتوجيهه قرينة على ذلك ، كما نصّ على ذلك علماء المعاني في كتبهم وأجمعوا عليه .  
 وأمّا منع التوسّل مطلقاً ، فلا وجه له مع ثبوته في الأحاديث الصحيحة ، ومع صدوره من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وسلف الأمة وخلفها ، فهؤلاء المنكرون التوسّل المانعون منه : منهم من يجعله حراماً ، ومنهم من يجعله كفراً وإشراكاً ، وكلّ ذلك باطل ، لأنّه يؤدّي إلى اجتماع معظم الأمة على الحرام والإشراك ، لأنّ من تتبّع كلام الصحابة والعلماء من السلف والخلف يجد التوسّل صادراً منهم ، بل ومن كلّ مؤمن في أوقات كثيرة ، واجتماع أكثرهم على الحرام أو الإشراك لا يجوز لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح : " لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ " ، بل قال بعضهم أنّه حديث متواتر ، وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، فكيف تجتمع كلّها أو أكثرها على ضلالة ، وهي خير أمة أخرجت للناس ، فاللائق بهؤلاء المنكرين إذا أرادوا سدّ الذريعة ومنع الألفاظ الموهمة كما زعموا أن يقولوا : ينبغي أن يكون التوسّل بالأدب وبالألفاظ التي ليس فيها إيهام ، كأن يقول المتوسّل : اللهمّ إني أسألك وأتوسّل إليك بنبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبالأنبياء قبله وبعبادك الصالحين أن تفعل بي كذا وكذا ، لا أنّهم يمنعون التوسّل مطلقاً ، ولا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدّين الذين لا يعتقدون التأثير إلاّ الله وحده لا شريك له " (١) .

ألا فليرعوي هؤلاء ... وليتوقفوا عن تكفير وتبديع وتجهيل أمة سيّدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وليعلوا أنّهم هم المبتدعة الذين جاءوا منكراً من القول وزوراً ...

فلأجل مناقشة مسألة التوسّل من جميع جوانبها جاء هذا الكتاب الذي اشتمل على مُقدّمة ، وسبعة

فصول ، هي :

مُقدّمة : ...

الفصل الأوّل : تعريفات لا بدّ منها .

الفصل الثاني : الموت ليس بعدمٍ محضٍ ولا فناءٍ صرفٍ .

الفصل الثالث : أنواع التوسّل .

الفصل الرابع : أدلّة التوسّل بالأنبياء والصالحين وآثارهم .

(١) انظر : شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١١٨-١١٩) .

- الفصلُ الحَامِسُ : أقوالُ العُلَمَاءِ فِي التَّوَسُّلِ .  
الفصلُ السَّادِسُ : أدِلَّةُ المَانِعِينَ لِلتَّوَسُّلِ وَمُنَاقَشَتُهَا .  
الفصلُ السَّابِعُ : تَكْفِيرُ مُدَّعِي السَّلْفِيَّةِ لِلمُتَوَسِّلِينَ .

وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ

## الفصل الأول

### تعريفات لا بُدَّ منها

قبل الشروع في الكلام عن التوسُّل ومتعلقاته لا بُدَّ من التعرُّيج قليلاً على التعريف به ، وكذا ببعض المصطلحات المتعلقة به ، وأبدأ بالتعريف بالتوسُّل ، فأقول :

**أولاً: معنى التوسُّل لغةً واصطلاحاً:**

التوسُّل مشتقُّ من وسل : الوَسِيْلَةُ : المنزلة عند الملك . والوَسِيْلَةُ : الدرْجَةُ . والوَسِيْلَةُ : القُرْبَةُ . ووسَّلت فلانٌ إلى الله وسِيْلَةً إذا عمِلَ عَمَلًا تَقَرَّبَ بِهِ إِلَيْهِ . والوَاسِلُ : الرَّاعِبُ إلى الله ؛ قَالَ لَيْبِدٌ :  
أرى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدَّرَ أَمْرَهُمْ بَلِ كُلُّ ذِي رَأْيٍ إِلَى اللَّهِ وَاسِلٌ  
وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِوَسِيْلَةٍ إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِعَمَلٍ . وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِكَذَا : تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِحَرْمَةٍ أَصْرَةٍ تُعْطِفُهُ عَلَيْهِ .  
والوَسِيْلَةُ : الوُصْلَةُ والقُرْبَى ، وَجَمْعُهَا الوَسَائِلُ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ  
الْوَسِيْلَةَ أَيُّهَرُ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء : ٥٧] . الوَسِيْلَةُ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْغَيْرِ ، وَالْجَمْعُ الوُوسُلُ والوَسَائِلُ . والتَّوَسُّلُ  
والتَّوَسُّلُ وَاحِدٌ . وَفِي حَدِيثِ الْأَذَانَ : " اللَّهُمَّ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيْلَةَ " (١) ؛ هِيَ فِي الْأَصْلِ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ  
وَيُتَقَرَّبُ بِهِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الْحَدِيثِ : القُرْبُ مِنَ اللهِ تَعَالَى ، وَقِيلَ : هِيَ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَقِيلَ : هِيَ مَنْزِلَةٌ مِنْ  
مَنَازِلِ الْجَنَّةِ " (٢) .

و " الوَسِيْلَةُ : القُرْبَةُ والمنزلة عند الله عزَّ وجلَّ ، وَيُقَالُ : هِيَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّفَاعَةُ الَّتِي خُصَّ  
بِهَا ، وَالْمَقَامُ الْمُحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ . وَأَصْلُ الوَسِيْلَةُ : التَّوَسُّلُ بِالِدُّعَاءِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ  
تَعَالَى " (٣) .

" والوَسِيْلَةُ : الوُصْلَةُ والقُرْبَى ، وَجَمْعُهَا الوَسَائِلُ ، قَالَ اللهُ : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ  
الْوَسِيْلَةَ أَيُّهَرُ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء : ٥٧] ، وَيُقَالُ : تَوَسَّلَ فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ بِوَسِيْلَةٍ ، أَيْ : تَسَبَّبَ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ ، وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ  
بِحَرْمَةٍ أَصْرَةٍ تُعْطِفُهُ عَلَيْهِ " (١) .

(١) أخرجه البخاري في الصَّحيح (١/١٢٦ برقم ٦١٤) .

(٢) انظر : لسان العرب (١١/٧٢٤-٧٢٥) .

(٣) انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص ٤٣٣) .

وقد ورد لفظ الوسيلة مرتين في كتاب الله ، الأولى : في قوله تعالى : ﴿يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة : ٣٥] . والمعنى : التمسوا ما يقربكم منه تعالى بما يحبُّ ويرضى ، لتحظوا بالقرب منه ، ولتناولوا المنزلة والمكانة لديه سبحانه ...  
والثانية : في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء : ٥٧] .

والآية جاءت في معرض الردِّ على اليهود والنصارى في تأليهم لعزير والمسيح أو على من عبدوا الملائكة ، وهم جميعاً لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً ، وهم ممن يبتغون إلى الله تعالى الوسيلة ، يرجون رحمته ويخافون عذابه ...

ومعنى الوسيلة في هذه الآية لا يختلف عن معناها في الآية السابقة ، فهي سبيلٌ يتوصَّلُ به إلى تحصيل المقصود ، والوسيلة لفظ عامٌّ شامل للتوسُّل بالدَّوات الفاضلة من الأنبياء والصَّالحين في الحياة وبعد الممات ، وكذا بالأعمال الصَّالحة . فالآية الكريمة تدعو المؤمنين للتقرب إلى الله تعالى بشئى أنواع القربات ، متوسِّلين إلى الله تعالى بشئى أنواع الوسائل ، ومن ضمنها : التوسُّل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبغيره من الأنبياء والصَّالحين ...

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة : ٣٥] ، قال الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ) : " والوسيلة : هي الفعيلة من قول القائل : توسَّلت إلى فلان بكذا ، بمعنى : تقربت إليه ، ومنه قول عنتره :

إِنَّ الرَّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ  
إِنْ يَأْخُذُوكِ تَكْحَلِي وَتَحْضَبِي

يعني بـ الوسيلة ، القربة ، ومنه قول الآخر :

إِذَا غَفَلَ الْوَأَشُونَ عُدْنَا لَوْصِلْنَا  
وَعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالْوَسَائِلُ

(١) انظر : تهذيب اللغة (٤٨/١٣) ، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية (١٨٤١/٥) ، معجم مقاييس اللغة (١١٠/٦) ، المحكم والمحيط الأعظم (٦١٢/٨) ، النهاية في غريب الحديث والأثر (١٨٥/٥) .

ثم روى بسنده عن أبي وائل ، والسدي ، وطلحة ، وقتادة ، ومجاهد ، والحسن ، عبد الله بن كثير : القربة .  
وروى عن ابن زيد في معنى الوسيلة ، قال : المحبة ، تحببوا إلى الله " (١) .  
وقال الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ) : " حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني ، ثنا  
محمد بن عبد الوهاب ، ثنا محاضر بن المورع ، ثنا الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حذيفة ، أنه سمع قارئاً يقرأ  
﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٣٥  
] ، قال : القربة ، ثم قال : لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن ابن أم عبد من أقربهم  
إلى الله وسيلته " (٢) .

وقال الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني (٤٧١هـ) : " الوسيلة : الخصلة  
التي يتقرب بها العبد إلى سيده تقرب موالاة ومحبة ومودة ، لا تقرب محاذاة أو أخوة " (٣) .  
وقال الإمام أبو المظفر ، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم  
الشافعي (٤٨٩هـ) : " الوسيلة كل ما يتوسل به إلى الله تعالى ، أي : يتقرب " (٤) .  
فمن خلال ما تقدم نعلم أن التوسل هو : سؤال العبد ربه تعالى بحق أو جاه نبي أو ولي حي أو ميت ، أو  
السؤال بعمل صالح أو دعاء نبي أو ولي ، أو بأي وسيلة محبوبة أو مرضية عند الله تعالى لإجابة الدعاء ، وهو  
باب من أبواب التقرب إلى الله ، وليس من باب جعل الوسائط بين العبد وربّه - كما زعم بعض المتسلفه -  
فالتوسل بتوسله لا يدعو إلا الله وحده ، لأنه وحده سبحانه المعطي والمنع ، والنافع والضار ، وهو بتوسله  
يتخذ الوسيلة المناسبة المحبوبة المرضية عند الله تعالى للتوصل إلى المقصود ، وهي سبيل لنيل الخطوة والزلفى  
عند الله تعالى ، فالوسيلة لا تكون إلا بها يرضى ويحبب الله تعالى ، طلباً لاستجابة الدعاء ونيل المطلوب . ومنه ما  
جاء في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ  
لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، فهم بعد استغفارهم يتخذون من استغفار الرسول صلى الله عليه

(١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٠/٢٩١) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٣٧١ برقم ٣٢٧٦) .

(٣) انظر : درج الدرر في تفسير الآي والسور (٣/١١١١) .

(٤) انظر : تفسير القرآن ، أبو المظفر (٣/٢٥١) .

وَسَلَّمَ لَهُمْ وَسِيْلَةً لِنَيْلِ تَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ . وَهَذَا تَوَسُّلٌ بِدَعَاءِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَعَاؤُهُ وَاسْتِغْفَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَصَاةِ وَالْمُذْنِبِينَ لَا يَنْحَصِرُ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَطْ ، بَلْ هُوَ عَامٌّ شَامِلٌ لِلْحَيَاةِ وَكَذَا بَعْدَ انْتِقَالِهِ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَحْيَاءَ فِي قُبُورِهِمْ يَصَلُّونَ ، وَفِي الْفَصْلِ الْخَاصِّ بِأَدَلَّةِ التَّوَسُّلِ ، ذَكَرْتُ الْعَدِيدَ الْعَدِيدَ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرَهَا عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ لِلْوَسِيْلَةِ ...

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ مَتَمَسِّلَةَ الْعَصْرِ مَا فَتَنُوا يَكْذِبُونَ عَلَى عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ لِنُصْرَةِ بَاطِلِهِمْ وَمَعْتَقَدِهِمْ ، وَمِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْبَابِ مَا قَالَهُ مَحَدِّثُهُمُ الْأَلْبَانِي الَّذِي كَذَبَ عَلَى الْإِمَامِ ابْنِ الْأَثِيرِ ، فَقَالَ : " قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي " النَّهْيَاةِ " : " الْوَاسِلُ : الرَّغْبُ ، وَالْوَسِيْلَةُ : الْقُرْبَةُ وَالْوَاسِطَةُ ، وَمَا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ وَيَتَقَرَّبُ بِهِ ، وَجَمْعُهَا وَسَائِلٌ " (١) .

مَعَ أَنَّ ابْنَ الْأَثِيرِ قَالَ : " (وَسَلَّ) فِي حَدِيثِ الْأَذَانِ : " اللَّهُمَّ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيْلَةَ " ، هِيَ فِي الْأَصْلِ : مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ وَيَتَقَرَّبُ بِهِ ، وَجَمْعُهَا : وَسَائِلٌ . يُقَالُ : وَسَلَّ إِلَيْهِ وَسِيْلَةً ، وَتَوَسَّلَ . وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الْحَدِيثِ الْقُرْبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى . وَقِيلَ : هِيَ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَقِيلَ : هِيَ مَنَزِلَةٌ مِنْ مَنَازِلِ الْجَنَّةِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ " (٢) .

فَانظُرْ أُخِي الْقَارِئُ الْكَرِيمُ إِلَى النَّصِّينِ لَتَرَى الْفَارِقَ الْكَبِيرَ بَيْنَهُمَا ، وَلَتَعْلَمَ يَقِيْنًا أَنَّ مِنْ يَدَّعُونَ السَّلْفِيَّةَ لَيْسُوا أُمَّنَاءَ فِيْمَا يَنْقُلُونَ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَأَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ وَيَتَحَرَّوْنَ الْكُذْبَ لِنُصْرَةِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ ، كَمَا أَنَّهُمْ لَيْسُوا أُمَّنَاءَ عَلَى كِتَابِ التَّرَاثِ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَتَوَرَّعُونَ عَنِ التَّحْرِيفِ وَالتَّزْيِيفِ فِي كِتَابِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَبِالتَّالِي فَإِنِّي أَحْذَرُ طَلِبَةَ الْعِلْمِ مِنَ الرُّكُوعِ إِلَى الْكُتُبِ الَّتِي طُبِعَتْ فِي مَطَابِعِهِمْ أَوْ تَحْتَ إِشْرَافِهِمْ وَتَحْقِيقِهِمْ ، لِأَنَّنا وَمَنْ خَلَالَ الْاسْتِقْرَاءِ وَالتَّبَعِ وَجَدْنَا مِنْ تَحْرِيفَاتِهِمْ وَعَبَثِهِمْ فِي كِتَابِ التَّرَاثِ مَا يَنْدَى لَهُ الْجَبِينُ ، وَقَدْ خَصَّصْتُ لَذَلِكَ كِتَابًا مُسْتَقْلَلًا بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى سَمَّيْتُهُ : " كَشْفُ الْخَفَاءِ عَنْ عِبَثِ الْوَهَابِيَّةِ بِكُتُبِ الْعُلَمَاءِ " ...

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَقَدْ تَوَسَّعَتْ قَلِيْلًا فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْوَسِيْلَةِ فِي الْفَصْلِ الْخَاصِّ بِأَدَلَّةِ التَّوَسُّلِ ...

ثَانِيًا : مَعْنَى التَّبَرُّكِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا :

(١) انظر: التَّوَسُّلُ أَنْوَاعُهُ وَأَحْكَامُهُ ، الْأَلْبَانِي (ص ١١) .

(٢) انظر: النَّهْيَاةِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (٥/ ١٨٥) .

التَّبَرُّكُ مصدر تَبَرَّكَ يَتَبَرَّكُ تَبَرُّكًا ، وهو طلب البركة ، والتَّبَرُّكُ مأخوذ من البركة ، ومادَّتْها الزِّيَادَةُ والنَّهْيُ ...  
قال ابن فارس : " قال الخليل : البركة من الزِّيَادَةِ والنَّهْيِ ، والتَّبَرُّكُ : أن تدعو بالبركة " (١) .

فالتَّبَرُّكُ هو طلب الزِّيَادَةِ والنَّهْيِ من المتَّبَرِّكِ به ، تقول : تَبَرَّكَتَ به ، أي : تيمَّنتَ به (٢) .  
والتَّبَرُّكُ جائز سواء كان المتَّبَرِّكُ به حيًّا أو ميتًا ، وقد يكون بَشَرًا كَنَبِيِّ أَوْ وَلِيِّ ، أو مكانًا أو غير ذلك ...  
فقد تَبَرَّكَ الصَّحَابَةُ بجسد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا بما مَسَّتْهُ يَدُهُ ، وقدمه ، وأصابعه ، وفمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وبعد انتقاله إلى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَرَّكُوا بِآثَارِهِ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ ، فقد تَبَرَّكُوا بِالْأَمَاكِنِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي صَلَّى فِيهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما تَبَرَّكُوا بِالْمَوْضِعِ الَّذِي لَامَسَهُ فَمُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبما انفصل من جسده ، وعن أعضائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَعْرٍ ، ونحوه ...  
كما تَبَرَّكُوا بِمَلَابِسِهِ وَأَدْوَاتِهِ وَنَعْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا بقبْرِهِ وبمنبرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... فكان إجماعًا .

فمن عَظَّمَ نَبِيًّا أَوْ وَلِيًّا أَوْ صَالِحًا ، وتَبَرَّكَ به أُثِيبَ عَلَى تَبَرُّكِهِ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الدَّافِعَ لِتَعْظِيمِهِ لَهُوَلَاءَ هُوَ قُرْبُ مَنْزِلَتِهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى . ومن عَظَّمَ الْحِجْرَ الْأَسْوَدَ بِتَقْبِيلِهِ ، واستلمه ، وتَبَرَّكَ به ، وكذا من عَظَّمَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَصَلَّى فِيهِ تَبَرُّكًا بِهِ كَانَ مُثَابًا عَلَى ذَلِكَ ، لِأَنَّ الدَّافِعَ لِذَلِكَ هُوَ الِاسْتِجَابَةُ لِلْأَمْرِ وَالِاتِّبَاعُ .  
فالتَّبَرُّكُ " ليس هو إِلَّا تَوْسُلًا إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِذَلِكَ الْمَتَّبَرِّكِ بِهِ ، سواء أكان أثرًا أو مكانًا أو شخصًا .  
أَمَّا الْأَعْيَانُ فَلِاعْتِقَادِ فَضْلِهَا وَقُرْبِهَا مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، مع اعتقاد عجزها عن جلب خير أو دفع شرٍّ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ .

وَأَمَّا الْأَثَارُ ، فَلِأَنَّهَا مَنْسُوبَةٌ إِلَى تِلْكَ الْأَعْيَانِ ، فَهِيَ مُشْرِفَةٌ بِشَرَفِهَا ، وَمَكْرَمَةٌ وَمَعْظَمَةٌ وَمُحِبُّوبَةٌ لِأَجْلِهَا .  
وَأَمَّا الْأَمْكِنَةُ ، فَلِأَنَّهَا لَهَا لِدَاتُهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ أَمْكِنَةٌ ، وَإِنَّمَا لَمَّا يَجُلُّ فِيهَا وَيَقَعُ مِنْ خَيْرٍ وَبِرْكَةٍ ، كَالصَّلَاةِ ، وَالصِّيَامِ ، وَجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ مِمَّا يَقُومُ بِهِ عِبَادُ اللهِ الصَّالِحُونَ ، إِذْ تَنْزَلُ فِيهَا الرَّحْمَاتُ ، وَتَحْضُرُهَا الْمَلَائِكَةُ ، وَتَغْشَاهَا السَّكِينَةُ ، وَهَذِهِ هِيَ الْبِرْكَةُ الَّتِي تَطْلُبُ مِنَ اللهِ فِي الْأَمَاكِنِ الْمَقْصُودَةِ لِذَلِكَ .

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٣٠) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (١٠/ ١٣١) ، لسان العرب (١/ ٢٠٠) ، مفردات القرآن (ص ٤١) ، بصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٠٩) .

وهذه البركة تطلب بالتعرض لها في أماكنها بالتوجه إلى الله تعالى ودعائه واستغفاره ، وتذكر ما وقع في تلك الأماكن من حوادث عظيمة ، ومناسبات كريمة ، تحرك النفوس ، وتبعث فيها الهمة والنشاط للتشبه بأهلها أهل الفلاح والصلاح (١) .

### ثالثاً: معنى الاستغاثة لغةً واصطلاحاً:

" الاستغاثة : من العَوْتُ وَهُوَ النَّصْرُ وَالْعَوْنُ ، يُقَالُ : اسْتَغَيْتُهُ فَأَعَانَنِي " (٢) .  
والاستغاثة : طلب العَوْتُ ، وَهُوَ التَّخْلِيصُ مِنَ الشَّدَةِ وَالنِّقْمَةِ ، وَالْعَوْنُ عَلَى الْفَكَائِكَ مِنَ الشَّدَائِدِ ، وَمَلَمْ يَتَعَدَّ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا بِنَفْسِهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٩] ، وَقَدْ يَتَعَدَّى بِالْحَرْفِ ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

حَتَّى اسْتَغَاثَ بِهَاءٍ لَا رِشَاءَ لَهُ مِنْ الْأَبَاطِحِ فِي حَافَاتِهِ الْبُرُكِ (٣)

فالاستغاثة طلب العَوْتُ ، وَعِنْدَ النَّحَاةِ : نِدَاءٌ مِنْ يَخْلُصُ مِنْ شِدَّةٍ أَوْ يُعِينُ عَلَى دَفْعِ بَلِيَّةٍ . وَيَقْرَنُ الْمُسْتَغَاثَ بِهِ بِلَامٍ مَفْتُوحَةٍ ، وَالْمُسْتَغَاثَ لَهُ بِلَامٍ مَكْسُورَةٍ ، يُقَالُ : يَا اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ يَجْرُ الْمُسْتَغَاثُ مِنْ أَجَلِهِ بِمَنْ إِذَا كَانَ مُسْتَنْصِراً عَلَيْهِ ، كَقَوْلِهِ :

يَا لِلرِّجَالِ ذَوِي الْأَبَابِ مِنْ نَفْرِ لَا يَبْرَحُ السَّفَهَ الْمُرْدِي هُمْ دِينَا

وَالْعَوْتُ : الْإِعَانَةُ وَالنُّصْرَةُ ، وَيُقَالُ فِي الشَّدَةِ تَنْزَلَ بِالْمُرءِ فَيَسْأَلُ الْعَوْنَ عَلَى كَشْفِهَا : وَاعْوَاثُهُ (٤) وَجَاءَ فِي قِصَّةِ هَاجِرِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ قَوْلُهَا : " قَدْ أَسْمَعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلِكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ ، فَبَحِثْ بِعَقْبِهِ ، أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ ، حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ (٥) وَالْعَوَاثُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَوْتُ ، وَجَزَاءُ الشَّرْطِ مُحْدُوفٌ تَقْدِيرُهُ : إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثُ أَغْنَيْنِي (٦) .

(١) انظر : مفاهيم يجب أن تصحح (ص ٢١٩) ، التبرك بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبآثاره في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى (ص ١٠٤-١٠٥) .

(٢) انظر : الكلمات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ص ١١٤) .

(٣) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (٥/ ٣١٤) .

(٤) انظر : المعجم الوسيط (٢/ ٦٦٥) .

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٢) برقم (٣٣٦٤) ، البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٦٠) برقم (٩٣٧٠) ، شعب الإيمان (٥/ ٤٩٣) ، دلائل النبوة (٢/ ٤٨) ، عبد الرزاق في المصنف (٥/ ١٠٥) برقم (٩١٠٧) .

(٦) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/ ٢٥٦) .

فبناء على ما سبق بيانه نقول : الإستغاثه هي طلب المُستغيث من المُستغاث به أن يدعو الله تعالى له لدفع مضرة أو جلب مصلحة ، ولا فرق بين أن يكون المُستغاث به نبياً أو ولياً حياً أو ميتاً ...

والاستغاثه لا تكون إلا في الشدائد وعند نزول المكروه الذي يتطلب تدخلاً يطلبه المستغيث من المُستغاث به ، بينما التوسل قد يكون في الشدة وقد يكون في الرخاء ، وفي هذا المقام يقول الإمام ابن تيمية : " وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ : إِنَّ التَّوَسُّلَ بِنَبِيِّ ؛ هُوَ اسْتِغَاثَةٌ بِهِ بَلِ الْعَامَّةُ الَّذِينَ يَتَوَسَّلُونَ فِي أَدْعِيَتِهِمْ بِأُمُورٍ ، كَقَوْلِ أَحَدِهِمْ : اتَّوَسَّلْتُ إِلَيْكَ بِحَقِّ الشَّيْخِ فُلَانٍ أَوْ بِحُرْمَتِهِ أَوْ اتَّوَسَّلْتُ إِلَيْكَ بِاللُّوْحِ وَالْقَلَمِ أَوْ بِالْكَعْبَةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَقُولُونَهُ فِي أَدْعِيَتِهِمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَعِيثُونَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ الْمُسْتَعِيثَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَالِبٌ مِنْهُ وَسَائِلٌ لَهُ ، وَالتَّوَسُّلُ بِهِ لَا يُدْعَى وَلَا يُطَلَبُ مِنْهُ وَلَا يُسْأَلُ ، وَإِنَّا يُطَلَبُ بِهِ وَكُلُّ أَحَدٍ يَفْرُقُ بَيْنَ الْمُدْعُوِّ وَالْمُدْعُوِّ بِهِ .

وَالِاسْتِغَاثَةُ طَلَبُ الْعَوْثِ وَهُوَ إِزَالَةُ الشَّدَةِ كَالِاسْتِنْصَارِ طَلَبِ النَّصْرِ ، وَالِاسْتِعَاثَةَ طَلَبُ الْعَوْنِ ، وَالْمَخْلُوقُ يُطَلَبُ مِنْهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكَ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ ﴾ [الأنفال : ٧٢] ، وَكَمَا قَالَ : ﴿ فَاسْتَعِثْهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص : ١٥] ، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة : ٢] . وَأَمَّا مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ ؛ فَلَا يُطَلَبُ إِلَّا مِنْ اللَّهِ " . (١)

والاستغاثه جائزة سواء كانت بالحي أو بالميت ...

ومثال جوازها بالحي ، ما رواه البخاري وغيره بسندهم عن أنس ، أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابِ كَانَ وَجَاهَ الْمِنْبَرِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يَخْطُبُ ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : هَلَكَتِ الْمَوَاشِي ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ يُعِيشَنَا ، قَالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : " اللَّهُمَّ اسْقِنَا ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا " ، قَالَ أَنَسُ : وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ ، وَلَا فَرَعَةَ وَلَا سَيْبًا وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ ، وَلَا دَارٍ ، قَالَ : فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ ، انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا ، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٠٣) .

فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يَخْطُبُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ يُمَسِّكْهَا ، قَالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : " اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ، وَلَا عَلَيْنَا ، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالْأَجَامِ وَالظَّرَابِ وَالْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ " ، قَالَ : فَأَنْقَطَعَتْ ، وَخَرَجْنَا نَمِشِي فِي الشَّمْسِ . قَالَ شَرِيكٌ : فَسَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ : أَهَوَ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ ؟ قَالَ : لَا أَذْرِي " (١) .

وقال الإمام البيهقي : " وأخبرنا أبو بكر أحمد بن الحارث الفقيه الأصبهاني ، أنبأنا أبو محمد ابن حيَّان أبو الشيخ الأصبهاني ، حدَّثنا عبد الرَّحْمَنِ بن الحسن ، حدَّثنا أحمد ابن رشيد بن خثيم الهلالي ، حدَّثنا أبو معمر سعيد بن خثيم عمي ، عن مسلم الملائي ، عن أنس بن مالك ، قال : جاء أعرابي إلى النَّبِيِّ ، فقال : يا رسول الله ، لقد أتيناك ومالنا بعير يُبِطُ ، ولا صبي يصيح ، وأنشده :

أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ يَدْمَى لِبَائِهََا  
وَأَلْقَى بِكَفِّهِ الصَّبِيَّ اسْتِكَانَهََا  
وَلَا شَيْءَ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا  
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا

فقام رسول الله يجرُّ رداءه حتى صعد المنبر ثم رفع يديه إلى السَّمَاءِ ، فقال : اللهم اسقنا غيثاً مُغِيثاً مَرِيئاً مَرِيئاً عَدَقًا طَبَقًا عاجلاً غير رائيثٍ نافعاً غير ضارٍّ ، تملأ به الصَّرْعَ ، وتنبثُ به الزَّرْعَ ، وتحيي به الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون . فوالله ما ردَّ يديه إلى نحره حتى أَلْقَتِ السَّمَاءُ بأبراقها ، وجاء أهل البطانة يعنجون : يا رسول الله !! الغرق الغرق فرفع يديه إلى السَّمَاءِ ثمَّ قال : " اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ، فانجاب السَّحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل ، فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ثمَّ قال : " اللَّهُ دُرُّ أَبِي طَالِبٍ ، لو كان حيًّا قَرَّتَا عَيْنَاهُ ، من ينشدنا قوله !!؟ فقام عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : يا رسول الله كأنك أردت :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بَوَجْهِهِ  
تَمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَهَ لِلْأَرَامِلِ

(١) أخرجه البخاري (٢/٢٨ برقم ١٠١٣) ، مسلم (٢/٦١٢ برقم ٨٩٧) ، البزار في المسند (١٢/٣٢٥ برقم ٦١٨٨) ، النسائي في الكبرى (٢/٣٢٢ برقم ١٨٣٧) ، المجتبى من السنن (٣/١٦١ برقم ١٥١٨) ، ابن خزيمة في الصَّحِيح (٣/١٤٤ برقم ١٧٨٨) ، الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٣٢١ برقم ١٨٩١) ، ابن حيَّان (٣/٢٧٢ برقم ٩٩٢) ، الطبراني في الدُّعَاءِ (ص ٢٩٧ برقم ٩٥٨) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/٤٩٤ برقم ٦٤٣٦) ، الدعوات الكبير (٢/١٧٥ برقم ٥٤٦) ، البغوي في شرح السُّنَّةِ (٤/٤١٢ برقم ١١٦٦) .

فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلٍ  
وَلَمَّا نُقَاتِلْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ  
وَنُذْهِلْ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ

يُلُودُ بِهِ الْهَالِلُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ  
كَذَبْتُمْ وَبَيْتُ اللَّهِ يُبْزَى مُحَمَّدًا  
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصْرَعَ حَوْلَهُ

قال : وقام رجل من كنانة ، وقال :

سُهَيْقِنَا بِوَجْهِ النَّبِيِّ الْمُطْرُ  
إِلَيْهِ وَأَشْخَصَ مِنْهُ الْبَصْرُ  
أَوْ اسْرَعَ حَتَّى رَأَيْنَا الدُّرُ  
أَغَاثَ بِهِ اللَّهُ عَيْنًا مُضْرُ  
أَبُو طَالِبٍ أَبْيَضُ ذُو غُرُ  
وَهَذَا الْعِيَانُ لِذَلِكَ الْحَبْرُ  
وَمَنْ يَكْفُرُ اللَّهُ يَلْقَى الْعَيْرُ

لَكَ الْحَمْدُ وَالْحَمْدُ مِمَّنْ شَكَرُ  
دَعَا اللَّهُ خَالِقَهُ دَعْوَةَ  
فَلَمْ يَكْ إِلَّا كَالْقَا الرِّدَاءِ  
رِقَاقُ الْعَوَالِي جَمُّ الْبُعَاقِ  
وَكَانَ كَمَا قَالَهُ عَمُّهُ  
بِهِ اللَّهُ يَسْقِي بِصُوبِ الْعَمَامِ  
وَمَنْ يَشْكُرُ اللَّهُ يَلْقَى الْمُرِيدَ

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنْ يَكْ شَاعِرٌ يُحْسِنُ فَقَدْ أَحْسَنْتَ " (١) .

قال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني : " وَإِسْنَادُ حَدِيثِ أَنَسٍ وَإِنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ لَكِنَّهُ  
يَصْلُحُ لِلْمَتَابَعَةِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ بَنُ هِشَامٍ فِي زَوَائِدِهِ فِي السِّيَرَةِ تَعْلِيْقًا عَمَّنْ يَثِقُ بِهِ " (٢) .

وروى البخاري وغيره بسندهم عن أنس ، أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابِ كَانَ وَجَاهَ الْمِنْبَرِ ، وَرَسُولُ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يَخْطُبُ ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ :  
هَلَكْتَ الْمَوَاشِي ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ يُعِشِنَا ، قَالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : "   
اللَّهُمَّ اسْقِنَا ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا " ، قَالَ أَنَسٌ : وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ ، وَلَا قَرَعَةً وَلَا  
شَيْئًا وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ ، وَلَا دَارٍ ، قَالَ : فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ ،  
انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا ، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ ،

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/١٢٢) برقم (٢٣٩١) ، الأصبهاني في كتاب دلائل النبوة (ص١٨٤ برقم ٢٣٨) ، وذكره الخروشي في  
شرف المصطفى (٣/٥٢٢) ، ابن كثير في البداية والنهاية (٦/٩٨) ، المقرئ في إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع  
(٦/١٢٦) ، الصالح في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (٩/٤٤٠) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/٤٩٥) .

وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يُخْطَبُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ يُمَسِّكْهَا ، قَالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : " اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ، وَلَا عَلَيْنَا ، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالْأَجَامِ وَالظَّرَابِ وَالْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ " ، قَالَ : فَانْقَطَعَتْ ، وَخَرَجْنَا نَمِشِي فِي الشَّمْسِ . قَالَ شَرِيكٌ : فَسَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ : أَهْوَى الرَّجُلُ الْأَوَّلُ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي " (١) .

ومثال جوازها بالميث :

روى البخاري وغيره بسندهم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنْ الشَّمْسُ تَدْنُو ، حَتَّى يَبْلُغَ الْعِرْقُ نِصْفَ الْأُذُنِ ، فَيَسْمَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَعَاثُوا بِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، ثُمَّ بِمُوسَى فَيَقُولُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ بِمُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَشْفَعُ لِيَقْضِيَ بَيْنَ الْخَلْقِ ، فَيَمِشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْجَنَّةِ ، فَيَوْمِئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يُحَمِّدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ " (٢) .

فالحديث نص واضح صريح في إثبات الاستغاثة بالأنبياء بعد الموت ، حيث يهرع الخلق إلى نبي الله آدم يطلبون الغوث منه ، ثم يرشدهم إلى غيره من الأنبياء والرسل ، إلى أن يصل الأمر إلى أفضل الخلق سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيقوم فيشفع ليقضي بين الخلق ، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً ، يحمده أهل الجمع كلهم ... مع أن من يدعون السلفية أبوا إلا أن يشوشوا على هذا المقام الرفيع لسيد ولد آدم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين زعم ابن تيمية أن المقام المحمود إنما هو : إجلال الله تعالى للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جواره على العرش ، والعياذ بالله تعالى ، قال الإمام ابن تيمية : " ... إِذَا تَبَيَّنَ هَذَا فَقَدْ حَدَّثَ الْعُلَمَاءُ الْمُرْضِيُّونَ وَأَوْلِيَاؤُهُ الْمُقْبُولُونَ : أَنَّ

(١) أخرجه البخاري (٢/٢٨ برقم ١٠١٣) ، مسلم (٢/٦١٢ برقم ٨٩٧) ، البزار في المسند (١٢/٣٢٥ برقم ٦١٨٨) ، النسائي في الكبرى (٢/٣٢٢ برقم ١٨٣٧) ، المجتبى من السنن (٣/١٦١ برقم ١٥١٨) ، ابن خزيمة في الصحيح (٣/١٤٤ برقم ١٧٨٨) ، الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٣٢١ برقم ١٨٩١) ، ابن حبان (٣/٢٧٢ برقم ٩٩٢) ، الطبراني في الدعاء (ص ٢٩٧ برقم ٩٥٨) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/٤٩٤ برقم ٦٤٣٦) ، الدعوات الكبير (٢/١٧٥ برقم ٥٤٦) ، البغوي في شرح السنة (٤/٤١٢ برقم ١١٦٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٢/١٢٣ برقم ١٤٧٥) ، ابن خزيمة (٢/٥٩٦) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/٥٢ برقم ١٠٢٢) ، الطبراني في المعجم الأوسط (٨/٣١٠ برقم ٨٧٢٥) ، ابن مندة في الإبان (٢/٨٥٤ برقم ٨٨٤) ، البيهقي في شعب الإبان (٥/١٥٨ برقم ٣٢٣٣) ، البغوي في شرح السنة (٦/١١٩ برقم ١٦٢٢) .

مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجْلِسُهُ رَبُّهُ عَلَى الْعَرْشِ مَعَهُ . رَوَى ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ عَنْ كَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ؛ فِي تَفْسِيرِهِ : ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] (١) .

وأنا أقول للإمام ابن تيمية : لا ، لم يُحدِّث العلماء المرضيُّون ولا أولياؤه المقبولون بأنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجْلِسُهُ رَبُّهُ عَلَى الْعَرْشِ مَعَهُ ، بل استنكروه واستعظموه ، ورَجَّحوا ما جاء في الصَّحِيح من تفسير المقام المحمود بالشفاعة العظمى ، وهأنذا أسردُ عليك بعضاً من أقوالهم في استنكاره :  
 قال الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النَّمْرِي القرطبي (٤٦٣هـ) : " ... عَلَى هَذَا أَهْلُ الْعِلْمِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، أَنَّهُ الشَّفَاعَةُ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ (١٠٤هـ) : أَنَّ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ أَنْ يُقْعِدَهُ مَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْعَرْشِ ، وَهَذَا عِنْدَهُمْ مُنْكَرٌ !!! فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ ، وَالَّذِي عَلَيْهِ جَمَاعَةُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْخُلَافَةِ : أَنَّ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي يَشْفَعُ فِيهِ لِأُمَّتِهِ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَ مَا عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ مِنْ ذَلِكَ ، فَصَارَ إِجْمَاعًا فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ . ذَكَرَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ شَبَابَةَ عَنْ رِزْقٍ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، قَالَ : شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٢) "

وعقيدة الإقعاد على العرش عقيدة باطلة ، قال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨هـ) : " فَأَمَّا قَضِيَّةُ قَعُودِ نَبِيِّنَا عَلَى الْعَرْشِ ، فَلَمْ يَثْبُتْ فِي ذَلِكَ نَصٌّ !!! بل في الباب حديث واه " (٣) "

ومجسِّمة الحنابلة هم من قالوا بعقيدة الإقعاد على العرش ، وهي عقيدة مزدكيَّة ، قال الإمام الكوثري (١٩٥٢م) : " ومن معتقد المزدكيَّة منهم - الثنويَّة - أنَّ المعبود قاعد على كرسيِّه في العالم الأعلى على هيئة قعود خسرو (الملك) في العالم الأسفل " (٤) .

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٤) .

(٢) انظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٩/ ٦٤) .

(٣) انظر : مختصر العلو للعللي العظيم (ص ١٨٣) .

(٤) انظر : مقدّمات الإمام الكوثري (ص ٣٨) .

ولأجل هذه العقيدة التَّجْسِيمِيَّة الخرقاء الجوفاء ... أراق مجسِّمَةُ الحنابلةِ دماءَ الموحدِّين الرَّافِضين لها ،  
والعياذ بالله تعالى ...

قال الإمام شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي (٦٢٦هـ) في ترجمة الإمام الطَّبري (٣١٠هـ): " ... وأما حديث الجلوس على العرش فمحال ، ثمَّ أنشد :

سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس

فلما سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث ، وثبوا ورموه بمحابرهم ... " (١) . فإلى الله تعالى المشتكى  
من قوم جعلوا مخالفة الأُمَّة ديناً لهم وديناً ...

وقال الإمام محمَّد بن موسى بن النُّعمان المراكشي (٦٨٣هـ) : " ولما كانت سنة ثلاث وخمسين وستائة ،  
وقفت زيادة النَّيل بمصر في شهر مسرى (اسم قبطي لشهر من شهر السنَّة) عن عاداته ، فضجَّ النَّاس بسبب ذلك  
، مع ما هم فيه من الغلاء في السَّعر .

قال الفقيه المقرئ أبو العبَّاس أحمد بن علي بن الرُّفعة الأنصاري : فَبِتُّ ليلة الجمعة الرَّابع والعشرين من  
جمادى الآخرة الموافق لليلة السَّادسة من مسرى المتقدِّم ذكره مهموماً ، فصلَّيت ركعتين ؛ وقرأت في الأولى بفاتحة  
الكتاب ، وقوله تعالى : ﴿ سَرُّيْهِمْ ءِآيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ ﴾ [فصلت : ٥٣] إلى آخر السُّورة ، وفي الثَّانية بفاتحة الكتاب ،  
وقوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] إلى آخر السُّورة ، واستغثت  
بالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ونمتُ ، فرأيت هاتفاً هتف بي وهو يقول : أَنَّهُ سَمِعَ اسْتِغَاثَتَكَ ، وَأَنَّهُ يُفْرَجُ  
عَنِ الْعَالَمِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي نَيْلِ مِصْرَ ، وَكُنْتُ أُخْبِرُ أَنَّ عِلْمَ هَذِهِ الرَّؤْيَا عِنْدَ أَبِي الْمَجْدِ الْإِخْمِي خَطِيبِ مِصْرَ ،  
فَسَأَلْتُهُ عَنْ هَذِهِ الرَّؤْيَا ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ الْفَقِيهَ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ الرَّفْعَةَ الْمَذْكُورَ أَخْبَرَهُ بِالْمَنَامِ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ  
الْمَقْدَّمِ ذَكَرَهُ .

قال الشَّيخ أبو المجد المذكور : فبعد ثلاثة أيام ، زاد النَّيل في ذلك اليوم خمسة عشر إصبعاً ، ثمَّ استمر في  
الرَّيادة حتى بلغ تلك السنَّة أصبعاً واحداً من تسعة عشر ذراعاً ، وذلك ببركة الاستغاثة بالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَآلِهِ وَسَلَّمَ " (٢) .

(١) انظر : معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) (٦/ ٢٤٥٠) .

(٢) انظر : مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في البقظة والمنام (ص ٥٢-٥٣) .

وقال الإمام تقي الدين الحصري الشافعي : " ... والمراد أن الاستغاثة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واللواذ بقبره مع الاستعانة به كثير على اختلاف الحاجات ، وقد عقد الأئمة لذلك باباً ، وقالوا : إن استعانة من لاذ بقبره وشكى إليه فقره وضره تُوجب كشف ذلك الضرّ بإذن الله تعالى . فمن ذلك : ما أخبر به يوسف بن علي ، قال : رَكِبْتَنِي دُيُونٌ ، فقصدتُ الخروج من المدينة الشريفة ، ثم جئتُ إلى قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ، فاستغثت به في وفاة ديني ، فممت فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأشار عليّ بالجلوس ، فاستيقظت ، فقيض الله لي مَنْ وَفَى دِينِي .

وقال بعضهم : بلغنا أن أبا الليث يقرأ القرآن في المصحف ، من غير تعلّم سبق منه للكتابة ، وكنت أنكر ذلك ، قال : فدخلت مكة فوجدته يقرأ القرآن في المصحف قراءة محمودة ، فسألته عن سبب ذلك ؟ فقال : كنت في مدينة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبيت في المسجد وأخلو به فتشفّعت إلى الله - عزّ وجلّ - بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أن يسهل عليّ القرآن في المصحف . قال : وجلست فأخذتني سنة ، فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول : قد أجاب الله تعالى دعاءك ، فافتح المصحف واقرأ القرآن . قال : فلما أصبح الصّباح فتحت المصحف ، وشرعت أقرأ القرآن ، فكننت أقرأ في المصحف ، فربّما تتصحّف عليّ الآية ، فأنا ما فأرى من يقول لي : الآية التي تصحّفت عليك كذا وكذا .

وذكر ابن عساكر في تاريخه : أن أبا القاسم ابن ثابت البغدادي ، رأى رجلاً بمدينة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أذن الصّبح عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال فيه : الصلاة خير من النوم ، فجاءه خادمٌ من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك منه ، فبكى واستغاث بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقال : يا رسول في حضرتك يفعل بي هذا الفعل . قال : فضربه الفالج في الحال ، وحمل إلى داره ، فمكث ثلاثة أيام ، ثم مات . وقال أبو العباس أحمد المقرئ الضّرير التّونسي : جُعت بالمدينة ثلاثة أيام ، فجئت إلى القبر ، وقلت : يا رسول الله جُعت . ثمّ نمت ضعيفاً ، فلكرتني جارية برجلها ، فقامت إليها ، فقالت : اعزم ، فقامت معها إلى دارها فقدّمت لي خبز برّ وتمراً وسمناً ، وقالت : كلّ أبا العباس ، فقد أمرني بهذا جدّي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال أبو العباس : فرجعت إلى بلادتي ، فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمصر بعد رجوعي ، فقال : أوحشتنا يا أبا العباس قراءتك ، وكنت أكثر قراءة القرآن عند ضريحه . قال الباجي : كم قرأت من ختمة عند قبره ؟ قلت : ألف ختمة . وقال أبو العباس أحمد اللواتي : كانت عندنا بمدينة فاس امرأة ، وكانت إذا أصابها أمرٌ أو شيء يفرغها ، جعلت يدها على عينيها ، واستغاثت بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتغاثت ، فلما توفّيت قال لي قريبٌ لها :

رأيتها في النَّوْمِ فقلت لها : يا عمّة أرايت الملكين الفتّانين ؟ فقلت : نعم جاء آني ، فعندما رأيتها جعلت يدي على عيني ، وقلت : يا محمّد ، فلمّا نزعت يدي عن وجهي فلم أرهما . وهذه القصّة ذكرها بعض الأئمّة وعزاها ، وقال : إنّ الاستغاثة من بعيد به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالأستغاثة به عند قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وساق عن أبي إسحاق الحسين ، قال : كنت بين مدينة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والشّام ، فضللّ لنا جملاً ، قال : وكان قد بلغني عن الشّيخ أحمد الرّفاعي أنّه قال : من كانت له حاجة فليستقبل عبادان نحو قبري ، ويمشي سبع خطوات ويستغيث ، فإنّ حاجته تُقضى . قال : فلمّا استقبلت عبادان ، وقصدت الاستغاثة ، هتف بي هاتف : أمّا تستحي من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتستغيث بغيره . قال : فتحولت نحو المدينة ، فقلت : يا سيّدي يا رسول الله أنا مستغيث بك . قال : فوالله ما استكملت ذلك إلّا والجمأل يقول لي : هذا الجمّل قد وجدناه .

وسافر بعض الفقراء لقصّد زيارة قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فتآه في الطّريق ، فاستغاث بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فظهرت له قبة العباس رضي الله عنه وبينه وبين الموضوع المذكور يومان أو نحوهما . وقال أبو الحجاج يوسف بن علي - قدّس الله روحه - : خرجت من مكّة متوجّهاً إلى المدينة على طريق المشاة ، فتهت في الطّريق ، فاستغثت بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإذا بامرأة آتية من نحو المدينة ، وهي تُشير إليّ أنّ أمشي على أثرها ، فلم أزل أمشي على أثرها إلى أن وصلت المدينة .

وقال : سمعت أبا عبد الله بن سالم يقول : رأيت في المنام كائي في بحر النّيل ، وإذا بتمساح يريد أن يقفز عليّ فخنقت منه ، وإذا بشخص وقع لي أنّه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال لي : إذا كنت في شدّة فقل : أنا مستغيث بك يا رسول الله ، فكنّت أفعل فأغاث ، فأراد بعض الإخوان السّفر لزيارته صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ ، وكان ضريراً ، فحكيت له الرّؤيا ، وقلت له : إذا كنت في شدّة فقل : أنا مستغيث بك يا رسول الله ، فسافر في تلك الأيام ، فجاء إلى رابع وهي غزيرة الماء ، وكان له خادم قد ذهب في طلب الماء ، قال : فبقيت القربة في يدي وأنا في شدّة من طلب الماء ، فذكرت ما قلت لي ، وقلت : أنا مستغيث بك يا رسول الله ، فبقيت أنا كذلك ، وإذا بصوت يقول : زم قربتك ، وسمعتُ صريرَ الماء في القربة إلى أن امتلأت ، ولم أعلم من أين أتى القائل .

وقال : سمعت محمّد السلاوي يقول : لما ودّعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قلت : يا حبيبي يا محمّد يا سيّد الكونين أنا أدخل الصّحراء ، فإذا أخذتني شدّة أدعو الله وأتوسّل بك . وجئت إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وقلت لهما كذلك . قال : فبقيت في البريّة سبعة أيّام ، ووقعت في جبّ وفيه ماء ، فبقيت فيه من أوّل النهار إلى ما بعد الظّهر ، فلم يبق إلّا الموت . قال : ففكرت ما كنت قلت عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقلت

: يا حبيبي يا محمد الذي كنت قلت لك وقلت كذلك لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، قال فكأنني بمن حولني وطلعت ببركة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبيه رضي الله عنهما . وقال : أخبرني رجل من مدينة طرابلس ، قال : كنا جاثين من الاسكندرية في مركب ، فهاج البحر علينا ، وأشرفنا على التلّف والهلاك ، فقمّت إلى النَّاس ، فقلت : استغيثوا بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنّه غياث ، فقلنا جميعاً : الغياث يا رسول الله ، العفو يا رسول الله ، العفو يا رسول الله ، جانين مذنبين استجرنا بك ، أجرنا يا محمد الحبيب ، يا حبيينا يا شفيعنا يا ولينا . فنام رجل من أهل المركب مشهور بالخير والصلاح ، فرأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأخذ بيده ، فقال : انج وأبشروا بالسّلامة ، فلمّا أفاق الرَّجُلُ برؤياه ، فلمّا أصبح رجع البحر كالزّيت ، وكأنّه عقد بيضة ، وجئنا إلى طرابلس سالمين ببركته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال : سمعت أبا الحسن العسقلاني يقول : ركبنا البحر في طلب جدّة ، فهاج علينا ، ورمينا ما معنا فيه ، وأشرفنا على التلّف ، فجعلنا نستغيث بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن نقول : واحمداه ، وكان معنا رجل مغربي صالح ، فقال لنا : ارفقوا حجّاج إنكم سالمون ، رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام ، فقلت : يا رسول الله أمتك يستغيثون بك ، قال : فالتفت إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقال : يا أبا بكر أنجدهم . قال : فكأنّ عيني ترى أبا بكر رضي الله عنه وقد خاض البحر ، وأدخل يده في مقدم الحلق ، ولم يزل يجذبها حتى دخل بها البر ، فلم تستغيثون فأنتم سالمون ؟ فسلمنا ولم نر بعد هذا إلّا خيراً ، ودخلنا البر سالمين . والحمد لله ربّ العالمين .

ولمّا قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما - يوم عاشوراء أوّل سنة إحدى وستين ، وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة ونصف شهر - ووقع ما وقع من السّبي وحمل النّساء والصّبيان ، فلمّا مرّوا بالقتلى صاحت زينب بنت علي رضي الله عنهما مستغيثة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : يا محمداه ، هذا حسين بالعراء ، مزمل بالدماء ، مقطّع الأعضاء ، يا محمداه . فلمّا كان سنة ثلاث وأربعمئة أخذ أهل الكوفة جدرئياً عظيماً ، ثمّ عمي منهم ألف وخمسمائة كلّهم من نسل من حضر قتل الحسين رضي الله عنه . وهذا من أعجب ما سمع ... " (١) .

### رَابِعاً : مَعْنَى الْمَدَدِ لُغَةً وَاصْطِلَاحاً :

المدد مصدر لفاعل مدّ بتشديد الدال ، أى منح الشّيء وأعطاه .

(١) انظر : دفع شبه من شبه وتمرّد ونسب ذلك إلى السيّد الجليل الإمام أحمد (ص ٨٩-٩٢) .

فالسائل يتوجه إلى الله تعالى بالسؤال لكي يعطيه من فضله أو يسأل الناس أن يعطوه من فضل الله عليهم ... قال الإمام محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (٧١١هـ) : " ومددنا القوم : صرنا لهم أنصاراً ومدداً وأمددناهم بغيرنا . وحكى اللحياني : أمدد الأمير جنده بالحليل والرجال وأعانهم ، وأمددهم بهال كثير وأعانهم . قال : وقال بعضهم أعطاهم ، والأول أكثر . وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ [الإسراء: ٦] .

والمدد : ما مدهم به أو أمددهم ؛ سببويه ، والجمع أمداد ، قال : ولم يجاوزوا به هذا البناء ، واستمدده : طلب منه مدداً . والمدد : العساكر التي تلحق بالمغازي في سبيل الله . والإمداد : أن يرسل الرجل للرجل مدداً ، تقول : أمددنا فلاناً بجيش . قال الله تعالى : ﴿ يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ ﴾ [آل عمران: ١٢٥] .

وقال في المال : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا جُدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥] ؛ هكذا قرئ نمدتهم ، بضم النون . وقال : ﴿ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ [الإسراء: ٦] ، فالمدد ما أمددت به قومك في حرب أو غير ذلك من طعام أو أعوان . وفي حديث أويس : كان عمر ، رضي الله عنه ، إذا أتى أمداد أهل اليمن سألهم : أفيكم أويس بن عامر ؟ (١) .

الأمداد : جمع مدد وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يمددون المسلمين في الجهاد . وفي حديث عوف بن مالك : خرجت مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة ورافقني مددي من اليمن (٢) . وهو منسوب إلى المدد . وقال يونس : ما كان من الخير فإنك تقول : أمددته ، وما كان من الشر ، فهو مددت (٣) .

وقال الإمام محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى ، الزبيدي (١٢٠٥هـ) : " والإمداد : أن تنصر الأجناد بجماعة غيرك ، والمدد : أن تصيرهم ناصراً بنفسك . والإمداد : الإغناء والإغائنة ، يقال : مده مدداً وأمدده : أعطاه (٤) .

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٦٩ برقم ٢٥٤٢) ، البزار في المسند (١/٤٧٩ برقم ٣٤٢) ، الحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٣/٤٥٦ برقم ٥٧١٩) ، البيهقي في دلائل النبوة (٦/٣٧٧) .

(٢) أخرجه مسلم (٣/١٣٧٤) ، أحمد في المسند (٦/٢٧ برقم ٢٤٤٩٧) .

(٣) انظر : لسان العرب (٣/٣٩٨) .

(٤) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (٩/١٥٥) .

والمدّد قد يكون حسيّاً وقد يكون معنوياً ، فكلُّ ما أعطيه الإنسان وأمدّه به فهو مددٌ له سواء كان حسيّاً كان إمداداً بهال أو إمداداً بطعام أو إمداداً بسلاح ، وما إلى ذلك ، أو كان معنوياً ومن جملة ذلك : الإمداد بالدُّعاء ، يُقال أمدنا فلان بدعواته الصّالحة ، أي : توجّه إلى الله تعالى يدعو لنا بسبب ضررٍ مسنا ...

والمدّد يختلف باختلاف الحال : فمن يدعو الله تعالى سائلاً المدد ، لا يريد إلا الإمداد بالإعانة والنّصر والتّوفيق للطّاعة ، والبعد عن حبائل الشّيطان وشراكه ...

ومن يقول في دعائه : مددٌ يا رسول الله ، لا يقصد إلا طلب الاستغفار له من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا الخطوة بشفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

والقاتل : مددٌ يا أولياء الله ... لا يريد إلا أن يمدّوه ويرشدوه ويعلموه ممّا علمهم الله تعالى ... فالإغاثة من الخلق ليست كإغاثة الله تعالى لخلقه ، فما هي إلا لون من ألوان المساعدة ، والإرشاد ، والإعانة ، والتّعريف ، فهي مندرجةٌ في إطار المساعدة والتّعاون على البرِّ والتّقوى ، مع الإيهان المطلق بأنّ المدد في الحقيقة إنّما هو الله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء : ٢٠] ، " أي : أنّ الله تعالى يمدُّ الجميع بمقومات الحياة ، فمنهم من يستخدم هذه المقومات في الطّاعة ، ومنهم من يستخدمها في المعصية ، كما لو أعطيت لرجلين مالاً ، فالأول تصدّق بهاله ، والآخر شرب بهاله خمرأ .

إذن : فعطاء الرّبوبيّة مددٌ ينال المؤمن والكافر ، والطّائع والعاصي ، أمّا عطاء الألوهيّة المتمثّل في منهج الله : افعل ولا تفعل ، فهو عطاء خاصٌّ للمؤمنين دون غيرهم " (١) .

وأدلة التّوسّل بالأحياء والأموات هي نفسها أدلّة للمدّد ، يُضاف إليها ما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : .... " إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ : يَا عِبَادَ اللهِ ، احْسِبُوا عَلَيَّ ، يَا عِبَادَ اللهِ احْسِبُوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّ اللهُ فِي الْأَرْضِ حَاضِرٌ سَيَحْسِبُهُ عَلَيْكُمْ " (٢) .

قال الإمام محمّد بن مفلح بن محمّد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدّين المقدسي الرّاميني ثمّ الصّالحي الحنبلي (٥٧٦٣هـ) : " قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنِ إِمَامِنَا أَحْمَدَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : حَجَّجْتُ حَمْسَ حَجَّجٍ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ رَاكِبًا

(١) انظر : تفسير الشعراوي (الخواطر) (١٤/٨٤٤٠) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/٢١٧ برقم ١٠٥١٨) ، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النّبي مع ربه عزّ وجلّ ومعاشرته مع العباد (ص ٤٥٥ برقم ٥٠٨) ، أبو يعلى في المسند (٩/١٧٧ برقم ٥٢٦٩) .

وَتَلَاثًا مَا شِئًا ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ : يَا عِبَادَ اللَّهِ ذُلُّنَا عَلَى الطَّرِيقِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى وَفَعْتُ عَلَى الطَّرِيقِ ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبِي " (١) .

وقال الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) : " حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنه انفلتت له دابة أظنها بغلة ، وكان يعرف هذا الحديث ، فقال له : فحبسها الله عليهم في الحال ؛ وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منها بهيمة ، وعجزوا عنها ، فقلته ، فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام " (٢) .  
وروى الطبراني بسنده عن عتبة بن عزوان ، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " إِذَا أَصَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْنًا وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسٌ ، فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي ، يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي ، فَإِنَّ اللَّهَ عِبَادًا لَا تَرَاهُمْ " . وَقَدْ جَرَّبَ ذَلِكَ " (٣) .

### خَامِسًا : مَعْنَى الشَّفَاعَةِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا :

قال ابن فارس : " الشَّيْنُ والفَاءُ والعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَقَارِنَةِ الشَّيْئِينَ " (٤) .

" وَالشَّفَعُ : ضَمَّ الشَّيْءِ إِلَى مِثْلِهِ " (٥) .

والشَّفَعُ خلاف الوتر ، وهو الزوج ، تقول : كان وترًا فشفعته شفعا ، " وَشَفَعَ لِي يَشْفَعُ شَفَاعَةً وَتَشْفَعُ : طَلَبَ . وَالشَّفِيعُ : الشَّفَاعُ ، وَالْجَمْعُ شُفَعَاءُ ، وَاسْتَشْفَعْتُ بِفُلَانٍ عَلَى فُلَانٍ وَتَشَفَّعْتُ لَهُ إِلَيْهِ فَشَفَّعَهُ فِيهِ " (٦) .  
وسُمِّيت الشَّفَاعَةُ بذلك ، لأنَّ المشفوع له يأتي بالشافع ليشفع له ، فأصبحت بذلك شفعا . وقد اختلفت عبارات العلماء وتعريفاتهم للشَّفَاعَةِ ، من ذلك :

- " الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلاً عنه ، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ورتبة إلى من

هو أدنى " (٧) .

- " أَنْ يَسْتَوْهَبَ أَحَدٌ لِأَحَدٍ شَيْئًا ، وَيَطْلُبُ لَهُ حَاجَةً " (٨) .

(١) انظر : الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/٤٢٩) .

(٢) انظر : الأذكار (ص ٣٧٨) .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/١١٧ برقم ٢٩٠) .

(٤) انظر : معجم مقاييس اللغة (٣/١٥٦) .

(٥) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٣/٣٢٨) .

(٦) انظر : لسان العرب (٨/١٨٤) .

(٧) انظر : المفردات في غريب القرآن (ص ٤٥٧) .

- "السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه" (١).

والناظر في التعريفات السابقة يرى أنها مجمعة على أن الشفاعة هي: طلب وسؤال الخير للغير من الأدنى للأعلى، ومن صور الخير: طلب دفع الضرر والشر عنه. أو هي الطلب أو السؤال في التجاوز عما اجترح من الذنوب والآثام....

والشفاعة ملك لله وحده، ومن رحمته بعباده أن وهبها من شاء من عباده، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤].

"فالشفاعة كلها لله. وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول ذلك لهم ليعلموا أن لا يملك الشفاعة إلا الله، أي: هو مالك إجابة شفاعة الشفعاء الحق. وتقديم الخبر المجرور وهو ﴿لِلَّهِ﴾ على المبتدأ لإفادة الحصر. واللام للملك، أي: قصر ملك الشفاعة على الله تعالى لا يملك أحد الشفاعة ﴿لِلَّهِ﴾ عنده.

و﴿جَمِيعًا﴾ حال من الشفاعة مفيدة للاستغراق، أي لا يشد جزئي من جزئيات حقيقة الشفاعة عن كونه ملكاً لله، وقد تأكد بلازم هذه لحال ما دلل عليه الحصر من انتفاء أن يكون شيء من الشفاعة لغير الله" (٢).

وقال في آية أخرى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]. والاستثناء في الآية قد يكون متصلاً وقد يكون منقطعاً.

يقول الإمام القرطبي في تفسيره للآية: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ في موضع الخفض. وأراد بـ ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ عَيْسَى وَعُزَيْرًا وَالْمَلَائِكَةَ. وَالْمَعْنَى: وَلَا يَمْلِكُ هَؤُلَاءِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَأَمَّنَ عَلَى عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَغَيْرُهُ. قَالَ: وَشَهَادَةُ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَقِيلَ: ﴿مَنْ﴾ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ، أَيْ: وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ، يَعْنِي الْآلِهَةَ - فِي قَوْلِ قَتَادَةَ - أَيْ: لَا يَشْفَعُونَ لِعَابِدِيهَا إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ، يَعْنِي عُزَيْرًا وَعَيْسَى وَالْمَلَائِكَةَ، فَإِنَّهُمْ يَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ وَالْوَحْدَانِيَّةِ لِلَّهِ. " وَهُمْ يَعْلَمُونَ " حَقِيقَةً مَا شَهِدُوا بِهِ. وَقِيلَ: أَنَّهَا نَزَلَتْ بِسَبَبِ أَنَّ النَّصْرَ بْنَ الْحَارِثِ وَفَرَّادًا مِنْ قُرَيْشٍ قَالُوا: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا فَنَحْنُ نَتَوَلَّى الْمَلَائِكَةَ وَهُمْ أَحَقُّ بِالشَّفَاعَةِ لَنَا مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ

(١) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٣/٤٩٥).

(٢) انظر: كتاب التعريفات (ص ١٢٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٢٤/٢٨).



إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ، أَي : اعْتَقَدُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَوْ الْأَصْنَامَ أَوْ الْجِنَّ أَوْ الشَّيَاطِينَ تَشْفَعُ لَهُمْ وَلَا شَفَاعَةَ لِأَحَدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ " يَعْنِي : الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَدِنَ لَهُمْ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴾ ، أَي : شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . وَقِيلَ : أَي : لَا يَمْلِكُ هَؤُلَاءِ الْعَابِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ، فَإِنَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ يُشْفَعُ لَهُ وَلَا يَشْفَعُ لِمَشْرُكٍ . وَ ﴿إِلَّا﴾ بِمَعْنَى لَكِنْ ، أَي : لَا يَنَالُ الْمُشْرِكُونَ الشَّفَاعَةَ لَكِنْ يَنَالُ الشَّفَاعَةَ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ، فَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا ، لِأَنَّ فِي جُمْلَةِ ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ الْمَلَائِكَةَ " (١) .

وقد سمى الله تعالى شهادة الحق بالعهد في قوله تعالى : ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم : ٨٧] .

فشهادة الحق هي شرط في الشافع والمشفوع له ، وإذا كانت كذلك ، فإنه ليس للمشركين من شفيع ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مِمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨] ، لأنَّ الموحدين لا يشفعون إلا لمن ارتضى ، قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، ومن المعلوم أن المشركين ليسوا ممن ارتضى ، ولو قدر أن شفع لهم ، فإنها شفاعة خاسرة لا تنفعهم ، كما قال تعالى حكاية عن المجرمين : ﴿ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ \* حَتَّى آتَيْنَا آلِيْقِينَ \* فَمَا تَفْعَلُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴾ [المدثر : ٤٦ - ٤٨] . وعندها أيقن الكفرة والمنافقون أن ليس لهم من صديق حميم ولا شفيع يطاع ، قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ فَمَا لَنَا مِنَ الشَّفِيعِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠٠ - ١٠١]

وقد اتفقت الأمة الإسلامية على إثبات الشفاعة لسيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم اختلفوا بعد هذا لمن تكون الشفاعة ؟ أهى للمؤمنين المستحقين للثواب ، أم هي لأهل الكبائر المستحقين للعقاب ؟ فذهب المعتزلة ، والخوارج ، والإباضية ، والقدرية ، ومن وافقهم إلى أنها للمستحقين للثواب ، وتأثير الشفاعة في أن

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٦/١٢٢) .

تحصل زيادة من المنافع على قدر ما استحقَّوه ، ومنعوا من إسقاطها لعقوبة العاصي ، وذلك انسجاماً مع مذهبهم في تخليد أهل الكبائر في النَّار ، وقد اختار هذا الرَّأي جمهور الزَّيدية (١) .

" وذهب بعض المعتزلة إلى إنكار الشَّفاعة أصلاً ورأساً ، وردَّ الأخبار الصَّحيحة الواردة فيها وما دلَّ عليه القرآن من ذلك " (٢) .

أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة فقالوا بأنَّها حقٌّ ، وهي إنَّما شُرعت لتنال المطيع والعاصي ، وهي داخلة في باب الفضل الذي يُكرم الله به عباده ، والله تعالى يختصُّ برحمته من يشاء ، ومن جملة تأثيراتها : إسقاط العقاب عن أهله ، ودخولهم الجنَّة ، وذلك بعد استيفائهم العذاب المقرَّر لهم بموجب قانون العدل الإلهي (٣) .  
وقد ذكر غير واحد من العلماء أنَّ الأحاديث والآثار الواردة في أنَّ شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نائلة أصحاب الكبائر ، وأنَّها بلغت مبلغ التواتر المعنوي ، منهم : القاضي عياض ، النَّووي ، ابن كثير ، علي القاري ، التَّفَّازاني ، السَّفاريني ، الألويسي (٤) ...

" وانهقد عليها إجماع أهل الحقِّ من السَّلف الصَّالح ، قبل ظهور المبتدعة " (٥) .

قال الإمام ابن تيمية : "... وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْحَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ أَنْكَرُوا شَفَاعَتَهُ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ ، فَقَالُوا : لَا يَشْفَعُ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْكِبَائِرِ عِنْدَهُمْ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَهُمْ وَلَا يُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلُوهَا لَا بِشَفَاعَةٍ وَلَا غَيْرِهَا ، وَمَذْهَبُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَتَمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَسَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُ صَلَّى

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص ٦٨٧ فما بعدها) ، أصول الدِّين ، البغدادي (ص ٢٤٤) ، البحر الزخار (١/ ٨٠) ، مشارق أنوار العقول (ص ٣٧٤) ، تفسير الرازي (٣/ ٥٢-٥٣) .

(٢) انظر: الإنصاف ، الباقلاني (ص ١٦٢) .

(٣) انظر: شرح المقاصد (٥/ ١٥٨) ، نهاية الإقدام في علم الكلام (ص ٣٥٤) ، الإرشاد ، الجويني (ص ٣٩٣-٣٩٤) ، الإبانة عن أصول الديانة (ص ٢٤١) ، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢١٢) ، الأربعين في أصول الدِّين (٢/ ٢٤٦) ، تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام (٢/ ٢٧٤) ، اليواقيت والجواهر (٢/ ١٧٠) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٤٢٦ ، ٤٢٨) .

(٤) من العلماء الذين نضُّوا على أنَّ الأحاديث الواردة في شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الكبائر بلغت مبلغ التواتر المعنوي : القاضي عياض والنووي ، كما في : صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ٣٥) ، ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٢٠٩) ، علي القاري في شرح الفقه الأكبر (ص ١٩٧) ، التَّفَّازاني في شرح المقاصد (٥/ ١٥٨) ، السَّفاريني في لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٠٨) ، الألويسي في روح المعاني ، الألويسي (١/ ٢٥٤) ، بالترتيب ...

(٥) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٠٨) .

الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْكِبَائِرِ ، وَأَنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَحَدٌ ؛ بَلْ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ " (١) .

فمذهب أهل السنة والجماعة كما ذكره الإمام ابن تيمية هو : أَنَّ شَفَاعَتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَائِلَةٌ أَهْلَ الْكِبَائِرِ ، وَهُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ الصَّالِحِ ، وَهُمْ أَهْلُ قُرُونِ الْخَيْرِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ....

وقال الإمام الأشعري مناقشاً نفاة الشفاعة ومبيناً وجه الحق في هذه المسألة : " قد أجمع المسلمون أَنَّ لِرَسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفَاعَةَ ، فَلِمَنِ الشَّفَاعَةُ ؟ أَهِيَ لِلْمُذْنِبِينَ الْمُرْتَكِبِينَ لِلْكِبَائِرِ ؟ أَمْ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمَخْلُصِينَ ؟ فَإِنْ قَالُوا : لِلْمُذْنِبِينَ الْمُرْتَكِبِينَ لِلْكِبَائِرِ ، وَافْقُوا ، وَإِنْ قَالُوا : لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ الْمَوْعُودِينَ بِهَا ، قِيلَ لَهُمْ : فَإِذَا كَانُوا مَوْعُودِينَ بِالْجَنَّةِ ، وَبِهَا مَبَشَّرِينَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ ، فَمَا مَعْنَى الشَّفَاعَةِ لِقَوْمٍ لَا يَجُوزُ عِنْدَكُمْ أَنْ لَا يَدْخُلَهُمُ اللَّهُ جَنَاتِهِ ؟ وَمَنْ قَوْلِكُمْ أَنَّهُمْ قَدْ اسْتَحَقُّوْهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْتَوْجِبُوا عَلَيْهَا سُبْحَانَهُ ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَكَانَ تَأْخِيرُهُمْ عَنِ الْجَنَّةِ ظُلْمًا ، فَإِنَّمَا يَشْفَعُ الشُّفَعَاءُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ لَا يَظْلِمَ عَلَى مَذَاهِبِكُمْ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ افْتِرَائِكُمْ عَلَيْهِ عُلُوًّا كَبِيرًا .

فإن قالوا : يشفع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، لَا فِي أَنْ يَدْخُلَهُمُ جَنَاتِهِ ، قِيلَ لَهُمْ : أَوْلَيْسَ قَدْ وَعَدَهُمْ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٧٣] ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ ، فَإِنَّمَا يَشْفَعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَكُمْ مِنْ أَنْ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ ، وَهَذَا جَهْلٌ مِنْكُمْ ، وَإِنَّمَا الشَّفَاعَةُ الْمَعْقُولَةُ فَيَمْنُ اسْتَحَقَّ عِقَابًا ، أَنْ يُوَضَّعَ عَنْهُ عِقَابُهُ أَوْ فِي مَنْ لَمْ يَعِدْهُ شَيْئًا أَنْ يَنْفَضَّلَ عَلَيْهِ بِهِ ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْوَعْدُ بِالْتَّفَضُّلِ سَابِقًا ، فَلَا وَجْهَ لِهَذَا " (٢) .

وهذا كلامٌ من الإمام الأشعري في غاية الروعة والبيان ، فقد كفى وشفى ، ولا مزيد عليه ، فقد ناقشهم مناقشة شرعية وعقلية ، فقطع حججهم ، وأبطل مذهبهم ، وانتصر لمذهب أهل السنة والجماعة القاضي بشمول شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعصاة والمذنبين ....

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز ثلاثة أصناف من الخلق يشفعون ، وهم :

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٣١٨) .

(٢) انظر : الإبانة عن أصول الديانة (ص ٢٤١-٢٤٢) .

## الأول : الملائكة البررة :

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ \* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ \* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦-٢٨] . قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ ، أي : الذين ارتضاهم لشهادة أن لا إله إلا الله (١) .

وعن مجاهد ، قال : لمن رضي عنه (٢) .

فالملائكة يشفعون ، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى الله الشفاعة له ، بأن يأذن للملائكة بالشفاعة له إظهاراً لكرامتهم ومكانتهم عند الله تعالى ، وأكد الله تعالى هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم : ٢٦] .

قال الإمام القرطبي في تفسير الآية : " فَأَعْلَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مَعَ كَثْرَةِ عِبَادَتِهَا وَكَرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ لَا تَشْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَدْنَى أَنْ يُشْفَعَ لَهُ " (٣) .

" وَأَفْرَدَتِ الشَّفَاعَةَ فِي قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ لِأَنَّهَا مَصْدَرٌ ، وَلِأَنَّهُمْ لَوْ شَفَعَ جَمِيعُهُمْ لَوَاحِدٍ ، لَمْ تُغْنِ شَفَاعَتُهُمْ عَنْهُ شَيْئًا " (٤) .

وفي السنة المطهرة جاء الحديث عن شفاعة الملائكة الكرام ، من ذلك ما رواه الشيخان بسندهما إلى أبي سعيد الخدري مرفوعاً : " شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون... " (٥) . والحديث نص واضح صريح في شفاعة الملائكة الأبرار عليهم السلام ، والأحاديث الواردة في شفاعة الملائكة كثيرة ....

**الثاني : سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :**

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٤٤٩ برقم ١٣٦٣٥) .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/٤٢٩) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٧/١٠٤) .

(٤) انظر : البحر المحيط في التفسير (١٠/١٩) .

(٥) أخرجه الطيالسي في المسند (٣/٦٢٩ برقم ٢٢٩٣) ، مسلم (١/١٦٧ برقم ١٨٣) ، ابن مندة في الإبان (٢/٧٩٧ برقم ٨١٦) ، البيهقي في

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص ١٩٦) ، شعب الإيمان (١/٩٨ برقم ٣١٢) .

لسيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفاعات عديدة ، جاءت بها آيات الكتاب العزيز ، وكذا أحاديث المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهي :

١- الشَّفاعَةُ العَظْمَى ، وهي شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الموقف حتى يقضي الله بينهم بعد طول الموقف عليهم ، وبعد مراجعتهم الأنبياء عليهم السَّلَام للقيام بها ، فكلُّ واحد منهم يقول : لست لها ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، حتى يأتونا سيدنا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقوم بها بعد إذن ربِّه ، وهي المقام المحمود ...

٢- شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دخول أهل الجنَّة الجنَّة بعد الفراغ من الحساب .

٣- شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمِّه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه ، وهي خاصَّة لأبي طالب ، وهذه الأنواع الثلاثة هي من الشَّفاعات الخاصَّة بسيدنا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٤- شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمن استحقَّ النَّار من عصاة الموحِّدين أن لا يدخلها .

٥- شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمن دخل النَّار من عصاة الموحِّدين أن يخرج منها .

٦- شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رفع درجات بعض أهل الجنَّة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم .

٧- شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنَّة ، وهم أهل الأعراف

على الرَّاجح من قول العلماء .

٨- شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دخول بعض المؤمنين الجنَّة بغير حساب ولا عذاب ، كشافته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عُكاشة بن محصن ، حيث دعا له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون من السَّبعين ألفاً الذين يدخلون الجنَّة بغير حساب .

والأنواع الخمسة الأخيرة يُشارك النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها غيره من الأنبياء والملائكة والصدِّيقين والشُّهداء . وقد خصَّصت لشفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسالة خاصَّة بحمد الله تعالى ...

### الثَّالِثُ : الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ :

فقد صرَّحت السُّنَّة المطهَّرة بشفاعة الأنبياء ، والشُّهداء ، والصَّالِحين ، من ذلك :

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " شفعت الملائكة ، وشفع النَّبيُّون ، وشفع المؤمنون " (١) .

(١) أخرجه الطيالسي في المسند (٣/٦٢٩ برقم ٢٢٩٣) ، مسلم (١/١٦٧ برقم ١٨٣) ، ابن مندة في الإبان (٢/٧٩٧ برقم ٨١٦) ، البيهقي في الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السَّلف وأصحاب الحديث (ص ١٩٦) ، شعب الإبان (١/٩٨ برقم ٣١٢) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ عِزٌّ وَجَلٌّ تَسَعُ خِصَالٌ : ... وَيَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ " (١) .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، " وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُعْتَدَدَ أَنَّ غَيْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَائِرِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالصَّحَابَةِ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّدِّيقِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَقَامَاتِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَشْفَعُونَ ، وَيَقْدِرُ جَاهِهِمْ وَوَجَاهَتِهِمْ يُشْفَعُونَ ، لِثُبُوتِ الْأَخْبَارِ بِذَلِكَ ، وَتَرَادُفِ الْأَثَارِ عَلَى ذَلِكَ ، وَهُوَ أَمْرٌ جَائِزٌ غَيْرٌ مُسْتَحِيلٌ ، فَيَجِبُ تَصَدِيقُهُ وَالْقَوْلُ بِمُوجِبِهِ لِثُبُوتِ الدَّلِيلِ " (١) .

وهناك أعمال تشفع لصاحبها ، مثل : الصَّيَامُ ، والقرآن ...

قال الإمام زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن عبد الرَّحمن بن الحسن بن مُحَمَّد بن أبي البركات مسعود السَّلَامِي البَغْدَادِي الدَّمَشَقِي الحَنْبَلِي أَبُو الفرج الشَّهِير بَابِن رَجَب (٧٩٥هـ) : " وَالصَّيَامُ يَشْفَعُ لِمَنْ مَنَعَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ المَحْرَمَةَ كُلَّهَا ، سِوَاءِ كَانَتْ تَحْرِمُهَا يَخْتَصُّ بِالصَّيَامِ كَشَهْوَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنَّكَاحِ وَمَقْدَمَاتِهَا أَوْ لَا يَخْتَصُّ بِهِ ، كَشَهْوَةِ فَضُولِ الكَلَامِ المَحْرَمِ ، وَالسَّمَاعِ المَحْرَمِ ، وَالنَّظَرِ المَحْرَمِ ، وَالكَسْبِ المَحْرَمِ ، فَإِذَا مَنَعَهُ الصَّيَامُ مِنْ هَذِهِ المَحْرَمَاتِ كُلَّهَا ، فَإِنَّهُ يَشْفَعُ لَهُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَنَعْتَهُ شَهَوَاتِهِ فَشَفَعْنِي فِيهِ ، فَهَذَا لِمَنْ حَفِظَ صِيَامَهُ ، وَمَنَعَهُ مِنْ شَهَوَاتِهِ ، فَأَمَّا مَنْ ضَيَّعَ صِيَامَهُ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ جَدِيرٌ أَنْ يُضْرَبَ بِهِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَيَقُولُ لَهُ : ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي ... وَكَذَلِكَ القُرْآنُ إِنَّمَا يَشْفَعُ لِمَنْ مَنَعَهُ مِنَ النَّوْمِ بِاللَّيْلِ ، فَإِنَّ مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ ، وَقَامَ بِهِ ، فَقَدْ قَامَ بِحَقِّهِ فَيَشْفَعُ لَهُ .... كَمَا فِي المَسْنَدِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " الصَّيَامُ وَالقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، يَقُولُ الصَّيَامُ : رَبِّ إِنِّي مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ القُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ ، فَيَشْفَعَانِ " (٢) .

والشَّفَاعَاتِ السَّابِقَةِ لَا بَدَّ لَهَا مِنْ شُرُوطٍ ... وَقَدْ أَشَارَتْ آيَاتُ الكِتَابِ العَزِيزِ إِلَى شُرُوطِ الشَّفَاعَةِ الصَّحِيحَةِ ، وَهِيَ :

(١) أخرجه سعيد بن منصور في السنن (٢٥٨/٢ برقم ٢٥٦٢) ، أحمد في المسند (١٣١/٤ برقم ١٧٣١٤) ، ابن ماجه (٩٣٥/٢ برقم ٢٧٩٩) ، الأجرى في الشريعة (١٢٤٣/٣ برقم ٨١١) ، الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/٢٦٦ برقم ٦٢٩) ، مسند الشاميين (١٦٧/٢ برقم ١١٢٠) ، ابن بشران في الأمالي (ص ٣٢٧ برقم ٧٦٠) ، البيهقي في شعب الإيثار (٦/١١٤ برقم ٣٩٤٩) ، عبد الرزاق في المصنف (٥/٢٦٥ برقم ٩٥٥٩) .

(٢) انظر : لوازم الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقيدة الفرقة المرضية (٢/٢٠٩) .

(٣) انظر : لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ص ١٨٢) ، والحديث أخرجه أحمد في المسند (٢/١٧٤ برقم ٦٦٢٦) .

(١) رضى الله تعالى عن الشَّافِعِ ، قال تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩] . فقوله تعالى : ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ عائد إلى قوله : ﴿مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ ، عائدٌ إلى مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَهُوَ الشَّافِعُ . وَاللَّامُ الدَّاخِلَةُ عَلَى ذَلِكَ الضَّمِيرِ لَمْ التَّعْلِيلِ ، أَي : رَضِيَ الرَّحْمَانُ قَوْلَ الشَّافِعِ لِأَجْلِ الشَّافِعِ ، أَي : إِكْرَامًا لَهُ ... " (١) .

(٢) رضى الله تعالى عن المشفوع له ، وهذا فيما عدا الشَّفَاعَةَ العُظْمَى في الموقف ، فَإِنَّهَا لجميع الخلق ، من رضى الله عنهم ومن لم يرض عنهم . ودليل هذا الشَّرْطُ قوله تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

وقد أخرج الحاكم وصحَّحه ، والبيهقي في البعث والشُّعب عن جابر أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلا قوله تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] ، قال : " إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي " (١) .

(٣) إذن الله بالشَّفَاعَةَ ، والإذن لا يكون إلا بعد الرُّضَى عن الشَّافِعِ والمشفوع له ، قال تعالى : ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣] ، وقال سبحانه : ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٣] .

قال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبدالله الشُّوكاني (١٢٥٠هـ) في تفسير هذه الآية : " أَي : لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ فِي حَالِ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا كَائِنَةً لِمَنْ أِذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَنَحْوِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ يَسْتَحِقُّ الشَّفَاعَةَ ، لَا لِلْكَافِرِينَ " (٢) .

فشروط الشَّفَاعَةَ هي : رضى الله تعالى عن الشَّافِعِ ، ورضاه سبحانه عن المشفوع له ، واذنه تعالى للشَّافِعِ بالشَّفَاعَةَ ...

(١) انظر : التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) (١٦ / ٣١٠) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٢ / ٤١٤) برقم ٣٤٤٢ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرَطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُجْرَجْ ، والبيهقي في شعب الإيذان (١ / ٢٨٧) برقم (٣١١) ، البعث والشور (١ / ٥٥) برقم (١) .

(٣) انظر : فتح القدير (٤ / ٣٧٢) .

فالمُتوسِّل بأصحاب الشَّفَاعات من الخلق سواء كانوا أنبياء أو أولياء ، ما توسَّل بهم إلا لما لهم من مقامٍ سامٍ عند الله تعالى ، بدليل ما أعطاهم الله تعالى من مكانة وشرف ورفعة في الدُّنيا والآخرة ، حيث يشفعون فيشفعون ... ولذا فلا بأس بالتوسُّل إليه سبحانه بجاههم وحقهم عنده تعالى ...

### سادساً: معنى الدعاء لغةً واصطلاحاً:

الدُّعاء لغة: قال الإمام ابن فارس: " الدَّالُّ وَالْعَيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ أَنْ تُمِيلَ الشَّيْءُ إِلَيْكَ بِصَوْتٍ وَكَلَامٍ يَكُونُ مِنْكَ . تَقُولُ : دَعَوْتُ أَدْعُو دُعَاءً " (١) .

وقال الإمام ابن منظور: " ودعا الرَّجُلُ دَعْوًا ودُعَاءً : ناداهُ ، وَالِاسْمُ الدَّعْوَةُ . ودَعَوْتُ فُلَانًا ، أَي : صَحْتُ بِهِ وَاسْتَدْعَيْتَهُ " (٢) .

وجاء في المصباح المنير: " دَعَوْتُ اللَّهَ أَدْعُوهُ دُعَاءً : ابْتَهَلْتُ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ ، وَرَغِبْتُ فِيهَا عِنْدَهُ مِنْ الْخَيْرِ " (٣) .

و " يُقَالُ : دَعَا اللَّهَ : رَجَا مِنْهُ الْخَيْرَ ، وَلِفُلَانٍ : طَلَبَ الْخَيْرَ لَهُ ، ودعا على فلان : طلب له الشر " (٤) .  
ومعنى الدعاء اصطلاحاً: " استدعاء العبد ربه - عزَّ وجلَّ - العِنايةَ ، واستمداده إياه المعونةَ . وَحَقِيقَتُهُ : إظهارُ الافتقارِ إليه ، والتبرُّؤُ من الحَوْلِ والقُوَّةِ ، وَهُوَ سِمَةُ العبوديةِ ، واسْتِشْعَارُ الدَّلَّةِ البَشَرِيَّةِ ، وفيه معنى الثناءِ على الله عزَّ وجلَّ ، وإضافةُ الجودِ ، والكَرَمِ إليه ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " الدعاءُ هُوَ العِبادةُ " (٥) .

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/٢٧٩) .

(٢) انظر: لسان العرب (١٤/٢٥٨) .

(٣) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/١٩٤) .

(٤) انظر: المعجم الوسيط (١/٢٨٦) .

(٥) انظر: شأن الدعاء (ص ٤) ، والحديث أخرجه الطيالسي في المسند (٢/١٤٧ برقم ٨٣٨) ، ابن أبي شيبة في المصنَّف (١٠/٢٠٠ برقم ٢٩٧٧٧) ، أحمد في المسند (٤/٢٦٧ برقم ١٨٥٤٢) البخاري في الأدب المفرد (ص ٢٤٩ برقم ٧١٤) ، ابن ماجه (٢/١٢٥٨ برقم ٣٨٢٨) ، أبو داود (٢/٧٦ برقم ١٤٧٩) ، الترمذي (٥/٦١ برقم ٢٩٦٩) ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، البزار في المسند (٨/٢٠٤ برقم ٣٢٤٣) ، النسائي في السنن الكبرى (١٠/٢٤٤ برقم ١١٤٠٠) ، أبو يعلى الموصلي في المعجم (١/٢٦٢ برقم ٣٢٨) ، ابن حبان في الصَّحِيح (٣/١٧٢ برقم ٨٩٠) الطبراني في الدعاء (ص ٢٣ برقم ٢) ، المعجم الصغير (٢/٢٠٨ برقم ١٠٤١) ، المُعْجَمُ الكَبِير (٢١/١٤٩ برقم ١٩١) ، ابن مندة في التَّوْحِيد (٢/١٨٠ برقم ٣٢٠) ، الحاكم في المستدرک على الصحيحين (١/٦٦٧ برقم ١٨٠٢) ، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُجَرَّجَاهُ»

فحقيقة الدعاء هي : إظهار العبد منتهى الخضوع والتضرع والافتقار والتذلل والفاقة والفقر مع الرغبة إلى الله تعالى بنية العبادة الخاصة الصادقة له تعالى عند طلب ما يحتاج العبد الفقير إليه من الله الغني عما سواه ، وهو سبيل عباد الله المؤمنين الصالحين وكذا المذنبين والعصاة من الموحدون ...

وجاء الدعاء في القرآن الكريم على وجوه عديدة ، قال الإمام الفيروزآبادي :

" والدعاء يرد في القرآن على وجوه :

الأول : بمعنى القول : ﴿ فَأَزَلَّتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَلِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٥] ، أي : قولهم

الثاني : بمعنى العبادة ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا ﴾ [الأنعام : ٧١] ، أي : أنعبد ﴿ يَدْعُوا لِمَنْ

ضُرُّهُ أَوْ قَرُبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ [الحج : ١٣] ، أي : يعبد ، وله نظائر .

الثالث : بمعنى النداء ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمُتَوَكِّلِينَ وَلَا تَسْمَعُ الْدُعَاءَ إِذَا وَلَوْ مَدَّيْنِ ﴾ [النمل : ٨٠] ، أي :

النداء ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ [القمر : ١٠] ، أي : نادى ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم : ٤] ،

أي : بندائك .

الرابع : بمعنى الاستعانة والاستغاثة ﴿ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٣] ، أي : استعينوا بهم ﴿ وَأَدْعُوا مِنْ

أَسْتَطَعْتُمْ ﴾ [يونس : ٣٨] ، أي : استعينوا بهم .

الخامس : بمعنى الاستعلام والاستفهام ﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ ﴾ [البقرة : ٦٩] ، أي : استفهم .

السادس : بمعنى العذاب والعقوبة ﴿ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾ [المعارج : ١٧] ، أي : تُعَذِّب .

السابع : بمعنى العرض ﴿ وَيَنْقُورُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ ﴾ [غافر : ٤١] ، أي : أعرضها عليكم ﴿ وَتَدْعُونَنِي

إِلَى النَّارِ ﴾ [غافر : ٤١] ، أي : تعرضونها على النار .

الثامن : دعوة نوح قومه ﴿ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ [نوح : ٥] .

التاسع : دعوة خاتم الأنبياء لكافة الخلق ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

، الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١٢٠) ، الشهاب القضاعي في المسند (١/ ٥١ برقم ٢٩) ، البيهقي في الدعوات الكبير

(١/ ٦٨ برقم ٤) ، شعب الإيمان (٢/ ٣٦٢ برقم ١٠٧٠) ، البغوي في شرح السنة (٥/ ١٨٤ برقم ١٣٨٤) ، ابن المبارك في الزهد (١/ ٤٥٩ برقم

(١٢٩٨) .

العاشر : دعوة الخليل للطيور ﴿ ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا ﴾ [البقرة: ٢٦٠] .

الحادى عشر : دعاء إسرائيل بنفخ الصور يوم النشور لساكنى القبور ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴾

[القمر: ٦] .

الثانى عشر : دعاء الخلق ربهم تعالى ﴿ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] .

قال الشاعر :

وصبراً في مجال الموت صبراً فما نبيل الخلود بمستطاع  
سبيل الموت منهج كل حي وداعيه لأهل الأرض داع

ومما ورد في القرآن أيضاً من وجوه ذلك دعوة إبليس ﴿ إِنَّ إِمَّا يَدْعُوا حَزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

[فاطر: ٦] ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّارِ ﴾ [الفصص: ٤١] ، ودعوة المهادين من الأئمة الأعلام ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ

آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣] ، ودعوة إسرائيل ﴿ فَرُ إِذَا دَعَاكَ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ ﴾ [الروم: ٢٥] ، ودعوة

الكفرة الضالين ﴿ وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر: ٥٠] ، ودعوة الحق تعالى إلى الجنة ذات الظلال

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ [يونس: ٢٥] ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ ﴾ [البقرة: ٢٢١] ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾ [إبراهيم: ١٠] (١) .

وجاء في فضل الدعاء آيات وأحاديث كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي

لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

وقوله تعالى : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ١٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " الدعاء هو العبادة " . وقرأ :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] .

(١) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ٦٠٠-٦٠٣) .

[٦٠]. قال الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) : " قال البيضاوي (٦٨٥هـ) : لما حكم بأنَّ الدُّعاء هو العبادة الحقيقيَّة التي تستأهل أن تسمَّى عبادة من حيث أنَّه يدُلُّ على أنَّ فاعله مقبَلٌ بوجهه إلى الله تعالى معرَّضٌ عمَّن سِواه ، لا يرجو ولا يخاف إلَّا منه ، استدلَّ عليه بالآية ، فإنَّها تدلُّ على أنَّه أمرٌ مأمور به إذا أتى به المكلف قُبَل منه لا محالة وترتب عليه المقصود ، ترتب الجزاء على الشرط ، والمسبَّب على السبب ، وما كان كذلك كان أتمَّ العبادات وأكملها " (١) .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ... والدُّعاء سبب كبير لجلب الخير ودفع المكروه ، وهو سلاح المؤمن ، في المنشط والمكروه ...

---

(١) انظر : قوت المغتذي على جامع الترمذي (٨٢٨/٢) .

## الفصل الثاني

### الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف

من المعلوم بالضرورة أنَّ الموت ليس هو عدمٌ محضٌ ، ولا فناءٌ صرفٌ ، وإنَّما هو انقطاعٌ تعلُّقِ الرُّوحِ بالبدنِ ظاهراً بالنَّومِ ، وباطناً بالموتِ ، وهو انتقالٌ من دارٍ إلى دارٍ ، ومرحلةٌ تعقُبُ الحياةَ الدُّنيا ، وتسبِقُ الحياةَ الآخرويةَ الأبديةَ السَّرمديَّةَ ، فالموتُ يطرأُ على الجسدِ لا على الرُّوحِ ، لأنَّ الرُّوحَ هي ممَّا له أوَّلٌ وليس له آخرٌ ...

قال الإمام أبو العباس أحمد بنُ الشَّيخِ المرحومِ الفقيهِ أبي حنصِ عمَرَ بنِ إبراهيمِ الحافظِ ، الأنصاريُّ القرطبيُّ (٥٦٦هـ) : " أنَّ الموتَ ليس عدماً ولا إعداماً ، وإنَّما هو انقطاعٌ تعلُّقِ الرُّوحِ بالبدنِ ، ومفارقتهُ ، وحيلولةُ بينهما " (١) ...

ومن المعلوم كذلك أنَّه يُطلقُ على الرُّوحِ اسمَ النَّفسِ ، وكذا يطلقُ على النَّفسِ اسمَ الرُّوحِ ، لكن في الأغلب يطلقُ على النَّفسِ اسمَ الرُّوحِ إذا كانت متَّصلةً بالبدنِ ، أمَّا إذا انفصلت عن الجسدِ فسميةُ الرُّوحِ هي الأغلب . وقد فرَّقَ العلماءُ بين النَّفسِ التي تفارقُ الإنسانَ عندَ النَّومِ ، والنَّفسِ التي تفارقه عندَ الموتِ ، لكن مفارقةَ النَّفسِ للإنسانِ عندَ النَّومِ لا تكون انقطاعاً تاماً عن الجسدِ ، حيث يبقى لها نوع اتِّصالٍ بالجسدِ ، أمَّا بالموتِ فيكون الانقطاع تاماً ولا سبيل لعودتها للجسدِ في عالم الدُّنيا ، ولذلك أطلقَ البعضُ على النَّومِ : أخو الموتِ ، نظراً لاشتراكهما في انقطاع تعلُّقِ الرُّوحِ بالبدنِ ...

قال الإمام الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) : " قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ : النَّفْسُ الَّتِي تُفَارِقُ الْإِنْسَانَ عِنْدَ النَّوْمِ هِيَ الَّتِي لِلتَّمْيِيزِ ، وَالَّتِي تُفَارِقُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ هِيَ الَّتِي لِلْحَيَاةِ ، وَهِيَ الَّتِي يَزُولُ مَعَهَا التَّنَفُّسُ ، وَسُمِّيَ النَّوْمُ مَوْتاً لِأَنَّهُ يَزُولُ مَعَهُ الْعَقْلُ وَالْحَرَكَةُ تَمَثِيلاً وَتَشْبِيهاً ، قَالَ فِي النِّهَايَةِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْمَوْتِ هُنَا السُّكُونُ ، كَمَا قَالُوا : مَاتَتِ الرِّيحُ ، أَيْ : سَكَتَتْ ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَطْلَقَ الْمَوْتَ عَلَى النَّائِمِ بِمَعْنَى إِزَادَةِ سُكُونِ حَرَكَتِهِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ﴾ [يونس : ٦٧] ، قَالَ الطَّبَّيْبِيُّ . قَالَ : وَقَدْ يُسْتَعَارُ الْمَوْتُ لِلْأَحْوَالِ الشَّاقَّةِ ، كَالْفَقْرِ ، وَالذُّلِّ ، وَالسُّوَالِ ، وَالْهَرَمِ ، وَالْمُعْصِيَةِ ، وَالْجَهْلِ . وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمَفْهِمِ : النَّوْمُ وَالْمَوْتُ يَجْمَعُهُمَا انْقِطَاعُ تَعَلُّقِ الرُّوحِ بِالْبَدَنِ . وَذَلِكَ قَدْ يَكُونُ ظَاهِراً وَهُوَ النَّوْمُ ، وَلِذَا قِيلَ : النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ ، وَبَاطِناً وَهُوَ الْمَوْتُ ، فَإِطْلَاقُ الْمَوْتِ عَلَى النَّوْمِ يَكُونُ مَجَازاً لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي انْقِطَاعِ تَعَلُّقِ الرُّوحِ

(١) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٠ / ٨) .

بِالْبَدَنِ . وَقَالَ الطَّيْبِيُّ : الْحِكْمَةُ فِي إِطْلَاقِ الْمَوْتِ عَلَى النَّوْمِ : أَنَّ انْتِفَاعَ الْإِنْسَانِ بِالْحَيَاةِ إِنَّهَا هُوَ لِتَحْرِي رِضَا اللَّهِ عَنْهُ ، وَقَصْدِ طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ . فَمَنْ نَامَ : زَالَ عَنْهُ هَذَا الْإِنْتِفَاعُ ، فَكَانَ كَأَمِيَّتِ ، فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النُّعْمَةِ وَزَوَالَ ذَلِكَ الْمَانِعِ " (١) .

وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) : " قَالَ الْعُلَمَاءُ الْمَوْتُ لَيْسَ بِعَدَمِ مَحْضٍ وَلَا فَنَاءٍ صَرَفٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ انْقِطَاعٌ تَعَلَّقَ الرُّوحُ بِالْبَدَنِ وَمَفَارِقَةٌ وَحِيلُولَةٌ بَيْنَهُمَا ، وَتَبَدُّلٌ حَالٍ ، وَإِنْتِقَالٌ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ " (٢) .

وقال الإمام السيوطي في موضع آخر : " عن بلال بن سعد أنه قال : إِنْ تَكُم لَنْ تُحْلِقُوا لِلْفَنَاءِ ، وَإِنَّمَا خُلِقْتُمْ لِلْخُلُودِ وَالْأَبَدِ ، وَلَكِنْ تَمُوتُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ .

وقال ابن القاسم : لِلنَّفْسِ أَرْبَعَةٌ دُورٌ كُلُّ دَارٍ أَعْظَمُ مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا .

الأوَّلَى : بَطْنِ الْأَمِّ ، وَذَلِكَ مَحَلُّ الضِّيْقِ وَالْحَصْرِ وَالْغَمِّ وَالظُّلْمَاتِ الثَّلَاثِ .

والثَّانِي : هِيَ الدَّارُ الَّتِي أَنْشَأَتْهَا وَأَلْفَتْهَا وَاکْتَسَبَتْ فِيهَا الشَّرَّ وَالْخَيْرَ .

والثَّالِثَةُ : هِيَ دَارُ الْبَرْزَخِ ، وَهُوَ أَوْسَعُ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ وَأَعْظَمُ ، وَنِسْبَةُ هَذَا الدَّارِ إِلَيْهَا كَنِسْبَةِ الْبَطْنِ إِلَى هَذِهِ .

والرَّابِعَةُ : هِيَ دَارُ الْقَرَارِ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ ، وَلَهَا فِي كُلِّ دَارٍ مِنْ هَذِهِ الدُّورِ حُكْمٌ وَشَأْنٌ غَيْرُ شَأْنِ الْأُخْرَى " (٣) .

والقول بأنَّ الموتَ عدَمٌ محضٌ هو قول الكفرة والزنادقة والملحدِين الذين كفروا بالبعث والنشور ،

والتَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، أُولَئِكَ النَّفَرُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية : ٢٤] ، وَهَنَّاكَ ظَنُونٌ عَدِيدَةٌ خَالَطَتْ قُلُوبَ فِتْنَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ

النَّاسِ عَمَّا يَحْدُثُ بَعْدَ الْمَوْتِ ... وَأَنَّ الْحَقَّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ هُوَ أَنَّ الْمَوْتَ مَرِحَلَةٌ انْتِقَالٌ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا إِلَى دَارِ الْبَرْزَخِ ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ تَغْيِيرِ الْحَالِ ، حَيْثُ يَنْقَطِعُ تَعَلُّقُ الرُّوحِ بِالْبَدَنِ ، وَأَنَّ الْجَسَدَ وَإِنْ سَكَنَ بِسَبَبِ مَفَارِقَةِ الرُّوحِ لَهُ ،

إِلَّا أَنَّ الرُّوحَ بَاقِيَةٌ بَعْدَ مَفَارِقَتِهِ ، وَهِيَ إِمَّا مَنَعَمَةٌ وَإِمَّا مَعْدَبَةٌ ، وَعَلَى خِلَافٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ : هَلِ الْمَنَعَمُ هُوَ الرُّوحُ

دُونَ الْجَسَدِ ؟ أَمْ هُوَ الْجَسَدُ دُونَ الرُّوحِ ؟ أَمْ هُمَا مَعًا ؟ وَهِيَ مَسْأَلَةٌ فَرَعِيَّةٌ دَارُ حَوْلَهَا خِلَافٌ كَبِيرٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ...

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/١١٤) .

(٢) انظر : شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص١٩) .

(٣) انظر : بشرى الكتيب بلقاء الحبيب (ص١٨) .

قال الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (هـ ٥٠٥) : " اعلم أنّ للنّاس في حقيقة الموت ظنوناً كاذبة قد اخطأوا فيها . فظنّ بعضهم أنّ الموت هو العدم ، وأنّه لا حشر ولا نشر ، ولا عاقبة للخير والشرّ ، وأنّ موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النّبات ، وهذا رأي الملحدّين ، وكلّ من لا يؤمن بالله واليوم الآخر . وظنّ قومٌ أنّه ينعدم بالموت ولا يتألّم بضراً ولا يتنعم بثوابٍ ما دام في القبر إلى أن يُعاد في وقت الحشر .

وقال آخرون : إنّ الرّوح باقية لا تنعدم بالموت ، وإنّما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد ، وإنّ الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلاً . وكلّ هذه ظنونٌ فاسدةٌ ومائلةٌ عن الحقّ ، بل الذي تشهد له طرق الاعتبار ، وتنطق به الآيات والأخبار : أنّ الموت معناه : تغيير حال فقط ، وأنّ الرّوح باقية بعد مفارقة الجسد إمّا معذّبة وإمّا منعمّة ، ومعنى مفارقتها للجسد : انقطاع تصرّفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها ، فإنّ الأعضاء آلات الرّوح تستعملها ، حتى أنّها لتبطش باليد ، وتسمع بالأذن ، وتبصر بالعين ، وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب . والقلب ههنا عبارة عن الرّوح ، والرّوح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ، ولذلك قد يتألّم بنفسه بأنواع الحزن والغمّ والكمد ، ويتنعم بأنواع الفرح والسُرور ، وكلّ ذلك لا يتعلّق بالأعضاء . فكلّ ما هو وصف للرّوح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد ، وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطلّ بموت الجسد إلى أن تُعاد الرّوح إلى الجسد ، ولا يبعد أن تُعاد الرّوح إلى الجسد في القبر ، ولا يبعد أن تؤخّر إلى يوم البعث ، والله أعلم بما حكم به على كلّ عبد من عباده ، وإنّما تعطلّ الجسد بالموت يضاهي تعطلّ أعضاء الرّمن (١) بفساد مزاج يقع فيه وبشدّة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الرّوح فيها ، فتكون الرّوح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء ، وقد استعصى عليها بعضها .

والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلّها ، وكلّ الأعضاء آلات ، والرّوح هي المستعملة لها ، وأعني بالرّوح : المعنى الذي يدرك من الإنسان العلوم وآلام الغُمووم ولذات الأفراح ، ومهما بطل تصرّفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم والإدراكات ، ولا بطل منها الأفراح والغُمووم ، ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات . والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات ، وذلك لا يموت ، أي : لا ينعدم ، ومعنى الموت : انقطاع تصرّفه عن البدن ، وخروج البدن عن أن يكون آلة له ، كما أنّ معنى الرّمانة خروج اليد عن أن

(١) هو المريض مرضاً مزمناً .

تكون آلة مستعملة ، فالموت زمانة مطلقة في الأعضاء كلها ، وحقيقة الإنسان نفسه وروحه وهي باقية ... " (١)

وقال الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) : " موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها ، فإن أُريد بموتها هذا القدر ، فهي ذائقة الموت ، وإن أُريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدماً محضاً ، فهي لا تموت بهذا الاعتبار ، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب " (٢)

ويجب أن لا يغيب عن الأذهان في هذا المقام أن الروح بمفارقة البدن لا تسلب قوتها وقدرتها ، بل لها من القوة والتصرف ما ليس للروح المحبوسة في علائق البدن وعوائقه ، قال الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) : " فللروح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود إلى الله ، والتعلق بالله ، ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه ، فإذا كان هذا وهي محبوسة في بدنها ، فكيف إذا تجردت وفارقت واجتمعت فيها قواها وكانت في أصل شأنها روحاً عليّة زكيّة كبيرة ، ذات همّة عالية ، فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر .

وقد تواترت الرؤيا في أصناف بنى آدم على فعل الأرواح بعد موتها ما لا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك ، وكم قد رئي النبي ومعه أبو بكر وعمر في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم ، فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وعددهم ، وضعف المؤمنين وقتلتهم " (٣)

هذا ما قاله ابن قيم الجوزية عن فعل وعمل الأرواح بعد الموت ... فماذا يقول عنه مدعو السلفية؟! مع أن كلامه عندهم هو المعتمد مع كلام شيخه ابن تيمية ... وما أدري أهو قصور بالاطلاع منهم أم هو سوء النية ، وخبت الطوية؟! ...

ذكر الإمام أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدين ابن الأثير (٦٣٠هـ) في " الكامل " أنه " لما ركب طارق البحر غلبته عينه ، فرأى النبي ومعه المهاجرون

(١) انظر : إحياء علوم الدين (٤/٤٩٣) .

(٢) انظر : الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (ص ٣٤) .

(٣) انظر : الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (ص ١٠٢) .

وَالْأَنْصَارُ قَدْ تَقَلَّدُوا السُّيُوفَ وَتَنَكَّبُوا الْقِسِيَّ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا طَارِقُ تَقَدَّمْ لِسَانِكَ . وَأَمْرُهُ بِالرَّفْقِ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، فَنَظَرَ طَارِقُ فَرَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَصْحَابَهُ قَدْ دَخَلُوا الْأَنْدُلُسَ أَمَامَهُ ، فَاسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ مُسْتَبْشِراً ، وَبَشَّرَ أَصْحَابَهُ ، وَقَوِيَتْ نَفْسُهُ ، وَلَمْ يَشْكُ فِي الظَّفَرِ " (١) .

فالأرواح تسمع وتعي وتكلم ... ومما يؤكد ذلك ما أخرجه الحاكم ، قال : " حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ ، ثنا بَحْرُ بْنُ نَصْرِ الحَوْلَانِيُّ ، ثنا بَشْرُ بْنُ بَكْرِ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، حَدَّثَنِي عَطَاءُ الحُرَّاسِيُّ ، قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَيْتُ ابْنَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ فَذَكَرْتُ قِصَّةَ أَبِيهَا ، قَالَتْ : لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [الحجرات : ٢٢] الآية ، وَآيَةٌ : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد : ٢٣] ، جَلَسَ أَبِي فِي بَيْتِهِ يَبْكِي ، فَفَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي أَمْرٌ جَهِيْرُ الصَّوْتِ ، وَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حِطَّ عَمَلِي ، فَقَالَ : " بَلْ تَعِيشُ حَمِيداً ، وَمَمُوتُ شَهِيداً ، وَيَدْخُلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ " ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ اسْتَشْهَدَ فَرَأَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَنَامِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي لَمَّا قُتِلْتُ انْتَرَعَ ذِرْعِي رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَخَبَّاهُ فِي أَقْصَى الْعَسْكَرِ وَهُوَ عِنْدَهُ ، وَقَدْ أَكَبَّ عَلَى الدَّرْعِ بُرْمَةً ، وَجَعَلَ عَلَى الْبُرْمَةِ رَحْلاً ، فَأَتَيْتُ الْأَمِيرَ فَأَخْبَرَهُ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا حُلْمٌ فَتُضَيِّعَهُ ، وَإِذَا أَتَيْتَ الْمَدِينَةَ فَأَيْتَ فُتْلَ حَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ عَلِيَّ مِنَ الدِّينِ كَذَا وَكَذَا ، وَغُلَامِي فُلَانٌ مِنْ رَقِيقِي عَتِيقٌ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا حُلْمٌ فَتُضَيِّعَهُ ، قَالَ : فَأَتَاهُ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَوَجَدَ الْأَمْرَ عَلَى مَا أَخْبَرَهُ ، وَآتَى أَبَا بَكْرٍ فَأَخْبَرَهُ فَأَنْفَذَ وَصِيَّتَهُ فَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَعْدَ مَا مَاتَ أَنْفَذَ وَصِيَّتَهُ غَيْرَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ " (٢) .

وهذه منقبة وكرامة عظيمة لثابت بن قيس بن شماس من الله تعالى ، حيث تصرّفت روحه بنفسها بعد موتها ... وبالجملة فإن مساعدة الأنبياء والأولياء لمن يتوسل بهم هي من باب الدعاء لهم ، وقد تبين أنهم أحياء ، يشعرون ، ويحسون ، ويعلمون ... ولا يغيب عن البال هنا أن المطلوب والمقصود دائماً هو الله تعالى ، ولكن المتوسل يسأل الله تعالى متوسلاً بالنبي أو الولي الذي هو الآن في عالم أعظم وأرحب من عالم الدنيا وهو عالم البرزخ ، فأرواحهم حيّة لا ولن تموت ، وهم في حياة خاصّة لاثقة بهم وبالعالم الذي هم فيه ، ولأرواحهم عمل أعظم ممّا لو كانت في علائق البدن ، كما قال الإمام ابن قيم الجوزيّة ...

(١) انظر : الكامل في التاريخ (٤ / ٤٠) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٣ / ٢٦١) برقم (٥٠٣٦) .

وقال الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (٧٥٦هـ): "... وَعَوْدُ الرُّوحِ إِلَى الْبَدَنِ سَنَدْرُهُ فِي سَائِرِ الْمَوْتِ ، فَضلاًّ عَنِ الشُّهَدَاءِ ، فَضلاًّ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّمَا النَّظَرُ فِي اسْتِمْرَارِهَا فِي الْبَدَنِ ، وَفِي أَنَّ الْبَدَانَ يَصِيرُ حَيّاً بِهَا كَحَالَتِهِ فِي الدُّنْيَا أَوْ حَيّاً بِدُونِهَا ، وَهِيَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَإِنَّ مَلَازِمَةَ الْحَيَاةِ لِلرُّوحِ أَمْرٌ عَادِي لَا عَقْلِي ، فَهَذَا مِمَّا يَجُوزُهُ الْعَقْلُ ، فَإِنَّ صَحَّحَ بِهِ سَمْعٌ أَتْبَعَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَشَهِدَ لَهُ صَلَاةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَبْرِهِ ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ تَسْتَدْعِي جَسَداً حَيّاً ، وَكَذَلِكَ الصُّفَاتُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ ، كُلُّهَا صِفَاتُ الْأَجْسَامِ ، وَلَا يَلْتَزِمُ مِنْ كَوْنِهَا حَيَاةً حَقِيقَةً أَنْ تَكُونَ الْأَبْدَانُ مَعَهَا كَمَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا ، مِنَ الْاِحْتِيَاجِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَالامْتِنَاعِ عَنِ التَّفُوزِ فِي الْحِجَابِ الْكَثِيفِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ ، الَّتِي نَشَاهَدُهَا ، بَلْ قَدْ يَكُونُ لَهَا حُكْمٌ آخَرَ ، فَلَيْسَ فِي الْعَقْلِ مَا يَمْنَعُ مِنْ إِثْبَاتِ الْحَيَاةِ الْحَقِيقَةِ لَهُمْ ، وَأَمَّا الْإِدْرَاكَاتُ كَالْعِلْمِ وَالسَّمْعِ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ ثَابِتٌ ، وَسَنَذَكُرُ ثُبُوتَهُ لِسَائِرِ الْمَوْتَى ... " (١) .

فالإنسان بعد الموت ينتقل من عالم الدنيا إلى عالم غيبي رحيب اسمه : عالم البرزخ ، يكون فيه ما شاء الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩٩-١٠٠] .

والبرزخ هو الدار التي تعقب دار الدنيا ، فهو الحاجز بين الموت والبعث أو بين الدنيا والآخرة ... والحياة البرزخية ليست كحياتنا " بل هي حياة خاصة لائقة بهم وبالعالم الذي هم فيه ، لكن لا بد أن نبين للناس أيضاً أنها ليست كحياتنا ، لأن حياتنا أحقر وأضيق وأضعف . فالإنسان فيها بين عبادة وعادة ، وطاعة ومعصية ، وواجبات مختلفة لنفسه وأهله ولربّه ، وأنه تارة يكون طاهراً ، وتارة يكون على ضد ذلك ، وتارة يكون في المسجد ، وتارة يكون في الحمام ، وأنه لا يدري بمّ يُحْتَمُّ لَهُ . فقد يكون بينه وبين الجنة ذراع ثم ينقلب الأمر رأساً على عقب فيصير من أهل النار ، وبالعكس ، أمّا في البرزخ فإنه إن كان من أهل الإيمان فإنه قد جاوز قنطرة الامتحان التي لا يثبت عندها إلا أهل السعادة ، ثم أنه قد انقطع عنه التكليف وأصبح روحاً مشرقة طاهرة مفكرة سيّاحة سبّاحة جوّالة في ملكوت الله وملكه سبحانه وتعالى ، لا همّ ، ولا حزن ، ولا بأس ، ولا

(١) انظر : شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص ١٥٩) .

قلْتُ ، لأنَّه لا دُنْيَا ، ولا عَقَار ، ولا ذَهَب ، ولا فِضَّة ، فلا حَسَد ولا بَغْي ولا حَقْد . وإن كان غير ذلك ففي عكس ذلك " (١) .

وفي البرزخ تكون الأرواح سامعة ، مبصرة ، ناطقة ، فهي في حياة حقيقيَّة ، بمعنى أنَّها ليست خياليَّة أو مثاليَّة ، كما يتصوَّرها الذين لا يؤمنون إلَّا بالمحسوس " وإنَّ معنى قولنا عن الحياة البرزخيَّة بأنَّها حقيقيَّة ، أي : ليست خياليَّة أو مثاليَّة ، كما يتصوَّرها بعض الملاحدة ممَّن لا تتسع عقولهم للإيمان إلَّا بالمشاهد المحسوس دون الغيب الذي لا يطيق العقل البشري تصوُّره ، ولا تسليم كيفيَّته لقدرة الله جلَّ جلاله . إنَّ وقفة تأمُّل قصيرة عند قولنا عن الحياة البرزخيَّة بأنَّها حقيقيَّة لا تُبقي من الإشكال أدنى ذرَّة حتى عند من يقصر فهمه وذوقه عن تعقُّل المعاني ، فكلِّمة (حقيقيَّة) ليست إلَّا لنفي الباطل ، وطرده الوهم ، ونفي الخيال الذي قد يقع في ذهن الإنسان المتشكِّك المرتاب في أحوال عالم البرزخ وعالم الآخرة وغيرهما من العوالم الأخرى كالنَّشر ، والبعث ، والحشر ، والحساب .

وهذا المعنى يُدرِّكه الإنسان العربيُّ البسيط الذي يعرف أنَّ كلمة (حقيقي) تعني حقيقة ، وهي ما يُقابل الوهم والخيال والمثال ، فحقيقيَّة ، أي : ليست بوهميَّة ، وهذا هو المقصود بعينه ، وهذا هو مفهومنا وتصوُّرنا لهذه القضية ، ولقد تضافرت الأحاديث والآثار التي تُثبت بأنَّ الميِّت يسمع ويحسُّ ويعرف ، سواء كان مؤمناً أم كافراً " (٢) .

فالحياة البرزخيَّة حياةٌ رحبةٌ أرحب من الحياة الدُّنيا ، حيث تخلَّصت الرُّوح من علائق البدن وسجنه ، فلم يُعد الإنسان فيها بحاجةً إلى الطَّعام والشَّرَاب ...

وقد دلَّت آيات الكتاب العزيز وكذا أحاديث الرُّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حياة الأنبياء بعد الوفاة ، ومن ذلك :

١ . قوله تعالى : ﴿ وَسَعَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٥] ، والآية تطلب من الرُّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسأل مَنْ أرسل قبله من الرُّسل ... وقد جاء في الأخبار أنَّ جبريل عليه السَّلام قال للرُّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدما فرغ من الصَّلَاة إماماً بالأنبياء والمرسلين في

(١) انظر : مفاهيم يجب أن تصحَّح (٢٤٨-٢٤٩) .

(٢) انظر : مفاهيم يجب أن تصحَّح (ص ٢٤٤) .

رحلة الإسراء والمعراج : سل يا محمد ﴿ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ [الزخرف : ٤٥] الآية . فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا أسأل ، قد اكتفيت ... رواه عطاء عن ابن عباس ، وهذا قول الزُّهري ، وسعيد بن جبير ، وابن زيد (١) . ومن كان هذا حالهم من الصَّلَاة خلف النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لا بدَّ وأن يكونوا أحياء ، وبهذا صرَّح المفسِّرون ...

قال الإمام الطُّبري (٣١٠هـ) في تفسيرها : " ... وقال آخرون : بل الذي أمر بمسألتهم ذلك الأنبياء الذين جُمِعوا له ليلة أُسري به ببيت المقدس . ذكر من قال ذلك : حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : ﴿ وَسَقَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ ... الآية ، قال : جُمِعوا له ليلة أُسري به ببيت المقدس ، فأثمَّهم ، وصلىَّ بهم ، فقال الله له : سلهم ، قال : فكان أشدَّ إيماناً و يقيناً بالله وبما جاء من الله أن يسألهم ، وقرأ : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [يونس : ٩٤] ، قال : فلم يكن في شكٍّ ، ولم يسأل الأنبياء ، ولا الذين يقرءون الكتاب ... " (٢)

وقال الإمام الزَّجَّاج (٣١١هـ) : " وقوله : ﴿ وَسَقَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إلهةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٥] ، في هذه المسألة ثلاثة أوجهٍ : جاء في التفسير أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة أُسري به جمع له الأنبياء في بيت المقدس فأثمَّهم وصلىَّ بهم ، وقيل له : سلهم فلم يشكك عليه السلام ولم يسأل " (٣)

وقال الإمام الواحدي النَّيسابوري (٤٦٨هـ) : " قال عطاء ، عن ابن عباس : لما أُسري بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بعث الله له آدم ومن وُلد من المرسلين ، فأذَّن جبريل ، ثمَّ أقام ، وقال : يا محمد ، تقدَّم فصلُّ بهم . فلما فرغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصَّلَاة ، قال له جبريل : سل يا محمد ﴿ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾

(١) انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (١٠/٦٦٩) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/٧٥) ، زاد المسير في علم التفسير (٤/٨٠) ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٦/٩٥) ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (٦/١٣٧) .

(٢) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢١/٦١١) .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٤/٤١٣) .

[الزخرف: ٤٥] ، الآية . فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا أسأل ، قد اكتفيت " . وهذا قول الزهري ، وسعيد بن جبير ، وابن زيد ، قالوا : جمع له الرُّسل ليلة أُسري به ، فلقبهم ، وأمر أن يسألهم ، فلم يشكك ، ولم يسأل " (١) .

وبنحو ما سبق في تفسير الآية قال جمهور المفسرين (٢) ...

فبناء على ما سبق بيانه ... فقد دلَّت الآية الكريمة على حياة الأنبياء بعد الموت ، والصلاة منهم تستدعي جسماً حياً ...

٢ . وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [السجدة: ٢٣] . والآية تخبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه سيلتقي بموسى عليه السلام ، وقد حدث ، فقد رآه واجتمع به ، ووصفه وصفاً دقيقاً في رحلة الإسراء ، ومن كان هذا حاله فهو حيٌّ ...

قال الإمام الطبري (٣١٠هـ) : " القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ﴾ [السجدة: ٢٣] ، يقول : فلا تكن في شكٍّ من لقائه ، فكان فتادة يقول : معنى ذلك : فلا تكن في شكٍّ من أنك لقيته ، أو تلقاه ليلة أُسري بك ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٣) .

وقال الإمام أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (٣٧٣هـ) : " ... وقال في رواية الكلبي : فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِقَاءِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - ، فلقية ليلة أُسري به في بيت المقدس ، يعني : لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موسى هناك . ويقال : لقيه في السماء . وذكر الخبر المعروف أنه فرض على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسون صلاة . فقال له موسى - عليه السلام - : ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك . فلم يزل يرجع حتى حطَّ الله عَزَّ وَجَلَّ إلى الخمس " (٤) .

(١) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٧٤) .

(٢) تفسير القرآن ، السمعاني (٥/ ١٠٥) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٧/ ٢١٦) ، الجامع لأحكام القرآن (١١٦/ ٩٥) ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (٣/ ٢٧٥) ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (٦/ ١٣٦) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٧/ ٢٣٠) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٤/ ٥٥٧) ...

(٣) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠/ ١٩٣) .

(٤) انظر : بحر العلوم (٣/ ٣٦) ، والحديث المُشار إليه أخرجه أحمد في المسند (١٩/ ٤٨٥ برقم ١٢٥٠٥) ، قال الأرئوط في تحريجه لأحاديث المسند : " إسناده صحيح على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة ، فمن رجال مسلم .

وقال الإمام الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ) :  
قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ [السجدة : ٢٣] ، فيه خمسة أقاويل :  
أحدها : فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسى ، ولقد لقيته ليلة الإسراء . روى أبو العالية الرباعي عن ابن  
عبّاس ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ رَجُلًا طَوَّالًا جَعْدًا ،  
كَانَهُ مِنْ رِجَالِ سُوءَةِ . وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَجُلًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبَطَ الرَّأْسِ " . قال  
أبو العالية : قد بين الله ذلك في قوله : ﴿ وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ [الزخرف : ٤٥] ... (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي (٤٦٨هـ) في تفسير  
الآية : " قال المفسرون : وُعدَّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سِيلَقَى مُوسَى قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ، ثُمَّ لَقِيَهُ فِي السَّمَاءِ أَوْ  
فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حِينَ أُسْرِيَ بِهِ ، وَهَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ ، وَالْكَلْبِيِّ ، وَالسُّدِّيِّ " (٢) .

وبنحو ما سبق في تفسير الآية قال جمهور المفسرين (٣) ...

٣ . وقوله تعالى : ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ  
فِيَنبِئِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة : ١٠٥] ، والآية نص في أن الله تعالى يُطلع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذا  
عباده المؤمنين على أعمال العباد ، : حَيْثُ وَرَدَ أَنَّ أَعْمَالَ الْأَحْيَاءِ تُعْرَضُ عَلَى الْأَمْوَاتِ مِنَ الْأَقْرَبَاءِ وَالْعَشَائِرِ فِي  
الْبَرْزَخِ ، عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ ...

وأخرجه مسلم (١٦٢) (٢٥٩) ، وأبو يعلى (٣٣٧٥) و (٣٤٥٠) و (٣٤٥١) و (٣٤٩٩) ، وأبو عوانة ١٢٦/١-١٢٨ ، والبيهقي في "دلائل  
النبوة" ٣٨٢-٣٨٤/٢ ، والبغوي (٣٧٥٣) من طرق عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد -وهو في المواضع الثلاثة الأولى عند أبي يعلى مقطع .  
وأخرجه أبو عوانة ١٢٥/١-١٢٦ من طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن أنس " .

(١) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٣٦٦/٤) .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤٥٥/٣) .

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٦٠٣/٣) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٦٤/٤) ، زاد المسير في علم التفسير  
(٤٤٣/٣) ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٥٠/٢٥) ، الجامع لأحكام القرآن (١٠٧/١٤) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٢٢/٤) ،  
البحر المحيط في التفسير (٤٤٠/٨) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣٧١/٦) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣٣١/٤) ، فتح القدير  
(٢٩٦/٤) .

قال الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ) في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ : فَسَيَرَى اللَّهُ إِنَّ عَمَلْتُمْ عَمَلَكُمْ ، وَيَرَاهُ رَسُولُهُ . ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، في الدنيا " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ) : " قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا ﴾ ، خطاب للجميع . ﴿ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، أي : بإطلاعه إياهم على أعمالكم " (٢) .

وقال الإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (٧٢٥هـ) : " أمّا رؤية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإطلاع الله إياه على أعمالكم . وأمّا رؤية المؤمنين ، فبما يقذف الله عزّ وجلّ في قلوبهم من محبة الصّالحين وبُعض المذنبين " (٣) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقي (٧٧٤هـ) : " قَالَ مُجَاهِدٌ : هَذَا وَعَيْدٌ ، يَعْنِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُخَالَفِينَ أَوْ أَمْرَهُ بِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ سَتَعْرَضُ عَلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَعَلَى الرَّسُولِ ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ . وَهَذَا كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَمَا قَالَ : ﴿ يَوْمَ يُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ [الطارق : ٩] ، وَقَالَ : ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [العاديات : ١٠] . وَقَدْ يَطْهَرُ ذَلِكَ لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ .

حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى ، حَدَّثَنَا ابْنُ هُلَيْعَةَ ، حَدَّثَنَا دَرَّاجٌ ، عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَاءَ لَيْسَ لَهَا بَابٌ وَلَا كُوَّةٌ ، لَأَخْرَجَ اللَّهُ عَمَلَهُ لِلنَّاسِ كَائِنًا مَا كَانَ " (٤) .

وَقَدْ وَرَدَ : أَنَّ أَعْمَالَ الْأَحْيَاءِ تُعْرَضُ عَلَى الْأَمْوَاتِ مِنَ الْأَقْرَبَاءِ وَالْعَشَائِرِ فِي الْبَرْزَخِ ، كَمَا قَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ : حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بْنُ دِينَارٍ ، عَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١١/٦٦٧) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٥٢) .

(٣) انظر : تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/١٤٦) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/٢٨ برقم ١١٢٤٨) .

وَسَلَّمَ : " إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقْرَبَائِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ فِي قُبُورِهِمْ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبَشَرُوا بِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا : " اللَّهُمَّ ، أَلْهِمُهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِكَ " (١) .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَمَّنْ سَمِعَ أَنَسًا يَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبَشَرُوا بِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا : اللَّهُمَّ ، لَا تُمْتِنُهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا " (٢) .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : قَالَتْ عَائِشَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : إِذَا أَعْجَبَكَ حَسَنَ عَمَلٍ امْرِئٍ ، فَقُلْ : ﴿ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] (٣) .

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ شَبِيهٌ بِهَذَا ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ :

حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ ، عَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَعْجَبُوا بِأَحَدٍ حَتَّى تَنْظُرُوا بِمِ يَحْتَمُّ لَهُ ؟ فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمْرِهِ - أَوْ : بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ - بِعَمَلٍ صَالِحٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ لَدَخَلَ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا سَيِّئًا ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْبُرْهَةَ مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ ، لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ النَّارَ ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ " . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ : قَالَ : " يُوقِفُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ " . تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ " (٤) .

وبالجملة ، فالآية الكريمة دللت على حياة الأنبياء ، كما دللت على أن الأموات يعلمون بأعمال الأحياء من خلال إطلاع الله تعالى لهم عليها في الدنيا ، ثم إن الآية لم تحصر ولم تخص زماناً محدداً ، فهي شاملة لجميع المؤمنين في كل زمان ومكان ...

٤ . وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ \* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا

فَأَذْنُوبًا يَحْرَبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تَبَشَّرْ فَلَكُمْ رُءُوسٌ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨-٢٧٩] ، والآية تدل على أن الله تعالى وكذا رسوله صلى الله عليه وسلم يجاربان أكلة الربا ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو في قبره عليهم ، والدعاء لا يكون إلا من حي ...

(١) أخرجه الطيالسي في المسند (٣/ ٣٤٠) برقم ١٩٠٣ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٦٥) برقم ١٢٧١٧ .

(٣) انظر : صحيح البخاري (٩/ ١٥٤) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٤/ ٢٠٩-٢١٠) ، والحديث أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٢٠) برقم ١٢٢٣٨ .

٥. أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَوْلَىٰ بِالْحَيَاةِ مِنَ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقد دلَّت الآيتان الكريمتان على حياة الشهداء، قال الإمام الطَّبري: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: هو ميِّت، فَإِنَّ الْمَيِّتَ مِنْ خَلْقِي مَنْ سَلَبْتَهُ حَيَاتَهُ وَأَعَدَمْتَهُ حَوَاسَهُ، فَلَا يَلْتَدُّ لَدَّةً وَلَا يُدْرِكُ نَعِيمًا، فَإِنَّ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ وَمِنْ سَائِرِ خَلْقِي فِي سَبِيلِي، أَحْيَاءٌ عِنْدِي، فِي حَيَاةٍ وَنَعِيمٍ، وَعَيْشٍ هَنِيئٍ، وَرِزْقٍ سَنِيٍّ، فَرَحِينَ بِمَا آتَيْتَهُمْ مِنْ فَضْلِي، وَحُبُوتِهِمْ بِهِ مِنْ كِرَامَتِي " (١).

وقال الإمام الزَّجَّاج (٣١١هـ): "أَي: لَا تَقُولُوا لَهُمْ أَمْوَاتٌ، فَنَهَاهُمْ اللَّهُ أَنْ يُسَمُّوا مِنْ قَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَيِّتًا، وَأَمْرَهُمْ بِأَنْ يُسَمُّوهُمْ شُهَدَاءً، فَقَالَ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فَأَعْلَمْنَا أَنَّ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَيٌّ.

فإن قال قائل: فما بالنا نرى جثة غير مُتَصَرِّفة؟ فَإِنَّ دَلِيلَ ذَلِكَ مِثْلَ مَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ فِي مَنَامِهِ، وَجِثَّتْهُ غَيْرَ مُتَصَرِّفةٍ عَلَى قَدَرِ مَا يُرَى، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ تَوَفَّى نَفْسَهُ فِي نَوْمِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

ويُنْتَبِهَ الْمُنْتَبِهَ مِنْ نَوْمِهِ فَيُدْرِكُهُ الْإِنْتِبَاهُ وَهُوَ فِي بَقِيَّةٍ مِنْ ذَلِكَ، فَهَذَا دَلِيلٌ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ جَائِزٌ أَنْ تَفَارِقَ أَجْسَامَهُمْ، وَهَمَّ عِنْدَ اللَّهِ أَحْيَاءٌ، فَالْأَمْرُ فِيمَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَجِبُ أَنْ يُقَالَ لَهُ مَيِّتٌ، لَكِنْ يُقَالَ لَهُ شَهِيدٌ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَيٌّ " (٢).

وقال الإمام أبو محمَّد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثمَّ الأندلسي القرطبي المالكي (٤٣٧هـ): "هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يُقَالَ لِلشَّهِيدِ مَيِّتٌ، إِنَّمَا يُقَالَ: شَهِيدٌ وَقَتِيلٌ. فَالْمَعْنَى: هُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزَقُونَ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ وَيَجِدُونَ رِيحَهَا وَلَيْسُوا فِيهَا. قَالَه مَجَاهِدٌ.

قال قتادة: "كُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ تَعَارَفَ فِي طَيْرٍ خَضِرٍ تَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ مَسَاكِنَهُمْ السَّدْرَةُ، وَأَنَّ لِلْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَ خِصَالَاتٍ: مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ صَارَ حَيًّا مَرْزُوقًا، وَمَنْ غَلِبَ آتَاهُ اللَّهُ أَجْرًا عَظِيمًا، وَمَنْ مَاتَ رِزْقَهُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا.

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (٣/٢١٤-٢١٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/٢٢٩-٢٣٠).

قال الرِّبِيع : هم أحياء في صور طير خضر يطيرون في الجنة حيث شاءوا . منها يأكلون ، من حيث شاءوا .  
وقال عكرمة : أرواح الشهداء في طير بيض في الجنة . وروى ابن عباس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ  
قال : " الشُّهَدَاءُ عَلَى نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ " . ويروى أَنَّهُمْ بِبَابِ الْجَنَّةِ فِي رَوْضَةِ خَضْرَاءَ يُخْرَجُ عَلَيْهِمْ  
رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بَكْرَةً وَعَشِيَاءً . فهى الله المسلمين أن يسموهم أمواتاً ، وأمرهم أن يسموهم شهداء " (١) .

وقال الإمام محيي السنَّة ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمَّد بن الفراء البغدوي الشافعي (٥١٠هـ) : " قَالَ  
الْحُسَيْنُ : إِنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، تُعْرَضُ أَرْزَاقُهُمْ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ فَيَصِلُ إِلَيْهِمُ الرُّوحُ وَالْفَرْحُ ، كَمَا  
تُعْرَضُ النَّارُ عَلَى أَرْوَاحِ آلِ فِرْعَوْنَ عُذُوةً وَعَشِيَةً ، فَيَصِلُ إِلَيْهِمُ الْوَجَعُ " (٢) .

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " أي : لا تقولوا : هم  
أموات ، ذكر نحوه الفراء . فان قيل : فنحن نراهم موتى ، فما وجه النهي ؟ فالجواب أن المعنى : لا تقولوا هم  
أموات لا تصل أرواحهم إلى الجنات ، ولا تنال من تحف الله ما لا يناله الأحياء ، بل هم أحياء ، أرواحهم في  
حواصل طير خضر تسرح في الجنة ، فهم أحياء من هذه الجهة ، وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الأرواح ذكره  
ابن الأباري ، فان قيل : أليس جميع المؤمنين منعمين بعد موتهم ؟ فلم خصصتم الشهداء ؟ فالجواب : أن  
الشهداء فُضِّلوا على غيرهم بأنهم مرزوقون من مطاعم الجنة ومأكلاها ، وغيرهم منعم بما دون ذلك ، ذكره ابن  
جرير الطبري " (٣) .

وقال الإمام أبو حيان (٧٤٥هـ) : " قِيلَ : سَبَبُ نَزْوِلِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ قِيلَ لِمَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : مَاتَ فَلَانٌ  
وَذَهَبَ عَنْهُ نَعِيمُ الدُّنْيَا وَلَدَّتْهَا ، فَأُنزِلَتْ . نُهِوا عَنْ قَوْلِهِمْ عَنِ الشُّهَدَاءِ أَمْوَاتٌ ، وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَازْتِفَاعُ  
أَمْوَاتٍ وَأَحْيَاءٍ عَلَى أَنَّهُ خَبْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْدُوفٍ ، أَي : هُمْ أَمْوَاتٌ ، بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَلْ أَحْيَاءً ،  
مُنْدَرِجًا تَحْتَ قَوْلِ مُضْمَرٍ ، أَي : بَلْ قَوْلُوا هُمْ أَحْيَاءٌ . لَكِنْ يَرَجَّحُ الْوَجْهُ الْأَوَّلُ ، وَهُوَ أَنَّهُ إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى  
قَوْلُهُ : وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ : أَنَّ حَيَاتِهِمْ لَا تُشْعُرُونَ لَكُمْ بِهَا ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ حَقِيقَةَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ .  
وَقِيلَ : ذَلِكَ جَزَاءٌ . وَاخْتَلَفُوا فَقِيلَ : أَمْوَاتٌ بِانْقِطَاعِ الذِّكْرِ ، بَلْ أَحْيَاءٌ بِبَقَائِهِ وَبُتُوتِ الْأَجْرِ . وَكَانَتْ الْعَرَبُ  
تُسَمِّي مَنْ لَا يَبْقَى لَهُ ذِكْرٌ بَعْدَ مَوْتِهِ كَالْوَالِدِ ، وَغَيْرِهِ مَيِّتًا . وَقِيلَ : أَمْوَاتٌ بِالضَّلَالِ ، بَلْ أَحْيَاءٌ بِالطَّاعَةِ وَالهَدَى ،

(١) انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجل من فنون علومه (١/٥١٥-٥١٦) .

(٢) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغدوي) (١/١٨٥) .

(٣) انظر : زاد المسير في علم التفسير (١/١٢٤) .



كَمَا قَالَ : أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ . وَإِذَا حِيلَ الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَاخْتَلَفُوا ، فَقَالَ قَوْمٌ : مَعْنَاهُ النَّهْيُ عَنِ قَوْلِ الْجَاهِلِيَّةِ أَنَّهُمْ لَا يُبْعَثُونَ ، فَاَلْمَعْنَى : أَنَّهُمْ سَيَحْيَوْنَ بِالْبَعْثِ ، فَيُثَابُونَ ثَوَابَ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ فِي الْوَقْتِ . وَمَعْنَى هَذِهِ الْحَيَاةِ : بَقَاءُ أَرْوَاحِهِمْ دُونَ أَجْسَادِهِمْ ، إِذْ أَجْسَادُهُمْ تُشَاهِدُ فَسَادَهَا وَفَنَاءَهَا . وَاسْتَدَلُّوا عَلَى بَقَاءِ الْأَرْوَاحِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَبِقَوْلِهِ : وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ مَعْنَاهُ : لَا تَشْعُرُونَ بِكَيْفِيَّةِ حَيَاتِهِمْ . وَلَوْ كَانَ الْمَعْنَى بِإِحْيَاءِ أَنَّهُمْ سَيَحْيَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَوْ أَنَّهُمْ عَلَى هُدًى وَنُورٍ ، لَمْ يَطْهَرِ لِنَفْسِي الشُّعُورِ مَعْنَى ، إِذْ هُوَ خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَهُمْ قَدْ عَلِمُوا بِالْبَعْثِ ، وَبِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى هُدًى . فَلَا يُقَالُ فِيهِ : وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ، لِأَنَّهُمْ قَدْ شَعَرُوا بِهِ وَبِقَوْلِهِ : وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ . وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى أَنَّ الشَّهِيدَ حَيُّ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ ، وَلَا يَقْدَحُ فِي ذَلِكَ عَدَمُ الشُّعُورِ بِهِ مِنَ الْحَيِّ غَيْرِهِ . فَنَحْنُ نَرَاهُمْ عَلَى صِفَةِ الْأَمْوَاتِ وَهُمْ أَحْيَاءُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل : ٨٨] ، وَكَمَا تَرَى النَّائِمَ عَلَى هَيْئَةٍ ، وَهُوَ يَرَى فِي مَنَامِهِ مَا يَنْعَمُ بِهِ أَوْ يَتَأَلَّمُ بِهِ . وَنَقَلَ السُّهَيْلِيُّ فِي كِتَابِ (دَلَائِلِ النَّبَوَّةِ) مِنْ تَأْلِيْفِهِ ، حِكَايَةً عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ ، أَنَّهُ حَفَرَ فِي مَكَانٍ ، فَانْفَتَحَتْ طَائِقَةٌ ، فَإِذَا شَخْصٌ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ وَيَبِينُ يَدَيْهِ مُصَحَّفٌ يَقْرَأُ فِيهِ وَأَمَامَهُ رَوْضَةٌ خَضْرَاءٌ ، وَذَلِكَ بِأَحَدٍ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ مِنَ الشُّهَدَاءِ ، لِأَنَّهُ رَأَى فِي صَفْحَةٍ وَجْهَهُ جُرْحًا . وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءَ ، أَمَا أَرْوَاحُهُمْ ، وَأَمَا أَجْسَادُهُمْ وَأَرْوَاحُهُمْ ، فَاخْتَلَفَ فِي مُسْتَقَرِّهَا ... وَمَذَهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ : أَنَّ الْأَرْوَاحَ لَا تَفْنَى ، وَأَنَّهَا بَاقِيَةٌ بَعْدَ خُرُوجِهَا مِنَ الْبَدَنِ . فَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ مُنَعَّمَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . وَالْفَرْقُ بَيْنَ الشَّهِيدِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهَا هُوَ الرَّزْقُ ، فَصَلَّاهُمْ اللَّهُ بِذَلِكَ ... " (١) .

فَالْآيَاتَانِ وَإِنْ تَكَلَّمْنَا عَنْ حَيَاةِ الشُّهَدَاءِ ... فَحَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ أُولَى ... وَلِذَلِكَ فَحَيَاتِهِمْ قَطْعًا أَعْلَى وَأَرْقَى مِنْ حَيَاةِ الشُّهَدَاءِ ، قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَزْمِ الْأَنْدَلِسِيِّ الْقُرْطُبِيِّ الظَّاهِرِيِّ (٤٥٦هـ) : " وَلَا خِلَافَ بَيْنَ مُسْلِمِينَ فِي أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - أَرْفَعُ قَدْرًا وَدَرَجَةً وَأَتَمُّ فَضِيلَةً عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَعْلَى كَرَامَةً مِنْ كُلِّ مَنْ دُونِهِمْ ، وَمَنْ خَالَفَ فِي هَذَا فَلَيْسَ مُسْلِمًا " (٢) .

(١) انظر : البحر المحيط في التفسير (٢/٥٢-٥٣) .

(٢) انظر : المحلى بالآثار (١/٤٥) .

كما دلتَّ السُّنَّةُ المطهَّرة على أن الحياة ثابتة لجميع من فارق الدُّنيا مؤمنين وكفَّار ، كحديث السُّؤال في القبر ، ومخاطبة الرُّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل القليب ... ثمَّ إنَّ من المعلوم بالضرورة أنَّ الرُّوح باقية لا تفتنى ، وقد جعلها الله تعالى مصدر الحياة ، وهذا يستلزم وجود آثارها ، وإن كنا نعتقد أنَّ الحياة البرزخيَّة أرقى من حياة الدُّنيا ، لأنَّ الرُّوح فيها قد تحرَّرت من أسْرِ وعلائق الجسد ...

قال الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرُّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) : " ... لأنَّهم كالشُّهداء ، بل أفضل والشُّهداء أحياء عند ربِّهم . وفائدة التقييد بالعنديَّة الإشارة إلى أنَّ حياتهم ليست بظاهرة عندنا وهي كحياة الملائكة ، وكذا الأنبياء ، ولهذا كانت الأنبياء لا تورث " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد الصَّاوي الخلوئي المالكي (١٢٤١هـ) : " قوله : ﴿ بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ ﴾ ، أي : حياة أخرويَّة بالجسم والرُّوح ليس كحياة أهل الدُّنيا ، لا يشاهدها إلَّا أهل الآخرة ومن خصَّه الله بالاطِّلاع عليها ، وهذا هو التَّحقيق خلافاً لمن قال أنَّهم أحياء بالرُّوح فقط ، لأنَّه يرد بأنَّ كلَّ إنسان حي الرُّوح مسلماً كان أو كافراً لعدم فناء الرُّوح ، ولا مزيَّة للشَّهيد على غيره ، وهذه الحياة حقيقيَّة ، وإنَّما خروج روجه انتقال من دار إلى أخرى ، وهي مزيَّة من مزايا الأنبياء ، فلا يُقال أنَّهم ساووهم ، وحكمة عدم تغسيل الشُّهداء : بقاء دمهم ليشهد لهم يوم القيامة ، كما في الحديث : " زملوهم بثيابهم ، اللون لون الدَّم والرَّيح ريح المسك " ، وأمَّا تغسيل الأنبياء فتعبُّدي أو للتَّشريع ، ولا تأكل الأرض أجساد الأنبياء " (٢) .

قلت : بل للشُّهداء العديد من المزايا على غيرهم ... ومن أهمِّ المزايا التي خصَّ بها الله تعالى بها الشُّهداء : ما جاء في قوله تعالى : ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ، ومن المعلوم أنَّه لا يُرزق إلَّا حيٌّ ...

وقال الإمام شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) : " أي : لا تحسُّون ولا تدركون ما حالهم بالمشاعر ، لأنَّهم من أحوال البرزخ التي لا يطَّلَع عليها ، ولا طريق للعلم بها إلَّا بالوحي - واختلف في هذه الحياة - فذهب كثير من السُّلف إلى أنَّها حقيقيَّة بالرُّوح والجسد ، ولكنَّا لا ندركها في هذه النَّشأة ، واستدلُّوا بسياق قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ،

(١) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (١٨٤/٣) .

(٢) انظر : حاشية الصاوي على الجلالين (١/٩٣) .

وبأن الحياة الروحية التي ليست بالجسد ليست من خواصهم ، فلا يكون لهم امتياز بذلك على من عداهم ، وذهب البعض إلى أنها روحانية ، وكونهم يُرزقون لا ينافي ذلك ، فقد روي عن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعالى ، تُعرض أرزاقهم على أرواحهم ، فيصل إليهم الروح والفرح ، كما تُعرض النار على أرواح آل فرعون غدواً وعشياً ، فيصل إليهم الوجد ، فوصول هذا الروح إلى الروح هو الرزق والامتياز ليس بمجرد الحياة بل مع ما ينضم إليها من اختصاصهم بمزيد القرب من الله عزَّ شأنه ، ومزيد البهجة والكرامة ... ونُسب إلى ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، والحسن ، وعمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، والجبائي ، والرَّمَّاني ، وجماعة من المفسرين لكنهم اختلفوا في المراد بالجسد ، فقيل : هو هذا الجسد الذي هدمت بنيته بالقتل ، ولا يعجز الله تعالى أن يجعل به حياة تكون سبب الحس والإدراك ، وإن كنا نراه رمّة مطروحة على الأرض ، لا يتصرف ولا يرى فيه شيءٌ من علامات الأحياء ، فقد جاء في الحديث : " إن المؤمن يُفسح له مدبصره ، ويقال له نم نومة العروس " ، مع أننا لا نشاهد ذلك ، إذ البرزخ برزخ آخر بمعزل عن أذهاننا وإدراك قوانا ... " (١) .

فمما سبق بيأنه علمنا أن القرآن العظيم نصَّ على أن الشهيد حيٌّ عند ربه ، يُرزق من رزق الجنة ، فيتلذذ ويتمتع تمتعاً حقيقياً ، وإذا ثبت هذا في حق الشهداء ، ثبت في حق الأنبياء من باب أولى .

قال الإمام تقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٥٦هـ) : " وإذا ثبت ذلك في الشهيد ، ثبت في حق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوجوه :

أحدهما : أن هذه رتبة شريفة أُعطيت للشهيد كرامة له ، ولا رتبة أعلى من رتبة الأنبياء ، ولا شك أن حال الأنبياء أعلى وأكمل من حال جميع الشهداء ، فيستحيل أن يحصل كمالٌ للشهداء ، ولا يحصل للأنبياء ، لا سيما هذا الكمال الذي يوجب زيادة القرب والزلفى والنعيم والأنس بالعليّ الأعلى .

الثاني : أن هذه الرتبة حصلت للشهداء أجراً على جهادهم وبذلهم أنفسهم لله تعالى ، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي سنَّ لنا ذلك ودعانا إليه ، وهدانا له بإذن الله تعالى وتوفيقه ، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ ،

(١) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/٤١٨) ، والحديث رواه البيهقي في : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ، (ص ٢٢٠) ، إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين ، (ص ٦١ برقم ٦٧) ، خلا قوله " فَيَنَامُ نَوْمَةَ الْعُرْسِ " فإنها من كلام عمر بن الحَكَمِ بْنِ نُؤْبَانَ ...

وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ" (١) .

والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة مشهورة ، فكلُّ أجرٍ حصل للشَّهيد حصل للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعيه مثله ، والحياة أجر ، فيحصل للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلها ، زيادة على ما له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأجر الخاص من نفسه ، على هدايته للمهتدي ، وعلى ماله من الأجور على حسناته الخاصَّة من الأعمال والمعارف والأحوال التي لا تصل جميع الأُمَّة إلى عرف نشرها ، ولا يبلغون معشار عشرها .

وهكذا نقول : إنَّ جميع حسناتنا وأعمالنا الصَّالحة ، وعبادات كلِّ مسلم مسطَّر في صحائف نبينا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، زيادة على ماله من الأجر ، ويحصل له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأجور بعدد أمته أضعافاً لا يحصرها إلاَّ الله تعالى ، ويقصر العقل عن إدراكها ، فإنَّ كلَّ مهتدٍ وعاملٍ إلى يوم القيامة يحصل له أجر ، يتجدَّد لشيخه في الهداية مثل ذلك الأجر ، ولشيخ شيخه مثلاه ، وللشيخ الثالث أربعة وللرَّابع ثمانية ، وهكذا يضعف في كلِّ مرتبة بعدد الأجور الحاصلة بعده إلى أن ينتهي إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الثَّالث : أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهيد ، فإنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سُمِّ بخير ، وأكل من الشَّاة المسمومة ، وكان ذلك سُمًّا قاتلاً من ساعته ، مات منه بشر ابن البراء رضي الله عنه ، وبقي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذلك معجزة في حقِّه ، صار ألم السُّمِّ يتعاوده إلى أن مات به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرضه الذي مات فيه" (٢) .

(١) أخرجه مسلم (٢/٧٠٤ برقم ١٠١٧ ، واللفظ له) ، الطيالسي في المسند (٢/٥٥ برقم ٧٠٥) ، ابن الجعد في المسند (ص ٨٩ برقم ٥١٦) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٣/١٠٩ برقم ٩٨٩٦) ، أحمد في المسند ، (٤/٣٥٧ برقم ١٩٣٦٩) ، الزبارة في المسند (٧/٣٦٦ برقم ٢٩٦٣) ، النسائي في السنن الكبرى (٣/٦٠ برقم ٢٣٤٦) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/٢٢٣ برقم ٢٤٣) ، ابن حبان في الصحيح (٨/١٠١ برقم ٣٣٠٨) ، الطبراني في المعجم الكبير (٢/٣٢٨ برقم ٢٣٧٢) ، المعجم الأوسط (٨/٣٨٤ برقم ٨٩٤٦) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٥٥ برقم ٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (٤/٢٩٣ برقم ٧٧٤١) ، السنن الصغير (٢/٦٨ برقم ١٢٤٧) ، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص ٢٣٠) ، شعب الإيمان (٥/٢٦ برقم ٣٠٤٨) ، البغوي في شرح السنة (٦/١٦٠ برقم ١٦٦١) ، أبو عوانة في المسند (١/١٤٢ برقم ٤٨٨) .

(٢) انظر : شفاء السقام (ص ٢٠١ فما بعدها باختصار) .

٦. وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد تكلمنا على معنى الآية في التَّدليل على مشروعِيَّة التَّوَسُّل بما يغيى عن ذكره هنا ...

كما دلَّت السُّنَّة المطهَّرة على حياتهم صلوات الله وسلامه عليهم ، ومن ذلك :

(١) قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ " (١) .

فالحديث يدلُّ دلالة واضحة على أَنَّ الأنبياءَ أحياءٌ في قبورهم ، وأنَّهم يصلُّون ، والصَّلَاة تستدعي جسدًا حيًّا ، قال الإمام القرطبي : " وهذا الحديث يدلُّ بظاهره على أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى موسى رؤية حقيقيَّة في اليقظة ، وأنَّ موسى كان في قبره حيًّا يصلي فيه الصَّلَاة التي كان له يصلِّيها في الحياة ، وهذا كلُّهُ مُمكنٌ لا إحالة في شيء منه ، وقد صحَّ أَنَّ الشُّهداء أحياء يُرزقون ، ووجد منهم من لم يتغيَّر في قبره من السِّنِّين كما ذكرناه . وإذا كان هذا في الشُّهداء كان في الأنبياء أحرى وأولى ، فإنَّ قيل : كيف يصلُّون بعد الموت وليس تلك الحال حال تكليف ؟ فالجواب : أنَّ ذلك ليس بحكم التَّكليف ، وإنَّما ذلك بحكم الإكرام لهم والتَّشريف ، وذلك أنَّهم كانوا في الدُّنيا حبَّبت لهم عبادة الله تعالى والصَّلَاة بحيث كانوا يلازمون ذلك ، ثمَّ توفُّوا وهم على ذلك ، فشرَّفهم الله تعالى بعد موتهم بأنَّ أبقى عليهم ما كانوا يحبُّون ، وما عرفوا به ، فتكون عبادتهم إلهاميَّة كعبادة الملائكة ، لا تكليفيَّة ، وقد وقع مثل هذا لثابت البناني رضي الله عنه ؛ فإنَّه حبَّبت الصَّلَاة إليه حتى كان يقول : اللهمَّ إن كنت أعطيت أحداً يصلِّي لك في قبره ، فأعطني ذلك . فراءه مُلحدُه ، بعدما سوَّى عليه لحده قائماً يصلِّي في قبره " (٢) .

(١) أخرجه البزار في المسند (١٣/٢٩٩ برقم ٦٨٨٨) ، أبو يعلى في المسند (٦/١٤٧ برقم ٣٤٢٥) ، وصحَّحه المحقق ، البيهقي في حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم (ص ٦٩ برقم ١) ، وذكره الهيثمي في المجمع (٨/٢١١ برقم ١٣٨١٢) ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالْبُرَّازُ ، وَرَجُلٌ أَبِي يَعْلَى ثِقَاتٌ . قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/٤٨٧) : " وَقَدْ جَمَعَ الْبَيْهَقِيُّ كِتَابًا لَطِيفًا فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهِمْ ، وَأوردَ فِيهِ حَدِيثَ أَنَسٍ " الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ " ، أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، وَهُوَ مِنْ رِجَالِ الصَّحِيحِ عَنِ الْمُسْتَمَلِّ بْنِ سَعِيدٍ ، وَقَدْ وَثَّقَهُ أَحْمَدُ وَبْنُ حَبَّانٍ عَنِ الْحَجَّاجِ الْأَسْوَدِ ، وَهُوَ بِنِ أَبِي زِيَادِ الْبَصْرِيِّ ، وَقَدْ وَثَّقَهُ أَحْمَدُ وَبْنُ مَعِينٍ عَنْ ثَابِتِ عَنَّهُ ، وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَأَخْرَجَهُ الْبُرَّازُ لَكِنْ وَقَعَ عِنْدَهُ عَنْ حَجَّاجِ الصَّوَّافِ وَهُوَ وَهُمْ ، وَالصَّوَّابُ الْحَجَّاجُ الْأَسْوَدُ ، كَمَا وَقَعَ التَّضَرُّيْحُ بِهِ فِي رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً مِنْ طَرِيقِ الْحَسَنِ بْنِ قُتَيْبَةَ عَنِ الْمُسْتَمَلِّ ... " .

(٢) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٩/١٠٤) .

(٢) وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ما من أحدٍ يسلم عليَّ إلَّا ردَّ اللهُ إليَّ رُوحِي حتى أَرَدَّ عليه السَّلَام "

(١).

" فإن قيل : قوله في الحديث : " إلَّا ردَّ اللهُ عليَّ رُوحِي حتى أَرَدَّ عليه " ، دالٌّ على عدم استمرار الحياة ،

فالجواب من وجوه :

الأوَّل : أن البيهقي استدللَّ به على حياة الأنبياء ، قال : وإنَّما أراد - والله أعلم - إلَّا وقد ردَّ اللهُ عليَّ رُوحِي حتى أَرَدَّ عليه .

الثَّاني : أن السُّبكي ، قال : يحتمل أن يكون ردًّا معنويًّا ، وأن تكون روحه الشَّريفة مشغولة بشهود الحضرة العلية والملا الأعلى عن هذا العالم ، فإذا سلَّم عليه أقبلت روحه على هذا العالم لتدارك السَّلَام وترد على المسلم ، يعنى : أن ردَّ روحه الشَّريفة التفاتٌ روحانيٌّ وتنزُّلٌ إلى دوائر البشريَّة من الاستغراق في الحضرة العليَّة .

(١) أخرجه أبو داود (ص ٢٣٢ برقم ٢٠٤١) ، بيت الأفكار الدولية ، أحمد في المسند (ص ٧٣٨ برقم ١٠٨٢٧) ، بيت الأفكار الدولية ، الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٢٦ برقم ٣٠٩٢) ، البيهقي في شعب الإيَّان (٢/ ٦٨٦ برقم ١٥٨١) ، وفي السنن (٥/ ٢٤٥ برقم ١٠٠٥٠) ، وفي حياة الأنبياء (ص ٩٧ برقم ١٥) ، أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٣٣٢ برقم ١٨٧٦) ، وابن بشكوال في القربة (٩١) . قال عنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٤٨٨) : رجاله ثقات ، وكذا في التلخيص الحبير (٢/ ٢٦٧) ، وقال النووي في الأذكار (ص ١٧٣) : إسناده صحيح ، وقال العراقي في المغني (١/ ٢٧٩) : سنده جيد ، وصحَّح إسناده كذلك ابن القيم في جلاء الإفهام (ص ٢٥ برقم ١٩) ، وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٢٤) : وهذا الحديث على شرط مسلم ، الألباني في صحيح أبي داود برقم (١٧٩٥) ، صحيح الجامع الصغير برقم (٥١٧٩) ، الصحيحة برقم (٢٢٦٦) . فهؤلاء جميعاً حكموا على الحديث بالصحة ، ولذلك فلا يجب التعويل ولا النظر إلى تشيغ ابن عبد الهادي حول الحديث . فقد حاول - كعادته - جاهداً تضعيفه عن طريق الطعن في أبي صخر حميد بن زياد - أحد رواة الحديث - انظر الصارم المنكي (ص ١٧٧ فما بعدها) . وقد تكفَّل الأستاذ محمود سعيد بمدوح بالردِّ عليه ، فقال : " أبو صخر حميد بن زياد ، قال عنه أحمد وابن معين : لا بأس به ، ووثَّقه الدارقطني ، وابن حبان ، وقال البغوي : مدني صالح حديث . وقال ابن عدي : وهو عندي صالح الحديث ، ووثَّقه ابن شاهين وضعفه يحيى بن معين في رواية وكذا النسائي . وذكره الذهبي في جزء " من تكلم فيه ، وهو موثق " (ص ٧٣) . ثم وثَّقه من اتَّفقت الأئمة على قبول توثيقه والعمل بمقتضاه ، فقد أخرج له مسلم في صحيحه . فالرجل حسن الحديث على الأقل ، فلا تلتفت لتشغيب ابن عبد الهادي ، فإنه جعل الاختلاف في اسم وكنية الراوي سبباً لردِّ حديثه ، ولو كان الاختلاف في الاسم والكنية سبباً لتضعيف الراوي لفتح باب جديد لتضعيف الرواة ، وعند ذلك فَلِعُقلاء أن يقولوا : رحمة الله على الحديث وعلومه ، فكم من راوٍ اختلف في اسمه وكنيته ، وهو ثقة ، وكم من راوٍ اتَّفقت على اسمه وكنيته وهو ضعيف .

والحاصل أنَّ حميد بن زياد حسن الحديث . أمَّا يزيد بن عبد الله بن قُسيط فقد احتج به الجماعة ، ووثَّقه النسائي وابن حبان ، وابن عبد البر ، وغيرهم ، وقال ابن معين : لا بأس به . فالحديث حسن بهذا الإسناد . والله أعلم . انظر : رفع المنارة لتخريج أحداث الزيارة ، محمود سعيد ومدوح (ص ٣٥٥-٣٥٦) ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .

الثالث : قال بعضهم : هو خطاب على مقدار فهم المخاطبين في الخارج من الدنيا أنه لا بد من عود روحه حتى يسمع ويحيب ، فكأنه قال : أنا أجيب ذلك تمام الإجابة ، وأسمعه تمام السماع مع دلالته على ردّ الروح عند سلام أوّل مسلم ، ولم يرد أنّها تُقبض بعد ، ولا قائل بتكرّر ذلك ، إذ يفضى ذلك إلى توالى موتات لا تحصر ، مع أنّنا نعتقد ثبوت الإدراكات ، كالعلم والسماع لسائر الموتى فضلاً عن الأنبياء ، ونقطع بعودة الحياة لكلّ ميّت في قبره ، كما ثبت في السنّة لأجل السؤال ، فيجب الإيمان به كالإيمان بنعيم القبر وعذابه ، وإدراك ذلك من الأعراض المشروطة بالحياة ، وقد يقال : لو كانوا أحياء لرأيناهم ، فنقول لهم : إنّ الملائكة أحياء ، والشهداء أحياء ، والجنّ أحياء ، ولا نراهم ، وتجاوز رؤيتهم من حيث أنّ كلّ موجود يمكن رؤيته ، وقد ألف الإمام السيوطي رحمه الله تعالى كتاباً سماه : " نور الحلّك في جواز رؤية الجنّ والملك " ، وتعرض فيه لجواز رؤية النبي أيضاً ، وأورد لذلك أدلّة ، جزاه الله خيراً " (١) .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " ... وَمَا يُشْكِلُ عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ " ، وَرَوَاهُ ثِقَاتٌ ، وَوَجْهُ الْإِشْكَالِ فِيهِ أَنَّ ظَاهِرَهُ أَنَّ عَوْدَ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ يَفْتَضِي انْفِصَالَهَا عَنْهُ وَهُوَ الْمَوْتُ . وَقَدْ أَجَابَ الْعُلَمَاءُ عَنْ ذَلِكَ بِأَجْوِبَةٍ :

أَحَدُهَا : أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي أَنَّ رَدَّ رُوحِهِ كَانَتْ سَابِقَةً عَقِبَ دَفْنِهِ لَا أَنَّهَا تُعَادُ ثُمَّ تُنَزَعُ ثُمَّ تُعَادُ .

الثّاني : سَلَّمْنَا لَكِنْ لَيْسَ هُوَ نَزَعٌ مَوْتٍ بَلْ لَا مَشَقَّةَ فِيهِ .

الثّالث : أَنَّ الْمُرَادَ بِالرُّوحِ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِذَلِكَ .

الرّابع : الْمُرَادُ بِالرُّوحِ النَّطْقُ فَتَجُوزُ فِيهِ مِنْ جِهَةٍ خِطَابِنَا بِمَا نَفْهَمُهُ .

الخامس : أَنَّهُ يَسْتَعْرِقُ فِي أُمُورِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، فَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهَمُّهُ لِيُجِيبَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ .

وَقَدْ اسْتَشْكَلَ ذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى وَهُوَ أَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ اسْتِغْرَاقَ الزَّمَانِ كُلِّهِ فِي ذَلِكَ لِاتِّصَالِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي أَفْطَارِ الْأَرْضِ بِمَنْ لَا يُحْصَى كَثْرَةً ، وَأَجِيبُ : بِأَنَّ أُمُورَ الْأَحْرَةِ لَا تُدْرِكُ بِالْعَقْلِ وَأَحْوَالِ الْبَرَزِخِ أَشْبَهُ بِأَحْوَالِ الْأَحْرَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " (٢) .

(١) انظر : منهج السلف في فهم النصوص (ص ١٣٤-١٣٥) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/٤٨٨) .

(٣) وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ مُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ ، فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ مَحَدَّثُ اللهُ عَلَيْهِ ، وَمَا كَانَ مِنْ سَيِّئٍ اسْتَغْفَرْتُ اللهُ لَكُمْ " (١) .

(١) أخرجه البزار (٣٩٧/١) (كشوف) . وقال الهيثمي في المجمع (٤٢٧/٨) برقم (١٤٢٥٠) : رواه البزار ورجاله رجال الصَّحيح ، وصَحَّحه السَّيوطي في الخصائص (٢٨١/٢) ، وقال العراقي في طرح الشريب (٣/٢٩٧) : إسناده جيد ، ونصَّ المناوي في فيض القدير (٣/٤٠١) بأنه صحيح ، والملا علي القاري في شرح الشفا (١٠٢/١) ، وكذا عبد الله الغماري في جزء (نهاية الآمال في شرح وتصحيح حديث عرض الأعمال) . وجاء هذا الحديث عن طريق آخر مرسلًا عن بكر بن عبد الله المزني ، وهو غاية في الصحة . وقد أفاض الأستاذ محمود سعيد ممدوح في الردِّ على تضعيف الألباني للحديث ، وبين أنه - أي الألباني - اتبع في تضعيفه للحديث سبيلًا لم يسبق إليه ، وتلاعب تلاعبًا يُعاب عليه ، وبما لا مزيد عليه ، ومما قاله في ذلك بعد أن ذكر طرق الحديث : أمَّا تضعيفه للحديث فاتبع سبيلًا لم يسبق إليه كما صرح هو بذلك في ضعيفته (٢/٤٠٥) ، فإنه أضاف للحديث حديثًا آخر رواه جمع من الثقات ، وجعل حديث (حياتي خيرٌ لكم ...) زيادة على الحديث الأوَّل ، انفرد بها عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد فحكم على الحديث الثاني بالشذوذ لمخالفة عبد المجيد للثقات الذين رووا الحديث الأوَّل...!!

وذلك أنَّ الحافظ البزار قال في مسنده : حدَّثنا يوسف بن موسى ، ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان ، عن عبد الله ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " إنَّ الله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام " . قال : وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " حياتي خيرٌ لكم تحدِّثون ويحدِّث لكم ... " الحديث .

فالحديث الأوَّل : رواه عن سفيان جمع من الثقات .

والحديث الثاني : انفرد به عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ، فلمَّا جعلها الألباني حديثًا واحدًا حكم على الثاني بالشذوذ ، ولم يعده حديثًا مستقلًّا بل زيادة ، وهذا خطأ بين ! .

ذلك أنَّ المدقق لا بدَّ أن يعلم أنَّ هذين حديثين بسند واحد أخرجهما البزار كما ترى سعيًا للاختصار ، وعدم تكرار الإسناد ، وهو ما يكثر حدوثه في كتب الحديث ، حيث يذكرون سندًا واحدًا لعدة متون ، وهو ظاهر لا يحتاج لشرح وبيان ، وقد أصاب الحافظ السَّيوطي فجعل في جامعیه الصغير والكبير الحديث الأوَّل في مكان ، والحديث الثاني في مكان آخر ، وهذا من شُفوف نظره ، وثاقب فهمه ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم . ولكي تروق للألباني دعوته صرَّح بأنَّ عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد متكلم فيه من قبل حفظه ، وهو وإن وثَّقه بعضهم لكن ضعَّفه آخرون ، وبينَّ بعضهم السبب (كذا) في ضعيفته (٢/٤٠٤) ، فكلامه يرشح بضعف الرجل .

ولأنَّ الرجل ثقة ، ومن رجال الصَّحيح ، فقد رأيت أنَّ هذا مقام الذب عنه وبيان ثقته . فقد وثَّقه ابن معين ، وأحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن شاهين ، والخليلي .

ورجل يوثَّقه هؤلاء ، ويكثر مسلم من الاحتجاج به في صحيحه يكون قد جاوز القنطرة ، ويكون ما جاء فيه من الجرح مردوداً عند التأمل والنظر الصَّحيح الموافق لقواعد الحديث .

فمن تكلم فيه فأسباب :

١. بسبب مذهبه ، فإنه كان مرجئًا ، وهذا لا يضرُّ في الرواية كما هو مقرر في محله ، وقد قال الحافظ الذَّهبي في الميزان بعد ذكر عبد المجيد بن عبد العزيز في جماعة من الثقات المرجئين ما نصَّه : الإرجاء مذهب لعدة من جلة العلماء لا ينبغي التحامل عليه به . أهـ .

٢. كونه أخطأ في أحاديث ، فإنه روى حديث الأعمال بالنيات من طريق مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري به مرفوعاً . هكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٤٢/٦) ، والقضاعي في مسند الشهاب (فتح الوهاب ١/١٦) ، وأبو يعلى الخليلي في الإرشاد ١/٢٣٣ . والمحفوظ هو عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن علقمة ، عن عمر به مرفوعاً ، هكذا أخرجه الجماعة . ولذا عدَّ هذا الحديث مما أخطأ فيه عبد المجيد فكان ماذا ؟ فمن ذا الذي ما غلط في حديث بل في أحاديث ؟ فإذا وقفت على ترجمة ابن عدي لعبد المجيد بن أبي رواد في الكامل (١٩٨٢/٥) ، فتذكر قول الذهبي في الموقظة (ص٧٨) : وليس من حدّ الثقة أنّه لا يغلط ، ولا يخطئ ، فمن الذي يسلم من ذلك ؟ غير المعصوم الذي لا يقر على خطأ ؟ وقد نبّه الذهبي على هذا المعنى عدة مرات في ميزان الاعتدال .

والحاصل أنّ وجود بعض الوهم في حديث عبد المجيد بن أبي رواد لا يخرج عن حد الثقة ، لا سيما وأنّه كان حافظاً أكثر وأكثر ما يقع من الكثيرين مثل ذلك . وقد وصفه الذهبي بالحفظ والصدق ، فقال في النبلاء (٤٣٤/٩) : العالم القدوة الحافظ الصادق . أهـ .

٣. من تكلم فيه بجرح غير مفسر كقول أبي حاتم الرازي - وتشدهد معروف ومشهور - (لا يحتج به ، يعتبر به) ، وكقول ابن سعد : (كان كثير الحديث مرجئاً ضعيفاً) ، وكقول أبي أحمد الحاكم : (ليس بالمتين عندهم) ، وكقول أبي عبد الله الحاكم : (هو ممن سكتوا عنه) . فهذا فضلاً عن كونه من الجرح الخفيف الذي لم يسلم منه إلا الطبقة الأولى من الثقات ، فهو من الجرح الغير مفسر الذي ينبغي رده في مقابل توثيق ابن معين ، وأحمد ، وأبي داود ، والنسائي ، وغيرهم .

٤. من تكلم فيه بجرح فيه مبالغة وتشدد مردود ، وهو ابن حبان حيث قال في المجروحين (١٦١/٢) : منكر الحديث جداً ، يقلب الأخبار ، ويروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك . أهـ .

وقد نبه الحافظ في التقریب (ص٣٦١) على إفراط ابن حبان بمقولة الترك . وإن تعجب فعجب من الألباني الذي اقتصر في ضعفته (٤٠٤/٢) على قول الحافظ صدوق يخطئ ، ولم يذكر تعقب الحافظ على ابن حبان وما فعل هذا إلا ليوهم القراء أنّ الرجل متروك ، وكلام ابن حبان مقبول غير متعقب ، نعوذ بالله من اتباع الهوى وشره .

وكيف يكون الرجل مستحقاً للترك ويغيب ذلك عمّن حدث عنه ووثقه كأحمد ، وابن معين . وابن حبان يبالغ جداً في الجرح حتى قال عنه الذهبي في الميزان (٢٧٤/١) : ابن حبان ربما قصب الثقة حتى كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه . وكأنّ مستند ابن حبان في المبالغة في جرحه لعبد المجيد بن أبي رواد ما رواه في المجروحين (١٦١/٢) من طريق عبد المجيد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ، قال : " القدرية كفر ، والشيعية هلكة ، والحورية بدعة ، وما نعلم الحق إلا في المرجئة " . قال الدارقطني في الأفراد : تفرد به عبد المجيد ، وزاد الحافظ في التهذيب (٣٨٣/٦) : وبقية رجاله ثقات .

قلت : ما قاله الدارقطني والحافظ حق لا مرية فيه ، ولا يعني هذا اتهام عبد المجيد ، فالصواب ، وهو الحق أيضاً الذي لا مرية فيه اتهام من دلسه ابن جريج ، فإنه كان مدلساً سيء التدليس .

قال الدارقطني : تجنّب تدليس ابن جريج ، فإنه قبيح التدليس لا يدلّس إلا فيما سمعه من مجروح . أهـ .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : بعض هذه الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة ، كان ابن جريج لا يبالي من أين يأخذها . أهـ هكذا في الميزان (٦٥٩/٢) .

وبذا تعلم ما في جرح ابن حبان من النظر ، وتُعصّب الجناية في هذا الإسناد فيمن دلسه ابن جريج ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

فالحديث يدلُّ دلالة صريحة واضحة على أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمُ بأعمالنا لأنَّها تُعرض عليه ،  
 وَأَنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَغْفِرُ اللهُ لنا إن كانت أعمالنا قبيحة ... فدلالة الحديث على استغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمؤمنين العاصين المذنبين واضحة جليَّة ، ولذلك لا غضاضة في التَّوَسُّلِ به إلى الله تعالى ، وسؤاله  
 الاستغفار لعباد الله المذنبين ...

والحاصل أن الرجل كما قال معاصروه أحمد، وابن معين: ثقة، ومن تكلم فيه فكلامه مردود لا ينتبه إليه .  
 ومن أجل هذا اعتمده مسلم في صحيحه ، وأخرج له في أصوله . ولهذا قال الحافظ الذهبي في "من تُكلم فيه وهو موثق" (ص ١٢٤) : ثقة مرجئ  
 داعية ، غمزه ابن حبان . أهـ.

فكلام الذهبي يصرح بتوثيق الرجل ، وأن بدعته وكلام ابن حبان لا يؤثران في ثقته ، وإن كان لهما تأثير لما صرح بتوثيقه فتنبه ، والله أعلم  
 بالصواب .

أما كونه (أي الألباني) تلاعب تلاعباً يعاب عليه فيبانه من وجهين :  
 الأول : قال في ضعيفته (٢/ ٤٠٥) : فعلاً هذا الحديث الذي رواه عبد المجيد موصولاً عن ابن مسعود أصله هذا المرسل عن بكر ، أخطأ فيه عبد  
 المجيد فوصله عن ابن مسعود ملحقاً بإياه بحديثه الأوَّل . أهـ.

قلت : هذا ظنٌّ ، والظن ليس بكذب فقط ، ولكنه أکذب الحديث ، ويلزم من هذا الظن الفاسد رد المسند - الذي فيه راوٍ تكلم فيه - للمرسل  
 الذي جاء من وجه أقوى ، فلا يصح بذلك مرسل إلا بشقِّ الأنفس ، وفيه إهدار لشطر من السُّنَّة ، ولم أجد من سبق الألباني لهذه الخرافة .

الثاني : فإنه قد تقرر أن الحديث المرسل يتقوى بأمر ، منها : إذا ورد هذا المرسل من طريق آخر موصول ضعيف تقوى المرسل به ، وصار من  
 باب الحسن لغیره ، وبه تقوم الحجة ويلزم العمل به ، وإذا كان الموصول الذي فيه عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد من قسم الضعيف كما  
 ارتآه الألباني - دفعاً بالصدر - فإنَّ المرسل الصَّحيح إذا ضم إليه صار من قسم الحسن المقبول الذي يجب العمل به اتفاقاً .

ولم أجد مبرراً عند الألباني يبعده عن اتباع القواعد الحديثية هنا إلا التعتن ، واتباع الهوى في رد مثل هذه الأحاديث .  
 وأزيد هنا بخصوص هذا الحديث رده على نفسه واتباعه لما تقرر من قبول المرسل بالشروط المبسوطة في محلها قوله في رده على الشَّيخ إسماعيل  
 الأنصاري (كتاب الشيباني ١/ ١٣٤-١٣٥) ما نصه :

المرسل الصَّحيح إسناده حجة وحده عند جمهور الفقهاء ، قال الحافظ ابن كثير : " والاحتجاج به مذهب مالك وأبي حنيفة وأصحابها وهو يحكي  
 عن أحمد في رواية " .

وأما مذهب الشَّافعي فشرطه في الاحتجاج به معروف ، وهو أن يجيئ من وجه آخر ولو مرسلأ ... فهذا الحديث المرسل صحيح حجة عند  
 المذاهب الأربعة وغيرهم من أئمة أصول الحديث والفقهاء ، وبذلك يظهر لكل منصف أن القول بسقوط الاستدلال بهذا الحديث لمجرد وروده  
 مرسلأ هو الساقط . أهـ.

ثم حديث عرض الأعمال أولى بالقبول من هذا المرسل الذي تقوى بموصول ، فالموصول في الرد على الأنصاري ، فيه ليث بن أبي سليم حاله  
 معروف في الضعف ، وموصولنا فيه عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد وقد تقدم توثيقه ، وأنه من رجال مسلم ، فيكون قد جاوز القنطرة .  
 انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوَسُّلِ والزيارة ، محمود سعيد ممدوح (ص ١٦١ فما بعدها) .

وقد أخبرنا الله تعالى في القرآن أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِيدٌ عَلَى أُمَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ مَا جَرَى مِنْ أُمَّتِهِ فَكَيْفَ سَيَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ؟!!! لَذَا فَإِنَّ عَرَضَ الْأَعْمَالِ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرْوَرِيٌّ لِشَهَادَتِهِ عَلَيْنَا ، قَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ : " أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، عَنِ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ : لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا يُعْرَضُ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتُهُ غُدُوَّةً وَعَشِيَّةً ، فَيَعْرِفُهُمْ بِسِمَائِهِمْ ، لِيَشْهَدَ عَلَيْهِمْ ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] (١) .

ومن المعلوم ، أَنَّ عَرَضَ الْأَعْمَالِ لَيْسَ خَاصًّا بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَلْ يَعْمُرُ قَرَابَةَ الْإِنْسَانِ ، كَمَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " إِنْ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقْرَبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبَشَرُوا بِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ ، قَالُوا : اللَّهُمَّ لَا تُمَتِّهِمْ ، حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا " (٢) .  
 قلت : وهذا تفسير ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة :

١٠٥] ، قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرِ بْنِ كَثِيرٍ الْقُرَشِيُّ الْبَصْرِيُّ ثُمَّ الدَّمَشْقِيُّ (٧٧٤هـ) فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : " وَقَدْ وَرَدَ : أَنَّ أَعْمَالَ الْأَحْيَاءِ تُعْرَضُ عَلَى الْأَمْوَاتِ مِنَ الْأَقْرَبَاءِ وَالْعَشَائِرِ فِي الْبَرْزَخِ ، كَمَا قَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ : حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بْنُ دِينَارٍ ، عَنِ الْحَسَنِ ، عَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنْ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقْرَبَائِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ فِي قُبُورِهِمْ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبَشَرُوا بِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا : اللَّهُمَّ ، أَلْهِمَّهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِكَ " .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَمَّنْ سَمِعَ أَنَسًا يَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنْ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقْرَبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبَشَرُوا بِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا : اللَّهُمَّ ، لَا تُمَتِّهِمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا " (٣) .

(٤) وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَصِلُنِي عَلَيَّ أَحَدٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا عَرَضْتُ عَلَيَّ صَلَاتَهُ " (١) .

(١) أَخْرَجَهُ الزَّهْدُ ، عَبْدُ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ (٢/٤٢ برقم ١٦٦) .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/١٦٥ برقم ١٢٧١٣) ، الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ (٤/١٢٩ برقم ٣٨٨٧) ، الْمَعْجَمُ الْأَوْسَطُ (١/٥٣ برقم ١٤٨) .

(٣) انظر : تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، ابْنُ كَثِيرٍ (٤/٢٠٩) .

وجاء في رواية ابن ماجه : " فقال رجل يا رسول الله كيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أُرمت ، يعني بليت ، فقال : إنَّ الله حَرَّمَ على الأرضِ أن تَأْكُلَ أجسادَ الأنبياء " (١) .

قال الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني (١٢٥٠هـ) بعد أن ذكر جملة من الأحاديث الدالة على تحريم أكل أجساد الأنبياء على الأرض ، قال : " وَالْأَحَادِيثُ فِيهَا مَشْرُوعِيَّةُ الْإِكْتِنَارِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَأَتَمَّا تُعْرَضُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ .

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهَ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ " ، وَفِي رِوَايَةٍ لِلطَّبْرَانِيِّ " لَيْسَ مِنْ عَبْدِ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا بَلَّغْنِي صَلَاتَهُ ، قُلْنَا : وَبَعْدَ وَفَاتِكَ ؟ قَالَ : وَبَعْدَ وَفَاتِي ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ " (٢) . وَقَدْ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ إِلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَأَنَّهُ يُسَرُّ بِطَاعَاتِ أُمَّتِهِ ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُبْلَوْنَ ، مَعَ أَنَّ مُطْلَقَ الْإِدْرَاكِ كَالْعِلْمِ وَالسَّمْعِ ثَابِتٌ لِسَائِرِ الْمَوْتَى ... وَوَرَدَ النَّصُّ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي حَقِّ الشُّهَدَاءِ أَنَّهُمْ أَحْيَاءُ يُرَزَقُونَ وَأَنَّ الْحَيَاةَ فِيهِمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْجَسَدِ فَكَيْفَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ " (٣) .

وقال السيّد محمد بن علوي المالكي (١٤٢٥هـ) : " ويفهم من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عُرضت عليَّ صلاته حتى يفرغ منها " أنه بمجرد ما يتبدئ المصلي بالصلاة يسمعها حتى يفرغ منها .

ولقد أحسن السائل بالاستيضاح منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال له : وبعد الموت ؟ فبيّن له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ذلك العرض بعد الموت لوجود صفة الحياة فيه " (٤) .

(١) أخرجه البيهقي في حياة الأنبياء ، (ص ٩١) ، شعب الإيمان (٣/ ١١٤٥ برقم ٣٠٣٠) ، الحاكم في المستدرک (٢/ ٤٥٧ برقم ٣٥٧٧) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، فإن أبا رافع هذا هو إسماعيل بن رافع ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : إسماعيل بن رافع ضعّفوه ، ابن ماجه ، (ص ١٢٢ برقم ١٠٨٥) ، كتاب إقام الصلاة ، باب في فضل الجمعة ، قال الألباني : لكنه في الشواهد لا بأس به ، فإنه غير متهم في صدقه ، وقد أشار إلى هذا الحافظ بقوله في التقريب : ضعيف الحفظ ، انظر الصحيحة (٤/ ٣٢) ، وجزم بصحته في صحيح الجامع برقم (١٢٠٨) .

(٢) انظر سنن ابن ماجه (١/ ٥٢٤ برقم ١٦٣٦) .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢١٦ برقم ٥٨٩) ، المعجم الأوسط (٥/ ٩٧ برقم ٤٧٨٠) ، ونص الحديث هو : " إِنَّ أَفْضَلَ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ ، إِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ " ، فقالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أُرْمَتْ ؟ قَالَ : يَقُولُ : بَلِيَّتْ ، قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ» .

(٤) انظر : نيل الأوطار (٣/ ٢٩٥) .

(٥) انظر : منهج السلف في فهم النصوص (ص ١٤٣) .

وقد أكد على القول بحياة الأنبياء عليهم الصلوة والسلام علماء الأمة ، فمن أقوالهم في ذلك :  
قال الإمام تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (٧٧١هـ) : " فَإِذَا ثَبِتَ أَنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ ، فَالْحَيُّ لَا يَدُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ إِمَّا عَالِمًا أَوْ جَاهِلًا ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاهِلًا ... لِأَنَّ عِنْدَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ ، يَحْسُ ، وَيَعْلَمُ ، وَتُعْرَضُ عَلَيْهِ أَعْمَالُ الْأُمَّةِ ، وَيَبْلَغُ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى مَا بَيْنَنَا " (١) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ) : " ... وَقَدْ ثَبِتَ بِهِ النَّقْلُ فَذَلِكُمْ عَلَى حَيَاتِهِمْ . قُلْتُ : وَإِذَا ثَبِتَ أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ مِنْ حَيْثُ النَّقْلُ ، فَإِنَّهُ يُفَوِّيه مِنْ حَيْثُ النَّظَرِ ، كَوْنِ الشُّهَدَاءِ أَحْيَاءٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ، وَالْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُ مِنَ الشُّهَدَاءِ " (٢) .

وقال الإمام شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي (٩٠٢هـ) :  
" ونحن نؤمن ونصدق بأنه صلى الله عليه وسلم حيٌّ يرزق في قبره ، وأن جسده الشريف لا تأكله الأرض ، والإجماع على هذا " (٣) .

وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) : " وَقَالَ الْقَاضِي شَرَفُ الدِّينِ هَبَةُ اللَّهِ بن عبد الرحيم البارزي في كتاب " تَوْثِيقِ عُرَى الْإِيمَانِ " : قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ " الْإِعْتِقَادِ " : الْأَنْبِيَاءُ بَعْدَ مَا قَبِضُوا رُدَّتْ إِلَيْهِمْ أَرْوَاحُهُمْ فَهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ كَالشُّهَدَاءِ ، وَقَدْ رَأَى نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ جَمَاعَةً مِنْهُمْ ، وَأَخْبَرَ - وَخَبَرَهُ صِدْقٌ - أَنَّ صَلَاتِنَا مَعْرُوضَةٌ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ سَلَامَنَا يَبْلُغُهُ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ لَحْمَ الْأَنْبِيَاءِ ، قَالَ الْبَارِزِيُّ : وَقَدْ سَمِعَ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فِي زَمَانِنَا وَقَبْلِهِ أَنَّهُمْ رَأَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْيَقَظَةِ حَيًّا بَعْدَ وَفَاتِهِ ، قَالَ : وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْبَيَانِ نَبَأُ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الدَّمَشْقِيِّ فِي نَظْمِيَّتِهِ " (٤) .

وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) أيضاً : " قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورٍ عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنِ طَاهِرِ الْبَغْدَادِيِّ الْفَقِيهَ الْأُصُولِيَّ شَيْخَ الشَّافِعِيَّةِ فِي أَجْوِبَةِ مَسَائِلِ الْجَاهِرِيِّينَ ، قَالَ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُحَقِّقُونَ

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٤١١-٤١٢) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٤٨٨) .

(٣) انظر : القول البدعي في الصلوة على الحبيب الشفيع (ص ١٦٧) .

(٤) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ١٨٠) ، وانظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص ٣٠٥) .

مِنْ أَصْحَابِنَا : أَنْ نَبَيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيًّا بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَأَنَّهُ يُسَرُّ بِطَاعَاتِ أُمَّتِهِ ، وَيَجْرُنُ بِمَعَاصِي الْعَصَاةِ مِنْهُمْ ، وَأَنَّهُ تَبْلُغُهُ صَلَاةٌ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ " (١) .

وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) أيضاً : " وَقَالَ الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ السُّبْكِيُّ : حَيَاةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالشَّهَدَاءِ فِي الْقَبْرِ كَحَيَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا ، وَيَشْهَدُ لَهُ صَلَاةُ مُوسَى فِي قَبْرِهِ ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ تَسْتَدْعِي جَسَدًا حَيًّا ، وَكَذَلِكَ الصِّفَاتُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ كُلُّهَا صِفَاتُ الْأَجْسَامِ ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهَا حَيَاةً حَقِيقَةً أَنْ تَكُونَ الْأَبْدَانُ مَعَهَا كَمَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْإِحْتِيَاجِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَأَمَّا الْإِدْرَاكَاتُ كَالْعِلْمِ وَالسَّمْعِ ، فَلَا شَكَّ أَنْ ذَلِكَ ثَابِتٌ لَهُمْ وَلِسَائِرِ الْمَوْتَى " (٢) .

وقال الإمام السيوطي أيضاً : " قَالَ الشَّيْخُ بَدْرُ الدِّينِ بَنُ الصَّاحِبِ فِي مُؤَلَّفِ لَهُ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ : هَذَا صَرِيحٌ فِي إِبْنَاتِ الْحَيَاةِ لِمُوسَى فِي قَبْرِهِ ، فَإِنَّهُ وَصَفَهُ بِالصَّلَاةِ ، وَأَنَّهُ قَائِمٌ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ لَا يُوصَفُ بِهِ الرُّوحُ ، وَإِنَّمَا يُوصَفُ بِهِ الْجَسَدُ ، وَفِي تَخْصِيصِهِ بِالْقَبْرِ دَلِيلٌ عَلَى هَذَا ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَوْصَافِ الرُّوحِ لَمْ يَخْتَجِ لِتَخْصِيصِهِ بِالْقَبْرِ . وَقَالَ الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ السُّبْكِيُّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الصَّلَاةُ تَسْتَدْعِي جَسَدًا حَيًّا وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهَا حَيَاةً حَقِيقَةً أَنْ تَكُونَ الْأَبْدَانُ مَعَهَا كَمَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْإِحْتِيَاجِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَعَظِيمِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ الَّتِي تُشَاهِدُهَا ، بَلْ يَكُونُ لَهَا حُكْمٌ آخَرَ " (٣) .

وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) أيضاً : " حَيَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَبْرِهِ هُوَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ مَعْلُومَةٌ عِنْدَنَا عِلْمًا قَطْعِيًّا لَمَا قَامَ عِنْدَنَا مِنَ الْأَدِلَّةِ فِي ذَلِكَ وَتَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ ، وَقَدْ أَلْفَ الْبَيْهَقِيُّ جُزْءًا فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهِمْ " (٤) .

وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) أيضاً : " وَأَخْرَجَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَارٍ فِي أَخْبَارِ الْمَدِينَةِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ ، قَالَ : لَمْ أَزَلْ أَسْمَعُ الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ فِي قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامَ الْحَرَّةِ حَتَّى عَادَ النَّاسُ " (٥) .

(١) انظر : الحاوي للفتاوي (١٨٠/٢) .

(٢) انظر : الحاوي للفتاوي (١٨٤/٢) .

(٣) انظر : حاشية السندي على سنن النسائي (٢١٣/٣) .

(٤) انظر : الحاوي للفتاوي (١٧٨/٢) .

(٥) انظر : الخصائص الكبرى (٤٩٠/٢) .

قلت : وقد روى الإمام الدارمي في سننه بسنده عن سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ أَيَّامُ الْحَرَّةِ لَمْ يُؤَدَّنْ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا ، وَلَمْ يَقُمْ ، وَلَمْ يَبْرَحْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ الْمَسْجِدَ ، وَكَانَ لَا يَعْرِفُ وَقْتُ الصَّلَاةِ إِلَّا بِهَمِّهِمْ يَسْمَعُهَا مِنْ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ مَعْنَاهُ (١) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي ، نور الدين أبو الحسن السّمهودي (٩١١هـ) : " ولا شكّ في حياته صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، وكذا سائر الأنبياء عليهم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أحياء في قبورهم حياة أكمل من حياة الشهداء التي أخبر الله تعالى بها في كتابه العزيز " (٢) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي ، نور الدين أبو الحسن السّمهودي (٩١١هـ) أيضاً : " وأما أدلة حياة الأنبياء فمقتضاها حياة الأبدان كحالة الدنيا ، مع الاستغناء عن الغذاء ، ومع قوّة النفوذ في العالم " (٣) .

وقال الإمام حسن بن عمار بن علي الشّرنبلاي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) : " ومما هو مقرّر عند المحقّقين أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ يُرْزَقُ ، مُتَمِّعٌ بِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ وَالْعِبَادَاتِ ، غَيْرَ أَنَّهُ حُجِبَ عَنْ أَبْصَارِ الْقَاصِرِينَ عَنْ شَرِيفِ الْمَقَامَاتِ . وَلَمَّا رَأَيْنَا أَكْثَرَ النَّاسِ غَافِلِينَ عَنْ آدَاءِ حَقِّ زِيَارَتِهِ ، وَمَا يَسُنُّ لِلزَّائِرِينَ مِنَ الْكَلِمَاتِ وَالْجَزَائِيَّاتِ ، أَحْبَبْنَا أَنْ نَذَكَرَ بَعْدَ الْمَنَاسِكِ وَأَدَائِهَا مَا فِيهِ نَبْذَةٌ مِنْ آدَابِ تَتَمِيمًا لِفَائِدَةِ الْكِتَابِ ، فَنَقُولُ :

ينبغي لمن قصد زيارة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكثر من الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُهَا أَوْ تَبْلُغُ إِلَيْهِ ، وَفَضْلُهَا أَشْهَرُ مِنْ أَنْ نَذَكَرَهُ ، إِذَا عَايَنَ حَيْطَانَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ يَصِلِي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ هَذَا حَرَمُ نَبِيِّكَ ، وَمَهْبَطُ وَحْيِكَ ، فَامْنَنْ عَلَيَّ بِالْذُّخُولِ فِيهِ ، وَاجْعَلْهُ وَقَايَةً لِي مِنَ النَّارِ ، وَأَمَانًا مِنَ الْعَذَابِ ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْفَائِزِينَ بِشَفَاعَةِ الْمُصْطَفَى يَوْمَ الْمَآبِ ، وَيَغْتَسِلُ قَبْلَ الدُّخُولِ أَوْ بَعْدَهُ قَبْلَ التَّوَجُّهِ لِلزِّيَارَةِ إِنْ أَمَكَنَهُ ، وَيَتَطَيَّبُ وَيَلْبَسُ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ ، تَعْظِيمًا لِلْقُدُومِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ مَا شِئًا إِنْ أَمَكَنَهُ بِلَا ضَرُورَةٍ بَعْدَ وَضْعِ رُكْبِهِ وَاطْمِئْنَانِهِ عَلَى حَشْمِهِ وَأَمْتَعْتِهِ ، مَتَوَاضِعًا بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ ، مَلَا حِظًا جَلَالَةَ الْمَكَانِ ، قَائِلًا : بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي

(١) أخرجه الدارمي (١/٢٢٧ برقم ٩٤) .

(٢) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٤/١٧٩) .

(٣) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٤/١٨١) .

مُحَرَّجٍ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿ [الإسراء: ٨٠] ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد ، إلى آخره ، واغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك وفضلك .

ثمَّ يدخل المسجد الشَّريف فيصلي تحيته عند منبره ركعتين ، ويقف بحيث يكون عمود المنبر الشَّريف بحذاء منكب الأيمن ، فهو موقف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة ، كما أخبر به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقال : " مَنْبَرِي عَلَى حَوْضِي " (١) ، فيسجدُ شكراً لله تعالى بأداء ركعتين غير تحية المسجد ، شكراً لما وفقك الله تعالى ومنَّ عليك بالوصول إليه ، ثمَّ تدعو بما شئت ، ثمَّ انفض متوجِّهاً إلى القبر الشَّريف ، فتقف بمقدار أربعة أذرع بعيداً عن المقصورة الشَّريفة بغاية الأدب ، مستدبراً القبلة ، محاذياً لرأس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ووجهه الأكرم ، ملاحظاً نظره السَّعيد إليك ، وسماعه كلامك ، وردّه عليك سلامك ، وتأمينه على دعائك ، وتقول : السَّلام عليك يا سيِّدي يا رسول الله ، السَّلام عليك يا نبيَّ الله ، السَّلام عليك يا حبيب الله ، السَّلام عليك يا نبيَّ الرَّحمة ، السَّلام عليك يا شفيح الأُمَّة ، السَّلام عليك يا سيِّد المرسلين ، السَّلام عليك يا خاتم النَّبيين ، السَّلام عليك يا مُزَّمَل ، السَّلام عليك يا مُدَّثِر ، السَّلام عليك وعلى أصولك الطَّيِّبين وأهل بيتك الطَّاهرين الذين أذهب اللهُ عنهم الرِّجس وطهَّرههم تطهيراً ، جزاك اللهُ عنَّا أفضل ما جرى نبياً عن قومه ، ورسولاً عن أمته ، أشهد أنَّك رسول الله قد بلَّغت الرِّسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأُمَّة ، وأوضحت الحجَّة ، وجاهدت في سبيل الله حقَّ جهاده ، وأقمت الدِّين حتى أتاك اليقين ، صَلَّى اللهُ عليك وَسَلَّم وعلى أشرف مكان تشرف بحلول جسمك الكريم فيه ، صلاة وسلاماً دائمين من ربِّ العالمين ، عدد ما كان وعدد ما يكون بعلم الله ، صلاة لا انقضاء لأمدها ، يا رسول الله ، نحن وفدك ، وزوَّار حرمك ، تشرفنا بالحلول بين يديك ، وقد جئناك من بلاد شاسعة ، وأمكنته بعيدة ، نقطع السَّهل والوعر ، بقصد زيارتك ، لنفوز بشفاعتك ، والنظر إلى مآثرك ومعاهدك ، والقيام بقضاء بعض حقِّك ، والاستشفاع بك إلى ربِّنا ، فإنَّ الخطايا قد قصمت ظهورنا ، والأوزار قد أثقلت كواهلنا ، وأنت الشَّافع المشفَّع ، الموعود بالشفاعة العظمى ، والمقام

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/٣٩٧ برقم ٩١٤٢) ، البخاري في الصَّحيح (٢/٦١ برقم ١١٩٦) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧/٣١٧ برقم ٢٨٧٨) ، ابن حَبَّان في الصَّحيح (٩/٦٦ برقم ٣٧٥٠) ، الأجرى في الشريعة (٥/٢٣٥٦ برقم ١٨٣٧) ، البيهقي في شعب الإيَّان (٣/٤٨٦ برقم ٤١٤٦) .



المحمود، والوسيلة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وقد جنناك ظالمين لأنفسنا، مستغفرين لذنوبنا، فاشفع لنا إلى ربك، واسأله أن يُميتنا على سنتك، وأن يحشرنا في زمرك، وأن يُوردنا حوضك، وأن يسقينا بكأسك، غير خزايا ولا ندامى، الشفاعة، الشفاعة، الشفاعة، الشفاعة يا رسول الله - يقوها ثلاثاً - ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] (١).

وقال الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني (١٢٥٠هـ): " وَقَدْ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ إِلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَأَنَّهُ يُسَرُّ بِطَاعَاتِ أُمَّتِهِ ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُبْلَوْنَ ، مَعَ أَنَّ مُطْلَقَ الْإِذْرَاكِ كَالْعِلْمِ وَالسَّمَاعِ ثَابِتٌ لِسَائِرِ الْمَوْتَى .

وَقَدْ صَحَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا : " مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُرُّ عَلَى قَبْرِ أَحِيهِ الْمُؤْمِنِ ، وَفِي رِوَايَةٍ : بِقَبْرِ الرَّجُلِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيَسَلُّمُ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ " (٢) ، وَلِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا : " إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ يَعْرِفُهُ فَيَسَلِّمُ عَلَيْهِ رَدَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَعَرَفَهُ ، وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرِ لَا يَعْرِفُهُ رَدَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - " ، وَصَحَّ : " أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْرَجُ إِلَى الْبُقْعِ لِزِيَارَةِ الْمَوْتَى وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ " .

وَوَرَدَ النَّصُّ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي حَقِّ الشُّهَدَاءِ أَنَّهُمْ أَحْيَاءُ يُرْزَقُونَ ، وَأَنَّ الْحَيَاةَ فِيهِمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْجَسَدِ ، فَكَيْفَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ . وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ : " أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَحْيَاءُ فِي قُبُورِهِمْ " ، رَوَاهُ الْمُنْدَرِيُّ وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ " (٣).

وقال الإمام محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (١٣٢٩هـ): " فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ فِي قُبُورِهِمْ أَحْيَاءُ . قَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْمَكِّيُّ : وَمَا أَفَادَهُ مِنْ ثُبُوتِ حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ حَيَاةً بِهَا يَتَعَبَّدُونَ وَيُصَلُّونَ فِي قُبُورِهِمْ مَعَ اسْتِغْنَائِهِمْ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ كَالْمَلَائِكَةِ ، أَمْرٌ لَا مَرِيَةَ فِيهِ " (٤) .  
فمن خلال ما تقدم بيانه علمنا أن القرآن والسنة دلاً على حياة الأنبياء، والتوسل بالحي لا خلاف فيه ...

(١) انظر: مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (ص ٢٨٣-٢٨٤).

(٢) انظر: الاستدكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلما الأفطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار (١٦٦/٢ برقم ١٨٥٨)، وانظر: تاريخ بغداد (٥٩/٧) ترجمة رقم (٣١٢٨).

(٣) انظر: نيل الأوطار (٣/٢٩٥).

(٤) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته (٣/٢٦١).

ومن جهة أخرى فقد ذكر القرآن العظيم ما يفيد ويدل على حياة عموم الأموات ، ونقل بعض أهل العلم الإجماع على إثبات إحياء الله تعالى لعموم الموتى في قبورهم ...

قال الإمام علي بن محمد بن سالم المعروف بسيف الدين الأمدي (٦٣١هـ) : " إتفق سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، وأكثرهم بعد ظهوره ، على إثبات إحياء الموتى في قبورهم " (١) .

وقال الإمام المجتهد تقي الدين السبكي (٧٥٦هـ) : " وقد أجمع أهل السنة على إثبات الحياة في القبور ؛ قال إمام الحرمين في " الشامل " : اتفق سلف الأمة على إثبات عذاب القبر ، وإحياء الموتى في قبورهم ، ورد الأرواح في أجسادهم " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ) : " وأن الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره برد الحياة إليه ، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ، ليعقل ما يسأل عنه ، وما يجيب به ، ويفهم ما أتاه من ربه ، وما أعد له في قبره من كرامة أو هوان . وبهذا نطق الأخبار عن النبي المختار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله آناء الليل وأطراف النهار ، وهذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل الملة . ولم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبئهم عليه السلام غير ما ذكرنا . وكذلك التابعون بعدهم إلى هلم جراً " (٣) .

وذكر أهل العلم أن الموتى يتزاورون ، قال الإمام البيهقي : " أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، نَا مِمَّتَامَ ، نَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَرَّاقُ ، نَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ ، نَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ ، عَنِ أَبِي قَتَادَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ وَلِيَ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ ، فَإِنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا " . وَهَذَا إِنْ صَحَّ لَمْ يُخَالِفْ قَوْلَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الْكَفَنِ ، إِنَّهَا هُوَ لِلْمُهْلِ ، يَعْنِي الصِّدِيدَ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي رُؤْيَيْنَا ، وَيَكُونُ كَمَا شَاءَ اللهُ فِي عِلْمِ اللهِ ، كَمَا قَالَ فِي الشَّهَادَةِ : ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ،

(١) انظر : أباكار الأفكار في أصول الدين (٣/ ٢٥٣) .

(٢) انظر : شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص ١٦٨) .

(٣) انظر : التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٣٦٩) .

وَهُوَ ذَا يَرَاهُمْ يَتَسَحَّطُونَ فِي الدَّمَاءِ ، ثُمَّ يُفْتَنُونَ ، وَإِنَّمَا يَكُونُونَ كَذَلِكَ فِي رُؤْيَيْنَا ، وَيَكُونُونَ فِي الْعَيْبِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَلَوْ كَانُوا فِي رُؤْيَيْنَا كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَارْتَفَعَ الْإِيمَانُ بِالْعَيْبِ " (١) .

وورد أن الأموات يقرأون القرآن في قبورهم ، فقد روي عن ابن عباس ، قَالَ : صَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِبَاءَهُ عَلَى قَبْرِ وَهُوَ لَا يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي صَرَبْتُ خِبَائِي عَلَى قَبْرِ وَأَنَا لَا أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الْمَلِكُ حَتَّى خَتَمَهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هِيَ الْمَانِعَةُ ، هِيَ الْمُنْجِيَةُ ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ " (٢) .

وورد ما يدل على أن الأموات يرون ... فقد روي عن عائشة رضي الله عنها ، قَالَتْ : كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبِي فَأَصْعُقُ ثَوْبِي ، وَأَقُولُ إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي ، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَأَوَّاهُ مَا دَخَلْتُهُ إِلَّا وَأَنَا مَسْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي ، حَيَاءً مِنْ عُمَرَ " (٣) .

وورد أن الأموات يدركون ... فقد ورد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ : " إِيْمَهُمَا لِيَعْدَبَانِ ، وَمَا يُعْدَبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ " ، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً ، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : " لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهَا مَا لَمْ يَبْسَسَا " (٤) .

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١١/٤٥٨ برقم ٨٨٣٠) .  
 (٢) أخرجه الترمذي (٥/١٤ برقم ٢٨٩٠) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، الْبِزَارُ فِي الْمُسْنَدِ (١١/٤٣٩ برقم ٥٣٠٠) ، الطبراني في الكبير (١٢/١٧٤ برقم ١٢٨٠١) ، البيهقي في إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين (ص ٩٩ برقم ١٥٠) ، دلائل النبوة (٧/٤١) ، الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/٨١) .

(٣) أخرجه أحمد (٤٢/٤٤١ برقم ٢٥٦٦٠) ، قال الأرئوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين " ، الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٣/٦٣ برقم ٤٤٠٢) ، وقال : " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى سَرَطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَجْرَجَاهُ " ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/٣٧ برقم ١٤٢٧٤) .

(٤) أخرجه البخاري (١/٥٣ برقم ٢١٨) ، مسلم (١/٢٤٠ برقم ٢٩٢) ، أحمد (١/٢٢٥ برقم ١٩٨٠) ، ابن أبي شيبة في المصنف (١/١٢٢ برقم ١٣١٣) ، الطيالسي في المسند (٢/١٩٨ برقم ٩٠٨) ، الدارمي (١/٥٧٣ برقم ٧٦٦) ، ابن ماجه (١/١٢٥ برقم ٣٤٧) ، البزار في المسند (٩/١٠١ برقم ٣٦٣٦) ، النسائي في السنن الكبرى (٢/٤٧٩ برقم ٢٢٠٧) ، أبو عوانة في المستخرج (١/١٦٧ برقم ٤٩٥) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٣/١٨٦ برقم ٥١٩١) ، ابن حبان (٧/٣٩٨ برقم ٣١٢٨) ، الأجرى في الشريعة (٣/١٢٨١ برقم ٨٥٠) ، الطبراني في المعجم

ورود أنهم يسمعون خطاب الأحياء لهم ، من ذلك قوله سبحانه وتعالى حاكياً خطاب صالح عليه السلام لقومه بعد أن أصبحوا جيفاً جاثمين بسبب الصيحة التي أخذتهم عن آخرهم : ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ أَخْتَنَا بِمَا تَعَدَّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ \* فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثَمِينَ \* فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨-٧٩] . والنص واضح صريح في أن خطابه معهم كان بعد أن حل بهم العذاب المهين ، حيث ذكرت الآية الكريمة مسلسل أحداث ما وقع بين صالح عليه السلام وقومه مرتبة بالفاء ﴿فَعَقَرُوا﴾ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ﴾ ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ ﴿فَتَوَلَّى﴾ ... والفاء تدل على التعقيب والترتيب ، والمعنى : أن خطابه لهم كان بعد أن أصابهم ما أصابهم من العذاب الذي طالبوا به نبيهم صالح ... فقد خاطبهم صالح عليه السلام تماماً كما خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم قتل المشركين في بدر ... وتكرر هذا المشهد في قصة شعيب عليه السلام مع قومه ، قال تعالى : ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثَمِينَ \* الَّذِينَ كَذَبُوا شَعْبًا كَانُوا لَمْ يَعْمُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شَعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ \* فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأْتُمْ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩١-٩٣] ، فصالح وشعيب عليهما السلام خاطب كل واحد منهما قومه بعد أن أصبحوا جثماً هامدة ، ومن المستحيل أن يكون خطابهم لمن لا يسمع الخطاب ، يدل على ذلك ما جاء في الحديث الصحيح من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مَا أَقُولُ مِنْهُمْ " ، وسيأتي ...

كما دلت أحاديث السنة المطهرة على أن الأموات يسمعون ، بل ذهب بعض أهل العلم إلى أن أحاديث سماع الأموات لكلام الأحياء متواترة ، وقالوا : إن الميت بعد موته يسمع كلام الأحياء ، قال الإمام عبد الله بن الصديق الغماري في سياق حديثه عن الروايات الواردة في سماع الموتى : " والآثار في هذا الباب كثيرة متواترة عن الصحابة والتابعين وأتباعهم ، وهي في " كتاب القبور " لابن أبي الدنيا ، وكتاب " من عاش بعد الموت " له

الكبير (٢١٦/٨ برقم ٧٨٦٩) ، ابن مندة في الإيمان (٩٦٩/٢ برقم ١٠٧١) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٢٠٤/٦ برقم ٢١٣٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (٥٧٧/٢ برقم ٤١٣٩) ، السنن الصغير (٣٢/١ برقم ٤٩) ، إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين (ص ٨٦ برقم ١١٧) ، البيهقي في شعب الإيمان (٤٣٧/١٣ برقم ١٠٥٨٨) ، البغوي في شرح السنة (٣٧٠/١ برقم ١٨٣) ، أبو عوانة في المسند (١٦٧/١ برقم ٤٩٥) ، ابن المبارك في الزهد (٤٣٣/١ برقم ١٢٢٠) ، هناد بن السري الكوفي في الزهد (٥٧٦/٢ برقم ١٢١٣) .

أيضاً، و" كتاب العاقبة " للحافظ عبد الحق الإشبيلي، وكتاب " أهوال القبور " للحافظ ابن رجب، وكتاب " الروح " لابن القيم، وكتاب " شرح الصدور " للحافظ السيوطي، وغيرها " (١).

ومآ جاء في السنة المطهرة من ذلك :

**الدليل الأول :** عَنْ فَتَادَةَ، قَالَ : ذَكَرْنَا لَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ ، فَعَدُّوا فِي طَوِيِّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ حَبِيبٌ مُحْبِثٌ ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرَصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، فَلَمَّا كَانَ يَبْدُرُ الْيَوْمَ الثَّلَاثِ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا ، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ ، وَقَالُوا : مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ : " يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، أَيَسُرُّكُمْ أَنْكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ " . (٢)

وفي هذا الحديث أقسم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الموتى الذين خاطبهم أسمع وأوعى لكلامه ممن كان معه من الصحابة الكرام ... ، فالحديث نصٌ صحيحٌ صريحٌ في سماع الموتى لكلام الأحياء ، ... ، وليس للحديث وجه للقول بالخصوصية ، لأنَّ القول بخصوصية سماع أهل القلب يحتاج لدليل التخصيص ، ولا دليل ...

ولا يشوش على السماع الوارد في الحديث ما رواه البخاري وغيره بسندهم عن السيدة عائشة رضي الله عنها ... فقد جاء في البخاري : " حَدَّثَنِي عُثْمَانُ ، حَدَّثَنَا عَبْدُهُ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، قَالَ : وَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَلْبِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : " هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ " ثُمَّ قَالَ : " أَنْتُمْ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ " ، فَذَكَرَ لِعَائِشَةَ ، فَقَالَتْ : إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنْتُمْ الْآنَ

(١) انظر : الرد المحكم المتين في الرد على القول المبين (ص ٢٣٢-٢٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٦/٥ برقم ٣٩٧٦)، أحد في المسند (٢٠/٤ برقم ١٦٤٧٣)، ابن حبان (٩٩/١١ برقم ٤٧٧٨)، البغوي في شرح السنة

(٣٨٣/١٣ برقم ٣٧٧٩)، البيهقي في الدلائل (٩٢/٣)، أبو يعلى في المسند (٢١/٣ برقم ١٤٣١)، الروياني في المسند (١٥٦/٢ برقم ٩٧٩).

لِيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ هُمْ هُوَ الْحَقُّ " ، ثُمَّ قَرَأَتْ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الضَّمَّةَ الدَّعَاةَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل : ٨٠] ، حَتَّى قَرَأَتْ الْآيَةَ " (١) .

ويردُّ على هذا التَّشْوِيشِ : أَنَّ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَتَأَوَّلَةٌ بِنَفْسِهَا ، وَالْمَثْبُوتُ مَقْدَمٌ عَلَى النَّافِي ، كَمَا أَنَّ رِوَايَةَ الْعَدْلِ لَا تَرُدُّ بِالتَّأْوِيلِ ، وَقَدْ جَاءَ عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا يَقْتَضِي رَجُوعَهَا عَنِ تَأْوِيلِهَا السَّابِقِ لِلسَّمَاعِ ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ " وَمِنَ الْعَرَبِ أَنْ فِي الْمَغَازِي لِابْنِ إِسْحَاقَ رِوَايَةَ يُونُسَ بْنِ بَكَيْرٍ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عَنْ عَائِشَةَ مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي طَلْحَةَ وَفِيهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعٍ لَمَّا أَقُولُ مِنْهُمْ وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ فَإِنَّ كَانَ مُحْفُوظًا فَكَأَنَّهَا رَجَعَتْ عَنِ الْإِنْكَارِ لَمَّا ثَبَتَ عِنْدَهَا مِنْ رِوَايَةِ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ لِكُونِهَا لَمْ تَشْهَدِ الْقِصَّةَ " (٢) .  
وقال الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (٥٨١هـ) : " وَعَائِشَةُ لَمْ تَحْضُرْ وَعَظِيمًا مِمَّنْ حَضَرَ أَخْفَظُ لِلْفُطْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ " (٣) .

وقال الإمام زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَّلامِي ، البَغْدَادِي ، ثُمَّ الدَّمَشْقِي ، الْحَنْبَلِي (٧٩٥هـ) : " وَذَهَبَ طَوَائِفٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ - وَهَمُّ الْأَكْثَرُونَ - وَهُوَ اخْتِيَارُ الطَّبْرِيِّ وَغَيْرِهِ ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ ابْنُ قَتَيْبَةَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَهَؤُلَاءِ يَحْتَجُّونَ بِحَدِيثِ الْقَلَيْبِ ، كَمَا سَبَقَ ، وَلَيْسَ هُوَ بِوَهْمٍ مِمَّنْ رَوَاهُ ، فَإِنَّ ابْنَ عَمْرٍو وَأَبَا طَلْحَةَ وَغَيْرَهُمَا مِمَّنْ شَهِدَ الْقِصَّةَ حِكَايَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَائِشَةُ لَمْ تَشْهَدْ ذَلِكَ ، وَرِوَايَتُهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " أَمَّهُمْ لِيَعْلَمُونَ الْآنَ ، أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ " ، يُؤَيِّدُ رِوَايَةَ مَنْ رَوَى : أَنَّهُمْ لِيَسْمَعُونَ وَلَا يَنَافِيهِ ، فَإِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا جَازَ أَنْ يَعْلَمَ جَازَ أَنْ يَسْمَعَ ، لِأَنَّ الْمَوْتَ يَنَافِي الْعِلْمَ ، كَمَا يَنَافِي السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ، فَلَوْ كَانَ مَانِعًا مِنَ الْبَعْضِ لَكَانَ مَانِعًا مِنَ الْجَمِيعِ " (٤) .

وقد تعرَّضَ الإمام ابن تيمية لهذه المسألة ، وَذَكَرَ أَنَّ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ تَأَوَّلَتْ فِي حَدِيثِهَا الْمَعَارِضَ لِلرَّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ ، فَقَالَ : " وَالنَّصُّ الصَّحِيحُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقَدَّمٌ عَلَى تَأْوِيلٍ مَنْ تَأَوَّلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِ ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَا يَنْفِي ذَلِكَ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ [النمل : ٨٠] ، إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ السَّمَاعَ الْمُعْتَادَ الَّذِي يَنْفَعُ صَاحِبَهُ ، فَإِنَّ هَذَا مِثْلُ ضَرْبٍ لِلْكَفَّارِ ، وَالْكَفَّارُ تَسْمَعُ الصَّوْتَ لَكِنْ لَا تَسْمَعُ سَمَاعَ قَبُولٍ بِفَقْهِ وَاتِّبَاعِ

(١) أخرجه البخاري (٧٧/٥ برقم ٣٩٨٠) ، مسلم (٢/٦٤٣ برقم ٩٣٢) .

(٢) انظر : فتح الباري (٧/٣٠٣-٣٠٤) .

(٣) انظر : الروض الأنف في شرح السيرة النبوية (٥/١٧٥) .

(٤) انظر : أهوال القبور (ص ٨٠-٨١) .

، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقُ يَمًا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْرٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة : ١٧١] . فَهَكَذَا الْمُوتَى الَّذِينَ صَرَبَ هُمْ الْمَثَلُ ، لَا يَجِبُ أَنْ يُنْفَى عَنْهُمْ جَمِيعُ السَّمَاعِ الْمُعْتَادِ أَنْوَاعِ السَّمَاعِ ، كَمَا لَمْ يُنْفَ ذَلِكَ عَنِ الْكُفَّارِ ؛ بَلْ قَدْ انْتَفَى عَنْهُمْ السَّمَاعُ الْمُعْتَادُ الَّذِي يَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وَأَمَّا سَمَاعٌ آخَرَ فَلَا يُنْفَى عَنْهُمْ . وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا : أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ حَقَقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ، فَهَذَا مُوَافِقٌ لِهَذَا ، فَكَيْفَ يَدْفَعُ ذَلِكَ ؟ " (١) .

وفي كتابه : " الرَّدُّ الْمُحْكَمُ الْمُتَيْنِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْقَوْلِ الْمُبِينِ " ، ناقش الإمام عبد الله بن الصديق الغماري مسألة إنكار عائشة رضي الله عنها لسماع الأموات ، وذكر أنه لا ينهض دليلاً في المسألة ، وذكر في رده ستة وجوه ... (١)

**الدليل الثاني :** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْقُبْرَةَ ، فَقَالَ : " السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا " ، قَالُوا : أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : " أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ ... " (٢) .

وروى مسلم ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بَرِيدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ ، فَكَانَ قَاتِلُهُمْ يَقُولُ - فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ - : السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ ، - وَفِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ - : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِلْآحِقُونَ ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ " (٤) .

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ٢٩٨-٢٩٩) .

(١) انظر : الرد المحكم المتين في الرد على القول المبين (ص ٢٣٧-٢٣٨) .

(٢) أخرجه الربيع بن حبيب في المسند (ص ٢٧ برقم ٤٣) ، مالك في الموطأ (١/ ٢٨ برقم ٢٨) ، مسلم (١/ ٢١٨ برقم ٢٤٩) ، ابن خزيمة في الصَّحِيح (١/ ٦ برقم ٦) ، أبو عوانة في المستخرج (١/ ١٢٢ برقم ٣٦٠) ، أبو يعلى في المسند (١١/ ٣٨٧ برقم ٦٥٠٢) ، البيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٣٣ برقم ٣٨٨) .

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٥٧١ برقم ٩٥٧) .

وروى ابن أبي شيبة وغيره بسندهم عن ابن عمر ، أنه كان إذا أراد أن يخرجَ دخلَ المسجدَ فصلَّى ، ثم أتى قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ ... " (١) .

وفي الحديث أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاطب أهل القبور بقوله : " السَّلَامُ عَلَيْكُمْ " ، وقوله : " وإنا إن شاء الله بكم لاحقون " ، وهذا يدلُّ دلالة واضحة بيّنة على أنهم يسمعون سلامه وكلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ولو لم يكونوا يسمعون السَّلَامَ ، لم يكن لسلامه ولا لكلامه أي معنى ، ولكان بمثابة مخاطبة من لا يعي ولا يعقل ، أو بمثابة خطاب الجمادات ، وهذا عبثٌ ، والرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعبث ...

كما نصَّ أهل العلم على أن الميِّت يعرف من يزوره ، ويردُّ عليه السَّلَامَ ، قال الإمام ابن تيمية : " وَالْمَيِّتُ قَدْ يَعْرِفُ مَنْ يَزُورُهُ ، وَهَذَا كَانَتْ السُّنَّةُ أَنْ يُقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، أَهْلَ دَارِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَآحِقُونَ . وَيَرَحِّمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَمِنْكُمْ ، وَالْمُسْتَأْخِرِينَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " (٢) .

وقال الإمام ابن القيم : " وقد شرع النَّبِيُّ لِأُمَّتِهِ إِذَا سَلَّمُوا عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ أَنْ يَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ سَلَامَ مَنْ يَخَاطَبُونَهُ ، فيقول : " السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دار قوم مؤمنين " ، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد .

والسَّلَفُ مجمعون على هذا ، وقد تواترت الآثار عنهم بأنَّ الميِّت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به .

قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا في " كتاب القبور " : باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء : حدَّثنا محمد بن عون ، حدَّثنا يحيى بن بيان ، عن عبد الله بن سمعان ، عن زيد بن أسلم ، عن عائشة ، رضى الله تعالى عنها ، قالت : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ما من رجلٍ يزور قبر أخيه ، ويجلس عنده ، إلاَّ استأنس به وردَّ عليه حتى يقوم " .

حدَّثنا محمد بن قدامة الجوهري ، حدَّثنا معن بن عيسى القزاز ، أخبرنا هشام بن سعد ، حدَّثنا زيد بن أسلم ، عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ، قال : " إذا مرَّ الرجلُ بقبر أخيه يعرفه ، فسَلِّم عليه ، ردَّ عليه السَّلَامَ وعرفه ، وإذا مرَّ بقبرٍ لا يعرفه ، فسَلِّم عليه ، ردَّ عليه السَّلَامَ ... ويكفي في هذا تسمية المسلم عليهم زائراً ،

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/٢٨ برقم ١١٧٩٣) ، عبد الرزاق في المصنف (٣/٥٧٦ برقم ٦٧٢٤) ، البيهقي في السنن الكبرى (٥/٤٠٢ برقم ١٠٢٧١) ، السنن الصغير (٢/٢١٠ برقم ١٧٧٠) .

(٢) انظر : الفتاوى الكبرى (٣/٢٦) .

ولولا أنهم يشعرون به لما صحَّ تسميته زائراً ، فإنَّ المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره ، لم يصح أن يقال : زاره ، هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم ، وكذلك السَّلام عليهم أيضاً ، فإنَّ السَّلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال . وقد علَّم النَّبيُّ أُمَّته إذا زاروا القبور أن يقولوا : " سلام عليكم أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين ، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية " .

وهذا السَّلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ، ويُخاطب ، ويعقل ، ويردُّوا إن لم يسمع المسلم الرَّد ، وإذا صَلَّى الرَّجُل قريباَ منهم شاهده ، وعلموا صلواته ، وغبطوه على ذلك " (١) .

**الدَّلِيلُ الثَّلَاثُ :** عن أَنَسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاوَرَ النَّاسَ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِيَّانَا تُرِيدُ ؟ فَقَالَ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لِأَخْضَانَهَا ، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْعِمَادِ فَعَلْنَا ، فَشَأْنُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَدَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ ، فَانْطَلَقَ حَتَّى نَزَلَ بَدْرًا وَجَاءَتْ رَوَايَا فُرَيْشٍ ، وَفِيهِمْ غُلَامٌ لِبَنِي الْحُجَّاجِ أَسْوَدٌ ، فَأَخَذَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلُوهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : أَمَا أَبُو سُفْيَانَ ، فَلَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَلَكِنْ هَذِهِ فُرَيْشٌ ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ قَدْ جَاءَتْ . فَيَضْرِبُونَهُ ، فَإِذَا ضَرَبُونَهُ قَالَ : نَعَمْ هَذَا أَبُو سُفْيَانَ ، فَإِذَا تَرَكُوهُ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ : مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ مِنْ عِلْمٍ ، وَلَكِنْ هَذِهِ فُرَيْشٌ قَدْ جَاءَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي ، فَانْصَرَفَ ، فَقَالَ : " إِنَّكُمْ لَتَضْرِبُونَهُ إِذَا صَدَقْتُمْ ، وَتَدْعُونَهُ إِذَا كَذَبْتُمْ " . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ فَوَضَعَهَا ، فَقَالَ : " هَذَا مَضْرُوعٌ فُلَانٍ عَدَا ، وَهَذَا مَضْرُوعٌ فُلَانٍ عَدَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى " . فَالْتَقُوا فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَوَاللَّهِ مَا أَمَاطَ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَنْ مَوْضِعِ كَفِّي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَقَدْ جَيَّفُوا فَقَالَ : " يَا أَبَا جَهْلٍ يَا عُبَيْهَ يَا سَيْبَةَ يَا أُمِيَّةُ : هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدْتُمْ رَبِّيكُمْ حَقًّا ؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا " . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَدْعُوهُمْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَقَدْ جَيَّفُوا ؟ فَقَالَ : " مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ جَوَابًا " . فَأَمَرَ بِهِمْ ، فَجَرُّوا بِأَرْجُلِهِمْ ، فَأَلْفُوا فِي قَلْبِ بَدْرٍ " (٢) .

(١) انظر : الرُّوح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (ص ٥) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢١/٢١) برقم ١٣٢٩٦ ، قال الأرئووط : إنسانه صحيح على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد - وهو ابن سلمة - فمن رجال مسلم . عبد الصمد : هو ابن عبد الوارث . وأخرجه مطولاً ومختصراً مسلم (٢٨٧٤) ، وأبو يعلى (٣٣٢٦) ، وابن

فالحديث نصٌّ صريحٌ صحيحٌ في سماع الأُموات ، في الوقت الذي لا يوجد في السُّنَّة المطهَّرة ما ينفيه أو يخصِّصه ، والسلفُ مُجمعون على هذا . وقد تواترت الآثار عنهم بأنَّ الميتَّ يعرفُ زيارة الحيِّ له ويستبشرُ به . قال أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن عبيد بن أبي الدُّنيا في " كتاب القبور " ، باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء :

حدَّثنا محمَّد بن عون ، حدَّثنا يحيى بن يمان ، عن عبد الله بن سمعان ، عن زيد بن أسلم ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، قالت : قال رسول الله : " ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به وردَّ عليه حتى يقوم " .

حدَّثنا محمَّد بن قدامة الجوهري ، حدَّثنا معن بن عيسى القزاز ، أخبرنا هشام بن سعد ، حدَّثنا زيد بن أسلم ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، قال : إذا مرَّ الرَّجل بقبر أخيه يعرفه فسلمَّ عليه ردَّ عليه السَّلام وعرفه ، وإذا مرَّ بقبر لا يعرفه فسلمَّ عليه ردَّ عليه السَّلام (١) .

هذا ما قاله ابن القيم في هذه المسألة التي لا يُوافق على مفرداتها من يدَّعون السُّلفيَّة في هذا الزَّمان الذي أشاعوا فيه الفوضى والفتن التي غدت بترَّهاتهم وتشنُّجاتهم كقطع الليل المُظلم ... والغريب في الأمر أنَّ الحديث والأثر اللذين نقلهما الإمام ابن القيم عن الإمام ابن أبي الدُّنيا قد تمت إزالتها من مجموعة كتب ابن أبي الدُّنيا الموجودة في المكتبة السَّاملة / الإصدار السَّادس ... وهذا هو دينهم وديدهم ، حيث أفتى لهم علماءهم بمثل هذا التَّحريف والعبث بكتب أهل العلم التي اشتملت على ما يُخالف مذهبهم ومنهجهم ... وهذه هي السُّلفيَّة في ثوبها الجديد القديم ...

**الدَّليْل الرَّابِعُ :** أنَّه لو كان الأُموات ومنهم الرِّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يسمعون توَسُّل المتوسِّلين ، وسلام المسلِّمين ، كما زعم مدَّعو السُّلفيَّة ، فإنَّ من اللغو والعبث أن يخاطب المسلمون الرِّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاتهم قائلين : " السَّلام عليك أيُّها النَّبي ورحمة الله وبركاته " !؟

فقد روى البخاري ، قال : حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : حدَّثنا الأعمشُ ، عن شقيق بن سلمة ، قال : قال عبْدُ اللهِ : كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قُلْنَا : السَّلام على جِبريلَ وميكائيلَ السَّلام على فلانٍ وفلانٍ ، فَالتَفَّتْ إِلَيْنَا رِسْولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : " إِنَّ اللهُ هُوَ السَّلام ، فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ ، فَلْيُقَلِّ :

حبان (٤٧٢٢) و (٦٤٩٨) من طريق هذبة بن خالد ، وأبو داود (٢٦٨١) ، والبيهقي في " السنن " ١٤٧/٩ - ١٤٨ ، وفي " الدلائل " ٤٦/٣ من طريق موسى بن إسماعيل ، كلاهما عن حماد بن سلمة ، بهذا الإسناد .

(١) انظر : الرُّوح في الكلام على أرواح الأُموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (ص ٥) .

التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ " (١) .

وروى مسلم وغيره بسندهم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَكَانَ يَقُولُ : التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ " (٢) . وروى مثله عن عبد الله بن مسعود وجابر ...

قال الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (٤٥٦هـ) : " وَكَذَلِكَ مَا أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَجَاءَ بِهِ النَّصُّ مِنْ قَوْلِ كُلِّ مَصْلٍّ فَرْضاً أَوْ نَافِلَةً : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ رُوحُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَوْجُوداً قَائِماً ، لَكَانَ السَّلَامُ عَلَى الْعَدَمِ هَدِيراً " (٣) .

وهذه صاعقة أفضت مضاجعهم ، وهدت أركانهم ، وهدمت بُنيانهم ، وشئت أفكارهم ، فما كان من الألباني إلا أن أسعفهم برواية شاذة ضعيفة رويت عن ابن عمر وابن مسعود ، بلفظ : " السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ " (٤) . فتشبت بها المتمسلفون متنكرين وجاحدين وشائحين بوجوههم عمّا روي في الصحيحين من مناداته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مغيّرين صيغة السَّلَامِ فِي صَلَاةِ الْمُسْلِمِينَ ، من الخطاب إلى الغيبة !

وقد تبع الألباني في ذلك بعض المتمسلفة كالمدعو مشهور حسن ، الذي قال : " غلط قول السَّلَامِ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ فِي التَّشَهُدِ " (٥) .

هذا ما قاله متمسلفة هذا الزمان ، وهم في قولهم متنكرين لما جاء في الصحيحين من حديثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والذي التزمه السلف ، كما نقل ابن عباس في رواية مسلم : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا

(١) أخرجه البخاري (١٦٦/١) برقم (٨٣١) .

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٢/١) برقم (٤٠٣) ، ابن ماجه (٢٩١/١) برقم (٩٠٠) ، ابن حبان (٢٨٤/٥) برقم (١٩٥٤) ، البيهقي في معرفة السنن والآثار (٥٤/٣) برقم (٣٦٥٦) .

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٧٦/١) .

(٤) انظر : تلخيص صفة صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (ص ٢٩) ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٢٧/٢) .

(٥) انظر : القول المبين في أخطاء المصلين (ص ١٥٢) .

التَّشْهَدُ كَمَا يَعْلَمُنَا السُّورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ ... " . فهل تعليم الرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان خاصاً بالصَّحابة أم أن قوله تشريع لعموم الأمة؟!؟! فلماذا هذا اللي لأعناق النصوص أيها اللصوص ...

وقد ردَّ على الألباني الإمام عبد الله بن الصديق الغماري في رسالته: " إرغام المبتدع الغبي بجواز التَّوَسُّل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، فقال: " ... تواتر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعليم التَّشْهَد في الصَّلَاة ، وفيه السَّلَام عليه بالخطاب ونداؤه " السَّلَام عليك أيها النبي " وبهذه الصِّيغة علمه على المنبر النبوي أبو بكر وعمر وابن الزبير ومعاوية ، واستقرَّ عليه الإجماع كما يقول ابن حزم وابن تيمية!

والألباني لابتداعه خالف هذا كله ، وتمسك بقول ابن مسعود ، " فلما مات قلنا : السَّلَام على النبي " ، ومخالفة التواتر والإجماع هي عين الابتداع " (١) .

**الدَّلِيلُ الْخَامِسُ** : روى أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣هـ) ، قال : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عُبَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قِرَاءَةً مِنِّي عَلَيْهِ سَنَةَ تِسْعِينَ وَثَلَاثِينَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، قَالَ : أَمَلْتُ عَلَيْنَا فَاطِمَةُ بِنْتُ الرَّبَّانِ الْمُسْتَمَلِيَّ فِي دَارِهَا بِمَضْرٍ فِي شَوَالِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ ، قَالَتْ : حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُؤَدَّنُ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَا مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَام " (٢) .

وقد حكم أهل العلم بصحة الحديث السابق ، وأنَّ الأموات يسمعون من يسلم عليهم عند زيارته لهم ، وكذا يردُّ عليه السَّلَام ، وفي ذلك يقول الإمام ابن قيم الجوزية : " الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى : وَهِيَ هَلْ تَعْرِفُ الْأَمْوَاتُ زِيَارَةَ الْأَحْيَاءِ وَسَلَامَهُمْ أَمْ لَا ؟ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُرُّ عَلَى قَبْرِ أَخِيهِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيَسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَام " . فَهَذَا نَصٌّ فِي أَنَّهُ يَعْرِفُهُ (٣) بِعَيْنِهِ وَيَرُدُّ

(١) انظر : إرغام المبتدع الغبي بجواز التَّوَسُّل بالنبي (ص ١٩) .

(٢) انظر : الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلما الأقطار فيما تضمنته الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والإختصار (٢/١٦٦ برقم ١٨٥٨) ، وانظر : تاريخ بغداد (٧/٥٩ ترجمة رقم ٣١٢٨) .

(٣) للأسف ... تمَّ شطب كلمة (يعرفه) من نسخة " الرُّوح " الموجودة في المكتبة الشاملة (طبعة دار الكتب العلميَّة ، بيروت) ، وما أرى العيب إلا متعمداً لأنَّه يتعارض مع الفكر الوهابي في هذه المسألة ... (انظر : الرُّوح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ، ابن قيم الجوزية ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ص ٢١) .

عَلَيْهِ السَّلَام ... وَيَكْفِي فِي هَذَا تَسْمِيَةِ الْمُسْلِمِ عَلَيْهِمْ زَائِرًا ، وَلَوْ لَا أَنَّهُمْ يَشْعُرُونَ بِهِ لَمَا صَحَّ تَسْمِيَتَهُ زَائِرًا ، فَإِنَّ الْمَزُورَ إِنْ لَمْ يَعْلَمْ بَزِيَارَةَ مَنْ زَارَهُ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُقَالَ : زَارَهُ ، هَذَا هُوَ الْمَعْقُولُ مِنَ الزَّيَارَةِ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، وَكَذَلِكَ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ أَيْضًا ، فَإِنَّ السَّلَامَ عَلَى مَنْ لَا يَشْعُرُ وَلَا يَعْلَمُ بِالْمُسْلِمِ مُحَالٌ . وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ أُمَّتَهُ إِذَا زَارُوا الْقُبُورَ أَنْ يَقُولُوا : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَفْدِمِينَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَالْمُسْتَأَخِرِينَ ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ . وَهَذَا السَّلَامُ وَالْحُطَابُ وَالنَّدَاءُ لِمَوْجُودٍ يَسْمَعُ ، وَيَخَاطَبُ ، وَيَعْقُلُ ، وَيَرُدُّ ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ الْمُسْلِمَ الرَّدَّ ، وَإِذَا صَلَّى الرَّجُلُ قَرِيبًا مِنْهُمْ شَاهِدُوهُ ، وَعَلِّمُوا صَلَاتَهُ ، وَغَبُوهُ عَلَى ذَلِكَ .

قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ : أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ : أَنَّ ابْنَ سَاسٍ خَرَجَ فِي جَنَازَةٍ فِي يَوْمٍ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ خَفَافٌ ، فَأَتَتْهُ إِلَى قَبْرِ ، قَالَ : فَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ اتَّكَأْتُ عَلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ إِنْ قَلْبِي لَيَقْطُظَانُ إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ الْقَبْرِ : إِلَيْكَ عَنِّي لَا تُؤْذِنِي ، فَإِنَّكُمْ قَوْمٌ تَعْمَلُونَ وَلَا تَعْلَمُونَ ، وَنَحْنُ قَوْمٌ نَعْلَمُ وَلَا نَعْمَلُ ، وَلَا يَكُونُ لِي مِثْلُ رَكَعَتَيْكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا . فَهَذَا قَدْ عَلِمَ بِاتِّكَاءِ الرَّجُلِ عَلَى الْقَبْرِ وَبِصَلَاتِهِ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا : حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَجَلِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّلْتِ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ سَلِيمٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو قَلَابَةَ ، قَالَ : أَقْبَلْتُ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَتَزَلْتُ مَنْزِلًا ، فَتَطَهَّرْتُ ، وَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ بَلِيلٌ ثُمَّ وَضَعْتُ رَأْسِي عَلَى قَبْرِ ، فَنَمَتُ ثُمَّ انْتَبَهْتُ ، فَإِذَا صَاحِبُ الْقَبْرِ يَشْتَكِينِي ، يَقُولُ : قَدْ آذَيْتَنِي مُنْذُ اللَّيْلَةِ ثُمَّ قَالَ : إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ وَلَا تَعْلَمُونَ ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ وَلَا نَقْدِرُ عَلَى الْعَمَلِ ثُمَّ قَالَ : الرَّكَعَتَانِ اللَّتَانِ رَكَعَتَهُمَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ثُمَّ قَالَ : جَزَى اللَّهُ أَهْلَ الدُّنْيَا خَيْرًا ، أَقْرَبَهُمْ مِنَّا السَّلَامَ ، فَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْنَا مِنْ دُعَائِهِمْ نُورًا أَمْثَالَ الْجِبَالِ . وَحَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ الْعَجَلِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَمِيرٍ ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ ، قَالَ : خَرَجْتُ إِلَى الْجَبَانَةِ ، فَجَلَسْتُ فِيهَا ، فَإِذَا رَجُلٌ قَدْ جَاءَ إِلَى قَبْرِ فَسَوَّاهُ ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَيَّ فَجَلَسَ ، قَالَ : فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَبْرِ ؟ قَالَ : أَخِي ، فَقُلْتُ : أَخِي لَكَ ؟ فَقَالَ : أَخِي لِي فِي اللَّهِ ، رَأَيْتَهُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ ، فَقُلْتُ : فَلَنْ عَشْتُ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ : قَدْ قُلْتَهَا لِأَنَّ أَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَقُولَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ثُمَّ قَالَ : أَلَمْ تَرَ حَيْثُ كَانُوا يَدْفَنُونَنِي ؟ فَإِنَّ فَلَانًا قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، لِأَنَّ أَكُونَ أَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَصَلِّيَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ التَّمِيمِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، حَدَّثَنِي حَمِيدُ الطَّوِيلِ ، عَنْ مَطْرِفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَرْشِيِّ ، قَالَ : خَرَجْنَا إِلَى الرَّبِيعِ فِي زَمَانِهِ ، فَقُلْنَا : نَدْخُلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَشَهُودِهَا وَطَرِيقِنَا عَلَى

المقبرة ، قَالَ : فَدَخَلْنَا فَرَأَيْتَ جَنَازَةَ فِي الْمَقْبَرَةِ ، فَقُلْتَ : لَوْ اغْتَنِمْتَ شُهُودَ هَذِهِ الْجَنَازَةِ ، فَشَهِدْتَهَا ، قَالَ : فَاعْتَرَلْتَ نَاحِيَةَ قَرِيْبًا مِنْ قَبْرِ فَرَكَعْتَ رَكَعَتَيْنِ خَفَفْتَهُمَا لَمْ أَرْضِ اتِقَانَهَا وَنَعَسْتَ ، فَرَأَيْتَ صَاحِبَ الْقَبْرِ يَكَلِّمُنِي ، وَقَالَ : رَكَعْتَ رَكَعَتَيْنِ لَمْ تَرْضِ اتِقَانَهَا ؟ قُلْتَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ، قَالَ تَعْمَلُونَ وَلَا تَعْلَمُونَ ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعْمَلَ ، لِأَنْ أَكُونَ رَكَعْتَ مِثْلَ رَكَعَتَيْكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا بِحَذَا فِيرَهَا . فَقُلْتَ : مِنْ هَا هُنَا ؟ فَقَالَ : كُلُّهُمْ مُسْلِمٌ وَكُلُّهُمْ قَدْ أَصَابَ خَيْرًا . فَقُلْتَ : مِنْ هَا هُنَا أَفْضَلُ ؟ فَأَشَارَ إِلَى قَبْرِ ، فَقُلْتَ فِي نَفْسِي : اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَخْرِجْهُ إِلَيَّ فَأَكَلِمَهُ ، قَالَ : فَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ فَتَنَى شَاب ، فَقُلْتَ : أَنْتَ أَفْضَلُ مِنْ هَا هُنَا ؟ قَالَ : قَدْ قَالُوا ذَلِكَ . قُلْتَ : فَبِأَيِّ شَيْءٍ نَلْتُ ذَلِكَ ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَرَى لَكَ ذَلِكَ السَّن ، فَأَقُولُ : نَلْتُ ذَلِكَ بِطَوْلِ الْحُجِّ وَالْعَمْرَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْعَمَلِ ، قَالَ : قَدْ ابْتَلَيْتَ بِالْمَصَائِبِ فَرَزَقْتَ الصَّبْرَ عَلَيْهَا فَبِذَلِكَ فَضَلْتَهُمْ .

وهذه المرثية وإن لم تصح بمجردها لإثبات مثل ذلك ، فهي على كثرتها وأنها لا يحصيها إلا الله ، قد تواطأت على هذا المعنى . وقد قال النبي : " أرى رؤيا رؤياكم قد تواطأت على أتمها في العشر الأواخر يعني ليلة القدر " (١) . فإذا تواطأت رؤيا المؤمنين على شيء كان كتواطؤ روايتهم له ، وكتواطؤ رأيهم على استحسانه واستقباحه ، وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوه قبيحاً فهو عند الله قبيح . على أننا لم نثبت هذا بمجرّد الرؤيا ، بل بما ذكرناه من الحجج وغيرها " (٢) .

أقول : وهذه رسالة من الإمام ابن القيم نقدّمها لمتسلفة اليوم ، عليهم يرجعون إلى صوابهم ، ويعودوا عن غيهم ، وما أطلت النقل في هذه المسألة وغيرها عن ابن القيم إلا لهذا الغرض ، مع علمي التام بل يقيني أنهم لن يرجعوا ، ولن ينصتوا وينصاعوا للحق بعدما تبين ، لأننا نعلم أنهم ينطلقون في نقاشهم مع الآخرين من منطلق : كلامك خطأ لا يمتثل الصواب ، وكلامنا صواب لا يمتثل الخطأ ... ونحن ننتقل من منطلق : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَفْتُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٤] .

**الدليل السادس :** عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ قَرَعٌ نَعَاهُمْ ، أَنَاهُ مَلَكَانِ ، فَأَقْعَدَاهُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، فَيَقَالُ : انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/٠٩ برقم ٥٤٠١) ، أبو يعلى في المسند (٩/٤٠١ برقم ٥٥٤٢) .

(٢) انظر : الرّوح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (ص ٥ فبا بعدها) .

الله بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا ، وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوْ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ ، فَيَقَالُ : لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ " (١) .

والحديث فيه تصريح من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن الميت في قبره يسمع قرع نعالي من دفنوه إذا رجعوا ، وهو نص صحيح صريح في سماع الموتى ، وظاهره العموم في كل من دفن ، ولم يذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه تخصيصاً ، كما أنه يسمع كلام الملكين عند سؤالهما له في القبر ....

جاء في فتاوى الإمام ابن تيمية (٥٧٢٨هـ) : " وَسئِلُ - رَحِمَهُ اللهُ - : هَلْ الْمَيِّتُ يَسْمَعُ كَلَامَ زَائِرِهِ وَيَرَى شَخْصَهُ ؟ ... فَأَجَابَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَعَمْ يَسْمَعُ الْمَيِّتُ فِي الْجُمْلَةِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " يَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ " . وَثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنَّهُ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا ثُمَّ أَنَاهُمْ ، فَقَالَ : يَا أَبَا جَهْلٍ بْنَ هَشَامٍ ، يَا أُمَيَّةَ بْنَ حَلْفٍ ، يَا عْتَبَةَ بْنَ رِبِيعَةَ ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رِبِيعَةَ ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا " ، فَسَمِعَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَيْفَ يَسْمَعُونَ وَأَنْتَى يُجِيبُونَ وَقَدْ جُيِّبُوا ؟ فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتَ بِأَسْمَعَ مَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا " (١) ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُجِّبُوا فِي قَلْبِ بَدْرٍ . وَكَذَلِكَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ : أَنَّ

(١) أخرجه البخاري (٩٠/٢ برقم ١٣٣٨) ، مسلم (٤/٢٢٠٠ برقم ٢٨٧٠) ، أحمد في المسند (٣/١٢٦ برقم ١٢٢٩٣) ، أبو داود (٣/٢١٧ برقم ٣٢٣١) ، النسائي في السنن الكبرى (٢/٤٧٢ برقم ٢١٨٨) ، ابن حبان (٧/٣٩٠ برقم ٣١٢٠) ، الأجرى في الشريعة (٣/١٢٨٩ برقم ٨٥٩) ، ابن منده في الإبان (٢/٩٦٦ برقم ١٠٦٦) ، البيهقي في السنن الكبرى (٤/١٣٤ برقم ٧٢١٧) ، إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين (ص ٣٣ برقم ١٣) ، أبو عوانه في المسند (١/٥٣ برقم ١٩٧) ، عبد بن حميد في المسند (ص ٣٥٦ برقم ١١٨٠) .  
(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٩/٧٧ برقم ١٢٠٢٠) ، قال الأرئوط في تخريجه للمسند : " إسناده صحيح على شرط الشيخين . ابن أبي عدي : اسمه محمد بن إبراهيم .

وأخرجه عبد بن حميد (١٢١١) و (١٤٠٥) ، وابن أبي عاصم في " السنة " (٨٧٨) و (٨٧٩) و (٨٨٠) و (٨٨١) و (٨٨٢) ، والنسائي (٤/١٠٩) ، وأبو يعلى (٣٨٠٨) و (٣٨٠٩) و (٣٨٥٧) ، وابن حبان (٦٥٢٥) من طرق عن حميد الطويل ، بهذا الإسناد .  
وسياتي الحديث من طريق حميد الطويل برقم (١٢٨٧٣) و (١٣٧٧٣) ، ومن طريق قتادة برقم (١٢٤٧١) ، ومن طريق ثابت البناني برقم (١٣٢٩٦) .

وقد روي الحديث من طريق ثابت ، عن أنس ، عن عمر بن الخطاب . وقد سلف في مسنده برقم (١٨٢) .

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَى قَلْبِي بَدْرٍ ، فَقَالَ : هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ وَقَالَ : " أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ الْآنَ مَا أَقُولُ " (١) . وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِالسَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ . وَيَقُولُ : " قُولُوا السَّلَامَ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَفْدِمِينَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَالْمُسْتَأَحْرِينَ ، نَسَأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ ، وَاعْفُرْ لَنَا وَهُمْ " (٢) ، فَهَذَا خِطَابٌ لَهُمْ ، وَإِنَّمَا يُخَاطَبُ مَنْ يَسْمَعُ ، وَرَوَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ رَجُلٍ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيَسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ " . وَفِي السُّنَنِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : " أَكْثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ ؟ وَقَدْ أَرَمْتُ - يَعْنِي صَرْتُ رَمِيًّا - فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ لُحُومَ الْأَنْبِيَاءِ " . وَفِي السُّنَنِ أَنَّهُ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِقَبْرِي مَلَائِكَةً يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ " . فَهَذِهِ النُّصُوصُ وَأَمْثَالُهَا تُبَيِّنُ أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ فِي الْجُمْلَةِ كَلَامَ الْحَيِّ ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ السَّمْعُ لَهُ دَائِمًا ، بَلْ قَدْ يَسْمَعُ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ ، كَمَا قَدْ يَعْرِضُ لِلْحَيِّ ، فَإِنَّهُ قَدْ يَسْمَعُ أَحْيَانًا خِطَابَ مَنْ يُخَاطَبُهُ ، وَقَدْ لَا يَسْمَعُ لِعَارِضٍ يَعْرِضُ لَهُ ، وَهَذَا السَّمْعُ سَمْعٌ إِذْرَاكِ لَيْسَ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ جَزَاءٌ وَلَا هُوَ السَّمْعُ الْمُنْفِيُّ بِقَوْلِهِ : " إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى " ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ سَمْعَ الْقَبُولِ وَالْإِمْتِثَالِ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْكَافِرَ كَالْمَيِّتِ الَّذِي لَا

وفي الباب عن ابن عمر، سلف برقم (٤٨٦٤) .

وعن أبي طلحة، سيأتي ٢٩/٤ .

وعن عائشة، سيأتي ٢٧٦/٦ .

وعن ابن مسعود عند ابن أبي عاصم (٨٨٤) ، والطبراني في "الكبير" (١٠٣٢٠) .

قوله: " جيفوا " بتشديد الباء على بناء الفاعل، أي: صاروا جيفاً، والجيفة، بكسر الجيم: جثة الميت إذا انتن، فهو أخص من الميتة " .

(١) أخرجه أحمد في المسند (٩/ ٢٠ برقم ٤٩٥٨) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. هشام: هو ابن عروة بن الزبير .

وأخرجه ابن أبي شيبة ٣٧٧/١٤ ، والبخاري (٣٩٨٠) و (٣٩٨١) ، والنسائي في " المجتبى " ١١٠/٤ ، والطبراني في "الكبير" (١٣٢٦٣) من طريق عبدة بن سليمان، بهذا الإسناد .

وأخرجه البخاري (٣٩٧٨) ، ومسلم (٩٣٢) (٢٦) من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة، عن هشام، عن أبيه، قال: ذكر عند عائشة أن ابن عمر يرفع ... " .

(٢) أخرجه مسلم (٦٧١/٢) برقم (٩٧٥) .

يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ ، وَكَالْبَهَائِمِ الَّتِي تَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلَا تَفْقَهُ الْمَعْنَى ، فَالْمَيْتُ وَإِنْ سَمِعَ الْكَلَامَ وَفَقِهَ الْمَعْنَى ، فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُ إِجَابَةُ الدَّاعِي ، وَلَا امْتِثَالُ مَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ ، فَلَا يَنْتَفِعُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَكَذَلِكَ الْكَافِرُ لَا يَنْتَفِعُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَإِنْ سَمِعَ الْخِطَابَ وَفَهَمَ الْمَعْنَى ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣] . (١)

قلت : والحديث الذي ذكره ابن تيمية : " مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ رَجُلٍ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيَسْلَمُ عَلَيْهِ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ " . تضمَّن تحريفاً ، فنصَّ الحديث كما في " الاستذكار " هو : " مَا مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ " (١) .  
وجاء في فتاوى الإمام ابن تيمية أيضاً : " وَسئِلُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : هَلْ يَتَكَلَّمُ الْمَيْتُ فِي قَبْرِهِ ؟ أَمْ لَا ؟ . فَأَجَابَ :

يَتَكَلَّمُ وَقَدْ يَسْمَعُ أَيْضاً مِنْ كَلِمِهِ ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ قُرْعَ نِعَالِهِمْ " ، وَثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ : " أَنَّ الْمَيْتَ يُسْأَلُ فِي قَبْرِهِ : فَيَقَالُ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيُجِيبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ، فَيَقُولُ : اللَّهُ رَبِّي ، وَالْإِسْلَامُ دِينِي ، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي ، وَيُقَالُ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَأَمَّنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ " . وَهَذَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] . وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ " (٢) .

وقال الإمام محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (٧٦٣هـ) : " وَيَسْمَعُ الْمَيْتُ الْكَلَامَ ، وَلَا أَحَدَ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ عَمَّنْ سَمِعَ أَنَسًا عَنْهُ مَرْفُوعاً : " إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَسَائِرِكُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبَشَرُوا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا : اللَّهُمَّ لَا تُنْهَمَّهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا " وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعاً ، وَهُوَ ضَعِيفٌ ، قَالَ أَحْمَدُ :

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٤/٣٦٣) .

(٢) انظر : الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار (٢/١٦٦ برقم ١٨٥٨) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٢٤/٣٧٩) .



يَعْرِفُ زَائِرَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْفَجْرِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ : وَفِي الْغُنْيَةِ : يَعْرِفُهُ كُلُّ وَفْتٍ ، وَهَذَا الْوَفْتُ آكَدُ ، وَأَطْلَقَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَرْبَهَارِيُّ مِنْ مُتَقَدِّمِي أَصْحَابِنَا أَنَّهُ يَعْرِفُهُ . وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِهِ السِّرِّ الْمُصُونِ : الَّذِي يُوجِبُهُ الْقُرْآنُ وَالنَّظَرُ أَنَّ الْمَيِّتَ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُحْسِسُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] . وَمَعْلُومٌ أَنَّ آيَاتِ الْحِسِّ قَدْ فُقِدَتْ ، وَأَجَابَ عَنْ خِلَافِ هَذَا بَرْدُ الْأَرْوَاحِ ، وَالتَّعْدِيبُ عِنْدَهُ وَعِنْدَ ابْنِ عَقِيلٍ عَلَى الرُّوحِ فَقَطْ ، وَعِنْدَ الْقَاضِي يُعَذَّبُ الْبَدَنُ أَيْضًا ، وَأَنَّ اللَّهَ يُخَلِّقُ فِيهِ إِدْرَاكًا . وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَيْضًا : وَمِنْ الْجَائِزِ أَنْ يُجْعَلَ الْبَدَنُ مُعَلَّقًا بِالرُّوحِ فَيُعَذَّبُ فِي الْقَبْرِ . وَفِي الْإِفْصَاحِ فِي حَدِيثِ بُرَيْدَةَ فِي السَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الْمَقَابِرِ . قَالَ : فِيهِ وَجُوبُ الْإِيْيَانِ بِأَنَّ الْمَوْتَى يَسْمَعُونَ سَلَامَ الْمُسْلِمِ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَأْمُرَ بِالسَّلَامِ عَلَى قَوْمٍ لَا يَسْمَعُونَ .

قَالَ شَيْخُنَا : - يقصد ابن تيمية - اسْتَفَاصَتْ الْأَنْثَارُ بِمَعْرِفَتِهِ بِأَحْوَالِ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ ، وَجَاءَتْ الْأَنْثَارُ بِأَنَّهُ يَرَى أَيْضًا ، وَبِأَنَّهُ يَدْرِي بِمَا يُفْعَلُ عِنْدَهُ ، وَيُسْرُ بِمَا كَانَ حَسَنًا ، وَيَتَأَلَّمُ بِمَا كَانَ قَبِيحًا ، وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا أُخْزَى بِهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ . وَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ عِنْدَ عَائِشَةَ كَانَتْ تَسْتَتِرُ مِنْهُ وَتَقُولُ : إِنَّهَا كَانَ أَبِي وَرَوْجِي ، وَأَمَّا عُمَرُ فَأَجْنَبِي . تَعْنِي أَنَّهُ يَرَاهَا " (١) .

وسئل الإمام السيوطي (٩١١هـ) : " هل يسمع الميت كلام الناس وثناءهم عليه ، وقولهم فيه ؟ فأجاب : " نعم ... أخرج الإمام أحمد في مسنده ، والمروزي في الجنائز ، وابن أبي الدنيا ، وغيرهم من طريق أبي عامر العقدي عن عبد الملك بن الحسن المدني عن سعد بن عمرو بن سليم عن معاوية أو ابن معاوية وعن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ الْمَيِّتَ يَعْرِفُ مَنْ يَحْمِلُهُ وَمَنْ يُغَسِّلُهُ ، وَمَنْ يُدْفِنُهُ فِي قَبْرِهِ " (٢) ، وأخرجه الطبراني في الأوسط من طريق آخر عن أبي سعيد ، وأخرج ابن أبي الدنيا ، وغيره بأسانيد ،

(١) انظر : كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع (٣/ ٤١٥-٤١٦) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٧/ ٢٩ برقم ١٠٩٩٧) ، قال الأرنؤوط في تخريج المسند : " إسناده ضعيف لإبهام روايه عن أبي سعيد ، وبقية رجاله ثقات . أبو عامر : هو عبد الملك بن عمرو العقدي ، وعبد الملك بن حسن الخارثي : هو ابن أبي حكيم الجاري أبو مروان الأحول . وسعيد بن عمرو بن سليم : هو الزرقي الأنصاري ، من رجال التعجيل ، وثقه أحمد وابن معين ، وترجمه البخاري في " التَّارِيخِ الْكَبِيرِ " ٣/ ٤٩٩ ، وقال : يقال : سَعِدٌ ، وابن أبي حاتم في " الجرح والتعديل " ٤/ ٥٠ ، وذكره ابن حبان في " الثقات " ٦/ ٣٤٩ . وأخرجه الخطيب في " تاريخه " ١٢/ ٢١٢ من طريق أبي عامر العقدي ، بهذا الإسناد . وأخرجه أبو نعيم في " أخبار أصبهان " ١/ ٢٠٨ من طريق عطية العوفي ، عن أبي سعيد ، به . وعطية

عن عمرو بن دينار ، وبكر بن عبد الله المزني ، وسفيان الثوري ، وغيرهم معنى ذلك ، وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا سريج بن يونس ، ثنا عبدة بن حميد أخبرني عمار ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : قال حذيفة : الروح بيد ملك وأن الجسد ليغسل وأن الملك ليمشي معه إلى القبر ، فإذا سوي عليه سلك فيه فذلك حين يخاطب ، وقال : ثنا الحسين بن عمرو القرشي ، ثنا أبو داود الحفري ، ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : الروح بيد ملك يمشي به مع الجنزة ، يقول له : اسمع ما يقال لك ، فإذا بلغ حفرته دفنه معه " (١) .

وقال الإمام منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (١٠٥١هـ) : "... وَيَسْمَعُ الْمَيِّتَ الْكَلَامَ ، بِدَلِيلِ حَدِيثِ السَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الْمَقَابِرِ ، قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ : وَاسْتَفَاضَتْ الْأَنْثَارُ بِمَعْرِفَةِ الْمَيِّتِ بِأَحْوَالِ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ ، وَجَاءَتْ الْأَنْثَارُ بِأَنَّهُ يَرَى أَيْضًا ، وَبِأَنَّهُ يَدْرِي بِمَا فَعَلَ عِنْدَهُ ، وَيُسَّرُّ بِمَا كَانَ حَسَنًا وَيَتَأَلَّمُ بِمَا كَانَ قَبِيحًا ، وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا أُجْزَى بِهِ عِنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَوَاحَةَ ، وَكَانَ ابْنُ عَمَّةٍ . وَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ عِنْدَ عَائِشَةَ كَانَتْ تَسْتَتِرُ مِنْهُ ، وَتَقُولُ : " إِنَّمَا كَانَ أَبِي وَرَوْجِي ، فَأَمَّا عُمَرُ فَأَجَنَّبِي " . وَيَعْرِفُ الْمَيِّتُ زَائِرَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، قَالَ أَحْمَدُ . وَفِي الْغُنْيَةِ يَعْرِفُهُ كُلُّ وَقْتٍ وَهَذَا الْوَقْتُ آكَدُ ، وَيَنْتَفِعُ بِالْخَيْرِ ، وَيَتَأَدَّى بِالْمُنْكَرِ عِنْدَهُ " (٢) .

**الدليل السابع :** ما اعتاد عليه الناس من تلقين الميت في قبره ، ولولا أنهم علموا وفهموا من خلال الأدلة السابقة وغيرها أن الأموات يسمعون ، ويتكلمون بجواب منكر ونكير حين يسألونه ، لما لقنهم ، فقد روى الطبراني بسنده عن سعيد بن عبد الله الأودي ، قال : شهدت أبا أمامة رضي الله عنه وهو في النزع ، قال : إذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصنع بموتانا ، أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِذَا مَاتَ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ فَسَوِّئْتُمْ التُّرَابَ عَلَى قَبْرِهِ فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عَلَى رَأْسِ قَبْرِهِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : يَا فُلَانُ ابْنَ

ضعيف . وأورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " ٢١/٣ ، وقال : رواه أحمد ، والطبراني في " الأوسط " ، وفيه رجل لم أجد من ترجمه . وسياقي برقم (١١٦٠٠) . قال السندي : قوله : " ومن يديه " : من التولية أو الإلقاء : أي : من يدخله في قبره . وقال : لكن له شاهد في الصحيح من رواية أبي سعيد : " إذا وضعت الجنزة ، فاحتملها الرجال ، فإن كانت سالحة ، قالت : قدموني ، وإن كانت غير سالحة ، قالت لأهلها : يا ويلها ، ابن تذهبون بها " . ومثله جاء عن أبي هريرة ، والله تعالى أعلم .

(١) انظر : الحاوي للفتاوي (١٦٢/٢) .

(٢) انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع (١٦٥/٢) .

فَلَانَةَ ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُهُ وَلَا يُجِيبُ ، ثُمَّ يَقُولُ يَا فَلَانُ ابْنَ فَلَانَةَ ، فَإِنَّهُ يَسْتَوِي قَاعِدًا ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا فَلَانُ ابْنَ فَلَانَةَ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : أَرَشِدُ رَحِمَكَ اللَّهُ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ، فَلَيَقِيلُ : اذْكُرْ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّكَ رَضِيتَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا ، فَإِنَّ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا يَأْخُذُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ وَيَقُولُ : انْطَلِقْ مَا نَعُدُّ عِنْدَ مَنْ قَدْ لَقِّنَ حُجَّتَهُ ، فَيَكُونُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَاجِبَهُ دُونَهُمَا ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ أُمُّهُ قَالَ : " يَنْسُبُهُ إِلَى حَوَاءَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، يَا فَلَانُ ابْنَ حَوَاءَ " (١) .

والحديث وإن كان فيه ضعف على ما ذكر البعض ... إلا أن عليه عمل الناس في سائر الأمصار والأعصار ، قال الإمام ابن تيمية : " وروي في تلقين الميت بعد الدفن حديث فيه نظر ، لكن عمل به رجال من أهل الشام الأولين ، مع روايتهم له ، فلذلك استحبَّه أكثر أصحابنا ، وغيرهم " (٢) .

وجاء في فتاوى ابن تيمية : " وَسُئِلَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : مُقْتِي الْأَنْامِ بَقِيَّةُ السَّلَفِ الْكِرَامِ تَقِيُّ الدِّينِ بَقِيَّةُ الْمُجْتَهِدِينَ أَنَابَةُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ عَنِ تَلْقِينِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ الْفِرَاقِ مِنْ دَفْنِهِ هَلْ صَحَّ فِيهِ حَدِيثٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ عَنْ صَحَابَتِهِ ؟ وَهَلْ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ يُجَوِّزُ فِعْلَهُ ؟ أَمْ لَا ؟ .

فَأَجَابَ : هَذَا التَّلْقِينُ الْمَذْكُورِ قَدْ نُقِلَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ : أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِهِ كَأبي أمامة الباهليِّ وَغَيْرِهِ . وَرُوي فِيهِ حَدِيثٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكِنُهُ مِمَّا لَا يُحْكَمُ بِصِحَّتِهِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ كَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ يُفَعِّلُ ذَلِكَ ، فَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ : إِنَّ هَذَا التَّلْقِينِ لَا بَأْسَ بِهِ ، فَرَخَّصُوا فِيهِ وَلَمْ يَأْمُرُوا بِهِ ، وَاسْتَحَبَّه طَائِفَةٌ مِنَ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ ، وَكَرِهَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَغَيْرِهِمْ .

وَالَّذِي فِي السُّنَنِ : عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُومُ عَلَى قَبْرِ الرَّجُلِ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذَا دُفِنَ ، وَيَقُولُ : " سَلُّوا لَهُ التَّشْيِيتَ ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ " ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَقِّنُوا أَمْوَاتِكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " . فَتَلْقِينُ الْمُحْتَضِرِ سُنةٌ مَأْمُورٌ بِهَا . وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْمُقْبُورَ يُسْأَلُ وَيُمْتَحَنُ وَأَنَّهُ يُؤْمَرُ بِالدُّعَاءِ لَهُ ؛ فَلِهَذَا قِيلَ : إِنَّ التَّلْقِينِ يَنْفَعُهُ ، فَإِنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ . كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " أَنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ " ، وَأَنَّهُ قَالَ : " مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعُ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ " وَأَنَّهُ أَمَرَنَا بِالسَّلَامِ عَلَى

(١) أخرجه الطبراني في الدعاء (ص ٣٦٤ برقم ١٢١٤) ، المعجم الكبير (٨/ ٢٤٩ برقم ٧٩٧٩) .

(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ١٧٩) .

الموتى . فَقَالَ : " مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ الرَّجُلِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيَسْلُمُ عَلَيْهِ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ " ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " .

وَسُئِلَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : هَلْ يَجِبُ تَلْقِينُ الْمَيِّتِ بَعْدَ دَفْنِهِ ؟ أَمْ لَا ؟ وَهَلِ الْقِرَاءَةُ تَصِلُ إِلَى الْمَيِّتِ ؟ .

فَأَجَابَ : تَلْقِينُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ لَيْسَ وَاجِبًا بِالْإِجْمَاعِ ، وَلَا كَانَ مِنْ عَمَلِ الْمُسْلِمِينَ الْمَشْهُورِ بَيْنَهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُلَفَائِهِ . بَلْ ذَلِكَ مَا تُورُّ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ؛ كَأبي أمامة ، وَوَاتِلَةَ بْنِ الْأَسْفَعِ . فَمِنْ الْأَيِّمَةِ مَنْ رَخَّصَ فِيهِ كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ ، وَقَدْ اسْتَحَبَّهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ . وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَكْرَهُهُ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّهُ بَدْعَةٌ . فَالْأَقْوَالُ فِيهِ ثَلَاثَةٌ : الْإِسْتِحْبَابُ ، وَالكَرَاهَةُ ، وَالْإِبَاحَةُ ، وَهَذَا أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ " (١) .

وقال الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) : " وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَيْضًا مَا جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُ النَّاسِ قَدِيمًا وَإِلَى الْآنَ مِنْ تَلْقِينِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ ، وَلَوْ لَا أَنَّهُ يَسْمَعُ ذَلِكَ وَيَنْتَفِعُ بِهِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَائِدَةٌ ، وَكَانَ عَبَثًا ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ فَاسْتَحْسَنَهُ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِالْعَمَلِ .

ويروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَسَوِّتِمِ عَلَيْهِ التُّرَابَ ، فَلْيَقِمُوا أَحَدُكُمْ عَلَى رَأْسِ قَبْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ : يَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانَةَ ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُ وَلَا يَجِيبُ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : يَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانَةَ الثَّانِيَةَ ، فَإِنَّهُ يَسْتَوِي قَاعِدًا ، ثُمَّ لِيَقُلْ : يَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانَةَ ، يَقُولُ : أُرْسِدْنَا رَحِمَكَ اللَّهُ ، وَلَكِنَّكُمْ لَا تَسْمَعُونَ . فَيَقُولُ : أَذْكَرَ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا : شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّكَ رَضِيتَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا ، فَإِنَّ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا يَتَأَخَّرُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَيَقُولُ : انْطَلِقْ بِنَا مَا يَقْعِدُنَا عِنْدَ هَذَا وَقَدْ لَقِنَ حَجَّتَهُ ، وَيَكُونُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَجِيجَهُ دُونَهُمَا . فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ أُمَّهُ ، قَالَ يَنْسِبُهُ إِلَى أُمِّهِ حَوَاءَ .

فَهَذَا الْحَدِيثُ وَإِنْ لَمْ يَثْبُتْ فَاتِّصَالَ الْعَمَلِ بِهِ فِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ وَالْأَعْصَارِ مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ ، كَافٍ فِي الْعَمَلِ بِهِ وَمَا أَجْرَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعَادَةَ قَطُّ بِأَنَّ أُمَّةً طَبَقَتْ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا ، وَهِيَ أَكْمَلُ الْأُمَّمِ عَقُولًا ، وَأَوْفَرُهَا مَعَارِفَ ، تَطْبِقُ عَلَى مُحَاطَبَةِ مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَعْقِلُ ، وَتَسْتَحْسِنُ ذَلِكَ ، لِأَيْنِكَرِهِ مِنْهَا مُنْكَرٌ ، بَلْ سَنَّهُ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ ، وَيَقْتَدِي فِيهِ الْآخِرُ بِالْأَوَّلِ ، فَلَوْلَا أَنَّ الْمُخَاطَبَ يَسْمَعُ ، لَكَانَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْخُطَابِ لِلتُّرَابِ وَالْخَشْبِ وَالْحِجْرِ وَالْمَعْدُومِ ، وَهَذَا وَإِنْ اسْتَحْسَنَهُ وَاحِدُ فَالْعُلَمَاءُ قَاطِبَةً عَلَى اسْتِقْبَاحِهِ وَاسْتَهْجَانِهِ .

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٤/٢٩٦-٢٩٨) .

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَضَرَ جَنَازَةَ رَجُلٍ فَلَمَّا دُفِنَ ، قَالَ : " اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ ، وَسَلُّوا لَهُ بِالتَّشْيِيبِ ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ " (١) . فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُسْأَلُ حِينَئِذٍ ، وَإِذَا كَانَ يُسْأَلُ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ التَّلْفِيفِينَ " (٢) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " قَوْلُهُ وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُلْقَنَ الْمَيِّتَ بَعْدَ الدَّفْنِ ، فَيَقَالُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، يَا ابْنَ أُمَّةِ اللَّهِ ، أَدُكَّرُ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْبُعْثَ حَقٌّ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ، وَأَنَّكَ رَضِيتَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا ، وَبِالْكَعْبَةِ قِبْلَةً ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ إِخْوَانًا . وَرَدَّ بِهِ الْخَبَرُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ " إِذَا أَنَا مَيِّتٌ فَاصْنَعُوا بِي كَمَا أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَصْنَعَ بِمَوْتَانَا ، أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : " إِذَا مَاتَ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ ، فَسَوِّتِيهِمُ التُّرَابَ عَلَى قَبْرِهِ ، فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عَلَى رَأْسِ قَبْرِهِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : يَا فُلَانُ بُنُ فُلَانَةَ ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُهُ وَلَا يُجِيبُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا فُلَانُ بُنُ فُلَانَةَ ، فَإِنَّهُ يَسْتَوِي قَاعِدًا ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا فُلَانُ بُنُ فُلَانَةَ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : أَرُشِدُنَا يَرْحَمَكَ اللَّهُ ، وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ . فَلْيَقُلْ : أَدُكَّرُ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّكَ رَضِيتَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا ، فَإِنَّ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا يَأْخُذُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ ، وَيَقُولُ : أَنْطَلِقْ بِنَا ، مَا يُقْعِدُنَا عِنْدَ مَنْ لُقِّنَ حُجَّتَهُ " . قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ أُمَّهُ ، قَالَ : يَنْسُبُهُ إِلَى أُمَّهِ حَوَاءَ : يَا فُلَانُ بُنُ حَوَاءَ " . وَإِسْنَادُهُ صَالِحٌ ، وَقَدْ قَوَاهُ الضِّيَاءُ فِي أَحْكَامِهِ ، وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ فِي الشَّافِي وَالرَّائِي عَنِ أَبِي أُمَامَةَ سَعِيدُ الأَزْدِيُّ بِيَضِّ لَهْ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ، وَلَكِنْ لَهُ شَوَاهِدٌ ، مِنْهَا : مَا رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ مِنْ طَرِيقِ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ وَصَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ وَغَيْرِهِمَا ، قَالُوا : إِذَا سُوِّيَ عَلَى الْمَيِّتِ قَبْرُهُ وَانصَرَفَ النَّاسُ عَنْهُ ، كَانُوا يَسْتَحْبِبُونَ أَنْ يُقَالَ لِلْمَيِّتِ عِنْدَ قَبْرِهِ : يَا فُلَانُ ، قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قُلْ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قُلْ : رَبِّي اللَّهُ ، وَدِينِي الإِسْلَامُ ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٍ

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص ١٢٩ برقم ٦٧٩) ، أبو داود (٣/ ٢١٥ برقم ٣٢٢١) ، الحاكم في المستدرک على الصحيحين (١/ ٥٢٦ برقم ١٣٧٢) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الإِسْنَادِ ، وَلَمْ يَجْرِجَاهُ ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ١٢٠٠ برقم ٢١٢٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٩٣ برقم ٧٠٦٤) ، السنن الصغير (٢/ ٢٩ برقم ١١٢٢) ، إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين (ص ٤٧ برقم ٤٠) ، الدعوات الكبير (٢/ ٢٩٤) ، البغوي في شرح السنة (٥/ ٤١٨ برقم ١٥٢٣) .

(٢) انظر : الرُّوحُ فِي الْكَلَامِ عَلَى أَرْوَاحِ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ بِالْدَّلَائِلِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ (ص ١٣) .

ثمَّ يَصْرَفُ . وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْحَكَمِ بْنِ الْحَارِثِ السُّلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ : " إِذَا دَفَنْتُمُونِي وَرَشَشْتُمْ عَلَيَّ قَبْرِي الْمَاءَ ، فَقُومُوا عَلَيَّ قَبْرِي ، وَاسْتَقْبِلُوا الْقَبْلَةَ وَادْعُوا لِي " (١) .

ولا يعرِّك على صحَّة القول بسماح الأموات في قبورهم قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الضُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [الروم : ٥٢] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنَ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] ، لأنَّ المقصود بـ ﴿ الْمَوْتَى ﴾ ، وكذا بـ ﴿ مَنَ فِي الْقُبُورِ ﴾ ، الكفَّار المصرِّين على الكفر ، فإنَّهم لن ينتفعوا بالتذكير والموعظة فهم كالموتى الذين طوتهم القبور ، لن ينتفعوا بها يسمعونها من الهدى والموعظة ، فحالمهم في ذلك كحال الموتى الذين لا سبيل لتبليغهم كتاب الله كي يبتدوا به ، والدليل عليه قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الضُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل : ٨٠] ، والأموات المقبورين لا يؤلُّون مدبرين بعد التذكير ، إذ لا حول لهم ولا طول ، وإنا المراد بذلك الكفَّار ، وقد جاء في الصحيح قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ " (٢) .

وعلى ذلك جمهور المفسرين ...

ففي تفسير الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الضُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل : ٨٠] ، قال الإمام الطَّبْرِي : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ ، يقول : إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُفْهَمَ الْحَقَّ مِنْ طَبَعِ اللهِ عَلَى قَلْبِهِ فَأَمَاتَهُ ، لِأَنَّ اللهَ قَدْ خْتَمَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَفْهَمَهُ ، ﴿ وَلَا تَسْمَعُ الضُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ ، يقول : وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَسْمَعَ ذَلِكَ مِنْ أَصَمِّ اللهُ عَنْ سَاعِهِ سَمِعَهُ ، ﴿ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ ، يقول : إِذَا هُمْ أَدْبَرُوا مَعْرُضِينَ عَنْهُ ، لَا يَسْمَعُونَ لَهُ لَغْلَبَةِ دِينِ الْكُفْرِ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَلَا يُصْغُونَ لِلْحَقِّ ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَهُ ، وَلَا يَنْصَتُونَ لِقَائِلِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْرِضُونَ عَنْهُ ، وَيَنْكُرُونَ الْقَوْلَ بِهِ ، وَالِاسْتِجَاعَ لَهُ " (٣) .

وقال الإمام أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (٣٧٣هـ) : " قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ [النمل : ٨٠] ، فهذا مثل ضربه للكفَّار ، فكما أَنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ، فَكَذَلِكَ لَا تَفْقَهُ كَفَّارٌ مَكَّةَ ، وَلَا

(١) انظر : التلخيص الخبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير (٢/ ٣١٠-٣١١) .

(٢) أخرجه البخاري (٨٦/٨ رقم ٦٤٠٧) .

(٣) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٩/ ٤٩٥) .

تُسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ . قرأ ابن كثير : وَلَا يَسْمَعُ بِالْيَاءِ وَالنَّصْبِ وَضَمَّ الْعَيْنِ ، وَالصَّمَّ بضم الميم ، وقرأ الباقون بالتاء وضم التاء وكسر الميم ، والصَّمَّ بالنَّصْبِ . فمن قرأ بالياء فلا يسمع ، فالفعل للصَّم . ومن قرأ بالتاء ، فالخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ ﴾ [النمل : ٨٠] ، يعني : أعرضوا عن الحقِّ مكذِّبين " (١) .

وقال الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي الفيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (٤٣٧هـ) : " قوله تعالى ذكره : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ﴾ [النمل : ٨٠] . المعنى : إِنَّكَ يَا مُحَمَّد لَا تَقْدِرُ أَنْ تُفْهَمَ الْحَقَّ مِنْ طَبَعِ اللَّهِ عَلَى قَلْبِهِ فَأَمَاتَهُ ، وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَسْمَعَ ذَلِكَ مِنْ أَصَمَّ اللَّهُ سَمِعَهُ " (٢) .

وقال الإمام زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَّلامِي ، البغدادي ، ثمَّ الدَّمَشَقِي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) : وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ [النمل : ٨٠] ، وَقَوْلُهُ : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] ، فَإِنَّ السَّمْعَ يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ إِدْرَاكُ الْكَلَامِ وَفَهْمُهُ ، وَيُرَادُ بِهِ أَيْضًا الْإِنْتِفَاعُ بِهِ وَالِاسْتِجَابَةُ لَهُ ، وَالْمُرَادُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ نَفْيُ الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ ، فَإِنَّهَا فِي سِيَاقِ خُطَابِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَا يَسْتَجِيبُونَ لِلْهُدَى وَلَا لِلْإِيمَانِ إِذَا دَعُوا إِلَيْهِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ، الْآيَةُ فِي نَفْيِ السَّمْعِ وَالِإِبْصَارِ عَنْهُمْ ، لِأَنَّ الشَّيْءَ قَدْ يَنْفَى لانتفاء فائدته وثمرته ، فإذا لم ينتفع المرء بما يسمعه ويبصره ، فكأنَّه لم يسمع ولا يبصر ، وسماع الموتى هو بهذه المثابة ، وكذلك سماع الكفار لمن دعاهم إلى الإيمان والهدى " (٣) .

وبنحو ما قال هؤلاء الأساطين ، قال جمهور المفسرين (٤) .

(١) انظر : بحر العلوم (٢/٥٩٢) .

(٢) انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (٨/٥٤٦٤) .

(٣) انظر : أهوال القبور (ص ٨١) .

(٤) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٤/٢٢٥) ، لطائف الإشارات (تفسير القشيري) (٣/٤٩) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/٣٨٤) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٣/٥١٣) ، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٣/٣٨٧) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/٢٦٩-٢٧٠) ، زاد المسير في علم التفسير (٣/٣٦٩) ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٤/٥٧١) ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٣/٢٣٢) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/١٦٧) ، تفسير النسفي (٣/١٧٩) ، تفسير الخازن المسمى بباب التأويل في معاني التنزيل (٥/١٥٦) ، البحر المحيط في التفسير (٨/٢٦٧-٢٦٨) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن

وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، قال الإمام الطَّبْرِي (٣١٠هـ): " وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، يقول تعالى ذكره: كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرِّشَادِ، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حُججه من كان ميِّت القلب من أحياء عباده، عن معرفة الله، وفهم كتابه وتنزيله، وواضح حُججه .

كما حدَّثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، كذلك الكافر لا يسمع، ولا يتنفع بما يسمع " (١) .

وقال الإمام أبو محمَّد عبد الرَّحْمَنِ بن محمَّد بن إدريس بن المنذر التَّمِيمِي، الحَنْظَلِي، الرَّازِي ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ): " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، فَكَذَلِكَ الْكَافِرُ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَنْتَفِعُ بِمَا يَسْمَعُ " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثَّعْلَبِي، أبو إسحاق (٤٢٧هـ): ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، يعني: الكفار شبَّههم بالأموات " (٣) .

وقال الإمام أبو محمَّد مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ): ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، أي: لست يا محمَّد تسمع الموتى كتاب الله فتهدىهم به، فكذلك لا تقدر أن تسمعه من أمت قلبه فيهدى به " (٤) .

(٤) (٢٥٨/٤)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٥٠/٥)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢١٧/٤)، فتح القدير (١٧٣/٤)، فتح البيان في مقاصد القرآن (٦٩/١٠)، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (١٨٣/٢)، محاسن التأويل (٥٠٥/٧) ...  
 (١) انظر: تفسير الطَّبْرِي (٤٥٩/٢٠) .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣١٧٩/١٠) .

(٣) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠٥/٨) .

(٤) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه (٥٩٧٠/٩) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشَّهير بالماوردي (٤٥٠هـ): ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢] ، فيه وجهان : أحدهما : أَنَّهُ مِثْلُ ضَرْبِهِ اللهُ ، كَمَا أَنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى فِي الْقُبُورِ ، كَذَلِكَ لَا تُسْمِعُ الْكَافِرَ . الثَّانِي : أَنَّ الْكَافِرَ قَدْ أَمَاتَهُ الْكُفْرَ حَتَّى أَقْبَرَهُ فِي كُفْرِهِ ، فَلِذَلِكَ لَا يَسْمَعُ " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النَّيسابوري ، الشَّافعي (٤٦٨هـ) : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢] ، يَعْنِي الْكُفَّارَ ، شَبَّهَهُمُ بِالْمَوْتَى حِينَ صَمُّوا فَلَمْ يَجِيبُوا " (٢) .

وقال الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السَّهيلي (٥٨١هـ) : " ... وَإِذَا جَازَ أَنْ يَكُونُوا فِي تِلْكَ الْحَالِ عَالَمِينَ جَازَ أَنْ يَكُونُوا سَامِعِينَ أَمَّا بِأَذَانٍ رُءُوسِهِمْ إِذَا قُلْنَا : إِنَّ الرُّوحَ يُعَادُ إِلَى الْجَسَدِ أَوْ إِلَى بَعْضِ الْجَسَدِ عِنْدَ الْمَسَاءِ لَهُ ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِينَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَأَمَّا بِإِذْنِ الْقَلْبِ أَوْ الرُّوحِ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَقُولُ بِتَوَجُّهِ السُّؤَالِ إِلَى الرُّوحِ مِنْ غَيْرِ رُجُوعٍ مَعَهُ إِلَى الْجَسَدِ أَوْ إِلَى بَعْضِهِ . وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَائِشَةَ احْتَجَّتْ بِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢] ، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَفَأَنْتَ إِذْ نَضَّ سَمْعُ الْأُصْرَةِ أَوْ تَهْدَى أَلْعَى ﴾ [الزخرف: ٤٠] ، أَيُّ أَنَّ اللهُ هُوَ الَّذِي يُهْدِي وَيُوقِفُ وَيُوصِلُ الْمَوْعِظَةَ إِلَى آذَانِ الْقُلُوبِ لَا أَنْتَ ، وَجَعَلَ الْكُفَّارَ أَمْوَاتًا وَصُمًّا عَلَى جِهَةِ التَّشْبِيهِ بِالْأَمْوَاتِ وَبِالصَّمِّ ، فَاللهُ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُهُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِذَا شَاءَ لَا نَبِيَّهَ وَلَا أَحَدٌ ، فَإِذَا لَا تَعَلَّقُ بِالْآيَةِ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا : أَنَّهَا إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي دُعَاءِ الْكُفَّارِ إِلَى الْإِيمَانِ . الثَّانِي : أَنَّهُ إِنَّمَا نَفَى عَنْ نَبِيِّهِ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُسْمِعَ لَهُمْ ، وَصَدَقَ اللهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُهُمْ إِذَا شَاءَ إِلَّا هُوَ وَيَفْعَلُ مَا شَاءَ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (٣) .

وبنحو ما قال هؤلاء الأساطين ، قال جمهور المفسرين (٤) ...

(١) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٤/٤٦٩) .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/٥٠٤) .

(٣) انظر : الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (٥/١٠٥-١٠٦) .

(٤) انظر : تفسير القرآن ، السمعاني (٤/٣٥٥) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٣/٦٩٢) ، زاد المسير في علم التفسير

(٤/٤٨٤) ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٦/٢٣٣) ، الجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٤١) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل البيضاوي

(٤/٢٥٧) ، تفسير النسفي (٣/٢٧٢) ، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٧٤) ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (٥/٣٠١) ،

البحر المحيط في التفسير (٩/٢٧) ، روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) (٢/٩٦-٩٧) ، نظم الدرر في تناسب الآيات

## الفصل الثالث

### أنواع التوسل

ذكر أهل العلم أن من آداب الدعاء: التوسل إلى الله تعالى بين يدي الدعاء بوسيلة محبوبة مرضية لديه سبحانه وتعالى، قال سبحانه: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، أي: القربة. والتوسل إلى الله تعالى هو الطلب منه سبحانه لا من سواه، فهو سبحانه وحده المطلوب والمسؤول، أمّا الوسيلة فيتوجه بها الإنسان إلى الله ويتشفع بها عنده بين يدي طلبه منه تعالى، فقد يتوسل العبد بأسماء الله تعالى وصفاته، أو بأعماله الصالحة، أو بدعاء الصالحين، أو بحبيبه ومصطفاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكذا غيره من الأنبياء والمرسلين والصالحين... ومن أنواع التوسل:

**أولاً: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى:** قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فيدعو الإنسان ربه بالاسم أو بالصفة المقتضية لمطلوبه، فيقول: يا غفور اغفر لي، يا كريم أكرمني، يا رحيم ارحمني، يا ستار استرني، وهكذا... والدعاء معناه: الطلب، والسؤال، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]

وفي الحديث عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في وتره: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمغافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي نعمك، ولا ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك (١).

والسور (٢١٨/٦)، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٤٠٦/٣)، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) (١٥٠/٧)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٥٣٣/٤)، التفسير المظهر (٥٢/٨)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٣٤٦/٤)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣٥٩/١١)، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢٧٩/٢)، محاسن التأويل (١٦٥/٨)...

(١) أخرجه الطيالسي في المسند (١١٤/١) برقم (١٢٥)، ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٦/٢) برقم (٧٠١٦)، أحمد في المسند (٩٦/١) برقم (٧٥١)، ابن ماجه (٣٧٣/١) برقم (١١٧٩)، أبو داود (٦٤/٢) برقم (١٤٢٧)، الترمذي (٤٥٣/٥) برقم (٣٥٦٦)، النسائي في السنن الكبرى (١٧٢/٢) برقم (١٤٤٨)، الطبراني في الدعاء (ص ٢٣٨) برقم (٧٥١)، الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٤٤٩/١) برقم (١١٥٠)، البيهقي في السنن

وجاء في حديث آخر قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي مَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَخَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بِالْقَدْرِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَفُورَةً عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَلَذَّةَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَشَوْفًا إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ صَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيْنًا بَرِيئَةً الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ" (١).

والدُّعاء نوعٌ من أنواع التَّوسُّلِ بالله تعالى لنيل المغفرة، والرَّحمة، والرِّضوان، وسؤال الله تعالى غالباً ما يكون بأسمائه الحسنَى وصفاته العِلا، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والآية أمرٌ صريحٌ بدعاء الله تعالى بأسمائه الحسنَى، وغالباً ما يأتي الدُّعاء بالأسماء الحسنَى على صيغة التَّوسُّلِ والاستغاثة، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرِهَهُ أَمْرٌ، قَالَ: "يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ" (٢).

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَهُ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيْعَ قَلْبِي،

الكبرى (٣/٦٠ برقم ٣٨٧١)، السنن الصغير (١/٢٨٥ برقم ٧٩٣)، الدعوات الكبرى (٢/٨ برقم ٤٣٧)، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢/٢٥١ برقم ٦٢٧)، عبد بن حميد في المسند (ص ٥٦ برقم ٨١)، أبو يعلى الموصلي في المسند (١/٢٣٧ برقم ٢٧٥).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المسند (١/٢٩٤ برقم ٤٤٢)، أحمد في المسند (٤/٢٦٤ برقم ١٨٥١٥)، ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (١/٢١٠ برقم ٢٧٦)، البزار في المسند (٤/٢٢٨ برقم ١٣٩٢)، النسائي في السنن الكبرى (٢/٨١ برقم ١٢٢٩)، ابن خزيمة في كتاب التَّوْحِيدِ وإثبات صفات الرب عزَّ وجلَّ (١/٢٩)، ابن حبان في الصَّحِيح (٥/٣٠٤ برقم ١٩٧١)، الطبراني في الدُّعاء (ص ١٩٩ برقم ٦٢٤)، الحاكم في المستدرک على الصحيحين (١/٧٠٥ برقم ١٩٢٣)، البيهقي في الأسماء والصفات (١/٣٠٢ برقم ٢٢٧)، الدعوات الكبرى (١/٣٣٤ برقم ٢٥١)، أبو يعلى الموصلي في المسند (٣/١٩٥ برقم ١٦٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/٤٢٥ برقم ٣٥٢٤)، البزار في المسند (١٣/٤٩ برقم ٦٣٦٨)، الحاكم في المستدرک على الصحيحين (١/٦٨٩ برقم ١٨٧٥)، البيهقي في الأسماء والصفات (١/٢٨٨ برقم ٢١٥)، الدعوات الكبرى (١/٢٧٤ برقم ١٩٠).

وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا . قَالَ : فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا ؟ فَقَالَ : بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا " (١) .

والتَّوَسُّلُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِي كَثِيرٌ جَدًّا فِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ ، وَعَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ ، لَا يَخَالَفُ فِيهِ أَحَدٌ ...

**ثَانِيًا : التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :**

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اقرءوا القرآنَ ، وأسألوا اللهَ بِهِ ؛ فَإِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ قَوْمًا يَقْرءُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ

النَّاسَ بِهِ " (٢) ...

وفي موقع مسيد الشيخ عبدالرحيم البرعي ، وجدت قصيدة طيبة اشتملت على توسُّل بجميع سور القرآن ، قال ناشرها بأنها قصيدة كان الطلبة يرددونها في وقت السحر ، وهي بلا شك لتفريخ الكروب ، فمن أهمه أمرٌ فليتوسَّل إلى الله تعالى بها ... ، والقصيدة هي :

وليس في سلطانه مشارك  
على النبي الكامل الأوصاف  
ونهجه الإيمان والإحسان  
والتابعين هم أولي الأبصار

الحمد لله الذي تبارك  
ثم الصلاة والسلام الوافي  
محمد من خلقه القرآن  
وآله وصحبه الأنصار

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/٢٤٦ برقم ٣٧١٢) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٠/١٦٩ برقم ١٠٣٥٢) ، الدعاء (ص ٣١٤ برقم ١٠٣٥) ، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد (ص ٣٠١ برقم ٣٤٠) ، البيهقي في الأسماء والصفات (١/٢٧ برقم ٧) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٣/١٤٦ برقم ١٩٩١٧) . قال الأرنؤوط : " حسن لغيره ، وهذا إسناد ضعيف ، شريك بن عبد الله وخيشمة - وهو ابن أبي خيشمة البصري - ضعيفان ، والحسن - وهو البصري - لم يسمع من عمران . وأخرجه الطبراني في " الكبير " (١٨/٣٧٢) ، والآجري في " أخلاق حملة القرآن " (٤٢) من طريق يزيد بن هارون ، بهذا الإسناد . وأخرجه سعيد بن منصور في التفسير من " سننه " (١/١٨٧) ، والبخاري في " مسنده " (٣٥٥٣) و (٣٥٥٤) ، والعقيلي في " الضعفاء " (٢/٢٩) ، والطبراني (١٨/٣٧٠) و (٣٧١) و (٣٧٣) ، والبيهقي في " الشعب " (٢٦٢٩) من طرق عن منصور بن المعتمر ، به . وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٤٧٩) من طريق يزيد بن إبراهيم ، و (١٠/٤٨٠) من طريق هشام بن حسان ، كلاهما عن الحسن البصري ، عن عمران قوله . وانظر (١٩٨٨٥) . وفي الباب عن أنس وجابر وعبد الرحمن بن شبل ، سلفت أحاديثهم بالأرقام (١٢٤٨٣) و (١٤٨٥٥) و (١٥٥٢٩) ، والأخيران صحيحان . وعن سهل بن سعد الساعدي ، سيأتي (٥/٣٣٨) ، وصححه ابن حبان (٧٦٠) . وعن أبي سعيد الخدري عند أبي عبيد في " فضائل القرآن " ص ٢٠٦ ، والبيهقي في " الشعب " (٢٦٣٠) ، والبغوي (١١٨٢) . وعن بريدة عند البيهقي (٢٦٢٥) . وانظر حديث عبادة بن الصامت الآتي في " المسند " (٥/٣١٥ و ٣٢٤) ، وحديث أبي بن كعب عند عبد بن حميد (١٧٥) ، وابن ماجه (٢١٥٨) .

يا من إليه يُهرع الضعيفُ  
 وتستجيب دعوَةَ المضطَّرِّ  
 مُلتَمِسِينَ العَفْوَةَ من جنابك  
 ومَنْ لِكشْفِ ضررنا نرجوهُ  
 والعرش والكرسي والعماء  
 وسدرة المنتهي والمقام  
 والعالم العلوي والأفلاك  
 وجاه طه المصطفى الوحيد  
 يأتيه كل خائف فيأمن  
 بارك لنا في الرزق ثم المنزل  
 بسورة المثاني ثم البقره  
 وبالأنعام خصنا بالفائده  
 والتَّوبَةَ ويونس يا والي  
 بالحجر إبراهيم فاكتب سعدي  
 بمریم طه أدرك لهفي  
 بالمؤمنون عافنا يا منجي  
 والشعراء والنمل من أدران  
 بالعنكبوت واغفر الملامه  
 وبالأحزاب يا الهبي النجده  
 وبالصافات بالتقوى كسينا  
 بغافر وفصلت يا من أمر  
 وبالذخان كل هم فاصرف  
 وبالاحقاف من قلوب قاسيه  
 بالحجرات فأتنا بالفتح

سبحانك اللهم يا لطيفُ  
 أنت الذي تُرَجِي لكشف الضرِّ  
 وقد وقفنا خُشعاً بـبابك  
 يا من عنت لِعِزِّهِ الوجوهُ  
 بالذات والصفات والأسماء  
 بلوحك المحفوظ والأقلام  
 بيتك المعمور والأملأك  
 جئنا بحسن الظن والتَّوْحِيدِ  
 به توَّسَّلنا إليك يا من  
 بالمرسلين والكتاب المنزل  
 يا من له قلوبنا مفتقره  
 بأل عمران النسا والمائده  
 بسورة الأعراف والأنفال  
 كذا يهود يوسف والرعد  
 بالنحل والإسراء ثم الكهف  
 ورقنا بالأنبياء والحجج  
 وصفنا بالنور والفرقان  
 واكتب لنا بالقصص السَّلامه  
 بالرُّوم لقمان كذا بالسَّجده  
 بسبأ وفساطر ياسين  
 كذا بصاد ثم سورة الزمر  
 بسورة الشورى كذا بالزخرف  
 ونجنا يا ذا العلا بالجاثيه  
 بسورة القتال ثم الفتح

بالذَّارِيَاتِ اكْفُنَا يَا كَافِي  
 وبِالرَّحْمَنِ بَارِكُنْ فِي الْعَمْرِ  
 وسورة الحديد والمجادله  
 بالصَّفِّ رَبِّ الدَّهْرِ فَاصْرِفْ مَحْنَهُ  
 وبِالْمُنْفِقِينَ رَبِّ فَاسْمَعْ قَوْلِي  
 وبِالتَّحْرِيمِ الْمَلِكِ زِدْ خِلَاقِي  
 بِالْحَاقَّةِ اِرْحَمْنَا وبِالمعارج  
 وَاصْرِفْ شُرُورَ الْإِنْسِ ثُمَّ الْجَنِّ  
 وبِالْقِيَامَةِ اسْقِنَا مِنْ كَوْثَرِ  
 بِالمرسلات النَّبِيَّ الْعَظِيمِ  
 بِالانْفِطَارِ رَبِّ كُنْ نَصِيرِي  
 وبِالْبُرُوجِ عِذْتِ مَنْ شَقِيقِ  
 بِهَلِ أَتَاكَ نَلْتِ قَدْرًا أَعْلَى  
 بِاللَّيْلِ وَالضُّحَى فَنورِ رَمْسِي  
 بِالْقَدْرِ حَسَنِ يَا كَرِيمِ خَلْقِي  
 بِالْعَادِيَاتِ نَجِّنَا مِنْ زَلْزَلِهِ  
 أَلْهَآكُمُ حَرْزًا مِنْ الْهَزِيمِ  
 مِنْ شَرِّ نَهَامِ وَشَرِّ اللَّمَزِهِ  
 نَعُوذُ مِنْ عَوَاتِقِ الطَّاعُونَ  
 بِالنَّصْرِ فَتَحًّا مِنْكَ لِمَرْتَجِي  
 حَسِّنْ بِهَا يَا رَبَّنَا خِلَاصِي  
 وَالنَّاسِ مِنْ مَصِيبِهِ وَقَلْقِ  
 وَشَرِّ وَسْوَاسِ عَدُوِّ رَاصِدِ  
 وَابْنَيْهَا نَرْجُوكَ حَسَنَ الْخَاتَمِ

يَسِّرْ لَنَا أُمُورَنَا بِقِصَافِ  
 بِالطُّورِ وَالنَّجْمِ كَذَا بِالْقَمَرِ  
 وَلَقْنَا كُلَّ الْمُنَى بِالْوَاقِعِ  
 بِسورة الحشر وبِالممتحنة  
 بِالجُمُعَةِ الْغُرَاءِ يَا ذَا الطُّولِ  
 وَبِالتَّغَابُنِ مَعَ الطَّلَاقِ  
 كَذَا بِنُونِ نَجِّنَا مِنْ مَنْ مَآرِجِ  
 وَارْفَعْ بَنِي سُوحِ ذَكَرْنَا وَالجَنِّ  
 بِسورة المزمل المدثر  
 بِسورة الْإِنْسَانِ زِدْ تَعْظِيمِي  
 بِالنَّازِعَاتِ الْأَعْمَى وَالتَّكْوِينِ  
 وَبِالمطففينِ ثُمَّ الْإِنشِقَاقِ  
 بِسورة الطَّارِقِ ثُمَّ الْأَعْلَى  
 بِالْفَجْرِ لَا أَقْسَمُ ثُمَّ الشَّمْسِ  
 بِالشَّرْحِ وَالتَّيْنِ كَذَا بِالْعَلَقِ  
 بَلَمْ يَكُنْ نَلْتِ الْمُنَى وَالزَّلْزَلِ  
 بِسورة القارعة الْعَظِيمِ  
 بِسورة العصر كَذَا بِالْهَمَزِ  
 بِالْفِيلِ مَعَ قَرِيشِ الْمُعَاوِنِ  
 بِالْكَوْثَرِ وَالكَافِرُونَ نَرْتَجِي  
 تَبَّتْ يَدَا وَسورة الْأَخْلَاصِ  
 قَدْ اسْتَعَدْنَا بِإِلَهِ الْفَلَقِ  
 وَشَرِّ الْخَلْقِ سَاحِرِ وَحَاسِدِ  
 بِالمصطفى وَالمُرْتَضَى وَفَاطِمَةَ

والتَّابِعِينَ نَهَج طَه المصطفى

بالآل والأصحاب أرباب الوفا

صَلَّى عَلَيْهِم ذُو الْجَلَال

كَلِمًا هَبَّ النَّسِيمَ وَعَلَيْهِمْ سَلَامًا

ثَالِثًا: التَّوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِحَقِّ أَوْجَاهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ،

وَكَذَا بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الصَّالِحِينَ ... :

وذلك لما لهم عند الله تعالى من الحظوة والمنزلة والشرف ، ولا فرق في هذا النوع من التوسُّل أن يكون المتوسَّل به إلى الله تعالى حيًّا أو ميتاً ... ومن الأدلة على ذلك حديث الأعمى الذي علَّمه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول : اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتُوَّجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي أَتُوَّجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي ...

قال الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ) : " حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَمَّادٍ بْنِ زُغْبَةَ ، حَدَّثَنَا رُوْحُ بْنُ صَالِحٍ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ أُمِّ عَيِّي بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا فَقَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أُمِّي ، كُنْتُ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي ، وَتُسَبِّعِينِي وَتَعْرِيْنِي ، وَتُكْسِبِينِي ، وَتَمْنَعِينِ نَفْسِكَ طَيِّبًا ، وَتُطْعِمِينِي تُرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُغَسَّلَ ثَلَاثًا ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءُ الَّذِي فِيهِ الْكَافُورُ سَكَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ، ثُمَّ خَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ فَأَلْبَسَهَا إِيَّاهُ وَكَفَّنَهَا بِبُرْدٍ فَوْقَهُ ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَأَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَغُلَامًا أَسْوَدَ يَحْفَرُونَ فَحَفَرُوا قَبْرَهَا فَلَمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ، وَأَخْرَجَ تُرَابَهُ بِيَدِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَاضْطَجَعَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، اغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتُ أَسَدٍ ، وَلَقِّنَهَا حُجَّتَهَا ، وَوَسَّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا ، بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا ، وَأَدْخَلُوهَا اللَّحْدَ هُوَ وَالْعَبَّاسُ ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ " (١) .

والحديث نصٌّ واضحٌ على التوسُّل بالأنبياء والمرسلين في حياتهم وبعد مماتهم ، وهو حديث حسنٌ ، وبه وبغيره من الأدلة التي سبقناها نردُّ على من منعوا التوسُّل ، لاسيما ابن تيمية ومقلديه من مُدَّعي السلفية ، الذين خالفوا جمهور الأمة فمنعوا التوسُّل إلى الله تعالى بحقِّ أو جَاهِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذا بجَاهِ غَيْرِهِ من

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٥١/٢٤) برقم (٨٧١) ، الأوسط (٦٧/١) برقم (١٨٩) ، والحديث حسنٌ إسناده المحقق الأستاذ محمود سعيد مدوح في رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسُّل والزياره (ص١٤٨) ، وردَّ على من ضعفه براءة .

الأنبياء والصالحين ، وقد تبين بعد البحث والتحقيق أن دعواهم فارغة ، وأتهم ليسوا على شيء في هذه المسألة إلا ما اعتادوا عليه من التقليد الأعمى لابن تيمية ومن شايعه ...

قال الحاكم : " أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْلٍ الدَّبَّاسُ ، بِمَكَّةَ مِنْ أَصْلِ كِتَابِهِ ، ثنا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ زَيْدِ الصَّائِعِ ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ شَيْبِ بْنِ سَعِيدِ الْحَبْطِيُّ ، حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْمُدَنِيِّ وَهُوَ الْخَطْمِيُّ ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ، عَنْ عَمِّهِ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَاءَهُ رَجُلٌ صَرِيرٌ ، فَشَكَا إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَيْسَ لِي قَائِدٌ ، وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ائْتِ الْمِيضَاةَ فَتَوَضَّأْ ، ثُمَّ صَلِّ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ قُلِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ، وَأَتُوِّجُّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتُوِّجُّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ فَيَجَلِّي لِي عَنْ بَصَرِي ، اللَّهُمَّ شَفِّعْنِي فِيَّ ، وَشَفِّعْنِي فِي نَفْسِي " . قَالَ عُثْمَانُ : فَوَاللَّهِ مَا تَفَرَّقْنَا ، وَلَا طَالَ بِنَا الْحَدِيثَ حَتَّى دَخَلَ الرَّجُلُ وَكَانَهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ ، وَلَمْ يَخْرُجْ جَاهُ ، وَإِنَّا قَدَّمْتُ حَدِيثَ عَوْنِ بْنِ عُمَارَةَ لِأَنَّ مِنْ رَسْمِنَا أَنْ نُقَدِّمَ الْعَالِيَّ مِنَ الْأَسَانِيدِ " (١) .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٧٠٧/١ برقم ١٩٣٠) ، أحمد في المسند (٤٨٠/٢٨ برقم ١٧٢٤١) ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحريجه للمسند : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، أبو جعفر : هو عمر بن يزيد بن عمير الأنصاري الخطمي ، وهو وعمار بن خزيمة - وهو ابن ثابت - من رجال أصحاب السنن ، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين ، غير أن عثمان بن حنيف - وهو عم أبي أمامة بن سهل بن حنيف - إنما أخرج له البخاري في " الأدب المفرد " وأصحاب السنن سوى أبي داود . عثمان بن عمر : هو ابن فارس العبدي . وأخرجه عبد بن حميد في " المنتخب " (٣٧٩) ، والترمذي (٣٥٧٨) ، والنسائي في " الكبرى " (١٠٤٩٥) ، وهو في " عمل اليوم والليلة " (٦٥٩) ، وابن ماجه (١٣٨٥) ، وابن خزيمة (١٢١٩) ، والحاكم ٣١٣/١ و٥١٩ من طرق عن عثمان بن عمر ، بهذا الإسناد . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر ، وهو الخطمي . وقال الحاكم : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي .

قلنا : بل في إسناده من لم يخرج له الشيخان ، كما سلف . وأخرجه الحاكم كذلك ٥١٩/١ من طريق محمد بن جعفر ، عن شعبة ، به . وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . وأخرجه الطبراني في " الكبير " (٢/٨٣١١) من طريق إدريس بن جعفر العطار ، عن عثمان بن عمر ، عن شعبة ، عن أبي جعفر ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف ، به . قال الدارقطني : إدريس بن جعفر العطار متروك . وأخرجه بنحو النسائي في " الكبرى " (١٠٤٩٦) ، وهو في " عمل اليوم والليلة " (٦٦٠) من طريق هشام الدستوائي ، وأخرجه الطبراني في " الكبير " (١/٨٣١١) ، وفي " الصغير " (٥٠٨) مطولاً بذكر قصة ، وابن السني في " عمل اليوم والليلة " (٦٣٣) ، والحاكم ٥٢٦/١-٥٢٧ من طريق روح بن القاسم ، كلاهما عن أبي جعفر الخطمي ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف ، به . وقال الحاكم : صحيح

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم أن العمل بهذا الحديث لم ينقطع بانتقال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرفيق الأعلى ، لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشرّع إلى يوم القيامة ، ولذلك قال الطبراني : " حَدَّثَنَا طَاهِرُ بْنُ عَيْسَى بْنِ فَيْرَسِ الْمِضْرِيُّ الْقُرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْمَكِّيِّ ، عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْخَطْمِيِّ الْمَدِينِيِّ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ، عَنْ عَمِّهِ عُمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ : أَنَّ رَجُلًا ، كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي حَاجَةٍ لَهُ ، فَكَانَ عُمَانُ لَا يَلْتَمِثُ إِلَيْهِ وَلَا يَنْظُرُ فِي حَاجَتِهِ ، فَلَقِيَ ابْنَ حُنَيْفٍ فَسَكَى ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ : ائْتِ الْمِيضَاءَ فَتَوَضَّأْ ، ثُمَّ ائْتِ الْمُسْجِدَ فَصَلِّ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فَتَقْضِي لِي حَاجَتِي ، وَتَذَكُرُ حَاجَتَكَ وَرُحِّحَ حَتَّى أَرْوِحَ مَعَكَ ، فَاذْهَبْ الرَّجُلُ فَصَنَعَ مَا قَالَ لَهُ ، ثُمَّ أَتَى بَابَ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَجَاءَ الْبَوَابَ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الطَّنْفِيسَةِ ، فَقَالَ : حَاجَتُكَ ؟ فَذَكَرَ حَاجَتَهُ وَقَضَاهَا لَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا ذَكَرْتَ حَاجَتَكَ حَتَّى كَانَ السَّاعَةُ ، وَقَالَ : مَا كَانَتْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَأَذْكُرْهَا ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيَ عُمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ ، فَقَالَ لَهُ : جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي وَلَا يَلْتَمِثُ إِلَيَّ حَتَّى كَلَّمْتَهُ فِيَّ ، فَقَالَ عُمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ : وَاللَّهِ مَا كَلَّمْتُهُ ، وَلَكِنِّي شَهِدْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَاهُ صَرِيرٌ فَسَكَى إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَتَصَبَّرَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَيْسَ لِي قَائِدٌ وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ائْتِ الْمِيضَاءَ فَتَوَضَّأْ ، ثُمَّ صَلِّ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ ادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ قَالَ ابْنُ حُنَيْفٍ : فَوَاللَّهِ مَا تَفَرَّقْنَا وَطَالَ بِنَا الْحَدِيثِ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ " (١) .

قال الإمام ابن تيمية بعدما ذكر الحديث : " والطبراني ذكر تفرده بمبلغ علمه ولم يبلغه رواية روح بن عبادة عن شعبة ، وذلك إسناد صحيح : يبين أنه لم ينفرد به عثمان بن عمرو وطريق ابن وهب هذه توييد ما ذكره ابن عدي فإنه لم يحزر لفظ الرواية كما حررها ابنه ؛ بل ذكر فيها أن الأعمى دعا بمثل ما ذكره عثمان بن حنيف وليس

على شرط البخاري ، ووافقه الذهبي . وسيأتي بعده برقمي (١٧٢٤١) و (١٧٢٤٢) . انظر هامش : مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٨/٤٨٠ - ٤٨١) .

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/١٧ برقم ٨٣١١) ، الدعاء (ص ٣٢٠ برقم ١٠٥٠) ، المعجم الصغير (ص ٣٠٦ برقم ٥٠٨) ، البيهقي في دلائل النبوة (٦/١٦٧) ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب من الحديث الشريف (١/٢٧٢ برقم ١٠١٨) ، وقال : قال الطبراني بعد ذكر طرقه والحديث صحيح .

كَذَلِكَ بَلَّ فِي حَدِيثِ الْأَعْمَى أَنَّهُ قَالَ : " اللَّهُمَّ فَشَفِّعْنِي فِيَّ وَشَفِّعْنِي فِيهِ - أَوْ قَالَ - فِي نَفْسِي " . وَهَذِهِ لَمْ يَذْكُرْهَا  
 ابْنُ وَهْبٍ فِي رِوَايَتِهِ فَيَسْبِيهِ أَنْ يَكُونَ حَدَّثَ ابْنُ وَهْبٍ مِنْ حِفْظِهِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَدِيٍّ فَلَمْ يُتَقَنَّ الرِّوَايَةَ ... " (١) .

### رَابِعًا : التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِاسْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قال الإمام أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بديح ، الدِّينَوْرِيُّ ،  
 المعروف بـ " ابن السُّنِّي " ( ٣٦٤هـ ) : أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الصُّوفِيُّ ، حَدَّثَنَا عَيْبُ بْنُ الْجُعْدِ ، ثنا زُهَيْرٌ ، عَنْ أَبِي  
 إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : " كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ ، فَخَدِرْتُ رِجْلَهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، مَا  
 لِرِجْلِكَ ؟ قَالَ : اجْتَمَعَ عَصَبُهَا مِنْ هَاهُنَا . قُلْتُ : ادْعُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدَ ، فَأَنْبَسَطْتُ " (٢) .

وفي الفصل الخاص بأدلة التَّوَسُّلِ أفضنا في الكلام على هذا الرِّوَايَةَ ...

### خَامِسًا : التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَثَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

وهذا سلوك سار عليه المؤمنون في جميع العصور . قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ  
 أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ  
 الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] ، فقد ذكر المفسرون أن بني  
 إسرائيل كانوا يحفظون في هذا التَّابُوتِ بعض آثار أنبيائهم ، يتبركون ويستنصرون الله تعالى بها فينصرهم الله ...  
 وقد استوعبت الحديث في ذلك في الفصل الخاص بأدلة التَّوَسُّلِ ...

وفي زمان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَرَّكَ الصَّحَابَةُ بِأَثَارِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنفصلة منه في  
 حال حياته وبعد مماته . فقد حملت السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ ألواناً عديدة من تَبَرُّكِ الصَّحَابَةِ بِأَثَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في  
 حياته ، مع إقراره لهم على تَبَرُّكِهِمْ ، كما تَبَرَّكُوا بِمَا وَجَدُوا مِنْ أَثَارِهِ بعد انتقاله إلى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ... وقد تكلَّمت  
 عن ذلك في الفصل الخاص بأدلة التَّوَسُّلِ ...

وحول هذا الموضوع يقول الدكتور البوطي : " وإذا علمت أن التَّبَرُّكَ بِالسَّيِّئِ إِنَّمَا هُوَ طَلَبُ الْخَيْرِ بِوَسْطَةِ  
 وَوَسِيلَتِهِ علمت أن التَّوَسُّلَ بِأَثَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر مندوب إليه ومشروع ، فضلاً عن التَّوَسُّلِ بِذَاتِهِ  
 الشَّرِيفَةِ .

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٢٧٤) .

(٢) انظر : عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد (ص ١٤٢ رقم ١٧٢) .

وليس ثمّة فرق بين أن يكون ذلك في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بعد وفاته ، فأثار النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفضلاته ، لا تتّصف بالحياة مطلقاً ، سواء تعلّق التَّبَرُّكُ والتَّوَسُّلُ بها في حياته أو بعد وفاته ، كما ثبت في صحيح البخاري في باب شيب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومع ذلك ، فقد ضلّ أقوام لم تشعر أفئدتهم بمحبّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وراحوا يستنكرون التَّوَسُّلَ بذاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، بحجّة أنّ تأثير النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد انقطع بوفاته ، فالتَّوَسُّلُ به ، إنّما هو تَوَسُّلُ بشيء لا تأثير له البتّة !

وهذه حجّة تدلّ - كما ترى - على جهل عجيب جدا ! ...

فهل ثبت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأثير ذاتي في الأشياء في حال حياته ، حتى نبحت عن مصير هذا التأثير من بعد وفاته؟! إنّ أحداً من المسلمين لا يستطيع أن ينسب أي تأثير ذاتي في الأشياء لغير الواحد الأحد جلّ جلاله ، ومن اعتقد خلاف هذا يكفر بإجماع المسلمين كلّهم .

فمناط التَّبَرُّكِ والتَّوَسُّلِ به أو بآثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ليس هو إسناد أي تأثير إليه ، والعياذ بالله ، وإنّما المناط كونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلائق عند الله على الإطلاق ، وكونه رحمة من الله للعباد ، فهو التَّوَسُّلُ بقربه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ربّه ، وبرحمته الكبرى للخلق . وبهذا المعنى توَسَّلَ الأعمى به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أن يردّ عليه بصره ، فردّه الله عليه ، وبهذا المعنى كان الصّحابة يتوسّلون بآثاره وفضلاته دون أن يجدوا منه أي إنكار ، وقد مرّ في هذا الكتاب بيان استحباب الاستشفاع بأهل الصّلاح والتّقوى وأهل بيت النّبوة في الاستسقاء وغيره ، وأنّ ذلك ممّا أجمع عليه جمهور الأئمّة والفقهاء بما فيهم الشوكاني وابن قدامة الحنبلي والصّنعاني ، وغيرهم .

والفرق بعد هذا بين حياته وموته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خلط عجيب وغريب في البحث لا مسوغ له "

(١)

### سادساً : التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالأَعْمَالِ الصّالِحَةِ :

لا بأس في أن يتوسّل المرء إلى الله تعالى بأعماله الصّالحة لدفع مضرّة نزلت به أو جلب منفعة ، كأن يقول : اللهمّ إني أسألك بعملِي الفلاني - ويسمّيه - الذي عملته من أجلك مخلصاً أن تيسّر لي كذا وكذا ... أو يقول : اللهمّ إني أسألك بإيماني بك ، وتصديقي لرسولك ، ومحبتّي له أن تعينني على كذا ....

(١) انظر : فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (ص ٢٣٩ فما بعدها) .

ومأ يستدلُّ به لهذا النوع من التَّوسُّلِ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

وَقَتَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦] ...

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوْوُوا إِلَى غَارٍ فَأَنْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ، لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصَّدُوقُ، فَلِيدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرْقٍ مِنْ أَرَزُّ، فَدَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَإِنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرْقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ إِنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا، وَأَنَّهُ أَنَايَ يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرْقٌ مِنْ أَرَزُّ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرْقِ فَسَاقِهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيَهُمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَيْنِ عَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاعُونَ مِنَ الْجُوعِ، فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبُوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدْعِيَهُمَا، فَيَسْتَكِنَا لِشَرِّبَتِيهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتَيْتَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمَكَّنْتَنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَقْضِ الْحَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَمُّتْ وَتَرَكَتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا" (١).

فالتَّوَسُّلُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ أَمْرٌ يَجِبُهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَبِالتَّوَسُّلِ فَهُوَ وَسِيلَةٌ مِنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي يَقْدِمُهَا الْإِنْسَانُ لِتَقَرُّبِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى طَلِبًا لِنَيْلِ الْقُرْبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ، وَكَشْفِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحُزَنِ ...

**سَابِعًا: التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِدُعَاءِ الصَّالِحِينَ:** ومن أنواع التَّوَسُّلِ: التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِدُعَاءِ الصَّالِحِينَ مِمَّنْ يُرْجَى إِجَابَةُ دَعَائِهِ، فَعَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُّوا إِلَى عُمَرَ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْحَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنَ الْقُرْنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٢) برقم (٣٤٦٥).

وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: "إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، لَا يَدْعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمَّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بِيَاضٌ، فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوْ الدَّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ" (١).

والأحاديث الواردة عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحثِّ على التَّوَسُّلِ بدعاء الصَّالحين كثيرة، منها ما رواه ابن أبي شيبة وابن ماجه بسنديهما عن صفوان بن عبد الله بن صفوان، وكان تحتَه الدَّرْدَاءُ فَأَتَاهَا، فَوَجَدَ أُمَّ الدَّرْدَاءِ وَلَمْ يَجِدْ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَقَالَتْ لَهُ: تُرِيدُ الْحُجَّ الْعَامَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "دَعْوَةُ الْمَرْءِ مُسْتَجَابَةٌ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ يُؤْمِنُ عَلَى دُعَائِهِ، كُلَّمَا دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ، قَالَ: آمِينَ، وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ". ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى السُّوقِ، فَلَقِيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ ذَلِكَ" (٢).

وروى مسلم وغيره بسندهم عن أسير بن جابر، أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر، وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس، فقال عمر: هل هاهنا أحد من القرنيين؟ فجاء ذلك الرجل فقال عمر: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال: "إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، لَا يَدْعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمَّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بِيَاضٌ، فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوْ الدَّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ" (٣).

وفي السنة المطهرة نماذج عديدة وفريدة لطلبات الصحابة من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعاء لهم... وقد جاء الأمر من الله تعالى لالتماس وطلب دعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]

وقد ذكرت في الفصل الخاصِّ بأدلة التَّوَسُّلِ العديد العديد من الأدلة التي تندرج تحت أنواع التَّوَسُّلِ المختلفة...

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص ٥٧٠ برقم ٢٠٤٦)، مسلم (٤/١٩٦٨ برقم ٢٥٤٢)، واللفظ له، ابن المبارك في الزهد والرقائق (٥٩/٢)، البغوي في شرح السنة (١٤/٢٠٥ برقم ٤٠٠٥)، البيهقي في شعب الإيمان (٩/١٢٨ برقم ٦٣٨٠)، ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/١٥٣ برقم ٣٣٠١٠)، الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧٩/٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المسند، (١/٥٢ برقم ٤٣)، المصنف (٦/٢١ برقم ٢٩١٥٨)، ابن ماجه (٢/٩٦٦ برقم ٢٨٩٥).

(٣) أخرجه مسلم (٤/١٩٦٨ برقم ٢٥٤٢)، البغوي في شرح السنة (١٤/٢٠٥ برقم ٤٠٠٥).

## الفصل الرابع

### أدلة التوسل بالأنبياء والصالحين وآثارهم

لقد دلت على جواز التوسل بالذوات الفاضلة من الأنبياء والصالحين وآثارهم في الحياة وبعد الممات ، وكذا بالأعمال الصالحة آيات الكتاب العزيز ، وكذا أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومن تلکم الأدلة :

أولاً : أدلة القرآن العظيم :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٨٩] .

فقد ذكر أهل العلم أن اليهود كانوا قبل بعثة سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستنصرون بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مشركي العرب ، وكانوا يقولون لهم : هذا زمان خروج نبي آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة ، وسنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وكان اليهود يهيمون في حربهم مع قبيلة غطفان العريية ، فقالوا : اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم ، فهزموا غطفان ... فلما بعث النبي من العرب تنكروا له ، وكفروا به ، وعادوه ...

قال الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ) : " يعني

بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة : ٨٩] ، أي : وكان هؤلاء اليهود

الذين لما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم من الكتب التي أنزلها الله قبل الفرقان ، كفروا به -

يستفتحون بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ومعنى " الاستفتاح " : الاستنصار ، يستنصرون الله به على مشركي

العرب من قبل مبعثه ، أي : من قبل أن يبعث ، كما حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن

إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، عن أشياخ منهم ، قالوا : فينا والله وفيهم - يعني في الأنصار

، وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصة ، يعني : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا

مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة : ٨٩] ، قالوا : كنا قد علوناهم دهرًا في الجاهلية

، ونحن أهل الشرك ، وهم أهل الكتاب ، فكانوا يقولون : إن نبيًا الآن مبعثه قد أظلم زمانه ، يقتلكم قتل عاد

وإرم . فلما بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش وأتبعناه ، كفروا به . يقول الله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا

بِهِ ﴾ [البقرة : ٨٩] .

وحدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني ابن إسحاق ، قال : حدَّثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل مبعثه . فلمَّا بعثه الله من العرب ، كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة : يا معشر يهود ، اتَّقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته ! فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنَّا نذكر لكم ! فأنزل الله جل ثناؤه في ذلك من قوله : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]

وحدَّثنا أبو كريب ، قال : حدَّثنا يونس بن بكير ، قال : حدَّثنا ابن إسحاق ، قال : حدَّثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت ، قال : حدَّثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس مثله .  
وحدَّثني محمد بن سعد ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمي ، قال : حدَّثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩] ، يقول : يستنصرون بخروج محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مشركي العرب - يعني بذلك أهل الكتاب - فلمَّا بعث الله محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورأوه من غيرهم ، كفروا به وحسدوه .

وحدَّثنا محمد بن عمرو قال ، حدَّثنا أبو عاصم ، قال : حدَّثني عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن علي الأزدي في قول الله : ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩] ، قال : اليهود ، كانوا يقولون : اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس ، يستفتحون - يستنصرون - به على الناس .

وحدَّثني المثني ، قال : حدَّثنا أبو حذيفة ، قال : حدَّثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن علي الأزدي - وهو البارقي - في قول الله جل ثناؤه : ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩] ، فذكر مثله .  
وحدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : حدَّثنا يزيد ، قال : حدَّثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩] ، كانت اليهود تستفتح بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كفار

العرب من قبل ، وقالوا : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده في التوراة يعذبهم ويقتلهم ! فلما بعث الله محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرأوا أنه بعث من غيرهم ، كفروا به حسداً للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْتَفْتِحُوا عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة : ٨٩] ... " (١) .

وقال الإمام إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج (٣١١هـ) في معنى الآية : " ... فيه قولان : ... وقيل : وكانوا يستفتحون على الذين كفروا : يستنصرون بذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا ﴾ [البقرة : ٨٩] ، فلما جاءهم ما عرفوا ، أي : ما كانوا يستنصرون وبصحة يخبرون ، كفروا وهم يوقنون أنهم معتمدون للشقاق عداوة لله " (٢) .

وقال الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (٤٣٧هـ) : " قال ابن عباس : " كانت العرب في الجاهلية يمرؤون على اليهود فيؤذونهم ، واليهود يجدون صفة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة ، فيسألون الله أن يعجل ببعثه فينصروا به على العرب لما وصل إليهم من أذى العرب . فلما جاءهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قد عرفوه وسألوا الله في بعثه كفروا به " . وقال مجاهد : " كانوا يقولون : " اللهم ابعث لنا هذا النبي يفصل بيننا وبين الناس ، فلما بعث كفروا به " . وقيل : أنهم كانوا يرغبون إلى الله في النصر عند حروبهم بمحمد عليه السلام ، ويستشفعون به فينصرون ، فلما جاءهم بنفسه كفروا به حسداً وبغياً ، وهم يعلمون أنه رسول . وبمثل هذا القول ، قال : السدي ، وعطاء ، وأبو العالية " (٣) .

وقال الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرئي البغدادي (٣٦٠هـ) : " أنبأنا إبراهيم بن موسى الجوزي ، قال : حدثنا يوسف بن موسى القطان ، قال : حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنتره ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس ، قال : " كانت يهود خيبر تقاتل غطفان ، فكلما التقوا هزمت اليهود فعاد اليهود يوماً في الدنيا ، فقالوا : اللهم نسألك بحق محمد النبي الأمي ، الذي وعدتنا أنك تخرجنا في آخر الزمان إلا نصرتنا

(١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢/ ٣٣٢ - ٣٣٥) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٧١) .

(٣) انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمال من فنون علومه (١/ ٣٤٦) .

عَلَيْهِمْ ، قَالَ : فَكَانُوا إِذَا اتَّقَوْا دَعَوْا بِهَذَا الدُّعَاءِ ، فَهَزَمُوا غَطْفَانَ ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَفَرُوا بِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩] (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي (٤٦٨هـ) :  
 ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩] ، يستنصرون الله عليهم بالقرآن والنبى المبعوث آخر الزمان .

قال سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس : كانت يهود خيبر تقاتل غطفان ، فكلما اتقوا هزمت يهود خيبر ، فعادت اليهود بهذا الدعاء ، وقالت : اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم .

فكانوا إذا اتقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان ، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به ، فأنزله الله تعالى هذه الآية ، وهو قوله تعالى : ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩] ، يعني الكتاب ، وذلك أنهم كانوا قد قرءوا في التوراة أن الله يبعث في آخر الزمان نبياً وينزله عليه قرآناً مبيناً " (٢) .

وقال الإمام أبو المظفر ، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (٤٨٩هـ) : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة: ٨٩] ، يستنصرون ؛ ومنه قول الشاعر :

ألا أبلغ بني عصم رسولاً      فأني عن قباحتكم غني

أي : عن نصرتكم . وفي الخبر : " أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِكِ الْمُهَاجِرِينَ " (٣) ، أي يستنصر بهم في الدعاء للغزوات .

(١) أخرجه الأجرى في الشريعة (٣/ ١٤٥٢ برقم ٩٧٨) .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١/ ١٧٣) .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٩٢ برقم ٨٥٧) ، البغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٦٤ برقم ٤٠٦٢) ، الضياء المقدسي في الأحاديث

المختارة (٤/ ٣٣٧ برقم ١٥٠٧) .

وَمَعْنَى الْآيَةِ : أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَبْلِ كَانُوا يُؤْذُونَ الْيَهُودَ ، قَرِيبًا تَكُونُ الْعَلْبَةَ لَهُمْ عَلَى الْيَهُودِ فِي الْقِتَالِ ؛ فَقَالَتْ الْيَهُودُ - : اللَّهُمَّ انصُرْنَا بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي تَبِعْتَهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَكَانُوا يَنْصُرُونَ بِهِ ، فَلَمَّا بَعَثَ كَفَرُوا بِهِ " (١) .

وقال الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرَّاعِبِ الأصفهاني (٥٠٢هـ) : " الاستفتاح : طلب الفتح ، والفتح ضربان ، فتح إلهي ، وهو النَّصْرَةُ بالوصول إلى العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثَّوَابِ والمقامات المحموده ، وفتح دنيوي ، وهو النَّصْرَةُ في الوصول إلى اللَّذَاتِ البدنيَّةِ ، وعلى الأوَّلِ قوله : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [الفتح : ١] ، وقوله : ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ [المائدة : ٥٢] ، وعلى الثَّانِي قوله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٤٤] ، وقوله : ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ [البقرة : ٨٩] ، قيل : معناه : يستعملون خبره من النَّاسِ مرة ، وقيل يطلبون من الله في بذكره الظَّفَرِ ، وقيل : كانوا يقولون : إِنَّا نَنْصُرُ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَكُلِّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ الْاسْتِفْتَاءِ ، فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ جَهْلِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْتَظِرُونَهُ ، وَكَانُوا يَعْرِفُونَ وَصْفَهُ ... " (٢) .

وقال الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطُّوسِي (٥٠٥هـ) : " قال ابن عَبَّاسٍ : كانت اليهود قبل أن يُبعثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَاتَلُوا قَوْمًا ، قَالُوا : نَسْأَلُكَ بِالنَّبِيِّ الَّذِي وَعَدْتَنَا أَنْ تَرْسَلَهُ ، وَبِالْكِتَابِ الَّذِي تَنْزَلُهُ إِلَّا مَا نَصَرْتَنَا . فَكَانُوا يَنْصُرُونَ ، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَفُوهُ وَكَفَرُوا بِهِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِمْ إِيَّاهُ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [البقرة : ٨٩] إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا ﴾ [البقرة : ٩٠] ، أَي حَسَدًا ... " (٣) .

وقال الإمام محيي السنَّة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشَّافِعِي (٥١٠هـ) : " ... ﴿ وَكَانُوا ﴾ ، يَعْنِي : الْيَهُودَ ، ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ ﴾ ، أَي : مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ : يَسْتَنْصِرُونَ ، ﴿ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ : عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ إِذَا

(١) انظر : تفسير القرآن ، أبو المظفر السمعاني (١٠٨/١) .

(٢) انظر : تفسير الراغب الأصفهاني (٢٥٧-٢٥٨) .

(٣) انظر : إحياء علوم الدِّين (٣/١٩٠) ، وانظر : بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (٢/٢٥٤) .

أحزَنهم أمر أو دهمهم عدوٌ : اللهم انصُرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة ، فكأنوا ينصرون ، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين : قد أظل زمان نبي يخرج بتصديقي ما قلنا فنفتلكم معه قتل عادٍ وثمودٍ وإيرامٍ ... " (١) .

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) : " قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٨٩] ، يعني : القرآن ، و ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ [البقرة : ٨٩] : يستنصرون . وكانت اليهود إذا قتلت المشركين استنصروا باسم نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (٦٠٦هـ) : " أمّا قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة : ٨٩] ، ففي سبب النزول وجوه . أحدها : أن اليهود من قبل مبعث محمد عليه السلام ونزول القرآن كانوا يستفتحون ، أي : يسألون الفتح والنصرة ، وكانوا يقولون : اللهم افتح علينا وانصُرنا بالنبي الأمي ... " (٣) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ) : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ [البقرة : ٨٩] ، أي : يستنصرون . والاستفتاح : الاستنصار . استفتحت : استنصرت . وفي الحديث : كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين ، أي : يستنصر بدعائهم وصلاتهم . ومنه : ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِي بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ ﴾ [المائدة : ٥٢] . والنصر : فتح شيء معلق ، فهو يرجع إلى قولهم : فتحت الباب . وروى النسائي عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إننا نصر الله هذه الأمة بضعفائها ، بدعوتهم ، وصلاتهم ، وإخلاصهم " (٤) . وروى النسائي أيضاً عن أبي الدرداء ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : " أبغوني الضعيف ، فإنكم إنما ترزقون

(١) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (١/١٤١-١٤٢) .

(٢) انظر : زاد المسير في علم التفسير (١/٨٧) .

(٣) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٣/٥٩٨) .

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٤/٣٠٥ برقم ٤٣٧٢) ، الشاشي في المسند (١/١٣٢ برقم ٧٠) ، كلاهما بلفظ : " إننا نصر الله هذه الأمة بضعفائها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم .

وتنصرون بضعفائكم" (١). قال ابن عباس: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فلما التقوا هزمت يهود، فعادت يهود بهذا الدعاء، وقالوا: إِنَّا نَسْأَلُكَ بِحَقِّ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي وَعَدْتَنَا أَنْ تَخْرُجَهُ لَنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِلَّا تَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ. قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء، فهزموا غطفان، فلما بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَرُوا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَكَا نُؤُا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩]، أي بك: يا محمد" (٢).

وقال الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (٨٧٥هـ): "... وروى أبو بكر محمد بن حُسَيْنِ الأَجْرِيُّ عن ابن عباس، قال: كانت يهود خيبر يُقَاتِلُونَ غَطَفَانَ، فَكُلَّمَا تَقَوَا، هَزَمَتِ الْيَهُودَ، فَعَادَ الْيَهُودُ يَوْمًا بِالدُّعَاءِ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ، إِنَّا نَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي وَعَدْتَنَا أَنْ تَخْرُجَهُ لَنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِلَّا نَصَرْتَنَا عَلَيْهِمْ، فَكَانُوا إِذَا تَقَوَا، دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ، فَهَزَمُوا غَطَفَانَ، فَلَمَّا بَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَرُوا بِهِ ... " (٣).

وبنحو ما قال هؤلاء العلماء، قال جمهور المفسرين (٤) ...

**الدَّلِيلُ الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم مِّن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨].**

وفي تفسيرهم للآية الكريمة ذكر أهل العلم أنَّ التَّابُوتَ كان فيه بعض آثار أنبياء بني إسرائيل، وكانوا يأخذونه معهم في حروبهم يستنصرون به على عدوهم، وكان بالنسبة لهم مصدر سكينته وطمانينة ووقار، به

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/١٩٨ برقم ٢٢٠٧٤)، أبو داود (٣/٣٢ برقم ٢٥٩٤)، الترمذي (٣/٢٥٨ برقم ١٧٠٢)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، البزار في المسند (١٠/٧٤ برقم ٤١٣٩)، النسائي في السنن الكبرى (٤/٣٠٥ برقم ٤٣٧٣)، ابن حبان في الصحيح (١١/٨٥ برقم ٤٧٦٧)، الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٢/١٥٧ برقم ٢٦٤١)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/٤٨٠ برقم ٦٣٨٨).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٦-٢٧).

(٣) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/٢٧٨-٢٧٩).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١/١٧١)، بحر العلوم (١/٩٩)، تفسير القرآن العزيز، ابن أبي رَمِين (١/١٥٨)، تفسير الماوردي (النكت والعيون) (١/١٥٨)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٩٣)، البحر المحيط في التفسير (١/٤٨٧)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١/٧٦)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/١٣٢).

تأنس نفوسهم وتسكن إليه قلوبهم ، فلا يهربوا ولا يفرّوا أمام عدوّهم . ولما انحرفوا عن الجادة وعصوا الرّسل سلّط الله عليهم من ينتزعه منهم ، فذلّوا وهانوا ...

ففي تفسير الآية الكريمة قال الإمام إبراهيم بن السّري بن سهل ، أبو إسحاق الزّجاج (٣١١هـ) : " والفائدة - كانت - في هذا التّأبوت أنّ الأنبياء - صلوات الله عليهم - كانت تستفتح به في الحروب ، فكان التّأبوت يكون بين أيديهم ، فإذا سُمعَ من جوفه أنين دف التّأبوت ، أي : سار والجميع خلفه - والله أعلم بحقيقة ذلك " (١) .

وقال الإمام محيي السنّة ، أبو محمّد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠هـ) : " ... وَقَالَ قَتَادَةُ وَالْكَلْبِيُّ : السَّكِينَةُ فَعِيلَةٌ مِنَ السُّكُونِ ، أَي : طُمَأْنِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَفِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ التَّأْبُوتُ اطْمَأْنَنُوا إِلَيْهِ وَسَكَنُوا . ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ [البقرة : ٢٤٨] ، يَعْنِي مُوسَىٰ وَهَارُونَ أَنْفُسَهُمَا كَانَ فِيهِ لَوْحَانِ مِنَ التُّورَةِ ، وَرُضَاضِ الْأَلْوَاحِ الَّتِي تَكَسَّرَتْ ، وَكَانَ فِيهِ عَصَا مُوسَىٰ ، وَعَلَاهُ ، وَعِمَامَةُ هَارُونَ ، وَعَصَاهُ ، وَقَفِيْزٌ مِنَ الْمُنِّ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَكَانَ التَّأْبُوتُ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانُوا إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ تَكَلَّمُوا وَحَكَمَ بَيْنَهُمْ ، وَإِذَا حَضَرُوا الْقِتَالَ قَدَّمُوهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَيَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ " (٢) .

وقال الإمام جمال الدّين أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي بن محمّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " كان التّأبوت من عود الشّمشار (٣) عليه صفائح الذهب ، وكان يكون مع الأنبياء إذا حضروا قتالاً ، قدّموه بين أيديهم يستنصرون به ، وفيه السّكينة . وقال وهب بن منبّه : كان نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين . قال مقاتل : فلما تفرقت بنو إسرائيل ، وعصوا الأنبياء ، سلّط الله عليهم عدوّهم ، فغلبوهم عليه " (٤) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدّين القرطبي (٦٧١هـ) : قوله تعالى : ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكَمُ وَبَقِيَّةٌ﴾ [البقرة : ٢٤٨] ، اختلف النّاس في السّكينة والبقية ؛ فالسّكينة فعيلة مأخوذة من السّكون والوقار والطّمأنينة . فقوله : " فيه سكينة " ، أي : هو سبب

(١) انظر : معاني القرآن وإعراجه (١/٣٢٩) .

(٢) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (١/٣٣٤) .

(٣) نوع من الشجر ، خشبه صلب ، تُصنع منه بعض الأدوات .

(٤) انظر : زاد المسير في علم التفسير (١/٢٢٤) .

سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من أمر طالوت ؛ ونظيره : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة : ٤٠] ، أي : أنزل عليه ما سكن به قلبه . وقيل : أراد أن التَّابُوت كان سبب سكون قلوبهم ، فأينما كانوا سكنوا إليه ولم يفرُّوا من التَّابُوت إذا كان معهم في الحرب " (١) .

وقال الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (٨٧٥هـ) : " وكانت بنو إسرائيل تغلب من حاربها ، وروي أنها كانت تَصْعُ التَّابُوت الذي فيه السَّكِينَةُ والبقية في مَأَزِقِ الحرب ، فلا تزال تَغْلِبُ حتى عصت ، وظهرت فيهم الأحداث ، وخالف ملوكهم الأنبياء ، وآتبعوا الشَّهوات ، وقد كان الله تعالى أقام أمورهم بأن يكون أنبياءهم يسدِّدون ملوكهم ، فلما فعلوا ما ذكرناه ، سلَّط الله عليهم أمماً من الكفرة ، فغلبوهم ، وأخذ لهم التَّابُوت في بعض الحروب ، فذلَّ أمرهم ... واختلف في كيفية إتيان التَّابُوت ، فقال وهب : لما صار التَّابُوت عند القوم الذين غلبوا بني إسرائيل ، وضَّعه في كنيسة لهم فيها أصنام ، فكانت الأصنام تُصَبِّحُ منكسة ، فجعلوه في قرية قَوْمٍ ، فأصاب أولئك القوم أوجاعٌ ، فقالوا : ما هذا إلا لهذا التَّابُوت ، فلنرِّده إلى بني إسرائيل ، فأخذوا عَجَلَةً ، فجعلوا التَّابُوت عليَّها ، وربطوها ببقرتين ، فأرسلوهما في الأرض نحو بلاد بني إسرائيل ، فبعث الله ملائكة تسوق البقرتين حتى دخلتا به على بني إسرائيل ، وهم في أمر طالوت ، فأيقنوا بالنصر " .

وقال قتادة ، والرَّبِيعُ : كان هذا التَّابُوت ممَّا تركه موسى عند يوشع ، فجعله يوشع في البرية ، ومَرَّتْ عليه الدُّهُور حتى جاء وقت طالوت ، فحملته الملائكة في الهواء حتى وضعته بينهم ، فاستوثقت بنو إسرائيل عند ذلك على طالوت ، وقيل غير هذا ، والله أعلم (٢) .

وقال الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (١٢٢٤هـ) : ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] ، أي : فيه ما تسكن إليه قلوبكم وتثبت عند الحرب . وكانوا يُقدِّمونه أمامهم في الحروب فلا يفرُّون ، ويُنصرون على عدوهم " (٣) .

وقال الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) : " وَالسَّكِينَةُ فَعِيلَةٌ ، مأخوذة من السُّكُونِ وَالْوَقَارِ وَالطَّمَأْنِينَةِ ، أَي : فِيهِ سَبَبٌ سَكُونِ قُلُوبِكُمْ فِيمَا اِخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ أَمْرِ طَالُوتَ . قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ :

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٤٨-٢٤٩) .

(٢) انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/ ٤٨٨-٤٩١ باختصار) .

(٣) انظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ٢٧٥) .

الصَّحِيحَ أَنَّ النَّابُوتَ كَانَتْ فِيهِ أَشْيَاءٌ فَاضِلَةٌ مِنْ بَقَايَا الْأَنْبِيَاءِ وَأَثَارِهِمْ ، فَكَانَتْ النُّفُوسُ تَسْكُنُ إِلَى ذَلِكَ وَتَأْتِسُ بِهِ وَتَتَقَوَّى . وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي السَّكِينَةِ عَلَى أَقْوَالٍ سَيَّأَتِي بَيَّانُ بَعْضِهَا ، وَكَذَلِكَ اخْتَلَفَ فِي الْبَقِيَّةِ ، فَقِيلَ : هِيَ عَصَا مُوسَى وَرُضَاضُ الْأَلْوَاحِ ، وَقِيلَ : غَيْرُ ذَلِكَ " (١) .

وهذا في الحقيقة ليس إلا توسلاً بآثار أولئك الأنبياء ، وتوسلاً ببركة النابوت . فإذا كان التبرُّك بآثار الأنبياء شركاً وخروجاً من ربقة الدين ، فماذا يقول مدعو السلفية عن قصّة تابوت بني إسرائيل ؟!!! هل يقرُّ القرآن الكفر ويمدحه ؟...

**الدَّلِيلُ الثَّلَاثُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٣٥] .**

الوسيلة هي ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله ، وهي ما يتوصَّلُ بها إلى تحصيل المقصود . والوسيلة لفظٌ عامٌ شاملٌ للتوسُّل بالذوات الفاضلة من الأنبياء والصالحين في الحياة وبعد الممات ، وكذا بالأعمال الصالحة . فالآية الكريمة تدعو المؤمنين للتقرب إلى الله تعالى الله بشئى أنواع القربات ، متوسلين إليه تعالى بشئى أنواع الوسائل ، ومن ضمنها : التوسُّل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

وفي تفسير الآية الكريمة قال الإمام أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (٢١١هـ) في تعريف الوسيلة : " عَنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : الْقُرْبَةُ ... وَعَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : الْقُرْبَةُ وَالرُّلْفَةُ " (٢) .

وقال الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ) : " والوسيلة : هي الفعيلة من قول القائل : توسلت إلى فلان بكذا ، بمعنى : تقربت إليه ، ومنه قول عنتره :  
إِنَّ الرَّجَالَ هُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ      إِنَّ يَأْخُذُونَكَ تَكْحَلِي وَتَخْضَبِي  
يعني بـ الوسيلة ، القربة ، ومنه قول الآخر :

إِذَا عَقَلَ الْوَاشُونَ عُدْنَا لَوْضِلْنَا      وَعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالْوَسَائِلُ

ثمَّ رَوَى بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، وَالسُّدِّيِّ ، وَطَلْحَةَ ، وَقَتَادَةَ ، وَمُجَاهِدَ ، وَالْحَسَنَ ، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ : الْقُرْبَةُ . وَرَوَى عَنْ ابْنِ زَيْدٍ فِي مَعْنَى الْوَسِيلَةِ ، قَالَ : الْمَحَبَّةُ ، تَحَبُّبًا إِلَى اللَّهِ " (٣) .

(١) انظر : فتح القدير (١/٣٠٣-٣٠٤) .

(٢) انظر : تفسير عبد الرزاق (٢/١٧) ، (٢/٣٠١) بالترتيب .

(٣) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٠/٢٩١) .

وقال الإمام إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج (٣١١هـ) في تعريف الوسيلة : " معناه : اطلبوا إليه القربة ... والوسيلة ، والسؤال ، والسؤال ، والطلب ، في معنى واحد " (١) .

وقال الإمام الأزهري محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، أبو منصور (٣٧٠هـ) : " والوسيلة : الوصلة والقربة ، وجمعها الوسائل ، قال الله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] ، ويُقال : توسل فلان إلى فلان بوسيلة ، أي : تسبب إليه بسبب ، وتقرب إليه بحرمة أصره تعطفه عليه " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ) : " حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني ، ثنا محمد بن عبد الوهاب ، ثنا محاضر بن المورع ، ثنا الأعمش ، عن أبي وإيل ، عن حذيفة ، أنه سمع قارئاً يقرأ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] ، قال : القربة ، ثم قال : لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله وسيلة " (٣) .

وقال الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني (٤٧١هـ) : " الوسيلة : الخصلة التي يتقرب بها العبد إلى سيده تقرب موالاة ومحبة ومودة لا تقرب محاذاة أو أخوة " (٤) .

وقال الإمام أبو المظفر ، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (٤٨٩هـ) : " الوسيلة كل ما يتوسل به إلى الله تعالى ، أي : يتقرب " (٥) .

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) : " قوله تعالى : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] ، في الوسيلة قولان :

أحدهما : أنها القربة ، قاله ابن عباس ، وعطاء ، ومجاهد ، والفراء . وقال قتادة : تقربوا إليه بما يرضيه . قال أبو عبيدة : يقال : توسلت إليه ، أي : تقربت إليه . وأنشد :

(١) انظر : معاني القرآن وإعراجه (٢/ ١٧١) ، (٣/ ٢٤٦) بالترتيب .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (١٣/ ٤٨) .

(٣) أخرجه الحالم في المستدرک ، (٢/ ٣٧١) برقم ٣٢٧٦ ، وقال الذهبي في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم) .

(٤) انظر : درج الدرر في تفسير الآي والسور (٣/ ١١١) .

(٥) انظر : تفسير القرآن ، أبو المظفر السمعاني (٣/ ٢٥١) .

إِذَا غَفَلَ الْوَأَشُونَ عُدْنَا لَوْصَلْنَا وَعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالْوَسَائِلُ

وَالثَّانِي: الْمُحِبَّةُ، يَقُولُ: تَحَبُّوا إِلَى اللَّهِ، هَذَا قَوْلُ ابْنِ زَيْدٍ (١).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَرَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ التَّمِيمِيِّ الرَّازِي الْمَلَقَّبُ بِفَخْرِ الدِّينِ الرَّازِي

خَطِيبِ الرَّيِّ (٥٦٠هـ): "الْوَسِيلَةُ فِعْيَلَةٌ، مِنْ وَسَلَ إِلَيْهِ إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ. قَالَ لَيْدٌ الشَّاعِرُ:

أَرَى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدَّرَ أَمْرِهِمْ أَلَّا كُلُّ ذِي لُبٍّ إِلَى اللَّهِ وَاسِلٌ

أَيُّ: مُتَوَسِّلٌ، فَالْوَسِيلَةُ هِيَ الَّتِي يُتَوَسَّلُ بِهَا إِلَى الْمَقْصُودِ. قَالَتِ التَّعْلِيمِيَّةُ: دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى

اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِمُعَلِّمٍ يُعَلِّمُنَا مَعْرِفَتَهُ، وَمُرْشِدٍ يُرْشِدُنَا إِلَى الْعِلْمِ بِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَمْرٌ بِطَلَبِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ مُطْلَقًا،

وَالْإِيْيَانُ بِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَطَالِبِ وَأَشْرَفِ الْمَقَاصِدِ، فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْوَسِيلَةِ.

وَجَوَابُنَا: أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا أَمَرَ بِاتِّغَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ بَعْدَ الْإِيْيَانِ بِهِ، وَالْإِيْيَانُ بِهِ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَعْرِفَةِ بِهِ فَكَانَ هَذَا

أَمْرًا بِاتِّغَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ بَعْدَ الْإِيْيَانِ وَبَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، فَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَمْرًا بِطَلَبِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ فِي مَعْرِفَتِهِ،

فَكَانَ الْمُرَادُ طَلَبَ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ فِي تَحْصِيلِ مَرْضَاتِهِ وَذَلِكَ بِالْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ (٢).

وَقَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ مَكْرَمِ بْنِ عَلِيٍّ، أَبُو الْفَضْلِ، جَمَالَ الدِّينِ ابْنَ مَنْظُورَ الْأَنْصَارِيِّ الرَّوَيْفِعِيِّ الْإِفْرِيْقِيِّ

(٧١١هـ): "الْوَسِيلَةُ: الْمُنْزَلَةُ عِنْدَ الْمَلِكِ. وَالْوَسِيلَةُ: الدَّرَجَةُ. وَالْوَسِيلَةُ: الْقُرْبَةُ. وَوَسَّلَ فُلَانٌ إِلَى اللَّهِ وَسِيلَةً إِذَا

عَمِلَ عَمَلًا تَقَرَّبَ بِهِ إِلَيْهِ. وَالْوَاسِلُ: الرَّاغِبُ إِلَى اللَّهِ؛ قَالَ لَيْدٌ:

أَرَى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدَّرَ أَمْرِهِمْ بَلَى كُلُّ ذِي رَأْيٍ إِلَى اللَّهِ وَاسِلٌ

وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِوَسِيلَةٍ: إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِعَمَلٍ. وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِكَذَا: تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِحُرْمَةِ آصِرَةٍ تُعْطَفُهُ عَلَيْهِ.

وَالْوَسِيلَةُ: الْوُصْلَةُ وَالْقُرْبَى، وَجَمَعَهَا الْوَسَائِلُ (٣).

الدَّلِيلُ الرَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾

[النساء: ٦٤].

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير، (١/٥٤٣-٥٤٤).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١١/٣٤٩).

(٣) انظر: لسان العرب (١١/٧٢٤).

والآية دالّة على العموم ، بمعنى أن الاستغفار من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمَّتِهِ ثابت في حياته ، وكذا بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، ومن أراد تخصيصها بحياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد خالف ما عليه أهل الحق ، لأنّ الفعل في سياق الشَّرْط يفيد العموم ، وأعلى صيغ العموم ما وقع في سياق الشَّرْط ، كما نصَّ على ذلك غير واحد من أهل العلم (١) .

قال الإمام عبد الله الغماري (١٤١٣هـ) : " فهذه الآية وإن نزلت بسبب المنافقين المتحاكمين إلى الطَّاغوت ، فهي عامّة تشمل كلّ عاص ومقصر ، لأنّ ظلم النَّفس المذكور فيها يشمل كلّ معصية ، ثمّ أنّها أعني الآية تدلُّ على الاستشفاع بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ في حالتي حياته ووفاته ، لأنّ كلاً من المجيء والاستغفار وقع في سياق الشَّرْط ، والفعل في سياق الشَّرْط يدلُّ على العموم ، والاستشفاع في حال الحياة ظاهر ليس فيه خلاف . وأمّا في حال الوفاة ، فالوهابيون يمنعونه متوهّمين أنّ الموت يحوّل دون تحقُّقه ، وهو غلط ظاهر ، لأنّ الأنبياء أحياء في قبورهم يُرزقون ، بدليل الكتاب والسُّنَّة والإجماع " (٢) .

وقال الإمام عبد الله الغماري (١٤١٣هـ) أيضاً : " فهذه الآية عامّة تشمل حالة الحياة وحالة الوفاة ، وتخصيصها بأحدهما يحتاج إلى الدَّلِيل ، وهو مفقود هنا ، فإن قيل : من أين أتى العموم للآية حتى يكون تخصيصها بحالة الحياة دعوى تحتاج إلى دليل ؟ قلنا : من وقوع الفعل في سياق الشَّرْط ، والقاعدة المقرّرة في الأصول : أنّ الفعل إذا وقع في سياق الشَّرْط كان عامّاً ، لأنّ الفعل في معنى النَّكْرَة لتضمُّنه مصدراً منكرّاً ، والنَّكْرَة الواقعة في سياق النَّفي أو الشَّرْط تكون للعموم وضعاً " (٣) .

وهذا ما فهمه كثيرٌ من المُفسِّرين وغيرهم من أهل العلم ، فقد ذكروا قصّة العتبي عند تفسيرهم للآية الكريمة ، وكذا ذكروها عند الدُّعاء أثناء زيارة القبر الشَّريف ...

قال الإمام أبو عمر ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربّه الأندلسي (٣٢٨هـ) : " وقف أعرابي على قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : قلت فقبلنا وأمرت فحفظنا ، وبلغت عن ربِّك فسمعنا : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ

(١) انظر : إرشاد الفحول (ص ١٢٢) ، البحر المحيط في أصول الفقه (٤/ ١٦٠) .

(٢) انظر : إتحاف الأذكياء بجواز التوسُّل بالأنبياء والأولياء (ص ١٣) .

(٣) انظر : الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين (ص ٤٥-٤٦) .

إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿النساء: ٦٤﴾ ، وقد ظلمنا أنفسنا وجئناك فاستغفر لنا . فما بقيت عينٌ إلا سالت ... " (١) .

وروى الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم الطبراني (٣٦٠هـ) ، قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّائِغُ ، ثنا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، ثنا سُفْيَانُ ، عَنْ مِسْعَرٍ ، عَنْ مَعْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : " إِنَّ فِي النِّسَاءِ لِحُمُسِ آيَاتٍ مَا يَسُرُّنِي بَيْنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ إِذَا مَرُّوا بِهَا يَعْرِفُونَهَا : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء : ٣١] ، وَقَوْلُهُ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَظْعَفْهَا وَيُوْثِرْ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٤٠] ، وَ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء : ٤٨] ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ١١٠] " (١) .

ففرح عبد الله بن مسعود بهذه الآية واضح وظاهر في أنه رآها عامّة في كلّ زمان ومكان ، بدليل ضمّها لغيرها من الآيات التي يفهم الإنسان العادي منها أنها عامّة لا تخصّ زماناً دون زمان ، ولا مكاناً دون مكان ... وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [النساء : ١٠٠] ، " وَالْهُجْرَةُ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ الْوُصُولُ إِلَى حَضْرَتِهِ ، كَذَلِكَ الْوُصُولُ بَعْدَ مَوْتِهِ " (٢) .

قال الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق (٤٢٧هـ) : " روى الصادق عن علي (عليهما السلام) ، قال : قدم علينا امرؤ عندما دفننا رسول الله صلى الله عليه وسلّم ثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبي عليه الصلاة والسلام وحثا على رأسه من ترابه ، وقال : يا رسول الله ، قلتَ فسمعنا قولك ، ووعيت من الله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله عليك : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ " (٣) .

(١) انظر : العقد الفريد (٣/ ١٩٤) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢٢٠ برقم ٩٠٦٩) ، سعيد بن منصور في التفسير (٤/ ١٢٩٧ برقم ٦٥٩) ، البيهقي في شعب الإيثار (٤/ ٧٥ برقم ٢٢٠٢) .

(٣) انظر : نيل الأوطار (٥/ ١١٣) .

لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ [النساء : ٦٤] . فقد ظلمت نفسي ، فجتتكت لتستغفر لي ، فنودي من القبر أنه قد غفر لك " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ) : " فَأَمَّا زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَأْمُورٌ بِهَا وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهَا ، رَوَى عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي " (١) ، وَحُكِيَ عَنِ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَى أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَجَدْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ تَائِبًا مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ، وَأَنْشَأُ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيِّبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكْمُ  
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

قَالَ الْعُتْبِيُّ (٢٢٨هـ) : فَعَفَوْتُ عَفْوَةً ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : يَا عُتْبِيُّ الْحَقِ الْأَعْرَابِيَّ ، وَأَخْبِرُهُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسرَ وجردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَافِضُ ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدَ بْنَ زِيَادٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الثَّقَفِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ الْقُرَشِيِّ ، يَقُولُ : كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ بِالْمَدِينَةِ إِذَا رَأَى مُنْكَرًا لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَغْيِرَهُ أَتَى الْقَبْرَ ، فَقَالَ :

(١) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣/ ٣٣٩) .

(٢) قال الأستاذ المحقق المدقق محمود سعيد ممدوح : " أخرجه الدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٨) ، والدولابي في الكنى والأسماء (٢/ ٦٤) ، والبيهقي في شعب الإيذان (٣/ ٤٩٠) ، والخطيب في تلخيص المشابهة في الرسم (١/ ٥٨١) ، وابن الدبيشي في الذيل على التَّاريخ (٢/ ١٧٠) ، وابن النجار في تاريخ المدينة (ص ١٤٢) ، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٧٠) ، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٣٥٠) ، والسُّبكي في شفاء السقام (ص ٢ - ١٤) . جميعهم من طرق عن موسى بن هلال العبدي ، عن عبید الله بن عمر وعبد الله بن عمر كلاهما عن نافع عن ابن عمر به مرفوعاً . وهذا الإسناد حسن سواء قال موسى بن هلال عن عبید الله بن عمر أو عن أخيه عبد الله بن عمر أو عنها . وقد صحَّحه عبد الحق الإشبيلي ، وصحَّحه أو حسنه السُّبكي في شفاء السقام ، والسُّبوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ، وآخرون ممن تأخروا عنه . وقد أعلَّ هذا الحديث بعلل لا يصح منها شيء " انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزَّيَّارة (ص ٢٨٠ فما بعدها) . ثم ناقش جميع العلل التي تعلل بها المتسلف في تضعيف الحديث ...

(٣) انظر : الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني (٤/ ٢١٤-٢١٥) .

أَيَا قَبْرِ النَّبِيِّ وَصَاحِبِيهِ أَلَا يَا عَوْثَنَا لَوْ تَعَلَّمُونَا

وقال : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الرَّوْذُبَارِيُّ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَقِيَّةَ ، إِمْلَاءً ، حَدَّثَنَا شُكْرُ الْهَرَوِيُّ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رُوْحِ بْنِ يَزِيدِ الْبَصْرِيِّ ، حَدَّثَنِي أَبُو حَرَبٍ الْهَلَالِيُّ ، قَالَ : حَجَّ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا جَاءَ إِلَى بَابِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَعَقَلَهَا ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ حَتَّى أَتَى الْقَبْرَ وَوَقَفَ بِحِذَاءِ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُكَ مُتَقَلِّبًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا مُسْتَشْفِعًا بِكَ عَلَى رَبِّكَ لِأَنَّهُ قَالَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَمِّي مُتَقَلِّبًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا مُسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى رَبِّكَ أَنْ يَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي ، وَأَنْ تَشْفَعَ فِيَّ ، ثُمَّ أَقْبَلَ فِي عَرْضِ النَّاسِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي التُّرْبِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيْبِهِ الْأَبْتَقَاعُ وَالْأَكْمَرُ

نَفْسِ الْفِدَاءِ بِقَبْرِ أَنْتِ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ (١)

ومع أن إسناده الرواية فيه مقال ، لكن الشاهد هو إيراد العديد من المفسرين لها في كتبهم ، لأنهم فهموا من الآية أن استغفار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاصلٌ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، ولذلك حثوا على ضرورة الذهاب لزيارته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسؤاله الاستغفار ، لأن الله أمره بالاستغفار لذاتيه ، وأذن له في الشفاعة في العصاة والمذنبين ، وهذا تجده واضحاً بيئاً في كتب المفسرين عند تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وكذا في كتب الفقه في باب زيارة قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو زيارة المدينة المنورة ... كما أن أبيات العتبي مكتوبة على واجهة حجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشريفة في العمود الذي بين شبك الحجرة النبوية يراها القاصي والداني منذ مئات السنين ، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على القبول ، ولم يعترض عليها أحد ، حتى جاء من جعلوا السلف شماعة علقوا عليها

(١) انظر : شعب الإيثار (٦/ ٦٠-٦١).

مصائبهم وطاماتهم التي كانت بسبب الفهم السقيم الذي ما سبقهم إليه أحد، والتي عادت على مجموع الأمة بالفرقة والتفرقة والتكفير وعظائم الأمور ...

وقال الإمام نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم ابن داود النابلسي المقدسي، أبو الفتح الشافعي (هـ: ٤٩٠هـ):  
" وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ السُّلَمِيُّ، أَنبَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْإِمَامُ، ثنا أَبُو مُحَمَّدٍ الْوَرْدُ، ثنا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، ثنا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، يَقُولُ: كُنْتُ حَاجًّا فِي بَعْضِ السَّنِينَ، فَأَتَيْتُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا بِأَعْرَابِيٍّ يَرْكُضُ عَلَى بَعِيرِهِ حَتَّى أَتَى مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَقَلَ بَعِيرَهُ، ثُمَّ دَخَلَ يَوْمَ الْقَبْرِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا أَبَايَ أَنْتَ وَأُمِّي، لَقَدْ بَعَثَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشِيرًا وَنَذِيرًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَابًا مُسْتَقِيمًا، أَعْلَمَكَ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَقَالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ، وَهَذَا أَنَا قَدْ أَتَيْتُكَ مُقِرًّا بِالذُّنُوبِ مُسْتَشْفِعٌ بِكَ عَلَى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ مَضَى، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيِّبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكْمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لَقَبْرُ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ (١)

وقال الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرَّاعِبِ الأصفهاني (هـ: ٥٠٢هـ): " ووقف أعْرَابِيٌّ على قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: قد قبلنا منك، وحفظنا ما أديت عن ربك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، فقد ظلمنا أنفسنا واستغفرنا فاستغفر لنا " (٢).

(١) انظر: أمالي أبي الفتح المقدسي (المجلس الحادي والعشرون بعد المائة) (ص ٥).

(٢) انظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٢/ ٤٨٩).

وقال الإمام الروياني ، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل (٥٠٢ هـ) : " يستحبُّ إذا فرغ من حجِّه أن يزور قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي " . وروي عن ابن عمر أنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : " من زار قبري وجبت له الجنة " .

وروي : " وجبت له شفاعتي " ، ويستحب أن يصلي في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " صلاة في مسجدي هذا تعال ألف صلاة في غيره من المساجد " ، ذكره أصحابنا ، وحكى العيني في هذا حكاية حسنة ، قال : كنت عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاء أعرابي ، وقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، ثم قال : سمعت الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربِّي ثم أنشأ يقول :

يا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمَهُ فِطَابٍ مِنْ طَيِّبِهِنَّ الْقَاعِ وَالْأَكْمِ

نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتِ سَاكِنَةٍ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

قال : ثمَّ انصرف الأعرابي فغلبتني عيناى فنمت ، فرأيت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام ، فقال : يا عتبي الحقَّ الرَّجُلَ ، وأخبره أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غفر له " (١) .

وقال الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطُّوسِي (٥٠٥ هـ) : " ... ثمَّ يرجع فيقف عند رأس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة ، وليحمد الله عزَّ وجلَّ ، وليمجده وليكثر من الصَّلَاةِ على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمَّ يقول : اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ قَلْتَ وَقَوْلِكَ الْحَقُّ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ سَمِعْنَا قَوْلَكَ ، وَأَطَعْنَا أَمْرَكَ ، وَقَصَدْنَا نَبِيَّكَ ، مَتَشَفِّعِينَ بِكَ إِلَيْكَ فِي ذُنُوبِنَا ، وَمَا أَثْقَلْ ظَهْرُنَا مِنْ أَوْزَارِنَا ، تَائِبِينَ مِنْ زَلَلِنَا ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَانَا ، وَتَقْصِرِينَ ، فَتُبَّ اللَّهُمَّ عَلَيْنَا ، وَشَفِّعْ نَبِيَّكَ هَذَا فِينَا ، وَارْفَعْنَا بِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَكَ وَحَقِّهِ عَلَيْكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ

(١) انظر : بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي) (١٠٣/٤) .

للمهاجرين والأنصار ، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ، ومن حرمك يا أرحم الراحمين " (١) .

وقال الإمام أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن علي بن أحمد بن سليمان البغدادي الأصيل ، الأصبهاني (٥٤٠هـ) : " حدثنا أبي ، إملاءً ، ثنا محمد بن سعد ، نا الصوت ، ثنا عبد الواحد بن أحمد ، بإسنادٍ ذكره ، عن محمد بن حرب الهلالي ، قال : دخلت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أعرابي وضع بعيره حتى عقله فدخل إلى القبر فسلم سلاماً حسياً ، ثم قال : يا أيُّ أنت وأمي يا رسول الله قد خصك بوسعيه ، وأنزل عليك كتابه جمع فيه علم الأولين والآخرين ، فقال في كتابه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] .

وَقَدْ جِئْتُكَ مُقِرًّا بِالذُّنُوبِ ، مُسْتَشْفِعًا بِكَ عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ التَّفَّتَ إِلَى الْقَبْرِ ، فَقَالَ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْأَرْضِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيْبِكَ الْفَيْعَانُ وَالْأَكْمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ (٢)

وقال الإمام عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي ، أبو الفضل (٥٤٤هـ) : " قال أبو

حميد : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له مالك : يا أمير

المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن الله تعالى أدب قوماً ، فقال : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾

[الحجرات: ٢] ، ومدح قوماً فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ

لِلتَّقْوَى ﴾ [الحجرات: ٣] ، ودم قوماً فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾

[الحجرات: ٤] ، وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً.. فاستكان لها أبو جعفر ، وقال : يا أبا عبد الله .. أستقبل القبلة

وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أهلك

أدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة !! بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله ... قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ

(١) انظر : إحياء علوم الدين (١/ ٢٥٩) .

(٢) انظر : مجلسان لأبي سعد البغدادي (ص ٨) .

إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿النساء﴾ : [٦٤] (١) .

وقال الإمام أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (٥٥٨هـ) : " وحكى العتبي (٢٢٨هـ) ، قال : كنت جالساً عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ جاء أعرابي فسَلَّمَ على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : يا رسول الله سمعت الله يقول : ﴿لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] . وقد جئتكَ مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيهنَّ القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثمَّ انصرف الأعرابي فغلبتني عيناى ، فنمت . فرأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوْم يقول : يا عتبي ، الحق الأعرابي وبشَّره بأنَّ الله قد غفر له " (١) .

أبو محمَّد عبد القادر بن موسى بن عبد الله ، الجلياني، الملقَّب بـ " سلطان الأولياء " (٥٦١هـ) : " اللهمَّ إِنَّكَ قلت في كتابك لنبيِّك : ﴿لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وإني أتيت نبيِّك تائباً من ذنوبي ، مستغفراً ، فأسألك أن تُوجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حال حياته فأقرَّ عنده بذنوبه ، فدعا له نبيُّه فغفرت له ، اللهمَّ إِنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك عليه سلامك نبيِّ الرَّحمة ، يا رسول الله إِنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّي ليغفر لي ذنوبي ، اللهمَّ إِنِّي أسألك بحقه أن تغفر لي وترحمني " (٢) .

(١) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٩٢/٢) ، وانظر : غاية السؤل في خصائص الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص ٢٧٥) ، إمتاع الأسباع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (٦١٧/١٤) ، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/٥٩٤) ، (٣/٦٠٢) ، سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١١/٤٣٩) ، (١٢/٣٩٥) ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/١٩٤) ، (١٢/٢١٣) ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف (ص ٣٤٢) ، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/٤٢٥) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢/١٠١) .

(٢) انظر : البيان في مذهب الإمام الشَّافعي (٣٧٨-٣٧٩) .

(٣) انظر : الغنية (ص ٢٢) .

وقال الإمام ثقة الدين ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " حدثنا عبد الغالب بن ثابت بن ماهان أبو نصر الرافقي قاضيها بها وكان شيخاً مسناً ، وذكر لي أنه سمع من أبي الحسين بن المقتدي ببغداد ومن ابن طوق بالموصل ، واحترقت كتبه ، قال : أبنا ابن طوق الموصل بالموصل سنة تسع وخمسين وأربع مئة بإسناد لا أذكره الآن عن العتبي (٢٢٨هـ) أنه قال : كنت جالساً عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإذا بأعرابي قد أقبل على ناقه له ، فنزل وعقلها ودنا إلى حجرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيهنَّ القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم قال الأعرابي : وجدت الله تعالى يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتك يا رسول الله مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، وانصرف . قال العتبي (٢٢٨هـ) : فتمتُ فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم ، فقال لي : يا عتبي ، الحق الأعرابي فقل له : إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غفر له .

أخبرناه أبو أحمد عبد السلام بن الحسن بن علي بن زرعة الصوري بقراءتي عليه بدمشق ، ثنا الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر بصور لفظاً ، ثنا أبو العباس أحمد بن علي بن محمد ، أبنا أبو بكر محمد بن زهير بنيسابور ، أبنا أبو الحسن علي بن أحمد بن مرزبان ، ثنا أبو محمد الحسن بن محمد النحوي الأصبهاني ، أبنا ابن فضيل النحوي ، أبنا عبد الكريم بن علي ، ثنا محمد بن محمد بن النعمان ، ثنا محمد بن روح عن الهلالي محمد بن حرب ، قال : دخلت المدينة ، فأتيت قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزرتة وجلست بحذائه ، فجاء أعرابي فزاره ثم قال : يا خير الرُّسل ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وإني جئتكم مستغفراً ربِّك من ذنوبي ، مستشفعاً بك فيها ثم بكى وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيهنَّ القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثمَّ استغفر وانصرف ، فرقدت فرأيت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نومي ، وهو يقول : الحق الرَّجُلُ فبشَّره بأنَّ الله قد غفر له بشفاعتي ، فاستيقظت ، فخرجت أطلبه فلم أجده " (١) .  
وقال الإمام محمَّد بن علي بن شعيب ، أبو شجاع ، فخر الدِّين ، ابن الدَّهَّان (٥٩٢هـ) : " وتستحبُّ لمن فرغ من الحجِّ أن يزور قبر النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَام . حكى العُتَيْبِيُّ (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كنت جالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَام ، فجاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، سَمِعْتَ اللهُ يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتُكَ مُسْتَغْفِرًا لذنبي ، مستشفعاً بك إلى رَبِّي ثُمَّ قَالَ :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم  
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنَهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثمَّ انصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : الحقُّ الْأَعْرَابِيُّ فبشَّره بأنَّ الله قد غفر له " (٢) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحْمَنِ بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) ، في أثناء كلامه عن أبي شجاع الوزير : " ولمَّا عزل الوزير أبو شجاع خرج إلى الجامع يوم الجمعة فاثالث عليه العامَّة تصافحه وتدعو له ، فكان ذلك سبباً لالتزامه بيته ، والإنكار على من صحبه ، وبنى في دهليز داره مسجداً ، وكان يؤذِّن ويصلي فيه ، ثمَّ وردت كتب نظام الملك بإخراجه من بغداد ، فأخرج إلى بلدة ، فأقام مدَّة ، ثمَّ استأذن في الحجِّ فأذن له ، فخرج .

قال أبو الحسن بن عبد السَّلَام : اجتمعت به في المدينة فقَبَّلَ يدي ، فأعظمت ذلك ، فقال لي : قد كنت تفعل هذا بي فأحببت أن أكافئك . وجاور بالمدينة ، فلمَّا مرَّ مَرَضُ المَوْتِ حُمِلَ إلى مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله فوقف بالحضرة وبكى ، وقال : يا رسول الله ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ

(١) انظر : معجم الشيوخ (١/٥٩٩) .

(٢) انظر : تقويم النظر في مسائل خلافة ذائعة ، ونبد مذهبية نافعة (٢/١٥٧) .

جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿النساء: ٦٤﴾ ، وقد جئت  
 معترفاً بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك ، وبكى " (١) .

وقال الإمام نصير الدين محمد بن عبد الله السامري الحنبلي (٦١٦هـ) : " باب زيارة قبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وإذا قدم مدينة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استحَبَّ له أن يغتسل لدخولها ، ذكره ابن البناء . ثم يأتي مسجد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول عند دخوله : بسم الله ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وافتح لي أبواب رحمتك ، وكف عني أبواب عذابك ، الحمد لله الذي بلغنا هذا المشهد وجعلنا لذلك أهلاً ، والحمد لله رب العالمين . ويقدم رجله اليمنى في الدخول ، ثم يأتي حائط القبر ... وسئل أحمد رحمه الله عن يمتسح بقبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : ما أعرف هذا ، أهل العلم كانوا لا يمسونه ، ويقومون ناحية فيسلمون ، وكذا كان ابن عمر يفعل ... فيقف ناحية ، ويجعل القبر تلقاء وجهه ، والقبلة خلف ظهره ، والمنبر عن يساره ، ويقف مما يلي طرف جدار القبر مما يلي المنبر فيقول : السَّلام عليك يا رسول الله ، السَّلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - إلى آخر ما يقوله في المشهد الأخير - اللهم أعط محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ، والمقام المحمود الذي وعدته إياه ، إنك لا تخلف الميعاد . اللهم صل على روحه في الأرواح ، وجسده في الأجساد ، كما بلغ رسالتك وتلا آياتك ، وصدع بأمرك حتى أتاه اليقين . اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك عليه السَّلام : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ، وإنِّي قد أتيتك تائباً مستغفراً ، فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته . اللهم إنِّي أتوجه إليك بنبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي الرحمة ، يا رسول الله ، إنِّي أتوجه بك إلى ربِّي ليغفر لي ذنوبي . اللهم إنِّي أسألك بحقه أن تغفر لي ذنوبي " (٢) .

وقال الإمام أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي ، الشهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) : " فضل زيارة قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، فضل : وَيُسْتَحَبُّ زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؛ لما رَوَى الدَّارِقُطْنِيُّ ، بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -

(١) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١٧/٢٦) .

(٢) انظر : المستوعب (١/٥٢٤-٥٢٥) .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَنْ حَجَّ ، فَرَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي ، فَكَأَنَّهَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي " . وَفِي رِوَايَةٍ : " مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي " . رَوَاهُ بِاللَّفْظِ الْأَوَّلِ سَعِيدٌ . حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ لَيْثِ بْنِ جُبَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ . وَقَالَ أَحْمَدُ ، فِي رِوَايَةٍ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ فَسَيْطٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْلُمُ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي ، إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي ، حَتَّى أُرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَام " . وَإِذَا حَجَّ الَّذِي لَمْ يَحْجَّ قَطُّ - يَعْنِي مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ الشَّامِ - لَا يَأْخُذُ عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ، لِأَنِّي أَخَافُ أَنْ يَخْذُتْ بِهِ حَدَثٌ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَقْصِدَ مَكَّةَ مِنْ أَقْصَرِ الطَّرِيقِ ، وَلَا يَتَشَاغَلَ بغيرِهِ . وَيُرْوَى عَنِ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا لِدُنْيِي ، مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيِّبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكْمُ

نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَحَمَلْتَنِي عَيْنِي ، فَنِمْتُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُتْبِيُّ ، الْحَقُّ الْأَعْرَابِيُّ ، فَبَشَّرَهُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ .

وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَنْ يُقَدِّمَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى ، ثُمَّ يَقُولُ : بِسْمِ اللَّهِ ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَاعْفُرْ لِي ، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ . وَإِذَا خَرَجَ ، قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ . وَقَالَ : وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ . لَمَّا رُوِيَ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهَا أَنْ تَقُولَ ذَلِكَ ، إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ . ثُمَّ تَأْتِي الْقَبْرَ فَتُؤَيِّ ظَهْرَكَ الْقِبْلَةَ ، وَتَسْتَقْبِلُ وَسْطَهُ ، وَتَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَخَيْرَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ رِسَالَاتِ رَبِّكَ ، وَنَصَحْتَ لِأُمَّتِكَ ، وَدَعَوْتَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَعَبَدْتَ اللَّهَ حَتَّى آتَاكَ الْيَقِينَ ، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ كَثِيرًا ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى ، اللَّهُمَّ اجْزِ عَنَّا نَبِيَّنَا أَفْضَلَ مَا جَزَيْتَ أَحَدًا مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمُحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ ، يَعْظِمُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى

إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] . وَقَدْ أَتَيْتَكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذُنُوبِي ، مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ، فَاسْأَلُكَ يَا رَبِّ أَنْ تُوجِبَ لِي الْمَغْفِرَةَ ، كَمَا أَوْجَبْتَهَا لِمَنْ أَتَاهُ فِي حَيَاتِهِ ... " (١) .

وقال الإمام ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (٦٤٣هـ) : " حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ ، ثنا أبو علي الحسين بن إبراهيم القنطري بنسب ، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن يزداد الرّازي ، أنبأ أبو الحسن محمد بن إسحاق التّمّار بالبصرة ، ثنا أحمد بن ثابت بن بقية أبو الطيّب ، ثنا الحسن بن يوسف الكاتب ، ثنا ابن بنت يزيد بن هارون ، سمعت سفيان بن سعيد الثّوري ، يقول : بينا أنا واقف عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَنَا بِأَعْرَابِي عَلَى قَعُودٍ لَهُ أَتَى الْقَبْرَ فَسَلَّمَ سَلَامًا حَسَنًا وَدَعَا دَعَاءً جَمِيلًا ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمَكَ بِالنُّبُوَّةِ وَاخْتَصَّكَ بِهَا وَجَعَلَكَ لَهَا ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَقْرَأً بِالذَّنْبِ ، مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّكَ ، وَهُوَ مَنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ ثُمَّ أَنشَأُ يَقُولُ :

يا خير من دفنت في الأرض أعظمه وطاب من طيبه القيعان والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكـرم

قلت : ورويت هذه الحكاية عن غير سفيان الثّوري ! أخبرنا بها شيخنا أبو المظفر السّمعاني بقراءتي عليه بمرور ، قلت له : أخبركم أبو الطيّب طاهر بن عثمان بن محمد بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن يعقوب بن إسحاق بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أجيد بن حفص بن غياث بن معبد بن عباد بن عبد الرحمن بن عوف الصّيرفي الزّهري قراءة عليه ببخارى ، أنبأ جدي هو أبو بكر محمد ، ثنا ابن سهل أحمد بن علي الأبيوردي ، ثنا الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي ، أنبأ أبو الفضل محمد بن يوسف بن ريجان ، ثنا الحسن بن يزيد ، ثنا الحسن بن سهل الواسطي ، ثنا محمد بن روح الرّقاشي ، ثنا محمد بن حرب الهلالي ، قال : كنت بالمدينة فدخلت إلى قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَجُلٌ يُوَضِّعُ عَلَى بَعِيرِهِ حَتَّى أَنَاخَهُ وَعَقْلَهُ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَسَلَّمَ

(١) انظر : المغني (٣/٤٧٨-٤٨٠) .

سلاماً حسناً ودعى دعاءً جميلاً ثم قال: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، إن الله تعالى خصك بوحيه وأنزل عليك كتاباً جمع لك فيه ذكر الأولين والآخرين، فقال في كتابة وقوله الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وقد أتيتك مستشفعاً بك إلى ربك وهو منجز ما وعدك ثم التفت إلى القبر، فقال:

يا خير من دفنت تحت الأرض أعظمه فطاب من طيبهنّ القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم (١)

وقال الإمام محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار (٦٤٣هـ):

أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الحسن في كتابه، أخبرنا أبو الفرج بن أحمد، أخبرنا أحمد بن نصير، أخبرنا محمد بن القاسم، سمعت علي بن غالب الصوفي، يقول: سمعت إبراهيم بن محمد المزكي يقول: سمعت أبا الحسن الفقيه يحكي عن الحسن بن محمد، عن ابن فضيل النحوي، عن محمد بن روح، عن محمد بن حرب الهلالي، قال: دخلت المدينة فأتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابي فزاره ثم قال: يا خير المرسلين إن الله عز وجل أنزل كتاباً عليك صادقاً، قال فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وإني جئتكم مستغفراً إلى ربي من ذنوبي، مستشفعاً بك، ثم بكى وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنّ القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

أنت النبي الذي تُرجى شفاعته عند الصراط إذا ما زلت القدم

ثم استغفر وانصرف، فرقدت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يقول: الحق بالرجل فيبشره بأن الله

عز وجل قد غفر له بشفاعتي.

أبنائنا ذاكر بن كامل بن أبي غالب الخفاف - فيما أذن لي في روايته عنه -، قال: كتب إلي أبو علي الحداد،

عن أبي نعيم الأصبهاني، قال: أبنائنا جعفر بن محمد بن نصير، أخبرنا أبو يزيد المخزومي، أخبرنا الزبير بن بكار،

حدَّثنا محمد بن الحسن، حدَّثني غير واحد منهم: عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن عمر بن محمد، أنه لما كان

(١) انظر: المنتقى من مسموعات مرو (ص ٢٣٩-٢٤٠).

أيام الحرّة ترك الأذان في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أيام ، وخرج النَّاسُ إلى الحرّة ، وجلس سعيد بن المسيّب في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : فاستوحشت ، فدنوت من قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلمّا حضرت الصَّلَاةَ ، سمعت الأذان في قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فصلّيت ركعتين ، ثمّ سمعت الإقامة فصلّيت الظُّهر ، ثمّ جلست حتى أصبلي العصر ، فسمعت الأذان في قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمّ سمعت الإقامة . ثمّ لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى مضت الثلاث ، وقفل القوم ودخلوا مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعاد المؤذنون فأذّنوا ، فتسمّعت الأذان في قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم أسمعها ، فرجعت إلى مجلسي الذي كنت فيه أكون .

أبنا عبد الرَّحْمَنِ بن علي ، أبنا أبو الفضل الفارسي ، عن أبي بكر الشيرازي ، أخبرنا محمد بن الحسين ، سمعت أبا الخير الأقطع يقول : دخلت مدينة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا بفاقة ، فبقيت خمسة أيّام ما ذقت ذواقاً ، فتقدّمت إلى القبر وسلّمت على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقلت : أنا ضيفك الليلة يا رسول الله ، وتنحّيت فنمت ، فرأيت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله ، وعلي بين يديه ، فحرّكتني علي وقال لي : قم ، قد جاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : فقمتم إليه وقبّلت بين عينيه ، فدفعت إليّ رغيفاً فأكلت نصفه ، وانتبهت وفي يدي النّصف الآخر .

أخبرنا عبد الوهّاب بن علي ، أخبرتنا فاطمة بنت أبي حكيم - إن لم يكن سماعاً فإجازة - ، أبنا أبو منصور بن الفضل ، أخبرنا أبو عبد الله الكاتب ، أخبرنا ابن المغيرة ، حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي ، حدّثنا الزبير بن بكار ، أخبرنا السري بن الحارث ، عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير - وكان مصعب يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة ويصوم الدهر - قال : بتُّ ليلة في المسجد بعد ما خرج النَّاسُ منه ، فإذا برجل قد جاء إلى بيت الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمّ أسند ظهره إلى الجدار ، ثمّ قال : اللهمَّ إنك تعلم أنّي كنت أمس صائماً ، ثمّ أمسيت فلم أفطر على شيء ، اللهمَّ إني أمسيت أشتهي الثريد فأطعمنيه من عندك .

قال : فنظرت إلى وصيفٍ داخل من خوخة المنارة ، ليس في خلقه وصفاء النَّاسِ ، معه قصعة فأهوى بها إلى الرّجل ، فوضعها بين يديه وجلس الرّجل يأكل وحصبني ، فقال : هلمّ ، فجنّته وظننت أنّها من الجنّة ، فأحببت أن أكل منها لقمة ، فأكلت طعاماً لا يشبه طعام أهل الدُّنيا ، ثمّ احتشمت فقمتم فرجعت لمجلسي ، فلمّا فرغ من

أكله ، أخذ الوصيف القصعة ثم أهوى راجعاً من حيث جاء ، وقام الرجل منصرفاً فتبعته لأعرفه ، فلا أدري أين سلك ، فظننته الخضر عليه السلام " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١ هـ) : " روى أبو صادق عن علي قال : قدم علينا أعرابيُّ بعد ما دفننا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحثا على رأسه من ترابه ؛ فقال : قلت يا رسول الله فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله فوعينا عنك ، وكان فيها أنزل الله عليك ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفري ، فنودي من القبر أنه قد غفر لك " (٢) .

وقال الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦ هـ) : " وَاعْلَمَ أَنَّ زِيَارَةَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهَمِّ الْقُرْبَاتِ وَأَنْجَحِ الْمَسَاعِي ، فَإِذَا انْصَرَفَ الْحُجَّاجُ وَالْمُعْتَبِرُونَ مِنْ مَكَّةَ ، أُسْتَحَبَّ لَهُمْ اسْتِحْبَابًا مُتَّكِدًا أَنْ يَتَوَجَّهُوا إِلَى الْمَدِينَةِ لِزِيَارَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وينوي الزائر مع الزيارَةِ : التَّقَرُّبَ ، وَشَدَّ الرَّحْلَ إِلَيْهِ ، وَالصَّلَاةَ فِيهِ ، وَإِذَا تَوَجَّهَ فَلْيُكْثِرْ مِنَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقِهِ ، فَإِذَا وَقَعَ بَصْرُهُ عَلَى أَشْجَارِ الْمَدِينَةِ وَحَرَمِهَا وَمَا يَعْرِفُ بِهَا ، زَادَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَهُ بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ وَأَنْ يَقْبَلَهَا مِنْهُ ... فَإِذَا صَلَّى التَّحِيَّةَ فِي الرُّوضَةِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْمَسْجِدِ شَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النُّعْمَةِ ، وَسَأَلَهُ إِيْتَامَ مَا فَصَدَهُ وَقَبُولَ زِيَارَتِهِ ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَبْرَ الْكَرِيمَ ، فَيَسْتَدْبِرُ الْقِبْلَةَ وَيَسْتَقْبِلُ جِدَارَ الْقَبْرِ ... ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَوْفِعِهِ الْأَوَّلِ قِبَالَهُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَتَوَسَّلُ بِهِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ ، وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ مَا حَكَاهُ الْمَأْوَرِدِيُّ ، وَالْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ ، وَسَائِرُ أَصْحَابِنَا عَنِ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨ هـ) ، مُسْتَحْسِنِينَ لَهُ ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ

(١) انظر : الدررة الثمينة في أخبار المدينة (ص ١٥٨-١٦٠) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٦٥-٢٦٦) .

فَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيِّبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكْمُ  
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انصَرَفَ ، فَحَمَلْتَنِي عَيْنَايَ ، فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُنْتِي الْحَقُّ الْأَعْرَابِيُّ  
فَبَشَّرَهُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ " (١) .

وقال الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) أيضاً : " وعن العُتبي (٢٢٨هـ) ، قال :  
كنتُ جالساً عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاء أعرابيٌّ ، فقال : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! سمعتُ الله  
تعالى يقولُ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ  
فَأَسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ  
ذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ؛ ثُمَّ أَنشَدَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيِّبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكْمُ  
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

قال : ثُمَّ انصَرَفَ ، فَحَمَلْتَنِي عَيْنَايَ ، فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لِي : يَا عُنْتِي ! الْحَقُّ  
الْأَعْرَابِيُّ ، فَبَشَّرَهُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ " (٢) .

وقال الإمام عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي ، أبو الفرج ، شمس الدين  
(٦٨٢هـ) : " ويروى عن العُتبي (٢٢٨هـ) ، قال : كنتُ جالساً عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاء أعرابيٌّ ،  
فقال : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سمعتُ الله يقولُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَأَسْتَغْفَرُوا  
اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذَنْبِي ،  
مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيِّبِهِنَّ الْبَانُ وَالْأَكْمُ

(١) انظر : المجموع شرح المذهب (٨/ ٢٧٢-٢٧٤ باختصار) .

(٢) انظر : الأذكار للنووي (ص ٣٥٢) .

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي ، فحملتني عيني ، فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : يا عتبي ، الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له " (١) .

وقال الإمام عبد الله بن محمود بن مودود الموصلى البلدحي ، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (٦٨٣هـ) : " وَلَا يَضَعُ يَدَهُ عَلَى جِدَارِ التُّرْبَةِ فَهُوَ أَهْيَبُ وَأَعْظَمُ لِلْحُرْمَةِ ، وَيَقِفُ كَمَا يَقِفُ فِي الصَّلَاةِ ، وَيُمَثِّلُ صُورَتَهُ الْكَرِيمَةَ الْبَهِيَّةَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّهُ نَائِمٌ فِي حُدَيْهِ ، عَالِمٌ بِهِ يَسْمَعُ كَلَامَهُ ، قَالَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ " ، وَفِي الْحَبْرِ : " أَنَّهُ وَكَلَّ بِقَبْرِهِ مَلَكٌ يُبَلِّغُهُ سَلَامَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ " ، وَيَقُولُ : السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا صَفِيَّ اللهِ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللهِ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ الرَّحْمَةِ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا شَفِيعَ الْأُمَّةِ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا مَزْمُلٌ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا مُدَثِّرٌ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا أَحْمَدُ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ الطَّاهِرِينَ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً ، جَزَاكَ اللهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَن قَوْمِهِ ، وَرَسُولًا عَن أُمَّتِهِ ؛ أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الرَّسَالََةَ ، وَأَدَيْتَ الْأَمَانَةَ ، وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ ، وَأَوْضَحْتَ الْحُجَّةَ ، وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَقَاتَلْتَ عَلَى دِينِ اللهِ حَتَّى آتَاكَ الْيَقِينَ ، فَصَلَّى اللهُ عَلَى رُوحِكَ وَجَسَدِكَ وَقَبْرِكَ صَلَاةً دَائِمَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . يَا رَسُولَ اللهِ ، نَحْنُ وَفَدَاكَ ، وَزُورَارُ قَبْرِكَ ، جِئْنَاكَ مِنْ بِلَادِ شَاسِعَةٍ ، وَنَوَاحٍ بَعِيدَةٍ ، قَاصِدِينَ قَضَاءَ حَقِّكَ ، وَالنَّظَرَ إِلَى مَآثِرِكَ ، وَالتَّيَّامُنَ بِزِيَارَتِكَ ، وَالِاسْتِشْفَاعَ بِكَ إِلَى رَبِّنَا ، فَإِنَّ الْخَطَايَا قَدْ قَصَمَتْ ظُهُورَنَا ، وَالْأَوْزَارَ قَدْ أَنْقَلَتْ كَوَاهِلَنَا ، وَأَنْتَ الشَّافِعُ الْمُسْتَفْعُ ، الْمُوَعِدُ بِالشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمُحْمُودِ ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْنَاكَ ظَالِمِينَ لِأَنْفُسِنَا ، مُسْتَغْفِرِينَ لِدُنُوبِنَا ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُمِيتَنَا عَلَى سُنَّتِكَ ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زَمْرَتِكَ ، وَأَنْ يُورِدَنَا حَوْصَكَ ، وَأَنْ يَسْقِينَا كَأْسَكَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَادِمِينَ ، الشَّفَاعَةَ الشَّفَاعَةَ يَا رَسُولَ اللهِ ، يَقُولُهَا ثَلَاثًا : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] . وَيُبَلِّغُهُ سَلَامَ مَنْ أَوْصَاهُ فَيَقُولُ :

(١) انظر : الشرح الكبير على متن المتنع (٣/ ٤٩٤) .

السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ ، يَسْتَشْفِعُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ فَاشْفَعْ لَهُ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ؛ ثُمَّ يَقِفُ عِنْدَ وَجْهِهِ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ مَا شَاءَ .

وَيَتَحَوَّلُ قَدْرَ ذِرَاعٍ حَتَّى يُحَازِي رَأْسَ الصَّدِيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَيَقُولُ : السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْعَارِ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا رَفِيقَهُ فِي الْأَسْفَارِ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا أَمِينَهُ عَلَى الْأَسْرَارِ ، جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَازَى إِمَامًا عَنْ أُمَّةٍ نَبِيٍّ ، وَلَقَدْ خَلَفْتَهُ بِأَحْسَنِ خَلْفٍ . وَسَلَكْتَ طَرِيقَهُ وَمِنْهَا جَهَ خَيْرٌ مَسَلِكٍ ، وَقَاتَلْتَ أَهْلَ الرَّدَّةِ وَالْبِدْعِ ، وَمَهَّدْتَ الْإِسْلَامَ ، وَوَصَلْتَ الْأَرْحَامَ ، وَلَمْ تَزَلْ قَائِلًا الْحَقَّ ، نَاصِرًا لِأَهْلِهِ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ ، فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ؛ اللَّهُمَّ أَمْتَنَا عَلَى حُبِّهِ ، وَلَا تُحِبِّبْ سَعِينًا فِي زِيَارَتِهِ بِرَحْمَتِكَ يَا كَرِيمٌ . ثُمَّ يَتَحَوَّلُ حَتَّى يُحَازِي قَبْرَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَيَقُولُ : السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا مُظْهِرَ الْإِسْلَامِ ، السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا مُكَسِّرَ الْأَصْنَامِ ، جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ الْجَزَاءِ ، وَرَضِيَ عَمَّنِ اسْتَخْلَفَكَ ، فَلَقَدْ نَصَرْتَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، فَكَفَلْتَ الْيَتَامَ ، وَوَصَلْتَ الْأَرْحَامَ ، وَقَوَيْتَ بِكَ الْإِسْلَامَ ، وَكُنْتَ لِلْمُسْلِمِينَ إِمَامًا مَرْضِيًّا ، وَهَادِيًا مَهْدِيًّا ، جَمَعْتَ شَمْلَهُمْ ، وَأَغْنَيْتَ فَقِيرَهُمْ ، وَجَبَرْتَ كَسْرَهُمْ ، فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

ثُمَّ يَرْجِعُ قَدْرَ نِصْفِ ذِرَاعٍ فَيَقُولُ : السَّلَامَ عَلَيْكُمَا يَا صَاحِبَيْ رَسُولِ اللَّهِ وَرَفِيقَيْهِ وَوَزِيرَيْهِ ، وَمُشِيرَيْهِ ، وَالْمُعَاوِنِينَ لَهُ عَلَى الْقِيَامِ فِي الدِّينِ ، وَالْقَائِمِينَ بَعْدَهُ بِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ ، جَزَاكُمَا اللَّهُ أَحْسَنَ جَزَاءٍ ، جِئْنَاكُمَا نَتَوَسَّلُ بِكُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لِيَشْفَعَ لَنَا وَيَسْأَلَ رَبَّنَا أَنْ يَقْبَلَ سَعِينًا ، وَيُحْيِيَنَا عَلَى مِلَّتِهِ ، وَيُؤَمِّتَنَا عَلَيْهَا ، وَيُخَشِّرَنَا فِي زُمْرَتِهِ ؛ ثُمَّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَنْ أَوْصَاهُ بِالدُّعَاءِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .

ثُمَّ يَقِفُ عِنْدَ رَأْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَالْأَوَّلِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلِكَ الْحَقُّ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْنَاكَ سَامِعِينَ قَوْلَكَ طَائِعِينَ أَمْرَكَ ، مُسْتَشْفِعِينَ بِنَبِيِّكَ إِلَيْكَ ، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر: ١٠] الْآيَةَ ﴿ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ [البقرة: ٢٠١] الْآيَةَ ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصفات: ١٨٠] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، وَيَزِيدُ فِي ذَلِكَ مَا شَاءَ وَيَنْقُصُ مَا شَاءَ ، وَيَدْعُو بِمَا يَخْضُرُهُ مِنَ الدُّعَاءِ وَيُوقِفُ لَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى " (١) .

(١) انظر : الاختيار لتعليل المختار (١/١٧٦-١٧٧) .

وقال الإمام أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي : " وَحَكَى الْعُتْبِيُّ (٢٢٨هـ) أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا عِنْدَ قَبْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيْبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكْمُ  
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَحَمَلْتَنِي عَيْنِي فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لِي : يَا عُتْبِيُّ الْحَقِ الْأَعْرَابِيُّ فَبَسَّرَهُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ عَفَرَ لَهُ " (١) .

وقال الإمام أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (٦٨٤هـ) أيضاً : " وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ فَجَائِزَةٌ ، وَأَمَّا الْإِفْسَامُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّعَاءِ بِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ كَقَوْلِهِ يَعْنِي الدَّاعِي بِحَقِّ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ لَنَا فَخَاصٌّ بِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

يَعْنِي إِذَا لَاحَظَ الدَّاعِي جَعَلَ الْبَاءَ لِلْقَسَمِ وَإِلَّا كَانَ تَوْسُّلاً لَا إِفْسَامًا يَشْهَدُ لِذَلِكَ أَمْرَانِ الْأَوَّلُ قَوْلُهُ وَأَمَّا الْإِفْسَامُ إِلَى آخِرِهِ الثَّانِي مَا ذَكَرَهُ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ عَلِيُّ الْأَجْهَوْرِيُّ فِي فِتَاوِيهِ مِنْ أَنَّ الْعِزَّ بْنَ عَبْدِ السَّلَامِ ، قَالَ : إِنْ صَحَّ مَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَ بَعْضَ النَّاسِ الدُّعَاءَ فَقَالَ لَهُ فِي أَوَّلِهِ قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أُقَسِّمُ عَلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَقْصُورًا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ سَيِّدٌ وَلِدِ آدَمَ وَأَنْ لَا يُقَسِّمَ عَلَى اللَّهِ بغيرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا فِي دَرَجَتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَخَالَفَهُ ابْنُ عَرَفَةَ وَاسْتَدَلَّ بِمَا يَدُلُّ لَهُ بَلْ إِنَّمَا يَدُلُّ لِحَوَازِ التَّوَسُّلِ بِبَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ وَهُوَ غَيْرُ الْإِفْسَامِ وَقَدْ تَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ الْحَطَّابُ اهـ. كَلَامُ الْأَجْهَوْرِيِّ .

وَتَبَعَ ابْنُ عَرَفَةَ فِي قَوْلِهِ بِحَوَازِ الْإِفْسَامِ بغيرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَلَامَةُ ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِ الْعُبَابِ كَمَا يُعْلَمُ بِالْوُقُوفِ عَلَيْهِ وَعَلَى مَا يُقَالُ عَنْ فُقَهَاءِ الْأَحْتِنَافِ مِنْ تَحْرِيمِ قَوْلِ الدَّاعِي بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَبِحَقِّ فُلَانٍ اهـ. فَمَحْمُولٌ أَمَّا عَلَى مِلَّا حَظَةِ الدَّاعِي الْإِفْسَامِ أَوْ قَصْدِهِ الْحَقَّ بِمَعْنَى الْوَاجِبِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ تَعْلِيلُهُمْ بِقَوْلِهِمْ لِأَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ عَلَى اللَّهِ أَمَّا إِذَا لَاحَظَ بِهِ التَّوَسُّلَ أَوْ قَصَدَ الْحَقَّ بِمَعْنَى الرَّبُّوبِيَّةِ وَالْمُنْزَلَةِ لَدَيْهِ تَعَالَى أَوْ الْحَقَّ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ

(١) انظر : الذخيرة (٣/ ٣٧٥-٣٧٦) .

لَهُ عَلَى الْخَلْقِ وَعَلَيْهِ بِفَضْلِهِ لِلْخَلْقِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ قَالَ فَمَا حَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ فَلَا يَجْرُمُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْقَوْلُ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى الْأَدِلَّةِ الْوَارِدَةِ فِي جَوَازِ التَّوَسُّلِ .

وَمَا رَوَاهُ زُرُّوقٌ عَنْ مَالِكٍ مِنْ كَرَاهَةِ التَّوَسُّلِ فَإِنَّمَا يَصِحُّ بِحَمَلِ الْكِرَاهَةِ عَلَى التَّحْرِيمِيَّةِ وَالتَّوَسُّلِ عَلَى الْإِفْسَامِ إِذْ لَوْ لَمْ يُحْمَلْ عَلَى ذَلِكَ لَعَارَضَهُ مَا نَقَلَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - أَنَّهُ لَمَّا سَأَلَهُ جَعْفَرُ الْمُنْصُورُ عَنْ اسْتِقْبَالِ الْقَبْرِ حِينَ الدُّعَاءِ أَوْ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ قَالَ لَهُ وَلَمْ تَصْرِفْ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسَيْلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ قَبْلَكَ بَلْ اسْتَقْبَلَهُ وَاسْتَشْفَعُ بِهِ فَيَشْفَعُهُ اللَّهُ فِيكَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] . قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْجَوْهَرِ الْمُنَظَّمِ رَوَايَةُ ذَلِكَ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ جَاءَتْ بِالسَّنَدِ الصَّحِيحِ الَّذِي لَا مَطْعَنَ فِيهِ وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الزَّرْقَانِيُّ فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ وَرَوَاهَا ابْنُ فَهْدٍ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ وَرَوَاهَا الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ رَجَالُهُ ثِقَاتٌ لَيْسَ فِي إِسْنَادِهَا وَضَاعٌ وَلَا كَذَابٌ عَلَى أَنَّهَا قَدْ عَضَّدَتْ بِجَرَيَانِ الْعَمَلِ وَبِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ فِي جَوَازِ التَّوَسُّلِ الَّتِي يُعْضِدُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَبِظَاهِرِ اسْتِسْقَاءِ عُمَرَ بِالْعَبَّاسِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بَلْ يَمَّا يُعِينُ حَمَلَ رَوَايَةِ زُرُّوقٍ " (١) .

وقال الإمام أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (٦٨٤هـ) أيضاً : " ما نقله القاضي عياض في " الشفاء " عن الإمام مالك رضي الله تعالى عنه أنه لما سأله جعفر المنصور عن استقبال القبر حين الدعاء أو استقبال القبلة قال له : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم قبلك ؟!!! بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] . قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ حَجَرٍ فِي " الجواهر المنظم " رواية ذلك عن الإمام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه وقال العلامة الزَّرْقَانِيُّ فِي " شرح المواهب " ، ورواها ابن فهدي بإسناد جيد ، ورواها القاضي عياض في " الشفاء " بإسناد صحيح رجاله ثقات ليس في إسنادهما وضاع ولا كذاب على أنها قد عضدت بجريان العمل وبالأحاديث الصحيحة الصريحة في جواز التوسُّل التي يعضد بعضها بعضاً ، وبظاهر استسقاء عمر بالعبَّاس رضي الله عنهما ،

(١) انظر : الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) (٣/٥١-٥٢) .

بل ممَّا يعين حمل رواية زُرُوق المذكورة على ما ذكروا وبطلانها رأساً أنّ زُرُوقاً نفسه في شرحه لحزب البحر قال بعد ذكر كثير من الأخبار : اللهمَّ إِنَّا نتوسَّل إليك بهم ، فَإِنَّهم أَحْبُوك ، وما أَحْبُوك حتى أَحَببتهم فيك أَيَّاهم وصلوا إلى حَبِّكَ ونحن لم نصل إلى حَبِّهم فيك فتممَّ لنا ذلك مع العافية الكاملة الشَّاملة حتى نلتاك يا أرحم الرَّاحمين .

وله في التَّوسُّل قصيدة مشهورة ، فمن هنا قال العَلَّامة الزَّرْقاني على المواهب : وقول ابن تيمية ومالك من أعظم الأئمَّة كراهية لذلك خطأ قبيح ، فإنَّ كتب المالكيَّة طافحة باستحباب الدُّعاء عند القبر مستقبلاً له مستدبراً للقبلة ، ومَن نصَّ على ذلك : أبو الحسن القابسي ، وأبو بكر بن عبد الرَّحمن ، والعلَّامة خليل في منسكه ، ونقله في " الشِّفاء " عن ابن وهب عن مالك ، قال : إذا سلَّم على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدنو ويسلِّم ، ولا يمسَّ القبر بيده أهـ .

فتأمَّل ذلك ، فهذا تحقيق الفرق بين قاعدة ما يجب توحيد الله تعالى به وتوحده ، وبين قاعدة ما لا يجب ، والله أعلم " (١) .

وقال الإمام عبد الصَّمَد بن عبد الوهَّاب بن أبي الحسن محمَّد بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين أمين الدِّين أبو اليمن بن عساكر الدَّمشقي نزيل مكة (٦٨٦هـ) : " ... ثمَّ يرجع الزَّائر إلى موقفه الأوَّل قبالة وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتوسَّل به إلى الله سبحانه في حوائجه ، وخويصة نفسه ، ويستشفع به إليه ، ويجدد التَّوبة في حضرته الشَّريفة ، ويسأل الله سبحانه أن يجعلها توبةً نصوحاً ، ويكثر الاستغفار ، ويدم التَّضرُّع إلى الله سبحانه وتعالى فيما هنالك ، ويسأله ما أهمَّه من أمور الدِّين والدُّنيا ، ويكثر الاستشفاع به إلى الله سبحانه في مهمَّاته ، وخواصِّه ، ولوالديه ، ولإخوانه ، وللمسلمين أجمعين .

قال شيخنا أبو عمرو رحمه الله : ومن أحسن ما يقول ، قول الأعرابي الذي حكاه جماعة من الأئمَّة مستحسنين له عن العُتبي ، واسمه محمَّد بن عبيد الله ، قال :

كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاء أعرابي ، فقال : السَّلَام عليك يا رسول الله ، سمعت الله سبحانه يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ

(١) انظر: الفروق أو أنوار البروق في أنواع الفروق (مع الهوامش) (٥٩/٣) .

لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿ [النساء: ٦٤] ، وقد جئتكم مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، ثمَّ أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيهنَّ القاع والأكم  
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال : فحملتني عيناى ، فرأيت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فقال لي : يا عُبَيْي ، الحقُّ الأعرابى فبشَّره أنَّ الله قد غفر ذنوبه .

وقد وقعت إلينا هذه الحكاية من غير طريق العُتبي (٢٢٨هـ) ، عن مُحَمَّد بن حرب الهلالي .

كما نبأني الشَّيخ أبو القاسم عبد الرَّحمن بن أبي منصور بن نسيب رحمه الله - إن شاء الله - ، أخبرنا الحافظ أبو القاسم قراءةً عليه ، أخبرنا أبو أحمد عبد السَّلام بن الحسن بن علي بن زرعة الصَّوري ، حدَّثنا الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر - بصور - لفظاً ، حدَّثنا أبو العبَّاس أحمد بن علي بن مُحَمَّد ، حدَّثنا أبو بكر مُحَمَّد بن زهير - بنيسابور - ، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن مرزيان ، حدَّثنا أبو مُحَمَّد الحسن بن مُحَمَّد النَّحوي ، أخبرنا ابن فضيل النَّحوي ، أخبرنا عبد الكريم بن علي ، حدَّثنا مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن النُّعمان ، حدَّثنا مُحَمَّد بن حرب الهلالي .

قال : دخلت المدينة فأتيت قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابىُّ فزاره ، ثمَّ قال : يا خير الرُّسل ! إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه : ﴿ اللهُ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] . وإني جئتكم مستغفراً من ذنوبي ، مستشفعاً بك فيها ، ثمَّ بكى وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيهنَّ القاع والأكم  
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثمَّ استغفر وانصرف ، فرقدت فرأيت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نومي وهو يقول : الحقُّ الرَّجُل فبشَّره أنَّ الله قد غفر له بشفاعتي ، فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده " (١) .

(١) انظر : إنحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص ٥٤-٥٥) .

وقال الإمام زين الدين المنجي بن عثمان بن أسعد ابن المنجي التنوخي الحنبلي (هـ ٦٩٥) : " ويروى عن العتبي (هـ ٢٢٨) ، قال : كنت جالسا عند قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاء أعرابيٌّ ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ! سمعت الله يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتك مستغفرا مستشفعا بك إلى ربِّي ، ثمَّ انشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثمَّ انصرف الأعرابي ، فحملتني عيني ، فرأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم فقال : يا عتبي ! الحق الأعرابي فبشَّره أنَّ الله تعالى قد غفر له " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمد بن علي الأنصاري ، أبو العبَّاس ، نجم الدِّين ، المعروف بابن الرِّفعة (هـ ٧١٠) : " ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبيِّ (هـ ٢٢٨) ، قال : كنت جالسا عند قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاء أعرابي ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله تعالى يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتك مستغفرا من ذنبي ، مستشفعا بك إلى ربِّي ، ثمَّ انشأ يقول :

يا خبر من دفنت في التراب أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثمَّ انصرف ، فغلبتني عيناى ، فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم ، فقال : " يا عتبي ، الحق الأعرابي ، فبشَّره بأنَّ الله قد غفر له " (٢) .

وقال الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدِّين النَّسفي (هـ ٧١٠) : " قيل : جاء أعرابيٌّ بعد دفنه عليه السَّلام ، فرمى بنفسه على قبره ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله قلت فسمعنا ، وكان فيما أنزل عليك : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا

(١) انظر : المتع في شرح المنع (٢/ ٢١٤) .

(٢) انظر : كفاية النبيه في شرح التنبيه (٧/ ٥٣٧-٥٣٨) .

اللَّهُ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿ [النساء: ٦٤] . وقد ظلمت نفسي وجنتك أستغفر الله من ذنبي ، فاستغفر لي من ربي ، فنودي من قبره قد غفر لك " (١) .

وقال الإمام أحمد بن عبد الوهَّاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري ، شهاب الدين النويري (٧٣٣هـ) : " ووقف أعرابي على قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: قلت فقبلنا، وأمرت فحفظنا؛ وقلت عن ربك فسمعنا : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ، وقد ظلمنا أنفسنا وجنتك فاستغفر لنا ؛ فما بقيت عينٌ إلا سألت " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) : " فَالتَّوَسَّلْ بِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - هُوَ مَحَلُّ حَطِّ أَحْمَالِ الْأَوْزَارِ وَأَثْقَالِ الذُّنُوبِ ، وَالْحَطَّايَا ؛ لِأَنَّ بَرَكَتَهُ شَفَاعَتُهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَعِظْمَتُهَا عِنْدَ رَبِّهِ لَا يَتَعَاظَمُهَا ذَنْبٌ ، إِذْ أَتَاهَا أَعْظَمُ مِنَ الْجَمِيعِ فَلَيْسَتْ تُبَشِّرُ مَنْ زَارَهُ وَيَلْجَأُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِشَفَاعَةِ نَبِيِّهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مَنْ لَمْ يُزِرْهُ اللَّهُمَّ لَا حَرَمْنَا مِنْ شَفَاعَتِهِ بِحُرْمَتِهِ عِنْدَكَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

وَمَنْ اعْتَقَدَ خِلَافَ هَذَا فَهُوَ الْمُحْرُومُ أَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ، فَمَنْ جَاءَهُ وَوَقَفَ بِبَابِهِ وَتَوَسَّلَ بِهِ وَجَدَ اللَّهُ تَوَّابًا رَّحِيمًا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُنَزَّهٌ عَنِ خُلْفِ الْمِعَادِ ، وَقَدْ وَعَدَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّوْبَةِ لِمَنْ جَاءَهُ وَوَقَفَ بِبَابِهِ وَسَأَلَهُ وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ، فَهَذَا لَا يَشْكُ فِيهِ وَلَا يَرْتَابُ إِلَّا جَا حِدٌ لِلدِّينِ مُعَانِدٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحَرَمَانِ ، وَقَدْ جَاءَ بَعْضُهُمْ إِلَى زِيَارَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَدْخُلِ الْمَدِينَةَ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، بَلْ زَارَ مِنْ خَارِجِهَا أَدْبَابًا مِنْهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مَعَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَدْخُلُ فَقَالَ : أَمْثَلِي يَدْخُلُ بَلَدَ سَيِّدِ الْكُونَيْنِ لَا أَجِدُ نَفْسِي تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، أَوْ كَمَا قَالَ ، وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لِرَسُولِ الْحَلِيفَةِ لَمَّا أَنْ أَتَى إِلَيْهِ بِالْبَغْلَةِ لِيُرَكِّبَهَا حَتَّى يَأْتِيَ إِلَيْهِ لِعُدْرِهِ فِي كَوْنِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمُشِيِّ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ

(١) انظر : تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (١/ ٣٧٠) .

(٢) انظر : نهاية الأرب في فنون الأدب (٥/ ١٦٩) .

كَانَ انْخَلَعَتْ يَدَاهُ وَرُكْبَتَاهُ مِنَ الصَّرْبِ الَّذِي قَدْ وَقَعَ بِهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فِي الْحِكَايَةِ الْمَشْهُورَةِ عَنْهُ فَأَبَى أَنْ يَرْكَبَ ، وَقَالَ : مَوْضِعُ وَطْئِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَقْدَامِهِ الْكَرِيمَةِ مَا كَانَ لِي أَنْ أَطَّاهُ بِحَافِرِ بَعْغَةٍ وَمَسَى إِلَيْهِ مُتَكِنًا عَلَى رَجُلَيْنِ يَجْرُ رِجْلَيْهِ حَتَّى بَلَغَ إِلَى الْحَلِيفَةِ فِي خَارِجِ الْمَدِينَةِ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَجَرَى لَهُ مَعَهُ مَا جَرَى .

وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ - رَحِمَهُ اللهُ - لِلْحَلِيفَةِ لَمَّا أَنْ سَأَلَهُ إِذَا دَخَلَ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ يَتَوَجَّهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ إِلَى الْقُبْلَةِ فَقَالَ مَالِكٌ - رَحِمَهُ اللهُ - وَكَيْفَ تَصْرَفُ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسَيْلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضٌ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي كِتَابِ الشِّفَاءِ لَهُ : وَزِيَارَةُ قَبْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْمُسْلِمِينَ مَجْمَعٌ عَلَيْهَا وَفَضِيلَةٌ مُرْغَبٌ فِيهَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي " .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَنْ زَارَنِي فِي الْمَدِينَةِ مُحْتَسِبًا ، كَانَ فِي جِوَارِي ، وَكُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ " مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَاتَمَهَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي " . قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَقِيه - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - وَمِمَّا لَمْ يَزَلْ مِنْ شَأْنِ مَنْ حَجَّ الْمُرُورُ بِالْمَدِينَةِ ، وَالْقَصْدُ إِلَى الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالتَّبَرُّكُ بِرُؤْيَا رُؤْيَا رُؤْيَا وَمَنْبَرِهِ وَقَبْرِهِ وَمَجْلِسِهِ وَمَلَامَسِ يَدَيْهِ وَمَوَاطِئِ قَدَمَيْهِ ، وَالْعُمُودِ الَّذِي يَسْتِنِدُ إِلَيْهِ وَيَنْزِلُ جِبْرِيْلُ بِالْوَحْيِ فِيهِ عَلَيْهِ وَبِمَنْ عَمَّرَهُ وَقَصَدَهُ مِنْ الصَّحَابَةِ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْإِعْتِبَارُ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَقَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ سَمِعْتُ بَعْضَ مَنْ أَدْرَكَتْهُ يَقُولُ : بَلَّغْنَا أَنَّهُ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدَ يَقُولُهَا سَبْعِينَ مَرَّةً نَادَاهُ مَلَكٌ : صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ يَا فُلَانُ وَلَمْ تَسْقُطْ لَهُ حَاجَةٌ وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي سَعِيدِ الْمُهَدَّبِيِّ ، قَالَ : قَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَلَمَّا وَدَعْتُهُ قَالَ لِي : أَلَمْ تَكُنْ حَاجَةً إِذَا أَتَيْتَ الْمَدِينَةَ سَرَى قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْرَبْتَهُ مِنِّي السَّلَامَ ، قَالَ غَيْرُهُ وَكَانَ يُبْرِدُ إِلَيْهِ الْبَرِيدَ مِنَ الشَّامِ ، قَالَ مَالِكٌ فِي رِوَايَةِ ابْنِ وَهْبٍ : إِذَا سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعَا يَقِفُ وَوَجْهُهُ إِلَى الْقَبْرِ لَا إِلَى الْقُبْلَةِ ، وَيَدْنُو وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَلَا يَمَسُّ الْقَبْرَ بِيَدِهِ ، وَقَالَ نَافِعٌ : كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُسَلِّمُ عَلَى الْقَبْرِ رَأَيْتَهُ مِائَةَ مَرَّةٍ ، وَأَكْثَرَ مَا يَفْعَلُ يَجِيءُ إِلَى الْقَبْرِ ، فَيَقُولُ : السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالسَّلَامُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ السَّلَامُ عَلَى أَبِي حَفْصٍ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ ، وَقَالَ ابْنُ حَبِيبٍ : وَيَقُولُ إِذَا دَخَلَ مَسْجِدَ

الرَّسُول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام - : بِسْمِ اللَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام - ، وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ رَبَّنَا وَصَلَّى اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَجَنَّتِكَ وَاحْفَظْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، ثُمَّ أَقْصِدْ إِلَى الرُّوضَةِ وَهِيَ مَا بَيْنَ الْقَبْرِ ، وَالْمِنْبَرِ فَارْكَعْ فِيهَا رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ وَقُوفِكَ بِالْقَبْرِ تَحْمُدُ اللَّهُ فِيهَا وَتَسْأَلُهُ تَمَامَ مَا خَرَجْتَ إِلَيْهِ ، وَالْعَوْنُ عَلَيْهِ .

وَإِنْ كَانَتْ رَكَعَاتُكَ فِي غَيْرِ الرُّوضَةِ أَجْرَأْتُكَ ، وَفِي الرُّوضَةِ أَفْضَلُ ، ثُمَّ تَقِفْ بِالْقَبْرِ مُتَوَاضِعاً مُتَوَقِّراً فَتُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا يَخْضُرُكَ وَتُسَلِّمُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَتَدْعُو لَهُمَا قَالَ مَالِكٌ فِي كِتَابِ مُحَمَّدٍ : يُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ وَخَرَجَ قَالَ مُحَمَّدٌ وَإِذَا خَرَجَ جَعَلَ آخِرَ عَهْدِهِ الْوُقُوفَ بِالْقَبْرِ ، وَكَذَلِكَ مَنْ خَرَجَ مُسَافِراً ، وَقَالَ مَالِكٌ فِي الْمَبْسُوطَةِ : وَلَيْسَ يَلْزَمُ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَخَرَجَ مِنْهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْوُقُوفُ بِالْقَبْرِ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِلْغُرَبَاءِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ نَاساً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَا يَقْدُمُونَ مِنْ سَفَرٍ وَلَا يُرِيدُونَهُ إِلَّا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً ، أَوْ أَكْثَرَ فَيُسَلِّمُونَ وَيَدْعُونَ سَاعَةً ، فَقَالَ : لَمْ يَبْلُغْنِي هَذَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ يَبْلَدُنَا ، وَلَا يُصَلِّحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوْلَهَا ، وَلَمْ يَبْلُغْنِي عَنْ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَصَدْرِهَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ، وَيُكْرَهُ ذَلِكَ إِلَّا لِمَنْ جَاءَ مِنْ سَفَرٍ ، أَوْ أَرَادَهُ قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ وَرَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِذَا خَرَجُوا مِنْهَا ، أَوْ دَخَلُوهَا أَتَوْا الْقَبْرَ فَسَلَّمُوا قَالَ ، وَذَلِكَ دَأْبِي قَالَ الْبَاجِي : فَفَرَّقَ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَالْغُرَبَاءِ ؛ لِأَنَّ الْغُرَبَاءَ قَاصِدُونَ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَهْلَ الْمَدِينَةِ مُقِيمُونَ بِهَا لَمْ يَقْصِدُوا مِنْ أَجْلِ الْقَبْرِ ، وَالتَّسْلِيمِ .

وَفِي الْعُنْبِيَّةِ يَبْدَأُ بِالرُّكُوعِ قَبْلَ السَّلَامِ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ كِتَابِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الْهِنْدِيِّ وَمَنْ وَقَفَ بِالْقَبْرِ لَا يَلْتَصِقُ بِهِ وَلَا يَمَسُّهُ وَلَا يَقِفُ عِنْدَهُ طَوِيلًا ، أَنْتَهَى .

يَعْنِي بِالْوُقُوفِ طَوِيلًا أَنَّ الْحُجْرَةَ الشَّرِيفَةَ دَاخِلَ الدَّرَابِيزِ ، فَإِذَا وَقَفَ طَوِيلًا ضَمِيَ عَلَى غَيْرِهِ ، وَأَمَّا لَوْ وَقَفَ خَارِجَ الدَّرَابِيزِ فَذَلِكَ الْمَوْضِعُ فِي الْمَسْجِدِ فَلَا يُمْنَعُ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ لَهُ فِيهِ حَقَّ الصَّلَاةِ وَانْتِظَارَهَا ، وَالِاعْتِكَافَ وَعَيْرَ ذَلِكَ ، وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ لَا يَدْخُلَ مِنْ دَاخِلِ الدَّرَابِيزِ الَّتِي هُنَاكَ ؛ لِأَنَّ الْمَكَانَ مَحَلَّ احْتِرَامٍ وَتَعْظِيمٍ فَيَنْبَغِي الْعَالِمُ " (١) .

وقال الإمام أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ) : " وَرَوِي عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ بَعْدَ مَا دَفَنَّا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى قَبْرِهِ وَحَثًا مِنْ تُرَابِهِ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ :

(١) انظر : المدخل (١/ ٢٦٠-٢٦٢) .

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي التُّرْبِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيِّبِينَ الْقَاعِ وَالْأَكْمُ  
نَفْسِي الْفِدَاءِ لَقَبِرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ  
ثُمَّ قَالَ : قَدْ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَمِعْنَا قَوْلَكَ ، وَوَعَيْتَ عَنِ اللَّهِ فَوَعَيْنَا عَنْكَ ، وَكَانَ فِيهَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ :  
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا  
رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَجِئْتُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبِي ، فَاسْتَغْفِرْ لِي مِنْ رَبِّي ، فَنُودِيَ مِنَ الْقَبْرِ أَنَّهُ  
قَدْ غَفَرَ لَكَ " (١) .

قال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ) : " يُرِيدُ تَعَالَى  
الْعَصَاةَ وَالْمُذْنِبِينَ إِذَا وَقَعَ مِنْهُمْ الْخَطَأُ وَالْعِصْيَانُ أَنْ يَأْتُوا إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ عِنْدَهُ ،  
وَيَسْأَلُوهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ وَعَفَرَ لَهُمْ ، وَهَذَا قَالَ : ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ  
تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ ذَكَرَ جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ : الشَّيْخُ أَبُو نَصْرٍ بِنِ الصَّبَّاحِ فِي كِتَابِهِ " الشَّامِلُ " الْحِكَايَةَ  
المَشْهُورَةَ عَنِ الْعُتْبِيِّ ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ  
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ  
الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا لِدَنْبِي مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ثُمَّ أَنشَأَ  
يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيِّبِينَ الْقَاعِ وَالْأَكْمُ  
نَفْسِي الْفِدَاءِ لَقَبِرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَغَلَبَتْنِي عَيْنِي ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ فَقَالَ : يَا عُتْبِيُّ ، الْحَقُّ  
الْأَعْرَابِيُّ فَبَشَّرَهُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ عَفَرَ لَهُ " (٢) .

وقال الإمام محمد بن أحمد بن علي ، تقي الدين ، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (٨٣٢هـ) : " أنبأنا أبو  
الفرج بن علي الفقيه ، أنبأنا عمر بن زفر ، أنبأنا جعفر بن أحمد ، أنبأنا عبد العزيز بن علي ، حدَّثنا أبو الحسن  
الهمداني ، حدَّثني محمد بن حبان ، قال : سمعت إبراهيم بن شيبان ، يقول : حججت في بعض السنين ؛ فجئت

(١) انظر : البحر المحيط في التفسير (٣/٦٩٣) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم (٢/٣٤٧-٣٤٨) .

المدينة فتقدمت إلى قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسلمت عليه فسمعت من داخل الحجرة وعليك السَّلَام ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الحسن في كتابه ، أخبرنا أبو الفرج بن أحمد ، أخبرنا أحمد بن نصير ، أخبرنا محمد بن القاسم ، سمعت علي بن غالب الصُّوفي ، يقول : سمعت إبراهيم بن محمد المذكي يقول : سمعت أبا الحسن الفقيه يحكي عن الحسن بن محمد عن ابن فضيل النَّحوي ، عن محمد بن روح ، عن محمد بن حرب الهلالي ، قال : دخلت المدينة فأُتيت قبر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فجاء أعرابي فزاره ثم قال : يا خير المرسلين إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل كتاباً عليك صادقاً ، قال فيه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وإني جئتكَ مستغفراً إلى ربِّي من ذنوبي ، مستشفعاً بك ثم بكى ، وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

أنت النبي الذي تُرجى شفاعته عند الصُّراط إذا ما زلتَ القدم

ثم استغفر وانصرف ؛ فرقدت ، فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو يقول : الحق بالرجل فبشره بأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غفر له بشفاعتي " (١) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي ، تقي الدِّين المقرئ (٨٤٥هـ) : " وقد روي من طريق ، محمد بن حرب الهلالي ، قال : دخلت المدينة فأُتيت قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزرته ، وجلست بحذائه ، فجاء أعرابي فزاره ثم قال :

يا خير المرسلين إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] . وإني جئتكَ مستغفراً إلى ربِّي من ذنوبي مستشفعاً بك ، ثم بكى وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

(١) انظر : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (٢/٤٦٢-٤٦٣) .

ثم استغفر وانصرف . قال : فرقدت ، فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو يقول : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرَ لَه لِشَفَاعَتِي " (١) .

وقال الإمام محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي ، بهاء الدين أبو البقاء ، المعروف بابن الضياء (٨٥٤هـ) : " وَمَنْ أَحْسَنَ مَا يَقُولُ مَا حَكَاهُ الْعُلَمَاءُ عَنِ الْعَتَبِيِّ (٢٢٨هـ) " مستحيين " قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ أَعْرَابِي ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذَنْبِي ، مُسْتَشْفَعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيهن القاع والأكم  
نفسى الفداء لغير أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف ، فغلبتني عياني فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام ، فقال : يا عتبي الحق بالأعرابي فبشره أن الله قد غفر له . قال بعض العلماء : يقول الزائر بعد السلام والصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللهم إنك قلت وقولك الحق : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] . اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيك هذا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستشفعين به إليك من ذنوبنا ، وما أثقل ظهورتنا من أوزارنا ، تائبين إليك من زللتنا ، معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، اللهم فتب علينا ، وشفع نبيك هذا فينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وارفعنا بمرتزته عندك وحقه عليك ، اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ، والله در هذا الأعرابي حيث استنبط من الآية الكريمة المجيء إلى زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته مُسْتَغْفِرًا ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَظْهَرَ فِي قِصْدِ التَّعْظِيمِ وَصَدَقَ الْإِيمَانَ ، وَاسْتَغْفَرَ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْمَوْتِ حَاصِلٌ ؛ لِأَنَّهُ الشَّفِيعُ الْأَكْبَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْوَسِيلَةُ الْعُظْمَى فِي طَلَبِ الْغُفْرَانِ وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ ، مِنْ بَيْنِ سَائِرِ وَلَدِ آدَمَ ، وَالْمَجِيءُ إِلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِ تَجْدِيدًا لِتَأْكِيدِ التَّوَسُّلِ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَوَقْتُ الْحَاجَةِ ، وَقَدْ حَمَّسَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَمِينِ الْأَقْشَهْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ :

(١) انظر : إمتاع الأسعاع بها للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (١٤ / ٦١٥) .

خير المزار لدُنْيَا ثُمَّ أعظمه وَخَيْر من سرّ عرش الرّب مقدمه  
ناديته بمقول وَهُوَ أقومه يَا خَيْر من دفنت في التراب أعظمه

فطاب من طيبهنّ القاع والأكم

طُوبَى لجاركم طابت مساكنه جَار بجار وجار المرتع آمنه

قَوْل إِذَا قلت تشفيني محاسنه نَفْسِي الْفِدَاء لقبر أنت ساكنه

فِيهِ الْعَفَاف وَفِيهِ الْجُود وَالْكَرَم

قَالَ عز الدّين بن جماعه : وشتان بين هَذَا الْأَعْرَابِي وَبَيْن من أضلّه الله فَحَرَم السَّفَر إلى زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ ، وَهِيَ من أعظم القربات ، كَمَا قَدَّمْنَاهُ . ولبعض زوّار النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أَتَيْتُكَ زَائِرًا وودت أَنِّي جعلت سَوَاد عَيْنِي أمتطيه

وَمَا لِي لَا أُسِير على جفوني إلى قبر رَسُولِ اللهِ فِيهِ

قَالَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ اللهُ : وجديرٌ بمواطن عمرت بِالْوَحْيِ والتَّنْزِيلِ ، وتردّد بها جِرِيرِل وَمِيكَائِيلِ ،

وعرجت مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ والرُّوح ، وضجّت في عرصاتِها بالتَّقْدِيسِ وَالتَّسْبِيحِ ، واشتملت تربتها على جَسَدِ سَيِّدِ

الْبَشَرِ ، وانتشر عَنْهَا من دين الله وَسَنَّةِ نَبِيِّهِ مَا انْتَشَرَ ، مدارس آيات ، ومساجد وصلوات ، ومشاهد الْفَضَائِلِ

والخيرات ، ومعاهد الْبَرَاهِينِ والمعجزات ، ومسكن الدّين ، ومشاعر المسلمين ، وموقف سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، ومتبوعاً

خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، حَيْثُ انفجرت الثُّبُوءُ وفاض عباها ، ومواطن مهبط الرّسالة ، وأول أرض مسّ جلد الْمُصْطَفَى

تراها ، أَنْ تعظّم عرصاتِها ، وتنسّم نفحاتِها ، وتقبل ربوعها وجدراها ، وأنشد :

هدى الْأَنَامِ وَخَصَّ بِالْآيَاتِ

وَتَشَوَّقُ متوقِّد الجمرات

من تلکم الجدرات والعرصات

من كثرة التَّقْيِيلِ والرشفات

أبداً وَكُو سحباً على الوجنات

لقطين تِلْكَ الدَّارِ والحجرات

تغشاه بِالْأَصَالِ والبكرات

وتوأمی التَّسْلِيمِ والبركات

يَا دَارَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ بِهِ

عِنْدِي لِأَجْلِكَ لوعة وصبابة

وعليّ عهدٍ إِنْ مَلَأَتْ محاجري

لَأُعْفِرَنَّ مصون شيبى بَيْنَهَا

لَوْلَا العوادي والأعادي زرتها

لَكِنْ سأهدي من حفيل تحيتي

أزكى من الْمَسْكِ المفتق نفحة

وتخصّه بزواكى الصَّلَوَاتِ

(١)

وقال الإمام محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي ، بهاء الدين أبو البقاء ، المعروف بابن الضياء (٨٥٤هـ) : "... وَالنَّظْرَ إِلَى مَا تَرَكُ ، وَالتَّيْمُنَ بِزِيَارَتِكَ ، وَالتَّبَرُّكَ بِالسَّلَامِ عَلَيْكَ ، وَالاسْتِشْفَاعَ بِكَ إِلَى رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّ خَطَايَانَا قَدْ قَصَمَتْ طُهُورَنَا ، وَأَوْزَارُنَا قَدْ أَثْقَلَتْ كَوَاهِلَنَا ، وَأَنْتَ الشَّافِعُ الْمَشْفَعُ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] . وَقَدْ جِئْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ظَالِمِينَ لَأَنْفُسِنَا مُسْتَغْفِرِينَ لذنوبنا ، فاشفع لنا إلى رَبَّنَا ، واسأله أن يميّتنا على سنتك ، ويحشرنا في زمرك ، ويسقينا بكأسك غير خزايا ولا ندامى ، ويرزقنا مرافقتك في الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ الشَّفَاعَةَ الشَّفَاعَةَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ " (١) .

وقال الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (٨٧٥هـ) : " وعن العتبي (٢٢٨هـ) ، قال : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْنَاكَ مُسْتَعْفِيًا مِنْ ذُنُوبِي ، مُسْتَغْفِرًا إِلَى رَبِّي ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيِّبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكْمُ  
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ ، وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

قال : ثُمَّ انصرف ، فَحَمَلْتَنِي عَيْنَايَ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لِي : يَا عُنْبِيُّ : الْحَقُّ الْأَعْرَابِيُّ ، بَشَّرَهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ . انتهى من حلية النووي ، وسنن الصالحين للباقي ، وفيه : مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذُنُوبِي ، مُسْتَشْفَعًا بِكَ إِلَى رَبِّي " (٢) .

وقال الإمام إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح ، أبو إسحاق ، برهان الدين (٨٨٤هـ) : " وَرَوَى عَنِ الْعُنْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا

(١) انظر : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف (ص ٣٤٦-٣٤٧) .

(٢) انظر : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف (ص ٣٤٤) .

(٣) انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢/ ٢٥٧) .

رَسُولَ اللَّهِ سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذُنُوبِي ، مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَىٰ رَبِّي ، ثُمَّ أَنْشَدَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مَنْ طَيَّبَهُنَّ الْقَاعَ وَالْأَكْمَ

نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ (١)

وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) : " وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي حَرْبِ الْهَلَالِيِّ ، قَالَ : حَجَّ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا جَاءَ إِلَىٰ بَابِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَاخَ رَاغِلَتَهُ فَعَقَلَهَا ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ حَتَّىٰ أَتَى الْقَبْرَ وَوَقَفَ بِحِذَاءِ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا أُمَّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جِئْتُكَ مُثْقَلًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا ، مُسْتَشْفِعًا بِكَ عَلَىٰ رَبِّكَ لِأَنَّهُ قَالَ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ يَا أُمَّي وَمُثْقَلًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا ، اسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَىٰ رَبِّكَ أَنْ يَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي ، وَأَنْ تَشْفَعُ فِيَّ ، ثُمَّ أَقْبَلَ فِي عَرْضِ النَّاسِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي التُّرْبِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مَنْ طَيَّبَهُنَّ الْقَاعَ وَالْأَكْمَ

نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ (٢)

وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) : " ... كَذَلِكَ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِذَا أَذْنِبْتَ وَأَتَيْتَ مَعْتَرِفًا لِرَسُولِكَ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكَ مَتَضَرِّعًا وَجِلًّا ، فَإِنَّهُ يَسْتَغْفِرُ لَكَ ، وَيَشْفَعُ فِيكَ ، لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِالِاسْتِغْفَارِ لَكَ ، وَأَذَنَ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ فِيكَ .

وكيف لا وهو أكرم الخلق عليه ! وقد وعدنا بذلك في قوله : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ

فَأَسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] .

(١) انظر : المبدع في شرح المقنع (٣/ ٢٣٦) .

(٢) انظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١/ ٥٧٠-٥٧١) .

وإني قد مُنعت يا سيّد الأوّلين والآخريّن عن الإتيان إليك بذنوب جنيّتها على نفسي ، فأنت تعلم عُذري ، ولا حيلة لي غير التعلّق بجهاك العظيم والصّلاة عليك ، صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَلْسِنَةِ أَفْضَلِ صَلَاةٍ وَأَزْكَى تَسْلِيمٍ " (١) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السّمهودي (٩١١هـ) : " ... فسيأتي أنّ المحيي المذكور في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، حاصل بالمحيي إلى قبره الشّريف ، وكذا زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسؤال الشّفاة منه ، والتّوسّل به إلى الله تعالى ، والمجاورة عنده من أفضل القُربات ، وعنده تُجَاب الدّعوات ، فكيف لا يكون أفضل ، وهو السّبب في هذه الخيرات " (٢) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السّمهودي (٩١١هـ) : " ... وبالكتاب لقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، لحثّه على المحيي إليه والاستغفار عنده واستغفاره للجاءين وهذه رتبة لا تنقطع بموته وقد استغفر لكلّ من المؤمنين والمؤمنات لأمر الله له به في كتابه ، فإذا وجد المحيي واستغفار الجائي تكملت الأمور الموجبة لتوبة الله ورحمته . وقوله : ﴿وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ﴾ معطوف على ﴿جَاءُوكَ﴾ فلا يقتضي كون استغفاره بعد استغفارهم مع أنّا لا نسلم أنّهم لا يستغفرون لهم بعد الموت لما سبق من حياته ، واستغفاره لأمتّه عند عرض أعمالهم ، فهو متوقّع كما في الحياة ويعمل في كمال رحمته أنّه لا يترك ذلك لمن جاءهم . وسيأتي في الفصل بعده عن مالك في مناظرته المنصور ما يشهد لذلك وكذا عن غيره .

وقد فهم العلماء من الآية العموم واستحبّوا لمن أتى القبر أن يتلوها ويستغفر الله تعالى ، وأوردوا حكاية العتبي (٢٢٨هـ) الآتية في كتبهم مستحسنين لها !! وذكرها ابن عساكر في تاريخه ، وابن الجوزي في مثير الغرام ، وابن النّجار بأسانيدهم إلى محمّد بن حرب الهلالي ، قال : أتيت قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزرتّه وجلست بحذاءه ، فجاء أعرابي وذكر نحو ما سيأتي ، بل روى أبو سعيد السّمعاني عن علي رضي الله عنه ، قال : قدم علينا

(١) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسَمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/١٥٥) .

(٢) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/٦٦-٦٧) .

إعرابي بعد ما دفنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله سبحانه وما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر أنه قد غفر لك ، بل يستدل بالآية ، وكذا بما سبق أيضاً على مشروعية السفر للزيارة وشدة الرِّحال لشموله المגיע من قرب ومن بعد ... (١)

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّهودي (٩١١هـ) : " وفي الشَّفاء بسند جيّد عن ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإنَّ الله تعالى أدب قوماً ، فقال : ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات : ٢] ، ومدح قوماً ، فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات : ٣] ، ودم قوماً ، فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات : ٤] ، وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً ، فاستكان لها أبو جعفر ، وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعوا أم أستقبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السَّلام إلى الله تعالى يوم القيامة ؟! بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] .

وفي المستوعب لأبي عبد الله السَّامريِّ الحنيلي : ثم يأتي حائط القبر ، فيقف ناحيته ، ويجعل القبر تلقاء وجهه ، والقبلة خلف ظهره ، والمنبر عن يساره ، وذكر السَّلام والدُّعاء ، ومنه : اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك عليه السَّلام : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وأني أتيت نبيك مستغفراً ، فأسألك أن تُوجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته ، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلخ .

(١) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/٣٦٧-٣٧٢) .

وقال عياض : قال مالك في رواية ابن وهب : إذا سلم على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا ، يفف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدنو ويسلم " (١) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (٩١١هـ) : " ... ثم سلم مقتصدًا من غير رفع صوت ولا إخفاء ، فتقول بحياء ووقار : السَّلام عليك أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ثَلَاثًا ، السَّلام عليك يَا رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، السَّلام عليك يَا خَيْرَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ ، السَّلام عليك يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، السَّلام عليك يَا إِمَامَ الْمُتَّقِينَ ، السَّلام عليك يَا قَائِدَ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ ، السَّلام عليك أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، السَّلام عليك يَا شَفِيعَ الْمَذْنُوبِينَ ، السَّلام عليك يَا حَبِيبَ اللَّهِ ، السَّلام عليك يَا خَيْرَةَ اللَّهِ ، السَّلام عليك يَا صَفْوَةَ اللَّهِ ، السَّلام عليك أَيُّهَا الْهَادِي إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، السَّلام عليك يَا مَنْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤] ، وبقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنِينَ رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] ، السَّلام عليك يَا مَنْ سَبَّحَ الْحَصَى فِي يَدَيْهِ ، وَحَنَّ الْجَذَعُ إِلَيْهِ ، السَّلام عليك يَا مَنْ أَمَرْنَا اللَّهُ بِطَاعَتِهِ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، السَّلام عليك وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَمَلَائِكَةِ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَعَلَى آلِكَ وَأَزْوَاجِكَ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَصْحَابِكَ أَجْمَعِينَ ، كَثِيرًا دَائِمًا أَبَدًا ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى ، جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَى رَسُولًا عَن أُمَّتِهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ أَفْضَلَ وَأَكْمَلَ وَأَزْكَى وَأَنَمَى صَلَاةً صَلَّاهَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَخَيْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الرِّسَالَةَ ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ ، وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ ، وَكَشَفْتَ الْعُمَّةَ ، وَأَقَمْتَ الْحُجَّةَ ، وَأَوْضَحْتَ الْمَحِجَّةَ ، وَجَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، وَكُنْتَ كَمَا نَعْتَكُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنِينَ رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] ، فَصَلُّوا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَجَمِيعِ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ آتِهِ الْوَسِيلَةَ وَالْفُضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ ، وَآتِهِ نَهَايَةَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْأَلَ السَّائِلُونَ ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران : ٥٣] ، آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتِبَ وَرَسُولُهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا تَرُدَّنَا عَلَى أَعْقَابِنَا ، وَلَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ أَنْ هَدَيْتَنَا ، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ

(١) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/٤٢٥-٤٢٦) .

وعلى آل محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد . ومن عجز عن حفظ ذلك أو ضاق عنه الوقت أقصر على بعضه ، وأقله : السّلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

وذكر ابن حبيب السّلام والثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلّم وعطف عليه قوله : والسّلام عليكما يا صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلّم يا أبا بكر ويا عمر جزاكم الله تعالى عن الإسلام وأهله أفضل ما جرى وزيرني نبي عن وزارته في حياته وعلى حسن خلافته إياه في أمته بعد وفاته ، فقد كنتما لرسول الله صلى الله عليه وسلّم وزيرني صدق في حياته وخلفته بالعدل والإحسان في أمته بعد وفاته ، فجزاكم الله تعالى على ذلك مرافقته في جنته وإيانا معكم برحمته ، انتهى ...

قال النووي وغيره : ثم يرجع الزائر إلى موقعه قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلّم فيتوسّل به ويتشفع به إلى ربّه ، ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبيّ (٢٢٨هـ) ، مستحسنين له ، قال : كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلّم فجاء إعرابيٌّ ، فقال : السّلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله تعالى يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربّي أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنّ القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم انصرف ، فحملني عيناى ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلّم في النوم ، فقال : يا عتبيّ الحق الأعرابي فبشره بأن الله قد غفر له .

قلت : وليقدّم على ذلك ما تضمّنه خبر ابن فديك عن بعض من أدركه ، قال : بلغنا أنّ من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلّم ، فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] ، صلى الله عليه وسلّم عليك يا محمد ، يقولها سبعين مرّة ، ناداه ملك : صلى الله عليك يا فلان ، ولم تسقط لك اليوم حاجة . قال بعضهم : والأولى أن يقول : صلى الله عليك يا رسول الله ، إذ من خصائصه أن لا يُنادى باسمه ، والذي يظهر : أنّ ذلك في النداء الذي لا يقترن به الصّلاة والسّلام ، ثم يجدد التّوبة عقب ذلك ، ويكثر من الاستغفار والتّضرّع إلى الله تعالى ، والاستشفاع بنبية صلى الله عليه وسلّم في

جعلها توبة نصوحاً ، ثم يقول : يا رسول الله : إن الله تعالى قال فيما أنزل عليك : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، وأتيت بجهلي وغفلتي أمراً كبيراً ، وقد وفدت عليك زائراً ، وبك مستجيراً ، وجئتك مستغفراً من ذنبي ، سائلاً منك أن تشفع لي إلى ربِّي ، وأنت شفيع المذنبين المقبول الوجيه عند رب العالمين ، وها أنا معترف بذنبي متوسل بك إلى الله ، مستشفع بك إليه ، وأسأل الله البر الرحيم بك أن يغفر لي ، ويميتني على سنتك ، ومحبتك ، ويحشرني في زمرك ، ويوردني وأحبائي حوضك ، غير خزايا ولا نادمين ، فاشفع لي يا رسول رب العالمين ، وشفيع المذنبين ، فها أنا في حضرتك وجوارك ، ونزير بابك ، وعلقت بكرم ربِّي والرجاء لعله يرحم عبده وإن أساء ، ويعفو عمَّا جنى ، ويعصمه ما بقى في الدُّنيا ، وشفاعتك يا خاتم النبيين وشفيع المذنبين

...

أنت الشَّفِيعَ وآمالي معلقة  
هذا نزيلك أضحى لا ملاذ له  
ضعيف غريب قد أناخ بكم  
هذا مقام الذي ضاقت مذاهبه

وقد رجوتك يا ذا الفضل تشفع لي  
إلا جنابك يا سؤلي ويا أملِي  
ومستجير الفقير ومرمي القصد والطلب  
وأنتموا في الرجا من أعظم السبب

وعن الأصمعي : وقف إعرابيُّ مقابل القبر الشريف ، فقال : اللهم هذا حبيبك ، وأنا عبدك ، والشيطان عدوك ، فإن غفرت لي عزَّ حبيبك ، وفاز عبدك ، وغضب عدوك ، وإن لم تغفر لي غضب حبيبك ، ورضي عدوك ، وهلك عبدك ، وأنت أكرم من أن تغضب حبيبك ، وتُرضي عدوك ، وتُهلك عبدك ، اللهم إنَّ العرب الكرام إذا مات فيهم سيِّداً عتقوا على قبره ، وإنَّ هذا سيِّد العالمين فأعتقني على قبره . فقلت يا أخا العرب إنَّ الله قد غفر لك وأعتقك بحسن هذا السؤال . ويجلس الزائر إن شقَّ عليه طول القيام ، فيكثر من الصلوة والتسليم ، ويتلو ما تيسر ، ويقصد الآي والسور الجامعة لطبقات الإيِّان ومعاني التوحيد " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العباس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " قال العلامة زين الدِّين بن الحسين المراغي : وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته - صَلَّى اللهُ

(١) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/٤٤٦-٤٥١) .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قربة ، للأحاديث الواردة في ذلك ، ولقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، لأنَّ تعظيمه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا ينقطع بموته ، ولا يقال : إنَّ استغفار الرَّسول لهم إنَّما هو في حال حياته وليست الزيارة كذلك ، لما أجاب به بعض أئمة المحققين : أنَّ الآية دلَّت على تعليق وجدان الله تواباً رحيماً بثلاثة أمور : المجيء ، واستغفارهم ، واستغفار الرَّسول لهم ، وقد حصل استغفار الرَّسول لجميع المؤمنين والمؤمنات ، لأنه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد استغفر للجميع ، قال الله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبًا مِّمَّنْ لَكُم مِّمَّنْ كُفِّرُوا وَتَوَلَّوْا﴾ [محمد : ١٩] ، فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العباس ، شهاب الدين (٩٢٣هـ) : " وقد حكى جماعة منهم الإمام أبو نصر بن الصَّبَّاح في " الشَّامل " الحكاية المشهورة عن العتبي (٢٢٨هـ) ، واسمه : محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب ، وتوفي في سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وذكرها ابن النجَّار ، وابن عساكر ، وابن الجوزي في " مثير الغرام السَّاكن " . عن محمد بن حرب الهلالي ، قال : أتيت قبر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فزرته وجلست بحداثته ، فجاء أعرابي فزاره ثمَّ قال : يا خير الرُّسل ، إنَّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتكَ مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيهنَّ القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ووقف أعرابي على قبره الشَّريف ، وقال : اللهمَّ إنَّك أمرت بعق العبيد ، وهذا حبيبك وأنا عبدك ، فأعتقني من النَّار على قبر حبيبك ، فهتف به هاتف : يا هذا تسأل العتق لك وحدك ، هلأ سألت لجميع الخلق !؟ اذهب فقد أعتقناك من النَّار .

(١) انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٥٨٩) .

إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا شَابَتْ عبيدهم في رِقِّهم أعتقوهم وهم عتق أبرار  
وأنت يا سيدي أولى بذا كرماً قد شبت في الرِّقِّ فاعتقني من النَّارِ

وعن الحسن البصري ، قال : وقف حاتم الأصم على قبر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال : يا رب ، إنا  
زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين ، فنودي : يا هذا ما أذن لك في زيارة قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك ، فارجع أنت ومن  
معك من الزَّوَّار مغفوراً لكم " (١) .

وقال الإمام عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي ، أبو اليمن ، مجير الدين (٩٢٨هـ) في  
حديث عن زيارة قبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ثُمَّ يَأْتِي الرَّوْضَةَ فَيُصَلِّي فِيهَا مَا يَسِّرُ اللهُ لَهُ ، وَيُصَلِّي عِنْدَ  
الْمِنْبَرِ أَيْضاً ثُمَّ يَدْعُو عِنْدَ انْصِرَافِهِ ، فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَيْتُ قَبْرَ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَرِّباً إِلَيْكَ بِزِيَارَتِهِ ،  
مَتَوَسِّلاً لَدَيْكَ بِهِ ، وَأَنْتَ قَلْتَ وَقَوْلِكَ الْحَقُّ وَلَا تَخْلُفُ الْمِعَادَ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ  
فَأَسْتَغْفَرُوا لَلَّهِ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا زِيَارَةً  
مَقْبُولاً وَسَعياً مَشْكُوراً وَعَمَلاً مَتَقَبَّلاً مَبْرُوراً ، وَدُعَاءً تُدْخِلُنَا بِهِ جَنَّتِكَ ، وَتَسْبِغَ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ  
سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا أَنْجَحَ السَّائِلِينَ " (٢) .

وقال الإمام محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي ، الشهير بـ " بحر ق " (٩٣٠هـ) :  
وروى الشيخ محيي الدين النووي ، عن العتبي (٢٢٨هـ) - رحمه الله تعالى ، بفوقية قبل الموحدة - قال : كنت  
جالساً عند قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاء أعرابي ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله  
سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَأَسْتَغْفَرُوا لَلَّهِ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ  
لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتكَ مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، ثم أنشأ  
يقول :

يا خير من دفنت في التُّراب أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكرم  
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم  
أنت النبي الذي ترجى شفاعته عند الصُّراط إذا ما زلت القدم

(١) انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/٥٩٦-٥٩٧) .

(٢) انظر : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (١/٢٢٥) .

قال : ثمَّ انصرف . فأخذتني سِنَّةٌ ، فرأيت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوْمِ ، فقال لي : يا عتبي ، الحقُّ الأعرابي ، فبشَّره بأنَّ الله قد غفر له " (١) .

وقال الإمام محمد بن يوسف الصَّالِحِي الشَّامِي (٩٤٢هـ) : " وسيأتي أنَّ المَجِيءَ المذكور في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، حاصل بالمَجِيءِ إلى قبره الشَّريف ، وكذا زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسؤال الشَّفاعة منه والتَّوسُّلُ به إلى الله والمجاورة عنده من أفضل القُرَبات ، وعنده تجاب الدَّعوات أيضاً ، فكيف لا تكون أفضل وهو السَّبب في هذه الخيرات ؟ " (٢) .

وقال الإمام محمد بن يوسف الصَّالِحِي الشَّامِي (٩٤٢هـ) : " الباب الثَّاني في الدَّلِيلِ على مشروعِيَّةِ السَّفَرِ وشدِّ الرَّحْلِ لزيارة سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : استدَلَّ العلماء ، رضي الله تعالى عنهم على مشروعِيَّةِ زيارته وشدِّ الرَّحْلِ لذلك بالكتاب ، والسُّنَّةِ ، والإجماع ، والقياس .

أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] . وجه الدلالة من هذه الآية مبني على شيئين :

أحدهما : أنَّ نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ ، كما يثبت ذلك في بابه .

الثَّاني : أنَّ أعمال أُمَّته معروضة عليه ، كما يثبت ذلك في بابه .

فإذا عرف ذلك فوجه الاحتجاج بها حينئذ أنَّ الله تعالى أخبر أنَّ من ظلم نفسه ثمَّ جاء رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فاستغفر الله تعالى واستغفر له الرَّسولُ فإنَّه يجد الله تواباً رحيماً ، وهذا عامٌّ في الأحوال والأزمان للتعلُّق على الشَّرط ، وبعد تقرير أنَّ نبيِّنا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعد موته عارف بمن يجيء إليه سامع الصَّلَاة مَن يصليُّ عليه ، وسلام من يسلم عليه ، ويردُّ عليه السَّلَام فهذه حالة الحياة ، فإذا سأله العبد استغفر له ، لأنَّ هذه الحالة ثابتة له في الدُّنيا والآخرة ، فإنَّه شفيع المذنبين وموجبها في الدَّارين الحياة والإدراك مع النُّبوة ، وهذه الأمور ثابتة له في البرزخ أيضاً ، فتصحَّ الدَّلالة حينئذ وفاء بمقتضى الشَّرط .

(١) انظر : حقائق الأنوار ومطلع الأسرار في سيرة النَّبِيِّ المختار (ص ٤٩٤) .

(٢) انظر : سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (٣/ ٣١٧) .

وقد استدلل الإمام مالك على ذلك بهذه الآية كما ذكرته في باب مشروعية التوسل به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
 وحكى المصنفون في المناسك من أرباب المذاهب عن أبي عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن  
 معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب العبتي (٢٢٨هـ) ، أحد أصحاب سفيان بن عيينة ، قال :  
 دخلت المدينة فأُتيت قبر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فزرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابي فزاره ثم قال : يا  
 خير الرُّسل ، إنَّ الله تعالى أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه : ﴿ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا  
 اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وإني جئتكَ مستغفراً من ذنبي ،  
 مستشفعاً بك إلى ربِّي ثم بكى وأنشد :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيهنَّ القاع والأكم  
 نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف .

قال العبتي (٢٢٨هـ) : فرقدت فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم ، وهو يقول : الحق الأعرابي  
 وبشَّره بأنَّ الله غفر له بشفاعتي ، فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده .

ورويت هذه القصة من غير طريق العبتي رواه ابن عساكر في " تاريخه " ، وابن الجوزي في " الوفاء " عن  
 محمد بن حرب الهلالي ، وقد خمس هذه الأبيات جماعة ، منهم : الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأقسهي .  
 وروى الحافظ ابن النعمان في " مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام " من طريق الحافظ ابن السمعاني  
 بسنده عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال : قدم علينا أعرابي بعد ما دفننا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثلاثة  
 أيام فرمى نفسه على القبر الشريف ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله ، قلت فسمعنا قولك ،  
 ووعيت عن الله تعالى ، ووعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ  
 فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد ظلمت نفسي ،  
 وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر : أنه قد غفر لك .

والآية دالة على الحث على المجيء إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاستغفار عنده واستغفاره لهم ،  
 وهذه رتبة لا تنقطع بموته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والعلماء - رضي الله تعالى عنهم - فهموا من الآية العموم ،  
 بحالتي الموت والحياة ، واستحبوا لمن أتى القبر الشريف أن يتلوها ويستغفر الله تعالى .

وأما السُّنَّةُ فما ذكر في الكتب وما ثبت من خروج النَّبيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من المدينة لزيارة قبر الشهداء ، وإذا ثبت أن الزيارة قربة فالسَّفر كذلك ، وإذا جاز الخروج للقريب جاز للبعيد ، وحينئذ فقبره - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أولى ، وقد وقع الإجماع على ذلك لإطباق السَّلف والخلف .

قال القاضي عياض - رحمه الله تعالى - : زيارة قبر النَّبيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سنَّة بين المسلمين ومجمع عليها ، وفضيلة مرغوب فيها ، وأجمع العلماء على زيارة القبور للرجال والنساء كما حكاه النووي - رحمه الله تعالى - بل قال بعض الظَّاهريَّة بوجوبه ، واختلفوا في النساء ، وقد امتاز القبر الشَّريف بالأدلة الخاصَّة به كما سبق .

قال السُّبكي : ولهذا أقول : لا فرق بين الرجال والنساء .

وأما القياس فعلى ما ثبت من زيارته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأهل البقيع وشهداء أحد ، وإذا استحَبَّ زيارة قبر غيره فقبره أولى ، لما له من الحقِّ ووجوب التعظيم ، وليست زيارته إلا لتعظيمه والتبرُّك به ، ولتنالنا الرَّحمة بصلاتنا وسلامنا عليه عند قبره بحضرة الملائكة الحافئين به ، وذلك من الدُّعاء المشروع له " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٥٩٤٢هـ) : " الباب الثالث في الرَّدِّ على من زعم أنَّ شدَّ الرَّحل لزيارته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - معصية .

قد تقدَّم أنَّه انعقد الإجماع على تأكَّد زيارته ، وحديث لا تشدُّ الرَّحال إلا إلى ثلاثة مساجد حجَّة في ذلك . قال الحافظ أبو عمر بن عبد البرِّ بعد أن ذكر حديث الصَّحيحين : أنه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يأتي قباء ركباً وماشيا ليس في إتيانه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مسجد قباء ما يعارض الحديث الأوَّل ، لأنَّ ذلك معناه عند العلماء فيمن نذر على نفسه صلاة في أحد المساجد الثلاثة أنَّه يلزمه إتيانها دون غيرها .

وأما إتيان مسجد قباء وغيره من مواضع الرِّباط ، فلا بأس بإتيانها بدليل حديث قباء هذا .

قال الإمام العلامَّة محمود بن جملة (٧٦٤هـ) : وهو الذي ذكره هو الحقُّ الذي لا محيد عنه ، ولهذا تجد الأئمَّة من الفقهاء والمحدثين يذكرون الحديث في باب النُّذور والسَّفر للجهاد ، ولتعلم العلم الواجب ، وبرِّ الوالدين ، وزيارة الإخوان ، والتفكير في أثار صنع الله تعالى ، وكلِّه مطلوب للشارع إمَّا وجوباً ، أو استحباباً ، والسَّفر للتجارة والأغراض الدنيويَّة جائز وكلُّه خارج عن هذا الحديث ، فلم يبق إلا شدَّ الرَّحل للمعصية ، وحينئذ هو النَّوع ، ولا يختصُّ بشدَّ الرَّحل ، يا سبحان الله أن يكون السَّفر لزيارة النَّبيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من هذا

(١) انظر : سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٢٨٠-٢٨٢) .

القسم ، لقد اجترأ على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من قال هذا ، وهو كلام يدور مع الاستهانة وسوء الأدب ، وفي إطلاقه ما يقتضي كفر قائله نعوذ بالله من الخذلان ، وكذا في قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً وَلَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً " ، يعارض ما سبق ، لأنَّ سياقه يقتضي دفع توهّم من توهّم أنّ الصلّاة عليه لا تكون مؤثّرة إلاّ عند قبره فيفوت بسبب ذلك ثواب المصلّي عليه من مصلّ ، ولهذا قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُمَا كُنْتُمْ " .

ولا نعلم خلافاً بين أهل العلم في جواز السّفَر وشدّ الرّحْل لغرض دنيوي كالتّجارة ، فإذا جاز ذلك فهذا أولى ، لأنّه أعظم الأغراض الأخرويّة ، فإنّه في أصله من أمر الآخرة لا سبباً في هذا الوضع ، ولا نعلم خلافاً بين أهل العلم في جواز السّفَر وشدّ الرّحْل لغرض أخرويّ ، كالاتّبار بمخلوقات الله - عزّ وجلّ - وأثار صنعه وعجائب ملكوته ومبتدعاته ، وقد دلّ على هذا آيات كثيرة في الكتاب العزيز ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت : ٢٠] ، والاعتبار لمن بصره الله تعالى بمثل هذا السّفَر ، فإن المسلم العاقل يحصل له أعظم العبر فيتقرّر عنده أنّ الدّنيا ليست بدار مقام ، وأنّ آخر أمرها شرب كأس الحُمَام ، ويتذكر شدة الموت وسكراته ، وما حصل للنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من ذلك وهو أكرم الخلق على الله تعالى .

قال العلامة زين الدّين المراغيّ : وينبغي لكلّ مسلم اعتقاد كون زيارته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قربة للأحاديث الواردة في ذلك ، ولقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، لأنّ تعظيمه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا ينقطع بموته ، ولا يقال : إنّ استغفار الرّسول لهم إنّما هو في حال حياته ، وليست الزيارة كذلك لما قد أجاب به بعض أئمّة المحقّقين من أنّ الآية دلّت على تعليق وجدان الله توّاباً رحيماً بثلاثة أمور : المجيء ، واستغفار الرّسول لهم ، وقد حصل استغفار الرّسول لجميع المؤمنين ، لأنّه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد استغفر للجميع ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَسْتَغْفِر لِمَن يَدْعُوا إِلَى الْإِيمَانِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد : ١٩] ، فإذا وجد مجيئهم أو استغفارهم تكاملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته .

ومشروعيّة السّفَر لزيارة قبر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد أُلّف فيها الشّيخ تقي الدّين السّبكي ، والشّيخ جمال الدّين بن الزملكاني ، والشّيخ داود أبو سليمان المالكيّ ، وابن جملة ، وغيرهم من الأئمّة ، وردّوا

على عصرهم الشيخ تقي الدين بن تيمية - رحمه الله تعالى ، فإنه قد أتى في ذلك بشيء منكر لا يغسله البحار ، والله تعالى وليّ التوفيق ربّ السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار " (١) .

وقال الإمام محمد بن يوسف الصّالحي الشّامي (٩٤٢هـ) : " ... ثمّ يرجع الزّائر إلى موقفه الأوّل قبالة وجه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فيتوسّل به في حقّ نفسه ، ويستشفع به إلى ربّه سبحانه وتعالى ، ومن أحسن ما يقول ما حكاه المصنّفون في المناسك من جميع المذاهب واستحسنوه ورأوه من أدب الزّائر عن أبي عبد الرحمن محمّد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عقبة بن أبي سفيان - صخر بن حرب - العتبي (٢٢٨هـ) أحد أصحاب سفيان بن عيينة ، قال : دخلت المدينة ، فأريت قبر رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فزرته ، وجلست بحزائه ، فجاء أعرابيٌّ ، فزاره ثمّ قال : يا خير الرّسل ، إنّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وإني جئتكم مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربي ثمّ بكى ، وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيهنّ القاع والأكم

نفسى لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثمّ استغفر وانصرف ، فرقدت ، فرأيت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في نومي وهو يقول : الحق الأعرابي ، وبشره بأنّ الله تعالى غفر له بشفاعتي ، فاستيقظت ، فخرجت أطلبه فلم أجده . رواها ابن عساكر في تاريخه ، وابن الجوزي في كتابه : " مثير الغرام السّاكن " عن محمّد بن حرب الهلاليّ أنّه إنّفق له مثل ما إنّفق للعتبي ، ووردت هذه القصّة من غير طريق العتبي (٢٢٨هـ) فرواها .

وروى ابن السّمعاني عن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - ، قال : قدم علينا أعرابيٌّ بعد ما دفننا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بثلاثة أيّام ، فرمى نفسه على قبر النّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وحثا من تراه على رأسه ، وقال : يا رسول الله ، قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله تعالى ووعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، فنودي من القبر : قد غفر لك " (٢) .

(١) انظر : سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/٣٨٣-٣٨٤) .

(٢) انظر : سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/٣٩٠) .

وقال الإمام حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى (٩٦٦هـ): " السَّلَام عليك يا رسول الله ، السَّلَام عليك يا نبيَّ الله ، السَّلَام عليك يا سيِّد المرسلين ، السَّلَام عليك يا خاتم النَّبِيِّين ، السَّلَام عليك يا قائد الغرِّ المحجَّلين ، السَّلَام عليك وعلى أهل بيتك وأزواجك وأصحابك أجمعين ، السَّلَام عليك أيُّها النَّبي ورحمة الله وبركاته ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنَّ عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه ، وأشهد أنَّك بَلَّغْتَ الرِّسالة وأدَّيت الأمانة ونصحت الأُمَّة وجاهدت في الله حقَّ جهاده وعبدت ربَّك حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله عنَّا يا رسول الله أفضل ما جرى نبياً عن قومه ورسولاً عن أمته ، اللهم صلِّ على سيِّدنا محمد وعلى آل سيِّدنا محمد كما صلَّيت على إبراهيم ، وبارك على سيِّدنا محمد وعلى آل سيِّدنا محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنَّك حميد مجيد ، اللهم إنك قلت وقولك الحقُّ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ، اللهم انا قد سمعنا قولك ، وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيَّك هذا ، مستغيثين به إليك من ذنوبنا ، اللهم فتب علينا ، وأسعدنا بزيارته ، وأدخلنا في شفاعته ، وقد جئناك يا رسول الله ظالمين لأنفسنا ، مستغفرين لذنوبنا ، وقد ساءك الله بالرؤوف الرَّحيم ، فاشفع لمن جاءك ظالماً لنفسه ، معترفاً بذنبه ، تائباً إلى ربِّه ، وقد قيل :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والاكم  
 نفسى الفداء لغير أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم  
 أنت الشَّفيع الذى ترجى شفاعته عند الصُّراط اذا ما زلَّت القدم

ويدعو لنفسه ، ولوالديه ، ولمن أحبَّ بها أحبَّ ، وإن كان قد أوصاه أحد بتبليغ السَّلَام إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يقول : السَّلَام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان ، يستشفع بك إلى ربِّك بالرحمة والمغفرة ، فاشفع له ولجميع المؤمنين ، فأنت الشَّافع المشفَّع ، الرَّؤوف الرَّحيم ، ويكفي في زيارته أن يقول : السَّلَام عليك يا رسول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ ثمَّ يتحوَّل عن ذلك المكان ويدور إلى أن يقف بحذاء وجه النَّبي عليه السَّلَام ، مستدبر القبلة ، ويقف لحظة ويصلي ويسلم عليه مرَّة أو ثلاث مرَّات ثمَّ يتحوَّل عن يمينه قدر ذراع إلى أن يجاذي رأس قبر الصِّديق ، فإنَّ رأسه بحيال منكب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الأكثر ، فيقول : السَّلَام عليك يا خليفة رسول الله ، السَّلَام عليك يا صاحب رسول الله في الغار ، السَّلَام عليك يا صاحب رسول الله في الأسفار السَّلَام ، عليك يا أبا بكر الصِّديق ، جزاك الله أفضل ما جرى إماماً عن أُمَّة نبيِّه ، فلقد خلفته أحسن

الخلف ، وسلكت طريقته بأحسن الطرق ، وقاتلت أهل الردّة والبدعة ، ونصرت الإسلام ، وكفلت الأيتام ، ووصلت الأرحام ، ولم تزل قائلاً للحقّ ، ناصرأ لأهله حتى أتاك اليقين ، رضوان الله عليك وبركاته وسلامه وتحياته ، أسأل الله تعالى أن يمينتنا على محبتك ، كما وقفنا لزيارتك ، أنّه هو الغفور الرحيم ، ثمّ يتحوّل عن يمينه قدر ذراع إلى أن يُحاذى رأس قبر الفاروق أمير المؤمنين عمر ، لأنّ رأسه عند منكب أبي بكر عند الأكثر ، فيقول : السّلام عليك يا أمير المؤمنين عمر الفاروق ، السّلام عليك يا كاسر الأصنام ، السّلام عليك يا من أعزّ الله به الإسلام ، جزاك الله أفضل ما جزى إماماً عن أمة نبيّه ، ثمّ يرجع قدر نصف ذراع ويقف بين رأس الصّدّيق ورأس الفاروق ، ويقول : السّلام عليكما يا صاحبي رسول الله ، السّلام عليكما يا وزيري رسول الله ، المعاوين له على القيام في دين الله ، القائمين في أمته في أمور الإسلام ، جننا يا صاحبي رسول الله زائرنا لنبينا وصدّيقنا وفاروقنا ، ونحن نتوسّل بكما إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليشفع لنا ، ويسأل الله تعالى أن يتقبّل سعينا ، وأن يحمينا على ملّتكم ، ويميتنا على سنتكم ، ويحشرنا في زمركم ، ثمّ يدعو لنفسه ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، ويسأل الله تعالى حاجته ، ويصليّ في آخره على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله ، ثمّ يرجع ويقف عند رأس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين القبر والمنبر ، كما وقف في الابتداء ، وليستقبل القبلة ويحمد الله تعالى ويشئى عليه ويصليّ على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدعو لنفسه ولمن أحبّ من المسلمين بما أحبّ . ويستحب أن يخرج بعد زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل يوم خصوصاً يوم الجمعة إلى البقيع ، ويأتي المشاهد والمزارات ، ويزور القبور المشهورة فيه ، كقبر أمير المؤمنين عثمان بن عفّان ، وهو منفرد في قبة ، وقبر عمّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العباس في قبّته المعروفة به ، وفيها ضريحان ، فالغربي منها قبر العباس ، والشرقي منها قبر الحسن بن علي ، وزين العابدين ، وابنه محمّد الباقر ، وابن الباقر جعفر الصّادق ، كلّهم في قبر واحد ، وكقبر صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله أمّ الزبير ، فإنّه خارج باب البقيع عن يسار الخارج ، ويزور قبر فاطمة بنت أسد أمّ علي ، وقيل : إنّ قبر فاطمة بنت رسول الله بالمسجد المنسوب إليها بالبقيع ، وهو المعروف ببيت الأحران ، ويستحبّ أن يأتيه ويصليّ فيه ، وقيل : إنّ قبرها في بيتها ، وهو في مكان المحراب الحشب الذي خلف الحجرة المقدّسة ، داخل الدّرابزين . قيل : وهذا أظهر الأقوال . وقبر ابراهيم بن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبقيع ، وهو مدفون إلى جنب عثمان بن مظعون ، ودفن أيضاً إلى جنب عثمان ابن مظعون عبد الرّحمن بن عوف ، وبه قبر ، يقال : إنّ فيه عقيل بن أبي طالب ، وابن أخيه عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب ، والمنقول : أنّ قبر عقيل في داره ، وفي قبلة

قبر عقيل حظيرة مستهدمة مبنية بالحجارة ، يقال : إنَّ فيها قبور من دفن بالبقيع من أزواج النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي مناسك الكرماني : إنَّ فيها قبور أربع من أزواج النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَام ، وفيه قبر مالك بن أنس ، صاحب المذهب وغيرهم من الصَّحابة والتَّابعين ، كلُّهم بالبقيع ، ويستحبُّ أن يزور شهداء أحد يوم الخميس ، ويبدأ بحمزة عمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومعه في القبر ابن أخته المجذع في الله عبد الله بن جحش ، ثمَّ يزور باقي الشهداء ، ولا يعرف قبر أحد منهم . ويُسمِّي من علم اسمه منهم في السَّلَام عليه ، فمنهم مصعب بن عمير ، وحنظلة غسيل الملائكة ابن أبي عامر ، وسعد بن الرَّبيع ، وأنس بن النَّضر ، وأبو الدَّحداح ، ومجد بن زياد ، وغيرهم . وعند رجلٍ حمزة قبر ليس من قبور الشهداء . ويقول في السَّلَام عليهم : السَّلَام على أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، رحم الله غربتكم ، وأنس الله وحشتكم ، تقبَّل الله من محسنكم ، وتجاوز الله عن سيئكم ، ثمَّ يقرأ سورة الإخلاص ، وآية الكرسي ، لورود الأحاديث فيها . روى أبو نعيم في الحلية بسنده إلى ابن عمر ، قال : مرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمصعب بن عمير ، فوقف عليه ، وقال : أشهد أنَّكم أحياء عند الله تُرزقون ، فزوروهم وسلِّموا عليهم ، فوالذي نفسي بيده ، لا يسلم عليهم أحد إلاَّ ردُّوا عليه السَّلَام ... " (١) .

وقال الإمام محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى الحنبلي الشَّهير بابن النَّجَّار (٩٧٢هـ) : " ويروى عن العتبي (٢٢٨هـ) ، قال : كنت جالسا عند قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاء أعرابي ، فقال : السَّلَام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتكَ مستغفرا من ذنبي ، مستشفعا بك إلى ربِّي ، ثمَّ أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيهنَّ القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثمَّ انصرف الأعرابي . فحملتني عيني ، فرأيت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم فقال : يا عتبي ! الحق الأعرابي فبشره أن الله تعالى قد غفر له . ثمَّ إذا أتى الزَّائر إلى قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيسلم عليه مستقبلا له بأن يويَّ ظهره القبلة ، ويستقبل وسط القبر ، ويقول : السَّلَام عليك أيها النَّبِيُّ ورحمة الله وبركاته ، السَّلَام

(١) انظر : تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (١٧٥-١٧٦) .

عليك يا نبي الله ، وخيرته من خلقه وعباده ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أشهد أنك قد بلغت رسالة ربك ، ونصحت لأمتك ، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين . فصلّى الله عليك كثيراً ، كما يُحِبُّ ربنا ويرضى .

اللهم ! أجزِ عَنَّا نَبِيَّنَا أَفْضَلَ مَا جَزَيْتَ أَحَدًا مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، يغبطه به الأولون والأخرون .

اللهم ! صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم ! إنك قلت وقولك الحق : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك إلى ربِّي ، فأسألك يا رب أن توجب لي المغفرة ، كما أوجبتها لمن أتاه في حياته .

اللهم ! اجعله أوَّلَ الشَّافِعِينَ ، وأنجح السَّائِلِينَ ، وأكرم الأوَّلِينَ والآخِرِينَ ، برحمتك يا أرحم الرَّاحِمِينَ " . (١)

وقال الإمام علي بن سلطان محمد ، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) : " (وقال) ، أي : أبو جعفر لمالك رحمه الله تعالى (يا أب عبد الله) بحذف الألف كتابة وإثباته قراءة (استقبل القبلة) استفهام استرشاد والتقدير استقبلها (وأدعو) ، أي : الله سبحانه وتعالى بعد الزيارة (أم أستقبل رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فقال) أي : مالك (ولم تصرف وجهك عنه) أي : عن رسولك (فهو) ، وفي نسخة صحيحة ، وهو أي : والحال أنه (وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام) ، أي : وسائر الأنام (إلى الله تعالى يوم القيامة) ، أي : كما يشير إليه قوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة (بل استقبله واستشفع به) ، أي : اطلب شفاعته وسل وسيلته في قضاء مراداتك وأداء حاجاتك (فيشفعك الله) بتشديد الفاء ، أي : يقبل الله به شفاعتك لأمرك ولغيرك ، وفي نسخة : فيشفعه ، أي : يقبل شفاعته في حقك ويعفو عن ذنبك بوسيلة نبيك (قال الله تعالى) ، أي : مصدقاً لذلك فيما قرره مالك : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء : ٦٤] الآية ، بالمعصية ﴿جَاءُوكَ﴾ ، أي : للمعذرة والتوبة ، يعني : ﴿فَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ ، أي : بلسانهم وجنانهم

(١) انظر : معونة أولى النهى ، شرح المنتهى منتهى الإرادات (٤/٢٤٧-٢٤٨) .

﴿وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ ، فيه التفات عدل إليه تفضيلاً لشأنه صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ﴾ ، أي : لعلموه ﴿تَوَابًا رَّحِيمًا﴾ أي : منعوتاً بهذين الوصفين حين تاب عليهم ورحمهم بعدم المؤاخذة على ما صدر منهم " (١) .

وقال الإمام منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (١٠٥١هـ) : " فإيدةٌ " يُرَوَى عَنِ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذُنُوبِي مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيْبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكْمُ  
 نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَحَمَلْتَنِي عَيْنِي فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُنْتِي الْحَقُّ الْأَعْرَابِيُّ ، فَبَشَّرَهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ " (٢) .

وقال الإمام حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) : " ومما هو مقرر عند المحققين أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ يُرْزَقُ مَتَّعَ بِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ وَالْعِبَادَاتِ غَيْرَ أَنَّهُ حَجَبَ عَنْ أَبْصَارِ الْقَاصِرِينَ عَنْ شَرِيفِ الْمَقَامَاتِ . ولما رأينا أكثر الناس غافلين عن أداء حقِّ زيارته ، وما يُسْنُّ لِلزَّائِرِينَ مِنَ الْكَلِمَاتِ وَالْجَزَائِيَّاتِ ، أَحْبَبْنَا أَنْ نَذَكَرَ بَعْدَ الْمُنَاسِكِ وَأَدَائِهَا ، مَا فِيهِ نَبْذَةٌ مِنْ آدَابِ تَتِمُّ لِفَائِدَةِ الْكِتَابِ ، فنقول : ينبغي لمن قصد زيارة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُكثِرَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُهَا أَوْ تَبْلُغُ إِلَيْهِ ، وَفَضْلُهَا أَشْهَرُ مِنْ أَنْ نَذَكَرَهُ ، فإذا عاين حيطان المدينة المنورة يصلي على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَقُولُ : اللهم هذا حرم نبيك ، ومهبط وحيك ، فامنن عليّ بالدُّخُولِ فِيهِ ، واجعله وقاية لي من النَّارِ ، وأماناً من العذاب ، واجعلني من الفائزين بشفاعة المصطفى يوم المآبِ ، ويغتسل قبل الدُّخُولِ أَوْ بَعْدَهُ قَبْلَ التَّوَجُّهِ لِلزَّيَارَةِ إِنْ أَمَكَنَهُ ، وَيُطَيِّبُ ، وَيَلْبَسُ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ ، تعظيماً للقدوم على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ

(١) انظر : شرح الشفا (٢/٧٣) .

(٢) انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/٢١٥) .

ماشياً إن أمكنه بلا ضرورة ، بعد وضع ركبته ، واطمئنانه على حشمه وأمتعته ، متواضعاً بالسكينة والوقار ، ملاحظاً جلالة المكان ، قائلاً : بسم الله وعلى ملة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ﴿أَدْخَلَنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرَجَنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَصِيْرًا﴾ [الإسراء: ٨٠] ، اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل محمد ، إلى آخره ، واغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك وفضلك .

ثمَّ يدخل المسجد الشَّريف ، فيصلي تحيته عند منبره ركعتين ، ويقف بحيث يكون عمود المنبر الشَّريف بحذاء منكبه الأيمن ، فهو موقف النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة ، كما أخبر به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقال : " منبري على حوضي " ، فيسجد شكراً لله تعالى بأداء ركعتين غير تحية المسجد شكراً لما وفقك الله تعالى ومنَّ عليك بالوصول إليه ثمَّ تدعو بما شئت ، ثمَّ انهض متوجهاً إلى القبر الشَّريف ، فتقف بمقدار أربعة أذرع بعيداً عن المقصورة الشَّريفة بغاية الأدب ، مستديراً القبلة محاذياً لرأس النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ووجهه الأكرم ، ملاحظاً نظره السَّعيد إليك ، وساعه كلامك ، وردَّه عليك سلامك ، وتأمينه على دعائك ، وتقول : السَّلام عليك يا سيدي يا رسول الله ، السَّلام عليك يا نبيَّ الله ، السَّلام عليك يا حبيب الله ، السَّلام عليك يا نبيَّ الرَّحمة ، السَّلام عليك يا شفيع الأُمَّة ، السَّلام عليك يا سيّد المرسلين ، السَّلام عليك يا خاتم النَّبيين ، السَّلام عليك يا مرزئ ، السَّلام عليك يا مدثر ، السَّلام عليك وعلى أصولك الطَّيبين ، وأهل بيتك الطَّاهرين ، الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطَّهرهم تطهيراً ، جزاك الله عنَّا أفضل ما جزى نبياً عن قومه ، ورسولاً عن أمته ، أشهد أنَّك رسول الله قد بلغت الرِّسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأُمَّة ، وأوضحت الحُجَّة ، وجاهدت في سبيل الله حقَّ جهاده ، وأقمت الدِّين حتى أتاك اليقين ، صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ وعلى أشرف مكان تشرف بحلول جسمك الكريم فيه ، صلاة وسلاماً دائمين من ربِّ العالمين ، عدد ما كان ، وعدد ما يكون بعلم الله ، صلاة لا انقضاء لأمدها ، يا رسول الله نحن وفدك ، وزوار حرمك ، تشرَّفنا بالحلول بين يديك ، وقد جئناك من بلاد شاسعة ، وأمكنة بعيدة ، نقطع السَّهل والوعر ، بقصد زيارتك ، لنفوز بشفاعتك ، والنَّظر إلى مآثرك ومعاهدك ، والقيام بقضاء بعض حقِّك ، والاستشفاع بك إلى ربِّنا ، فإنَّ الخطايا قد قصمت ظهورنا ، والأوزار قد أثقلت كواهلنا ، وأنت الشَّافع المشفع ، الموعود بالشفاعة العظمى ، والمقام المحمود والوسيلة ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ

لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿ [النساء : ٦٤ ] ، وقد جئناك ظالمين لأنفسنا ، مستغفرين لذنوبنا ، فاشفع لنا إلى ربك ، واسأله أن يميننا على سنتك ، وأن يحشرنا في زمرك ، وأن يوردنا حوضك ، وأن يسقينا بكأسك ، غير خزايا ، ولا ندامى ، الشفاعة الشفاعة الشفاعة يا رسول الله - يقولها ثلاثاً - ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿ [الحشر : ١٠] .  
وتبّلغه سلام من أوصاك به فتقول : السّلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان يتشفع بك إلى ربك فاشفع له وللمسلمين ، ثمّ تصليّ عليه وتدعو بما شئت عند وجهه الكريم مستدبراً القبلة .

ثمّ تتحوّل قدر ذراع حتى تحاذي رأس الصّدّيق أبي بكر رضي الله عنه ، وتقول : السّلام عليك يا خليفة رسول الله ، وأنيسه في الغار ، ورفيقه في الأسفار ، وأمينه على الأسرار ، جزاك الله عنّا أفضل ما جرى إماماً عن أمة نبيّه ، فلقد خلفته بأحسن خلف ، وسلكت طريقه ومنهاجه خير مسلك ، وقاتلت أهل الردّة والبدع ، ومهدت الإسلام وشيّدت أركانه ، فكنت خير إمام ، ووصلت الأرحام ، ولم تزل قائماً بالحق ، ناصرراً للدين ولأهله حتى أتاك اليقين ، سل الله سبحانه لنا دوام حبك ، والحشر مع حزبك ، وقبول زيارتنا ، السّلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ثمّ تتحوّل مثل ذلك حتى تحاذي رأس أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فتقول : السّلام عليك يا أمير المؤمنين ، السّلام عليك يا مظهر الإسلام ، السّلام عليك يا مكسّر الأصنام ، جزاك الله عنّا أفضل الجزاء ، نصرت الإسلام والمسلمين ، وفتحت معظم البلاد بعد سيّد المرسلين ، وكفلت الأيتام ، ووصلت الأرحام ، وقوي بك الإسلام ، وكنت للمسلمين إماماً مرضياً ، وهدياً مهديّاً ، جمعت شملهم ، وأعنت فقيرهم ، وجبرت كسيرهم ، السّلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ثمّ ترجع قدر نصف ذراع ، فتقول : السّلام عليكما يا ضجيعي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورفيقه ، ووزيريه ، ومشيريه ، والمعاونين له على القيام بالدين ، والقائمين بعده بمصالح المسلمين ، جزاكما الله أحسن الجزاء ، جئناكما نتوسّل بكما إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليشفع لنا ، ويسأل الله ربّنا أن يتقبّل سعينا ، ويحيينا على ملّته ، ويميتنا عليها ويحشرنا في زمرة . ثمّ يدعو لنفسه ولوالديه ولمن أوصاه بالدعاء والجميع المسلمين ، ثمّ يقف عند رأس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالأوّل ، ويقول : اللهمّ إنك قلت وقولك الحق : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا

رَّحِيمًا ﴿ [النساء : ٦٤] ، وقد جئناك سامعين قولك طائعين أمرك ، مستشفعين بنبئك إليك ، اللهم ربنا اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم . ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] ، ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ \* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ \* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصفات : ١٨٠-١٨٢] ، ويزيد ما شاء ويدعو بما حضرته ويوفق له بفضل الله " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (١١٢٢هـ) : " وقد حكى جماعة منهم الإمام أبو نصر بن الصبَّاح في " الشامل " ، الحكاية المشهورة عن العتبي (٢٢٨هـ) ، واسمه : محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب ، وتوفي في سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وذكرها ابن النجَّار ، وابن عساكر ، وابن الجوزية في " منبر الغرام السَّانِكَن " عن محمد بن حرب الهلالي ، قال : أتيت قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزرته ، وجلست بحذاءه ، فجاء أعرابي فزاره ثم قال : يا خير الرُّسل ، إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتكَ مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربِّي ، وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم  
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ووقف أعرابيٌّ على قبره الشَّريف ، وقال : اللهم إنك أمرت بتعتق العبيد ، وهذا حبيبك وأنا عبدك ، فأعتقني من النَّار على قبر حبيبك ، فهتف به هاتف : يا هذا ، تسأل العتق لك وحدك ، هلاً سألت لجميع الخلق ، اذهب فقد أعتقناك من النَّار .

إنَّ الملوك إذا شابت عبيدهم في رفقهم أعتقوهم عتق أحرار  
وأنت يا سيدي أولى بذا كرماً قد شبت في الرِّقِّ فاعتقني من النَّار

(١) انظر : مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (ص ٢٨٤-٢٨٥) .

وعن الحسن البصري ، قال : وقف حاتم الأصم على قبره - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال : يا رب ، إننا زرنا قبر نبيك ، فلا تردنا خائبين ، فنودي : يا هذا ، ما أذننا لك في زيارة قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك ، فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفوراً لكم " (١) .

وقال الإمام سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجليل (١٢٠٤هـ) : " ... (قَوْلُهُ : وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ) وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ مَا حَكَاهُ أَصْحَابُنَا عَنْ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، مُسْتَحْسِنِينَ لَهُ ، قَالَ : كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، سَمِعْتُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيْبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكْمُ

نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

قَالَ ثُمَّ انْصَرَفَ فَحَمَلْتَنِي عَيْنَايَ فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُتْبِيُّ الْحَقُّ الْأَعْرَابِيُّ فَبَشَّرَهُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ " (٢) .

وقال الإمام محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) : " (ويستقبل القبلة) هناك ويستدبر القبر الشريف (وليحمد الله عز وجل) بمحامده اللاتقة به (وليمجده) تمجيداً حرياً بجنابه (وليكثر من الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في تضاعيف الحمد والتمجيد (ثم ليقول : اللهم إنك قلت وقولك الحق) في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، اللهم إننا قد سمعنا قولك ، وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيك ، مستغيثين به إليك من) ، وفي بعض النسخ في (ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا) التي ارتكبتها (تائبين من زلنا ، معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، فتب اللهم علينا ، وشفع نبيك هذا فينا) ويشير بذلك إلى حضرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتفات وجهه إليه (وارفعنا) أي : ارفع قدرنا (بمنزلته) وجاهه ومكانته (عندك

(١) انظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/١٩٩-٢٠٠) .

(٢) انظر : فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب) (٢/٤٨٥) .

وحقّه عليك) ، وهذا من باب الفضل والامتنان ، وإلا فلا حق لمخلوق على الخالق (اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار ، واغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) من سائر الاخوان (اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ولا من حرمك) يعني مكة (يا أرحم الراحمين) ، وإن لم يستحضر هذا الدعاء ، فليدع بها أحب وأهمه الله على لسانه وقلبه .

وأخرج أبو أحمد بن عساكر عن محمد بن كعب الهلالي ، قال : دخلت المدينة فأتيت قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزرتة وجلست بهذائه ، فجاء أعرابي فزاره ثم قال : يا خير الرُّسل ، إنَّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً ، وقال فيه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وإني جئتكَ مستغفراً لذيكَ من ذنوبي ، مستشفعاً بك إلى الله فيها ، ثم بكى وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيهنَّ القاع والأكم  
 نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف ، فرقدت ، فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نومي وهو يقول : الحق الرجل فيشره أن الله قد غفر له بشفاعتي ، فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده " (١) .

وقال الإمام مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة ، الرحياني مولداً ثم الدمشقي الحنبلي (١٢٤٣هـ) :  
 " قُلْتُ وَقَوْلِكَ الْحَقُّ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذُنُوبِي ، مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ، فَاسْأَلُكَ يَا رَبُّ أَنْ تُوجِبَ لِي الْمَغْفِرَةَ كَمَا أَوْجِبْتَهَا لِمَنْ أَتَاهُ فِي حَيَاتِهِ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ أَوَّلَ الشَّافِعِينَ ، وَأَنْجَحَ السَّائِلِينَ ، وَأَكْرَمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . ثُمَّ يَدْعُو لَوَالِدَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ " (٢) .

وقال الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) : " فائِدَةٌ : لَمْ يَذْكَرْ الْمُصَنِّفُ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ هَذَا زِيَارَةَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ الْمَوْطِنُ الَّذِي يُحْسِنُ ذِكْرَهَا فِيهِ كِتَابُ

(١) انظر : تحف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٤/ ٤٥٥) .

(٢) انظر : مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٢/ ٤٤١) .

الْحَنَائِزِ ، وَلَكِنَّهَا لَمَّا كَانَتْ تُفْعَلُ فِي سَفَرِ الْحَجِّ فِي الْعَالِبِ ذَكَرَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي كِتَابِ الْحَجِّ فَأَحْبَبْنَا ذِكْرَهَا هَاهُنَا تَكْمِيلاً لِلْفَائِدَةِ .

وَقَدْ اخْتَلَفَتْ فِيهَا أَقْوَالُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّهَا مُنْدُوبَةٌ ، وَذَهَبَ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ وَبَعْضُ الظَّاهِرِيَّةِ إِلَى أَنَّهَا وَاجِبَةٌ وَقَالَتِ الْحَنَفِيَّةُ : أَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَذَهَبَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَنْبَلِيُّ حَفِيدُ الْمُصَنِّفِ الْمَعْرُوفِ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ إِلَى أَنَّهَا غَيْرُ مَشْرُوعَةٍ ، وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ الْحَنَابِلَةِ وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مَالِكٍ ، وَالْجُوثِيَّيِّ ، وَالْقَاضِي عِيَاضٍ ، كَمَا سَيَأْتِي .

اِحْتَجَّ الْقَائِلُونَ بِأَنَّهَا مُنْدُوبَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَوَجْهُ الْإِسْتِدْلَالِ بِهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا فِي حَدِيثٍ : " الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ " (١) .

. قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورِ الْبَغْدَادِيُّ : قَالَ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَصْحَابِنَا : إِنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، انْتَهَى . وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ : مَا ثَبَتَ أَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءَ يُرْزَقُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَالنَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْهُمْ ، وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ كَانَ الْمَجِيءُ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ كَالْمَجِيءِ إِلَيْهِ قَبْلَهُ ...

وَاسْتَدْلُوا ثَانِيًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ نُذِرْكَهُ الْمَوْتَ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ١٠٠] ، وَالْمَهْجَرَةُ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ الْوُصُولُ إِلَى حَضْرَتِهِ كَذَلِكَ الْوُصُولُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَخْفَى أَنَّ الْوُصُولَ إِلَى حَضْرَتِهِ فِي حَيَاتِهِ فِيهِ فَوَائِدٌ لَا تُوَجَدُ فِي الْوُصُولِ إِلَى حَضْرَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ مِنْهَا النَّظَرُ إِلَى ذَاتِهِ الشَّرِيفَةِ وَتَعَلُّمُ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ مِنْهُ وَالْجِهَادُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَغَيْرَ ذَلِكَ .

(١) أخرجه البزار في المسند ، (٢٩٩/١٣) برقم ٦٨٨٨ ، أبو يعلى في المسند (١٤٧/٦) برقم ٣٤٢٥ ، وصححه المحقق ، البيهقي في حياة الأنبياء (ص ٦٩ برقم ١) ، ابن عساکر في تاريخ دمشق ، (٣٢٦/١٣) وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٢١١) برقم ١٣٨١٢ ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالْبُرَّازُ ، وَرَجَالَ أَبِي يَعْلَى ثِقَاتٌ ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ، (٤٨٧/٦) ، أخرجه من طريق يحيى بن أبي كثير وهو من رجال الصحيح عن المُسْتَلِمِ بْنِ سَعِيدٍ وَقَدْ وَثَّقَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حَبَانَ عَنِ الْحَجَّاجِ الْأَسْوَدِ وَهُوَ ابْنُ أَبِي زِيَادِ الْبَصْرِيِّ وَقَدْ وَثَّقَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مُعِينٍ عَنْ ثَابِتٍ عَنْهُ وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَأَخْرَجَهُ الْبُرَّازُ لَكِنْ وَقَعَ عِنْدَهُ عَنْ حَجَّاجِ الصَّوَّافِ وَهُوَ وَهُمْ وَالصَّوَّابُ الْحَجَّاجُ الْأَسْوَدُ كَمَا وَقَعَ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً مِنْ طَرِيقِ الْحُسَيْنِ بْنِ قُتَيْبَةَ عَنِ الْمُسْلِمِ وَكَذَلِكَ أَخْرَجَهُ الْبُرَّازُ وَابْنُ عَدِيٍّ وَالْحُسَيْنُ بْنُ قُتَيْبَةَ صَعِيفٌ .

وَاسْتَدَلُّوا ثَالِثًا بِالْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ مِنْهَا الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي مَشْرُوعِيَّةِ زِيَارَةِ الْقُبُورِ عَلَى الْعُمُومِ  
 وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاخِلٌ فِي ذَلِكَ دُخُولًا أَوَّلِيًّا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي الْجَنَائِزِ ، وَكَذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الثَّابِتَةُ  
 مِنْ فِعْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زِيَارَتِهَا ، وَمِنْهَا : أَحَادِيثٌ خَاصَّةٌ بِزِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ ...  
 قَالَ الْحَافِظُ : وَأَصَحُّ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا " مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ  
 إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أُرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ " .

وَبِهَذَا الْحَدِيثِ صَدَّرَ الْبَيْهَقِيُّ الْبَابَ ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى اعْتِبَارِ كَوْنِ الْمُسَلِّمِ عَلَيْهِ عَلَى قَبْرِهِ ، بَلْ  
 ظَاهِرُهُ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ . وَقَالَ الْحَافِظُ أَيْضًا : أَكْثَرُ مُتُونِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَوْضُوعَةٌ وَقَدْ رُوِيَ زِيَارَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، مِنْهُمْ : بِلَالٌ عِنْدَ ابْنِ عَسَاكِرَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ ، وَابْنُ عَمْرٍو عِنْدَ مَالِكٍ فِي الْمُوطَأِ ، وَأَبُو  
 أَيُّوبَ عِنْدَ أَحْمَدَ ، وَأَنَسٌ ذَكَرَهُ عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ ، وَعُمَرُ عِنْدَ الْبَزَارِ ، وَعَلِيٌّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عِنْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ وَغَيْرِ  
 هَؤُلَاءِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ شَدَّ الرَّحْلَ لِذَلِكَ إِلَّا عَنْ بِلَالٍ ؛ لِأَنَّهُ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِدَارِيًّا يَقُولُ لَهُ : " مَا هَذِهِ الْجَفْوَةُ يَا بِلَالُ أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَرُورَنِي " ، رَوَى ذَلِكَ ابْنُ عَسَاكِرَ ،  
 وَاسْتَدَلَّ الْقَائِلُونَ بِالْوَجُوبِ بِحَدِيثٍ : " مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي " ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ، قَالُوا : وَالْجَفَاءُ لِلنَّبِيِّ -  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُحَرَّمٌ ، فَتَجِبُ الزِّيَارَةُ لِئَلَّا يَقَعَ فِي الْمُحَرَّمِ ، وَأَجَابَ عَنْ ذَلِكَ الْجُمْهُورُ بِأَنَّ الْجَفَاءَ يُقَالُ عَلَى  
 تَرْكِ الْمُنْدُوبِ كَمَا فِي تَرْكِ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ ، وَعَلَى غِلْظِ الطَّبَعِ كَمَا فِي حَدِيثٍ : " مَنْ بَدَأَ فَقَدْ جَفَا " ، وَأَيْضًا الْحَدِيثُ  
 عَلَى انْفِرَادِهِ مِمَّا لَا تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ لِمَا سَلَفَ . وَاحْتَجَّ مَنْ قَالَ بِأَنَّهَا غَيْرُ مَشْرُوعَةٍ بِحَدِيثٍ : " لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا  
 إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ " ، وَهُوَ فِي الصَّحِيحِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ وَحَدِيثُ " لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا " رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ . قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ : اخْتَلَفَ  
 الْعُلَمَاءُ فِي شَدِّ الرَّحْلِ لِغَيْرِ الثَّلَاثَةِ كَالذَّهَابِ إِلَى قُبُورِ الصَّالِحِينَ وَإِلَى الْمَوَاضِعِ الْفَاضِلَةِ ، فَذَهَبَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ  
 الْجُونِيُّ إِلَى حُرْمَتِهِ ، وَأَشَارَ عِيَاضٌ إِلَى اخْتِيَارِهِ ، وَالصَّحِيحُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ لَا يُحْرَمُ وَلَا يُكْرَهُ ، قَالُوا : وَالْمُرَادُ أَنَّ  
 الْفَضِيلَةَ الثَّابِتَةَ إِنَّمَا هِيَ شَدُّ الرَّحْلِ إِلَى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ خَاصَّةً ، انْتَهَى . وَقَدْ أَجَابَ الْجُمْهُورُ عَنْ حَدِيثِ شَدِّ الرَّحْلِ  
 بِأَنَّ الْقَصْرَ فِيهِ إِضَافِيٌّ بِاعْتِبَارِ الْمَسَاجِدِ لَا حَقِيقِيٌّ .

قَالُوا : وَالِدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ " لَا يَنْبَغِي لِلْمَطِيِّ أَنْ يُشَدَّ  
 رِحَالُهَا إِلَى مَسْجِدٍ تُبْتَغَى فِيهِ الصَّلَاةُ غَيْرَ مَسْجِدِي هَذَا ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى " ، فَالزِّيَارَةُ وَغَيْرُهَا  
 خَارِجَةٌ عَنِ النَّهْيِ . وَأَجَابُوا ثَانِيًا بِالْإِجْمَاعِ عَلَى جَوَازِ شَدِّ الرَّحَالِ لِلتَّجَارَةِ وَسَائِرِ مَطَالِبِ الدُّنْيَا .

وَعَلَىٰ وُجُوهِهِ إِلَىٰ عَرَفَةَ لِلْوُثُوفِ وَإِلَىٰ مِنَىٰ لِلْمَنَاسِكِ الَّتِي فِيهَا ، وَإِلَىٰ مُزْدَلِفَةَ ، وَإِلَىٰ الْجِهَادِ ، وَالْهَجْرَةَ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ ، وَعَلَىٰ اسْتِحْبَابِهِ لَطَلَبِ الْعِلْمِ ، وَأَجَابُوا عَنْ حَدِيثٍ : " لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا " بِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْحَثِّ عَلَى كَثْرَةِ الزِّيَارَةِ لَا عَلَىٰ مَنَعِهَا ، وَأَنَّهُ لَا يُهْمَلُ حَتَّى لَا يُزَارَ إِلَّا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ كَالْعِيدَيْنِ . وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ : " لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا " ، أَيْ : لَا تَتْرَكُوا الصَّلَاةَ فِيهَا ، كَذَا قَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ .

وَقَالَ السُّبْكِيُّ : مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا تَتَّخِذُوا لَهَا وَقْتًا مَخْصُوصًا لَا تَكُونُ الزِّيَارَةُ إِلَّا فِيهِ ، أَوْ لَا تَتَّخِذُوهُ كَالْعِيدِ فِي الْعُكُوفِ عَلَيْهِ وَإِظْهَارِ الزِّيْنَةِ وَالْاجْتِمَاعِ لِلْهُوِّ وَغَيْرِهِ كَمَا يُفْعَلُ فِي الْأَعْيَادِ بَلْ لَا يُؤْتَى إِلَّا لِلزِّيَارَةِ وَالِدُّعَاءِ وَالسَّلَامِ وَالصَّلَاةِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ عَنْهُ وَأُجِيبَ عَمَّا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ مِنْ الْقَوْلِ بِكَرَاهَةِ زِيَارَةِ قَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ بِكَرَاهَةِ زِيَارَةِ قَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطْعًا لِلذَّرِيعَةِ ، وَقِيلَ : إِنَّمَا كَرِهَ إِطْلَاقَ لَفْظِ الزِّيَارَةِ ؛ لِأَنَّ الزِّيَادَةَ مِنْ شَاءٍ فَعَلَهَا وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهَا ، وَزِيَارَةُ قَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السُّنَنِ الْوَاجِبَةِ ، كَذَا قَالَ عَبْدُ الْحَقِّ وَاحْتَجَّ أَيْضًا مَنْ قَالَ بِالْمَشْرُوعِيَّةِ بِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ دَأْبُ الْمُسْلِمِينَ الْقَاصِدِينَ لِلْحَجِّ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ عَلَى تَبَائِنِ الدِّيَارِ وَاخْتِلَافِ الْمَذَاهِبِ الْوُضُوءِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُشْرَفَةِ لِقَصْدِ زِيَارَتِهِ ، وَيَعُدُّونَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَلَمْ يُنْقَلْ أَنَّ أَحَدًا أَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَكَانَ إِجْمَاعًا" (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشرواني (١٢٥٣هـ) : " حكاية : عن ابن مريم قال : كنت حاجاً في بعض السنين ، فأتيت مسجد رسول الله صَلَّى عليه وَسَلَّمَ ، فإذا أنا بأعرابي يركض على بعيره حتى أتى مسجد رسول الله صَلَّى عليه وَسَلَّمَ ، فعقل بعيره ثم دخل يؤم القبر ، فلما نظر إلى قبر رسول الله صَلَّى عليه وَسَلَّمَ ، قال : بأبي أنت وأمِّي ، لقد بعثك الله بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليك كتاباً مستقيماً ، علّمك فيه علم الأولين والآخرين ، فقال : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ آدَمَ وَآدَمُ قَالَ اسْكُنْ الْأَرْضَ كُلَّهَا وَرَبُّكَ خَيْرٌ لِمَنْ كَفَرَ ﴾ [النساء : ٦٤] ، وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ رَبَّكَ مِنْجَزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، وَهِيَ أَنَا قَدْ أَتَيْتُكَ مَقْرَأً بِالذُّنُوبِ ، مُسْتَشْفِعاً بِكَ عِنْدَ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ أَمْضَى ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ شِعْراً :

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنّ القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم (٢)

(١) انظر : نيل الأوطار (١١٣/٥-١١٥) .

(٢) انظر : نعمة اليمن فيما يزول بذكره الشجن (ص ١٢) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي (المتوفى: بعد ١٣٠٢هـ): "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَابًا صَادِقًا، قَالَ فِيهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وقد جئتكَ مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى رَبِّي:

يا خير من دفنت في القاع أعظمه  
 نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه  
 أنت النبي الذي تُرجى شفاعته  
 وصاحبك فلا أنساهما أبداً

فطاب من طيهنَّ القاع والأكم  
 فيه العفاف وفيه الجود والكرم  
 عند الصُّراط إذا ما زلتَ القدم  
 منِّي السَّلَامُ عليكم ما جرى القلم (١)

(١)

وقال الإمام محمد بن عمر نوي الجاوي البتني إقليماً، التناري بلداً (١٣١٦هـ): "يَسْتَحَبُّ اسْتِحْبَاباً مُؤَكِّدًا زِيَارَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ، وَأَنْجَحِ الْمَسَاعِي، وَيَقْصِدُ الْمَسْجِدَ الشَّرِيفَ مَا شِئاً بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ، مِمثلاً فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ يَضَعُ قَدَمَيْهِ عَلَى مَوَاضِعِ أَقْدَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ الشَّرِيفِ وَبَنَّبَعِي أَنْ يَكُونَ بَابُ جِرِيلٍ، قَصِدِ الرُّوضَةَ الشَّرِيفَةَ، وَهِيَ مَا بَيْنَ الْمُنْبَرِ وَالْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ، فَيَصِلِي تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ فِي مَوْقِفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَجْعَلُ عَمُودَ الْمُنْبَرِ حِذَاءَ مَنْكِبِهِ الْأَيْمَنِ، وَيَسْتَقْبِلُ السَّارِيَةَ الَّتِي إِلَى جَانِبِهَا الصَّنَدُوقُ، وَتَكُونُ الدَّائِرَةُ الَّتِي فِي الْقُبْلَةِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَتَلِكُ مَوْقِفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فَرَغَ مِنَ التَّحِيَّةِ، شَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، وَسَأَلَهُ إِتْمَامَ النِّعْمَةِ بِقَبُولِ زيارته ثُمَّ يَأْتِي الْقَبْرَ الشَّرِيفَ الْمُقَدَّسَ، فَيَقِفُ قِبَالَه الْوَجْهَ الشَّرِيفَ بِأَنْ يَسْتَدْبِرَ الْقُبْلَةَ وَيَسْتَقْبِلُ جِدَارَ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةَ، وَيَقِفُ عَلَى مِقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَذْرُعٍ مِنَ الْجِدَارِ نَاطِراً إِلَى الْأَرْضِ، غَاضِ الطَّرْفَ فِي مَقَامِ الْهَيْبَةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ، فَارْغِ الْقَلْبَ مِنْ جَمِيعِ الْعَلَائِقِ، مُسْتَحْضِراً فِي قَلْبِهِ جَلَالَه مَوْقِفِهِ وَمَنْزِلَه مِنْ هُوَ بِحَضْرَتِهِ، فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ وَيَعْلَمُ وَقَوْفَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَيَقِلُّ بِحُضُورِ قَلْبٍ وَخَفْضِ صَوْتٍ وَسُكُونِ جَوَارِحِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفْوَةَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ الطَّاهِرِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَزْوَاجِكَ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ،

(١) انظر: شرح المُقدِّمة الحضرمية المُسمَّى بِشُرى الكَرِيم بِشْرَحِ مَسَائِلِ التَّعْلِيمِ (ص ٦٨٢).

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ أَجْمَعِينَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَسَائِرِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

قَالَ السُّبْكِيُّ : وَالْمُرْوِيُّ عَنِ السَّلْفِ الْإِيْجَازِي فِي ذَلِكَ جَدًّا .

فَعَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . ثُمَّ إِنْ كَانَ أَحَدٌ أَوْصَاهُ بِالسَّلَامِ ، فَلْيَقُلْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ أَوْ نَحْوِ هَذَا ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى جِهَةِ يَمِينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ لِلسَّلَامِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لِأَنَّ رَأْسَهُ عِنْدَ مَنْكَبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفِيهِ وَثَانِيهِ فِي الْغَارِ ، جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ أُمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى جِهَةِ يَمِينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ لِلسَّلَامِ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لِأَنَّ رَأْسَهُ عِنْدَ مَنْكَبِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَيَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ الْفَارُوقَ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ أُمَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مَوْقِفِهِ الْأَوَّلِ ، وَيَتَوَسَّلُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ ، وَيَسْتَشْفَعُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَيَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ وَأَوْلَادِهِ وَلِمَنْ أَحَبَّ بِهَا أَحَبَّ ، وَيَخْتِمُ دَعَاءَهُ بِأَمِينٍ وَبِالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلِكَ الْحَقُّ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ سَمِعْنَا قَوْلَكَ ، وَأَطَعْنَا أَمْرَكَ ، وَقَصَدْنَا نَبِيَّكَ هَذَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مُسْتَشْفِعِينَ بِكَ مِنْ ذُنُوبِنَا ، وَمَا أَثْقَلَ ظُهُورَنَا مِنْ أَوْزَارِنَا ، تَائِبِينَ إِلَيْكَ مِنْ زَلَلِنَا ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَانَا وَتَقْصِيرِنَا ، اللَّهُمَّ فَتُبْ عَلَيْنَا وَشَفِّعْ نَبِيَّكَ هَذَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَإِلِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيْمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ " (١) .

وقال الإمام عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (١٣٦٠هـ) : " ثُمَّ يَقِفُ عِنْدَ رَأْسِهِ الشَّرِيفِ كَالأَوَّلِ : ويقول اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلِكَ الْحَقُّ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] . وقد جئناك سامعين قولك ، طائعين أمرَكَ ، مُتَشَفِّعِينَ بِنَبِيِّكَ ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيْمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

(١) انظر : نهاية الزين في إرشاد المبتدئين (ص ٢١٩-٢٢٠) .

رَّحِيمٍ ﴿ [الحشر: ١٠] ، ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١] . (١)

وقال الإمام محمد سيّد طنطاوي (١٤٣١هـ) : " ورحم الله ابن كثير ، فقد قال عند تفسيره لهذه الآية :  
وقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] . يُرشد - تعالى - العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيستغفروا الله عنده ، ويسألوه أن يستغفر لهم ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ، ولهذا قال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] .

وقد جاء عن الإمام العتبي أنه قال : كنت جالساً عند قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاء أعرابي ، فقال : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ !! سمعت الله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتكَ مستغفراً لذنبي ، مستشفعاً بك عند ربِّي . ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيهنَّ القاع والأكرم  
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال العتبي : ثم انصرف الأعرابي ، فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوْمِ ، فقال : يا عتبي ، الحق الأعرابي ، فبشَّره أن الله قد غفر له " (١) .

وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية : " وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي بَيَانِ آدَابِ زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثُمَّ يَرْجِعُ الزَّائِرُ إِلَى مَوْقِفِ قُبَالَةِ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَوَسَّلُ بِهِ وَيَسْتَشْفَعُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ ، وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ (الزَّائِرُ) مَا حَكَاهُ الْمَأْوَرِدِيُّ وَالْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ وَسَائِرُ أَصْحَابِنَا عَنِ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، مُسْتَحْسِنِينَ لَهُ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ . سَمِعْتُ اللهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ

(١) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٦٤١) .

(٢) انظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣/ ٢٠١) .

لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿ [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتِكُمْ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ وَطَابَ مِنْ طَيِّبِنَ الْقَاعِ وَالْأَكْمَرُ

نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ (١)

وفي الحقيقة ، فإن العلماء الذين استشهدوا بقوله تعالى : ﴿ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] ، على جواز التوسل ، ذاكرين ومستشعدين بقصة العتيبي هم من الكثرة بمكان ... ومع ذلك لم يرق للبعض ما سارت عليه الأمة قرونًا طويلاً ، ذلك أنه لم يؤثر عن أحد السلف أو من الخلف قبل ظهور ابن تيمية أنه منع التوسل بذوات الأموات ، من الأنبياء والصالحين (٢) ، فراحوا يوردون الشبهات والاعتراضات لتوهين الأدلة التي استدلل بها جمهور الأمة على جواز التوسل بالذوات الفاضلة .

يقول الشيخ محمد صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١هـ) : " وهذه الآية استدلل بها دعاة القبور الذين يدعون القبور ويستغفرونها حيث قالوا: لأن الله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] ، فأنت إذا أذنبت ، فأذهب إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام ، واستغفر الله ليستغفر لك الرسول . ولكن هؤلاء ضلوا ضلالاً بعيداً ؛ لأن الآية صريحة قال : ﴿ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ ، ولم يقل : إذا ظلموا أنفسهم جاءوك ، فهي تتحدث عن شيء مضى وانقضى ، يقول : لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بما أحدثوا ، ثم جاءوك في حياتك ، واستغفروا الله ، واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله تواباً رحيماً ، أما بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ فإنه لا يمكن أن يستغفر الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد ؛ لأنه انقطع عمله ، كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " ، فعمل النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بعد موته لا يمكن ، لكنه صلى الله عليه وسلم يكتب له أجر كل ما عملته

(١) انظر : الموسوعة الفقهية الكويتية ، (١٤/١٥٧) .

(٢) انظر : مجلة الأزهر ، الجزء الخامس ، المجلد الثاني ، جمادى الأولى سنة (١٣٥٠هـ) ، مقال للدجوي بعنوان : التوسل .

الأمّة ، فكلّ ما عملنا من خير وعمل صالح من فرائض ونوافل ، فإنه يكتب أجره للرّسول عليه الصّلاة والسّلام ؛ لأنّه هو الذي علمنا ، فهذا داخل في قوله : " أو علم ينتفع به " . الحاصل أنّه لا دلالة في هذه الآية على ما زعمه هؤلاء الدّاعون لقبر النّبي عليه الصّلاة والسّلام " (١) .

وابن عثيمين بكلامه هذا يخالف عموم علماء أمّة محمّد ، ويصرّح بأنّهم ضلّوا ضلالاً بعيداً ، بل هو يخالف الأمّة التي بيّن لها ورثة الأنبياء الحقّ من الباطل ، أولئك الجهاليد الأساطين الذين جوّزوا التّوسّل واحتجّوا له بالأدلّة ... ومن أدلّتهم : الآية التي أنكر ابن عثيمين أن تكون دليلاً على التّوسّل ، مع العلم أنّ جلّ المسائل التي خالفوا فيها هي ممّا عليه الأمّة ، فهم لا يتورّعون عن مخالفة الأمّة ، ويزعمون أنّهم وحدهم على الحقّ ، وأنّ ما عليه غيرهم هو الباطل ، وسيتبيّن لك ضلال ابن عثيمين في هذه المسألة من خلال ما عرضّه من دليل على ما ذهب إليه في كلامه الآتي بعد قليل ...

وقد أشاح ابن عبد الهادي ، والشيخ ابن عثيمين بوجهيهما عن استشهادهم ، وزعما أنّ الاستشهاد بالآية على جواز التّوسّل برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس في محله ، فذهب ابن عبد الهادي إلى تخصيص قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنْتُمْ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ جَاءَكُمْ فَاسْتَعْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، بما قبل الموت (٢) .

والحقيقة أنّ تخصيص الآية المذكورة بما قبل الموت بدون حُجّة عن هوى ، وترك المطلق على إطلاقه ممّا اتّفق عليه أهل الحق ، والتّقييد لا يكون إلّا بحجّة ، ولا حُجّة هنا لتقييد الآية ، بل فقهاء المذاهب حتى الحنابلة على شمول الآية لما بعد الموت ، والأنبياء أحياء في قبورهم (٣) .

والسّبب أنّ الآية عامّة لوقوع الفعل ﴿ جَاءَكُمْ ﴾ في حيّز الشّروط الذي يدلّ على العموم ، فقد تقرّر في علم الأصول : أنّ أعلى صيغ العموم ما وقع في سياق الشّروط (٤) ، ولذلك فهم العلماء من الآية العموم ، ونصّوا على أنّه يُستحب لمن زار القبر الشّريف أن يقرأ هذه الآية ...

(١) انظر : شرح رياض الصّالحين (٢/٢٥٧-٢٥٨) .

(٢) انظر : الصارم المنكي في الرد على السّبكي (ص ٣١٩ فما بعدها) .

(٣) انظر : مقالات الكوثري (ص ٣٨٧) .

أَمَّا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعَثِيمِينَ فَقَدْ اعْتَرَضَ عَلَى الْاسْتِدْلَالِ بِالْآيَةِ بِجَوَازِ التَّوَسُّلِ ، وَأَتَى بِمَا يَضْحَكُ التَّكْلِي ...  
... حَيْثُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ اسْتِغْفَارَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ أَمْرٌ مُتَعَدِّرٌ ... فَقَالَ : " إِذَا قَالَ قَائِلٌ :  
جِئْتُ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي ، أَوْ أَنْ يَشْفَعَ لِي عِنْدَ اللهِ فَهَلْ يَجُوزُ ذَلِكَ  
أَوْ لَا ؟ قُلْنَا : لَا يَجُوزُ . إِذَا قَالَ : أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ  
وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] . قُلْنَا لَهُ : بَلَى ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ذَلِكَ :  
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا﴾ ، وَ ﴿إِذْ﴾ هَذِهِ ظَرْفٌ لِمَا مَضَى وَلَيْسَتْ ظَرْفًا لِلْمُسْتَقْبَلِ ، لَمْ يَقُلِ اللهُ : ( وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذَا  
ظَلَمُوا ) ، بَلْ قَالَ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا﴾ ، فَالْآيَةُ تَتَحَدَّثُ عَنْ أَمْرٍ وَّاقِعٍ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ، وَاسْتِغْفَارَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَمَاتِهِ أَمْرٌ مُتَعَدِّرٌ ، لِأَنَّهُ إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ  
ثَلَاثٍ ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، أَوْ عِلْمٌ يَنْتَفِعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ " (١) .

فَلَا يُمْكِنُ لِإِنْسَانٍ بَعْدَ مَوْتِهِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِأَحَدٍ ، بَلْ وَلَا يَسْتَغْفِرُ لِنَفْسِهِ أَيْضًا ، لِأَنَّ الْعَمَلَ انْقَطَعَ " (٢) .

هَذَا مَا قَالَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعَثِيمِينَ ، وَفِي كَلَامِهِ عِدَّةٌ مَوْأَخَذَاتٌ :

(١) أَنَّهُ قَصْرٌ ﴿إِذْ﴾ عَلَى الْمَاضِي فَقَطْ ، وَهَذَا مَجَانِبٌ لِلصَّوَابِ ﴿إِذْ﴾ فَكَمَا تُسْتَعْمَلُ لِلْمَاضِي تَسْتَعْمَلُ  
لِلْمُسْتَقْبَلِ ، وَقَدْ دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ ، قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْأَزْهَرِيِّ ، أَبُو مَنْصُورٍ

(١) انظر : المسودة في أصول الفقه (ص ١٠١ فما بعدها) ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (١/٣٠٦) ، تليقح المفهوم في تنقيح  
صيغ العموم (ص ١٢٦) .

(٢) قال الشَّيْخُ الْأَرْنَؤُوطُ : " إسناده صحيح . وأخرجه الدارمي (٥٥٩) ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٣٨) ، ومسلم (١٦٣١) (١٤) ، وأبو  
داود في " السنن " برواية أبي الحسن ابن العبد كما في " تحفة الأشراف " ١٠ / ٢٢١ ، والترمذي (١٣٧٦) ، وابن أبي الدنيا في " العيال " (٤٣٠) ،  
والنسائي ٦ / ٢٥١ ، وأبو يعلى (٦٤٥٧) ، وابن خزيمة (٢٤٩٤) ، والطحاوي في " مشكل الآثار " (٢٤٦) ، وابن حبان (٣٠١٦) ، والطبراني في  
" الدعاء " (١٢٥١) ، والبيهقي في " السنن " ٦ / ٢٧٨ ، وفي " الشعب " (٣٤٤٧) ، وابن عبد البر في " جامع بيان العلم وفضله " ١ / ١٩٠ ،  
والبغوي (١٣٩) من طرق عن إسماعيل بن جعفر بهذا الإسناد . وقال الترمذي : حسن صحيح . وأخرجه أبو داود (٢٨٨٠) ، والدولابي في "   
الكنى " ١ / ١٩٠ ، والطحاوي في " مشكل الآثار " (٢٤٧) ، والطبراني في " الدعاء " (١٢٥٠) و (١٢٥٢) و (١٢٥٣) و (١٢٥٤) و (١٢٥٥) ،  
والبيهقي ٦ / ٢٧٨ ، وابن عبد البر ١ / ١٥ من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن ، به " . انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٤ / ٤٣٨) حديث رقم  
(٨٨٤٤) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعَثِيمِينَ (٢ / ٣٤٥) .

(٣٧٠هـ): "الْعَرَبُ تَضَعُ ﴿إِذ﴾ لِلْمُسْتَقْبَلِ ، و (إِذَا) لِلْمَاضِي . قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١] ، مَعْنَاهُ : وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَفْزَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (١) .

قلت : ومن الآيات التي جاء الظرف ﴿إِذ﴾ فيها للمستقبل :

قوله تعالى : ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [بقرة: ١٦٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا يَا لِحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] . وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وكلها تتحدث عن أمور مستقبلية ... وهناك العديد من المعاني التي تستعمل فيها ﴿إِذ﴾ ، استوعبها جميعاً الإمام عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ، أبو محمد ، جمال الدين ، ابن هشام (٧٦١هـ) في كتابه : " مغني اللبيب عن كتب الأعراب " (٢) ...

ومن الجدير بالذكر هنا : أن ابن العثيمين من أشد المتحمسين لنفي المجاز من القرآن الكريم ، ولذلك لم يتردد البتة حين اصطدم بقول الله تعالى : ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ [الكهف: ٧٧] ، عن التصريح بالقول : " بل للجدار إرادة ؛ كما قال تعالى : ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ (٢) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (٣٧/١٥) .

(٢) انظر : مغني اللبيب عن كتب الأعراب (١١١/١-١١٩) .

(٣) انظر : شرح العقيدة الواسطية (٢٥/٢) .

فماذا يقول ابن العثيمين في قول الله تعالى: ﴿ وَسَكَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف: ٨٢] ، هل سيسأل شوارع القرية أو بيوتها أو ... وماذا عن الجمال؟؟؟ هل سيسأل الإبل؟؟!! بل ماذا يقول في قول الله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤] ، وماذا سيقول في قول الله تعالى: ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ﴾ [التكوير: ١٨] ، وقول الله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَكُمْ الخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] ، وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩] ، وقول اله تعالى: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] ، وقول الله تعالى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَعِ حَذْرَ الْمَوْتِ ﴾ [البقرة: ١٩] ، وقول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠] ، وقول الله تعالى: ﴿ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢] ، وقول الله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً ﴾ [النساء: ٩٢] ، وقول الله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨] ، وقول الله تعالى: ﴿ إِنِّي أَرْزُقِي أَغْصِرُ حَمْرًا ﴾ [يوسف: ٣٦] ، وقول الله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤] ... وصدق الله العظيم: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦] ... لقد طبّق ابن العثيمين حكاية المثل السائر: عنزة ولو طارت ...

(٢) أَنَّهُ حَكَمَ بِنَعْدْرِ اسْتِغْفَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... لِأَنَّهُ مَاتَ ، ... وَهَذَا خَطَأً وَاضِحٌ بَيِّنٌ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ ، وَقَدْ تَضَافَرَتِ الْأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَى حَيَاتِهِ ، مِنْهَا :  
قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : " الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءُ فِي قُبُورِهِمْ يَصَلُّونَ " ، وَغَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ كَثِيرٌ ، فَإِذَا انضَمَّتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ إِلَى صَرِيحِ وَمُحْكَمِ آيَاتِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ الَّتِي حَكَمَتْ بِحَيَاةِ الشَّهِيدِ - وَالنَّبِيِّ أَعْلَى رَتْبَةً مِنْهُ قِطْعًا - حَكَمْنَا بِحَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
ثُمَّ إِنَّ اسْتِغْفَارَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاصِلٌ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ سِوَاهُمْ مِنْ أَدْرَكَ حَيَاتِهِ أَوْ لَمْ يَدْرِكْهَا ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمَّد: ١٩] .

وقد ذكرنا أن جمعاً كبيراً من المفسرين فهم من الآية الكريمة العموم ، وهو بلا شك يظهر صحّة الاستدلال بالآية الكريمة على حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنه حيٌّ في قبره يستغفر للمستغفرين ، وهذا الفهم هو الذي فهمه جمهور الفقهاء حيث ذكروا الآية في كتب المناسك ، في صفة زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ....

(٣) أمّا عن قول ابن عثيمين : أن عمله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انقطع بموته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... فهذا فيه مغالطة كبيرة ... فعمل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينقطع ، وعمله دائم إلى يوم القيامة ، لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الداعي إلى ما تعلمه أمته من الخير ، فجميع الأعمال الصّادرة عن الأمّة راجع ثوابها إليه ، كيف لا وهو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً " . (١)

وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية : "... فَإِنَّهُ قَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : " مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْوِزْرِ مِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ تَبِعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً " ، وهو داعي الأمّة إلى كلِّ هدى ، فله مثل أجورهم في كلِّ ما اتبعوه فيه " (٢) .

وكذا يردُّ قوله : " واستغفار الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرٌ متعذرٌ ... ما أوردناه من الأدلّة على إثبات حياة الأنبياء ، وأن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يدعو ويستغفر للأمّة ...

### ثانياً : أدلّة السنّة المطهّرة والآثار ... :

الدليل الأوّل : قال الآجري : " حدّثنا أبو بكر بن أبي داود ، قال : حدّثنا أبو الحارث الفهري ، قال : حدّثني سعيد بن عمرو ، قال : حدّثنا أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن إسماعيل ابن بنت أبي مرّيم ، قال : حدّثني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جدّه عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، قال : " لما أذنب آدم عليه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٠ برقم ٢٦٧٤) ، أحمد في المسند (٢/ ٣٩٧ برقم ٩١٤٩) ، الدارمي (١/ ٤٤٤ برقم ٥٣٠) ، ابن ماجة (١/ ٧٥ برقم ٢٠٦) ، أبو داود (٤/ ٢٠١ برقم ٤٦٠٩) ، الترمذي (٤/ ٣٤٠ برقم ٢٦٧٤) ، ابن أبي عاصم (١/ ٥٢ برقم ١١٣) ، البزار (١٥/ ٨٥ برقم ٨٣٣٨) ، أبو عوانه في المستخرج (٣/ ٤٩٤ برقم ٥٨٢٣) ، ابن حبان (١/ ٣١٨ برقم ١١٢) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة (١/ ٥٧ برقم ٦) ، البيهقي في الاعتقاد (ص ٢٣٠) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٣٢) .

السَّلَامِ الذَّنْبِ الَّذِي أَدْنَبَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ : أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلَّا غَفَرْتَ لِي ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ : وَمَا مُحَمَّدٌ ؟ وَمَنْ مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : تَبَارَكَ اسْمُكَ ، لَمَا خَلَقْتَنِي رَفَعْتَ رَأْسِي إِلَى عَرْشِكَ وَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمَ قَدْرًا عِنْدَكَ مِمَّنْ جَعَلْتَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ : يَا آدَمُ ، وَعِزِّي وَجَلَالِي ، أَنَّهُ لَأَخِرُ النَّبِيِّينَ مِنْ دُرِّيَّتِكَ ، وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : " مَا خَلَقَ اللَّهُ وَلَا بَرًّا وَلَا ذَرًّا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا سَمِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ إِلَّا بِحَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَنِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر : ٧٢] ، قَالَ : وَحَيَاتِكَ يَا مُحَمَّدُ ، ﴿ إِنَّهُمْ لَنِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر : ٧٢] ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " . (١)

وقد ذكر ابن تيمية شاهدين لحديث توَّسَّلَ آدم بالرععغفسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : " وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بَشْرَانَ مِنْ طَرِيقِ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجُوزِيِّ فِي الْوَفَا بِفَضَائِلِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ صَالِحٍ ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانِ الْعَوْفِيِّ ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَيْسَرَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُفْيَانَ ، عَنْ مَيْسَرَةَ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى كُنْتُ نَبِيًّا ؟ قَالَ : لَمَا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَاسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَخَلَقَ الْعَرْشَ : كَتَبَ عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَخَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ الَّتِي أَسْكَنَهَا آدَمَ وَحَوَّاءَ ، فَكَتَبَ اسْمِي عَلَى الْأَبْوَابِ وَالْأَفْوَاقِ وَالْقُبَابِ وَالْحَيَامِ وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ، فَلَمَّا أَحْيَاهُ اللَّهُ تَعَالَى : نَظَرَ إِلَى الْعَرْشِ فَرَأَى اسْمِي ، فَأَخْبَرَهُ اللَّهُ أَنَّهُ سَيِّدٌ وَلَدِكَ ، فَلَمَّا عَرَّهُمَا الشَّيْطَانُ تَابَا وَاسْتَشْفَعَا بِاسْمِي إِلَيْهِ .

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ فِي كِتَابِ " دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ " : وَمِنْ طَرِيقِ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ رَشْدِينَ ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ الْفَهْرِيِّ ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمُدَيِّبِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَمَّا أَصَابَ آدَمَ الْخَطِيئَةَ رَفَعَ رَأْسَهُ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٢/ ٦٧٢ برقم ٤٢٢٨) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ ذَكَرْتُهُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، ابن كثير في مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم (٢/ ٦٧١) ، البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٨٩) ، وذكره القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٦٠٥) ، وصحَّحه ، وكذا صحَّحه الزرقاني في شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ٢٢٠) .

فَقَالَ يَا رَبِّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلَّا غَفَرْتَ لِي فَأَوْحَى إِلَيْهِ وَمَا مُحَمَّدٌ؟ وَمَنْ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّكَ لَمَّا أَمَمْتَ خَلْقِي رَفَعْتَ رَأْسِي إِلَى عَرْشِكَ، فَإِذَا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِكَ عَلَيَّ؛ إِذْ قَرَنْتُ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ. فَقَالَ: نَعَمْ، قَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ". فَهَذَا الْحَدِيثُ يُؤَيِّدُ الَّذِي قَبْلَهُ، وَهُمَا كَالْتَفْسِيرِ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ" (١).

قال الإمام محمد بن علوي المالكي: " فهذا يدلُّ على أنَّ الحديث عند ابن تيمية صالح للاستشهاد والاعتبار، لأنَّ الموضوع أو الباطل لا يستشهد به عند المحدثين، وأنت ترى أنَّ الشَّيخ استشهد به هنا على التفسير" (٢).

قلت: والغريب أنَّني بحثت طويلاً في كتاب "دلائل النبوة" لأبي نعيم، حيث أحال عليه ابن تيمية، ولم أجده، وذلك في نسخة المكتبة الشاملة، وغالب الظنَّ أنَّهم حذفوه منها... فهذا هو ديدنهم، كما هو معلوم... فألى الله المشتكى.

**الدليل الثاني:** قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١هـ): " حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَخْبَرَنَا فَضِيلُ بْنُ مَرْزُوقٍ، عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - فَقُلْتُ لِفُضَيْلٍ: رَفَعَهُ؟ قَالَ: أَحْسِبُهُ قَدْ رَفَعَهُ - قَالَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُخْرَجُ إِلَى الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، وَبِحَقِّ مُمْشَيْي فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا، وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِكَ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلِكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَأَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ" (٣).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢/١٥٠)، مجموعة الرسائل والمسائل (٤/٢٣-٢٤).

(٢) انظر: مفاهيم يجب أن تصحح (ص ١٢٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/٢١ برقم ١١١٧٣)، ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/٢١١ برقم ٢٩٨١٢)، ابن الجعد في المسند (ص ٢٢٩ برقم ٢٠٣١)، ابن ماجه (١/٢٥٦ برقم ٧٧٨)، الطبراني في الدعاء (ص ١٤٩ برقم ٤٢١)، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد (ص ٧٦ برقم ٨٥)، ابن بشران في الأمالي (ص ٣٢٥ برقم ٧٥٣)، البيهقي في الدعوات الكبير (ص ١٢٥ برقم ٢٥)، الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (١/٣٣٢ برقم ١١٧٢)، والحديث ذكره المحقق الأستاذ محمود سعيد ممدوح في رفع المنارة لتخريج أحاديث التوشل والزياره (ص ١٧١-١٧٢)، وقال: وإسناد هذا الحديث من شرط الحسن، وقد حسنه جمع من الحفاظ منهم الحافظ الدمياطي في "المتجر الراجح في ثواب العمل الصالح" (ص ٤٧١-٤٧٢)، والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذرى كما في "الترغيب والترهيب" (٣/٢٧٣). والحافظ العراقي في "تخريج أحاديث الأحياء" (١/٢٩١). والحافظ ابن حجر العسقلاني في "أمالي الأذكار" (١/٢٧٢). وقال

والحديث صحيح ، وهو دليل على صحّة القول بجواز التّوسّل إلى الله بالعمل الصّالح ، فهل يليق أن يتوجّه الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسؤال الله تعالى بحقّ السّائلين ، وهو أكرم الخلق على الله تعالى ، ثمّ يأتي من يمنع ذلك بحقنا ؟!!!

ومعنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ " ، أي : بالحقّ الذي جعلته لهم عليك من محض فضلك بوعدك الذي لا يخلف . وفيه التّوسّل بحقّ أرباب الخير على سبيل العموم من السّائلين ، ومثلهم بالأولى الأنبياء والمرسلون " (١) .

" وفي الحديث التّوسّل بعامة المسلمين وخاصّتهم ، وإدخال الباء في أحد مفعولي السّؤال إنّها هو في السّؤال الاستعلامي ، كقوله تعالى : ﴿ فَسَأَلْ بِهِ خَيْرًا ﴾ [الفرقان : ٥٩] و ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [المعارج : ١] ، وأمّا السّؤال الاستعطائي فلا ندخل الباء فيه أصلاً إلّا على المتوسّل به ، فدونك الأدعية المأثورة ، فتصوّر إدخالها هنا في المفعول الثّاني ، إخراجاً للكلام عن سننه بهوى ، وصيحة باطل تمجّحها الأسعاع ، وليس معنى الحق الإجابة ، بل ما يستحقّه السّائلون المتضرّعون فضلاً من الله سبحانه ، فيكون عد " بِحَقِّ السَّائِلِينَ " سؤلاً لهذا الدّاعي هذياناً محضاً ، ولا سيّما عند ملاحظة ما عطف عليه في الحديث ، وأمّا زعم أنّه ليس في سياق الحديث ما يصلح أن يكون سؤالاً غير ذلك ، فمما يثير الضّحك الشّديد والهزء المديد ، فأين ذهب عن هذا الرّاعم " أنّ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ " ؟ وكم يكرّر الفعل للتّوكيد ؟ فالسّؤل في الفعل الأخير هو السّؤل في الفعلين المتقدّمين بل لو لم تكن تلك الأفعال من باب التّوكيد لدخلت في باب التّنازع ، فيكون هذا القيد معتبراً في الجميع على كلّ تقدير " (٢) .

قال الإمام يوسف الدّجوي : " فالتّوسّل بالصّالحين والدّعاء ثابت وواقع ، وقد قلنا في بعض ما كتبناه : لا معنى لكون هذا شريكاً ، كما يقوله الغلاة ، فإنّ الحي إذا طلب من الميت الذي هو حي بروحه ، متمتع بلوازم

الحافظ البوصيري في " مصباح الزجاجة " (١/٩٩) : لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده . اهـ .  
فهؤلاء خمسة من الحفاظ رحمهم الله تعالى صحّحوا أو حسّنوا الحديث وقولهم حقيق بالقبول والوقوف عنده والادّعاء إليه ... ثمّ تكلم في تحسين الحديث بما لا مزيد عليه ...

(١) انظر : الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٢/٣٩) .

(٢) انظر : مقالات الكوثري ، الكوثري ، (ص ٣٩٥) .

الحياة وخصائصها ، فإنما يطلب منه على سبيل التَّسْبُّبِ والاكْتِسَابِ ، لا على سبيل الخلق والإيجاد ؛ لأنَّه ليس من المعقول أن يرفعه عن رتبة الحي ، وهو إذا طلب من الحي فإنما يطلب منه على هذا الوجه ، لا على جهة الخلق والإيجاد ، والطلب من المخلوق على سبيل التَّسْبُّبِ ليس شركاً ولا كفراً ، فلا معنى لتكفير المسلمين بذلك ، ولو فرضنا أن الميت لا عمل له ، فإنَّ خطأ المنادي أو المستغيث - على هذا الفرض - إنَّها هو في اعتقاد السَّبَبِيَّةِ لا الإلهيَّةِ ، واعتقاد السَّبَبِيَّةِ في غير الله ليس هو اعتقاد الإلهيَّةِ كما يظنُّه الجاهلون ، وقد عرفت ممَّا قدَّمناه أنَّه ليس غَلَطاً أيضاً ، وإنَّما الغالطون هم الغلاة ، وإن كان التَّوَسُّلُ بمنزلته عند الله فالأمر واضح ، لأنَّ الموت لا يغيِّر المنزلة عند الله تعالى " (١) .

وقد اعترض البعض على الاستدلال بهذا الحديث على جواز التَّوَسُّلِ ، فعمدوا إلى تضعيف الحديث بعلل ثلاث : ضعف الفضيل بن مرزوق ، وعطيَّة العوفي ، والفضل بن الموفَّق " (٢) .  
وللرَّدِّ عليهم نقول :

(١) أمَّا عن الفضيل بن مرزوق : فهو من رجال مسلم في صحيحه ، وثقه جماعة من الأئمَّة ، منهم : العجلي في ثقافته ، ( ص ٣٨٤ ) فقال : " جائز الحديث ثقة " ووثقه السُّفَيَّانان ( الثَّوْرِي وابن عيينه ) ، وقال ابن عدي في الكامل ( ٢٠٤٥/٦ ) : لفضيل أحاديث حسان ، وأرجو أنَّه لا بأس به . وقال أحمد بن حنبل كما في الجرح ( ٧٥/٧ ) لا أعلم إلَّا خيراً . ووثقه ابن شاهين بإدخاله في الثَّقَات ( ص ١٨٥ ) .

أمَّا إمام الجرح والتَّعْدِيل يحيى ابن معين فقد روى عنه خمسة من أصحابه توثيقه لفضيل بن مرزوق ، وهم : عثمان الدَّارمي ، والدُّورِي ، وعبدخالق بن منصور ، وابن محرز ، وابن خيثمة ، وأدخله الذَّهبي في كتابه ( من تكلَّم فيه وهو موثَّق ) ( ص ١٥١ ) ، وأطلق الذَّهبي القول في توثيقه في الكاشف ( ٣٣٢/٢ ) .

ومن الغريب العجيب أنَّ الألباني ضعَّف حديث الفضيل في ضعيفته ( ١/٣٢٣٤ ) ، ثمَّ عاد وتناقض وحسَّن حديث في الصَّحيحَة ( ٣/١٢٨ ) (٢) .

(٢) أمَّا عن العلة الثَّانية وهي الكلام في عطية العوفي فقد ضعّفوه بسبب تدليس الشُّيوخ والتَّشْبِيح ، وقد اعتمد من اتَّهم عطية العوفي بتدليس الشُّيوخ على الآتي : قال عبدالله بن أحمد : سمعت أبي ذكر عطية العوفي

(١) انظر : التَّوَسُّل والاستغاثة ، مقال للإمام الدجوي ، مجلة الأزهر ، الجزء الخامس ، المجلد الثاني ، جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ هـ

(٢) انظر : التَّوَسُّل ، الألباني ( ص ١٠٢ ) ، التَّوَسُّل إلى حقيقة التَّوَسُّل ( ص ٢٢٠ ) ( فها بعدها ) .

(٣) انظر : مباحث السائرين بحديث اللهم إني أسألك بحق السائلين ( ص ١١ ) ( فها بعدها ) .

فقال : هو ضعيف الحديث ، بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي يأخذ عنه التفسير ، يكنيه فيقول : قال أبو سعيد ، قال أبي وكان هشيم يضعف حديث عطية " .

وقال عبدالله بن أحمد : حدّثني أبي ، حدّثني أبو أحمد الزبيري ، سمعت الثوري قال : سمعت الكلبي قال : كُنَّني عطية بأبي سعيد . وسمعت أبي يقول : كان سفيان الثوري يضعف حديث عطية العوفي " ، كذا في العلل ومعرفة الرجال (١٢٢/١) والجرح والتعديل (٣٨٣/٦) ، وضعفاء العقيلي (٣٥٩/٣) ، والكامل لأبن عدي (٢٠٠٧/٥) .

فأنت ترى أن من ضعفه بسبب التّدليس اعتمد على حكاية الكلبي ، وحكايته هي مدار الجميع ، وحال الكلبي معروف للجميع فهو مُتهمٌ بالكذب ، فالسند الذي يكون فيه ذلك الرجل لا ينظر إليه ، ولا يعتمد عليه في شيء ...

وقد أنصف الإمام ابن رجب ، فقال في علل الإمام الترمذي (ص٤٧١) بعد نقله أصل الحكاية عن العلل للإمام أحمد ما نصّه : " ولكن الكلبي لا يعتمد على ما يرويه " . وأمّا من تكلموا عن عطية العوفي لتشيّعه ، كالجوزجاني فإنه قال في أحوال الرجال (ص٥٦) : " مائل " والجوزجاني كان معروفاً بالنّصب مشهوراً به ، حتى قال عنه الحافظ في مقدّمة اللسان (١٦/١) الحاذق إذا تأمل ثلب أبي اسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب ، وذلك لشدة انحرافه في النّصب وشهرة أهلها بالتّشيع " .

وكذا قول السّاجي في عطية العوفي كما في التّهذيب (٢٢٦/٧) : " ليس بحجّة ، وكان يقدّم عليّاً على الكلّ ، فإنّ السّاجي كان بصريّاً ، والبصريون كثر فيهم النّصب ، قال الحافظ في اللسان (٤٣٩/٤) : " النّصب معروف في كثير من أهل البصرة " (١) .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ السّبب الذي لأجله رُمي عطية العوفي بالتّشيع هو حُبّه لعلي ، وأنّه رفض أن يسبّه ، وقد نصّ على ذلك الحافظ ابن حجر في التّهذيب ، فقال : " خرج عطية مع ابن الأشعث فكتب الحجاج إلى محمّد بن القاسم أن يعرضه على سبّ علي فإن لم يفعل فاضربه أربعمائة سوط ، واحلق لحيته ، فاستدعاه فأبى أن يسبّ ، فأمضى حكم الحجاج فيه ثمّ خرج إلى خراسان " (٢) .

(١) انظر : مباحث السائرین بحديث اللهم إني أسألك بحق السائلين (ص٢١ فما بعدها) .

(٢) تهذيب التهذيب (٧/١٩٥-١٩٦) .

وعليه ، فقد تبين أن إتهام عطية العوفي بالتدليس ليس صحيحاً ، والتشيع الحق لا علاقة له في الرواية ، فالرجل صدوق .

(٣) وأما عن الفضل بن الموقّق فقد قال الكوثري : " هو ابن خال ابن عيينة ، قال أبو حاتم صالح ضعيف الحديث ، ولم يضعّفه سواه ، وجرحه غير مفسّر ، بل وافقه البستي " (١) .

والحديث رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق ، فهو صحيح عنده ، وذكره رزين ، ورواه أحمد بن منيع في مسنده ، ثنا يزيد ، ثنا فضيل بن مرزوق ، فذكره بإسناده ومثته .

وقال علاء الدين مغلطي في الإعلام شرح سنن ابن ماجه : ذكره أبو نعيم الفضل " هو ابن دكين " في كتاب الصلاة ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري موقوفاً أهـ ولم ينفرد عطية عن الخدري بل تابعه أبو الصديق عنه في رواية عبد الحكم بن ذكوان ، وهو ثقة عند ابن حبان ، وإن أعلّه به أبو الفرج في عله .

وأخرج ابن السني في " عمل اليوم والليلة " بسند فيه الوازع ، عن بلال ، وليس فيه عطية ، ولا ابن مرزوق ، ولا ابن الموقّق : " اللهم بحقّ السائلين عليك " ، فظهر أنه لم ينفرد عطية ، ولا ابن مرزوق ، ولا ابن الموقّق بالنظر إلى هذه الطرّق ، على فرض ضعف الثلاثة ، مع أن يزيد بن هارون شيخ أحمد بن منيع شارك ابن الموقّق في روايته عن ابن مرزوق ، وكذا الفضيل بن دكين ، وابن فضيل ، وسليمان بن حيّان ، وغيرهم . وعطية جرح بالتشيع لكن حسن له الترمذي عدّة أحاديث ، وعن ابن معين أنّه صالح ، وعن ابن سعد : ثقة إن شاء الله ، وعن ابن عدي : له أحاديث صالحة ، وبعد التصريح بالخدري لا يبقى احتمال التدليس ، ولا سبياً مع المتابعة ، وابن مرزوق ترجّح توثيقه عند مسلم ، فروى عنه في صحيحه ...

على أن الحديث مروى بطريق بلال رضي الله عنه ، فلا تنزل درجة الحديث مهما نزلت عن درجة الاحتجاج به ، بل يدور أمره بين الصحّة والحسن لكثرة المتابعات والشواهد (٢) .

**الدليل الثالث :** قال الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) : " حدثنا عثمان بن عمرو ، أخبرنا شعبة ، عن أبي جعفر ، قال : سمعتُ عمارة بن خزيمة ، يحدث عن عثمان بن حنيف ، أن رجلاً صرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ادع الله أن يعافيني ، قال : " إن شئت دعوت لك ، وإن شئت أخرت ذلك ، فهو خير " . فقال : " .

(١) انظر : هامش مقالات الكوثري (ص ٣٩٣) .

(٢) انظر : مقالات الكوثري (ص ٣٩٤) .

ادْعُهُ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ، فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ ، وَيُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ ، وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ، وَأَتَوَجَّهُ  
 إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ ، فَتَقْضِي لِي ، اللَّهُمَّ شَفْعَهُ فِي "

(١) .

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم أن العمل بهذا الحديث لم ينقطع بانتقال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرفيق الأعلى ، لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشرّع إلى يوم القيامة ، ولذلك فقد وردت زيادة موقوفة عن المرفوعة رواها الطبراني وغيره ، قال الطبراني : " حَدَّثَنَا طَاهِرُ بْنُ عَيْسَى بْنِ قَيْرَسَ الْمُقْرِي الْمِصْرِيُّ التَّمِيمِيُّ ، حَدَّثَنَا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ ، عَنْ شَيْبِ بْنِ سَعِيدِ الْمَكِّيِّ ، عَنْ رُوحِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْخَطْمِيِّ الْمَدَنِيِّ ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ ، عَنْ عَمِّهِ عُثْمَانَ بْنِ حَنِيفٍ " أَنْ رَجُلًا كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي حَاجَةٍ لَهُ ، فَكَانَ عُثْمَانُ لَا يَلْتَمِثُ إِلَيْهِ ، وَلَا يَنْظُرُ فِي حَاجَتِهِ ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حَنِيفٍ ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ حَنِيفٍ : ائْتِ الْمِصْأَةَ فَتَوَضَّأْ ، ثُمَّ ائْتِ الْمَسْجِدَ فَصَلِّ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ

(١) قال الشيخ الأرنؤوط : " إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، أبو جعفر : هو عمير بن يزيد بن عمير الأنصاري الخطمي ، وهو وعماره بن خزيمه - وهو ابن ثابت - من رجال أصحاب السنن ، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين ، غير أن عثمان بن حنيف - وهو عم أبي أمامة بن سهل بن حنيف - إنما أخرج له البخاري في " الأدب المفرد " وأصحاب السنن سوى أبي داود . عثمان بن عمر : هو ابن فارس العبدي . وأخرجه عبد بن حميد في " المنتخب " (٣٧٩) ، والترمذي (٣٥٧٨) ، والنسائي في " الكبرى " (١٠٤٩٥) ، وهو في " عمل اليوم والليلة " (٦٥٩) ، وابن ماجه (١٣٨٥) ، وابن خزيمة (١٢١٩) ، والحاكم ٣١٣/١ و٥١٩ من طرق عن عثمان بن عمر ، بهذا الإسناد . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر ، وهو الخطمي . وقال الحاكم : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي .

قلنا : بل في إسناده من لم يخرج له الشيخان ، كما سلف . وأخرجه الحاكم كذلك ٥١٩/١ من طريق محمد بن جعفر ، عن شعبة ، به . وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

وأخرجه الطبراني في " الكبير " (٢/٨٣١١) من طريق إدريس بن جعفر العطار ، عن عثمان بن عمر ، عن شعبة ، عن أبي جعفر ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف ، به . قال الدارقطني : إدريس بن جعفر العطار متروك .

وأخرجه بنحو النسائي في " الكبرى " (١٠٤٩٦) ، وهو في " عمل اليوم والليلة " (٦٦٠) من طريق هشام الدستوائي ، وأخرجه الطبراني في " الكبير " (١/٨٣١١) ، وفي " الصغير " (٥٠٨) مطولاً بذكر قصة ، وابن السني في " عمل اليوم والليلة " (٦٣٣) ، والحاكم ٥٢٦/١ و٥٢٧ من طريق روح بن القاسم ، كلاهما عن أبي جعفر الخطمي ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف ، به . وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ، ووافقه الذهبي . انظر : هامش مسند الإمام أحمد بن حنبل (٤٧٨-٤٧٩) ، وقد أسهب العلامة محمود سعيد ممدوح - حفظه الله - في كلامه على الحديث في رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوَسُّلِ والزيارة (ص ١٢٢) فما بعدها بما لا مزيد عليه .

قُل: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي، وَتَذَكُرُ حَاجَتَكَ، وَرُحِّ إِلَيَّ حَتَّى أُرَوِّحَ مَعَكَ، فَاَنْطَلِقَ الرَّجُلُ، فَصَنَعَ مَا قَالَ لَهُ عُثْمَانُ، ثُمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ، فَجَاءَ الْبُؤَابُ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِهِ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الطَّنْفِسَةِ، وَقَالَ: حَاجَتُكَ؟ فَذَكَرَ حَاجَتَهُ، فَفَضَّاهَا لَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا ذَكَرْتَ حَاجَتَكَ حَتَّى كَانَتْ هَذِهِ السَّاعَةُ، وَقَالَ: مَا كَانَتْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ، فَأْتَيْنَا، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ، فَقَالَ: لَهُ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيَّ حَتَّى كَلَّمْتُهُ فِي، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ: وَاللَّهِ، مَا كَلَّمْتُهُ، وَلَكِنْ شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَتَاهُ ضَرِيرٌ، فَشَكَاَ عَلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "أَفْتَصِرُ؟"، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ، وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْمِيْضَاءَ، فَتَوَضَّأْ، ثُمَّ صَلِّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ ادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ" قَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ: فَوَاللَّهِ، مَا تَفَرَّقْنَا وَطَالَ بِنَا الْحَدِيثُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضَرَرٌ قَطُّ. " لَمْ يَرَوْهُ عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ إِلَّا شَيْبُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ سَعِيدِ الْمُكْبِيِّ، وَهُوَ ثِقَةٌ، وَهُوَ الَّذِي يُحَدِّثُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ شَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدِ الْأَبْلِيِّ، وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ شُعْبَةُ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْخَطْمِيِّ وَأَسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ يَزِيدَ، وَهُوَ ثِقَةٌ تَقَرَّدَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ بْنِ فَارِسٍ عَنْ شُعْبَةَ، وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ " (١).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/٣٠٦ برقم ٥٠٨)، الدعاء (١/٣٢٠ برقم ١٠٥٠)، المعجم الكبير (٩/٣٠ برقم ٨٣١٠)، البيهقي في دلائل النبوة (٦/١٦٧)، الفسوي في مشيخته (ص ٩٤ برقم ١١٣)، الضياء المقدسي في العدة للكرب والشدة (ص ٦٥ برقم ٢٩)، المنذري في الترغيب والترهيب من الحديث الشريف (١/٢٧٣ برقم ١٠١٨)، وقال: قال الطبراني بعد ذكر طرقه والحديث صحيح. وقال العلامة المحقق محمود سعيد ممدوح بعد نقله تصحيح الرواية: "قلت: لا كلام بعد تصحيح الطبراني للحديث مرفوعاً وموقوفاً. فإن قيل: قد صحح الطبراني الحديث المرفوع، لكنه لم يصحح القصة الموقوفة. أجيب: بأن الطبراني قد وثق (شبيب بن سعيد الحبطي)، وهو راوي الموقوف، وتوثيق حديث الرجل هو تصحيح لحديثه، فالأمر سهل ولا يحتاج لبيان، ويؤيد هذا ويوضحه أن الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٧٩) لم يتكلم على الحديث كما عهد عنه، ولكنه اقتصر على نقل تصحيح الطبراني فقط. فتدبر أيها المستبصر. ومع ذلك سعى الساعون لتضعيف هذه الزيادة الموقوفة جهد الطاقة، فأتوا بعلل مزعومة هي: ١ - شيخ الطبراني طاهر بن عيسى مجهول. ٢ - شبيب بن سعيد الحبطي انفرد بالقصة وهو ضعيف الحفظ. ٣ - الاختلاف عليه فيها. ٤ - مخالفته للثقاق الذين لم يذكروا القصة في الحديث. والثلاثة الأخيرة ذكرها الالباني في توسله (ص ٨٨)، والناظر فيها لا يراها أكثر من دفعة صدر من متعنت، وسيرى أن السعي لتضعيف الأحاديث الصحيحة بهذه الحجج الواهية سعي لاقامة باطل بدعائم هي أوهى من بيوت العنكبوت، ولو فتح هذا المهبع الخطير لانسد باب الآثار، والله المستعان... ثم شرع في الرد على من ضعَّف الرواية...". انظر: رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوَسُّل والزيارة (ص ١٢٦ فما بعدها).

وموضع الاستشهاد بهذا الأثر أن الصحابي عثمان بن حنيف فهم من الحديث أنه لا يختص بزمن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدليل أنه " علم من شكا إبطاء الخليفة عن قضاء حاجته هذا الدعاء الذي فيه التوسل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والنداء له مستغيثاً به بعد وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولما ظنَّ الرَّجُلُ أن حاجته قُضيت بسبب كلام عثمان مع الخليفة ، بادر ابن حنيف بنفي ذلك الظن ، وحدثه بالحديث الذي سمعه وشهده ، ليثبت له أن حاجته إنما انقضت بتوسله به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وندائه له واستغاثته به ، وأكد ذلك له بالحلف أنه ما كلم الخليفة في شأنه " (١) .

وقد استدلَّ العلماء بحديث الضَّير هذا على جواز التَّوسُّل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، وذلك من وجوه :

الأوَّل : أن هذا الحديث وإن كان ورد بسبب سؤال هذا الضَّير ، فغيره مثله في ذلك للقطع الجازم باستواء النَّاس في الأحكام الشَّرعية .

الثَّاني : أنه وإن كان الخطاب فيه متوجَّهاً إلى الضَّير ، فهو محمول على العموم ، للإجماع المتيقن من جميع العلماء على أن خطابات الشَّارع محمولة على العموم ، وإن كانت خارجة نخرج الخصوص ، حتى يقوم الدليل على تخصيص شيء منها فيوقف عنده ، وهو هنا مفقود .

الثَّالث : أن الضَّير سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو له ، فعلمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعاء المذكور ، فعدوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الدعاء المطلوب منه إلى تعليمه دعاءً دليل على أنه أراد أن يشرع لأُمَّته حكماً عاماً لا يختص بواحد منهم دون آخر .

الرَّابع : أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرشد الضَّير إلى الصَّلَاة والدُّعاء ، والصَّلَاة مشروعة لجميع النَّاس بالإجماع ، وكذلك الدعاء ، والتفريق بينهما تعطيل لبعض الحديث من غير دليل ، وهو تلاعب لا يقبل .

الخامس : ولو فرضنا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا لهذا الضَّير ، مع أن الحديث لا يدلُّ على ذلك أصلاً ، فدعاؤه يدلُّ على جواز التَّوسُّل في عموم الحالات ، لما تقرر في علم الأصول : أن فعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيء يدلُّ على جوازه ، لأنه لا يفعل المحرَّم ولا المكروه ، ويندب الاقتداء به لقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب : ٢١] .

(١) انظر : مفاهيم يجب أن تصحَّح (ص ١٣٢) .

السَّادِس : أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْحَدِيثَ خَاصًّا بِهَذَا الضَّرِيرِ أَوْ بِحَالِ الْحَيَاةِ دُونَ الْمَمَاتِ ، أَوْ فِي الْحُضُورِ دُونَ الْعَيْبَةِ لَبَيَّنَ ذَلِكَ ، كَمَا بَيَّنَ لِأَبِي بَرْدَةَ أَنَّ الْجَذْعَةَ مِنَ الْمَعْرِزِ تَجَزُّئُهُ فِي الْأُصْحَحَةِ ، وَلَا تَجَزُّئُ أَحَدًا غَيْرَهُ .

السَّابِع : أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْحَدِيثَ خَاصًّا بِهَذَا الضَّرِيرِ أَوْ بِحَالِ الْحَيَاةِ دُونَ الْمَمَاتِ لَبَيَّنَ ذَلِكَ ، وَإِذَا لَمْ يَبَيِّنْ ذَلِكَ لَكَانَ قَدْ أَخَّرَ الْبَيَانَ عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ وَهُوَ مَمْنُوعٌ ، لِأَنَّهُ تَكْلِيفٌ بِهَا لَا يَعْلَمُ .

الثَّامِن : أَنَّ عَثْمَانَ بْنَ حَنِيفٍ وَهُوَ رَاوِي الْحَدِيثِ ، وَأَعْرَفُ بِالْمَرَادِ مِنْهُ ، حَمَلَهُ عَلَى الْعَمُومِ ، حَيْثُ أُرْشِدَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ عِنْدَ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَطَالَ انْتِظَارُهُ لِقَضَائِهَا إِلَى الدُّعَاءِ الْمَذْكُورِ ، وَهَذَا يُؤَيِّدُ مَا قَدَّمْنَاهُ .

التَّاسِع : أَنَّ حُفَّازَ الْحَدِيثِ وَنُقَادَهُ فَهَمُّوا مِنْ حَدِيثِ الضَّرِيرِ الْعَمُومِ ، حَيْثُ تَرَجَمُوا عَلَيْهِ فِي كُتُبِهِمْ بِتَرَاجِمِ تَفِيدُ ذَلِكَ ، فَذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الدَّعَوَاتِ الْمَأْثُورَةِ الْمَشْرُوعَةِ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ مَاجَهَ وَالْمُنْذِرِيُّ وَالْمِثْمِيُّ فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ ، لِأَنَّ الصَّلَاةَ الْمَأْمُورَ بِهَا فِيهِ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ التَّطَوُّعِ وَالنَّفْلِ ، وَذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ فِي بَابِ أَذْكَارِ صَلَاةِ الْحَاجَةِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ جَمَلَةِ الْأَذْكَارِ الَّتِي تُقَالُ عِنْدَ عَرُوضِ الْحَاجَةِ ، وَهَذَا اتَّفَاقٌ مِنْهُمْ عَلَى أَنَّ الْحَدِيثَ مَعْمُولٌ بِهِ ، وَأَنَّهُ عَامٌّ لِجَمِيعِ النَّاسِ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ ، وَلَوْ كَانَ خَاصًّا بِذَلِكَ الضَّرِيرِ أَوْ بِحَالَةِ دُونَ أُخْرَى لَمْ يَكُنْ لَذِكْرِهِمْ لَهُ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا فَائِدَةٌ ، وَلِنَبْهَوْا عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَعْمُولٍ بِهِ كَمَا نَبَّهُوا عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَكُونُ مَخْصُوصَةً أَوْ مَنْسُوخَةً ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جَدًّا " (١) .

وَقَدْ اعْتَرَضَ مَدْعُو السَّلَفِيَّةِ عَلَى الاسْتِدْلَالِ بِحَدِيثِ عَثْمَانَ بْنِ حَنِيفٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَزَعَمُوا أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ - الَّذِي فِي سِنْدِ الْحَدِيثِ - لَيْسَ هُوَ الْخَطْمِيُّ . بَلْ هُوَ آخَرٌ مَجْهُولٌ (٢) ...

وَالْحَقُّ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ ، فَإِنَّهُ نَمَّا وَقَعَ فِي بَعْضِ النُّسخِ الْمَطْبُوعَةِ مِنْ تَصَرُّفَاتِ النَّاسِخِينَ ، وَلَيْسَ مِنْ عَادَةِ التِّرْمِذِيِّ أَنْ يَقُولَ : هُوَ غَيْرُ فُلَانٍ وَيَتْرِكُ مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ ، عَلَى أَنَّ أَبَا جَعْفَرِ الرَّاوي عَمَارَةَ بَيْنَ شَيْوِخِ شَعْبِهِ ، إِنَّهَا هُوَ عَمِيرُ بْنُ يَزِيدَ الْخَطْمِيِّ الْمَدَنِيِّ الْأَصْلَ ثُمَّ الْبَصْرِيِّ كَمَا يَظْهَرُ مِنْ كُتُبِ الرُّجَالِ الْمَعْرُوفَةِ مِنْ مَطْبُوعٍ وَمَحْفُوظٍ (٣) ، وَأَبُو جَعْفَرِ الرَّازِي الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (١٦٠هـ) ، مِنْ شَيْوِخِ شَعْبِهِ لَمْ يَدْرِكْ عَمَارَةَ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (١٠٥هـ) أَصْلًا ، لِأَنَّ رِحْلَتَهُ إِلَى الْحِجَازِ بَعْدَ وَفَاةِ عَمَارَةَ بِنَحْوِ تِسْعِ سِنِينَ ، وَشَعْبَةُ شَعْبَةٍ فِي التَّثْبُوتِ فِيهَا يَرُوى ، عَلَى أَنَّ طَرَفًا أُخْرَى لِلْحَدِيثِ

(١) انظر : الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين (ص ١٥٢-١٥٤ باختصار) .

(٢) انظر : التوصل إلى حقيقة التَّوَسُّلِ (ص ٢٣٦) .

(٣) انظر : ترجمته في تهذيب الكمال (٢٢/٣٩١) ، تهذيب التهذيب (٨/١٢٨) .

عند الطَّبْراني وغيره تنصُّ في صلب السُّنْد على أَنَّهُ الخطمي الثَّقة بِاتِّفَاق ، وسند الطَّبْراني في هذا الحديث مسوق في " شفاء السَّقَام " لِلتَّقِي السُّبْكي (١) .

ورجال سند التِّرْمِذي كلُّهم ثقات ، وإِنَّمَا سَمَّاهُ غريباً لانفراد عثمان بن عمر عن شعبة ، وانفراد أبي جعفر عن عمارة ، وهما ثقتان بِاتِّفَاق ، وكم من حديث صحيح ينفرد به أحد الرُّوَاة كحديث " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ " . وسَمَّاهُ حسناً أيضاً لتعدُّد طرقه بعد أبي جعفر وعثمان بن عمر ، وتسميته صحيحاً باعتبار تكامل أوصاف الصَّحَّة في رواته (٢) .

قال الإمام الغماري : " ولعلَّ زيادة لفظ ( غير ) سهو من التِّرْمِذي رحمه الله ، وإلَّا فأبو جعفر هو الخطمي ، كما صرَّح به ابن أبي خيثمة والطَّبْراني وغيرهما .

وقال ابن تيمية ما نصَّه : " هكذا وقع في التِّرْمِذي ، وسائر العلماء قالوا : هو أبو جعفر الخطمي ، وهو الصَّواب " (٣) .

وعلق حمدي السَّلْفي على الحديث فقال : " لا شكَّ في صحَّة الحديث المرفوع ، وإِنَّمَا الشَّكُّ في هذه القِصَّة ( أي : قِصَّة إرشاد عثمان بن حنيف لمن جاء إليه يطلب منه التَّوسُّط له عند سيِّدنا عثمان بن عفَّاء لقضاء حاجته ) التي يستدلُّ بها على التَّوسُّل المبتدع ، وهي انفرد بها شبيب كما قال الطَّبْراني ، وشبيب لا بأس بحديثه ، بشرطين : أن يكون من رواية ابنه أحمد عنه ، وأن يكون من رواية شبيب عن يونس بن يزيد . والحديث رواه عن شبيب ابن وهب وولده إسماعيل وأحمد ، وقد تكلم الثَّقَات في رواية ابن وهب عن شبيب ، في شبيب ، وابنه إسماعيل لا يعرف ، وأحمد وإن روى القِصَّة عن أبيه إلَّا أنَّها ليست من طريق يونس بن يزيد ، ثمَّ اختلف فيها على أحمد ، ورواه ابن السَّني في عمل اليوم والليلة ، والحاكم من ثلاثة طرق بدون ذكر القِصَّة ، ورواه الحاكم من طريق عون بن عمارة البصري عن روح بن القاسم به ، قال شيخنا محمَّد ناصر الدِّين الألباني : وعون هذا وإن كان ضعيف فروايته أولى من رواية شبيب لموافقتها لرواية شعبة وحامد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي " (٤) .  
وللرَّدِّ عليه نقول :

(١) انظر : شفاء السقام (ص ١٧٦) .

(٢) انظر : مقالات الكوثري (ص ٤٢١) .

(٣) انظر : الرد المحكم المتين (ص ١٤٣) .

(٤) انظر : هامش المعجم الكبير للطبراني ، (١٧/٩) ، الجمهورية العراقية ، وزارة الأوقاف ، مطبعة الأُمَّة ، بغداد .

أ- لقد اشتمل كلام السلفي والألباني على الكذب والخيانة ، حيث كتبا ما قاله الإمام الحاكم في شيبب ، فقد كتبا قوله : والقول فيه قول شيبب ، فإنه ثقة مأمون " (١) .

ب- هذه القصة رواها البيهقي في " دلائل النبوة " من طريق يعقوب بن سفيان ، حدّثنا أحمد بن شيبب بن سعيد ، ثنا أبي ، عن روح بن القاسم ، عن أبي جعفر الخطمي ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمّه عثمان بن حنيف ، أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فذكر القصة بتامها " (٢) .

ويعقوب بن سفيان هو الفسوي الحافظ الإمام الثقة ، بل هو فوق الثقة ، وهذا إسناد صحيح البخاري ، ومعنى ذلك أنّها صحيحة ، وهذا الذي يوافق كلام الحافظ ، ويُبطل ما استنبطه الألباني من كلام الحافظ في مقدّمة فتح الباري ، فليتمل .

ج- أنّ الحفّاظ أيضاً صحّحوا هذه القصة ، كالمنذري في التّرجيب والتّرهيب (١ / ٤٧٦) بإقراره للطبراني ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٢٧٩) .

د- أحمد بن شيبب من رجال البخاري ، روى عنه في " الصّحيح " ، وفي " الأدب المفرد " . ووثقه أبو حاتم الرّازي وكتب عنه هو وأبو زرعة ، وقال ابن عدي : وثقه أهل البصرة وكتب عنه علي ابن المدني . وأبوه شيبب بن سعيد التّميمي الحبطي البصري أبو سعيد من رجال البخاري أيضاً ، روى عنه في " الصّحيح " وفي " الأدب المفرد " . ووثقه أبو زرعة وأبو حاتم والنّسائي والذهلي والدّارقطني والطّبراني في الأوسط . قال أبو حاتم : كان عنده كتب يونس بن زيد ، وهو صالح الحديث لا بأس به . وقال ابن عدي : ولشيبب نسخة الزّهري عنده عن يونس عن الزّهري أحاديث مستقيمة .

وقال ابن المدني : ثقة كان يختلف في تجارة إلى مصر وكتابه كتاب الصّحيح . هذا ما يتعلّق بتوثيق شيبب وليس فيه اشتراط صحّة روايته بأن تكون عن يونس بن يزيد . بل صرّح ابن المدني بأنّ كتابه صحيح ، وابن عدي إنّما تكلم عن نسخة الزّهري عن شيبب فقط ولم يقصد جميع رواياته ، فما ادّعاها الألباني تدليس وخيانة ، يؤكّد ذلك أنّ حديث الصّيرير صحّحه الحفّاظ ولم يروه شيبب عن يونس عن الزّهري !! وإنّما رواه عن روح بن القاسم ودعواه ضعف القصة بالاختلاف فيها حيث لم يذكرها بعض الرواة عند ابن السنّي والحاكم لونه آخر من التدليس لأن من المعلوم عند أهل العلم أنّ بعض الرواة يروي الحديث وما يتصل به كاملاً وبعضهم يختصر

(١) انظر : المستدرک علی الصحیحین (١ / ٧٠٧) .

(٢) انظر : دلائل النبوة (٦ / ١٦٦-١٦٧) .

منه بحسب الحاجة والبخاري يفعل هذا أيضاً ، فكثيراً ما يذكر الحديث مختصراً ويوجد عند غيره تماماً . والذي ذكر القصة في رواية البيهقي إمام فذ يقول عنه أبو زرعة الدمشقي : قدم علينا رجلان من نُبلاء النَّاس أحدهما وارحلها يعقوب بن سفيان يعجز أهل العراق أن يروا مثله رجلاً .

وتقديمه رواية عون الضعيف على من زاد القصة لون ثالث من التّدليس والغش ، فإنَّ الحاكم روى حديث الضّرير من طريق عون مختصراً ثمَّ قال: تابعه شبيب بن سعيد الحَبْطي عن روح بن القاسم زيادات في المتن والإسناد والقول فيه قول شبيب فإنَّه ثقة مأمون ، هذا كلام الحاكم ، وهو يؤكّد ما تقرّر عند علماء الحديث والأصول أن زيادة الثقة مقبولة ، وأن من حفظ حجة على من لم يحفظ (١) .

هـ- أنه لم ينقل الألباني عن حافظ واحد أنه نصّ على تضعيف القصة مع ملاحظة هؤلاء الحفاظ من الأئمة الأعلام ، كالمندري والهيثمي وغيرهما لم ينصوا على أن هذا بدعة أو ... (٢) .

و- أنه ليس من المعقول أن يجمع الحفاظ على تصحيح حديث في سننه مجهول ، خصوصاً الذّهبي ، والمندري ، فمحاولة بعض العصريين لتضعيف الحديث مقضّي عليها بالفشل الكبير ، فالحديث صحيح بلا شكّ وهو يدلُّ على جواز التوسّل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في جميع الحالات وفي سائر الأوقات .

ويكفي لبيان ذلك هنا أن نقول : أنّ العلماء فهموا الحديث على العموم كما هو الواجب في نصوص الشّارع ، فأورده الترمذي في كتاب الدّعوات من سننه ، والحاكم في الدّعاء من مستدركه ، والبيهقي في كتاب الدّعوات ، وهو مؤلّف خاصّ ، معتبرين له جملة الأدعية المشروعة المأثورة ، وأورده ابن ماجه في كتاب الصّلاة من سننه وكذا فعل المندري في " التّريغيب والتّرهيب " والهيثمي في " مجمع الزوائد " معتبرين الصّلاة فيه والدّعاء من جملة النّوافل المطلوبة ، وأورده النّووي في أذكار الحاجة من كتاب " الأذكار " معتبراً له من جملة الأذكار التي تُقال عند عروض حاجة ، وإرادة قضائها ، وأورده غير هؤلاء كابن خزيمة في صحيحه المرتّب على الكتب والأبواب ، وهذا اتفاق منهم على أنّ الحديث معمول به في سائر الأوقات والأزمان ، ولو كان خاصّاً بذلك الضّرير أو بحالة دون حالة أو بوقت دون وقت لم يكن لذكرهم له في كتب الأحكام وغيرها فائدة ، أو لنبّهوا على أنّه خاصّ ليس بعامّ كما فعلوا في غيره من الأحاديث التي تكون خاصّة ببعض الحالات (٣) .

(١) انظر : إرغام المبتدع (ص ١٣-١٤) .

(٢) انظر : هامش إرغام المبتدع (ص ١٤) .

(٣) إرغام المبتدع (ص ١٣-١٦) .

وقد صرَّح ابن تيمية أن السلف دعوا بهذا الدعاء ، فقال : " فَهَذَا الدُّعَاءُ وَنَحْوُهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّهُ دَعَا بِهِ السَّلَفُ ، وَثَقَلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَنْسِكِ المَرُودِيِّ التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعَاءِ " (١) .  
 فابن تيمية أقرَّ بأنَّ الدُّعَاءَ بلفظ : اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ ... قد فعله السلف ، ومع ذلك لم ينصح للحق بعدما تبين ، وأبى هو ومن سار في ركابه إلا تكفير المتوسِّلين إلى الله بجاه نبيِّنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ ، فإلى الله المشتكى ...

**الدَّلِيلُ الرَّابِعُ :** قال الإمام أبو يعلى : " حَدَّثَنَا عُقْبَةُ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي سَفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لِيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُخْرِجُ الْجَيْشَ مِنْ جُبُوشِهِمْ ، فَيُقَالُ : هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ صَحَبَ مُحَمَّدًا فَتَسْتَنْصِرُونَ بِهِ فَتَنْصُرُوا ؟ ثُمَّ يُقَالُ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحَبَ مُحَمَّدًا ؟ فَيُقَالُ : لَا . فَمَنْ صَحَبَ أَصْحَابَهُ ؟ فَيُقَالُ : لَا . فَيُقَالُ : مَنْ رَأَى مِنْ صَحْبِ أَصْحَابِهِ ؟ فَلَوْ سَمِعُوا بِهِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ لَأَتَوْهُ " (١) .

**الدَّلِيلُ الْخَامِسُ :** قال الطَّبْرَانِيُّ : " حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهُوَيْهِ ، ثنا أَبِي ، ثنا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ ، حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أُمِّيَّةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ " (٢) .

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٢٦٤) .

(٢) أخرجه أبو يعلى في المسند (٤/ ١٣٢ برقم ٢١٨٢) ، تحقيق : حسين سليم أسد ، وصححه الأستاذ المحقق حسين أسد ... وقال الأستاذ المحقق محمود سعيد ممدوح : " إسناده صحيح . والأعمش وإن كان مدلساً فهو معدود في المرتبة الثانية منهم ، وحديثهم مقبول صرحوا بالسباع أو لم يصرحوا . ورواه أبو يعلى في مسنده (٤ / ٢٠٠) بلفظ مقارب : حَدَّثَنَا ابن نمير ، حَدَّثَنَا محاضر ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان عن جابر ، قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " يبعث بعث فيقال لهم : هل فيكم أحد صحب محمدًا ؟ فيقال : نعم . فيلتمس فيوجد الرجل فيستفتح فيفتح عليهم . ثم يبعث بعث فيقال : هل فيكم من رأى أصحاب محمد ؟ فيلتمس فلا يوجد حتى لو كان من وراء البحر لأتيموه . ثم يبقى قوم يقرؤون القرآن لا يدرون ما هو . وهو سند صحيح أيضاً . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٨) : رواه أبو يعلى من طريقين ورجلها رجال الصحيح " . انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوَسُّلِ والزيارة (ص ٢٣١-٢٣٢) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٩٢ برقم ٨٥٧) ، البغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٦٤ برقم ٤٠٦٢) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ٣٣٧ برقم ١٥٠٧) .

وقال الطبراني أيضاً: " حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَعَوِيُّ ، ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ ، ثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ خَالِدٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِيكَ الْمُهَاجِرِينَ " (١) .

فالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَفْتِحُ بِفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ، أَي : يَطْلُبُ النَّصْرَ وَالْفَتْحَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِرِكَةِ دَعَائِهِمْ ...

**الدَّلِيلُ السَّادِسُ :** وروى ابن أبي شيبه ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ مَالِكِ الدَّارِ ، قَالَ : وَكَانَ خَازِنُ عُمَرَ عَلَى الطَّعَامِ ، قَالَ : أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ قَدْ هَلَكُوا ، فَأَتَى الرَّجُلَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ : " أَتَيْتَ عُمَرَ فَأَقْرَيْتَهُ السَّلَامَ ، وَأَخْبَرْتَهُ أَنَّكُمْ مُسْتَقِيمُونَ ، وَقُلْ لَهُ : عَلَيْكَ الْكَيْسُ ، عَلَيْكَ الْكَيْسُ " ، فَأَتَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَبَكَى عُمَرُ ثُمَّ قَالَ : يَا رَبِّ لَا أَلُو إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ " (٢) .

فَاتِيَانُ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ لِقَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَنِدَاؤُهُ لَهُ وَطَلْبُهُ أَنْ يَسْتَسْقِيَ لِأُمَّتِهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْإِسْتِدْلَالِ بِعَمَلِ هَذَا الصَّحَابِيِّ عَلَى صِحَّةِ التَّوَسُّلِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سِوَاءَ فِي حَيَاتِهِ أَوْ بَعْدَ وَفَاتِهِ . وَقَدْ أَقْرَهُ عُمَرَ عَلَى صَنِيعِهِ وَلَمْ يَعْتَفْهُ أَوْ يَقُلْ لَهُ أَشْرَكَتَ ...

وقد اعترض المتمسكون على هذا الأثر بعدة اعتراضات ، هي :

جهالة السائل ، وكذا جهالة مالك الدار ، قال ابن باز في تعليقه على هذا الأثر : " ... هذا الأثر - على فرض صحته كما قال الشارح - ليس بحجة على جواز الاستسقاء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، لأنَّ السائل مجهول ، ولأنَّ عمل الصحابة رضي الله عنهم على خلافه ، وهم أعلم الناس بالشرع ، ولم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله السُّقيا ولا غيرها ، بل عدل عمر عنه لما وقع الجذب إلى الاستسقاء بالعباس ، ولم يُنكر ذلك عليه

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/٢٩٢ برقم ٨٥٨) ، أبو مسعود المعافى بن عمران الموصلي في الزهد ، (ص ٨٠ برقم ١٢٥) ، وقال الهيثمي بعد أن ذكر الرويتين : " رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَرِجَالُ الرُّوَايَةِ الْأُولَى رِجَالُ الصَّحِيحِ " . انظر : مجمع الزوائد ، الهيثمي (١٠/٢٦٢) ، وقال الأستاذ المحقق محمود سعيد ممدوح : " قلت : أمية بن عبد الله بن خالد تابعي ، ولم يخرج له في الصحيح لكنه ثقة ، ولولا عنعنة أبي إسحاق السبيعي - فإنه مذكور في المرتبة الثالثة من المدلسين (ص ٤٢) - لكان الحديث مرسلا صحيح الإسناد ، والله أعلم " . انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوَسُّلِ والزِّيَارَةِ ، محمود سعيد ممدوح (ص ٢٣٣) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف (٦/٣٥٦ برقم ٣٢٠٠٢) ، البيهقي في دلائل النبوة (٧/٤٧) .

أحد من الصَّحابة ، فَعُلمَ أَنَّ ذَلكَ هو الحَقُّ ، وَأَنَّ ما فَعَله هَذا الرَّجُلُ منكَرٌ ، ووسيلة إلى الشُّركِ ، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشُّركِ " (١) .

وذكر الألباني من علله : جهالة مالك الدَّار ، وأَنَّهُ غير معروف بعدالة ، وعضد رأيه بأنَّ المنذري والهيثمي نصَّبا على جهالة مالك الدَّار (٢) .

والرَّدُّ على هذا سهل جدًّا ، ويكفي في الرَّدِّ عليه أن نقول : إنَّ مالك الدَّار كان معروفًا للكثيرين ، لدرجة أنَّ عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - قد استعمله على بيت المال ، ومثل هذا المنصب لا يتولَّاه إلاَّ الثَّقة أو فوق الثَّقة ، وإذا خلت بعض كتب التَّراجم من التَّرجمة له فلا يعني ذلك أبدًا أَنَّهُ مجهول ، فيها هو الحافظ ابن حجر يوثِّق عاملاً لعمر ، وهو هُنَيٌّ على الحمي بن نويره الكوفي ، وقد استعمله عمر على الحمي ، فقد روى البخاري بسنده عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اسْتَعْمَلَ مَوْلَى لَهُ يُدْعَى هُنَيًّا عَلَى الْحَمِيِّ ، فَقَالَ : " يَا هُنَيُّ اضْمُمْ جَنَاحَكَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ... " (٣) .

قال الحافظ ابن حجر : " وهذا المولى لم أر من ذكره في الصَّحابة مع إدراكه ، وقد وجدت له رواية عن أبي بكر وعمر وعمر بن العاص ، روى عنه ابنه عمير وشيخ من الأنصار وغيرهما ، وشهد صفين مع معاوية ثمَّ تحوَّل إلى علي لما قتل عمار .... ولولا أَنَّهُ كان من الفضلاء الثُّبهاء الموثوق بهم لما استعمله عمر " (٤) .

وعليه فما ينطبق على هُنَيٍّ ينطبق على مالك الدَّار ، ذلك أنَّ علَّة توثيق هُنَيٍّ ، هي علَّة توثيق مالك الدَّار ، بل هي أوضح وأجَلُّ في مالك الدَّار الذي ولَّاه عمر رضي الله عنه بيت المال ، وما ولَّاه إلاَّ لفرط في دينه وأمانته وتقواه وخوفه من مولاه ...

ومن جهة أخرى فقد نصَّ غير واحد من العلماء على توثيق مالك الدَّار ... فقد وثَّقه ابن حَبَّان في الثُّقات (٥) ، وقال أبو يعلى الخليلي في الإرشاد : " مَالِكُ الدَّارِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الرَّعَاءِ عَنْهُ : تَابِعِيٌّ ، قَدِيمٌ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، أَثْنَى عَلَيْهِ التَّابِعُونَ ، وَكَيْسَ بِكَثِيرِ الرَّوَايَةِ ، رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَعُمَرَ " (٦) .

(١) انظر : هامش فتح الباري (٢/ ٤٩٥) .

(٢) انظر : التَّوَسُّلُ ، الألباني (ص ١٣١) .

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٧١ برقم ٣٠٥٩) .

(٤) انظر : فتح الباري (٦/ ١٧٦) .

(٥) انظر : الثُّقات (٥/ ٣٨٤) .

أما عن جهالة السائل فلا ضير في ذلك ، فكم من حديث في الصحيحين تضمنا السؤال للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والسائل فيها مجهول ...

وزعموا أن أبا صالح وهو ذكوان الراوي عن مالك لا يعلم سماعه ولا إدراكه لمالك ، إذ لم نتبين وفاة مالك ، سيئا ورواه بالنعنة فهو مظنة انقطاع لا تدليس (١) .

وللرد على ذلك نقول : إن هذه مغالطة بناها القوم على جهالة مالك الدار ، وقد سبق أن بينا أنه ثقة ، بل فوق الثقة ، يُضاف إلى ذلك أن بعض العلماء صرحوا بأن له إدراك ، وعلى أقل تقدير فهو من كبار التابعين ، وقد صرح غير واحد من العلماء بأن أبا صالح السمان روى عن مالك الدار ، كما تجد ذلك في " تهذيب الكمال " (٢) ... وقد ذكر الحديث الإمام ابن كثير في " جامع المسانيد " ، ونص على أن إسناده جيد قوي (٣) .

وذكر الدكتور محمد بن علوي المالكي أن بعضهم ضعّف الحديث بتدليس الأعمش - أحد رواة هذه والمدلس الثقة لا يُقبل خبره إلا إذا صرح بالسماع .... وردّ عليه العلوي رحمه الله ، فقال : " ... وَفَاتَهُ أَنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ عَامَّةٌ إِلَّا فِيمَنْ اسْتَثْنَاهُ الْعُلَمَاءُ خَاصَّةً فِيمَنْ يُرْسَلُ أَوْ يُدَلِّسُ كَابْنِ الْمُسَيَّبِ وَكَالْأَعْمَشِ هُنَا ، وَبَيَانَ ذَلِكَ وَضَحَهُ الدَّهَبِيُّ فِي " مِيزَانِ الْإِعْتِدَالِ " ، فَقَالَ : " وَهُوَ يُدَلِّسُ ، وَرَبِّمَا دَلَّسَ عَنْ ضَعِيفٍ ، وَلَا يَدْرِي بِهِ ، فَمَتَى قَالَ : حَدَّثَنَا فَلَا كَلَامَ ، وَمَتَى قَالَ " عَنْ " تَطَرَّقَ إِلَى إِحْتِمَالِ التَّدْلِيسِ إِلَّا فِي شَيْخٍ لَهُ أَكْثَرُ عَنْهُمْ : كِابِرَاهِيمَ ، وَابْنِ أَبِي وَائِلٍ ، وَأَبِي صَالِحِ السَّمَّانِ ، فَإِنَّ رِوَايَتَهُ عَنْ هَذَا الصَّنْفِ مَحْمُولَةٌ عَلَى الْإِتِّصَالِ " (٤) ، وكذا صحّح إسناده الإمام الغماري (٥) ...

وقال الإمام الغماري : " طعن بعض المعاصرين (٦) في رواية سيف بأنه تكلم فيه ، وهذا لا يضيرنا ، فإنَّ الرَّجُلَ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِلَا لَأَبْنِ الْحَارِثِ ، فَهُوَ يَقِينًا إِمَّا صَحَابِيًّا أَوْ تَابِعِيًّا ، لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ ، وَكَفَى بِأَحَدِهِمَا حِجَّةً ،

(١) انظر : الإرشاد في معرفة علماء الحديث (١/٣١٣) .

(٢) انظر : هذه مفاهيمنا (ص ٦٧) .

(٣) انظر : تهذيب الكمال (٨/٥١٤) .

(٤) انظر : جامع المسانيد ، "مسند عمر" ابن كثير (١/٢٢٣) .

(٥) انظر : هامش مفاهيم يجب أن تصحّح (ص ١٥١) .

(٦) انظر : الرد المحكم المتين (ص ٥٣) .

(٧) انظر : التوسل ، الألباني (ص ١٣٣) ، هذه مفاهيمنا ، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص ٦٢-٦٤) .

أضف إلى ذلك أن عمر رضي الله عنه لم ينكر عليه توصله " (١) ، يضاف إلى ذلك أن ابن حجر قد صحَّح الرواية ، ولذلك لا يلتفت إلى تضعيف من ضعفها .

وقال المالكي : " كما تكلم البعض على رواية سيف أيضاً ، وزعم أن ابن حجر لم يصحَّح السند ، وهذا من المعارض تطاولُ بجانب الحق ، ولا يتَّصف بالأدب ، ويظهر ذلك لمن راجع كلام ابن حجر في الفتح ، ولكن الناقد استعجل وفاته أول الكلام ، وذلك لأن ابن حجر صحَّح الخبر من قبل بقوله : روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح وساق القصَّة ثم قال : وروى سيف في الفتوح : أن الذي رأى في المنام المذكور هو بلال بن الحارث أحد الصحابة ، فالقصَّة واحدة والسند واحد والتَّصحيح يشملها " (٢) .

**الدليل السابع :** وروى البخاري ، قال : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْمُثَنَّى ، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَانَ إِذَا فَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ : " اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا " ، قَالَ : فَيَسْقُونَ " (٣) .

قال الإمام عبد الله بن الصديق الغماري في كلامه على استسقاء عمر بالعبَّاس :

" وقد فهم ابن تيمية وتبعه الوهابية أن فعل عمر هذا يدلُّ على منع التوسُّل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد

انتقاله ، وهو خطأ لوجوه :

الأوَّل : أن ترك الشيء لا يدلُّ على منعه ، كما تقرَّر في الأصول ، فترك عمر للتوسُّل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا دلالة فيه أصلاً على منع التوسُّل ، وقد ترك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً من المباحات ، فهل دلَّ تركه لها على حرمتها ؟ لم يقل بذلك أحدٌ من العلماء .

الثَّاني : أن الله تعالى يقول : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ

الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل : ٦٢] ، ولا شك أن العبَّاس كان في تلك الحادثة من المضطَّرين فكان التوسُّل به أنسب .

(١) انظر : هامش إتحاف الأذكياء بجواز التوسُّل بالأنبياء (ص ٣٤) .

(٢) انظر : هامش مفاهيم يجب أن تصحح (ص ١٥٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٢٧/٢ برقم ١٠١٠) ، الأجرِّي في الشريعة (٥/٢٢٦٢ برقم ١٧٤٤) ، البغوي في شرح السنَّة (٤/٤٠٩ برقم ١١٦٥) ،

البيهقي في السنن الكبرى (٣/٤٩١ برقم ٦٤٢٧) ، دلائل النبوة (٦/١٤٧) .

الثَّالِثُ : أَنَّ عَمْرَ أَرَادَ بِالتَّوَسُّلِ بِالْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الاِقتِدَاءَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي إِكْرَامِ الْعَبَّاسِ وَإِجْلَالِهِ ، صَرَّحَ عَمْرٌ نَفْسَهُ بِذَلِكَ كَمَا رَوَاهُ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي " الأَنْسَابِ " وَالبَلَاذُرِيُّ فِي " فَتوحِ الْبِلْدَانِ " ، وَقد ذَكَرْتُ كَلَامَهُ فِي " الرَّدِّ الْمَحْكَمِ الْمُتَيْنِ " ، كَمَا أَنَّهُ مَذْكُورٌ فِي " فَتوحِ الْبَارِي " ، وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ .

الرَّابِعُ : أَرَادَ عَمْرٌ بِفَعْلِهِ أَنْ يَبَيِّنَ جَوَازَ التَّوَسُّلِ بِغَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ مِمَّنْ تُرْجَى بَرَكَتُهُ . وَلِذَا قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ عَقِبَ هَذِهِ الْقِصَّةِ مَا نَصَّهُ : " يُسْتَفَادُ مِنْ قِصَّةِ الْعَبَّاسِ اسْتِحْبَابَ الْاسْتِشْفَاعِ بِأَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ وَأَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ " (١) .

الخَامِسُ : أَرَادَ عَمْرٌ أَنْ يَبَيِّنَ التَّوَسُّلَ بِالْمَفْضُولِ مَعَ وَجُودِ الْفَاضِلِ ، لِأَنَّهُ كَانَ فِي ذَلِكَ الْجَمْعِ مِنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْعَبَّاسِ ، كَعَلِيِّ وَعِثْمَانَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .

السَّادِسُ : أَنَّ تَوَسُّلَ عَمْرٍ بِالْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ تَوَسُّلٌ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّ الْعَبَّاسَ إِنَّمَا تَوَسَّلَ بِهِ الصَّحَابَةُ لِكُونِهِ عَمَّ النَّبِيِّ ، وَلِمَكَانَتِهِ مِنْهُ ... " (٢) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الْكُوْثُرِيُّ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى هَذَا الْأَثَرِ : " وَفِيهِ التَّوَسُّلُ بِالذَّاتِ ، وَادِّعَاءُ أَنَّ هُنَاكَ مِضَافًا مَحْذُوفٌ ، أَي : بِدَعَاءِ عَمِّ نَبِيِّنَا تَقْوِيلٌ مَحْضٌ بِدُونِ أَيِّ حِجَّةٍ ، كَمَا أَنَّ فَرَضَ الْعُدُولِ - لَوْفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى الْعَبَّاسِ تَقْوِيلٌ لِعَمْرٍ مَا لَمْ يَخْطُرْ لَهُ عَلَى بَالٍ ، بَلْ فِيهِ جَوَازُ التَّوَسُّلِ بِالْمَفْضُولِ مَعَ وَجُودِ الْفَاضِلِ ، بَلِ التَّوَسُّلُ بِلَفْظِ " عَمَّ نَبِيِّنَا " تَوَسُّلٌ بِقِرَابَةِ الْعَبَّاسِ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِمَنْزِلَتِهِ لَدَيْهِ ، فَيَكُونُ هَذَا التَّوَسُّلُ تَوَسُّلًا بِهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا ، وَلَفْظُ " كُنَّا " غَيْرُ خَاصٍ بِعَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَلْ يَشْمَلُهُ وَمَا بَعْدَهُ إِلَى عَامِ الرَّمَادَةِ ، وَالتَّقْيِيدُ تَقْيِيدٌ بِدُونِ مَقْيَدٍ " (٣) .

فَتَوَسَّلَ سَيِّدُنَا عَمْرٌ بِالْعَبَّاسِ هُوَ فِي حَقِيقَتِهِ تَوَسُّلٌ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّهُ مَا تَوَسَّلَ بِهِ إِلَّا لِكُونِهِ عَمَّ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : " وَرَوَيْنَا مِنْ وُجُوهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ خَرَجَ يَسْتَسْقِي ، فَخَرَجَ مَعَهُ الْعَبَّاسُ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ وَنَسْتَشْفَعُ بِهِ فَاحْفَظْ فِينَا نَبِيَّكَ كَمَا حَفِظْتَ الْعُلَمَاءَ مِنْ

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/٤٩٧) .

(٢) انظر : إتحاف الأذكياء بجواز الترسُّل بالأنبياء والأولياء (ص ٣٥-٣٧) .

(٣) انظر : مقالات الكوثري (ص ٣٨٠) .

لِصَلَاحِ أَبِيهِمَا ، وَأَتَيْنَاكَ مُسْتَغْفِرِينَ مُسْتَشْفِعِينَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُبَيِّنُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح : ١٠-١٢] ، ثُمَّ قَامَ الْعَبَّاسُ وَعَيْنَاهُ تَنْصَحَانِ ... " (١) .

قال الإمام ابن حجر العسقلاني : " وَقَدْ بَيَّنَّ الرَّبِيزُ بْنُ بَكَّارٍ فِي الْأَنْسَابِ صِفَةً مَا دَعَا بِهِ الْعَبَّاسُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ وَالْوَقْتُ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ ذَلِكَ ، فَأَخْرَجَ بِإِسْنَادٍ لَهُ أَنَّ الْعَبَّاسَ لَمَّا اسْتَسْقَى بِهِ عُمَرُ ، قَالَ : اللَّهُمَّ أَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بِلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ ، وَلَمْ يُكْشَفْ إِلَّا بِتَوْبَةٍ ، وَقَدْ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ بِي إِلَيْكَ لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ ، وَهَذِهِ أَيْدِينَا إِلَيْكَ بِالذُّنُوبِ ، وَنَوَاصِينَا إِلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ ، فَاسْقِنَا الْعَيْثَ ، فَأَرْحَتِ السَّمَاءُ مِثْلَ الْجِبَالِ ، حَتَّى أَخْصَبَتِ الْأَرْضُ ، وَعَاشَ النَّاسُ . وَأَخْرَجَ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ بِنِ عُمَرَ ، قَالَ : اسْتَسْقَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَامَ الرَّمَادَةِ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَفِيهِ : فَخَطَبَ النَّاسَ عُمَرُ ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرَى لِلْعَبَّاسِ مَا يَرَى الْوَالِدُ لِلْوَالِدِ ، فَاقْتَدُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَمِّهِ الْعَبَّاسِ وَاتَّخِذُوهُ وَسِيلَةً إِلَى اللَّهِ " (٢) .

فالتَّوَسَّلَ بِالْعَبَّاسِ مَا كَانَ إِلَّا بِسَبَبِ كَوْنِهِ عَمَّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَجَعَ الْأَمْرُ إِلَى كَوْنِهِ تَوَسَّلَ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُضَافُ لِذَلِكَ أَنَّ الْعَبَّاسَ هُوَ مَنْ كَانَ يُعَانِي مِنْ جَدِّ السَّمَاءِ ، فَهُوَ مُضْطَرٌّ وَبِحَاجَةِ لِمَاءِ السَّمَاءِ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ آمَنَ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [النمل : ٦٢] .

قال الإمام محمد متوَّلي الشَّعْرَاوِي (١٤١٨هـ) : " وَنَقُولُ لِمَنْ يَكْفُرُ الْمُتَوَسِّلِينَ بِالنَّبِيِّ أَوْ الْوَلِيِّ : هَذَّبُوا هَذَا الْقَوْلَ قَلِيلًا ؛ إِنَّ حَدِيثَ مِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ هُوَ نَتِيجَةُ عَدَمِ الْفَهْمِ ، فَالَّذِي يَتَوَسَّلُ إِلَى النَّبِيِّ أَوْ الْوَلِيِّ هُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ لَهُ مَنزَلَةً عِنْدَ اللَّهِ . وَهَلْ يَعْتَقِدُ أَحَدٌ أَنَّ الْوَلِيَّ يَجَامِلُهُ لِيُعْطِيَهُ مَا لَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ ؟ طَبَعًا لَا . وَهَنَّاكَ مِنْ قَالَ : إِنَّ الْوَسِيلَةَ بِالْأَحْيَاءِ مُمَكِّنَةٌ ، وَأَنَّ الْوَسِيلَةَ بِالْأَمْوَاتِ مَمْنُوعَةٌ . وَنَقُولُ لَهُ : أَنْتَ تَضَيِّقُ أَمْرًا مُتَسَعًّا ؛ لِأَنَّ حَيَاةَ الْحَيِّ لَا مَدْخَلَ لَهَا بِالتَّوَسُّلِ ، فَإِنْ جَاءَ التَّوَسُّلُ بِحَضْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ التَّوَسُّلَ بِحَبِّكَ لِمَنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ أَقْرَبُ مِنْكَ إِلَى اللَّهِ ؛ فَحُبُّكَ لَهُ هُوَ الَّذِي يَشْفَعُ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ أَنَّهُ سِيَّاتِي لَكَ بِمَا لَا تَسْتَحِقُّ .

(١) انظر : الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيها تضمَّنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والإختصار ، (٧/١٥٠) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/٤٩٧) .

والجماعة التي تقول : لا يصح أن نتوسل بالنبي ؛ لأن النبي انتقل إلى الرفيق الأعلى ، نقول لهم : انتظروا قليلاً وانتبهوا إلى ما قال سيدنا عمر - رضوان الله عليه - ؛ قال : كنا في عهد رسول الله إذا امتنع المطر نتوسل برسول الله ونستسقي به . ولما انتقل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، توسل بعمه العباس . وقالوا : لو كان التوسل برسول الله جائزاً بعد انتقاله لما عدل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن التوسل بالنبي بعد انتقاله ، وذهب إلى التوسل بعم النبي . ونسأل : أقال عمر " كنا نتوسل بنبيك والآن نتوسل إليك بالعباس ؟ أم قال : والآن نتوسل إليك بعم نبيك " ؟ .

ولذلك فالذين يمنعون ذلك يوسعون الشقة على أنفسهم ؛ لأن التوسل لا يكون بالنبي فقط ، ولكن التوسل أيضاً بمن يمُتُّ بصلة إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فساعة يتوسل واحد إلى غيره يعني أنه يعتقد أن الذي توسل به لا يقدر على شيء ، إنني أتوسل به إلى الغير ، لأنني أعرف أنه لا يستطيع أن ينفذ لي مطلوب . إذن فلنبعد مسألة الشرك بالله عن هذا المجال ، ونقول : نحن نتوسل به إلى غيره لأننا نعلم أن المتوسل إليه هو القادر وأن المتوسل به عاجز ، وهذا هو منتهى اليقين ومنتهى الإيثار .

ولكن المتوسل به قد ينتفع وقد لا ينتفع ، وعندما توسل سيدنا عمر بالعباس عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كان يفعل ذلك من أجل المطر ، والمطر في هذه الحالة لا ينتفع به رسول الله ، لذلك جاء بواحد من آل البيت ، وكأنه قال : يا رب عم نبيك عطشان فمن أجله نريد المطر .

إذن فتوسل عمر بن الخطاب بعم النبي دليل ضد الذين يمنعون التوسل بالنبي بعد الانتقال إلى الرفيق الأعلى . وحتى نخرج من الخلاف . نقول : إن العمل الصالح المتمثل في : افعل كذا ولا تفعل كذا هو الوسيلة الخالصة ، وبذلك نخلص من الخلاف ولا ندخل في متاهات " (١) .

وقال الشيخ يوسف إسماعيل النبهاني : إننا استسقى عمر - رضي الله عنه - بالعباس ولم يستسق بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ لبيِّن للناس أن الاستسقاء بغير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جائز ومشروع ولا حرج فيه ؛ لأن الاستسقاء بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ كان معلوماً عندهم . فلو ربما يتوهم بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبيِّن لهم عمر - رضي الله تعالى عنه - الجواز .

ولو استسقى بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأفهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا يصح أن يقال : إننا استسقى بالعباس ولم يستسق بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن العباس حي والنبي صَلَّى اللهُ

(١) انظر : تفسير الشعراوي ، الخواطر (٥/٣١٠٧-٣١٠٨) .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ ؛ لِأَنَّ الْإِسْتِسْقَاءَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْحَيِّ ، فَهَذَا الْقَوْلُ بَاطِلٌ مَرْدُودٌ بِأَدَلَّةٍ كَثِيرَةٍ ؛ مِنْهَا : تَوْسُّلُ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - بِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْقِصَّةِ الَّتِي رَوَاهَا عُثْمَانُ بْنُ حَنِيفٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - وَكَمَا فِي حَدِيثِ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَكَذَا تَوْسُّلُ آدَمَ الَّذِي رَوَاهُ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - كَمَا تَقَدَّمَ . فَكَيْفَ يُعْتَقَدُ عَدَمُ صِحَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ . وَقَدْ رَوَى التَّوَسُّلُ بِهِ قَبْلَ وَجُودِهِ مَعَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ .

فَتَلَخَّصْ مِنْ هَذَا أَنَّهُ يَصِحُّ التَّوَسُّلُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ وَجُودِهِ وَفِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَأَنَّهُ يَصِحُّ التَّوَسُّلُ أَيْضاً بِغَيْرِهِ مِنَ الْأَخْيَارِ ، كَمَا فَعَلَهُ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - حِينَ اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - وَذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ التَّوَسُّلِ كَمَا تَقَدَّمَ ... وَالْحَاصِلُ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى صِحَّةِ التَّوَسُّلِ وَجَوَازِهِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَكَذَا بِغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ السَّابِقَةُ ، لِأَنَّ مَعَاشِرَ أَهْلِ السُّنَّةِ لَا نَعْتَقِدُ تَأْثِيراً وَلَا خَلْقاً وَلَا إِجَاداً وَلَا إِعْدَاماً وَلَا نَفْعاً وَلَا ضَرراً إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَلَا نَعْتَقِدُ تَأْثِيراً وَلَا نَفْعاً وَلَا ضَرراً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا لِغَيْرِهِ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ .

فَلَا فَرْقَ فِي التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَكَذَا بِالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، لَا فَرْقَ بَيْنَ كَوْنِهِمْ أَحْيَاءً أَوْ أَمْوَاتاً ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَلَيْسَ لَهُمْ تَأْثِيرٌ فِي شَيْءٍ ، وَإِنَّمَا يُتَبَرَّكُ بِهِمْ لِكُونِهِمْ أَحْبَاءَ اللَّهِ تَعَالَى . وَالخَلْقُ وَالتَّأْثِيرُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ " (١) .

**الدَّلِيلُ الثَّامِنُ :** قَالَ الدَّارِمِيُّ : حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَالِكِ النُّكْرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْجَوْزَاءِ أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : فُحِطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَحَطَّ شَدِيداً ، فَشَكَوُوا إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ : " انظُرُوا قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْعَلُوا مِنْهُ كَوَىً إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَفْفٌ . قَالَ : فَفَعَلُوا ، فَمُطِرْنَا مَطْراً حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ ، وَسَمِنَتِ الْإِبِلُ حَتَّى تَفْتَقَتْ مِنَ الشَّحْمِ ، فَسُمِّيَ عَامَ الْفَتْحِ " (٢) .

(١) انظر : شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص ١١٧-١١٨) .

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ٢٢٧ برقم ٩٣) .

قال الأستاذ المحقق محمود سعيد ممدوح في تحريجه لهذا الأثر: " قلت : هذا إسناد حسن إن شاء الله تعالى ... وبعد مناقشة مستفيضة مع من ضعفه من مدعي السلفية ، قال : فحاصل ما تقدّم : أن هذا إسناد حسن أو صحيح ، ورجاله رجال مسلم ما خلا عمرو بن مالك النكري ، وهو ثقة ، والله تعالى أعلم بالصواب " (١) .

فالذي صنعه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم من فتح الكوى ، بإشارة من أم المؤمنين عائشة الصديقة هو توسل بقبوره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلباً للسُّقيا ، وما ذاك إلا لأنَّ القبر الشريف ضمَّ ذاته الشريفة ، والتي بسببها أصبح مكان القبر أشرف البقاع على وجه الأرض ، ... ولم يجد ذلكم الفعل عند أحد من الصحابة نكيراً ، ولم يُسمَّه أحدٌ منهم شركاً ، فكان إجماعاً ...

فهل من يدعون السلفية أعلم من الصحابة وأحرص على سلامة الإيوان من عائشة رضي الله عنها ومن معها من الصحابة الكرام الذين وافقوها وبادروا إلى فعل ما أشارت به !!! نبتوني بعلم إن كنتم صادقين ... قال الإمام الغماري نقلاً عن القاري في " شرح المشكاة " : " قيل في سبب كشف قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستشفع به عند الجذب فتمطر السماء ، فأمرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به ، فلا يبقى بينه وبين السماء حجاب " (٢) .

ومن المعلوم أن فتح الكوة عند الجذب كان سنة أهل المدينة ، قال الزين المراغي : واعلم أن فتح الكوة عند الجذب سنة أهل المدينة حتى الآن ، يفتحون كوة في أسفل قبة الحجرة : أي القبة الزرقاء المقدسة من جهة القبلة ، وإن كان السقف حائلاً بين القبر الشريف وبين السماء .

قلت - أي : السمهودي - : وستتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة ، والاجتماع هناك " (٣) .

واجتماعهم عند الحجرة الشريفة ليس إلا للتوسل به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وبجأه ... قلت : وكعادتهم احتج مدعو السلفية على هذا الحديث ، وزعموا أنه ضعيف ... فقد ضعف الألباني هذا الأثر بثلاث علل :

١- ضعف سعيد بن زيد - أحد رواة الحديث - حيث اقتصر على النقل من بعض كتب التراجم (٤) .

(١) انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة (ص ٢٥٣-٢٦١) .

(٢) انظر : الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين (ص ١٩٦) .

(٣) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٢/ ١٢٣) .

وهذا مردودٌ لأنَّ سعيداً بن زيد من رجال مسلم ، ووثقه غير واحد من العلماء ، فقال الدُّوري : " عن يحيى بن معين ، وقال ابن عدي : هو عندي في جملة من يُنسب إلى الصُّدق ، وقال ابن حَبَّان : صدوق (٢) . وقد ذكره الذَّهبي في " جزء من تكلم فيه وهو ثقة " (٣) ، وعليه فإنَّ سعيد بن زيد لا ينزل عن درجة الحسن .

٢- اختلاط أبي النُّعمان (٤) ، واسمه محمَّد بن الفضل المعروف بعارم شيخ البخاري .

وهذا مردودٌ بأنَّ اختلاط أبي النُّعمان لم يؤثِّر في روايته ، قال الدَّارقطني : تغيَّر بأخره ، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر وهو ثقة . وقول ابن حَبَّان : وقع في حديثه المناكير الكثيرة بعد اختلاطه . ردَّه الذَّهبي فقال : لم يقدر ابن حَبَّان أن يسوق له حديثاً منكراً .

والقول فيه ما قاله الدَّارقطني . وبمثل قول الدَّارقطني قال الذَّهبي في السِّير ، وابن حجر في التَّهذيب (٥) .

٣- أنه موقوف على عائشة رضي الله عنها ، وليس مرفوعاً إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولو صحَّ لم تكن

فيه حجَّة ... (٦) .

والجواب على ما ذكره الألباني بأنَّ الحديث صحيح - كما بيَّنا - بلا شكٍّ وريبة ، وهو حجَّة من وجهين :

- أنَّ بصحَّته سقط كلام الألباني وتمويهه في التَّضعيف ، وثبت أنَّ التَّوسُّل مذهب للسيدة عائشة أم المؤمنين

رضي الله عنها .

- أنه اتَّفاق من حضر من المسلمين صحابة ممَّن كانوا صحابة وغيرهم ، وفي ذلك تثبيت مع أثر عثمان بن

حنيف في إرشاد الرُّجل للتَّوسُّل بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٧) .

**الدَّلِيلُ التَّاسِعُ :** وروى الطُّبراني ، قال : " حَدَّثَنَا إِسْرَاهِيمُ بْنُ نَائِلَةَ الْأَصْبَهَانِيُّ ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ عُمَرَ بْنِ شَقِيقٍ

، ثنا مَعْرُوفُ بْنُ حَسَّانَ السَّمَرْقَنْدِيُّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

(١) انظر : التَّوسُّل (ص ١٤٠) .

(٢) انظر : تهذيب الكمال (١٠/٤٤٣) ، تهذيب التهذيب (٤/٢٩) .

(٣) انظر : جزء من تكلم فيه (ص ٨٥) .

(٤) انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص ١٤١) .

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/٢٦٨) ، تهذيب التهذيب (٩/٣٤٩) ، ميزان الاعتدال (٤/٧-٨) .

(٦) انظر : التَّوسُّل (ص ١٤١) .

(٧) انظر : هامش ارغام المبتدع (ص ٢٤ بتصرُّف) .

بِنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ : يَا عِبَادَ اللَّهِ ، احْسِبُوا عَلَيَّ ، يَا عِبَادَ اللَّهِ احْسِبُوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ حَاضِرٌ سَيَحْسِبُهُ عَلَيْكُمْ " (١) .

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ نِدَاءٌ وَطَلَبٌ نَعَمِ التَّسْبُبِ فِي ذَلِكَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِينَ لَمْ يَشَاهِدْهُمْ . وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ : " حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التُّسْتَرِيُّ ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوفِيُّ ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ ، حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيْسَى ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَزْوَانَ ، عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْنًا وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسٌ ، فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي ، يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي ، فَإِنَّ اللَّهَ عِبَادًا لَا تَرَاهُمْ " وَقَدْ جُرِّبَ ذَلِكَ (٢) .

وفي الحديث دلالة على الاستغاثة وطلب العون والمساعدة من مخلوقات لا تراها ، وفيه نوع من أنواع التوسل وطلب العون من تلك المخلوقات فيما يقدرون عليه ، مع الإيذان المطلق بأن لا غياث ولا مغيث حقاً إلا الله تعالى ، فالغوث ليس إلا منه تعالى ، وإن كان سبحانه أجرى بفضله وكرمه ومنتته الإغاثة على يد بعض خلقه على سبيل الكسب ...

**الدليل العاشر :** وروى البيهقي قال : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى ، قَالَا : نا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُّ ، نا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، نا رَوْحٌ ، نا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، ح وَأَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ، نا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ يَعْقُوبَ ، نا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، نا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ ، نا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَةٌ فِي الْأَرْضِ سَوَى الْحَفِظَةِ يَكْتُبُونَ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ ، فَإِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ عَرَجَةٌ فِي الْأَرْضِ لَا يَقْدِرُ فِيهَا عَلَى الْأَعْوَانِ فَلْيَصِحْ ، فَلْيَقُلْ : عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونَا أَوْ أَغِيثُونَا رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ سَيَعَانُ " لَفْظُ حَدِيثِ جَعْفَرٍ ، وَفِي رِوَايَةِ رَوْحٍ : " إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ فِي الْأَرْضِ يَسْمُونَ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/٢١٧ برقم ١٠٥١٨) ، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد (ص ٤٥٥ برقم ٥٠٨) ، أبو يعلى في المسند (٩/١٧٧ برقم ٥٢٦٩) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/١٣٢ برقم ١٧١٠٥) ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى ، وَالطَّبْرَانِيُّ ، وَزَادَ : " سَيَحْسِبُهُ عَلَيْكُمْ " . وَفِيهِ مَعْرُوفٌ بِنُ حَسَّانَ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/١١٧ برقم ٢٩٠) ، الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/١٨٨ برقم ١٧١٠٣) ، وقال : رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف بعضهم إلا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة .

الْحُظَّةَ ، يَكْتُبُونَ مَا يَتَّعُ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ ، فَمَا أَصَابَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَرَجَةٌ أَوْ احتَاجَ إِلَى عَوْنٍ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَلْيَقُلْ : أَعِينُونَا عِبَادَ اللَّهِ ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ يُعَانُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " (١) .

قال الإمام عبد الله بن الصديق الغماري : " ففي هذا الحديث جواز استغاثة المخلوق، والاستعانة به، وذلك لا يكون بالضرورة إلا فيما يقدر عليه، ويليق به، أما الإغاثة المطلقة، والإعانة المطلقة، فهما مختصان بالله تعالى، لا يطلبان إلا منه، وهذا معلوم من الدين بالضرورة " (٢) .

**الدليل الحادي عشر :** وذكر الإمام عمر بن زيد بن عبيدة بن ربيعة النُميري البصري ، أبو زيد ابن شبة (٢٦٢هـ) في تاريخ المدينة أن علياً لقي سعداً ، فقال : ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] : أَسَأَلْتُ بِرَحِمِ ابْنِي هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِرَحِمِ عَمِّي حَمَزَةَ مِنْكَ ، أَنْ لَا تَكُونَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لِعُمْتَانِ ظَهيراً عَلَيَّ " (٣) .

والأثر فيه توصل إلى الله تعالى بالرحم ... لأن الأرحام تُوجب لبعض على البعض العديد من الحقوق ... قال الإمام ابن تيمية : قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [النساء : ١] . فَعَلَى قِرَاءَةِ الْجُمُهورِ بِالنَّصْبِ : إِنَّمَا يَسْأَلُونَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا بِالرَّحِمِ وَتَسَاءَلُوهُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى يَتَّصِمَنَّ إِقْسَامَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ بِاللَّهِ وَتَعَاهَدُهُمْ بِاللَّهِ . وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ الْحَقْفِ فَقَدْ قَالَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ : هُوَ قَوْلُهُمْ أَسَأَلْتُ بِاللَّهِ وَبِالرَّحِمِ وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ سُؤْلِهِمْ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ لَيْسَ بِدَلِيلٍ عَلَى جَوَازِهِ فَإِنْ كَانَ دَلِيلًا عَلَى جَوَازِهِ فَمَعْنَى قَوْلِهِ أَسَأَلْتُ بِالرَّحِمِ لَيْسَ إِقْسَامًا بِالرَّحِمِ - وَالْقَسَمُ هُنَا لَا يَسُوغُ - لَكِنْ بِسَبَبِ الرَّحِمِ أَيَّ لِأَنَّ الرَّحِمَ تُوجِبُ لِأَصْحَابِهَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ حُقُوقًا كَسُؤَالِ الثَّلَاثَةِ لِلَّهِ تَعَالَى بِأَعْمَاهُمْ الصَّالِحَةِ وَكَسُؤَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَفَاعَتِهِ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ ابْنَ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ كَانَ إِذَا سَأَلَهُ بِحَقِّ جَعْفَرٍ

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠/١٤٠ برقم ٧٢٩٧) ، البزار في المسند (١١/١٨١ برقم ٤٩٢٢) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد و منبع الفوائد (١٠/١٣٢ برقم ١٧١٠٤) .

(٢) انظر : الرد المحكم المتن على كتاب القول المبين (ص ٤٢) .

(٣) انظر : تاريخ المدينة ، ابن شبة (٣/٩٢٤) .

أَعْطَاهُ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ الْإِقْسَامِ؛ فَإِنَّ الْإِقْسَامَ بِغَيْرِ جَعْفَرٍ أَعْظَمُ بَلْ مِنْ بَابِ حَقِّ الرَّحِمِ لِأَنَّ حَقَّ اللَّهِ إِنَّهَا وَجَبَ بِسَبَبِ جَعْفَرٍ وَجَعْفَرٌ حَقُّهُ عَلَى عَلِيٍّ (١).

وقال أيضاً: " فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ يَقُولُ الرَّجُلُ لِعِزِّهِ بِحَقِّ الرَّحِمِ قِيلَ: الرَّحِمُ تَوْجِبُ عَلَى صَاحِبِهَا حَقًّا لِذِي الرَّحِمِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " الرَّحِمُ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ " ، وَقَالَ " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الرَّحِمَ تَعَلَّقَتْ بِحَقْوِي الرَّحْمَنُ وَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ فَقَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى قَدْ رَضِيتُ " ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتَهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتَهُ ...

وَالَّذِي قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ - مِنْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسْأَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَخْلُوقٍ: لَا بِحَقِّ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ - يَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ كَمَا تَقَدَّمَ. (أَحَدُهُمَا) الْإِقْسَامُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ وَهَذَا مِنْهُيَّ عَنْهُ عِنْدَ جَاهِلِ الْعُلَمَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ كَمَا يُنْهَى أَنْ يُقْسَمَ عَلَى اللَّهِ بِالْكَعْبَةِ وَالْمَشَاعِرِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ. وَ (الثَّانِي) السُّؤَالُ بِهِ فَهَذَا يُجَوِّزُهُ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ وَنُقِلَ فِي ذَلِكَ آثَارٌ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي دُعَاءِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ (٢).

**الدَّلِيلُ الثَّانِي عَشَرَ** : وجاء في حديث الشَّفَاعَةِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ مَرْفُوعًا : " ... فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَعَاثُوا بِآدَمَ ، ثُمَّ بِمُوسَى ، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٣).

وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْاسْتِعَاثَةَ جَائِزَةٌ ، وَهِيَ فِي هَذَا الْبَابِ كَالْتَوْسُّلِ . فَإِذَا كَانَ التَّوَسُّلُ شَرَكًا ، فَهَلْ يَقَالُ : إِنَّ الشَّرْكَ مُبَاحٌ فِي يَوْمِ الْمَحْشَرِ ، كَمَا يَقُولُ الْمُتَعَتِّتُونَ الْمُتَمَسِّلُونَ الْمُنْتَطَعُونَ !!!

**الدَّلِيلُ الثَّلَاثُ عَشَرَ** : وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ : حَدَّثَنَا أَبُو عُمَيْرٍ ، نَا ضَمْرَةَ ، عَنِ ابْنِ أَبِي حَمَلَةَ ، قَالَ : أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ بِدِمَشْقَ ، وَعَلَى النَّاسِ الصَّحَاكُ بْنُ قَيْسٍ ، فَخَرَجَ يَسْتَسْقِي ، فَقَالَ : " أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ ؟ ، فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَالَ : " أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ ؟ ، فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَالَ : " أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ ؟ ، فَقَالَ : " عَزَمْتُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ صَوْتِي إِلَّا قَامَ " ، فَقَامَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، فَفَنَى جَانِبِي الْبُرْنُسِ عَلَى عَاتِقِهِ ثُمَّ قَالَ : "

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٣٣٩).

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٢٢١-٢٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ١٢٣ برقم ١٤٧٥)، البغوي في شرح السنة (٦/ ١١٩ برقم ١٦١٢).

اللهمَّ إِنَّ عِبَادَكَ قَدْ تَقَرَّبُوا بِي إِلَيْكَ فَاسْتِهِمْ " ، قَالَ : فَمَا انصَرَفُوا إِلَّا وَهُمْ يَحْوِضُونَ الْأَوْدِيَةَ ، ثُمَّ قَالَ : " اللَّهُمَّ أَنَّهُ قَدْ شَهَرَنِي فَأَرْحُمْنِي " قَالَ : فَمَا آتَى عَلَيْهِ جُمُعَةٌ حَتَّى مَاتَ ، أَوْ قُتِلَ (١) .

والأثر واضح الدلالة على التَّوَسُّلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالصَّالِحِينَ ...

**الدَّلِيلُ الرَّابِعُ عَشَرَ :** قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ سَلِيمَانَ بْنِ أَحْمَدَ الطَّبْرَانِي (٥٣٦٠هـ) : " حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ زُعْبَةَ ، حَدَّثَنَا رُوْحُ بْنُ صَلاَحٍ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ أُمُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا فَقَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أُمَّي ، كُنْتُ أُمَّي بَعْدَ أُمَّي ، وَتُسَبِّعِينِي وَتَعْرِيْنِي ، وَتُكْسِبِينِي ، وَتَمْنَعِينِ نَفْسَكَ طَيِّبًا ، وَتَطْعَمِينِي تُرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةَ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُغَسَّلَ ثَلَاثًا ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءُ الَّذِي فِيهِ الْكَافُورُ سَكْبَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ، ثُمَّ خَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ فَأَلْبَسَهَا إِيَّاهُ وَكَفَّنَهَا بِرِدِّ فَوْقَهُ ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَأَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ ، وَعَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَغُلَامًا أَسْوَدَ يُحْفَرُونَ فَحَفَرُوا قَبْرَهَا فَلَمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ، وَأَخْرَجَ تَرَابَهُ بِيَدِهِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَاضْطَجَعَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، اغْفِرْ لَأُمَّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ ، وَلَقِّنْهَا حُجَّتَهَا ، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا ، بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا ، وَأَدْخَلُوهَا اللَّحْدَ هُوَ وَالْعَبَّاسُ ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ " (٢) .

وفي الحديث توَسَّلْ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِحَقِّهِ وَحَقِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ...

**الدَّلِيلُ الْخَامِسُ عَشَرَ :** وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَصْرِيُّ الشَّيْخُ ، الْإِمَامُ ، الْحَافِظُ الْكَبِيرُ ، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ الْحَالِقِ الْبَصْرِيُّ ، الْبَزَّازُ (٥٢٩٢هـ) : " حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمُجِيدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَادٍ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ زَادَانَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ النَّبِيِّ

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (١١٩/٦) برقم (١٦٢٢) .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٥١/٢٤) برقم (٨٧١) ، الأوسط (٦٧/١) برقم (١٨٩) ، والحديث حسن إسناده المحقق الأستاذ محمود سعيد

مدوح في رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوَسُّلِ والزِّيَارَةِ (ص ١٤٨) .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ مُحَدِّثُونَ وَنُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُمْ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللهُ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُمْ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللهُ لَكُمْ " (١).

فالحديث دليل على صحّة الإستغفار من الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنّه حيٌّ في قبره عليه الصّلاة والسّلام، فمن استغاث به أو توسّل بجنابه أغاثه وسأل الله له حاجته، والحديث مؤكّد لما فهمه العلماء من آية المجيء إليه، وأنّها تفيد العموم لحالتي الموت والحياة، واستحبّوا لمن أتى القبر أن يتلوها، وبالتالي فلا حجّة لمن قال: إنّ استغفار النّبي بعد موته أمرٌ متعذّر...

**الدليل السّادس عشر:** ومما يُستدلُّ به على جواز التّوسّل بالنّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد انتقاله إلى الرّفيق الأعلى: القياس على ما كان عليه الصّحابة الكرام من التّبرك بآثار الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنفصلة منه في حال حياته وبعد مماته. فقد حملت السّنّة المطهّرة وأناأ عديدة من تبرّك الصّحابة بآثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته مع إقراره لهم على تبرّكهم، كما تبرّكوا بما وجدوا من آثاره بعد وفاته، وفي هذا دلالة على الصّحابة الكرام عرفوا أنّ التّبرك بآثاره بعد مماته يأخذ نفس الحكم، ولذا استشفوا بآثاره وتبرّكوا بها، مع إيمانهم المطلق أنّ اله تعالى وحده الشّافي والكافي والمعافي... فجاء الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومكانته عند ربّه تعالى لا تزول أبداً بالموت، لأنّ الموت ما هو إلّا انتقال من دار إلى دار، فجاءه لا يتغيّر ولا يتبدّل ولا ينقص منه شيء، فهو على حاله وكماله كما لو كان حيّاً، لأنّ الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون، وقد حرّم الله على الأرض أن تأكل أجسادهم...

(١) أخرجه البزار في المسند (٣٠٨/٥ برقم ١٩٢٥)، الحارث في مسنده (٢/٨٨٤ برقم ٩٥٣)، القاضي أبو إسحاق الجهضمي في فضل الصّلاة على النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (ص ٣٨ برقم ٢٥)، تحقيق: محمّد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧هـ، وذكره ابن حجر العسقلاني في المطالب العلية بزوائد المسانيد الثمانية (١٥/٥٨٥ برقم ٣٨٢٤)، وذكره الهيثمي في المجمع (٩/٢٤ برقم ١٤٢٥٠، وقال: زَوَاهُ الْبُرَّاءُ، وَرَجَالُهُ رِجَالُ الصّٰحِيحِ)، وقال العراقي: إسناده جيد. انظر: طرح التّريب في شرح التّريب، العراقي (٣/٢٩٧)، وقال السيوطي في الخصائص الكبرى: وأخرج البُرَّاءُ بِسَنَدٍ صٰحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلَهُ. الخصائص الكبرى، جلال الدّين السيوطي (٢/٤٩١). وقال المحقق الأستاذ محمود سعيد ممدوح في تحريجه للحديث: ولشيوخنا العلّامة المحقق السيد عبد الله بن الصديق الغماري الحسيني رحمه الله تعالى ونور مرقدته في هذا الحديث جزء مفيد مطبوع اسمه " نهاية الآمال في شرح وتصحيح حديث عرض الاعمال ". ورجال السنن ثقات، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ثقة أيضاً احتجّ به مسلم، ثمّ ناقش من ضعّف الحديث من مدّعي السّلفيّة مناقشة مستفيضة تركتهم يضرّبون أمخاساً بأسداس، حيث لا مناص ولا حجة ولا سبيل لهم لتضعيف الحديث... انظر: المنارة لتخريج أحاديث التّوسّل والزّيارة، محمود سعيد ممدوح (ص ١٥٦ فما بعدها).

وروى البخاري ، قال : " حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَفِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي اللَّيْثُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيُّ ، أَنَّ عَتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصْرِي ، وَأَنَا أَصْلِي لِقَوْمِي فَإِذَا كَانَتْ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي ، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " ، قَالَ عَتْبَانُ : فَعَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَذِنْتُ لَهُ ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ ، ثُمَّ قَالَ : " أَيْنَ نُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ " قَالَ : فَأَشْرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ الْبَيْتِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَبَّرَ ، فَقُمْنَا فَصَفْنَا فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ... " (١) .

فهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيته ليصلي فيه كي يتبرك بالموضع الذي صَلَّى فيه النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد أجابه الرسول إلى دعوته ولم ينكر عليه....  
 قال الإمام ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩هـ) : " قال المهلب : وفيه التبرك بمصلي الصالحين ومساجد الفضلين . وفيه : أنه من دُعي من الصالحين إلى شيء يتبرك به منه ، فله أن يجيب إذا أمن الفتنة من العجب " (٢) .

وقال الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) : " وَفِي حَدِيثِ عَتْبَانَ هَذَا فَوَائِدٌ كَثِيرَةٌ ... وَمِنْهَا : التَّبرُّكُ بِالصَّالِحِينَ ، وَأَثَارِهِمْ ، وَالصَّلَاةُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي صَلَّوْا بِهَا ، وَطَلَبُ التَّبرُّكِ مِنْهُمْ " (٣) .  
 وقال الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ) في شرحه للحديث : " ... وَفِيهِ التَّبرُّكُ بِالْمَوَاضِعِ الَّتِي صَلَّى فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ وَطِئَهَا ، وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ : أَنَّ مَنْ دُعي مِنَ الصَّالِحِينَ لِيتبرك بِهِ أَنَّهُ يُجِيبُ إِذَا أَمِنَ الْفِتْنَةَ " (٤) .

(١) أخرجه البخاري (٩٢/١ برقم ٤٢٥) ، مسلم (٤٥٥/١ برقم ٣٣) .

(٢) انظر : شرح صحيح البخاري (٧٧/٢) .

(٣) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦١/٥) .

(٤) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٢٢/١) .

وروى الشَّيْخَانُ بسندهما عن يزيد بن أبي عبيد ، قال : كنت آتي مع مسلمة بن الأكوع ، فيصلِّي عند الاسطوانة التي عند المصحف ، فقلت : يا أبا مسلم ، أراك تتحرَّى الصَّلَاةَ عند هذه الأسطوانة ؟ قال : فإنِّي رأيت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحرَّى الصَّلَاةَ عندها (١) .

قال الإمام النووي (٦٧٦هـ) : " وفي هذا أنه لا بأس بإدامة الصَّلَاةِ في موضع واحد إذا كان فيه فضل " (٢) . قلت : وهل هناك فضلٌ أعظم من أن يلامس الإنسان بحرَّ وجهه مكاناً مسَّه وجهه الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يتبرَّك بذلك ...؟

قال الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) : " والأسطوانة المذكورة حقَّق لنا بعض مشايخنا أنَّها المتوسطة في الرَّوْضَةِ المَكْرَمَةِ ، وأنَّها تُعرفُ بأسطوانة المهاجرين ، قال : وروي عن عائشة : أنَّها كانت تقول : لو عرفها النَّاسُ لاضطربوا عليها بالسَّهام . وأنَّها أسرَّتْها إلى ابن الزُّبير ، فكان كثير الصَّلَاةِ عندها . ثمَّ وجدت ذلك في تاريخ المدينة لابن النَّجَّار ، وزاد : أنَّ المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها " (٣) .

قلت : ولا يكون الاضطراب عليها والاجتماع عندها من قِبَل النَّاسِ إلَّا لطلب بركة ذلك الموضع الذي كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثر من الصَّلَاةِ فيه .

قال الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) : " ومحصَّل ذلك أنَّ ابن عمر كان يتبرَّك بتلك الأماكن ، وتشدُّده في الاتباع مشهور ، ولا يُعارض ذلك ما ثبت عن أبيه أنَّه رأى النَّاسَ في سفر يتبادرون إلى مكان فسأل عن ذلك ، فقالوا : قد صَلَّى فيه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : من عرضت له الصَّلَاةُ فليصلِّ وإلَّا فليمض ، فإنَّها هلك أهل الكتاب لأنَّهم تتبَّعوا آثار أنبيائهم فاتَّخذوها كنائسَ وبيعاً ، لأنَّ ذلك من عمر محمول على أنَّه كره زيارتهم لمثل ذلك بغير صلاة أو خشي أن يشكَّل ذلك على من لا يعرف حقيقة الأمر فيظنُّه واجباً ، وكلا الأمرين ، مأمون من ابن عمر ، وقد تقدَّم حديث عتبان وسؤاله النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أن يصلِّي في بيته ليتخذَه مصلياً وإجابة النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ذلك ، فهو حجَّة في التبرُّك بآثار الصَّالحين " (٤) .

(١) أخرجه البخاري (١٠٦/١ برقم ٥٠٢) ، مسلم (٣٦٤/١ برقم ٥٠٩) ، أحمد في المسند (٤٨/٤ برقم ١٦٦٣١) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣٨٥/٢ برقم ٣٤٧١) .

(٢) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (٤/٢٢٦) .

(٣) انظر : فتح الباري (١/٥٧٧) .

(٤) انظر : فتح الباري (١/٥٦٩) .

وروى أحمد ، والنسائي ، وغيرهما بسندهم عن عاصم الأحوال عن أبي مجلز أن أبا موسى كان بين مكة والمدينة ، فصلّى العشاء ركعتين ثمّ قام فصلّى ركعة أوتر بها فقرا بآية من النساء ثمّ قال : ما ألوت أن أضع قدمي حيث وضع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدميه وأنا أقرأ بها قرأ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) .

وروى النسائي أيضا بسنده عن أنس بن مالك أن أم سليم سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأتيها فيصلّي في بيتها فتتخذها مصلى ، فأتاها فعمدت إلى حصر ففضحته بهاء فصلّى عليه وصلوا معه (٢) .

فألرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم أنّها ما دعتة للصلاة في بيتها إلا من أجل التبرك بموضع صلاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومع ذلك أجابها إلى طلبها وأقرها ...

وكذا تبرك الصحابة بالمواضع التي مستها يد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذا ثابت عن عدد من الصحابة ، بل ثبت أن الصحابة كانوا يطلبون منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو لأبنائهم ، فكان يمسح على رؤوسهم ويدعو لهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

قال الإمام أحمد بن حنبل : " حدثنا أبو سعيد ، مولى بني هاشم ، حدثنا ذيال بن عبيد بن حنظلة ، قال : سَمِعْتُ حَنْظَلَةَ بْنَ حَازِمٍ جَدِّي ، أَنَّ جَدَّهُ حَنِيفَةَ ، قَالَ لِحَازِمٍ : اجْمَعْ لِي بَنِيَّ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُوصِي ، فَجَمَعَهُمْ ، فَقَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَا أُوصِي أَنْ لِيَسْمِيَ هَذَا الَّذِي فِي حِجْرِي مِثَّةً مِنَ الْإِبِلِ ، الَّتِي كُنَّا نُسَمِّيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ : الْمُطَيَّبَةَ ، فَقَالَ حَازِمٌ : يَا أَبَتِ ، إِنِّي سَمِعْتُ بَنِيكَ يَقُولُونَ : إِنَّمَا نُقَرُّ بِهَذَا عِنْدَ أَبِيْنَا ، فَإِذَا مَاتَ رَجَعْنَا فِيهِ ، قَالَ : فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ حَازِمٌ : رَضِينَا ، فَارْتَفَعَ حَازِمٌ ، وَحَنِيفَةُ ، وَحَنْظَلَةُ مَعَهُمْ غُلَامٌ ، وَهُوَ رَدِيفٌ لِحَازِمٍ ، فَلَمَّا أَتَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَلَّمُوا عَلَيْهِ ، ... وَفِيهِ : فَدَنَا بِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنَّ لِي بَيْنَ ذَوِي لِحَى ، وَذُونَ ذَلِكَ ، وَإِنَّ ذَا أَصْعَرَهُمْ ، فَادْعُ اللَّهَ لَهُ ، فَمَسَحَ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ، أَوْ بُوْرَكَ فِيهِ .

قَالَ ذِيَالٌ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ حَنْظَلَةَ ، يُؤْتَى بِالْإِنْسَانِ الْوَارِمِ وَجْهُهُ ، أَوْ بِالْبَهِيمَةِ الْوَارِمَةِ الصَّرْعُ ، فَيَتَّقِلُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَيَقُولُ : بِسْمِ اللَّهِ ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَيَقُولُ عَلَى مَوْضِعِ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَمْسَحُهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ ذِيَالٌ : فَيَذْهَبُ الْوَرْمُ " (١) .

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/٣١٩ برقم ١٩٩٩٨) ، النسائي في السنن الكبرى (١/٤٤٦ برقم ١٤٢٤) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/٣٧

برقم ٤٧٨٨) ، الطيالسي في المسند (١/٤١٣ برقم ٥١٤) .

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١/٤٠٣ برقم ٨١٨) .

ومن شدة حرصهم رضوان الله عليهم على الجزء المسوح عليه من شعر الرأس كانوا لا يجزونه بل تركوه يسترسل حتى بلغ الأرض ، ومن ذلك ما رواه الحاكم بسنده عن صفية بنت مجزأة عن صفية بنت مجزأة، أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ وَرَةَ، كَانَتْ لَهُ قُصَّةٌ فِي مُقَدِّمِ رَأْسِهِ إِذَا قَعَدَ أَرْسَلَهَا فَتَبْلُغُ الْأَرْضَ فَقَالُوا لَهُ: أَلَا تَحْلِقُهَا؟ فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ عَلَيْهَا بِيَدِهِ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَحْلِقُهَا حَتَّى أَمُوتَ» فَلَمْ يَحْلِقُهَا حَتَّى مَاتَ (١) .  
وعن أنس بن مالك، قَالَ: كَانَتْ لِي ذُؤَابَةٌ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: لَا أَجْزُهَا، «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُمَدُّهَا، وَيَأْخُذُ بِهَا» (٢) .

قال الإمام الذهبي : " وقد كان ثابت البناني إذا رأى أنس بن مالك أخذ يده فقبلها ، ويقول : يد مسّت يد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فنقول نحن إذ فاتنا ذلك : حجرٌ مُعْظَمٌ بمنزلة يمين الله في الأرض مسّته شفقتنا نبيّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاثماً له ، فإذا فاتك الحجّ وتلقيت الوفد فالتزم الحاج وقبل فمه ، وقُل : فَمِ مَسَّ بالتقبيل حجراً قبله خليلي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) .

وروى مسلم بسنده عن أبي أيوب أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزل عليه ... فكان يصنع للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طعاماً ، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه ، فيتتبع موضع أصابعه (٤) ...  
قال الإمام النووي : " قوله : فكان يصنع للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طعاماً ، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه فيتتبع موضع أصابعه يعني : إذا بعث إليه فأكل من حاجته ثم ردّ الفضلة أكل أبو أيوب من موضع أصابع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبركاً ، ففيه التبرُّك بآثار أهل الخير في الطَّعام وغيره (٥) .  
وتبرُّك الصَّحابة رضوان الله عليهم بشعره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ... فقد ثبت في الصَّحاح أنّ الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا يتبرَّكون بشعره في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرَّهم على ذلك ...

(١) أخرجه أحمد (٦٧/٥) برقم (٢٠٩٤١) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/٦٣٢) برقم (٦٢٥٨) ، الطبراني في المعجم الكبير (٧/١٧٦) برقم (٦٧٤٦) .

(٣) أخرجه أبو داود (٤/٨٤) برقم (٤١٩٦) ، البيهقي في الآداب (ص ٢٣٢) ، شعب الإبان (٨/٤٤٢) برقم (٦٠٦٦) ، البغوي في شرح السنّة (١٠١/١٢) .

(٤) انظر : سير أعلام النبلاء (٤/٤٣) .

(٥) أخرجه مسلم (٣/١٦٢٣) برقم (٢٠٥٣) ، أبو عوانة في المسند (٥/٢٠٠) برقم (٨٣٩١) ، البيهقي في دلائل النبوة (٢/٥٠٩) .

(٦) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، النووي ، (١١/١٤) .

فَعَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَلَقَ رَأْسَهُ كَانَ أَبُو طَلْحَةَ  
 أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ مِنْ شَعْرِهِ (١) .

قال الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) في تعليقه على الحديث : " وفيه التبرُّك بشعره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وجواز  
 اقتنائه " (٢) .

وكان الصَّحابة رضوان الله عليهم يحرصون أشدَّ الحرص على اقتناء شعره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ففي  
 صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : " لقد رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحلاق  
 يخلق ، وأطاف به أصحابه ، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل " (٣) .

قال الإمام النووي (٦٧٦هـ) معلقاً عليه : " وفيه التبرُّك بآثار الصَّالحين ، وبيان ما كانت الصَّحابة عليه من  
 التبرُّك بآثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتبرُّكهم بشعره الكريم ، وإكرامهم إيَّاه أن يقع شيء منه إلا في يد رجلٍ سبق  
 إليه " (٤) .

وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد يعنبي ابن سيرين عن أنس قال لما حلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 رأسه بمنى أخذ شق رأسه الأيمن بيده ، فلما فرغ ناولني ، فقال : يا أنس انطلق بهذا إلى أم سليم ، فلما رأى  
 الناس ما خصها به من ذلك ، تنافسوا في الشق الآخر ، هذا يأخذ الشيء ، وهذا يأخذ الشيء ، قال محمد :  
 فحدثته عبيدة السلماني ، فقال : لأن يكون عندي منه شعرة أحب إلي من كل صفراء وبيضاء أصبحت على وجه  
 الأرض وفي بطنها " (٥) .

قال الإمام الذهبي معلقاً على هذا الأثر : " قلت : هذا القول من عبيدة هو معيار كمال الحب ، وهو أن  
 يوتر شعرة نبوية على كل ذهب وفضة بأيدي الناس ، ومثل هذا يقوله هذا الإمام بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 بخمسين سنة ، فما الذي نقوله نحن في وقتنا لو وجدنا بعض شعره بإسناد ثابت ، أو شسع نعل كان له ، أو  
 قلامة ظفر ، أو شقفة من إناء شرب فيه ، فلو بذل الغني معظم أمواله في تحصيل شيء من ذلك عنده ، أكنت

(١) أخرجه البخاري (٤٥/١) برقم (١٧١) .

(٢) انظر : فتح الباري (١/٢٧٤) .

(٣) أخرجه مسلم ، (٤/١٨١٢) .

(٤) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٨٢) .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٢١/٢٥٤ برقم ١٣٦٨٥) .

تعدّه مبذراً أو سفيهاً؟ كلا فابذل مالك في زورة مسجده الذي بني فيه بيده والسلام عليه عند حجرته في بلده ، والتدبُّ بالنظر إلى أحمده وأحبه ، فقد كان نبيُّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبئه ، وتمتلاً بالحلول في روضته ومقعده ، فلن تكون مؤمناً حتى يكون هذا السيّد أحبّ إليك من نفسك وولدك وأموالك والنّاس .

وقبل حجرًا مكرّمًا نزل من الجنّة ، وضع فمك لاثماً مكاناً قبله سيّد البشر بيقين ، فهنأك بها أعطاك ، فما فوق ذلك مفخر ، ولو ظفرنا بالمحجن الذي أشار به الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الحجر ثمّ قبل محجنه ، لحقّ لنا أن نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل ، ونحن ندرى بالضرورة أن تقبيل الحجر أرفع وأفضل من تقبيل محجنه ونعله " (١) .

وعن أنس بن مالك ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى منى ، فأتى الجمرة فرماها ، ثمّ أتى منزله بمنى ونحر ، ثمّ قال للحلّاق : خذ ، وأشار إلى جبينه الأيمن ، ثمّ الأيسر ، ثمّ جعل يعطيه النّاس (٢) .  
 وورد في الصّحيح أن الصّحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا إذا ما حزبهم أمرٌ تبرّكوا بشعره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكانوا يجعلون شعره في قدح من ماء ثمّ يشربونه ، فيشفون بإذن الله تعالى...

فقد روى البخاري بسنده عن إسرائئيل ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب ، قال : أُرْسَلَنِي أَهْلِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ - وَقَبْضِ إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَ أَصَابِعٍ مِنْ قُصَّةٍ - فِيهِ شَعْرٌ مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ إِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ عَيْنٌ أَوْ شَيْءٌ بَعَثَ إِلَيْهَا مَخْضَبُهُ ، فَاطْلَعَتْ فِي الْجُلْجُلِ ، فَرَأَيْتُ شَعْرَاتِ حُمْرًا " (٣) .

قال الإمام الكرمانى (٧٨٦هـ) : " كان عند أم سلمة شعرات من شعر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمر في شيء مثل الجلجل ، وكان النّاس عند مرضهم يتبرّكون بها ويستشفون من بركتها ، فتارة يجعلونها في قدح من الماء ، فيشربون الماء الذي هي فيه ، وتارة يجعلونها في إجانة من الماء فيجلسون في الماء الذي فيه تلك الجلجلة التي فيها الشّعْر ، وكان لأهل عثمان إجانة كبيرة لاثقة بالجلوس فيها ، فكان يبعث بها إليها عند الحاجة إليها " (٤) .

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٤/٤٢) .

(٢) أخرجه مسلم (٢/٩٤٧ برقم ١٣٠٥) ، البيهقي في السنن الكبرى (٥/١٦٨ برقم ٩٤٠٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٧/١٦٠ برقم ٥٨٩٦) .

(٤) انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢١/١١٣) ، وانظر : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٨/٤٦٥) .

فَالصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ تَوَسَّلُوا بِبِرْكَهٖ شَعْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلِبًا لِلشِّفَاءِ ، وَكَانَ هَذَا قِطْعًا  
بَعْدَ انْتِقَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، فَكَيْفَ يُنْكَرُ مِنْ يَدْعُونَ السَّلْفِيَّةَ التَّوَسُّلَ بِأَثَارِهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...!!!؟

فَتَوَسَّلَ الصَّحَابَةُ كَانِ بَعْضُ ذَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدْ تَوَسَّلُوا بِهِ لِدَفْعِ الْعَيْنِ وَمَا شَابَهُ ... فَهَلْ  
تُدْفَعُ الْعَيْنُ بِذَاتِ الشَّعْرِ وَلَا تُدْفَعُ بِذَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟؟

وَقَالَ الْحَافِظُ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَجْرٍ أَبُو الْفَضْلِ الْعَسْقَلَانِيُّ الشَّافِعِيُّ (٨٥٢هـ) : " وَالْمُرَادُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ اشْتَكَى  
أَرْسَلَ إِذَا إِلَى أُمَّ سَلْمَةَ فَتَجْعَلُ فِيهِ تِلْكَ الشَّعْرَاتِ وَتَغْسِلُهَا فِيهِ ، وَتَعِيدُهُ فَيُشْرِبُهُ صَاحِبُ الْإِنَاءِ أَوْ يَغْتَسِلُ بِهِ  
اسْتِشْفَاءً بِهَا ، فَتَحْصُلُ لَهُ بِرْكَتُهَا " (١) .

وَالرُّوَايَاتُ فِي حِرْصِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَلَى اقْتِنَاءِ شَعْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ كَثِيرَةٌ ، مِنْ ذَلِكَ  
مَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ بِسَنَدِهِمْ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَقَدَ قَلَنْسُوَةَ لَهُ يَوْمَ  
الْيَرْمُوكِ ، فَقَالَ : اطْلُبُوهَا فَلَمْ يَجِدُوهَا ثُمَّ طَلَبُوهَا فَوَجَدُوهَا ، وَإِذَا هِيَ قَلَنْسُوَةُ خَلِيقَةٌ ، فَقَالَ خَالِدٌ : اعْتَمَرَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ ، وَابْتَدَرَ النَّاسُ جَوَانِبَ شَعْرِهِ ، فَسَبَقْتَهُمْ إِلَى نَاصِيَتِهِ فَجَعَلَتْهَا فِي هَذِهِ  
الْقَلَنْسُوَةَ ، فَلَمْ أَشْهَدْ قِتَالًا وَهِيَ مَعِيَ إِلَّا رُزِقْتُ النَّصْرَ " (٢) .

وَفِي الْأَثَرِ تَوَسَّلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِشَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ تَوَسَّلَ بِبَعْضِ ذَاتِ  
النَّبِيِّ لَجَلْبِ الْبَرَكَةِ مِنْ أَثَرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : لَمَّا احْتَضَرَ مَعَاوِيَةَ ، قَالَ : إِنِّي كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا ، وَإِنِّي دَعَوْتُ بِمَشْقُصٍ ، فَأَخَذْتُ مِنْ شَعْرِهِ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا أَنَا مَتُّ فَاخَذُوا  
ذَلِكَ الشَّعْرَ ، فَاحْشُوا بِهِ فَمَيِّ وَمَنْخَرِي " (٣) .

وَرَوَى ابْنُ الْجَوْزِيِّ بِسَنَدِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ شَعْرَةً مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ فَيَضَعُهَا عَلَى فِيهِ وَيَقْبَلُهَا ، وَأَحْسَبُ أَنَّ رَأْيَتَهُ يَضَعُهَا عَلَى عَيْنَيْهِ ، وَيَغْمِسُهَا فِي الْمَاءِ ثُمَّ يَشْرِبُهُ يَسْتَشْفِي بِهِ

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣٥٣/١٠) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/١٠٤ برقم ٣٨٠٤) ، الحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٣/٣٣٨ برقم ٥٢٩٩) ، البيهقي في دلائل  
النبوۃ (٦/٢٤٩) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٣/١٥٨) .

، ورأيته قد أخذ قصعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فغسلها في حب الماء ثم شرب فيها ، ورأيته غير مرة يشرب ماء زمزم يستشفي به ويمسح به بدنه ووجهه (١) .

وقال الإمام الذهبي (٥٧٤٨هـ) : " قال الخلال : أخبرني عصمة بن عصام ، حدثنا حنبل ، قال : أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله ، وهو في الحبس ثلاث شعرات ، فقال : هذه من شعر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يجعل على كل عين شعرة ، وشعرة على لسانه ، ففعل ذلك به عند موته (٢) .

وفي ترجمته للإمام البخاري نقل الإمام الذهبي عن محمد الوراق ، قال : دخل أبو عبد الله بفربر الحمام ، وكنت أنا في مشلح الحمام ، أتعاهد عليه ثيابه ، فلما خرج ناولته ثيابه ، فلبسها ، ثم ناولته الخف ، فقال : مَسَسْتُ شيئاً فيه شعر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقلت : في أي موضع هو في الخف فلم يخبرني ، فتوهَّمت أنه في ساقه بين الظَّهارة والبطانة " (٣) .

وتبرَّك الصَّحابة رضوان الله عليهم بريقه وبصاقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته وبعد انتقاله إلى الرَّفِيق الأعلى ...

فقد روى البخاري بسنده عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : أنَّها حملت بعبد الله بن الزُّبير بمكَّة ، قالت : فخرجت وأنا متَّم ، فأتيت المدينة فنزلت قباء فولدت بقاء ، ثم أتيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضعه في حجره ، ثم دعا بتمر فمضغها ، ثم تفل في فمه ، فكان أوَّل شيء دخل جوفه ريق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم حنكه بالتمر ، ثم دعا له فبرَّك عليه ، وكان أوَّل مولود ولد في الإسلام ، وفرحوا به فرحاً شديداً ، لأنَّهم قيل لهم : إنَّ اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم (٤) .

قال الإمام النووي (٥٦٧٦هـ) : " وفي هذا الحديث فوائد ... ومنها : التبرُّك بآثار الصَّالحين وريقهم وكل شيء منهم " (٥) .

(١) مناقب الإمام أحمد (ص ١٨٧) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٣٧) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٥٣) .

(٤) أخرجه أخرجه البخاري (٧/ ٨٤ برقم ٥٤٦٩) .

(٥) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ١٢٤) .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ ابْنُ لَأْبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقَبِضَ الصَّبِيَّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ، قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي، قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ، فَفَرَّبْتُ إِلَيْهِ الْعِشَاءَ فَتَعَشَى، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا، فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: "أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهَا" فَوَلَدَتْ غُلَامًا، قَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: أَحْفَظْهُ حَتَّى تَأْتِي بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَرْسَلَتْ مَعَهُ بَتَمَرَاتٍ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "أَمَعُهُ شَيْءٌ؟" قَالُوا: نَعَمْ، تَمَرَاتٌ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَضَعَهَا، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ فِيهِ، فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ وَحَنَكَهُ بِهِ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ" (١).

وعن مالك بن حمزة بن أبي أسيد السَّاعدي الخزرجي، عن أبيه، عن جدِّه أبي أسيد وله بئر بالمدينة يقال لها: بئر بضاعة، قد بصق فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو يشرها ويتمن بها (٢).  
 وتبرَّك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم بعرِّفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى...

فقد روى مسلم وغيره بسندهم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا، وَلَيْسَتْ فِيهِ، قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا، فَأُتِيَتْ فَقِيلَ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ فِي بَيْتِكَ، عَلَى فِرَاشِكَ، قَالَ فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ، وَاسْتَنْفَعَ عَرْفُهُ عَلَى قِطْعَةِ أُدِيمٍ، عَلَى الْفِرَاشِ، فَفَتَحَتْ عَيْدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعَصْرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا، فَفَزِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا تَصْنَعِينَ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرُجُو بَرَكَتَهُ لِصَبِيَانِنَا، قَالَ: «أَصَبَتْ» (٣).  
 وعن أنس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَامَ عَرِقَ، فَتَأْخُذُ أُمُّ سُلَيْمٍ عَرْفَهُ بِقِطْنَةٍ، فَتَجْعَلُهَا فِي مَسْكِهَا (٤).

(١) أخرجه البخاري، (٧/ ٨٤ برقم ٥٤٧٠)، مسلم (٣/ ١٦٨٩ برقم ٢١٤٤)، البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣٨٢ برقم ٨٦٣١).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٦٣ برقم ٥٨٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٢١ برقم ١٣٣٤٣) مسلم (٤/ ١٨١٥ برقم ٢٣٣١)، قال الأرئوط في تخريجه لأحاديث المسند: "إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وأخرجه مسلم (٢٣٣١) (٨٤) عن محمد بن رافع، عن حجيج بن المثنى، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطيالسي (٢٠٧٨)، ومن طريقه البيهقي ١/ ٢٥٤ عن عبد العزيز بن أبي سلمة، به.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٣٠ برقم ١٣٤٤٢).

وفي ترجمة أم سليم روى الذهبي عن محمد بن سيرين قوله : فاستوهبت من أم سليم من ذلك المسك ، فوهبت لي منه ... ولما مات محمد بن سيرين حنط بذلك المسك (١) .

وأخرج أبو يعلى والطبراني من حديث أبي هريرة في قصة الذي استعان به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تجهيز ابنته : فلم يكن عنده شيء ، فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه ، وقال له : مرها فلتطيب به ، فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة رائحة الطيب فسُموا بيت المطيبين (٢) .

وروى البزار بإسناد صحيح عن أنس : - كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مرَّ في طريق من طرق المدينة وجد فيه رائحة المسك ، فيقال مرَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) .

وقد عقب الحافظ ابن حجر على ما جاء في قصة أم سليم ، فقال : " ويُستفاد من هذه الروايات اطلاع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على فعل أم سليم وتصويبه ، ولا معارضه بين قولها أنّها كانت تجمع له لأجل طيبه ، وبين قولها للبركة ، بل يحمل على أنّها كانت تفعل ذلك للأمرين معاً " (٤) .

وتبرّك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم بقاء وضوئه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... روى الشيخان بسندهما عن أبي جحيفة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال : " خرج علينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهاجرة ، فأتي بوضوء فتوضأ ، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به " (٥) .

قال الحافظ ابن حجر : " وقوله : " يأخذون من فضل وضوئه " ، كأنهم اقتسموا الماء الذي فضل عنه ، ويحتمل أن يكونوا تناولوا ما سال من أعضاء وضوئه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٦) .  
قلت : وما أخذوا فضل وضوئه وما سال عن أعضائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا ليتبرّكوا به ...

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٢/٣٠٧) .

(٢) أخرجه أبو يعلى في المعجم (ص ١١٧ برقم ١١٨) ، الطبراني في الأوسط (٣/١٩٠ برقم ٢٨٩٥) .

(٣) أخرجه البزار في المسند (١٣،٤٠٦ برقم ٧١١٨) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٧/١٢٩ برقم ٢٥٦٠) ، وانظر : فتح الباري (٦/٥٧٣-٥٧٤) ، وانظر : مجمع الزوائد (٨/٣٦٠ برقم ١٤٠٥٣) .

(٤) انظر : فتح الباري (١١/٧٢) .

(٥) أخرجه البخاري (١/٤٩ برقم ١٨٧) ، ابن الجعد في المسند (ص ٤٠ برقم ١٣٧) .

(٦) انظر : فتح الباري (١/٢٩٥) .

ولشدة حرص الصحابة رضوان الله عليهم على ماء وضوئه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كادوا يقتتلون على وضوئه ، فقد جاء في حديث صلح الحديبية أن عروة بن مسعود رضي الله عنه ، قال عن الصحابة الكرام : " وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه " (١) .

وجاء في الصحيح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُرشد أصحابه إلى الحرص على التبرُّك بهاء وضوئه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ....

فقد روى الشيخان بسندهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال : دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقدر فيه ماء ، فغسل يديه ووجهه فيه ، ومجَّ فيه ، ثم قال : اشربا (يقصد بلال وأبي موسى) منه ، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وابشرا . فأخذ القدر ففعلا ، فنادت أم سلمة من وراء الستر : أن أفضلا لأمكما ، فأفضلا لها منه " (٢) .

وعن طلق بن علي قال : وفدنا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما ودعنا أمرني فأتيته بإداوة من ماء ، فحثا منها ، ثم مجَّ فيها ثلاثاً ، ثم أوكأها ، ثم قال : اذهب بها وانضح مسجد قومك ، وأمرهم أن يرفعوا برؤوسهم أن رفعها الله ، قلت : أن الأرض بيننا وبينك بعيدة ، وأنتها تيس ، قال : فإذا يبست فمدّها (٣) . قال الطيبي : " وفيه جواز التبرُّك بهاء زمزم ونقله إلى البلاد الشاسعة " (٤) .

قال السيد محمد بن علوي المالكي (١٣٩١هـ) : " وهذا الحديث من الأصول المعتمدة المشتهرة الدالة على مشروعية التبرُّك به وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه ، فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ وضوئه ثم جعله في إناء ثم أمرهم أن يأخذوه معهم إجابة لطلبهم وتحقيقاً لمرادهم ، فلا بد أن هناك سراً قوياً متمكناً في نفوسهم دفعهم إلى طلب هذا الماء بخصوصه ، والمدينة مملوءة بالمياه ، بل وبلادهم مملوءة بالماء ، فلم هذا التعب والتكلف في حمل قليل من الماء من بلد إلى بلد مع بُعد المسافة وطول السفر وحرارة الشمس ؟

(١) أخرجه البخاري (٣/١٩٣ برقم ٢٣١٧) ، أحمد في المسند (٤/٣٢٩ برقم ١٩١٣٦) ، ابن حبان (١١/٢٢١ برقم ٤٨٧٢) ، الطبراني في الكبير (٢٠/٩ برقم ١٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (٩/٣٦٦ برقم ١٨٨٠٧) ، شعب الإبان (٢/١٩٩ برقم ١٤٣٣) ، عبد الرزاق في المصنف (٥/٣٣٠ برقم ٨٧٢٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٥/١٥٧ برقم ٤٣٢٨) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤/٢٣ برقم ١٦٤٠٢) .

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٢/٢٨٢) .

نعم كل ذلك لم يهتهم ، لأن المعنى الذي يحملة هذا الماء يهون عليهم كل مشقة ، ألا وهو التبرك به وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه ، وهو لا يوجد في بلدهم ولا يتوافر على كل حال عندهم ، ويتأكد تأييده لهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضاه عن فعلهم بجوابه لهم لما قالوا : أن الماء ينشف لشدة الحر ، إذ قال لهم : " مدوه من الماء " ، فبين لهم أن بركته التي حلت في الماء لا تزال باقية مهها زادوا فيه فهي مستمرة متصلة " (١) .

وفي الصحيحين عن محمد بن المنكدر ، قال : سمعت جابراً يقول : جاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعودني ، وأنا مريض لا أعقل ، فتوضأ وصب علي من وضوئه ، فعقلت ، فقلت : يا رسول الله لمن الميراث ؟ إنما يرثني كلاله ، فنزلت آية الفرائض (٢) .

قال الإمام النووي في تعليقه على هذا الحديث : " وفيه التبرك بآثار الصالحين وفضل طعامهم وشرابهم ، ونحوهما ، وفضل مؤاكلتهم ومشاربتهم ونحو ذلك ، وفيه ظهور آثار بركة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) . وتبرك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم بشبابه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ...

فقد روى البخاري بسنده عن سهل بن سعد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : جاءت امرأة بريدة ، قال : أتدرون ما البردة ؟ فقيل له : نعم ، هي الشملة ، منسوج في حاشيتها ، قالت : يا رسول الله ، إنني نسجت هذه بيدي أكسوكها ، فأخذها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محتاجاً إليها ، فخرج إلينا وأتمها إزاره ، فقال رجل من القوم ، يا رسول الله ، أكسنيها ، فقال : " نعم " . فجلس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المجلس ، ثم رجع فطواها ، ثم أرسل بها إليه ، فقال له القوم : ما أحسنت مسألتها إيَّاه ، لقد علمت أنه لا يردُّ سائلاً ، فقال الرجل : والله ما سألته إلا لتكون كفني يوم أموت ، قال سهل : فكانت كفيه (٤) .

(١) انظر : مفاهيم يجب أن تصحح (ص ٢٢١-٢٢٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٠/١ برقم ١٩٤) ، البغوي في شرح السنة (٨/٣٣٦ برقم ٢٢١٩) ، البيهقي في السنن الكبرى (١/٣٥٩ برقم ١١١٨) .

(٣) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١١/٥٥) .

(٤) أخرجه البخاري (٧٨/٢ برقم ١٢٧٧) ، ابن أبي شيبة في المسند (١/٩٧ برقم ١١٦) ، أحمد في المسند (٥/٣٣٣ برقم ٢٣٢١٣) ، النسائي في

السنن الكبرى (٨/٤٢١ برقم ٩٥٨٠) ، عبد بن حميد في المسند (١/١٧٠ برقم ٤٦٢) .

فالرّواية اشتملت على توّسل الصّحابي ببركة بردة النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كي ينال بسببها الرّحمات والبركات ، كونها لامست ذاته الشّريفة ، والصّحابي ما سأل البرّدة إلّا لتكون كفته عند موته تبرّكاً بها ، وهو عبد الرّحمن بن عوف ، وقيل هو سعد بن أبي وقاص ، وهما من العشرة المبشّرين بالجنّة (١) .

قال الحافظ ابن حجر: " ورد في الحديث من الفوائد : ... التبرّك بآثار الصّالحين (٢) .

" وعن أبي بردة ، قال : أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها ، كساء ملبّداً ، وقالت : في هذا نزع روح النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وزاد سليمان ، عن حميد ، عن أبي بردة ، قال : أخرجت إلينا عائشة إزاراً غليظاً ممّا يصنع باليمن ، وكساء من هذه التي يدعونها الملبّدة (٣) .

وعن أسماء بنت أبي بكر : أنّها أخرجت جبّة طيالسة كسروانيّة ، لها لبنّة ديباج ، وفرجها مكفوفين بالدّيباج ، فقالت : هذه كانت عند عائشة حتى قبضت ، فلمّا قبضت قبضتها ، وكان النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبسها ، فنحن نغسلها للمرض يستشفى بها (٤) .

فالصّحابة الكرام رضوان الله عليهم توّسلوا ببركة جبّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدفع المرض عنهم وعن المسلمين ، والسّبب أنّها لامست جسده الشّريف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فما كان التّوّسل بالجبّة إلّا لأنّها لامست ذاته الشّريفة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حيث يعمدون إلى غسل جبّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويجعلون من غُسلاتها سيّلاً للاستشفاء ، وهذا كان منهم بعد انتقاله إلى الرّفيق الأعلى ...

ومن المعلوم أنّ الصّحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا ومنّ جاء بعدهم حريصين على اقتناء آثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن ضمنها بردته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حتى أنّ خلفاء بني العبّاس اشتروها بمئات الدّنانير ، وما ذلك إلّا لينعموا ببركة صاحبها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال الإمام ابن كثير : " قال الحافظ البيهقي : وأمّا البرد الذي عند الخلفاء ، فقد روّينا عن محمّد بن إسحق بن يسار في قصّة تبوك أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطى أهل آيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم ،

(١) انظر : هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص ٢٦٨) .

(٢) انظر : فتح الباري (٣/ ٢٤٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٨٣ برقم ٣١٠٨) .

(٤) أخرجه مسلم ، (٣/ ١٦٤١ برقم ٢٠٦٩) ، البيهقي في شعب الإيمان (٨/ ٢٠٧ برقم ٥٧٠٢) .

فاشتره أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار ، يعني بذلك أول خلفاء بني العباس وهو السفاح رحمه الله ، وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلفاً عن سلف ، كان الخليفة يلبسها يوم العيد على كتفيه ، ويأخذ القضيبة المنسوب إليه - صلوات الله وسلامه عليه - في إحدى يديه ، فيخرج عليه من السكينة والوقار ما يصدع به القلوب ، ويبهز الأبصار" (١) .

وتبرك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم بنعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

فقد عقد الإمام البخاري باباً في صحيحه ، سماه : (باب ما ذكر من درع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعصاه ، وسيفه ، وقده ، وخاتمه ، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته ، ومن شعره ونعله وأنيته مما يتبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته) ، وذلك ضمن كتاب (فرض الخمس) .

قلت : وفي قول البخاري (مما يتبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته) ما يشير إلى أن الصحابة وغيرهم تبركوا بعصاه وبنعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

ثم ذكر عدداً من الأحاديث التي ساقها ضمن هذا الباب ، منها : " عن عيسى بن طهمان ، قال : أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين لهما قبالاتان ، فحدثني ثابت البناني بعد عن أنس أنها نعلا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) .

وقد بالغ الناس في المحافظة على آثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أنهم حفظوها وحافظوا عليها في أماكن خاصة ، وكانت من ضمن ما يتبرك به ....

فقد ذكر الحافظ الذهبي في ترجمة شداد بن أوس أن نعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت زوجاً ، خلفها شداد عند ولده ، فصارت إلى محمد بن شداد ، فلما أن رأته أخته خزرج ما نزل به وبأهله ، جاءت ، فأخذت فرد النعلين ، وقالت : يا أخي ، ليس لك نسل ، وقد رزقت ولداً ، وهذه مكرمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحبُّ أن تشرك فيها ولدي ، فأخذتها منه (٣) .

وقال الحافظ ابن كثير : " واشتهر في حدود سنة ستمائة وما بعدها عن رجلٍ من التجار ، يقال له : ابن أبي الحدود ، نعل مفردة ذكر أنها نعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فسامها الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي

(١) انظر : البداية والنهاية (١٠/٦) ، وانظر : دلائل النبوة (٧/٢٣١٨) برقم (٣٣٣٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٤/٨٣ برقم ٣١٠٧) ، البغوي في شرح السنة (١٢/٧٣ برقم ٣١٥٢) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٢/٤٦٣) .

بكر بن أيوب منه بهال جزيل فأبى أن يبيعهما ، فاتفق معه بعد حين ، فصارت إلى الملك الأشرف المذكور ، فأخذها إليه وعظّمها ، ثمّ لما بني دار الحديث الأشرفيّة إلى جانب القلعة ، جعلها في خزانه منها ، وجعل لها خادماً ، وقرر له من المعلوم كلّ شهر أربعون درهماً ، وهي موجودة إلى الآن في الدّار المذكورة (١) .

وتبرّك الصّحابة الكرام رضوان الله عليهم بقصعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

قال القاضي عياض : " وحدثنا القاضي أبو عليّ عن شيخه أبي القاسم بن المأمون ، قال : كانت عندنا قَصْعَةٌ مِنْ قِصَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... فَكُنَّا نَجْعَلُ فِيهَا الْمَاءَ لِلْمَرْضَى فَيَسْتَشْفُونَ بِهَا ... وَأَخَذَ جَهْجَاهُ الْغِفَارِيُّ الْقَضِيبَ مِنْ يَدِ عُمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِيَكْسِرَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَصَاحَ النَّاسُ بِهِ فَأَخَذَتْهُ فِيهَا الْأَكِلَةُ فَقَطَعَهَا وَمَاتَ قَبْلَ الْحَوْلِ " (٢) .

وذكر عبد الله بن أحمد أنّه رأى أباه أخذَ قَصْعَةَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَعَسَلَهَا فِي حُبِّ الْمَاءِ ، ثُمَّ شَرِبَ فِيهَا ، وَرَأَيْتُهُ يَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ يَسْتَشْفِي بِهِ ، وَيَمْسُحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ (٣) .

وتبرّك الصّحابة الكرام رضوان الله عليهم بقدحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

فقد أخرج الشّيخان بسندهما عن سهل بن سعد الساعدي ، قال : أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقدر فشرّب منه ، وعن يمينه غلام أصغر القوم ، والأشياخ عن يساره ، فقال : " يا غلام ، تأذن لي أن أعطيه الأشياخ " ، قال : ما كنت لأوثر بفضلٍ منك أحداً يا رسول الله ، فأعطاه إيّاه (٤) .

ومن المعلوم أنّ الإيثار خلقٌ إسلاميٌّ رفيعٌ ، جاء ذكره في الكتاب العزيز ، ومع ذلك لم تسمح نفس ذلك الغلام بأن يؤثر الأشياخ بفضل شرب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل خصّ بها نفسه ، وأقرّه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يعنّفه ، لأنّ مثل هذه الواقعة قد لا تتكرّر بالنسبة لذلك الغلام الذي كان بشوق شديد للتبرّك بفضل شرب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

وفي صحيحه فتح الإمام البخاري باباً سمّاه : (باب الشرب من قدح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآنيته) ضمن كتاب الأشربة ، روى فيه حديثين هما :

(١) انظر : البداية والنهاية (٨/٦) .

(٢) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/٦٣٨) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/٢١٢) .

(٤) أخرجه البخاري (٣/١٠٩ برقم ٢٣٥١) ، أبو عوانة في المسند (٥/١٥٨ برقم ٨٢٣٣) .

" عن سهل بن سعد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : ذُكِرَ لِلنَّبِيِّ امْرَأَةٌ ... وفيه : فَأَقْبَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ حَتَّى جَلَسَ فِي سَقِيْفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، ثُمَّ قَالَ : اسْقِنَا يَا سَهْلُ ، فَأَخْرَجَتْ لَهُمْ هَذَا الْقَدَحَ فَأَسْقَيْتَهُمْ مِنْهُ ، فَأَخْرَجَ لَنَا سَهْلٌ ذَلِكَ الْقَدَحَ فَشَرِبْنَا مِنْهُ ، وَقَالَ : ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ ذَلِكَ فَوَهَبَهُ لَهُ " (١) .

قال الحافظ ابن حجر : قوله : " باب الشُّرْبِ مِنْ قَدَحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، أي : تَبَرُّكًا بِهِ " (٢) .  
وقال أيضاً : " وفي الحديث التَّبَسُّطُ عَلَى الصَّاحِبِ وَاسْتِدْعَاءُ مَا عِنْدَهُ مِنْ مَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ ، وَتَعْظِيمُهُ بِدَعَائِهِ بِكُنْيَتِهِ وَالتَّبَرُّكُ بِأَثَارِ الصَّالِحِينَ " (٣) .

وقال الإمام النووي (٦٧٦هـ) : " قَوْلُهُ (فَأَخْرَجَ لَنَا سَهْلٌ ذَلِكَ الْقَدَحَ فَشَرِبْنَا مِنْهُ قَالَ ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَوَهَبَهُ لَهُ) - يَعْنِي الْقَدَحَ الَّذِي شَرِبَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هَذَا فِيهِ التَّبَرُّكُ بِأَثَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا مَسَّهُ أَوْ لَبَسَهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ فِيهِ سَبَبٌ ، وَهَذَا نَحْوُ مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ وَأَطْبَقَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ عَلَيْهِ مِنَ التَّبَرُّكِ بِالصَّلَاةِ فِي مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرَّوَضَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَدُخُولِ الْغَارِ الَّذِي دَخَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَبَّرَ ذَلِكَ ، وَمِنْ هَذَا إِعْطَاؤُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا طَلْحَةَ شَعْرَهُ لِيَقْسِمَ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ وَإِعْطَاؤُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِقْوَةَ لَتُكْفَنَ فِيهِ بِنْتُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، وَجَعَلَهُ الْجُرَيْدِيُّ عَلَى الْقَبْرَيْنِ ، وَجَمَعَتْ بِنْتُ مِلْحَانَ عَرَقَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَمَسَّحُوا بِوُضُوئِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلَّكُوا وَجُوهَهُمْ بِنَخَامَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَشْبَاهُ هَذِهِ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي الصَّحِيحِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ وَاضِحٌ لِاشْتِكَائِهِ فِيهِ " (٤) .

وقال الإمام الكنكوهي : " وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ اسْتِهَابُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ هَذَا الْقَدَحَ مِنْ سَهْلٍ لِأَنَّهُ إِنَّمَا اسْتَوْهَبَهُ مِنْهُ لِكَوْنِهِ فِي الْأَصْلِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَجْلِ التَّبَرُّكِ بِهِ ، وَهَذَا شَيْءٌ ظَاهِرٌ لَا يَخْفَى " (٥) .

(١) أخرجه البخاري (٧/١١٣) برقم (٥٦٣٧) .

(٢) انظر : فتح الباري (١٠/٩٩) .

(٣) انظر : فتح الباري (١٠/١٠٠) .

(٤) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/١٧٨-١٧٩) .

(٥) انظر : لامع الدراري شرح البخاري (٩/٤٦٥) .

وعن عاصم الأحول ، قال : رأيت قدح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند أنس بن مالك ، وكان قد انصدع فسلسله بفضة ، قال : وهو قدح جيد عريض من نضار ، قال : قال أنس : لقد سقيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا القدح أكثر من كذا وكذا (١) .

وقال الحافظ ابن حجر : " قال علي بن الحسن (٢١١هـ) : وأنا رأيت القدح وشربت منه . وذكر القرطبي في مختصر البخاري أنه رأى في بعض النسخ القديمة من صحيح البخاري : قال أبو عبد الله البخاري : رأيت هذا القدح بالبصرة وشربت منه " (٢) .

كما روى البخاري تعليقاً قول أبي بردة ، قال : قال لي عبد الله بن سلام . ألا أسقيك في قدح شرب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه (٣) .

فانظر إلى الصحابي الجليل ابن سلام كيف يرغب إلى أبي بردة أن يسقيه من قدح شرب فيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وما ذلك إلا ليحظى الشارب بخير وبركة الشرب من قدح شرب فيها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

وروى أحمد في المسند بسنده عن حجاج بن حسان ، قال : كُنَّا عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، " فَدَعَا بِإِنَاءٍ وَفِيهِ ثَلَاثُ ضَبَابٍ حَدِيدٍ ، وَحَلَقَةٌ مِنْ حَدِيدٍ ، فَأُخْرِجَ مِنْ غِلَافٍ أَسْوَدَ ، وَهُوَ دُونَ الرَّبْعِ وَفَوْقَ نِصْفِ الرَّبْعِ ، " فَأَمَرَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَجَعَلَ لَنَا فِيهِ مَاءً ، فَأَتَيْنَا بِهِ فَشَرِبْنَا وَصَبَبْنَا عَلَى رُءُوسِنَا وَوُجُوهِنَا ، وَصَلَّيْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٤) .

فانظر إلى الصحابة والتابعين كيف تبركوا بالإناء الذي شرب فيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكيف أنهم صبوا الماء على رؤوسهم تبركاً به ....

وتبرك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم بقبره وبمنبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

فقد جاء في الصحاح أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حين أدركته الوفاة بعدما طعن ، أرسل ولده عبد الله إلى السيدة عائشة رضي الله عنها يستأذنها في أن يدفن بجوار صاحبيه : سيدنا رسول

(١) أخرجه البخاري (٧/١١٣ برقم ٥٦٣٨) .

(٢) انظر : فتح الباري (١٠/١٠٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٧/١١٣) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢٠/٢٧٧ برقم ١٢٩٤٨) ، قال الأرئوط في تخريج الحديث : " إسناده قوي .

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وصاحبه أبي بكر الصديق ، لدرجة أن عبد الله حين رجع بعدما استأذن السيدة عائشة رضي الله عنها ، نسي الفاروق جراحه وآلامه وابتدر ولده بالسؤال : ما لديك يا عبد الله ، وعندما أخبره ولده عبد الله بموافقتها على طلبه ، قال : ما كان شيء أهم إليّ من ذلك المضجع ...

فقد روى البخاري بسنده عن عمرو بن ميمون الأوديّ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، أَذْهَبَ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقُلْتُ: يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْكَ السَّلَامَ، ثُمَّ سَلَهَا، أَنْ أَذْفَنَ مَعَ صَاحِبِي، قَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي فَلَأَوْثَرْتُهُ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قَالَ: لَهُ مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: أَذِنْتُ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: " مَا كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَضْجَعِ، فَإِذَا قُبِضْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلَّمُوا، ثُمَّ قُلْتُ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنْتُ لِي، فَادْفِنُونِي، وَإِلَّا فَرُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ... " (١) .

قال الحافظ ابن حجر : " وفيه الحرص على مجاورة الصالحين في القبور طمعاً في إصابة الرحمة إذا نزلت عليهم وفي دعاء من يزورهم من أهل الخير " (٢) .

فحرص سيّدنا عمر رضي الله عنه على أن يُدفن في جوار الحبيب ليس إلّا لتناله بركة سيّد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فبركته ميتاً وبركته حياً ، وبركته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تنقطع بانتقاله إلى الرفيق الأعلى ... وفي دفن أبي بكر وعمر في حجرة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ردُّ على ابن تيمية والألباني في زعمهما أن الدفن في البناء من خصوصيات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) . وهو في ذلك مقلد لابن تيمية (٤) .

وهم في ذلك مخالفون لأكثر العلماء كما قال الإمام ابن رجب ، قال : " وأكثر العلماء على جواز الدفن في البيوت ، ووصى يزيد بن عبد الله بن الشخير أن يُدفن في داره ، فُدفن فيها ، وشهد الحسن جنازته ، ولم ينكر ذلك أحد " (٥) .

(١) أخرجه البخاري (٢/١٠٣ برقم ١٣٩٢) .

(٢) انظر : فتح الباري (٣/٢٥٨) .

(٣) انظر : تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص٣٦) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/١٩٠) .

(٥) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/٢٣٣) .

ومن الجدير بالذكر هأنه روي عن السيِّدة عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت لِأبي بَكْرٍ: " رَأَيْتُ ثَلَاثَةَ أَقْفَارٍ سَقَطْنَ فِي حُجْرَتِي ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يُدْفَنُ فِي بَيْتِكَ ثَلَاثَةٌ هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ " . قَالَ يَحْيَى : فَسَمِعْتُ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قُبِضَ فِي بَيْتِهَا ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَحَدُ أَقْفَارِكِ ، وَهُوَ خَيْرُهَا " (١) .

وعلى كُلِّ حالٍ فَإِنَّ حَرَصَ عَمْرٍ رضي الله عنه على أن يُدفن بجوار صاحبيه لم يكن إِلَّا لتناله بركة الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد روي التَّبْرُكُ بقبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن غير واحد من الصَّحابة رضوان الله عليهم ، فقد روى أحمد في المسند بسنده عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي صَالِحٍ ، قَالَ : أَقْبَلَ مَرَوَانَ يَوْمًا فَوَجَدَ رَجُلًا وَاضِعًا وَجْهَهُ عَلَى الْقَبْرِ ، فَقَالَ : أَتَدْرِي مَا تَصْنَعُ؟ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فِإِذَا هُوَ أَبُو أَيُّوبَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ آتِ الْحَجَرَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " لَا تَبْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ أَهْلُهُ ، وَلَكِنْ ابْكُوا عَلَيْهِ إِذَا وَلِيَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ " (٢) .

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٧/٢٣ برقم ١٢٦) ، الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٦٦/٣ برقم ٤٤٦١) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، وَلَمْ يُجْرَجَاهُ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤٢٢/٥ برقم ٢٣٩٨٣) ، الحاكم في المستدرک (٥٦٠/٤ برقم ٨٥٧١) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ ، وَلَمْ يُجْرَجَاهُ ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ . وفي تخريجه لأحاديث التَّوَسُّلِ والزِّيَارَةِ ، أفاض الأستاذ المحقق محمود سعيد ممدوح في كلامه على هذا الحديث ، فقال : " عبد الملك بن عمرو هو القيسي أبو عامر العقدي ، ثقة ، احتج به الجماعة ، وكثير بن زيد حسن الحديث . وداود بن أبي صالح ، قال عنه الذهبي في الميزان : (٩ / ٢) : لا يعرف ، وسكت عنه ابن أبي حاتم الرازي (الجرح ٣ / ٤١٦) . وذكره الحافظ ابن حجر تمييزاً ، وقال في التقریب : " مقبول " .

فإذا تشددت وأعرضت عن تصحيح الحاكم وموافقه الذهبي له لِأَنَّ التَّصْحِيحَ هو توثيق للراوي ، فهذا الإسناد فيه ضعف يسير يزول بالمتابعة ، وداود بن أبي صالح قد تابعه المطلب بن عبد الله بن حنطب فيما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤ / ١٨٩) ، والأوسط (١ / ١٩٩) ، وأبو الحسين يحيى ابن الحسن في أخبار المدينة (كما في شفاء السقام ص ١٥٢) . والمطلب بن عبد الله بن حنطب صدوق وبدلس ، ومثله يصلح للمتابعة ، صرح بالسماع أو لم يصرح ، أدرك أبا أيوب أو لم يدركه . فغاية هذا الإسناد أنَّه فيه انقطاع يسير يزول بالمتابعة المتقدمة . وهذه المتابعة يثبت الحديث ويصير من قسم الحسن لغيره ، والله أعلم .

تنبيه :

أما الألباني فكان ولا بد أن يضعف الحديث ، فإذا فعل في تضعيفه؟! اقتصر على رواية أحمد والحاكم التي فيها داود بن أبي صالح وضعف الحديث به ، وهذا قصور ، وقد علمت وجود متابع لداود بن أبي صالح .

ثم أخطأ على الحافظ العلم نور الدين الهيثمي ، فقال الألباني : وذهل عن هذه العلة (أي داود بن أبي صالح) الحافظ الهيثمي ، فقال في المجمع (٥ / ٢٤٥) : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه كثير بن زيد وثقه أحمد وغيره ، وضعفه النسائي وغيره . اهـ .

وعلى أي حال فإنَّ التزام القبر ثابت عن الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، وفيه جواز التوسُّل بالتَّبَرُّك بقبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنَّ الصحابة الكرام توسَّلوا به ... كما أنَّه ، رضي الله عنه على من أنكر عليه التزامه قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ووصف المنكر عليه بأنَّه ليس من أهل العلم .

قال الإمام ابن تيمية : " قال أبو بكر الأثرم : قلت لأبي عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمسَّ ويتمسَّح به ؟ فقال : ما أعرف هذا . قلت له : فالمنبر ؟ فقال : أمَّا المنبر فنعم ، قد جاء فيه ، قال أبو عبد الله : شيء يروونه عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن ابن عمر : أنَّه مسح على المنبر ، قال : ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرُّمَّانة . قلت : ويروونه عن يحيى بن سعيد : أنَّه حين أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر فمسحه ودعا ، فرأيته استحسنته ، ثمَّ قال : لعله عند الضرورة والشَّيء . قيل لأبي عبد الله : أنَّهم يلصقون بطونهم بجدار القبر ، وقلت له : رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسُّونه ويقومون ناحية فيسلمون . فقال أبو عبد الله : نعم . وهكذا كان ابن عمر يفعل . ثمَّ قال أبو عبد الله : بأبي هو وأمِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقد رخص أحمد وغيره في التَّمَسُّح بالمنبر والرُّمَّانة التي هي موضع مقعد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويده ، ولم يرخَّصوا في التمسح بقبره ، وقد حكى بعض أصحابنا رواية في مسح قبره . لأنَّ أحمد شيع بعض الموتى ، فوضع يده على قبره يدعوه له " (١) .

قلت : والرُّواية التي أشار إليها ابن تيمية ، وأنَّ أحمد شيع بعض الموتى ... ذكرها صاحب الرُّوايتين والوجهتين ، فقال :

مسألة : واختلف في وضع اليد على القبر على روايتين ، قال محمَّد بن حبيب البزار : كنت مع أبي عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل في جنازة فأخذ يدي وقمنا ناحية ، فلمَّا فرغ النَّاس وانقضى الدَّفن جاء إلى القبر وأخذ

وخطأ الألباني أنَّه اعتبر الجودة دهنلاً ، ذلك أنَّ الحافظ الهيثمي عندما نظر لإسناده أحمد والطبراني وجد متابعا لداود بن أبي صالح ، وهو المطلب بن عبد الله بن حنطب ، فلم يجد ما يستحق الكلام عليه إلا كثير بن زيد فينَّ أنَّه مختلف فيه ، ومثله يحسن حديثه . فحصر الهيثمي الكلام على كثير بن زيد هو الصواب .

ومنشأ خطأ الألباني هو عدم وقوفه على المتابعة وهو قصور بلا شك . وبيان هذا القصور أنَّه عندما علم تخريج الطبراني للحديث كان ينبغي التسارعة والبحث عن إسناد الطبراني والنظر فيه ، وهذا هو مسلوك المحدثين الناقدين ، أمَّا الاقتصار على طريق واحد للحديث ثمَّ تضعيف الألباني له مع وجود طريق آخر فهو خطأ بلا ريب . ولعمل الألباني هذا نفاثر في كتبه . والحديث فيه التجاء أحد الصحابة إلى القبر الشَّريف .

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٤٥) .

بيدي وجلس ووضع يده على القبر ، وقال : اللهم إِنَّكَ قُلْتَ فِي كِتَابِكَ : ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ \* وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَيْمِينَ \* فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَيْمِينَ \* وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ \* فَزُلْ مِنْ حَمِيمٍ \* وَتَصَلِيَةٌ جَحِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٤] . اللهم إِنَّا نَشْهَدُ أَنَّ هَذَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ مَا كَذَّبَ بِكَ ، وَلَقَدْ كَانَ يُؤْمِنُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ ، اللَّهُمَّ فَاقْبَلْ شَهَادَتَنَا لَهُ ، وَدَعَا وَانصِرْف " (١) .

وفي ترجمة محمد بن المنكدر (١٣٠هـ) نقل الإمام الذهبي عن مصعب بن عبد الله ، قال : حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَعْقُوبَ التَّمِيمِيُّ ، قَالَ : كَانَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ يَجْلِسُ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَكَانَ يَصِيْبُهُ صِمَاتٌ ، فَكَانَ يَقُومُ كَمَا هُوَ حَتَّى يَضَعُ خَدَّهُ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَرْجِعُ ، فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَنَّهُ يَصِيْبُنِي خَطَرٌ ، فَإِذَا وَجَدْتُ ذَلِكَ ، اسْتَعْنَتُ !!! بِقَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وكان يأتي موضعاً من المسجد يتمرغ فيه ويضطجع ، فقيل له في ذلك ، فقال : إِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ " (١) .

ونقل الإمام الذهبي عن نافع ، عن ابن عمر : أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ مَسَّ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
قُلْتُ : كَرِهَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ رَأَى إِسَاءَةَ أَدَبٍ ، وَقَدْ سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ مَسِّ الْقَبْرِ النَّبَوِيِّ وَتَقْبِيلِهِ ، فَلَمْ يَرِ بِذَلِكَ بَأْسًا ، رَوَاهُ عَنهُ وَلَدُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ .

فَإِنْ قِيلَ : فَهَلَا فَعَلَ ذَلِكَ الصَّحَابَةُ ؟ قِيلَ : لِأَنَّهُمْ عَايَنُوهُ حَيًّا وَمَتَلَّوْا بِهِ وَقَبَّلُوا يَدَهُ وَكَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وُضُوئِهِ وَأَقْتَسَمُوا شَعْرَهُ الْمُطَهَّرَ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ، وَكَانَ إِذَا تَنَحَّخَ لَا تَكَادُ نِخَامَتُهُ تَقَعُ إِلَّا فِي يَدِ رَجُلٍ فَيَدْلُكُ بِهَا وَجْهَهُ ، وَنَحْنُ فَلَمَّا لَمْ يَصِحَّ لَنَا مِثْلُ هَذَا النَّصِيبِ الْأَوْفَرِ تَرَامِينَا عَلَى قَبْرِهِ بِالْإِتْرَامِ وَالتَّبَجِيلِ وَالِاسْتِلامِ وَالتَّقْبِيلِ ، أَلَا تَرَى كَيْفَ فَعَلَ نَابِتُ الْبَنَانِيِّ ؟ كَانَ يُقْبَلُ يَدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَيَضَعُهَا عَلَى وَجْهِهِ وَيَقُولُ : يَدُ مَسَّتْ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَهَذِهِ الْأُمُورُ لَا يُجْرِكُهَا مِنَ الْمُسْلِمِ إِلَّا فَرَطُ حُبِّهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ هُوَ مَأْمُورٌ بِأَنْ يُحِبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَشَدَّ مِنْ حُبِّهِ لِنَفْسِهِ ، وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَمِنْ أَمْوَالِهِ ، وَمِنْ الْجَنَّةِ وَحُورِهَا ، بَلْ خَلَقَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّونَ أَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ أَكْثَرَ مِنْ حُبِّ أَنْفُسِهِمْ " (٢) .

(١) انظر : المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين (١/ ٢١٥) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٨-٣٥٩) .

(٣) انظر : معجم الشيوخ الكبير (١/ ٧٣) .

وفي شرحه لباب " من لم يستلم إلا الركنين البيانيين " من صحيح البخاري ، قال الحافظ ابن حجر : " استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الأركان جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره . فأما تقبيل يد الآدمي فيأتي في كتاب الأدب ، وأما غيره فنقل عن الإمام أحمد أنه سئل عن تقبيل منبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقبيل قبره فلم يره بأساً " (١) .

ونقل الذهبي عن البخاري في ترجمته له أنه صنّف كتاب التّاريخ إذ ذاك عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الليالي المقمرة ، وقلّ اسم في التّاريخ إلا وله قصّة ، إلا أنّي كرهت تطويل الكتاب (٢) ...

وقال ابن عدي : سمعت عبد القدوس بن همام يقول : سمعت عدّة من المشايخ يقولون : حوّل محمد بن إسماعيل تراجم جامعه بين قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنبره ، وكان يصلي لكلّ ترجمة ركعتين (٣) .

قلت : وما قصد البخاري ذلك المكان الطاهر إلا تبرّكاً به وبقبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وقال القاضي عياض : " وعن ابن قسيط والعتبي : كان أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خلا

المسجد جسّوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثمّ استقبلوا القبلة يدعون (٤) . وقال القاضي عياض أيضاً : " ورؤي ابن عمر واضعاً يده على مقعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المنبر ثمّ

وضعها على وجهه " (٥) .

وفي ترجمة الإمام أحمد بن حنبل ، قال الإمام الذهبي : " قلت : أين المنتطع المنكر على أحمد ، وقد ثبت أنّ عبد الله سأل أباه عمّن يلمس رمانة منبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويمسّ الحجرة النبوية ، فقال : لا أرى بذلك بأساً . أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع " (٦) .

(١) انظر : فتح الباري (٣/٤٧٥) ، وانظر أقوال ابن حجر العسقلاني في التبرّك في الفتح : (١/٣٢٧) ، (١/٥٢٢) ، (١/٥٢٣) ، (١/٥٢٥) ، (١/٥٦٩) ، (١/٥٧١) ، (٣/١١٥) ، (٣/١٣٩) ، (٣/١٤٤) ، (٣/٢٥٤) ، (٣/٤٧٥) ، (٣/١٢٩-١٣٠) ، (٣/١٥٨) ، (٣/٣٦٧) ، (٤/٥) ، (٩/٣٤١) ، (٦/١١٦) ، (٦/٦٠٠) ، (٦/٣٥٣) ، (١٠/١٠٠) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/٤٠٠) ، وقال المحقق : انظر : تاريخ بغداد ، (٢/٧) ، طبقات السبكي الكبرى ، (٢/٢١٦) ، مقدمة الفتح (ص٤٧٩) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/٤٠٤) .

(٤) انظر : الشفا بأحوال المصطفى ، القاضي عياض (٢/٢٠٠) .

(٥) انظر : الشفا بأحوال المصطفى (٢/١٩٩-٢٠٠) ، مكتبة الفارابي ، دمشق ، طبقات الكبرى (١/١٢٣) .

(٦) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/٢١٢) .

فالإمام الذَّهبي يعتبر من يمتعون لمس رمانة منبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا مسَّ حجرته عليه الصَّلَاةُ والسَّلَام مبتدعة ، وأثمهم في ذلك ينهجون نهج الخوارج ...

**الدَّلِيلُ السَّابِعُ عَشَرَ** : وقال الإمام مُحَمَّد بن سعد بن منيع الزُّهري (٢٣٠هـ) : " أَخْبَرَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، وَزُهَيْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ فَخَدِرْتُ رِجْلَهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا لِرِجْلِكَ ؟ قَالَ : اجْتَمَعَ عَصَبُهَا مِنْ هَاهُنَا - هَذَا فِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ وَحْدَهُ - قَالَ : قُلْتُ : ادْعُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ ، قَالَ : يَا مُحَمَّد ، فَبَسَطَهَا " (١) .

وقال الإمام علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي (٢٣٠هـ) : ... وَبِهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَخَدِرْتُ رِجْلَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، مَا لِرِجْلِكَ ؟ قَالَ : " اجْتَمَعَ عَصَبُهَا مِنْ هَاهُنَا ، قُلْتُ : ادْعُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ ، قَالَ : يَا مُحَمَّد ، فَانْبَسَطْتُ " (٢) .

وذكر الإمام البخاري (٢٥٦هـ) في بَابٍ : مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا خَدِرَتْ رِجْلُهُ مِنْ كِتَابِهِ : حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : خَدِرْتُ رِجْلَ ابْنِ عُمَرَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : ادْكُرْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّد " (٣) .

وقال الإمام إبراهيم بن إسحاق الحرابي أبو إسحاق (٢٨٥هـ) : " حَدَّثَنَا عَفَّانُ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَمَّنْ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ ، قَالَ : خَدِرْتُ رِجْلَهُ ، فَقِيلَ : ادْكُرْ أَحَبَّ النَّاسِ ، قَالَ : يَا مُحَمَّد " (٤) .

وقال الإمام أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْع ، الدِّيَنَوْرِيُّ ، المعروف بـ " ابن السُّنِّي " (٣٦٤هـ) : أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الصُّوفِيُّ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ ، ثنا زُهَيْرٌ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : " كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ ، فَخَدِرْتُ رِجْلَهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، مَا لِرِجْلِكَ ؟ قَالَ : اجْتَمَعَ عَصَبُهَا مِنْ هَاهُنَا . قُلْتُ : ادْعُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّد ، فَانْبَسَطْتُ " (٥) .

(١) انظر : الطبقات الكبير (٤/ ١٤٤ برقم ٥١٢١) .

(٢) انظر : مسند ابن الجعد (ص ٣٦٩ برقم ٢٥٣٩) .

(٣) انظر : الأدب المفرد (ص ٤٤١ برقم ٨٦٤) .

(٤) انظر : غريب الحديث (٢/ ٦٧٣) .

(٥) انظر : عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد (ص ١٤٢ برقم ١٧٢) .

وقال الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) في كتابه "الأذكار": "باب ما يقوله إذا خدّرت رجله:

روينا في كتاب ابن السنّي عن الهيثم بن حنش، قال: كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدّرت رجله، فقال له رجل: اذكر أحبّ الناس إليك، فقال: يا محمد صلّى الله عليه وسلّم، فكأنّما نشط من عقال. وروينا فيه، عن مجاهد، قال: خدّرت رجلاً رجلاً عند ابن عباس، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: اذكر أحبّ الناس إليك، فقال: محمد صلّى الله عليه وسلّم فذهب خدّره.

ورويانا فيه، عن إبراهيم بن المنذر الحزامي أحد شيوخ البخاري الذين روى عنهم في صحيحه، قال: أهل المدينة يعجبون من حسن بيت أبي العتاهية:

وتحدّر في بعض الأحيان رجله فإن لم يقل يا عتب لم يذهب الحدّر (١)

وقال الإمام يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (٧٤٢هـ): "أخبرنا به أبو الحسن بن البخاري، وزينب بنت مكّي، قالا: أخبرنا أبو حفص بن طبرزد، قال: أخبرنا الحافظ أبو البركات الأنباطي، قال: أخبرنا أبو محمد الصّريفي، قال: أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي، قال: حدّثنا علي بن الجعد، قال: أخبرنا زهير، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن سعد، قال: كنت عند عبد الله بن عمر، فخدّرت رجله، فقلت له: يا عبد الرحمن ما لرجلك؟ قال: اجتمع عصبها من هاهنا. قال: قلت: أدع أحبّ الناس إليك، فقال: يا محمد، فانبسطت. رواه عن أبي نعيم، عن سفيان، عن أبي إسحاق مختصراً" (٢).

والرواية ذكرها الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي في كتابه: "الكلم الطيب" (٣)، ولم يعقب عليها...

قلت: وكعادتهم، فقد قام مدعو السلفيّة بشطب ياء النداء من الرواية، وذلك في كتاب "الأدب المفرد" الذي حقّقه: سمير بن أمين الزّهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (١٤١٩هـ،

(١) انظر: الأذكار النووية أو "حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار" (ص ٤٧٨).

(٢) انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٧/١٤٣).

(٣) الكلم الطيب، (ص ٩٦)، تحقيق: الدكتور السيد الجميلي، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ،

١٩٩٨م) ، كما تمَّ شطبها من نسخة " الكلم الطيب " الموجودة في المكتبة الشاملة / الإصدار السادس ، والتي حَقَّقها السيّد الجميلي ، وكذا حذفت من نسخة : " الوابل الصيب من الكلم الطيب " ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدّين ابن قيمّ الجوزيّة ، (ص٢٠٤) ، تحقيق : محمّد عبد الرّحمن عوض دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطّبعة : الأولى ، (١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م) ، وكذا تمَّ حذفها من نسخة " عمل اليوم والليله سلوك النبي مع ربّه عزّ وجلّ ومعاشرته مع العباد " ، أحمد بن محمّد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُديح ، الدّينوريّ ، المعروف بـ ابن السّنيّ ، (ص١٤١) ، تحقيق : كوثر البرني ، دار القبلة للثقافة الإسلاميّة ومؤسسة علوم القرآن ، جدّة ، بيروت ... انظر تلاعبهم وعبثهم المتقدّم في نسخة الكتاب الموجودة ضمن المكتبة الشاملة / الإصدار السادس ...

قلت : فانظر يا رعاك الله كيف جعله ابن تيمية من " الكلم الطيب " ولم يعترض عليه !!! وجعله في محلّ الاستشهاد دون الإنكار ... والأثر فيه توّسل بالنبيّ ونداءه والاستشفاع به في الكُرب ، والمرض ، والشّدائد ...  
**الدّلِيلُ الثّامِنُ عَشْرُ** : وقال الإمام محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطّبري (٣١٠هـ) في معرض كلامه عن وقعة اليمامة : " ... ثمَّ بَرَزَ خَالِدٌ ، حَتَّى إِذَا كَانَ أَمَامَ الصَّفِّ دَعَا إِلَى الْبِرَازِ وَأَنْتَمَى ، وَقَالَ : أَنَا ابْنُ الْوَلِيدِ الْعُودِ ، أَنَا ابْنُ عَامِرٍ وَزَيْدٍ ! وَنَادَى بِشِعَارِهِمْ يَوْمَئِذٍ ، وَكَانَ شِعَارَهُمْ يَوْمَئِذٍ : يَا مُحَمَّدَاهُ ! " . (١)

فشعارهم المتضمّن قولهم : واحمّدها : هو توّسل بالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...  
وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقي (٧٧٤هـ) : " قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا : وَحَدَّثَنِي مَسْلَمَةُ بْنُ شَيْبٍ ، عَنِ الْحُمَيْدِيِّ ، عَنْ سُفْيَانَ ، سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ ، قَالَ : قَالَ الْحَسَنُ : لَمَّا جِيءَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ جَعَلَ يَزِيدُ يَطْعَنُ بِالْقَضِيبِ . قَالَ : سُفْيَانُ : وَأَخْبِرْتُ أَنَّ الْحَسَنَ كَانَ يُنْشِدُ عَلَى إِثْرِ هَذَا :  
سُمِّيَهُ أَمْسَى نَسَلُهَا عَدَدَ الْحَصَى وَبِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهَا نَسْلٌ  
وَأَمَّا بَقِيَّةُ أَهْلِهِ وَنِسَاؤُهُ وَحَرَمُهُ ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَكُلَّ بَهِمٍ مِنْ يَحْرُسُهُمْ وَيَكُلُّوهُمْ ، فَأَزَكَّبُوهُمْ عَلَى الرَّوَاجِلِ فِي الْهُوَادِجِ ، فَلَمَّا مَرُّوا بِمَكَانِ الْمَعْرَكَةِ رَأَوْا الْحُسَيْنَ وَأَصْحَابَهُ مُجَدِّلِينَ ، هُنَالِكَ بَكَتْهُ النِّسَاءُ ، وَصَرَخَنَ وَنَدَبَتْ زَيْنَبُ أَخَاهَا الْحُسَيْنَ وَأَهْلَهَا ، فَقَالَتْ وَهِيَ تَبْكِي : يَا مُحَمَّدَاهُ ، يَا مُحَمَّدَاهُ ، صَلَّى عَلَيْكَ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ ،

(١) انظر : تاريخ الطّبري (تاريخ الرسل والملوك) (٢/ ٢٨١) ، وانظر : البداية والنهاية ، ابن كثير ، (٦/ ٣٥٧) ، الكامل في التّاريخ (٢/ ٢١٧) .

هَذَا حُسَيْنٌ بِالْعَرَاءِ ، مُزْمَلٌ بِالِدَّمَاءِ ، مُقَطَّعُ الْأَعْضَاءِ ، يَا مُحَمَّدَاهُ ، وَبَنَاتِكَ سَبَايَا ، وَذُرِّيَّتِكَ مُقْتَلَةٌ تَسْفِي عَلَيْهَا الصَّبَا . قَالَ : فَأَبْكْتَ وَاللَّهِ كُلَّ عَدُوٍّ وَصَدِيقٍ " (١) .

وجاء في تاريخ الطُّبري : " ... وذكر ضميره بن ربيعه ، عن أبي شاذب : أن عمال الحجاج كتبوا إليه : أن الخراج قد انكسر ، وأن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار ، فكتب إلى البصرة وغيرها أن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها . فخرج النَّاسُ فعسكروا ، فجعلوا يبكون وينادون : يا مُحَمَّدَاهُ يا مُحَمَّدَاهُ ! وجعلوا لا يدرون أين يذهبون ! فجعل قراء أهل البصرة يخرجون إليهم متقنعين فيكون لما يسمعون منهم ويرون " (٢) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدين ابن الأثير (٦٣٠هـ) في حوادث سنة (١٣٧هـ) : " وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ سُنْبَادُ بِخُرَّاسَانَ يَطْلُبُ بِدَمِ أَبِي مُسْلِمٍ ، وَكَانَ مَجُوسِيًّا مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى نَيْسَابُورَ يُقَالُ لَهَا أَهْرُوَانَهُ ، كَانَ ظُهُورُهُ غَضَبًا لِقَتْلِ أَبِي مُسْلِمٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ صَنَائِعِهِ ، وَكَثُرَ اتِّبَاعُهُ ، وَكَانَ عَامَّتُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجِبَالِ ، وَغَلَبَ عَلَى نَيْسَابُورَ وَقَوْمِسَ وَالرِّيِّ ، وَتَسَمَّى فَيُرُوزَ أَصْبَهَبَدَ .

فَلَمَّا صَارَ بِالرِّيِّ أَخَذَ خَزَائِنَ أَبِي مُسْلِمٍ ، وَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ خَلَفَهَا بِالرِّيِّ حِينَ شَخَّصَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَسَبَى الْحَرَمَ ، وَهَبَ الْأَمْوَالَ ، وَلَمْ يَعْرِضْ لِلتَّجَارِ ، وَكَانَ يُظْهِرُ أَنَّهُ يَقْصِدُ الْكَعْبَةَ وَيَهْدِمُهَا .

فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمُتَّصِرُ جُمَّهُورَ بَنِ مِرَّارِ الْعِجْلِيِّ فِي عَشْرَةِ آلَافِ فَارِسٍ ، فَالْتَقَوْا بَيْنَ هَمْدَانَ وَالرِّيِّ عَلَى طَرَفِ الْمَفَازَةِ ، وَعَزَمَ جُمَّهُورٌ عَلَى مَطَاوِلَتِهِ ، فَلَمَّا التَقُوا قَدَّمَ سُنْبَادُ السَّبَايَا مِنَ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ عَلَى الْجِبَالِ ، فَلَمَّا رَأَى عَسْكَرَ الْمُسْلِمِينَ قُمْنَ فِي الْمَحَامِلِ وَنَادَيْنَ : وَاحْمَدَاهُ ! ذَهَبَ الْإِسْلَامُ ! وَوَقَعَتِ الرِّيْحُ فِي أَثْوَابِهِنَّ ، فَفَرَّتِ الْإِبِلُ وَعَادَتْ عَلَى عَسْكَرِ سُنْبَادَ ، فَتَفَرَّقَ الْعَسْكَرُ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الْهَرِيمَةِ " (٣) .

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) : " أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرِ الْحَافِظِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْمُبَارَكُ بْنُ عَبْدِ الْجُبَّارِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِبرَاهِيمُ بْنُ عُمَرَ الْبُرْمَكِيِّ ، قَالَ : أَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ إِبرَاهِيمَ الزُّيْنَبِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزَبَانَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زَهْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْبُرْبَرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي - وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَكَنَ طَرَسُوسَ حِينَ بَنَاهَا أَبُو سَلِيمٍ ، وَكَانَ شَيْخًا

(١) انظر : البداية والنهاية (١١/٥٥٩-٥٦٠)، وانظر : تاريخ الأمم والملوك (٣/٣٣٦)، الكامل في التاريخ (٣/١٨٥) .

(٢) انظر : تاريخ الأمم والملوك (٣/٦٤٨) .

(٣) انظر : الكامل في التاريخ (٥/٦٦) .

قديماً ، قَالَ : كَانَ يغازينا من الشام ثلاثة أخوة فرسان شجعان ، وكانوا لا يخالطون العسكر ، وكانوا يسيرون وحدهم ، وينزلون كذلك ، فإذا رأوا العدو لم يقاتلوا ما كفوا ، فغزوا مرة ، فلقبهم الطاغية في جمع كثير ، فقاتلوا المسلمين فقتلوا وأسروا ، فَقَالَ بعضهم لبعض : قَدْ ترون مَا نزل بالمسلمين ، وقد وجب علينا أن نبذل أنفسنا ونقاتل فتقدموا ، وقالوا لمن بقي من المسلمين : كونوا وراء ظهورنا وخلوا بيننا وبين القتال نكفيكم إن شاء الله تعالى . فقاتلوا فقهروا الروم ، فَقَالَ ملك الروم لمن معه من البطارقة : من جاءني برجل من هؤلاء قَدَّمته وبطرقته . فألقت الروم أنفسها عليهم فأخذوهم أسرى ، لم يصب رجل منهم كلم ، فَقَالَ ملك الروم : لا غنيمة ولا فتح أعظم من أخذ هؤلاء . فرحل بهم حتَّى نزل بهم القسطنطينية ، فعرض عليهم النَّصْرَانِيَّة ، وَقَالَ : إني أجعل فيكم الملك وأزوجكم بناتي . فأبوا عليه ونادوا : يا محمداه ، فَقَالَ الملك : مَا يقولون ؟ قالوا : يدعون نبيهم ... " (١)

(١) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٨/ ٣٢٩) .

## الفصل الخامس

### أقوال العلماء في التوسل

إنَّ النَّاطِرَ فِي كِتَابِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ الْمَخْلِصِينَ يَجِدُ أَنَّهُمْ فِي كِتَابِهِمْ الَّتِي سَطَّرُوهَا لَا يَتَرَدَّدُونَ عَنْ فَتَاتِحِهَا بِالتَّوَسُّلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِجَاهِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْ يَعْينَهُمْ عَلَى الْإِخْلَاصِ فِيهَا وَتَحَقُّقِ النِّفْعِ بِهَا لِعُمُومِ الْأُمَّةِ ، وَكَذَا يُخْتَمُونَهَا بِمُتَوَسِّلِينَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَيْ يَتَقَبَّلَهَا مِنْهُمْ بِقَبُولِ حَسَنِ ، وَلَكِنْ جَاءَ فِي الْقُرُونِ الْمُتَأَخِّرَةِ مِنْ أَشْحَابِ بُوْجْهِهِ وَأَدَارِ ظَهْرِهِ لِعُمُومِ الْأُمَّةِ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ الْوَحِيدَ الَّذِي يَفْهَمُ التَّوْحِيدَ ، فَسَطَّرَ فِي كِتَابِهِ مَسَائِلَ تُضْحِكُ الثَّكْلَى ، فَسَالُ بِهِ السَّيْلَ وَهُوَ لَا يَدْرِي ، وَمِنْ ضَمَنِ تِلْكَ الْمَسَائِلِ الَّتِي خَالَفَ بِهَا عُمُومَ الْأُمَّةِ : قَوْلُهُ بِعَدَمِ جَوَازِ التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَا بغيرِهِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، وَاتَّهَمَ هُوَ وَشِيعَتُهُ مِنْ بَعْدِهِ عُمُومَ الْأُمَّةِ الَّتِي اعْتَادَتْ عَلَى التَّوَسُّلِ بِالشَّرْكَ وَالْإِلْحَادِ وَالْخُرُوجِ مِنْ رَبَقَةِ التَّكْلِيفِ ، مَعَ أَنَّ الْإِجْمَاعَ مَعْقُودَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ كِبَارُ الْعُلَمَاءِ كَ : تَقِي الدِّينِ السُّبْكِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَسَاطِينِ الْعِلْمِ ، وَظَلَّ الْمُسْلِمُونَ مَجْمَعُونَ عَلَى التَّوَسُّلِ حَتَّى جَاءَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ ، فَقَالَ بِحَرَمَتِهِ وَبِالْإِعْلَاقِ عَلَى الْمُتَوَسِّلِينَ حَتَّى رَمَاهُمْ بِالشَّرْكَ ، فَأَمَاتَ الْعُلَمَاءُ دَعْوَتَهُ ، وَانْتَهتْ فَتْنَتُهُ ، حَتَّى أَحْيَاهَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ ، فَقَامَ بِدَعْوَتِهِ وَسُطُوتِهِ ، الَّتِي جَرَّتْ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِحْنَ وَالْمَحْنَ وَمَا زَالَتْ ، فَكَفَّرَ وَبَدَعَ عُمُومَ الْأُمَّةِ ، وَاسْتَحَلَّ دِمَاءَ الْمُؤَحِّدِينَ ، فَقَتَلَ عَشْرَاتِ الْأُلُوفِ مِنْهُمْ ، وَسَلَبَ وَنَهَبَ أَمْوَالَهُمْ ، وَسَبَى نِسَائِهِمْ ... بِحُجَّةِ الْمَحَافِظَةِ عَلَى التَّوْحِيدِ ، وَمَا زَالَ أَتْبَاعُهُ حَجَرَ عِثْرَةَ أَمَامِ تَقَدُّمِ الْأُمَّةِ ، لِأَنَّهُ هَكَذَا أُرِيدَ لَهُمْ ... عَلَى أَنَّ مَعَاشِرَ الْمُؤَحِّدِينَ مُطَالِبُونَ بِاتِّبَاعِ الْإِجْمَاعِ ، لِأَنَّهُ حُجَّةٌ مِنَ الْحُجَجِ ...

قال الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (هـ ٥٠٥) : " الْإِجْمَاعُ أَعْظَمُ أُصُولِ الدِّينِ ، فَلَوْ خَالَفَ فِيهِ مُخَالَفٌ ؛ لَعَظُمَ الْأَمْرُ فِيهِ وَاشْتَهَرَ الْخِلَافُ ، إِذْ لَمْ يَنْدِرْسْ خِلَافُ الصَّحَابَةِ فِي دِيَةِ الْجَنِينِ .. وَحَدَّ الشُّرْبِ . فَكَيْفَ أَنْدَرَسَ الْخِلَافُ فِي أَصْلِ عَظِيمٍ يَلْزَمُ فِيهِ التَّضَلُّيلُ وَالتَّبْدِيعُ لِمَنْ أَخْطَأَ فِي نَفْيِهِ وَإِنْبَاتِهِ ؟ وَكَيْفَ اشْتَهَرَ خِلَافُ النِّظَامِ مَعَ سُقُوطِ قَدْرِهِ وَخِسَّةِ رُبُوبَتِهِ وَخَفِيِّ خِلَافِ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ؟ هَذَا مِمَّا لَا يَتَسَّعُ لَهُ عَقْلٌ أَصْلًا " (١) .

وقال الإمام ابن تيمية (هـ ٧٢٨) : " إِجْمَاعُ هَذِهِ الْأُمَّةِ حُجَّةٌ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ بِكُلِّ مَعْرُوفٍ وَيَنْهَوْنَ عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ ؛ فَلَوْ اتَّفَقُوا عَلَى إِبَاحَةِ حُرْمٍ أَوْ إِسْقَاطِ وَاجِبٍ ؛ أَوْ تَحْرِيمِ حَلَالٍ أَوْ إِخْبَارٍ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ أَوْ خَلْقِهِ بِبَاطِلٍ ؛ لَكَانُوا مُتَّصِفِينَ بِالْأَمْرِ بِمُنْكَرٍ وَالنَّهْيِ عَنِ مَعْرُوفٍ : مِنْ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ؛ بَلْ الْأَيَّةُ

(١) انظر : المستصفى (١/١٣٩-١٤٠) .

تَقْتَضِي أَنْ مَا لَمْ تَأْمُرْ بِهِ الْأُمَّةَ فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَمَا لَمْ تَنْهَ عَنْهُ فَلَيْسَ مِنَ الْمُنْكَرِ . وَإِذَا كَانَتْ أَمْرَةً بِكُلِّ مَعْرُوفٍ نَاهِيَّةً عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ : فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَأْمُرَ كُلَّهَا بِمُنْكَرٍ أَوْ تَنْهَى كُلَّهَا عَنْ مَعْرُوفٍ " (١) .

وقال الإمام عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (٧٣٠هـ) : " وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْإِجْمَاعَ حُجَّةٌ مَقْطُوعٌ بِهَا عِنْدَ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مَنْ لَمْ يَجْعَلْهُ حُجَّةً ، مِثْلُ : إِبْرَاهِيمَ النَّظَّامِ ، وَالْقَاشَانِيِّ مِنْ الْمُعْتَزَلَةِ ، وَالْحَوَارِجِ ، وَأَكْثَرِ الرَّوَافِضِ " (٢) .

ولذا فعلى العلماء أن يَنْبَهُوا وَيُوضِّحُوا لِلنَّاسِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَغَيْرِهَا ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ الدَّرَاسَةُ ، الَّتِي كَشَفَتْ عَنْ أَنَّ جُمْهُورَ بَلِ عُمُومِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ الْمَخْلَصِينَ يَقُولُونَ بِجَوَازِ التَّوَسُّلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَهَذِهِ بَاقَةٌ مِنْ أَقْوَاهُمْ ...

قال الإمام مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَاقِدِ السَّهْمِيِّ الْأَسْلَمِيِّ بِالْوَلَاءِ ، الْمَدِينِيِّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، الْوَاقِدِيُّ (٢٠٧هـ) : " وَقَالَ أَبُو سَبْرَةَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ ، وَكَانَ مِنَ السَّابِقِينَ وَالْمُتَقَدِّمِينَ بَيَانِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ وَصَاحِبَ الْهَجْرَتَيْنِ جَمِيعاً ، قَالَ : شَهِدْتُ قِتَالَ الْحَبِشَةِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَشَهِدْتُ الْمَشَاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَدْرٍ ، وَفِي أَحَدٍ ، وَفِي حَنِينٍ ، وَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَشْهَدُ مِثْلَهَا ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَزَنْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسْتَطِعْ أَنْ أَقِيمَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ فَقْدِهِ ، فَقَدِمْتُ مَكَّةَ ، فَأَقَمْتُ بِهَا ، فَعَوَّبْتُ فِي مَنَامِي مِنَ التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ ، فَخَرَجْتُ إِلَى الشَّامِ ، وَشَهِدْتُ أَجْنَادِينَ وَالشَّامَ وَسَرِيَّةَ خَالِدِ بْنِ خَلْفِ تَوْمَةَ وَهَرَبِيسَ ، وَشَهِدْتُ سَرِيَّةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَكُنْتُ مَعَهُ عَلَى دَيْرِ أَبِي الْقَدَسِ ... فَأَلْجَأْتُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَمْرَهُ ، وَفَوَّضْتُ إِلَى صَاحِبِ السَّيِّئِ شَأْنَهُ ، وَرَفَعْتُ يَدِي إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ فِي دَعَائِهِ : يَا مَنْ خَلَقَ خَلْقَهُ ، وَأَبْلَى بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ مَحْنَةً لَهُمْ ، أَسْأَلُكَ بِجَاهِ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَا جَعَلْتَ لَنَا مِنْ أَمْرٍ نَا فَرَجاً وَمَخْرَجاً " (٣) .

وقال الإمام مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَاقِدِ السَّهْمِيِّ الْأَسْلَمِيِّ بِالْوَلَاءِ ، الْمَدِينِيِّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْوَاقِدِيُّ أَيْضاً : " ... فَأَرْسَلَ الْكِتَابَ لِعَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَرَأَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَاسْتَشَارَهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُرْ صَاحِبِكَ أَنْ يَصِيرَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ ، فَيَحْدِقُوا بِهَا وَيَقَاتِلُوا أَهْلَهَا ، فَهُوَ خَيْرُ الرَّأْيِ وَأَكْبَرُهُ ، وَإِذَا فَتَحْتَ بَيْتَ الْمَقْدَسِ فَاصْرِفْ جَيْشَهُ إِلَى قَيْسَارِيَّةَ ، فَإِنَّهَا تَفْتَحُ بَعْدَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، كَذَا أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٨ / ١٢٥) .

(٢) انظر : كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (٣ / ٢٥٢) .

(٣) انظر : فتوح الشام (١ / ٩٤) .

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال : صدقت يا أبا الحسن ، فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عامله بالشَّام أبي عبيدة ، أمَّا بعد : فإنِّي أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي على نبيِّه ، وقد ورد عليَّ كتابك ، وفيه تستشيرني في أي ناحية تتوجَّه إليها ، وقد أشار ابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسَّير إلى بيت المقدس ، فإن الله سبحانه وتعالى يفتحها على يديك ، والسَّلام عليك ، ثم طوى الكتاب ودفعه إلى عرفجة ، وأمره أن يعجِّل بالمسير فسار حتى قدم على أبي عبيدة ، فوجده على الجابية ، فدفع الكتاب إليه ، فقرأ على المسلمين ، وفرحوا بمسيرهم إلى بيت المقدس ، فعندها دعا أبو عبيدة بخالد بن الوليد ، وعقد له راية ، وضم إليه خمسة آلاف فارس من خيل الزَّحف ، وسرَّحه إلى بيت المقدس ثم دعا بيزيد بن أبي سفيان ، وعقد له راية على خمسة آلاف ، وأمره أن يلحق بخالد إلى بيت المقدس ، وقال له : يا ابن أبي سفيان ما علمتك إلا ناصحاً ، فإذا أشرفت على بلد إيلياء ، فارفعوا أصواتكم بالتَّهليل والتَّكبير ، واسألوا الله بجاه نبيِّه ومن سكنها من الأنبياء والصَّالحين ، أن يسهِّل فتحها على أيدي المسلمين ... " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر بن واقد السَّهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله ، الواقدي : " ثم أن المغيرة رضي الله عنه دخل إلى خيمته ، ولبس درعه ، وشدَّ وسطه بمنطقته ، وهي من الأدم ، وفيها خنجران واحد عن اليمين ، وواحد عن الشَّمال ، وتقلَّد بسيف من جوهر ، واعتقل برمح أسمر ، وركب جواده الأدهم ، وأخذ كل واحد منهم عبده راكباً على بغلة ، وودَّعهم ، فالتفت الأمير عياض ، وقال للمغيرة : اعرف يا أبا شعبة ما تكلم به هذا الملعون ، فما عرفتك إلا مفلح الحجَّة ، فادعه إلى الإسلام ، وما فرض عليه من الصَّلاة ، والزَّكاة ، والصَّيام ، والحجِّ ، والجهاد ، وما أبيض من الحلال ، وما حرم من الحرام ، فإن أبي فالجزية في كلِّ عام ، فإن أبي فالقتال بحدِّ الحسام ، ونرجو النَّصر من الملك الديَّان بجاه محمَّد خير الأنام " (٢) .

وقال الإمام عبد الملك بن حبيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السَّلمي الإلبيري القرطبي ، أبو مروان (٢٣٨هـ) : " ... لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ، تَوَسَّلْنَا إِلَيْكَ يَا اللَّهُ بِجَاهِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدِ الْمُصْطَفَىٰ وَأَصْحَابِهِ الْخُلَفَاءِ أَنْ يَرْزُقَنَا تَوْبَةً وَحَسَنَ الْوَفَاءِ وَالْهُدَايَةِ " (٣) .

(١) انظر : فتوح الشَّام (١/٩٤) .

(٢) انظر : فتوح الشَّام (١/٢٢٠) .

(٣) انظر : (مختصر في الطب) العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد المغرب (ص ١٢١) .

وجاء في " العلل ومعرفة الرجال " للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: " سألته عن الرجل يمس منبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويتبرك بمسّه ويقبله ، ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا ، يُريد بذلك التَّقَرُّبَ إلى الله جَلَّ وَعَزَّ ، فَقَالَ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ " (١) .

وقال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني كما قال ابنه عبد الله رواية عنه : " سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : حَجَّجْتُ خَمْسَ حَجَجٍ ، مِنْهَا ثِنْتَيْنِ رَاكِبًا وَثَلَاثَةَ مَاشِيًا أَوْ ثِنْتَيْنِ مَاشِيًا وَثَلَاثَةَ رَاكِبًا ، فَضَلَّلْتُ الطَّرِيقَ فِي حِجَّةٍ وَكُنْتُ مَاشِيًا ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ : يَا عِبَادَ اللَّهِ دَلُّونَا عَلَى الطَّرِيقِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى وَقَعْتُ الطَّرِيقَ أَوْ كَمَا قَالَ أَبِي " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل: " قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : رَجُلَانِ صَالِحَانِ يُسْتَسْقَى بِهِمَا : بَنُ عَجْلَانَ ، وَبَنُ زَيْدِ بْنِ جَابِرٍ " (٣) .

" وجاء في مسند الإمام أحمد ما نصّه : تم المجلد الثاني من مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، ويليه المجلد الثالث ، أوله : مسند جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنه ، وقد تمّ بقلم الحقيير الفقير ، أفقر العباد وأذلهم وأدناهم محمد بن علي بن ملا أحمد سبته ، غفر الله له ولوالديه ولكافة المؤمنين والمؤمنات ، وأسأل الله تعالى أن يوفّقنا لتتمة كمال المسند بجاه سيّدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٤) .

وجاء فيه أيضاً : " ... جعل الله ذلك في حيز القبول بجاه أفضل رسول ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ " (٥) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (٢٧٢هـ) : " حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ سُفْيَانَ الْأَمْوِيُّ ، عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ أَبَانَ الْعَامِرِيِّ ، قَالَ : ثنا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ (١٠٥هـ) ، قَالَ : " لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبًا ، كُنَّا بِنَاءِ الْكَعْبَةِ أَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ (٧٣هـ) ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ (٧٣هـ) ، وَمُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ (٣هـ) ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ (٨٦هـ) ، فَقَالَ الْقَوْمُ بَعْدَ أَنْ فَرَّغُوا مِنْ حَدِيثِهِمْ : لِيُقْمَ

(١) انظر : العلل ومعرفة الرجال (٢/٤٩٢) .

(٢) انظر : مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله (ص ٢٤٥) .

(٣) انظر : العلل ومعرفة الرجال (ص ١٦٣) ، (ص ٣٧٤) .

(٤) انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل (١/١٠٧) .

(٥) انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل (١/١٠٨) .

رَجُلٌ رَجُلٌ فَلْيَأْخُذْ بِالرُّكْنِ الْبَيْانِيِّ ، فَلْيَسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى حَاجَتَهُ ؛ فَإِنَّهُ يُعْطِي مِنْ سَعْتِهِ ، قُمْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ؛ فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْهَجْرَةِ ، فَقَامَ فَأَخَذَ بِالرُّكْنِ الْبَيْانِيِّ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَظِيمٌ تُرْجَى لِكُلِّ عَظِيمٍ ، أَسْأَلُكَ بِحُرْمَةِ وَجْهِكَ ، وَحُرْمَةِ عَرْشِكَ ، وَحُرْمَةِ بَيْتِكَ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تُؤَلِّبَنِي الْحِجَارَ وَيُسَلِّمَ عَلَيَّ بِالْخِلَافَةِ ، وَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ ، فَقَالُوا : قُمْ يَا مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ فَقَامَ حَتَّى أَخَذَ بِالرُّكْنِ الْبَيْانِيِّ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِلَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ ، أَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تُؤَلِّبَنِي الْعِرَاقَ وَتُرَوِّجَنِي سَكِينَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ ، وَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ ، فَقَالُوا : قُمْ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَامَ فَأَخَذَ بِالرُّكْنِ الْبَيْانِيِّ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ، وَرَبَّ الْأَرْضِ ذَاتِ النَّبْتِ بَعْدَ الْفَقْرِ ، أَسْأَلُكَ بِمَا سَأَلَكَ عِبَادُكَ الْمُطِيعُونَ لِأَمْرِكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِحُرْمَةِ وَجْهِكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ ، وَبِحَقِّ الطَّائِفِينَ حَوْلَ بَيْتِكَ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي حَتَّى تُؤَلِّبَنِي شَرْقَ الْأَرْضِ وَعَزَبَهَا ، وَلَا يُنَازِعَنِي أَحَدٌ إِلَّا أُتِيتُ بِرَأْسِهِ ، ثُمَّ جَاءَ حَتَّى جَلَسَ ، فَقَالُوا : قُمْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَقَامَ حَتَّى أَخَذَ بِالرُّكْنِ الْبَيْانِيِّ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ ، أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي سَبَقَتْ غَضَبَكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تُوجِبَ لِي الْجَنَّةَ ، قَالَ الشَّعْبِيُّ : فَمَا ذَهَبَتْ عَيْنَايَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى رَأَيْتُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَدْ أُعْطِيَ مَا سَأَلَ ، وَبُشِّرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِالْجَنَّةِ ، وَرُئِيَتْ لَهُ " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (٢٧٢هـ) : " حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ الْحَكَمِ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ جُعْشُمٍ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ ، قَالَ : إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ طَارِقِ بْنِ عَلْقَمَةَ ، أَخْبَرَهُ عَنْ أُمِّهِ " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا جَاءَ مَكَانًا مِنْ دَارِ يَعْلَى - نَسِيَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ - اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ فَدَعَا " وَكُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ ، حَتَّى إِذَا جِئْنَا ذَلِكَ الْمَكَانَ ، اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ وَدَعَا ، وَقَالَ : بَلِّغْنِي فِي هَذَا الْمَقَامِ نَبِيَّ " (٢) .

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري (٢٧٦هـ) : " ... أعادها الله تعالى للإسلام بجاه النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام " (٣) .

(١) انظر : أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه (١/١٤٠) .

(٢) انظر : أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه (٣/٢٥٦) .

(٣) انظر : أدب الكاتب (ص ١) .

وقال الإمام ابن أبي الدنيا (٢٨١هـ): " حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ ، سَمِعْتُ عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ رِفَاعَةَ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي جَرَّ ، فَجَسَّ بَطْنَهُ ، فَقَالَ : بِكَ دَاءٌ لَا يَبْرَأُ ، قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : هُوَ الدُّبَيْلَةُ ، فَتَحَوَّلَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : اللَّهُ ، اللَّهُ ، رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوِّجُّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي أَتُوِّجُّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ وَرَبِّي أَنْ يَرْحَمَنِي بِمَا بِي رَحْمَةً يُعِينَنِي بِهَا عَنْ رَحْمَةٍ مِنْ سِوَاهُ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ دَعَا إِلَى ابْنِ أَبِي جَرَّ ، فَجَسَّ بَطْنَهُ ، فَقَالَ : بَرَأْتُ ، مَا بِكَ عِلَّةٌ " (١) .

قال الإمام ابن تيمية : " فَهَذَا الدُّعَاءُ وَنَحْوُهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّهُ دَعَا بِهِ السَّلَفُ ، وَنُقِلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَسْنَدِ المَرُودِي التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعَاءِ " (٢) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (٣٣٣هـ): " حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، نَا أَحْمَدَ بْنَ عَلِيِّ المَقْرِي ، نَا الأَصْمَعِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ : أَنَّ أبا أَيُّوبَ الأنصاريَّ وَهُوَ خَالِدُ بْنُ زَيْدِ غَزَا بِلَادِ الرُّومِ ، فَمَاتَ بِالقُسطنطينيةِ ، فَقُبِرَ مَعَ سُورِ المَدِينَةِ وَبَنِي عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَشْرَفَ عَلَيْهِمُ الرُّومُ ، فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ العَرَبِ ! قَدْ كَانَ لَكُمْ اللَّيْلَةُ شَأْنٌ . فَقَالُوا : مَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوَاللهِ لَئِنْ نَبَشَ لَا ضَرْبَ بِنَافُوسٍ فِي بِلَادِ العَرَبِ . قَالَ : وَكَانَ الرُّومُ إِذَا ائْتَلُوا كَشَفُوا عَنْ قَبْرِهِ ؛ فَأَمْطَرُوا " (٣) .

وقال الإمام محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد ، التميمي ، أبو حاتم ، الدارمي ، البستي (٣٥٤هـ) ، في ترجمة علي بن موسى الرضا : " ... وقبره بسنا باذ خارج النوقان مشهور يُزار بجانب قبر الرشيد قد زرت مراراً كثيرةً وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جدّه وعليه ودعوت الله إِزَالَتَهَا عَنِّي إِلاَّ اسْتَجِيبَ لِي ، وَزَالَتْ عَنِّي تِلْكَ الشَّدَّةُ ، وَهَذَا شَيْءٌ جَرِبْتَهُ مَرَاراً فَوَجَدْتَهُ كَذَلِكَ . أَمَاتَنَا اللهُ عَلَى مَحَبَّةِ المصطفي وَأَهْلِ بَيْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ " (٤) .

وقال الإمام محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد ، التميمي ، أبو حاتم ، الدارمي ، البستي (٣٥٤هـ) : " أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ ، يُحَدِّثُ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : رَأَيْتُ

(١) انظر : مجموعة وسائل ابن أبي الدنيا كتاب مجابي الدعوة (١/ ٨٥) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٢٦٤) .

(٣) انظر : المجالسة وجواهر العلم (٤/ ٨٩) ، وانظر : بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/ ٣٠٣٨) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١٢) .

(٤) انظر : الثقات (٨/ ٤٥٧) .

أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ يُصَلِّي عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَ مَرَوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، فَقَالَ : تُصَلِّي إِلَى قَبْرِهِ ؟ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّهُ ، فَقَالَ لَهُ قَوْلًا قَبِيحًا ، ثُمَّ أَدْبَرَ ، فَأَنْصَرَفَ أُسَامَةُ ، فَقَالَ : يَا مَرَوَانُ إِنَّكَ أَدَيْتَنِي ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ ، وَإِنَّكَ فَاحِشٌ مُتَفَحِّشٌ " (١) .

وقال الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم الطبراني (٣٦٠هـ) : " حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَضْرَمِيُّ ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (٦٨هـ) ، قَالَ : مَا رَأَيْتُ قَوْمًا كَانُوا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا سَأَلُوهُ إِلَّا عَنْ ثَلَاثَةِ عَشَرَ مَسْأَلَةً حَتَّى قُبِضَ ، كُلُّهُمْ فِي الْقُرْآنِ ، مِنْهُمْ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٧] ، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ [البقرة: ٢١٩] ، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ﴾ [البقرة: ٢٢٠] ، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ [الأنفال: ١] ، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩] ، مَا كَانُوا يَسْأَلُونَ إِلَّا عَمَّا يَنْفَعُهُمْ ، قَالَ : " وَأَوَّلُ مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْمَلَأُكَّةُ ، وَإِنَّ مَا بَيْنَ الْحَجَرِ إِلَى الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ لِقُبُورٌ مِنْ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ إِذَا آذَاهُ قَوْمُهُ خَرَجَ هُوَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ فَعَبَدَ اللَّهُ فِيهَا حَتَّى يَمُوتَ " (٢) .

وقال الإمام أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (٣٧٣هـ) : " أَحْسَنَ اللَّهُ عَاقِبَتَهَا بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ " (٣) .

(١) انظر : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٢/٥٠٦-٥٠٧ برقم ٥٦٩٤) . قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : " إسناده حسن ، رجال ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق ، فقد روى له البخاري تعليقاً ، ومسلم متابعة ، وأصحاب السنن ، وهو صدوق . وأخرجه الطبراني في " الكبير " (٤٠٥) من طريق علي بن المديني ، عن وهب بن جرير ، لهذا الإسناد . ولفظه : رأيت أسامة بن زيد عند حجرة عائشة يدعو ، فجاء مروان فأسمعه كلاماً ، فقال أسامة : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبِذِيءَ " . وأورده الهيثمي في " المجمع " ٦٤/٨ وقال : رجاله ثقات . وأخرج المرفوع منه الطبراني في " الكبير " (٣٩٩) و (٤٠٤) ، وفي " الأوسط " (٣٣٠) ، والخطيب في " تاريخ بغداد " ١٨٨/١٣ من طريقين عن عثمان بن حكيم ، عن محمد بن أفلح مولى أبي أيوب ، عن أسامة ، وأخرجه أحمد ٢٠٢/٥ عن حسين بن محمد ، عن أبي معشر ، عن سليم مولى ليث ، عن أسامة . أبو معشر ضعيف ، وسليم مولى ليث لا يعرف . وأورده الهيثمي في " المجمع " ٦٤/٨ ، وقال : رواه أحمد والطبراني في " الكبير " و " الأوسط " بأسانيد ، وأحد أسانيد الطبراني رجاله ثقات .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/٤٥٤ برقم ١٢٢٨٨) .

(٣) انظر : بحر العلوم (٣/٦١٣) .

وقال الإمام أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ): " وَبِاللَّهِ أَسْتَعِينُ ، وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ ، وَعَلَى نَبِيِّهِ أَصَلِّي ، وَبِهِ أَتَوَسَّلُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (٣٨٥هـ): " وَأَمَّا ذُو النُّورِ ، فَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيِّ (٣٢هـ) ، اسْتَعْمَلَهُ عُمَرُ عَلَى الْبَابِ وَالْأَبْوَابِ وَقَتَالَ التَّرِكَ وَقَتَلَ بِلَنْجَرٍ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ فِي سَنَةِ تَسْعٍ مِنْ إِمَارَةِ عُثْمَانَ ، وَكَانَ أَمِيرَ الْجَيْشِ وَالْأَتْرَاكِ يَسْتَسْقُونَ بِجَسَدِهِ إِلَى الْيَوْمِ وَجَعَلُوهُ فِي سَفْطٍ ، هُوَ أَخُو سُلَيْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيِّ (٣٠هـ) الَّذِي يَرُوي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حَدِيثًا رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو وَائِلٍ ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ قَاضِي الكُوفَةِ " (٢) .

وقال الإمام أبو حيان التَّوْحِيدِي ، علي بن محمد بن العباس (٤٠٠هـ): " قَالَ أَبُو الْعِينَاءِ : حَدَّثَنِي حِجَّاجُ بْنُ نَصِيرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ فِي يَوْمِ عِيدِ يَخْطُبُ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ أَنْتَ ذَاكِرٌ فِيهِ أَبَاءَ بِأَبْنَاءِ آبَاءِ ، فَادْكُرْنَا عِنْدَكَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٣) .

وقال الإمام أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (٤٠٥هـ): " أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْحَاقَ ، أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، ثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، ثَنَا أَيُّوبُ بْنُ ثَابِتٍ ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ مَجْرَاةَ ، أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ وَرَةَ ، كَانَتْ لَهُ قُصَّةٌ فِي مُقَدِّمِ رَأْسِهِ إِذَا قَعَدَ أَرْسَلَهَا فَتَبْلُغُ الْأَرْضَ فَقَالُوا لَهُ : أَلَا تَحْلِقُهَا ؟ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ عَلَيْهَا بِيَدِهِ ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَحْلِقُهَا حَتَّى أَمُوتَ ، فَلَمْ يَحْلِقُهَا حَتَّى مَاتَ " (٤) .

وقال الإمام أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري في ترجمة إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران ، أبو إسحاق ، الأستاذ الإمام ، الإسفراييني (٤١٨هـ): " ... وَالنَّاسُ يَتَبَرَّكُونَ وَيُزَوَّرُونَ ، وَتُسْتَجَابُ عَنْهُ الدَّعَوَاتُ " (٥) .

(١) انظر: التَّعَرُّفُ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ (ص ٢١) .

(٢) انظر: الْمُؤَلَّفِ وَالْمُخْتَلَفِ (٢/١٠٠٠) ، وانظر: سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ (٢/٤٤٠) ، وانظر: الإِصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ (٤/٢٥٨) .

(٣) انظر: البصائر والذخائر (٤/٢٠) .

(٤) انظر: المستدرک علی الصحیحین (٣/٥٨٩) برقم (٦١٨١) .

(٥) انظر: السُّلْسِيْلُ النَّبَوِيُّ فِي تَرَاجِمِ شُيُوخِ الْبَيْهَقِيِّ (١/١٧٧) .

وقال الإمام منصور بن الحسين الرازي ، أبو سعد الآبي (٤٢١هـ) : " قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ : وَجَدْتُ جَمِيعَ مَا يَطْلُبُ الْعِبَادَ مِنْ جَسِيمِ الْخَيْرِ عِنْدَ اللَّهِ فِي ثَلَاثَ : فِي الْمُنْطِقِ وَالنَّظَرِ وَالسُّكُوتِ ؛ فَكُلُّ مَنْطِقٍ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرٌ فَهُوَ لَعْوٌ ، وَكُلُّ سَكُوتٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَكُّرٌ فَهُوَ سَهْوٌ ، وَكُلُّ نَظَرٍ لَيْسَ فِيهِ عِبْرَةٌ فَهُوَ غَفْلَةٌ . فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ مَنْطِقُهُ ذِكْرًا ، وَنَظَرُهُ عِبْرًا ، وَسَكُوتُهُ تَفَكُّرًا ، وَوَسْعُهُ بَيْتَهُ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ ، وَسَلَّمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُ . وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ الْفَطْرِ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ ذَاكِرُ الْيَوْمِ آبَاءَنَا بِأَبْنَائِهِمْ وَأَبْنَاءَنَا بِأَبَائِهِمْ ؛ فَادْكُرْنَا عِنْدَكَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا حَافِظَ الْأَبَاءِ فِي الْأَبْنَاءِ احْفَظْ ذُرِّيَّةَ نَبِيِّكَ . قَالَ : فَبَكَى النَّاسُ بِكَاءٍ شَدِيدًا " (١) .

وقال الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) : " حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمَعْدَلِيُّ الْأَصْبَهَانِيُّ نَيْسَابُورَ ، ثنا أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ وَمَوْلِدُهُ بِأَصْبَهَانَ ، ثنا أَبُو الصَّلْتِ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ صَالِحِ الْهَرَوِيُّ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرَّضَا (٢٠٣هـ) ، وَدَخَلَ نَيْسَابُورَ رَاكِبًا بَعْلَةً شَهْبَاءَ أَوْ بَعْلًا أَشْهَبَ ، الشُّكُّ مِنْ أَبِي الصَّلْتِ ، فَعَدَا فِي طَلْبِهِ عَلَمَاءَ الْبَلَدِ يَاسِينُ بْنُ النَّضْرِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ ، وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، وَعِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَتَعَلَّقُوا بِلِجَامِهِ فِي الْمَرْجِ ، فَتَأَلَّوْا : بِحَقِّ آبَائِكَ الطَّاهِرِينَ ، حَدَّثَنَا بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِيكَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي الْعَدْلُ الصَّالِحُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ مُوسَى : حَدَّثَنِي أَبِي الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنِي أَبِي أَبُو جَعْفَرٍ بِأَبِي الْعِلْمِ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ سَيِّدِ الْعَابِدِينَ ، حَدَّثَنِي أَبِي سَيِّدِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْحُسَيْنُ ، حَدَّثَنِي أَبِي سَيِّدِ الْعَرَبِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا الْإِيْمَانُ ؟ قَالَ : مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ ، وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : إِنْ قَرَأْتَ هَذَا الْإِسْنَادَ عَلَى مَجْنُونٍ بُرِيَ مِنْ جُنُونِهِ ، وَمَا عَيْبُ هَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا جَوْدَةُ إِسْنَادِهِ " (٢) .

وقال الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) : " أُمُّ حَرَامَ بِنْتُ مِلْحَانَ الْأَنْصَارِيَّةُ خَالَةُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، كَانَتْ تَحْتَ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، وَخَرَجَتْ مَعَهُ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِ الْبَحْرِ ، وَمَاتَتْ بِالشَّامِ ، وَقُبِّرَتْ بِقُبْرِسَ ، وَقَصَّتْهَا بَعْلَتُهَا فَمَاتَتْ ، وَأَهْلُ الشَّامِ يَسْتَسْقُونَ بِهَا ، يَقُولُونَ : قَبْرُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ ، قِيلَ : اسْمُهَا الرُّمَيْصَاءُ ، وَقِيلَ : الْغَمَيْصَاءُ أَيْضًا " (٣) .

(١) انظر : نثر الدر في المحاضرات (١/٢٥٩) .

(٢) انظر : تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان) (١/١٧٤) ، وانظر : التدوين في أخبار قزوين (٣/٤٨٢) .

(٣) انظر : معرفة الصحابة (٦/٣٤٧٩) ، وانظر أيضاً : تاريخ دمشق (٧٠/٢١٧) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٥/٣٤٠) .

وقال الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) : " حدثنا محمد بن عبيد الله ، ثنا الحسن بن علي بن نصر الطوسي ، ثنا محمد بن عبد الكريم العبدي ، ثنا الهيثم بن عدي ، ثنا ثور بن يزيد ، ثنا خالد بن معدان ، قال : استعمل علينا عمر بن الخطاب بجمص سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي ، فلما قدم عمر بن الخطاب جمص ، قال : يا أهل جمص ، كيف وجدتم عاملكم ؟ فشكوه إليه - وكان يقال لأهل جمص : الكوفة الصغرى لسكائتهم العمال - قالوا : نشكو أربعا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار ، قال : أعظم بها ، قال : وماذا ؟ قالوا : لا يجيب أحدا بليل ، قال : وعظيمة ، قال : وماذا ؟ قالوا : وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا ، قال : عظيمة ، قال : وماذا ؟ قالوا : يغنظ الغنظة بين الأيام - يعني تأخذه موته - قال : فجمع عمر بينهم وبينه ، وقال : اللهم لا تقبل رأيي فيه اليوم ، ما تشكون منه ؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار ، قال : والله إن كنت لأكره ذكره ، ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يتتير ثم أخبز خبزي ، ثم أتوا ثم أخرج إليهم ، فقال : ما تشكون منه ؟ قالوا : لا يجيب أحدا ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمدا صلى الله عليه وسلم شيك بشوكة ، ثم نادى : يا محمد ، فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرتة في تلك الحال ، وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يعفري لي بذلك الذنب أبدا ، قال : فتصيبني تلك الغنظة ... " (١) .

وقال الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، في ترجمة شقيق بن إبراهيم البلخي (١٩٤هـ) : " قال علي بن محمد بن شقيق : كان لجدي ثلاثمائة قرية يوم قتل بواشكرد ولم يكن له كفن يكفن فيه ، قدمه كله بين يديه ، وثيابه وسيفه إلى الساعة معلق ، يتبركون به " (١) .

والرواية ذكرها الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) في الشعب ، قال : " أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنا أحمد بن سلمان الفقيه ، ببغداد ، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : سمعت أبي ، يقول : " حججت خمس حجج ، اثنتين راجبا ، وثلاث ماشيا ، أو ثلاث راجبا ، واثنتين ماشيا ، فصلت الطريق في حجة ، وكنت ماشيا فجعلت أقول : يا عباد الله ، دلوني على الطريق ، قال : فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق ، أو كما قال أبي " (٢) .

(١) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٤٦/١) .

(٢) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥٩/٨) .

(٣) انظر : شعب الإيبان (١٠/١٤١) ، وانظر : تاريخ دمشق (٢٩٨/٥) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " ... ومقبرة باب البردان فيها أيضا جماعة من أهل الفضل . وعند المصلى المرسوم بصلاة العيد كان قبره يعرف بقبر النذور ، يقال : إنَّ المدفون فيه رجل من ولد عَليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه يتبرَّك النَّاسُ بزيارته ، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته " (١) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ رَامِينَ الْإِسْتَرَابَادِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَمْدَانَ الْقَطِيعِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ إِبرَاهِيمَ أَبَا عَلِيٍّ الْخَلَّالِ ، يَقُولُ : مَا هَمَّنِي أَمْرٌ فَقَصَدْتُ قَبْرَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، فَتَوَسَّلْتُ بِهِ إِلَّا سَهَّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِي مَا أَحَبُّ " (١) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَيْرِيِّ الضَّرِيرِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّلْمِيِّ ، بَنِيْسَابُورَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الرَّازِيَّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُوسَى الطَّلْحِيَّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ الْعَبَّاسِ ، يَقُولُ : خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ ، فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ عَلَيْهِ أَثَرُ الْعِبَادَةِ ، فَقَالَ لِي : مِنْ أَيْنَ خَرَجْتَ؟ قُلْتُ : مِنْ بَغْدَادَ هَرَبْتُ مِنْهَا لَمَّا رَأَيْتُ فِيهَا مِنَ الْفُسَادِ ، خَفْتُ أَنْ يَخْسِفَ بِأَهْلِهَا . فَقَالَ : ارْجِعْ وَلَا تَخَفْ ، فَإِنَّ فِيهَا قُبُورَ أَرْبَعَةٍ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ هُمْ حَصَنٌ لَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا . قُلْتُ : مِنْ هُمْ؟ قَالَ : ثُمَّ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ (٢٤١هـ) ، وَمَعْرُوفُ الْكِرْخِيِّ (٢٠٠هـ) ، وَبِشْرُ الْحَافِيِّ (٢٢٧هـ) ، وَمَنْصُورُ بْنُ عِمَارٍ (٢٢٥هـ) . فَارْجَعْتَ وَزَرْتَ الْقُبُورَ ، وَلَمْ أَخْرَجْ تِلْكَ السَّنَةَ " (٢) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّيْمِرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ إِبرَاهِيمَ الْمُقْرِيَّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَكْرَمُ بْنُ أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ

(١) انظر : تاريخ بغداد (١/٢٤٥-٢٤٦) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (١/٤٤٢) ، وانظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٩/٨٩) .

(٣) انظر : تاريخ بغداد (١/٤٤٣) .

(٤٢٠٤هـ) ، يقول : إني لأتبرك بأبي حنيفة (١٥٠هـ) ، وأجيء إلى قبره في كل يوم ، يعني زائراً ، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين ، وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده ، فما تبعد عني حتى تقضى " (١) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " أَخْبَرَنِي أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ الْبَرْمَكِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّهْرِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : قَبْرُ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ (٢٠٠هـ) مَجْرَبٌ لِقَضَاءِ الْحَوَائِجِ ، وَيُقَالُ : أَنَّهُ مِنْ قَرَأَ عِنْدَهُ مِائَةَ مَرَّةٍ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، وَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى مَا يَرِيدُ ، قَضَى اللَّهُ لَهُ حَاجَتَهُ . " (٢) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصُّورِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ جَمِيعٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ الْمُحَامِلِيِّ ، يَقُولُ : أَعْرَفَ قَبْرَ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ مِنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً مَا قَصَدَهُ مَهْمُومٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ هَمَّهُ " (٣) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْيَسَابُورِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُدَّكَّرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْفَقِيهِ الرَّازِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، قَالَ : كُنْتُ وَاقِفاً عَلَى رَأْسِ أَبِي وَعِنْدَهُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبَلٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَّةٍ ، وَأَبُو الصَّلْتِ الْهَرَوِيُّ ، فَقَالَ أَبِي : لِيُحَدِّثَنِي كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِحَدِيثٍ ؛ فَقَالَ : أَبُو الصَّلْتِ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرَّضَا ، وَكَانَ وَاللَّهِ رِضاً كَمَا سُمِّيَ ، عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ " . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَا هَذَا الْإِسْنَادُ ؟! فَقَالَ لَهُ أَبِي : هَذَا سَعُوطُ الْمُجَانِينِ ، وَإِذَا سَعَطَ بِهِ الْمُجَنُونُ بَرَأً " (٤) .

وقال الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم التَّمْرِي القرطبي (٤٦٣هـ) : " وقبر أبي أيوب قرب سورها معلوم إلى اليوم معظم يستسقون به فيسقون " (٥) .

(١) انظر : تاريخ بغداد (١/٤٤٥) ، وانظر : مناقب أبي حنيفة (٥٦٨هـ) ، (ص ٤٥٣) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (١/٤٤٥) ، طبقات الأولياء (ص ٢٨١) .

(٣) انظر : تاريخ بغداد (١/٤٤٥) .

(٤) انظر : تاريخ بغداد (٣/٤٢١) .

وقال الإمام أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (٤٨١هـ): "... ودعوت الله تَعَالَى أَنْ يوفقني لطاعته وَأَنْ يَغْفِرَ ذَنْبِي اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَهْدِي عِبَادَهُ جَمِيعاً لِمَا يَرْضَاهُ وَيَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ يَحَقَّ مُحَمَّدٌ وَآلُهُ الطَّاهِرِينَ" (١).

وقال الإمام أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ): " غفر الله لكاتبه ، ونفع به صاحبه ، وألمهه لما فيه ، واستعمله بما يرضيه بمحمد وآله الطاهرين" (٢).

وقال الإمام أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي (٥٠٥هـ): " كتاب " أسرار الحج " : ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام ، وزيارة قبور الصحابة والتابعين ، وسائر العلماء والأولياء ، وكل من يُتَبَرَّك بمشاهدته في حياته يُتَبَرَّك بزيارته بعد وفاته . ويجوز شدُّ الرِّحال لهذا الغرض ، ولا يمنع من هذا قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هَذَا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى " ، لأنَّ ذلك في المساجد ، فإنَّها متماثلة بعد هذه المساجد . وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء في أصل الفضل ، وإن كان يتفاوت في الدَّرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله" (٣).

وقال الإمام أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي (٥٠٥هـ): " زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكُّر والاعتبار ، وزيارة قبور الصَّالحين لأجل التَّبَرُّك مع الاعتبار ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ثُمَّ أُذِنَ فِي ذَلِكَ بَعْدَ " (٤).

وقال الإمام شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو ، أبو شجاع الديلمي الهمداني (٥٠٩هـ): " إذا شجاك شيطان أو سلطان فقل: يَا مَنْ يَكْفِي مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَلَا يَكْفِي مِنْهُ أَحَدٌ ، يَا أَحَدٌ مِنْ لَا أَحَدَ لَهُ ، يَا سَنَدٌ مِنْ لَا سَنَدَ لَهُ ، أَنْقَطِعِ الرَّجَاءُ إِلَّا مِنْكَ ، فَأَكْفِنِي بِمَا أَنَا فِيهِ ، وَأَعْنِي عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ بِمَا قَدْ نَزَلَ بِي ، بِجَاهِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ ، وَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكَ آمِينَ" (٥).

(١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٤٢٦)، وانظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٢/١٢١)، معرفة الصحابة (٢/٩٣٣).

(٢) انظر: سفرنامه (ص ٦٠).

(٣) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص ٢٠٠).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين (٢/٢٤٧).

(٥) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٤٩٠).

(٦) انظر: الفردوس بمأثور الخطاب (ص ٣٢٤ رقم ١٢٨٢).

وقال الإمام أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفتسي الطرابلسي (المتوفى: بعد ٥١٥هـ): " نسأل الله توفيقاً لما أغرب عن ذلك المقام ، وأعفى من ذلك الغرام ، ونتوجه إليه بمحمد وآله عليهم أفضل الصلاة والسلام . هذا كلام الوزير رحمه الله " (١) .

وقال الإمام أبو محمد القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ): " فقد مددنا إليك يد المسألة ، وبخعنا بالاستكائة لك والمسكنة ، واستنزلنا كرمك الجم ، وفضلك الذي عم ، بصراعة الطلب ، وبضاعة الأمل ، بالتوسل بمحمد سيد البشر ، والشفيع المشفع في المحسر ، الذي ختمت به النبيين ، وأعليت درجته في عليين " (٢) .

وقال الإمام أبو الحسين ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد (٥٢٦هـ) ، في ترجمة علي بن محمد بن بشار أبو الحسن الزاهد العارف : " ... وتوفي لسبع خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ودفن بالعقبة قريباً من النجمي ، وقبره الآن ظاهر يتبرك الناس بزيارته " (٣) .

وقال الإمام القاضي أبي الحسين ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد (٥٢٦هـ) في ترجمة أبو جعفر عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب (٤٧٠هـ): " وحفر له بجانب قبر إمامنا أحمد ، فدفن فيه وأخذ الناس من تراب قبره الكثير تبركاً به ، ولزم الناس قبره ليلاً ونهاراً مدة طويلة ويقرأون ختمات ويكثرون الدعاء . ولقد بلغني أنه ختم على قبره في مدة شهر أوف ختمات ، وكثرت المنامات من الصالحين بالرؤى الصالحة له ... " (٤) .

وفي كلامه عن فتح أذربيجان ، قال الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ): " ... افتتحها ، يعني : أذربيجان البراء بن عازب ، فهي مختلطة منها عنوة ومنها صلح ، ويقال : افتتحها سلمان بن ربيعة الباهلي في زمن عثمان ، ويقال : بل الوليد افتتحها ثم بعث الوليد من فور ذلك سلمان بن ربيعة فمات ببلنجر فقبره اليوم يستسقون به .

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم ، أنا رشأ بن نظيف ، أنا أبو محمد المصري ، أنا أحمد بن مروان ، أنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، أنا ابن سعد ، أنا محمد بن عمر الأسلمي ، أنا أبو بكر بن أبي سبرة ، عن الفضيل بن أبي عبد الله بن

(١) انظر : المجموع الليف (ص ٢٩) .

(٢) انظر : مقامات الحريري (ص ١٢) .

(٣) انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ٦٣) .

(٤) انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤١) .

دينار الأسلمي أن سلمان بن ربيعة الباهلي غزا بلاد التُّرك في خلافة عثمان بن عفان ، فقتل بالانجر ، فجعل أهل تلك النّاحية عظامه في تابوت ، فإذا احتبس عنهم القطر أخرجوه فاستسقوا به وقال في ذلك ابن جمانة الباهلي الشّاعر :

إِنَّ لَنَا قَبْرَيْنِ قَبْرَ بِلَانَجْرٍ وَقَبْرًا بِأَعْلَى الصَّيْنِ يَا لَكَ مِنْ قَبْرِ  
فَهَذَا الَّذِي بِالصَّيْنِ عَمَّتْ فَتُوْحُهُ وَهَذَا الَّذِي بِالتُّرْكِ يَسْقَى بِهِ الْقَطْرَ

القبر الذي بالصّين قبر قتيبة بن مسلم " (١) .

وقال الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " أخبرني أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري ، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، أنا أبو عبد الرحمن محمّد بن الحسين بن محمّد بن موسى قراءة عليه ، قال : سمعت محمّد بن عبد الله بن شاذان ، يقول : سمعت أبا القاسم بن صدقة ، يقول : سمعت علي بن عبد العزيز الطّاحي ، يقول : قال لي الرّبيع : إنّ الشّافعي خرج إلى مصر وأنا معه ، فقال لي : يا ربيع خذ كتابي هذا فامض به وسلّمه إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل وائتني بالجواب ، قال الرّبيع : فدخلت بغداد ومعني الكتاب فلقيت أحمد بن حنبل صلاة الصّبح فصلّيت معه الفجر ، فلمّا انفتل من المحراب سلّمت إليه الكتاب ، وقلت له : هذا كتاب أخيك الشّافعي من مصر ، فقال : أحمد نظرت فيه ، قلت : لا ، فكسر أبو عبد الله الختم وقرأ الكتاب وتغرّغت عيناه بالدموع ، فقلت : إيش فيه يا أبا عبد الله ، قال : يذكر أنّه رأى النّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فقال له : اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، وقرأ عليه مني السّلام ، وقل : إنك ستّمته وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم فسيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة ، قال الرّبيع : فقلت : البشارة فخلع أحمد قميصه الذي يلي جلده ودفعه إليّ فأخذه وخرجت إلى مصر ، وأخذت جواب الكتاب ، فسلّمته إلى الشّافعي ، فقال لي الشّافعي : يا ربيع إيش الذي دفع إليك ، قلت : القميص الذي يلي جلده ، قال الشّافعي : ليس نفجعك به ولكن بلّه وادفع إليّ الماء حتى أشركك فيه " (٢) .

وفي حديثه عن أم حرام بنت ملحان الأنصاريّة ، قال الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " أمّ حرام بنت ملحان الأنصاريّة خالة أنس بن مالك ، كانت تحت عبادة بن الصامت ،

(١) انظر : تاريخ دمشق (٢١/٤٧٤) .

(٢) انظر : تاريخ دمشق (٥/٣١١) .

وخرجت معه في بعض غزوات البحر ، ومات بالشَّام ، وقُبرت بقبرس ، وَقَصَّتْهَا بَغْلَتُهَا فَمَاتَتْ ، وَأَهْلُ الشَّامِ يَسْتَسْقُونَ بِهَا ، يَقُولُونَ : قَبْرِ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ " (١) .

وقال الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " حكى لي أبو المغيث متقد بن مرشد الكناني ، قال : كنت عند والدي رحمه الله تعالى وهو ينسخ مصحفاً ، ونحن نتذاكر خروج الرُّوم ، فرفع المصحف ، وقال : اللهمَّ بحقِّ من أنزلته عليه ، إن قضيت بخروج الرُّوم فخذ روحي ولا أراهم ، فمات يوم الاثنين الثامن من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة بشيزر ، ودفن في داره ، وخرجت الرُّوم ونزلوا على شيزر في نصف شعبان سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة ، فحاصروها أربعة وعشرين يوماً ونصبوا عليها ثمانية عشر منجنيقاً ، ثمَّ رحلوا عنها يوم السبت تاسع شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة ، والله تعالى أعلم " (٢) .

وقال الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " أخبرنا أبو الفضائل بن محمود ، أنبأنا علي بن أحمد بن زهير ، أنبأنا علي بن محمَّد بن شجاع ، أنبأنا تمام أخبرنا الحارث بن عمار ، حدَّثني أبي ، أنبأنا محمَّد بن إبراهيم ، أنبأنا هشام يعني ابن خالد ، وقال : سمعت الوليد يقول : سمعت سعيد بن عبد العزيز ، وقال : حدَّثني مكحول أنَّه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدَّم يسأل الله تبارك وتعالى أن يسقينا ، فسقانا ، قال مكحول : وخرج معاوية والمسلمون إلى موضع الدَّم يستسقون ، فلم يزل فلم يبرحوا حتى سالت الأودية . أخبرنا أبو محمَّد بن الأكفاني فيما قرئ عليه عن عبد العزيز بن أحمد ، أنبأنا عبد الوهَّاب بن جعفر بن علي ، أنبأنا أبو الحارث أحمد بن محمَّد بن عمار الليثي ، حدَّثني أبو سهل سعيد بن الحسن الأصبهاني ، أنبأنا أحمد بن محمَّد بن إبراهيم ، قال : قال هشام بن عمار : سمعت الوليد ، يقول : قال سعيد : وحدَّثني مكحول أنَّه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدَّم يسأل الله تبارك وتعالى أن يسقينا ، فسقانا . قال مكحول : وخرج معاوية والمسلمون يستسقون فلم يبرحوا حتى سالت الأودية .

قال مكحول : وسمعت كعب الأخبار يذكر أنَّه موضع الحاجات والمواهب من الله تبارك وتعالى ، وأنَّه لا يزال سائلاً في ذلك الموضع . قال هشام : وسمعت الوليد ، يقول : سمعت سعيد بن عبد العزيز ، قال : سعدنا في خلافة هشام إلى موضع قتل ابن آدم أخاه ، فسأل الله تعالى أن يسقينا ، فسقانا ، فأتى مطر فأقمنا في الغار

(١) انظر : تاريخ دمشق (٧٠/٢١٧) .

(٢) انظر : تاريخ دمشق (٥٧/٢١٩) ، وانظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (١١/٥٥٦) .

الذي تحت الدَّم ثلاثة أيام . قال : وحَدَّثني سعيد ، حَدَّثنا مُحَمَّد ، قال : قال هشام بن عمار : وصعدت مع أبي وجماعة من أهل دمشق نسأل الله تعالى سقينا إلى موضع قتل ابن آدم أخاه ، فأرسل الله تبارك وتعالى علينا مطراً غزيراً حتى أقمنا في الغار تحت الدَّم ، فدعونا الله تبارك وتعالى فارتفع عنا ، وقد رويت الأرض .

قرأت على أبي مُحَمَّد عبد الكريم بن حمزة ، عن أبي مُحَمَّد عبد العزيز بن أحمد ، أنبأنا تمام الرَّازي ، أنبأنا أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الفرج ، حَدَّثني مُحَمَّد بن يوسف الهروي ، قال : سمعت أبا زرعة عبد الرَّحمن بن عمرو ، يقول : سألت أبا مسهر عن مغارة الدَّم ، فقال : مغارة الدَّم موضع الحمرة ، موضع الحوائج ، يعني بذلك الدُّعاء فيها والصَّلَاة ، قال : وأنبأنا مُحَمَّد بن يوسف ، قال : سمعت يزيد بن مُحَمَّد وأبا زرعة وأحمد بن المعلى وسليمان بن أيوب بن حذلم ومُحَمَّد بن إِسحاق ومُحَمَّد بن إبراهيم ومُحَمَّد بن يزيد ومُحَمَّد بن هارون وغيرهم من مشايخنا يقولون : سمعنا هشام بن عمار ، يقول وهشام بن خالد وأحمد بن أبي الحواري وسليمان بن مسلم يقول : سمعت ابن عَبَّاس ، يقول : كان أهل دمشق إذا احتبس عليهم المطر أو غلا سعرهم أو جار عليهم سلطان أو كانت لأحدهم حاجة صعد إلى موضع ابن آدم المقتول ، فيسألون الله تبارك وتعالى ، فيعطيهما ما سألوا .

قال هشام : ولقد صعدت مع أبي وجماعة من أهل دمشق نسأل الله تعالى سقيا ، فأرسل عليهم المطر مطراً غزيراً ، حتى أقمنا في الغار الذي تحت الدَّم ثلاثة أيام ثم دعونا أن يرفع فرقع ، وقد رويت الأرض . قال هشام : سمعت الوليد بن مسلم ، يقول : سمعت سعيد بن عبد العزيز ، يقول : صعدنا في خلافة هشام بن عبد الملك إلى موضع دم ابن آدم نسأل الله تعالى سقيا فسقانا ، فأتانا مطر فأقمنا في الغار ستة أيام .

وقال ابن مكحول : صعدت مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدَّم يسألون الله تعالى سقيا فسقاهم . وقال : إن معاوية خرج إلى موضع الدَّم يستسقون الله تعالى سقيا فسقاهم ، فلم يبرحوا حتى جرت الأودية . وروى عن أحمد بن كثير ، قال : صعدت إلى موضع دم ابن آدم عليه السَّلَام في جبل قاسيون بدمشق نسأل الله تبارك وتعالى الحُجَّ فحججت ، وسألته الجهاد فجاهدت ، وسألته الزَّيارة والصَّلَاة في بيت المقدس وعسقلان وعكا والزَّباط في جميع السَّواحل ، فرزقت ذلك كله ، وسألته يغنيني عن الأسواق والبيع ، فرزقت ذلك . ولقد رأيت النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما وهابيل بن آدم ، فقلت له : أسألك بحقِّ الواحد الصَّمد وبحقِّ أبيك آدم النَّبي عليه الصَّلَاة والسَّلَام هذا دمك ، فقال : أي الواحد الصَّمد ، هذا دمي جعله الله تعالى آية للنَّاس ، وإني دعوت الله عزَّ وجلَّ ، فقلت : اللهمَّ ربَّ أبي آدم وأمِّي حواء وهذا النَّبي المصطفى الأُمِّي اجعل دمي مستغاثاً لكلِّ نبي وصدِّيق ، ومن دعا فيه فتجيبه ، وسألك فتعطيه ، فاستجاب الله

تبارك وتعالى دعائي وجعله طاهراً آمناً ، وجعل معه من الملائكة بعدد نجوم السماء يحفظونه ، من أتاه لا يرد إلا الصلاة فيه ، فقال رسول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قد فعل وزاد كرماً وإحساناً ، وإني آتبه كل خميس وصاحباي وهابيل نصلي فيه ، فقلت : يا رسول الله ادع الله تعالى أن أكون مستجاب الدعوة وعلمي دعاء لكل ملمة وحاجة ، فقال لي : افتح فاك ففتحته فتفل فيه ، فقال لي : رزقت فالزم رزقت فالزم " (١) .

وقال الإمام أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (٥٧٨هـ) ، في ترجمة نصر بن الحسن بن أبي القاسم بن أبي حاتم بن الأشعث التنكتي الشاشي : " أخبرنا القاضي الشهيد أبو عبد الله محمد بن أحمد رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : قرأت على أبي علي حسين بن محمد الغساني ، قال : أخبرني أبو الحسن طاهر بن مفوز والمعاذري ، قال : أنا أبو الفتح وأبو الليث نصر بن الحسن التنكتي المقيم بسمرقند قدم عليهم بلنسية عام أربعة وستين وأربع مائة . قال : قحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام ، قال : فاستسقى الناس مراراً فلم يسقوا . قال : فأتى رجل من الصالحين معروف بالصَّلاح مشهور به إلى قاضي سمرقند ، فقال له : إني قد رأيت رأياً أعرضه عليك . قال : وما هو ؟ قال : أرى أن تخرج ويخرج النَّاس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله وقبره بخرتنك وتستسقوا عنده فعسى الله أن يسقينا ، قال : فقال القاضي نعم ما رأيت . فخرج القاضي وخرج النَّاس معه واستسقى القاضي بالنَّاس ، وبكى النَّاس عند القبر وتشفَّعوا بصاحبه ، فأرسل الله السماء بقاءً عظيم غزير أقام النَّاس من أجله بخرتنك سبعة أيام أو نحوها لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر وغزارته ، وبين خرتنك وسمرقند ثلاثة أميال أو نحوها " (٢) .

وقال الإمام عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي ، الأندلسي الأشبيلي ، المعروف بابن الخراط (٥٨١هـ) : " ... وَيَسْتَحِبُّ لَكَ رَحِمَكَ اللهُ أَنْ تَقْصِدَ بِمَيْتِكَ قُبُورَ الصَّالِحِينَ ، وَمَدَافِنَ أَهْلِ الْخَيْرِ ، فَتَدْفِنَهُ مَعَهُمْ ، وَتَنْزِلُهُ بِإِزَائِهِمْ ، وَتَسْكُنُهُ فِي جَوَارِهِمْ ، تَبَرُّكاً بِهِمْ ، وَتَوْسُّلاً إِلَى اللهِ تَعَالَى بِقَرْبِهِمْ ، وَأَنْ تَجْتَنِبَ بِهِ قُبُورَ مَنْ سِوَاهُمْ مِمَّنْ يَخَافُ التَّأْدِيَّ بِمَجَاوَرَتِهِ ، وَالتَّأَلُّمَ بِمَشَاهِدَتِهِ ، فَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " إِنْ الْمَيْتُ يَتَأَدَّى بِالْجَارِ السُّوءِ كَمَا يَتَأَدَّى بِهِ الْحَيُّ ... " (٣) .

(١) انظر : تاريخ دمشق (٢/٣٣٣-٣٣٥) .

(٢) انظر : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (١/٦٠٣) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (١٢/٤٦٩) .

(٣) انظر : العاقبة في ذكر الموت (١/٢١٩-٢٢٠) ، وحديث تأذي الميت بجوار السوء ذكره العجلوني في كشف الخفاء ، وقال : " ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال في المقاصد : رواه أبو نعيم والحلي من حديث سليمان بن عيسى عن أبي هريرة مرفوعاً ، وسليمان متروك بل اتهم بالوضع

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) : " عن أبي عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء ، قال : سمعت أبي يقول : كنت عند معروف في مجلسه ، فدخل عليه رجل ، فقال : يا أبا محفوظ : رأيت في هذه الليلة عجباً ، قال : وما رأيت رحمك الله ؟ قال : اشتهى علي أهلي سمكاً ، فذهبت إلى السوق ، فاشتريت لهم سمكة ، وحملتها مع حمّال ، فمشي معي ، فلمّا سمعنا أذان الظهر ، قال الحمّال : يا عم ، هل لك أن نصليّ؟! فكأنّه أيقظني من غفلة ، فقلت له : نعم نصليّ .

فوضع الطّبّق والسّمكة عليه على مستراح ، ودخل المسجد ، فقلت في نفسي : الغلام قد جاد بالطّبّق أجود أنا أيضاً بالسّمكة ، فلم يزل يركع حتى أقيمت الصّلاة ، فصلّينا جماعة ، وركع بعد الصّلاة ، وخرجنا ، فإذا الطبق على حاله موضوع ، فجنّت إلى البيت وحدثت أهلي بهذا ، فقالوا لي : قل له يأكل معنا من هذا السمك ، فقلت له : تأكل معنا من هذا السمك ، فقال أنا صائم ، فقلت له : فأفطر عندنا ، قال : نعم ، أروني طريق المسجد ، فأرّيته ، فدخل المسجد وجلس إلى أن صلّينا المغرب . فجنّت إليه وقلت له : تقوم رحمك الله ، فقال : أو نصليّ عشاء الآخرة؟! فقلت في نفسي هذه ثانية يريد أن فيه خيراً ، فلمّا صلّينا جنّت به إلى منزلي ولنا ثلاثة أبيات : بيت فيه أنا وأهلي ، وبيت فيه صبيّة مُقعّدة ولدت كذلك لها فوق العشرين سنة ، وبيت كان فيه ضيفنا .  
فبينما أنا مع أهلي إذ دقّ داقّ الباب في آخر الليل ، فقلت : من يدقّ الباب ، فقالت : أنا فلانة ، فقلت : فلانة قطعة لحم مطروحة في البيت ، كيف يستوي لها أن تمشي؟! فقالت : أنا هي افتحوالي ، ففتحنها لها ، فإذا هي ، فقلت : أي شيء الخبر؟ فقالت : سمعتكم تذكرون ضيفنا هذا بخير ، فوقع في نفسي أن أتوسّل إلى الله عزّ وجلّ به ، فقلت : اللهمّ بحق ضيفنا هذا وبجاهه عندك إلّا أطلقت أسري ، فاستويت وقمت وأنا في عافية كما تروني .  
فقمّت إليه أطلبه في البيت ، فإذا البيت خالٍ ليس فيه أحد ، فجنّت إلى الباب فوجدته مغلقاً بحاله ، فقال معروف : نعم فيهم صغار وكبار يعني الأولياء " (١) .

، ولكن لم يزل عمل السلف والخلف على هذا انتهى ، ومما يشهد له ما أخرجه ابن عساكر عن علي أمرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين ، فإن الموتى يتأذون بالجار السوء كما يتأذى به الأحياء " . انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السُنّة النَّاس (١/ ٧٢) . قلت : وقد رواه الطبراني في : جزء فيه ما انتقى أبو بكر أحمد بن موسى ابن مردويه على أبي القاسم الطبراني من حديثه لأهل البصرة (ص ٢٩٩ رقم ١٣٨) .

(١) انظر : صفة الصفوة (١/ ٥٦٤) .

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ): " فَالْوَجِبَ عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَعِيثَ بِمَرَاكِمِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ، وَنَسْتَشْفَعَ إِلَيْهِ بِجَاهِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ الَّذِي أَدْنَى لَهُ فِي إِخْرَاجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ " (١) .

وقال جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ): " وكان هبة الله بن عبد الوارث يحكي عن والدته فاطمة بنت علي قالت : سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن أبي زرعة الطبري ، قَالَ : سافرت مع أبي إلى مكة ، فأصابتنا فاقة شديدة ، فدخلنا مدينة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبتنا طاويين ، وكنت دون البالغ ، فكنت أجيء إلى أبي وأقول : أنا جائع . فأتى بي أبي إلى الحضرة ، وقال : يا رسول الله ، أنا ضعيفك الليلة . وجلس فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وجعل يبكي ساعة ، ويضحك ساعة . فقال : رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضع في يدي دراهم ، ففتح يده فإذا فيها دراهم وبارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز وكنا ننفق منها " (٢) .

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، في ترجمة أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي : " ... وتوفي ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين وقبره ظاهر يتبرك الناس به رحمه الله " (٣) .

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي : " اللهم إنا نتوسل إليك بالخليل في منزلته ، والحبيب في رتبته ، وكل مخلص في طاعته ، أن تغفر لكل منأزلته ، يا كريم برحمتك يا أرحم الراحمين " (٤) .

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: " أنبأنا يحيى بن الحسن ، قال : أنبأنا محمد بن الحسين ، قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الحنائي ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن عيسى ، قال : حدثنا العباس ، قال : وحدثنى اللكاف ، قال : حدثني عبد الله بن موسى - وكان من أهل السنة - قال : خرجت أنا وأبي في ليلة مظلمة نزور أحمد ، فاشتدت الظلمة ، فقال أبي : يا بُني ، تعال حتى نتوسل إلى الله تعالى بهذا العبد الصالح حتى يُضئ لنا الطريق ، فإني منذ ثلاثين سنة ما

(١) انظر : التذكرة في الوعظ (ص ١٦٢) .

(٢) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١٦ / ٣١٤) .

(٣) انظر : صفة الصفوة (١ / ٥١٥) .

(٤) انظر : التبصرة لابن الجوزي (١ / ١٢٤) .

تَوَسَّلْتُ بِهِ إِلَّا قُضِيَتْ حَاجَتِي ، فدعا أبي وأمنتُ أنا على دُعائه ، فأضاءت السَّاء كأنَّها ليلة مُقَمَّرة حتى وصلنا إليه " (١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي : " أَخْبَرَنَا زَاهِرُ بْنُ طَاهِرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبِيهَقِي ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمُ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ الْقَاضِي ، يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرِ الزَّاهِدِ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ زَكَرِيَّا بْنَ أَبِي دَلْوَيْهِ ، يَقُولُ : رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَرْبٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِشَهْرِ فِي الْمَنَامِ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ بِكَ رَبِّكَ ؟ قَالَ : غَفِرَ لِي وَفَوْقَ الْمَغْفِرَةِ . قُلْتُ : وَمَا فَوْقَ الْمَغْفِرَةِ ؟ قَالَ : أَكْرَمَنِي بِأَنْ يَسْتَجِيبَ دَعْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ إِذَا تَوَسَّلُوا بِقَبْرِي ... " (٢) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " ... وكثر ضجيجي من مرضي ، وعجزت عن طلب نفسي ، فلجأت إلى قبور الصَّالحين ، وتوسلت في صلاحي ... " (٣) .  
قلت : وعلى الدَّوام ... يأبى مدَّعو السَّلَفِيَّةِ إِلَّا الْعَبَثَ بِكُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّزْوِيرِ وَالتَّحْوِيرِ وَالتَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ ... وهنا حرَّفوا قول الإمام ابن الجوزي ( قبور الصَّالحين ) لتصبح بعينهم وكذبهم (قبول الصَّالحين) ، وذلك في كتاب " صيد الخاطر " الموجود في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، مع أنَّ التَّحريف الذي أوقعوه وأحدثوه لا يستقيم معه النَّص ... ولم أستطع الحصول على نسخة دار القلم التي نقلت عنها من المكتبة الشَّاملة ، ولذلك لا أدري : هل وقع التَّحريف والتَّزْييف في طبعة دار القلم أم كان من المشرفين على المكتبة الشَّاملة ، وهذا ما أعتقده وأمَّيلُ إليه ، فإلى الله تعالى المشتكى (٤) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي : " لم يزل ذكر نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منشوراً وَهُوَ فِي طِي الْعَدَمِ ، تَوَسَّلَ بِهِ آدَمُ وَأَخَذَ لَهُ مِيثَاقَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى تَصْدِيقِهِ " (٥) .

(١) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص ٤٠٠) .

(٢) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١١/ ٢١١) .

(٣) انظر : صيد الخاطر ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي ، (ص ٩٣) ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

(٤) انظر النَّصَّ غَيْرَ الْمُحَرَّفِ فِي كِتَابِ : صيد الخاطر ، ابن الجوزي (ص ٧٩) ، المكتبة العلميَّة ، بيروت .

(٥) انظر : المدهش ، ابن الجوزي (ص ١٤١) .

وقال الإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ، في ترجمة علي بن محمد بن بشار أبو الحسن : "... ودفن يوم الخميس بمشرفة السّاج من الجانب الغربي ببغداد ، وقبره اليوم ظاهر يتبرّك به " (١) .

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) : " أنبأنا يحيى بن الحسن ، قال : أنبأنا محمد بن الحسين ، قال أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الحنائي ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن عيسى ، قال : حدّثنا العباس ، قال : وحدّثني اللّكّاف ، قال : حدّثني عبد الله بن موسى - وكان من أهل السّنة - قال : خرجتُ أنا وأبي في ليلة مظلمة نزور أحمد ، فاشتدّت الظلمة ، فقال أبي يا بُني ، تعال حتى نتوسّل إلى الله تعالى بهذا العبد الصّالح حتى يُضيء لنا الطّريق ، فإني مُنذ ثلاثين سنة ما توسّلتُ به إلّا قُضيت حاجتي ، فدعا أبي وأمّنتُ أنا على دُعائه ، فأضاءت السّماء كأنّها ليلة مُقمرة حتى وصلنا إليه " (٢) .

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) : " قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ [يوسف : ٦٦] ، أي : أعطوه العهد ، وفيه قولان : أحدهما : أنّهم حلفوا له بحقّ محمد صلّى الله عليه وسلّم ومنزلته من ربّه ، قاله الضّحّاك (١٠٢هـ) عن ابن عبّاس (٦٨هـ) " (٣) .

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) : " أخبرنا عبد الوهّاب الحافظ ، قال : أخبرنا حمّد بن أحمد ، قال : أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الله ، قال : حدّثنا الحُسن بن عليّ الطّوسي ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الكريم ، قال : حدّثنا الهيثم بن عديّ ، قال : حدّثنا ثور بن يزيد ، قال : حدّثنا خالد بن معدان ، قال : قال : سعيد بن عامر بن جُذيم : شهدتُ مَصْرَع حَبِيبٍ وَقَدْ بَصَعَتْ قُرَيْشٌ لَحْمَهُ ثُمَّ حَمَلُوهُ عَلَى جَذَعَةٍ ، فَقَالُوا : ائْتِبْ أَنْ مُحَمَّدًا مَكَانَكَ ، فَقَالَ : وَاللّهِ مَا أُحِبُّ أَنِّي فِي أَهْلِي وَوَلَدِي وَأَنَّ مُحَمَّدًا شَيْكٌ بِشَوْكَةٍ ثُمَّ نَادَى يَا مُحَمَّد " (٤) .

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) : " قال الخلال : وحدّثنا أبو طالب علي بن أحمد ، قال : دخلتُ يوماً على أبي عبد الله وهو يملي عليّ ، وأنا أكتب ، فاندقّ قلّمي ، فأخذ قلماً

(١) انظر : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٩٨-١٩٩) .

(٢) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص ٤٠٠-٤٠١) .

(٣) انظر : زاد المسير في علم التفسير (٢/٤٥٥) .

(٤) انظر : الثبات عند المات (ص ١٢٤) ، وانظر : صفة الصفة (١/٢٣٧) ، (١/٢٥٧) .

فأعطانيه ، فجئت بالقلم إلى أبي علي الجعفري ، فقلت : هذا قلم أبي عبد الله أعطانيه ، فقال لغلامه : خذ القلم  
فضعه في النَّخْلة عسى تَحْمَل ، فوضعه في النَّخْلة فحملت النَّخْلة " (١) .

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) : " أخبرنا محمد بن أبي  
منصور ، قال : أخبرنا أبو الغنائم محمد بن محمد بن المهدي ، قال : أنبأنا عبد العزيز بن علي الأرجسي ، قال : أنبأنا  
عبد العزيز بن جعفر ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال ، قال : أخبرني عصمة بن عصام ، قال : حدَّثنا  
حنبل ، قال : أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله وهو في الحبس ثلاث شَعرات ، فقال : هذا من شَعْر  
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يُجعل على كل عَيْن شعرة ، وشَعرة على لسانه ،  
فَفَعَلَ به ذلك عند موته " (٢) .

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) :

بجاء محمد خير البرايا تشفّعنا لكم وبه اعتصمنا  
عليه تحية ما لاح برق وتاق لِحَبِّهِ قلب المعنى (٣)  
(٤)

وقال الإمام عماد الدين الكاتب الأصبهاني ، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد ، أبو عبد  
الله (٥٩٧هـ) : " ... والله سبحانه يتقبَّل من الخادم فيه صالح دعائه ، وينصره على جاحدي نعمائه ، بمحمد  
وآله " (٤) .

وقال الإمام علي بن أبي بكر بن علي الهروي ، أبو الحسن (٦١١هـ) : " وفقه الله لطاعته ، وبلغه نهاية آماله من  
دنياه وآخرته ، بمحمد وآله وعترته " (٥) .

وقال الإمام شرف الدين ، علي بن المُفَضَّل بن عَليِّ بن مُفَرَّج بن حَاتِم بن حَسَن بن جَعْفَرِ المَقْدِسِيِّ (٦١١هـ)  
: " ... أحسن الله عافيتها بمحمد وآله وحسبنا الله ونعم الوكيل " (٦) .

(١) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص ٣٩٨) .

(٢) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص ٥٤٥) .

(٣) انظر : بحر الدموع (ص ٥٨) .

(٤) انظر : خريدة القصر وجريدة العصر (٢/ ٣٥٤) .

(٥) انظر : الإشارات إلى معرفة الزيارات (ص ١٣) .

وقال الإمام موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن ، ابن الشيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشافعي (٦١٥هـ): "واقض حوائجنا في الدنيا والآخرة بمحمد وآله وصحبه أجمعين" (٢) .

وقال الإمام موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن ، ابن الشيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشافعي (٦١٥هـ) في ترجمة الإمام العالم القاسم الطيّب بن محمد المأمون ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين (٩٤هـ): "وقد كتب على قبره من نظم ابن سناء الملك الوزير :

يا من إذا سأل المقصّر عفوه فهو المجيب بفضله لسؤاله  
مالي سوى فقرى إليك وسيلة وتشفّعني بمحمد وبآله (٣)

وقال الإمام نصير الدين محمد بن عبد الله السامري الحنبلي (٦١٦هـ): "ولا بأس بالتوسّل إلى الله تعالى في الاستسقاء بالشيوخ والزهاد وأهل العلم والفضل والدين من المسلمين" (٤) .

وقال الإمام أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ): "قال الشيخ الإمام العالم محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري رحمه الله تعالى ورحم أسلافه بمحمد وآله وأصحابه وأنصاره" (٥) .

وقال الإمام أبو محمد جلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السعدي المالكي (٦١٦هـ): "والله سبحانه وتعالى المسؤول في أن يوفّقنا للإقبال على امثال مأموراته ، والإحجام عن ارتكاب محظوراته ، ويلهنا ما يقر من أجره وثوابه ، ويباعد من سخطه وعقابه بمحمد وآله" (٦) .

وقال الإمام أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ، الشهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ): "ويروى عن العتبي (٢٢٨هـ) ، قال : كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء أعرابي ، فقال :

(١) انظر : أربعون حديثاً لعلي بن الفضل المقدسي ، شرف الدين ، علي بن الفضل بن علي بن مفرج بن حاتم بن حسن بن جعفر المقدسي ، (ص ٤٣) ، مخطوط .

(٢) انظر : مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (١/١٨٨) .

(٣) انظر : مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (١/١٩٦) .

(٤) انظر : المستوعب (١/٢٩٣) .

(٥) انظر : التبيان في إعراب القرآن (١/١) .

(٦) انظر : عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة (٣/١٣١٣) .

السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] .

وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا لِدُنْيِي ، مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طِبْهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ  
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَحَمَلْتَنِي عَيْنِي ، فَنِمْتُ ، فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عْتَبِيُّ ، الْحَقُّ الْأَعْرَابِيُّ ، فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ " (١) .

وقال الإمام وقال الإمام أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) : " فَضَّلُ : فَإِنْ سَافَرَ لِرِيَاةِ الْقُبُورِ وَالْمَشَاهِدِ .

فَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ : لَا يُبَاحُ لَهُ التَّرَخُّصُ ؛ لِأَنَّهُ مِنْهَيٌّ عَنِ السَّفَرِ إِلَيْهَا ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ " . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَالصَّحِيحُ إِبَاحَتُهُ ، وَجَوَازُ الْقَصْرِ فِيهِ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْتِي قَبَاءَ رَاكِبًا وَمَاشِيًا ، وَكَانَ يَزُورُ الْقُبُورَ ، وَقَالَ : " زُورُوهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ " .

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ " فَيُحْمَلُ عَلَى نَفْيِ التَّقْضِيلِ ، لَا عَلَى التَّحْرِيمِ ، وَلَيْسَتْ الْفَضِيلَةُ شَرْطًا فِي إِبَاحَةِ الْقَصْرِ ، فَلَا يُضَرُّ انْتِفَاؤُهَا " (٢) .

وقال الإمام أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) : " وَيُسْتَحَبُّ الدَّفْنُ فِي الْمَقْبَرَةِ الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَا الصَّاحُونَ وَالشُّهَدَاءُ ؛ لِتِنَالِهِ بِرَكَتِهِمْ ، وَكَذَلِكَ فِي الْبِقَاعِ الشَّرِيفَةِ . وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ بِإِسْنَادَيْهِمَا " أَنَّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُدْنِيَهُ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ " (٣) .

(١) انظر : المغني (٥/٤٦٥-٤٦٦) .

(٢) انظر : المغني (٢/١٩٥) .

(٣) انظر : المغني (٢/٣٨٠) .

وقال الإمام أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ): " فَصَلُّ  
: وَيَسْتَحِبُّ أَنْ يُسْتَسْقَى بِمَنْ ظَهَرَ صَلَاحُهُ ؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى إِجَابَةِ الدُّعَاءِ ، فَإِنَّ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَسْقَى  
بِالْعَبَّاسِ عَمَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ ابْنُ عَمَرَ : اسْتَسْقَى عُمَرُ عَامَ الرَّمَادَةِ بِالْعَبَّاسِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا عَمُّ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
تَنَوَّجَهُ إِلَيْكَ بِهِ فَاسْقِنَا . اللَّهُ تَعَالَى ، فَتَارَتْ فِي الْعَرَبِ سَحَابَةٌ مِثْلَ الرَّسِّ ، وَهَبَّ لَهَا رِيحٌ ، فَسُقُوا حَتَّى كَادُوا لَا  
يَبْلُغُونَ مَنَازِلَهُمْ ، وَاسْتَسْقَى بِهِ الصَّحَاكُ مَرَّةً أُخْرَى ، فَمَا بَرِحُوا حَتَّى سَقَاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

رَوَى أَنْ مُعَاوِيَةَ خَرَجَ يَسْتَسْقِي ، فَلَمَّا جَلَسَ عَلَى الْمُنْبَرِ ، قَالَ : أَيَنْ يَزِيدُ بِنُ الْأَسْوَدِ الْجُرَيْشِيِّ ؟ فَقَامَ يَزِيدُ ،  
فَدَعَاهُ مُعَاوِيَةَ ، فَأَجْلَسَهُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ بِخَيْرِنَا وَأَفْضَلِنَا يَزِيدَ بِنِ الْأَسْوَدِ ، يَا يَزِيدُ  
، ارْزُقْ يَدَيْكَ ، فَزَعَّ يَدَيْهِ ، وَدَعَا " (١) .

وقال الإمام ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) : " وإذا كانت لك حاجة إلى الله تعالى ، تريد طلبها منه فتوضأ  
وأحسن الوضوء ، واركع ركعتين وأثن على الله عز وجل ، وصل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم قل : ...  
اللهم إني أسالك وأتوجه إليك بنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي وربك  
عز وجل فيقضي لي حاجتي . ويذكر حاجته . وروي أن السلف كانوا يستنجحون حوائجهم بركعتين يصليهما  
ثم يقول : اللهم بك أستفتح وأستنجح ، وإليك بنبيك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتوجه ، اللهم ذل لي صعوبة  
أمري ، وسهّل من الخير أكثر مما أرجو ، واصرف عني من الشر أكثر مما أخاف " (٢) .

قلت : وقد قامت الأيدي الظالمة الأثيمة بالتلاعب في كتاب الوصية للإمام ابن قدامة المقدسي ، فشطبوا  
هذه الفقرة من كتاب " الوصية " الذي نشرته دار تيسير السنة ، الطبعة : الأولى ، (١٤١١هـ ، ١٩٩٠م) ، بتحقيق :  
أم عبد الله بنت محروس العسيلي ، وإشراف : أبو عبد الله محمود بن محمد الحداد ، والموجود في المكتبة الشاملة ،  
الإصدار السادس . وللأمانة لم أستطع الحصول على النسخة الورقية من هذه الطبعة ، وبالتالي لا أدري : هل  
وقع العبث من قبل المسؤولين عن المكتبة الشاملة أم كان العبث ممن حقق الكتاب أصلاً ...

أما النسخة التي نقلت عنها ، والتي هي من تحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، وطباعة دار ابن حزم ،  
بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م) ، فقد ذكر المحقق الأستاذ محمد خير رمضان يوسف ، أنه قد حققها

(١) انظر : المغني (٣/٣٤٦-٣٤٧) .

(٢) انظر : الوصية (ص ٤٦) .

على ثلاث نسخ ، رمز لها ب : (أ)،(ب)،(ج) . وذكر أن النسخة (أ) ، النسخة هي الأقدم من بين النسخ ، ولذلك فقد أخذها المحقق أصلاً ، وفيها جاء نصُّ الكلام الذي ذكرناه . أمّا النسخة (ب) فهي ناقصة ، وأمّا النسخة (ج) ، فهي نسخة مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، وهي النسخة الأحدث من بين النسخ الثلاث حيث نسخت عام (١٣٣٥هـ) ، وناسخها ممن يدعون السلفية ، واسمه : الشيخ القاضي محمد بن سليمان البصري ، وقد قام هذا النَّاسخ بحذف حديث التَّوَسُّلِ تماماً !! وكذا قام بحذف قول ابن قدامة : اللهم بك أستفتح وأستنجح ، وإليك بنبيك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتوجه !! فإلى الله المشتكى من هذه الشَّرذمة التي دأبت على التزوير والعبث بكتب أهل العلم في القديم والحديث ...

والغريب في الأمر أن التَّحْرِيفَ يقع ويحدث بعلم من علمائهم الذين باركوا هذه الخطوة العبيثية في القديم والحديث ، قال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) : " وَفِي الْمُبْتَدَعَةِ لَا سِيَّامَا الْمَجْسُومَةِ زِيَادَةٌ لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِهِمْ وَهُوَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الْكُذْبَ لِنَصْرَةِ مَذْهَبِهِمْ وَالشَّهَادَةَ عَلَيَّ مِنْ يَخْلَفُهُمْ فِي الْعَقِيدَةِ بِمَا يَسُوءُهُ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ بِالْكَذْبِ تَأْيِيداً لِعَقَادَتِهِمْ وَيَزِدَادَ حَقِّقَهُمْ وَتَقْرُبَهُمْ إِلَى اللَّهِ بِالْكَذْبِ عَلَيْهِ بِعُقْدَارِ زِيَادَتِهِ فِي النَّيْلِ مِنْهُمْ فَهَؤُلَاءِ لَا يَجُلُّ مُسْلِمٌ أَنْ يَعْتَبَرَ كَلَامَهُمْ " (١) .

وقال الإمام محمد بن زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) في مقدّمته لكتاب " تبيين كذب المفتري " : " من عادة الحشوية أن يترصدوا الفرص لإفناء أمثال هذه الكتب ، إمّا بحرقها علاناً يوم يكون لهم شوكة وسلطان أو بسرقتها من دور الكتب أو بوضع مواد متلفه فيها ، وإمّا بتشويهها بطرح ما يخالف عقولهم منها عند نسخها أو بالكشط والشطب في نسخها الأصلية ... وكتابنا هذا كان حظّه من النوع الثالث من فنون احتيالهم ، ولكن أبى الله إلا أن يظهر الحقّ ، فلم تأكل هذه المادّة غير أوله " (٢) .

وهذه بعض الأمثلة من تحريفاتهم العديدة لكتب أهل العلم : قال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السَّخَاوي (٩٠٢هـ) في ترجمته للإمام محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد العلّاء أبو عبد الله البُخَارِيِّ العجمي الحنفي (٨٤١هـ) : " ... وَتَوَجَّهَ إِلَى بِلَادِ الْهُنْدِ فَقَطَّنَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهَا وَنَشَرَ بِهَا الْعِلْمَ وَالتَّصَوُّفَ وَكَانَ يَمُنُّ قَرَأَ عَلَيْهِ مَلِكُهَا وَتَرَفَى عِنْدَهُ إِلَى الْغَايَةِ لَمَا وَقَرَ عِنْدَهُ

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، (١٦/٢) .

(٢) انظر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، ابن عساكر ، (هامش صفحة د) ، تحقيق : محمد زاهد الكوثري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، نشر : القديسي ، ١٩٧٩م .

من علمه وزهده وورعه، ثم قدم مكة فجاور بها وانتفع به فيها غالب أعيانها ثم قدم القاهرة فأقام بها سنين واثقال عليه الفضلاء من كل مذهب وعظمه الأكاير فمن دونهم بحيث كان إذا اجتمع معه القضاة يكونون عن يمينه وعن يساره كالسلطان وإذا حضر عنده أعيان الدولة بالغ في وعظهم والإغلاظ عليهم بل ويراسل السلطان معهم بما هو أشد في الإغلاظ ويحضه عن إزالة أشياء من المظالم مع كونه لا يحضر مجلسه وهو مع هذا لا يزداد إلا إجلالا ورفعة ومهابة في القلوب" (١) .

وقد تم تحريف قول السخاوي بحق العلاء البخاري: "وإذا حضر عنده أعيان الدولة، بالغ في وعظهم، والإغلاظ عليهم، بل ويراسل السلطان معهم بما هو أشد في الإغلاظ، ويحضه عن إزالة أشياء من المظالم" من قبل محقق الكتاب الشيخ زهير الشاويش ليصبح: "... وأتصل بحكامها، وكان شديد الالتصاق بهم" (٢) . والسبب هو لأن الإمام العلاء البخاري كان على خلاف مع ابن تيمية حتى أنه حكم بتكفيره ...

ومن عبثهم وخياناتهم وتدليسهم في كتب أهل العلم: ما ذكره الألباني في "مختصر العلو"، حيث قال عن حديث الجارية ضمن من صحح الحديث: "فإنه مع صحة إسناده، وتصحيح أئمة الحديث إياه دون خلاف بينهم أعلمه، منهم الإمام مسلم حيث أخرجه في "صحيحه"، وكذا أبو عوانة في "مستخرجه عليه" والبيهقي في "الأسماء" حيث قال عقبه " (ص ٤٢٢) ": "وهذا صحيح، قد أخرجه مسلم".

وهذا كذب صراح... فقد قال الإمام البيهقي: "وهذا صحيح، قد أخرجه مسلم مقطوعاً من حديث الأوزاعي وحجاج الصواف، عن يحيى بن أبي كثير دون قصة الجارية!!! وأظنه إنما تركها من الحديث لإختلاف الرواة في لفظه" (٣) .

وقال الإمام البيهقي - أيضاً - عقب روايته لحديث الجارية في كتابه السنن الكبرى: "أخرجه مسلم في الصحيح من حديث الأوزاعي دون قصة الجارية" (٤) . فالإمام البيهقي لم يقل ما نسب له الألباني، بل أنه حذف قصة الجارية من صحيحه بشهادة الإمام البيهقي . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: إذا كان الإمام البيهقي يشهد أنه في زمانه لم يكن حديث الجارية - بنصه الموجود في الصحيح اليوم - موجوداً، فمتى، وكيف

(١) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٢٩١/٩) .

(٢) انظر تقديم الشيخ لكتاب الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي (ص ٢١) .

(٣) انظر: الأسماء والصفات (٢/٣٢٥ برقم ٨٩١) .

(٤) انظر: السنن الكبرى (١٠/٩٨ برقم ١٩٩٨٥) .

، ومن أدخل وأضاف للحديث لفظ: " أين الله " ؟!!! وهذا عبثٌ آخر في نصّ الحديث ... فتدبروا يا أولي الألباب .

ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم: " جاء في كتاب: " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " للشيخ السَّعدي: " قال الله متوجَّعاً!!! للعباد: ﴿يَحْسَرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَأَوْ يَبْهَيْهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠]، أي: ما أعظم شقاءهم، وأطول عناءهم، وأشدّ جهلهم، حيث كانوا بهذه الصّفة القبيحة، التي هي سبب لكلّ شقاء وعذاب ونكال " (١) . فالسَّعدي يصف الله تعالى بصفة الوجد التي لم يقلها قبله أحدٌ من العالمين، وقد ورد هذا اللفظ الشَّنيع في طبعات: دار الرِّسالة، ودار ابن الجوزي، وطبعة مكتبة الرُّشد، وقد حاول بعض أدياء السَّلَفِيَّة تدارك فداحة ما وقع فيه مفسِّرهم السَّعدي المعتمد لديهم، فحرَّف قوله: (متوجَّعاً!!!) لتصح (مترجماً)، وقد نشرت التَّحريف في طبعتها لكتاب السَّعدي كلٌّ من: دار المدني بجدة، وطبعة المؤسَّسة السَّعديَّة، وكذا طبعة مركز ابن صالح ... فما رأيكم بهذا التَّحريف الذي ما كان إلَّا لجر كسر كبير حصل في كلام عالم من كبار علمائهم، أم أنَّهم سيقولون بوصلتهم المعروفة دائماً: إنَّ الله تعالى يتوجَّع لا كتوجَّعنا، بل يتوجَّع توجَّعاً يليق به!! سبحانه ربِّي هذا بهتانٌ عظيم ...

ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم: أنَّهم طبعوا كتاب " الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل "، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزَّخشي جار الله (٥٣٨هـ) في دار العبيكان بالرياض، وحرَّفوا فيه العديد من المسائل، منها: تحريفهم لتفسير الزَّخشي لقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ \* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] ...

ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم: ما فعلوه في كتاب: " حاشية العلامة الصَّاوي على تفسير الجلالين "، للإمام أحمد بن محمَّد الصَّاوي المالكي الصَّاوي (١٢٤١هـ)، عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ \* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [فاطر: ٦]، فقد قال الإمام الصَّاوي: " وقيل: هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسُّنة، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم، كما هو مُشاهدٌ الآن في نظائرهم، وهم فرقة بأرض الحجاز، يقال لهم: الوهَّابِيَّة، يحسبون أنَّهم على شيء، ألا أنَّهم هم الكاذبون، استحوذ عليهم الشَّيطان فأنسأهم

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٦٩٥) .

ذكر الله أولئك حزب الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ أَنْ يَقْطَعَ دَابِرَهُمْ " .  
انتهى كلام الشَّيْخِ الصَّوَايِ الْمَالِكِيِّ .

فهذا هو ما قاله الإمام الصَّوَايِ ، كما تجد ذلك في طبعة دار إحياء التُّراثِ الْعَرَبِيِّ ، (٧٨/٥) ، طبعة جديدة  
مَحَقَّقَةٌ عَلَى نَسْخَةِ خَطِيَّةٍ لِلْجَلَالِيِّنَ .

وقد جاء النصُّ الْمَحْرَفُ فِي طَبْعَةِ دَارِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ ، بِيْرُوتَ ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ، (١٩٩٥م) ، ضَبَطَهُ وَصَحَّحَهُ  
!!! مُحَمَّدُ عَبْدُ السَّلَامِ شَاهِينُ ، كَالآتِي : " وَقِيلَ : هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الْخَوَارِجِ الَّذِينَ يَحْرَفُونَ تَأْوِيلَ الْكِتَابِ  
وَالسُّنَّةِ ، وَيَسْتَحِلُّونَ بِذَلِكَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ ، اسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ  
الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ أَنْ يَقْطَعَ دَابِرَهُمْ " .

أَمَّا النُّسْخَةُ الَّتِي أَصْدَرْتَهَا دَارُ الْجَيْلِ ، بِيْرُوتَ ، وَهِيَ الطَّبْعَةُ الْأَخِيرَةُ الَّتِي رَاجَعَ تَصْحِيحُهَا !!! فَضِيلَةُ  
الشَّيْخِ عَلِيِّ مُحَمَّدِ الضَّبَاعِ ، شَيْخِ الْقُرَاءِ وَالْمَقَارِيءِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، فَقَدْ جَاءَ فِيهَا : ( وَهُمْ فِرْقَةٌ بِأَرْضِ الْحِجَازِ ...  
يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ ) . فإِلَى اللَّهِ الْمُسْتَكِي مِنْ قَوْمٍ لَا يَسْتَحُونَ وَلَا يَرْعَوُونَ ...

وَمِنْ تَحْرِيفَاتِهِمْ لِكُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ : مَا جَاءَ فِي حَاشِيَةِ ابْنِ عَابِدِينَ ، الَّذِي كَانَ مُعَاَصِرًا لِابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ،  
فَقَدْ قَالَ فِي حَاشِيَتِهِ : " مَطْلَبٌ فِي أَتْبَاعِ مُحَمَّدِ ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْخَوَارِجِ فِي زَمَانِنَا .

( قَوْلُهُ : وَيُكْفَرُونَ أَصْحَابَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ) عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا غَيْرُ شَرْطٍ فِي مَسْمَى الْخَوَارِجِ ، بَلْ  
هُوَ بَيَانٌ لِمَنْ خَرَجُوا عَلَى سَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَإِلَّا فَيَكْفِي فِيهِمْ اعْتِقَادُهُمْ كُفْرًا مَنْ خَرَجُوا عَلَيْهِ ، كَمَا  
وَقَعَ فِي زَمَانِنَا فِي أَتْبَاعِ مُحَمَّدِ ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نَجْدٍ وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْحُرَمِيِّينَ وَكَانُوا يَنْتَحِلُونَ  
مَذْهَبَ الْحَنَابِلَةِ ، لَكِنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُسْلِمُونَ وَأَنَّ مَنْ خَالَفَ اعْتِقَادَهُمْ مُشْرِكُونَ ، وَاسْتَبَاحُوا بِذَلِكَ قَتْلَ  
أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَتْلَ عُلَمَائِهِمْ حَتَّى كَسَرَ اللَّهُ تَعَالَى سُوكَتَهُمْ وَخَرَّبَ بِلَادَهُمْ وَظَفَرَ بِهِمْ عَسَاكِرَ الْمُسْلِمِينَ عَامَ ثَلَاثِ  
وَتَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ (١) ، فَهَذِهِ الْفَقْرَةُ تَمَّ حَذْفُهَا ... كَمَا تَمَّ حَذْفُ كِتَابِ " الْبُعَاةُ " مِنْ حَاشِيَةِ ابْنِ عَابِدِينَ  
، وَذَلِكَ فِي النُّسْخَةِ الَّتِي طُبِعَتْ عَلَى نَفَقَةِ الْوَلِيدِ بْنِ طَلَالٍ ....

وَمِنْ تَحْرِيفَاتِهِمْ لِكُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ : مَا قَالَهُ الْأَسْتَاذُ مُحَمَّدُ نُورِي الدِّيْرْتُوِي : " ... بَلِ التَّحْرِيفِ وَحَذْفِ  
الْأَسَانِيدِ شَأْنِ الْمَتَمَسِّلِفَةِ وَدِيدِنَهُمْ . إِنَّ نَعْمَانَ الْأَلُوسِي حَرَّفَ تَفْسِيرَ وَالِدِهِ الْمَكْرَمِ عَلَامَةَ الْعِرَاقِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ

(١) انظر : حاشية ابن عابدين (١٣/١٣٥) .

الألوسي (تفسير : روح المعاني) ، ولولا تحريفه لكان التفسير الفريد وجامع الجوامع . وأمّا الحذف والسّلب  
 لل عبارات والأحاديث فحدّث ولا حرج ، لقد طبعوا كتاب المغني لابن قدامة الحنبلي فحذفوا منه مبحث  
 الاستغاثة ، وطبعوا شرح صحيح مسلم ، فسلخوا منه أحاديث الصّفات ... " (١) .

قلت : ومما يؤكّد كلام الأستاذ محمّد نوري الديرثوي : ما قاله الإمام تاج الدّين عبد الوهّاب بن تقي الدّين  
 السُّبكي (٧٧١هـ) حيث قال : " وقد وصل حال بعض المجسمه في زَمَانِنَا إلى أن كتب شرح صحيح مُسلم للشيخ  
 محيي الدّين النَّوَوِيّ وحذف من كَلَام النَّوَوِيّ مَا تكلّم بِهِ عَلَى أَحَادِيث الصّفَات ، فَإِن النَّوَوِيّ أشعري العقيدة ،  
 فلم تحمّل قوى هَذَا الكَاتِب أَن يكتب الكتاب عَلَى الوُضْع الَّذِي صنّفه مُصنّفه .

وهَذَا عِنْدِي من كِبَائِر الذُّنُوب ، فَإِنَّهُ تَحْرِيف للشريعة ، وفتح باب لَا يُؤمن مَعَهُ بكتب النَّاس وَمَا فِي أيديهم  
 من المصنّفات . ففتح الله فاعله وأخزاه ، وقد كَانَ فِي غنية عَن كِتَابَةِ هَذَا الشَّرْح ، وَكَانَ الشَّرْح فِي غنية عَنهُ " (٢) .

ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم : وضع الأستاذ محمّد رفيق الونشريسي الجزائري شرحاً لطيفاً على نظم  
 المقدّمة الآجروميّة للإمام العلّامة محمّد بن أب المعروف بعبيد ربّه الشّنقيطي رحمه الله تعالى ، وطبعته دار الإمام  
 مالك ، أبو ظبي :

وقد جعلها الله لكلّ مبتدي  
 دائمة النّفع بحب أحمد

قال الأستاذ في الشّرح الصّفحة (٧٩-٨٠) : ثمّ سأل (المؤلّف) الله عزّ وجلّ أن يجعل نظمه هذا دائم النّفع  
 للمبتدئين في علم النّحو ، وقد توّسل إلى الله سبحانه وتعالى في الأصل بجاه محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال :  
 (دائمة النّفع بجاه أحمد) ، ومعلوم ما في هذا التّوسّل من مخالفة لما كان عليه سلفنا الصّالح - رضوان الله عليهم  
 - فحذفته وأبدلته بتوسّل مشروع ، وهو حب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وراجع في ذلك ... " ١هـ .

وقامت إدارة مساجد محافظة العاصمة (الجزائر) بطبع منظومة الآجروميّة لعبيد ربّه الشّنقيطي ، وذلك  
 ضمن المسابقة الرّمضانيّة للغة العربيّة في سنة (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) .

وبدل أن يتركوا نصّ النّاطم كما هو ويعلّقوا في الهامش بما شاءوا غيّرُوا النَّصَّ الأَصْلِي رَأْساً ، الهامش  
 الصّفحة (١٤) إلى ما يلي :

(١) انظر : ردود على شبهات السّلفيّة (ص ٢٤٩) .

(٢) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (١٩/٢) .

جعلها الله لكل مبتدي دائماً النفع دوام الأبد

وكتبوا في الهامش: [ ما بين معكوفين هي جملة من وضع فضيلة الشيخ زايد الأذان بن الطالب الشنقيطي شارح هذه المنظومة في كتابه مصباح الساري شرح منظومة عبيد ربه الشنقيطي على المقدمة الآجرومية ، فبدل عبارة للنّاظم يقول : ( بجاه أحمد ) ولا يخفى عليك لماذا (١) .

وجاء في موقع : " شبكة روض الرياحين " بقلم الأستاذ الأزهري : " كشف تزوير في اجتماع الجيوش لابن قيم الجوزية : ذكر ابن القيم في اجتماع الجيوش عقيدة الإمام الحجّة أبي أحمد بن الحسين الشافعي المعروف بالحدّاد ، وذكر هذا النص من كلامه ، وهو منقول من الجيوش ، طبعة : مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، (ط-١٤٠٨هـ ، ص ٨٠) : " وَنَعْتَقِدُ حَبَّ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَزْوَاجِهِ وَسَائِرِ أَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَنَذْكُرُ مَحَاسِنَهُمْ وَنُنَشِّرُ فَضَائِلَهُمْ وَنُمْسِكُ أَلْسِنَتَنَا وَقُلُوبَنَا عَنِ التَّطَلُّعِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَهُمْ وَنَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِاتِّبَاعِهِمْ " .

لاحظ الكلمة التي تحتها خط : [ونتوسّل إلى الله تعالى باتّباعهم] !! فما زلت أشكّ في أن هذه العبارة مزوّرة لأنني لم أعهد القدماء يقولون هذا وإنما يقولون نتوسّل بهم ، فاستحضرت نسخة أخرى من الجيوش ، طبعة مكتبة المؤيد ، الرياض ، بتحقيق : بشير محمد عيون ، وقد حقّقها على مخطوطة الظاهرية ، والطبعة المنيرية ، فإذا النصّ فيها (ص ١٣٣) ، هكذا :

ونعتقد حبّ آل محمد صلّى الله عليه وسلّم وأزواجه وسائر أصحابه رضوان الله عليهم ، ونذكر محاسنهم ، ونشر فضائلهم ، ونمسك ألسنتنا وقلوبنا عن التّطّلع فيما شجر بينهم ، ونستغفر الله لهم ، ونتوسّل إلى الله تعالى بهم . "

فإذا العبارة في هذه الطّبعة المحقّقة ( بهم ) وليست (باتّباعهم) !! أ.هـ وقد أرفق الأستاذ الأزهري مخطوطة الكتاب الأصلية التي برهنت على التّزوير المتعمّد ... فإلى الله تعالى وحده المشتكى ....

ثمّ إنّي وقفت بعد مدّة على رسالة صغيرة تصنيف العلامة ابن طولون الدمشقي الصّالحي الحنفي عنوانها : ( قيد الشريد من أخبار يزيد ) جمعها في أخبار يزيد بن معاوية ، من مطبوعات دار الصّحوة - القاهرة (ط ١) ، ١٤٠٦هـ) ، وإذا به يذكر مبيّناً موقف أهل السنة في المسألة - القطعة السابقة من عقيدة الحدّاد نقلاً عن اجتماع

(١) انظر موقع شبكة روض الرياحين ، بقلم الأستاذ العلوي .

الجوش فإذا فيها: "... ونعتقد حبَّ آل محمَّد (أزواجه)، وسائر أصحابه، ونذكر محاسنهم، وننشر فضائلهم، ونمسك ألسنتنا وقلوبنا عن التَّطَلُّع فيما شجر بينهم، ونستغفر الله لهم، ونتوسَّل إلى الله تعالى بهم".

فإذا العبارة في هذا النَّص عند ابن طولون كما هي في طبعة دار المؤيَّد بتحقيق بشير عيون".

وعلى كلِّ حال فقد قمت بحمد الله وعونه وتوفيقه بتتبع العديد العديد من عبثياتهم وتحريفاتهم لكتب أهل

العلم في القديم والحديث، ضمن كتاب خاص بهذه المسألة...

وقال الإمام عبد الكريم بن محمَّد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرَّافعي القزويني (٦٢٣هـ) في ترجمة محمَّد بن

علي بن حسول أبو العلاء الوزير الصَّفي معروف بالفضل وحسن النِّظْم والنِّثْر ثمَّ بالوزارة ورفعة القدر والجاه

وقد ورد قزوين كتب إلى الإمام أبي حفص هبة الله بن محمَّد بن زاذان: "

بلا مـــــــــــــــــــــــــــــــــراء أو رياء	زرت الإمام بن الإمام
له جديـــــــــــــــــــــــــــــــــراً بالقضاء	بل قـــــــــــــــــــــــــــــــــاضياً حقّاً عليّ
أنا في الفروس من البطـــــــــــــــــــــــــــــــــاء	ومراعيـــــــــــــــــــــــــــــــــاً فرضاً وما
من عنده يوم الجـــــــــــــــــــــــــــــــــزاء (١)	متوسَّلاً بشفـــــــــــــــــــــــــــــــــاعة

(١)

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرَّومي الحموي (٦٢٦هـ): " فأحسن الله عنا

جزاءه، وأدام عزَّه وعلاه، بمحمَّد وآله الكرام " (٢).

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرَّومي الحموي (٦٢٦هـ) أيضاً: " وسألته الله أن

لا يجرنا ثواب التَّعب فيه، ولا يكلنا إلى أنفسنا فيما نعمله وننويه، بمحمَّد وآله وأصحابه الكرام البررة " (٣).

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرَّومي الحموي (٦٢٦هـ) أيضاً: " والله يحسن لنا

العافية ولا يجرنا ثواب حسن النيَّة في الإفادة والاستفادة بحق محمَّد وآله " (٤).

(١) انظر: التدوين في أخبار قزوين (٧٦/٢).

(٢) انظر: معجم البلدان (١٥/١).

(٣) انظر: معجم البلدان (٤٥٧/٥).

(٤) انظر: معجم البلدان (٨٧/٥).

وقال الإمام علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي ، أبو الحسن ابن القطان (٦٢٨هـ) :  
" الرَّاجِي الْعَفْوُ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَإِجْزَالِ الثَّوَابِ مِنْ إِلَهِهِ ، وَهُوَ غَايَةٌ إِرْبَهُ " (١) .

وقال الإمام محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع ، أبو بكر ، معين الدين ، ابن نقطة الحنبلي البغدادي  
(٦٢٩هـ) في ترجمة سعيد بن أبي سعد بن عبد العزيز بن أبي سعد الجامدي ثم القيلوبي : " وَكَانَ شَيْخًا صَالِحًا ،  
وَأَبُوهُ يُتَبَرَّكُ بِقَبْرِهِ " (٢) .

وقال الإمام محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع ، أبو بكر ، معين الدين ، ابن نقطة الحنبلي البغدادي  
(٦٢٩هـ) ، في ترجمة عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع أبو محمد المقدسي الحافظ (٦٠٠هـ) : "...  
وقبره بالقرافة يُتَبَرَّكُ بِهِ " (٣) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ،  
عز الدين ابن الأثير (٦٣٠هـ) : " نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا  
لِوَجْهِهِ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ " (٤) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ،  
عز الدين ابن الأثير (٦٣٠هـ) : " نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُخْتِمَ أَعْمَالَنَا بِالْحُسْنَى ، وَيَجْعَلَ خَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ نَلْقَاهُ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ " .

وقال أيضاً : " فَاللَّهُ يُعِيدُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَيُقِرُّ أَعْيُنَ الْمُسْلِمِينَ بِفَتْحِهِ ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ " .

وقال أيضاً : " نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ لَنَا الْعُقْبَى بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ " .

وقال أيضاً : " وَيَسِّرْ لِلْمُسْلِمِينَ مَنْ يَقُومُ بِنَصْرِهِمْ وَحَفِظَ بِلَادِهِمْ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ " .

وقال أيضاً : " وَاللَّهُ تَعَالَى يُخَذِّلُهُ وَيَنْصُرُ الْمُسْلِمِينَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ " (٥) .

وَأَلَّفَ الْإِمَامُ سَلِيحَانُ بْنُ مُوسَى الْكَلَاعِيُّ ، أَبُو الرَّبِيعِ (٦٣٤هـ) ، كِتَابًا بِعَنْوَانِ : " مُصْبِحُ الظَّلَامِ ، فِي  
الْمُسْتَغِيثِينَ بِخَيْرِ الْأَنْامِ ، فِي الْيَقِظَةِ وَالْمَنَامِ " (٦) .

(١) انظر : بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٥/ ٨٣٤) .

(٢) انظر : إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماکولا) (٢/ ٣٣١) .

(٣) انظر : التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (١/ ٣٧٠) .

(٤) انظر : أسد الغابة (٥/ ٤٤٩) .

(٥) انظر : الكامل في التاريخ (٨/ ٦٦٥) ، (٨/ ٦٩٤) ، (٩/ ٢٤٥) ، (١٠/ ٣٧٦) ، (١٠/ ٤٣٠) بالترتيب .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن سعيد ابن الديلمي (٦٣٧هـ): "فإن الله يمتع الإسلام وأهله بدوام أيام مولانا أمير المؤمنين الناصر لدين الله، ويثبت دعوته، وينشر في الخافقين ألويته، ويعزُّ به دين الإسلام على ممرِّ السنين والأعوام، بمحمد وآله الطاهرين" (١).

وقال الإمام المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (٦٣٧هـ): "بمحمد وآله وصحبه أولي الحمد والتمجيد" (٢).

وقال الإمام المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي أيضاً: "وإياه أسأل التَّوْفِيقَ لما يُرضيه، والهداية إلى ما يُحبه ويُزلف إليه، بمحمد وآله وصحبه" (٣).

وقال الإمام عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصَّلاح (٦٤٣هـ): "رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مأواه بمحمد وآله" (٤).

وقال الإمام عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصَّلاح (٦٤٣هـ)، وهو يتكلم عن معجزات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "... وَأَيُّ فَنٍّ أَخْزَى مِنْ فَنِّ يَعْمي صَاحِبَهُ أَظْلَمَ قَلْبُهُ عَن نَبْوَةِ نَبِينَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَا ذَكَرَهُ ذَاكِرٌ، وَكَلِمًا غَفَلَ عَن ذِكْرِهِ غَافِلٌ، مَعَ انْتِشَارِ آيَاتِهِ الْمُسْتَبِينَةِ وَمَعْجَزَاتِهِ الْمُسْتَنِيرَةِ، حَتَّى لَقَدْ انْتَدَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِاسْتِقْصَائِهَا، فَجَمَعَ مِنْهَا أَلْفَ مَعْجَزَةٍ وَعَدَدْنَاهُ مَقْصُراً إِذَا فَوْقَ ذَلِكَ بِأَضْعَافٍ لَا تَحْصِي فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مَحْصُورَةٌ عَلَى مَا وَجَدْنَا مِنْهَا فِي عَصْرِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ لَمْ تَزَلْ تَتَجَدَّدُ بَعْدَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى تَعَاقِبِ الْعَصُورِ، وَذَلِكَ أَنَّ كِرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ أُمَّتِهِ وَإِجَابَاتِ الْمُتَوَسِّلِينَ بِهِ فِي حَوَائِجِهِمْ وَمَغَوَّثَاتِهِمْ عَقِيبَ تَوْسُلِهِمْ بِهِ فِي شِدَائِهِمْ بَرَاهِينَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوَاعِدٌ وَمَعْجَزَاتٌ لَهُ سَوَاطِعٌ وَلَا يَعْدهَا عَدٌ وَلَا يَحْصُرُهَا حَدٌ، أَعَاذَنَا اللهُ مِنَ الزَّيْغِ عَن مِلَّتِهِ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ الْهَادِينَ بِهَدْيِهِ وَسُنَّتِهِ" (٥).

(١) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١٧٠٦/٢).

(٢) انظر: ذيل تاريخ مدينة السلام (٢٣٥/٢).

(٣) انظر: تاريخ إربل (٩٧/١).

(٤) انظر: تاريخ إربل (٣٢٢/١).

(٥) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية (٢٦٤/١).

(٦) انظر: فتاوى ابن الصَّلاح (٢١٤/١).

وقال الإمام عثمان بن عبد الرحمن ، أبو عمرو ، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (هـ٦٤٣) : " فَاللهُ الْعَظِيمَ الَّذِي بِيَدِهِ الضَّرُّ وَالنَّفْعُ ، وَالْإِعْطَاءُ وَالْمَنْعُ أَسْأَلُ ، وَإِلَيْهِ أَضْرَعُ وَأَبْتَهَلُ ، مُتَوَسِّلاً إِلَيْهِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ ، مُتَشَفِّعاً إِلَيْهِ بِكُلِّ شَفِيعٍ ، أَنْ يَجْعَلَ عَلَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ وَأَمْثَلِي وَفِيَّ بِكُلِّ ذَلِكَ وَأَوْفَى . وَأَنْ يُعْظِمَ الْأَجْرَ وَالنَّفْعَ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ ، أَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ " (١) .

وقال الإمام محمد بن نامور بن عبد الملك الخونجي ، أبو عبد الله ، أفضل الدين (هـ٦٤٦) : " ... أعانني الله وإيَّاه على ما يقربنا منه ، ويزلفنا لديه بجاه سيِّدنا محمد وآله الطَّاهرين " (٢) .

وألف الإمام عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة الحافظ زكي الدين أبو محمد المنذرى القيرواني ثمَّ المصرى الشافعي (هـ٦٥٦) كتاباً بعنوان : " زَوَالِ الظُّمَاءِ فِي ذِكْرِ مَنْ اسْتَعَاثَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّدَّةِ وَالْعَمَاءِ " (٣) .

وقال الإمام ابن الأبار ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (هـ٦٥٨) ، في ترجمة : عَبْدُ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ ذِي النُّونِ الْحَجْرِيِّ (هـ٥٩١) : " ... وَدَفِنَ بِجَبَلِ المِينَا مِنْهَا وَصَادَفَ وَقْتُ وَفَاتِهِ بِسَبْتَةِ قَحْطاً أَضْرَبَ بِأَهْلِهَا ، فَلَمَّا وُضِعَتْ جَنَازَتُهُ عَلَى شَفِيرِ قَبْرِهِ تَوَسَّلُوا بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي إِغَاثَتِهِمْ وَتَدَارِكِهِمْ بِالسُّقْيَا ، فَسَقَوْا مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَطَرًا وَابِلًا ، وَمَا اخْتَلَفَ النَّاسُ إِلَى قَبْرِهِ مُدَّةَ الْأُسْبُوعِ ... " (٤) .

وقال الإمام ابن الأبار ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (هـ٦٥٨) في ترجمة أبي عليٍّ عمر ابن الشيخ المكرم أبي موسى : " وَشَعَرَ أَبِي عَلِيٍّ أَعَزَّهُ اللهُ كَثِيرًا ، وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى دِيْوَانِهِ وَسَمِعْتُ مِنْهُ غَيْرَ قَصِيدَةٍ وَقِطْعَةٍ بِلَفْظِهِ ، وَمَنْ ذَلِكَ كَلِمَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صُحْبَةَ الْحَاجِّ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ الإِشْبِيلِيِّ أَوْهَا وَأَنْشَدَنِي جَمِيعَهَا ...

يَا خَيْرَ مَنْ تَعْمَلُ المَطِيَّ لَهُ  
 عَبْدُكَ لَوْ يَسْتَطِيعُ جَابَ إِلَيْكَ  
 عُذْرِي فِي اللَّبْثِ غَيْرَ مَتَّهِمٍ  
 القفر فِي غِيهَبِ مِنَ الظُّلَمِ

(١) انظر : معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) (ص٦-٧) .

(٢) انظر : الجمل في المنطق (ص٤) .

(٣) انظر : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (١/٥٨٦) .

(٤) انظر : التكملة لكتاب الصلاة (٢/٢٨١) .

يُثْرِبَ مَرًّا بوجنسة وفم  
لَوْلَا أَدَى ثقلهنَّ لم أقم  
تشفع فِيهَا لبارئ النَّسم  
بقبـرك المستنير وَالْحَرَم  
بِنِعْمَةِ الْقرب مِنك ذُو النعم  
الله من رِفْعَةٍ وَمَن عظم  
أَوْصافه بِالجلال وَالكـرَم (١)

يُمسح مَا بَيْنَ حَمصِ مِنْهُ إِلَى  
وَلِي ذُنُوبٍ وَقصنني ثقلًا  
يُرْجوك يَا شَافِعَ الْبَرِيَّةِ أَنْ  
عَسَى قَبُولُ لَدَيْكَ يَلْحَقننِي  
وَصاحِبِيكَ اللَّذِينَ خَصَّهْمَا  
فَقَد تَوَسَّلْتُ بِالَّذِي لَكَ عِنْدَ  
صَلَّى عَلَيْهِ الْإِلَهِ مَا اتَّصَفْتُ

(١)

وقال الإمام عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، كمال الدين ابن العديم (٦٦٠هـ) ، في ترجمة حمد بن عبد الواحد المدروز العجمي : " وأخبرني تاج الدين أحمد بن هبة الله بن أمين الدولة ، قال : سمعت الشيخ أحمد بن عبد الواحد المدروز يقول : إنَّ سبب اشتغالي بالدَّرُوزَةِ أَنَّنِي كنت قد حججت وزرت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فبقيت بالمدينة ثلاثة أَيَّامٍ لا أأطعم طعاماً ، فجئت إلى قبر النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجلست عنده ، وقلت : يا رسول الله أكون ضيفك ولي ثلاثة أَيَّامٍ لم أأطعم طعاماً ، قال : فهومت وانتبهت وفي يدي درهم كبير ، فخرجت واشتريت به شيئاً أكلته ، وشيئاً للبسي ، ثمَّ اشتغلت بعد ذلك بالدَّرُوزَةِ " (٢) .

وقال الإمام عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، كمال الدين ابن العديم (٦٦٠هـ) : " ... طَهَّرَهُ اللهُ مِنْهُمْ بِبِرْكَتِهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الْمُنْتَجِبِينَ " (٣) .

وقال الإمام أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين ، أبو العبَّاس ابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ) في ترجمة الصَّاحِبِ نَجْمِ الدِّينِ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بن الْحَكِيمِ الامام شمس الدين مُحَمَّد بن عَبْدَان بن عَبْدَانَ بن عبد الواحد أُوحدٍ فِي الصَّنَاعَةِ الطَّبِيبَةِ نَدْرَةَ فِي الْعُلُومِ الْحَكِيمِيَّةِ : " وَمَنْ شَعْرَهُ وَهُوَ مِمَّا انْشَدنِي لِنَفْسِهِ فَمَنْ ذَلِكَ : قَالَ فِي الْحَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى خِدْمَتِهِ عِنْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَأَنْشَدَهَا عِنْدَ بَابِ السَّرْدَابِ وَهُوَ قَائِمٌ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةَ :

(١) انظر : الحلة السيرة ، ابن الأبار (٢/ ٢٨٤) .

(٢) انظر : بغية الطلب في تاريخ حلب (٢/ ١٠١٨) .

(٣) انظر : بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/ ٣٢٤٢) .

بِهَا فَمَآذَا أَن يَقُولَ الْقَائِلُ  
يَوْمًا لَدَيْكَ حِسْبَتُهُ هُوَ بَاقِلُ  
وَبِيَانِهِمْ عَن ذِي الْجَلَالِ يِنَاضِلُ  
وَلَدَيْكَ أَضْحَتْ حِجَّةً وَدَلَائِلُ  
وَالْحَيْثُ وَالْمَعْرُوفِ أَنْتَ الْعَامِلُ  
وَمَقْرَّرًا أَنَّ الْإِلَهَ الْفَاعِلُ  
لِجَلَالِهِ مَقْفَرٌ رَّبْعُكَ أَهْلُ  
مَا أَن يُخَالِفَ فِيهِ يَوْمًا عَاقِلُ  
يَوْمَ التَّنَاسُبِ فِي النِّجَارِ مَوَاضِلُ  
حَتَّى عَدَا لِمُحَمَّدٍ هُوَ حَاصِلُ  
يَأْتِيكُمَا مِنْهُ ثَنًا وَفَوَاضِلُ  
مَتَوَسَّلًا وَأَنَا الْفَقِيرُ السَّائِلُ  
غَفْرَانَ مَا قَدْ كُنْتُ فِيهِ أَزَاوِلُ  
وَبَلَغْتُ مَقْصُودِي وَمَا أَنَا آمِلُ  
لَا أَلْتَقِي عَن غَيْرِهِ أَنَا سَائِلُ  
يُعْطِي بِلَا مَنْ وَلَا هُوَ بَاخِلُ  
سَيِّئًا وَأَنْتَ لِمَا سَأَلْتُ الْحَامِلُ (١)

هَذِي الْمَهَابَةُ وَالْجَلَالُ الْهَائِلُ  
لَوْ أَن قَسَا حَاضِرًا مَتَمَثَّلًا  
هَلْ تَقْدِرُ الْفَصْحَاءُ يَوْمًا أَنْ يَرَوْا  
وَبِكَ أَقْتَدِي جَلَّ النَّبِيِّنَ الْأَوْلَى  
أَطْهَرْتُ إِبْرَاهِيمَ أَسْبَابَ الْهُدَى  
شِيدْتُ أَرْكَانَ الشَّرِيعَةِ مُعْلَنًا  
مَا زَالَ بَيْنَكَ مَهْبَطُ الْوَحْيِ الَّذِي  
وَبَهَرْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ بِمَعْجَزِ  
وَكَفَّكَ يَوْمَ الْفَخْرِ أَنَّ مُحَمَّدًا  
مَا زَلْتُ تَنْقُلُ لِلنَّبِوَةِ سَرَّهَا  
فَعَلَيْكُمَا صَلَوَاتُ رَبِّ لَمْ يَزَلْ  
وَقَدْ التَّجَأْتُ إِلَى جَنَابِكَ خَاضِعًا  
أَرْجُوكَ تَسْأَلُ لِي لَدَى رَبِّ الْعَلَا  
وَأَرَى وَقَدْ غَفَرْتُ لَدَيْهِ خَطِيئَتِي  
وَرَجَعْتُ مُنْقَطِعًا إِلَى أَبْوَابِهِ  
وَلَقَدْ سَأَلْتُ لِكَامِلٍ فِي جُودِهِ  
فَحَقِيقَةُ أَنِّي بَلَغْتُ إِرَادَتِي

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بِنِ فَرِحِ الْأَنْصَارِيِّ الْخِزْرَجِيِّ شَمْسُ الدِّينِ الْقُرْطُبِيِّ (٦٧١هـ)  
أَيْضًا: "... وَهَذَا فِرَارُ التَّبَرِّيِّ ، نَجَّانَا اللَّهُ مِنْ أَهْوَالِ هَذَا الْيَوْمِ بِحَقِّ مُحَمَّدِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ،  
وَجَعَلْنَا مَنْ حَشَرَ فِي زَمْرَتِهِمْ ، وَلَا خَالَفَ بِنَا عَلَى طَرِيقِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ بِمَنْتَهُ وَكِرْمِهِ آمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا  
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ " (٢) .

(١) انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٦٦٤) .

(٢) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/٥٧٩) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (هـ ٦٧١) : " رَوَى أَبُو صَادِقٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا أَعْرَابِي بَعْدَ مَا دَفَنَّا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَثَّ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ تُرَابِهِ ، فَقَالَ : قُلْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَمِعْنَا قَوْلَكَ ، وَوَعَيْتَ عَنِ اللَّهِ فَوَعَيْنَا عَنْكَ ، وَكَانَ فِيهَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَجِئْتُكَ تَسْتَغْفِرُ لِي . فَنُودِيَ مِنَ الْقَبْرِ : أَنَّهُ قَدْ غَفَرَ لَكَ " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (هـ ٦٧١) أيضاً : " ... وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَدِدْتُ أَنَا لَوْ رَأَيْتَنَا إِخْوَانَنَا ... " . الْحَدِيثُ . فَجَعَلْنَا إِخْوَانَهُ ، إِنْ اتَّقَيْنَا اللَّهَ وَاتَّقَيْنَا آثَارَهُ حَشَرْنَا اللَّهَ فِي زُمْرَتِهِ وَلَا حَادِ بِنَا عَنْ طَرِيقَتِهِ وَمَلْتَهُ بِحَقِّ ، وَفِي رِوَايَةٍ بِجَاهٍ - كَمَا قَالَ الْمُحَقِّقُ - مُحَمَّدٌ وَآلَهُ (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (هـ ٦٧١) : " قَالَ ابْنُ خُوَيْزِمَةَ مَتَدَادٌ : وَاسْتَدَلَّ أَيْضاً مِنْ جَوَازِ ذَلِكَ ، بِأَنَّ أَيَّامَانَ الْمُسْلِمِينَ جَرَتْ مِنْذُ عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا أَنْ يُخْلِفُوا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى أَنْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا إِذَا حَاكَمَ أَحَدُهُمْ صَاحِبُهُ ، قَالَ : اخْلِفْ لِي بِحَقِّ مَا حَوَاهُ هَذَا الْقَبْرُ ، وَبِحَقِّ سَاكِنِ هَذَا الْقَبْرِ ، يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَذَلِكَ بِالْحَرَمِ وَالْمَشَاعِرِ الْعُظَامِ ، وَالرُّكْنِ وَالْمَقَامِ وَالْمِحْرَابِ وَمَا يُتَلَى فِيهِ " (٣) .

وقال الإمام ابن الحداد محمد بن منصور بن حبيش (المتوفى: بعد ٦٧٣هـ) : " بَلَّغَهُ اللَّهُ الْأَمَالَ فِي الدُّنْيَا وَالْمَالِ ، وَأَدَامَ دَوْلَتَهُ ، وَحَفِظَ مَهْجَتَهُ ، وَأَعَزَّ أَنْصَارَهُ ، وَضَاعَفَ اقْتِدَارَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ بِإِحْسَانِهِ إِلَيْنَا ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِإِنْعَامِهِ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ " (٤) .

وقال الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (هـ ٦٧٦) : " فَصَلْ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَذْكَارِهَا : اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مَنْ حَجَّ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى زِيَارَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (٥/٢٦٥-٢٦٦) .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٤٠) .

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٠/٤٢) .

(٤) انظر: الجوهر النفيس في سياسة الرئيس (ص ١٢٠) .

سواء كان ذلك طريقه أو لم يكن ، فإنَّ زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهمِّ القربات وأريح المساعي وأفضل الطَّلَبات ، فإذا توجَّه للزيارة أكثر من الصَّلَاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طريقه ، فإذا وقع بصره على أشجار المدينة وحرَمِها وما يَعْرِفُ بها ، زاد من الصَّلَاة والتَّسْلِيم عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن يُسعدَه بها في الدَّارين ، وليقل : اللهمَّ افْتَحْ عَلَيَّ أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وَازْرُقْنِي فِي زِيَارَةِ قَبْرِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَزَقْتَهُ أَوْلِيَاءَكَ وَأَهْلَ طَاعَتِكَ ، وَاغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي يَا خَيْرَ مَسْئُولٍ ... فإذا صَلَّى تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ أَتَى الْقَبْرَ الْكَرِيمَ فَاسْتَقْبَلَهُ وَاسْتَدْبَرَ الْقِبْلَةَ عَلَى نَحْوِ أَرْبَعِ أَذْرَعٍ مِنْ جِدَارِ الْقَبْرِ ، وَسَلَّمَ مُقْتَصِدًا لَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ ، فيقول : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَةَ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللهِ ... ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَوْقِفِهِ الْأَوَّلِ قِبَالَ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَوَسَّلُ بِهِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ ، وَيَتَشَفَّعُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَيَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَحْبَابِهِ وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي إِكْثَارِ الدُّعَاءِ ، وَيَعْتَنِمَ هَذَا الْمَوْقِفَ الشَّرِيفَ " (١) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " ... وَيُسْتَحَبُّ إِذَا كَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ مَشْهُورٌ بِالصَّلَاحِ أَنْ يَسْتَسْقُوا بِهِ ، فيقولوا : اللهمَّ إِنَّا نَسْتَسْقِي وَنَتَشَفَّعُ إِلَيْكَ بِعَبْدِكَ فُلَانٍ ... " (٢) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " رَوَيْنَا فِي " كِتَابِ ابْنِ السَّنِيِّ " ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةٌ أَحَدِكُمْ بِأَرْضِ فَلَاحٍ فُلَيْنَادٍ : يَا عِبَادَ اللهِ ! احْبِسُوا ، يَا عِبَادَ اللهِ ! احْبِسُوا ؛ فَإِنَّ لَهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَرْضِ حَاصِرًا سَيَحْبِسُهُ " . قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ : " حَكَى لِي بَعْضُ شَيْوَخِنَا الْكِبَارِ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ انْفَلَتَتْ لَهُ دَابَّةٌ أَظْنَهَا بَغْلَةٌ ، وَكَانَ يَعْرِفُ هَذَا الْحَدِيثَ ، فَقَالَ : فَحَبَسَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ فِي الْحَالِ ؛ وَكُنْتُ أَنَا مَرَّةً مَعَ جَمَاعَةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهَا بَهِيمَةٌ ، وَعَجَزُوا عَنْهَا ، فَقَلَّتْ ، فَوَقَفْتُ فِي الْحَالِ بِغَيْرِ سَبَبٍ سِوَى هَذَا الْكَلَامِ " (٣) .

قلت : وقد قامت الأيدي العابثة المجرمة الأثيمة بشطب هذا الحديث وكذا تعليق النَّووي عليه من كتاب الأذكار للنَّووي ، من النَّسخة التي حَقَّقَهَا !!! عبد القادر الأرنؤوط ، ونشرتها دار الفكر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ، بيروت ، بطبعة جديدة منقَّحة !!! ، (١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م) ، والموجودة بالمكتبة الشَّاملة ، الإصدار

(١) انظر : الأذكار (ص ٢٠٤-٢٠٥) .

(٢) انظر : الأذكار للنَّووي (ص ٣٠٩) .

(٣) انظر : الأذكار للنَّووي (ص ٣٧٨) .

السَّادس ... وهذا هو ديدنهم وصنيعهم ، وهي شنشنة نعرفها من أخزم ... ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يقبض للحق من عبيده من يكشف زيفهم وتزييفهم وعبثهم بكتب أهل العلم ...

وقال الإمام أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) في ترجمة الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي (٥٦٩هـ) : " وسمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون : إنَّ الدُّعاء عند قبره مستجاب ، ولقد جربت ذلك فصَحَّ ، رحمه الله تعالى " (١) .

وقال الإمام أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) : " ... اسمع ندائي ، واستجب دعائي ، وبلغنا في معاليه ، ما نؤمله ونرتجيه ، بمحمد النبي وصحبه وذويه " (٢) .

وقال الإمام أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) ، في ترجمة يحيى بن يحيى الليثي أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس (٢٣٤هـ) : " ... وقبره بمقبرة ابن عياش يُستسقى به ، وهذه المقبرة بظاهر قرطبة " (٣) .

وقال الإمام أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) : " وذكر الشَّيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي بن عبد الله سبط الشَّيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي في تاريخه الذي سمَّاه " مرآة الزَّمان " ورأيتُه في أربعين مجلِّداً وجميعه بخطّه - وكان أبوه قزغلي مملوك عون الدين بن هبيرة المذكور ، وزوجه بنت الشَّيخ جمال الدين أبي الفرج المذكور ، فأولدها شمس الدين فولأوه له - أنَّه سمع مشايخه ببغداد يحكون أنَّ عون الدين ، قال : كان سبب ولايتي المخزن أنني ضاق ما بيدي حتى فقدت القوت أياماً ، فأشار عليَّ بعض أهلي أن أمضي إلى قبر معروف الكرخي رضي الله عنه ، فأسأل الله تعالى عنده ، فإنَّ الدُّعاء عنده مُستجاب ، قال : فأتيت قبر معروف فصليت عنده ودعوت ، ثمَّ خرجت لأقصد البلد ، يعني بغداد ، فاجتزت بقطفنا - قلت : وهي محلة من محال بغداد - قال : فرأيت مسجداً مهجوراً فدخلت لأصليَّ فيه ركعتين ، وإذا بمريض ملقى على بارية ، فقعدت عند رأسه ، وقلت : ما تشتهي ؟ فقال : سفر جلة ، قال : فخرجت إلى بقال هناك فرهنت عنده مئزري على سفر جلتين وتفأحة وأتيت بذلك ، فأكل من السَّفَر جلة ،

(١) انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (١٨٧/٥) .

(٢) انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (١٣٢/٦) .

(٣) انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (١٤٦/٦) .

ثمَّ قال : أغلق باب المسجد ، فأغلقتة ، فتنحَّى عن البارية ، وقال : احفر ها هنا ، فحفرت وإذا بكوز ، فقال خذ هذا فأنت أحقُّ به ، فقلت : أما لك وارث ، فقال : لا ، وإنَّها كان لي أخ وعهدي بعيد وبلغني أنَّه مات ، ونحن من الرِّصافة ، قال : وبينما هو يحدثني إذ قضى نحبهُ ، فغسَّلتهُ وكفَّنتهُ ودفنتهُ ، ثمَّ أخذت الكوز وفيه مقدار خمسمائة دينار وأتيت إلى دجلة لأعبرها ، وإذا بملاح في سفينة عتيقة وعليه ثياب رثَّة ، فقال : معي معي ، فنزلت معه ، وإذا به من أكثر النَّاس شبيهاً بذلك الرَّجل ، فقلت : من أين أنت ، فقال : من الرِّصافة ، ولي بنات ، وأنا صعلوك ، قلت : فما لك أحد ، قال : لا ، كان لي أخ ولي عنه زمان ما أدري ما فعل الله به ، فقلت : ابسط حجرك ، فبسطه فصببت المال فيه ، فبهت ، فحدَّثته الحديث ، فسألني أن أخذ نصفه ، فقلت : لا والله ولا حبةً ، ثمَّ سعدت إلى دار الخليفة وكتبت رقعة فخرج عليها إشراف المخزن ، ثمَّ تدرَّجت إلى الوزارة " (١) .

وقال الإمام أبو العباس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) : " قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر: حدَّثني الشَّيخ الصَّالح الأصيل أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عمر بن الصَّفَّار الإسفرايني ، قال : قبر أبي عوانة بإسفرايين مزار العالم ، ومتبرَّك الخلق " (٢) .

وقال الإمام عفيف الدِّين اليافعي الشَّافعي (٦٨٣هـ) : " ... ونسأل الله الكريم ، بالآيات والذِّكر الحكيم ، وبرسوله عليه أفضل الصَّلاة والتَّسليم ، أن تجمع بيننا وبين أحبَّابنا في جنَّات النَّعيم ، إنَّه الجواد المنان ، ذو الفضل العظيم ، آمين آمين يا ربَّ العالمين " (٣) .

وألف الإمام أبو عبد الله محمَّد بن موسى بن النُّعمان المراكشي (٦٨٣هـ) كتاباً سَمَّاه : " مصباح الظَّلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والنام " ، وهو مطبوع .

وقال الإمام أبو العباس ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد ، محب الدِّين الطُّبري (٦٩٤هـ) : " رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين بمحمَّد وآله " (٤) .

وقال الإمام محب الدِّين أحمد بن عبد الله الطُّبري (٦٩٤هـ) : " أحسن الله خاتمتها بمحمَّد وآله وصحبه آمين وحسبنا الله وكفى " (٥) .

(١) انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٢٣٩/٦-٢٤٠) .

(٢) انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٣٩٤/٦) .

(٣) انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٢٦٨/٤) .

(٤) انظر : الرياض النضرة في مناقب العشرة (٣١/١) .

وقال الإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري (٦٩٦هـ) في قصيدته المسماة: " الكواكب الدرية في مدح خير البرية " والمشهورة بـ " البردة " أو " البراة " :

ما سامني الدهرُ ضيماً واستجرتُ به إلا ونلتُ جواراً منه لم يُضم  
ولا التمسْتُ غنى الدارين من يده إلا استلمتُ الندى من خير مُستلم

قال العلامة الصفدي بعد أن ذكرها في كتابه: " ولم أقف للشيخ رحمه الله تعالى على نظم هو خير من هذه القصيدة؛ لقصدها الصالح " اهـ.

وقال الإمام محمد بن سعيد البوصيري (٦٩٧هـ):

خدمته بمديح أستقبل به  
فإن لي ذمة منه بتسميتي  
حاشاه أن يحرم الرّاجي مكارمه  
يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به  
يا ربّ بالمصطفى بلغ مقاصدنا  
واغفر إلهي لكلّ المسلمين بما  
بجاه من بيته في طيبة حرم

ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم  
محمدًا وهو أوفى الخلق بالذمم  
أو يرجع الجار منه غير محترم  
سواك عند حلول الحادث العمم  
واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم  
يتلوه في المسجد الأقصى وفي الحرم  
واسمه قسم من أعظم القسم (١)

وللإمام أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرّفعة (٧١٠هـ) ردُّ على ابن تيمية، وهو الذي ناظره في التّوسّل والزّيارة، وكان أحد أسباب سجنه.

وقال الإمام محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرّويفعي الإفريقي (٧١١هـ): " والذي نقول نحن في يومنا هذا: إنا نرغب إلى الله عزّ وجلّ وننصرعُ إليه في نصرّة ملّته وإعزاز أُمته وإظهار شريعته، وأن يبقيهم هبةً تأويل هذا المنام، وأن يعيدَ عليهم بقوّته ما عدّا عليه الكفّار للإسلام بمحمد وآله، عليهم الصّلاة والسّلام " (٢).

(١) انظر: ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى (ص ٢٦١).

(٢) انظر: معجم أعلام شعراء المدح النبوي (ص ٣٥٦).

(٣) انظر: لسان العرب (٧٨/١١).

وقال الإمام سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصّرصري ، أبو الرّبيع ، نجم الدّين الطّوفي (٧١٦هـ) : " ﴿ فَاسْتَعْتَبَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصر : ١٥] احتجّ بها الشّيخ شمس الدّين الجزري شارح " المنهاج في أصول الفقه " على الشّيخ تقي الدّين ابن تيمية فيما قيل عنه أنّه قال : لا يُستغاث برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنّ الاستغاثة بالله عزّ وجلّ من خصائصه وحقوقه الخاصّة به فلا تكون لغيره كالعبادة .

وتقرير الحجّة المذكورة : أنّه قال : يجب أن ينظر في حقيقة الاستغاثة ماهي وهي الاستنصار والاستصرخ ثمّ قد وجدنا هذا الإسرائيلي استغاث بموسى واستنصره واستصرخه بنصّ هذه الآيات وهي استغاثة مخلوق بمخلوق ، وقد أقرّ موسى عليها الإسرائيلي ، وقد أقرّ الله عزّ وجلّ موسى على ذلك ، ولم ينكر محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك لما نزلت هذه الآيات ، أي : فكان هذا إقراراً من الله عزّ وجلّ ورسوله على استغاثة المخلوق بالمخلوق ، وإذا جاز أن يُستغاث بموسى فبمحمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى لأنّه أفضل بإجماع .

ومما يَحْتَجُّ به على ذلك : حديث هاجر أم إسماعيل حيث التمس الماء لابنها فلم تجد ، فسمعت حسّاً في بطن الوادي ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، وهذا في معنى الاستغاثة منها بجبريل ، وقد أقرّها على ذلك ولم ينكره النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها لما حكاه عنها .

ولأنّ اعتقاد التّوحيد من لوازم الإسلام ، فإذا رأينا مسلماً يستغيث بمخلوق ، علمنا قطعاً أنّه غير مشرك لذلك المخلوق مع الله عزّ وجلّ ، وإنّما ذلك منه طلب مساعدة أو توجّه إلى الله ببركة ذلك المخلوق ، وإذا استصرخ النّاس في موقف القيامة بالأنبياء ليشفعوا لهم في التّخفيف عنهم ، جاز استصراخهم بهم في غير ذلك المقام . وقد صنّف الشّيخ أبو عبد الله النعمان كتاباً سمّاه : " مصباح الظّلام في المستغيثين بخير الأنام " ، واشتهر هذا الكتاب ، وأجمع أهل عصره على تلقّيه منه بالقبول ، وإجماع أهل كلّ عصر حجّة ، فالمنكر لذلك مخالف لهذا الإجماع . فإن قيل : الآية المذكورة في قصّة موسى والإسرائيلي ليست في محلّ النزاع من وجهين :

أحدهما : أن موسى حينئذ كان حيّاً ، ونحن إنّما نمنع الاستغاثة بميت .

الثّاني : أن استغاثة صاحب موسى به كان في أمر يمكن موسى فعله ، وهو إعانته على خصمه ، وهو أمر معتاد ، ونحن إنّما نمنع من الاستغاثة بالمخلوق فيما يختصّ فعله بالله عزّ وجلّ ، كالرحمة ، والمغفرة ، والرّزق ، والحياة ، ونحو ذلك ، فلا يقال : يا محمّد اغفر لي أو ارحمني أو ارزقني أو أجني ، وفي نسخة أخرى : أحيني بدل أجني ، أو أعطني مالاً وولداً ، لأنّ ذلك شرك بإجماع .

وأجيب عن الأوّل: بأن الاستغاثة إذا جازت بالحي فبالميت المساوي فضلاً عن الأفضل أولى ، لأنّه أقرب إلى الله عزّ وجلّ من الحي لوجوه :

أحدها : أنّه في دار الكرامة والجزاء والحي في دار التّكليف .

الثّاني : أنّ الميت تجرّد عن عالم الطّبيعة القاطعة عن الوصول إلى عالم الآخرة والحي متلبّس بها .

الثّالث : أنّ الشّهداء في حياتهم محبوبون ، وبعد موتهم أحياء عند ربّهم يرزقون .

وعن الثّاني : أنّ ما ذكرتموه أمرٌ مجمعٌ عليه ، معلوم عند صغير المسلمين فضلاً عن كبيرهم أنّ المخلوق على الإطلاق لا يُطلب منه ولا يُنسب إليه فعل ما اختصت القدرة الإلهية به . وقد رأينا أعمار النّاس وعامّتهم وأبعدهم عن العلم والمعرفة يلودون بحجرة النّبي صلّى الله عليه وسلّم ولا يزيدون على أن يسألوا الشّفاة والوسيلة يا رسول الله ، وفي نسخة أخرى : برسول الله ، اشفع لنا يا الله ببركة نبيّك اغفر لنا ، فصار الكلام في المسألة المفروضة فضلاً لا حاجة بأحد من المسلمين إليه .

وإذا لم يكن بد من التعريف بهذا الحكم خشية أن يقع فيه أحد فليكن بعبارة لا توهم نقصاً في النّبي صلّى الله عليه وسلّم ولا غضاً من منصبه ، مثل أن يقال : ما استأثر الله عزّ وجلّ بالقدرة عليه ، فلا يطلب من مخلوق على الإطلاق أو نحو هذا ، ولا يتعرّض للنّبي صلّى الله عليه وسلّم بسلب الاستغاثة عنه مطلقاً ولا مقيداً ، ولا يذكر إلا بالصّلاة والسّلام عليه والرّواية عنه ونحو ذلك .

هذا حاصل ما وقع في هذه المسألة سؤالاً وجواباً ذكرته بمعناه وزيادات من عندي " (١) .

وقال الإمام عماد الدّين بن العطار (٧٢٤هـ) وهو أحد تلاميذ الإمام النّووي : " ... وَقَدْ أَمَرَنَا اللهُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَحَثَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ وَأَمَرَنَا بِسُؤَالِ الْوَسِيلَةِ وَالسُّؤَالِ بِجَاهِهِ ... " (٢) .

وقال الإمام الشّمس كمال الدّين الزّملكاني محمّد بن عليّ بن عبد الوّاحد الشّيخ الإمام العلّامة المُفتي فاضلي القضاة ذو الفنون جمال الإسلام كمال الدّين أبو المعالي ابن الزّملكاني الأنصاريّ السّماكي الدّمشقيّ كبير الشّافعية (٧٢٧هـ) :

يَا صَاحِبَ الْجَاهِ عِنْدَ اللهِ خَالِقَهُ  
أَنْتَ الْوَجِيهَ عَلَى رِغْمِ الْعَدَى  
مَا رَدَّ جَاهَكَ إِلَّا كُلُّ أَفَّاكَ  
أَبْدًا أَنْتَ الشَّفِيعَ لِفَتَاكِ وَنَسَاكَ

(١) انظر : الإشارات الإلهية في المباحث الأصولية (٣/٨٩-٩٣) .

(٢) انظر : مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٩٥٤هـ) .

يَا فِرْقَةَ الزَّيْبِغِ لَا لَقِيْتَ صَالِحَةَ  
وَلَا حَظِيَّتْ بِجَاهِ الْمُصْطَفَى أَبَدًا  
يَا أَفْضَلَ الرُّسُلِ يَا مَوْلَى الْأَنْبَاءِ وَيَا  
هَا قَدْ قَصِدْتِكِ أَشْكُو بَعْضَ مَا صَنَعْتَ  
قَدْ قَيَّدْتَنِي ذُنُوبٌ عَن بَلُوغِ مَدَى قَصْدِي

وَلَا شَفَى اللَّهُ يَوْمًا قَلْبَ مَرْضَاكَ  
وَمَنْ أَعَانَكَ فِي الدُّنْيَا وَوَالَاكَ  
خَيْرَ الْخَلَائِقِ مِنْ إِنْسٍ وَأَمْلَاكَ  
بِي الذُّنُوبِ وَهَذَا مُلْجَأُ الشَّاكِي  
إِلَى الْفُؤُزِ مِنْهَا مِنْ غَيْرِ إِمْسَاكَ (١)

وقال الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨هـ): " وفي منسك المروزي الذي نقله عن أحمد أنه قال في السلام على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ولا تستقبل الحائط، وخذ مما يلي صحن المسجد فسلم على أبي بكر وعمر. وقال: فإذا أردت الخروج فأت المسجد وصل ركعتين وودع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمثل سلامك الأول، وسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وحول، وسل الله حاجتك متوسلاً إليه بنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقض من الله عز وجل؟ (٢). "

وقال الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ): " وَقَدْ تَقَدَّمَ لَفْظُ الْحَدِيثِ الَّذِي فِي الْمُسْنَدِ عَنِ مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ لَمَّا قِيلَ لَهُ مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ". وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بَشْرَانَ مِنْ طَرِيقِ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجُوزِيِّ فِي " الْوَفَا بِفَضَائِلِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ صَالِحٍ ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانِ الْعَوْفِيِّ ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ مَيْسَرَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُفْيَانَ ، عَنْ مَيْسَرَةَ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَاسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَخَلَقَ الْعَرْشَ : كَتَبَ عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ حَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَخَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ الَّتِي أَسْكَنَهَا آدَمُ وَحَوَاءَ فَكَتَبَ اسْمِي عَلَى الْأَبْوَابِ وَالْأُورَاقِ وَالْقَبَابِ وَالْحِيَامِ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ، فَلَمَّا أَحْيَاهُ اللَّهُ تَعَالَى : نَظَرَ إِلَى الْعَرْشِ ، فَرَأَى اسْمِي فَأَخْبَرَهُ اللَّهُ أَنَّهُ سَيِّدٌ وَلَدِكَ ، فَلَمَّا عَرَّهْمَا الشَّيْطَانُ تَابَا وَاسْتَشْفَعَا بِاسْمِي إِلَيْهِ .

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ : وَ مِنْ طَرِيقِ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ رَشْدِينَ ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ الْفَهْرِيِّ ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَدْنِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ،

(١) انظر: الوافي بالوفيات (٤/١٥٤).

(٢) انظر: الإخناثية (أو الرد على الإخناثية) (ص ٤١٠).

عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَمَّا أَصَابَ آدَمَ الْخَطِيئَةَ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلَّا غَفَرْتَ لِي ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ : وَمَا مُحَمَّدٌ ؟ وَمَنْ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ : يَا رَبِّ إِنَّكَ لَمَّا أَمَّمْتَ خَلْقِي رَفَعْتَ رَأْسِي إِلَى عَرْشِكَ فَإِذَا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِكَ عَلَيْكَ ؛ إِذْ قَرَنْتَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ . فَقَالَ : نَعَمْ قَدْ غَفَرْتَ لَكَ ، وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ دُرِّيَّتِكَ ، وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ ، فَهَذَا الْحَدِيثُ يُؤَيِّدُ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَهُمَا كَالْتَفْسِيرِ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ " (١) .

وقال الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨هـ) : " ورؤي في ذلك أثر عن بعض السلف ، مثل ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب مجابي الدعاء ، قال : حدثنا أبو هاشم ، سمعت كثير ابن محمد بن كثير بن رفاعه ، يقول : جاء رجل إلى عبد الملك بن سعيد ابن أبحر ، فجلس بطنه فقال : بك داء لا يبرأ . قال : ما هو ؟ قال : الدبيلة . قال : فتحوّل الرجل ، فقال : الله الله ، الله ربي ، لا أشرك به شيئاً ، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم تسليماً ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك وربِّي يرحمني ممّا بي . قال : فجلس بطنه ، فقال : قد برئت ما بك علة .

قلت : فهذا الدعاء ونحوه قد روي أنه دعا به السلف ، ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروزي التوسّل بالنبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء " (٢) .

وقال الإمام محمد بن يوسف بن يعقوب ، أبو عبد الله ، بهاء الدين الجندي اليميني (٧٣٢هـ) عن نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب : " ... ولأهل مصر بها اعتقاد عظيم ، وكانت وفاتها بشهر رمضان من سنة ثمان ومئتين ، وأراد زوجها أن ينقلها إلى مدينة يثرب ، فتعلّق به المصريون ، وتضرّعوا إليه أن يقبرها معهم للتبرك ، فأجابهم ، ودفنها بالدار التي كانت تسكنها عند المشاهد بين القاهرة ومصر ، وقبرها مشهور يزار كثيراً ، ويستجاب عنده الدعاء " (٣) .

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢/ ١٥٠-١٥١) .

(٢) انظر : قاعدة جلييلة في التوسّل والوسيلة (ص ٢٠١) .

(٣) انظر : السلوك في طبقات العلماء والملوك (١/ ١٦١) .

وقال الإمام أحمد بن عبد الوهّاب بن محمد بن عبد الدّائم القرشي التّيمي البكري ، شهاب الدّين النّويري (٧٣٣هـ) : " والله تعالى يُعزُّ أنصاره ، ويوالي مباره ، بمحمّد وآله " (١) .

وألّف الإمام عمر بن أبي اليمن اللخمي الفاكهي المالكي (٧٣٤هـ) كتاباً بعنوان : " التّحفة المختارة في الرّدّ على منكر الزّيارة " .

وقال الإمام أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي ، تاج الدّين الفاكهاني (٧٣٤هـ) : " نسأل الله العظيم أن يجعلنا من أهل الخير ، ولا يجعلنا من أهل الشرّ ، بمنّه وكرمه ، أمين ، بمحمّد وآله أجمعين " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدي الفاسي المالكي الشّهر بابن الحاج (٧٣٧هـ) : "... فَإِذَا زَارَهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَإِنْ قَدَرَ أَنْ لَا يَجْلِسَ فَهُوَ بِهِ أَوْلَى ، فَإِنْ عَجَزَ ، فَلَهُ أَنْ يَجْلِسَ بِالْأَدَبِ ، وَالْإِحْتِرَامِ ، وَالتَّعْظِيمِ ، وَقَدْ لَا يَجْتَنِّجُ الزَّائِرُ فِي طَلَبِ حَوَائِجِهِ وَمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ أَنْ يَذْكُرَهَا بِلِسَانِهِ ، بَلْ يُحْضِرُ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ وَهُوَ حَاضِرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؛ لِأَنَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَعْلَمَ مِنْهُ بِحَوَائِجِهِ وَمَصَالِحِهِ وَأَرْحَمَ بِهِ مِنْهُ لِنَفْسِهِ ، وَأَشْفَقَ عَلَيْهِ مِنْ أَقَارِبِهِ ، وَقَدْ قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - : " إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الْفَرَاشِ تَفْعُونَ فِي النَّارِ وَأَنَا أَخُذُ بِحُجْرَتِكُمْ عَنْهَا " .

أَوْ كَمَا قَالَ ، وَهَذَا فِي حَقِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ أَعْنِي فِي التَّوَسُّلِ بِهِ وَطَلَبِ الْحَوَائِجِ بِجَاهِهِ عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ لَمْ يَقْدَرَ لَهُ زِيَارَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَسْمِهِ ، فَلْيُنَوِّهَا كُلَّ وَقْتٍ بِقَلْبِهِ ، وَلْيُحْضِرْ قَلْبُهُ أَنَّهُ حَاضِرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ مُشْفَعًا بِهِ إِلَى مَنْ مِنْ بَيْتِهِ عَلَيْهِ ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ بِنُ السَّيِّدِ الْبَطْلَيْوْسِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - فِي رُفْعَتِهِ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ أَيْتَاتٍ :

إِلَيْكَ أَفْرٌ مِنْ زَلِّي وَذَنْبِي  
 وَزُورَةٌ قَبْرِكَ الْمُحْجُوجُ قِدْمًا  
 فَإِنْ أُحْرِمَ زِيَارَتَهُ بِجَسْمِي  
 إِلَيْكَ غَدَتَ رَسُولَ اللهِ مِنِّي  
 وَأَنْتَ إِذَا لَقِيتَ اللهُ حَسْبِي  
 مُنَايَ وَبُعَيْتِي لَوْ شَاءَ رَبِّي  
 فَلَمْ أُحْرَمَ زِيَارَتَهُ بِقَلْبِي  
 حَيْثُ مَوْءِنٌ مِنْ دَنْفٍ مُحِبِّ

(١) انظر : نهاية الأرب في فنون الأدب (١٣٩/٥) .

(٢) انظر : رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام (٢٣٨/٣) .

اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا شَفَاعَتَهُ وَلَا عِنَايَتَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَالْآخِرَةِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ فِي زُمْرَةِ الْمُتَّبِعِينَ لَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ  
 الدِّينِ بِجَاهِهِ عِنْدَكَ ، فَإِنَّ جَاهَهُ عِنْدَكَ عَظِيمٌ ، ثُمَّ يُسَلِّمُ " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) :  
 قَالَ الْبَاجِي - رَحِمَهُ اللهُ - وَذَكَرَ الْعُتْبِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ حُجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ :  
 السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، سَمِعْتُ اللهُ - تَعَالَى - يَقُولُ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا  
 اللهُ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهُ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَجِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا  
 مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ، ثُمَّ أَنشَأَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْأَرْضِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيِّبِنَ الْقَاعِ وَالْأَكَمِ  
 نَفْسِي الْفِدَاءِ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انصَرَفَ . قَالَ الْعُتْبِيُّ (٢٢٨هـ) : فَعَلَّبْتَنِي عَيْنَايَ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ  
 لِي : يَا عُتْبِيُّ الْحَقُّ الْأَعْرَابِيُّ فَبَشَّرَهُ أَنَّ اللهُ قَدْ غَفَرَ لَهُ " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الشهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) : " وَكَذَلِكَ  
 يَدْعُو عِنْدَ هَذِهِ الْقُبُورِ عِنْدَ نَازِلَةِ نَزَلَتْ بِهِ ، أَوْ بِالْمُسْلِمِينَ وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي زَوَالِهَا وَكَشْفِهَا عَنْهُ وَعَنْهُمْ ،  
 وَهَذِهِ صِفَةُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ عُمُومًا .

فَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ الْمُرَارِئُ مَنْ تُرْجَى بَرَكَتُهُ فَيَتَوَسَّلُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِهِ ، وَكَذَلِكَ يَتَوَسَّلُ الرَّائِرُ بِمَنْ يَرَاهُ الْمَيِّتُ مِمَّنْ  
 تُرْجَى بَرَكَتُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ يَبْدَأُ بِالتَّوَسُّلِ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ هُوَ  
 الْعُمْدَةُ فِي التَّوَسُّلِ ، وَالْأَصْلُ فِي هَذَا كُلِّهِ ، وَالْمُشْرَعُ لَهُ فَيَتَوَسَّلُ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِمَنْ تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ  
 الدِّينِ ، وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - " أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - كَانَ إِذَا فَحِطُوا  
 اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ  
 نَبِيِّكَ فَاسْقِنَا فَيُسْقَوْنَ " أَنْتَهَى .

(١) انظر : المدخل (١/ ٢٦٤) .

(٢) انظر : المدخل (٣/ ٢٢٨) .

ثُمَّ يَتَوَسَّلُ بِأَهْلِ تِلْكَ الْمَقَابِرِ أَعْيُنِي بِالصَّالِحِينَ مِنْهُمْ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ ، ثُمَّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِسَائِحِيهِ وَلَا فَارِيهِ وَلَا أَهْلِ تِلْكَ الْمَقَابِرِ وَلَا مَوَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا أَحْيَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَلَمَّا غَاب عَنْهُ مِنْ إِخْوَانِهِ وَيَجَارٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالِدُّعَاءِ عِنْدَهُمْ وَيُكْثِرُ التَّوَسُّلَ بِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اجْتِبَاهُهُمْ وَشَرَفُهُمْ وَكَرَمُهُمْ فَكَمَا نَفَعَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا فَفِي الْآخِرَةِ أَكْثَرَ ، فَمَنْ أَرَادَ حَاجَةً فَلْيَذْهَبْ إِلَيْهِمْ وَيَتَوَسَّلْ بِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَخَلْقِهِ ، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الشَّرْعِ وَعُلِمَ مَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ مِنَ الْإِعْتِنَاءِ ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ مَشْهُورٌ ، وَمَا زَالَ النَّاسُ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَالْأَكْبَارِ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا يَتَبَرَّكُونَ بِزِيَارَةِ قُبُورِهِمْ وَيَجِدُونَ بَرَكَهَ ذَلِكَ حِسًّا وَمَعْنَى ، وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ التُّعْمَانِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِسَفِينَةِ النَّجَاءِ لِأَهْلِ الْإِلْتِمَاءِ فِي كَرَامَاتِ الشَّيْخِ أَبِي النَّجَاءِ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ عَلَى ذَلِكَ مَا هَذَا لَفْظُهُ : تَحَقَّقْ لِدَوِي الْبَصَائِرِ ، وَالْإِعْتِبَارِ أَنَّ زِيَارَةَ قُبُورِ الصَّالِحِينَ مَحْبُوبَةٌ لِأَجْلِ التَّبَرُّكِ مَعَ الْإِعْتِبَارِ ، فَإِنَّ بَرَكَهَ الصَّالِحِينَ جَارِيَةٌ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ كَمَا كَانَتْ فِي حَيَاتِهِمْ الْجَلِيلِ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي كِتَابِ آدَابِ السَّفَرِ مِنْ كِتَابِ الْإِحْيَاءِ لَهُ مَا هَذَا نَصُّهُ : الْقِسْمُ الثَّانِي : وَهُوَ أَنَّ يُسَافِرَ لِأَجْلِ الْعِبَادَةِ أَمَا لِجِهَادٍ ، أَوْ حَجٍّ إِلَى أَنْ قَالَ : وَيَدْخُلُ فِي جُمْلَتِهِ زِيَارَةُ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَقُبُورِ الصَّحَابَةِ ، وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ الْعُلَمَاءِ ، وَالْأَوْلِيَاءِ ، وَكُلُّ مَنْ يُتَبَرَّكُ بِمُشَاهَدَتِهِ فِي حَيَاتِهِ يُتَبَرَّكُ بِزِيَارَتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَيَجُوزُ شُدُّ الرَّحَالِ لِهَذَا الْغَرَضِ ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا لِثَلَاثَ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى " .

لِأَنَّ ذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ ؛ لِأَنَّهَا مُتَمَاثِلَةٌ بَعْدَ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ ، وَإِلَّا فَلَا فَرْقَ بَيْنَ زِيَارَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالْأَوْلِيَاءِ ، وَالْعُلَمَاءِ فِي أَصْلِ الْفَضْلِ ، وَإِنْ كَانَ يَتَفَاوَتُ فِي الدَّرَجَاتِ تَفَاوُتًا عَظِيمًا بِحَسَبِ اخْتِلَافِ دَرَجَاتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " (١) .

وقال ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله تعالى السَّلَامَةَ وحسن العاقبة ، بمحمَّد وآله " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله تعالى السَّلَامَةَ بمحمَّد وآله " . وقال الإمام : " نسأل الله العصمة في

القول والعمل ، بمحمَّد وآله " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " والله سبحانه وتعالى المسئول في التَّجَاوُزِ والعفو عمَّا مضى والتَّدارُكِ واللطف

والإفالة ممَّا بقي ، بمحمَّد وآله " .

(١) انظر : المدخل (١/ ٢٥٤-٢٥٦) .

وقال ابن الحاج أيضاً: " نسأل الله الكريم من فضله أن يمنَّ علينا بما منَّ به عليهم ، فإنه أهل لذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عليه وعليهم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً: " أسأل الله الكريم أن لا يجرمنا ذلك بمنَّه آمين ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عليه وعليهم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً: " والله تعالى يوفِّقنا وإيَّاك لما فيه رضاه ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عليه وعليهم " .  
وقال ابن الحاج أيضاً: " سلك الله بنا الطَّريق الأرشد ، أنه ولي ذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله " .  
وقال ابن الحاج أيضاً: " اللهم لا تحرمنا ذلك ، فإنَّك وليه والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عليه وعليهم " .

وقال ابن الحاج أيضاً: " اللهم لا تحرمنا من بركاتهم بمننك ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عليه وعليهم وَسَلَّم تسليماً كثيراً " .

وقال ابن الحاج أيضاً: " اللهم منَّ علينا بذلك ، ولا تجعل حظنا منه الكلام ، بمحمَّد وآله " .  
وقال ابن الحاج أيضاً: " أسأل الله تعالى أن لا يجرمنا ذلك ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم " .  
وقال ابن الحاج أيضاً: " اللهم لا تحرمنا ذلك يا رب العالمين ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عليه وعليهم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً: " أسأل الله أن يمنَّ علينا بالاتباع وترك الابتداع ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً: " أسأل الله أن لا يجرمنا ذلك بكرمه أنه ولي ذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عليه وعليهم وَسَلَّم " .  
وقال ابن الحاج أيضاً: " اللهم لا تحرمنا ذلك بمننك وكرمك إنَّك على كلِّ شيء قدير ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً: " نسأل الله السَّلامة بمنَّه ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم " .  
وقال ابن الحاج أيضاً: " نسأل الله أن لا يجرمنا من بركاتهم ورأيهم ونظرهم أنه ولي ذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عليه وعليهم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله تعالى أن يرزقنا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرزقنا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، بمحمد وآله وصحبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ " (١) .

وقال الإمام أبو القاسم ، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ، ابن جزي الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ) : " يُبَغِي لِمَنْ حَجَّ أَنْ يَقْصِدَ الْمَدِينَةَ فَيَدْخُلَ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَصِلِي فِيهِ وَيَسْلَمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى ضَجِيعِهِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَيَتَشَفَعُ بِهِ إِلَى اللهِ وَيُصَلِّي بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ وَيُودِعُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ " (٢) .

وقال الإمام يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، أبو الحجاج ، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (٧٤٢هـ) : " وقال أبو عبد الله الأردبيلي : سمعت أبا بكر بن أبي الخصب يقول : ذكر صفوان بن سليم عند أحمد بن حنبل فقال : هذا رجل يستسقى بحديثه ، وينزل القطر من السماء بذكره " (٣) .

وقال الإمام عثمان بن علي بن محجن البارع ، فخر الدين الزيلعي الحنفي (٧٤٣هـ) : " هَذَا مَا ظَهَرَ لِكَاتِبِهِ بَلَّغَهُ اللهُ مَقَاصِدَهُ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ " (٤) .

وقال الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي (٧٤٤هـ) : " أعادنا الله تعالى من غوائل الحسد وعصمنا من مخائل النكد بمحمد وآله الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين " (٥) .

وقال الإمام تقي الدين أبو الفتح السبكي (٧٤٤هـ) :

فارج الإله ولا تخف من غيره	تجد الإله لضيق صدرك قد شرح
وارغب إليه بالنبي المصطفى	في كشف ضرك عل بأسو ما انجرح
تالله ما يرجو نداءه مخلص	لسؤاله إلا تهلل وانشرح
فهو النبي الهاشمي ومن لاه	جاه علا وعلو قدر قد رجح

(١) انظر : المدخل (١/٢١) ، (٤٦/١) ، (٤٩/١) ، (٧٦/١) ، (١٩٦/١) ، (١٣٠/٢) ، (١٤٤/٢) ، (١٦٤/٢) ، (١٢٢/٣) ، (١٣٢/٣) ، (١٣٨/٣) ، (١٥٢/٣) ، (١٨٣/٣) ، (٢٨٣/٣) ، (٢٩١/٣) ، (١٨/٤) ، (٢٧/٤) ، (٤٣/٤) ، (٥٧/٤) ، (١٥٤/٤) ، (١٥٥/٤) .

(٢) انظر : القوانين الفقهية (ص ٩٥) .

(٣) انظر : تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٣/١٨٦) .

(٤) انظر : تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي (٥/١٤٨) .

(٥) انظر : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ص ٣٦٤) .

وَهُوَ النَّعِيمُ لِمَنْ تَوَقَّى وَاتَّقَى

هُوَ وَابِلُ الدُّنْيَا إِذَا شَحَّ الْحَيَا

وَمُشَفَّعُ الأُخْرَى إِذَا عَرِقَ رَشَحٌ (١)

وَقَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ هَمَامِ أَبُو الفَتْحِ ، تَقِيُّ الدِّينِ ، المَعْرُوفُ بِابْنِ الإِمَامِ (٧٤٥هـ) :

" أَحْسَنُ اللهُ تَفْخِيمَهُ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ " (٢) .

وَقَالَ الإِمَامُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ قَائِمَازِ الدَّهْبِيِّ (٧٤٨هـ) :

عَنْ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ : مَا سَأَلْتُ عَلِيًّا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - شَيْئًا بِحَقِّ جَعْفَرٍ إِلَّا أَعْطَانِيهِ " (٣) .

وَقَالَ الإِمَامُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ قَائِمَازِ الدَّهْبِيِّ فِي تَرْجُمَةِ سَلْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ

البَاهِلِيِّ : " يُقَالُ : لَهُ صُحْبَةٌ ، وَقَدْ سَمِعَ مِنْ عُمَرَ . رَوَى عَنْهُ : أَبُو وَائِلٍ ، وَالصُّبَيْبِيُّ بْنُ مَعْبُدٍ ، وَعَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ .

وَكَانَ بَطْلًا شَجَاعًا فَاضِلًا عَابِدًا ، وَآلَاهُ عُمَرُ قِضَاءِ الكُوفَةِ ، ثُمَّ وَبِيَّ زَمَانَ عَثْمَانَ غَزَا أَرْمِينِيَةَ فُقْتِلَ بِبَلَنْجَرٍ ، وَقِيلَ :

بَلِ الَّذِي قُتِلَ بِهَا أَخُوهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَقِيلَ : إِنَّ التُّرْكَ إِذَا قَحَطُوا يَسْتَسْقُونَ بِقَبْرِ سَلْمَانَ ، وَهُوَ مَدْفُونٌ عِنْدَهُمْ ،

وَقَدْ جَعَلُوا عِظَامَهُ فِي تَابُوتٍ " (٤) .

وَقَالَ الإِمَامُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ قَائِمَازِ الدَّهْبِيِّ (٧٤٨هـ) :

" وَنَفَعَ المُسْلِمِينَ بِبِرِّكَتِهِ ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَعِزَّتِهِ " (٥) .

وَقَالَ الإِمَامُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ قَائِمَازِ الدَّهْبِيِّ (٧٤٨هـ) :

" فَمَنْ وَقَفَ عِنْدَ الحُجْرَةِ المُقَدَّسَةِ ذَلِيلًا ، مُسْلِمًا ، مُصَلِّيًا عَلَى نَبِيِّهِ ، فَيَا طُوبَى لَهُ ، فَقَدْ أَحْسَنَ الزِّيَارَةَ ، وَأَجْمَلَ فِي التَّدَلُّلِ وَالْحُبِّ ،

وَقَدْ آتَى بِعِبَادَةٍ زَائِدَةٍ عَلَى مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ فِي أَرْضِهِ ، أَوْ فِي صَلَاتِهِ ، إِذِ الزَّائِرُ لَهُ أَجْرُ الزِّيَارَةِ ، وَأَجْرُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ،

وَالْمُصَلِّيُّ عَلَيْهِ فِي سَائِرِ البِلَادِ لَهُ أَجْرُ الصَّلَاةِ فَقَطْ ، فَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ وَاحِدَةً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا ، وَلَكِنْ مَنْ زَارَهُ

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (١٨١/٩) .

(٢) انظر : سلاح المؤمن في الدعاء والذكر (ص٥٢٤) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠٨/١) .

(٤) انظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (١٨٧/٢) ، سير أعلام النبلاء (٤٨٩/٢) ، دار الحديث ، إكمال تهذيب الكمال في أسماء

الرجال (٤٣٦/٥) .

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء (٦٣٣/٢) .

- صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - وَأَسَاءَ أَذَبَ الزِّيَارَةَ ، أَوْ سَجَدَ لِلْقَبْرِ ، أَوْ فَعَلَ مَا لَا يُشْرَعُ ، فَهَذَا فَعَلَ حَسَنًا وَسَيِّئًا ، فَيَعْلَمُ بِرَفِيقٍ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

فَوَاللَّهِ مَا يَخْصُلُ الْإِنزِعَاجُ مُسْلِمًا ، وَالصَّيَاحُ وَتَقْمِيلُ الْجُدْرَانِ ، وَكَثْرَةُ الْبُكَاءِ ، إِلَّا وَهُوَ مُحِبٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، فَحُبُّهُ الْمَعْيَارُ وَالْفَارِقُ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ ، فزِيَارَةُ قَبْرِهِ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبِ ، وَشَدُّ الرَّحَالِ إِلَى قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ ، لَيْسَ سَلَمْنَا أَنَّهُ غَيْرٌ مَاذُونٍ فِيهِ لِعُمُومِ قَوْلِهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - : " لَا تَشُدُّوا الرَّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ " .

فَشَدُّ الرَّحَالِ إِلَى نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَلْزِمٌ لِشَدِّ الرَّحْلِ إِلَى مَسْجِدِهِ ، وَذَلِكَ مَشْرُوعٌ بِإِلَازِمٍ ، إِذْ لَا وَصُولَ إِلَى حُجْرَتِهِ إِلَّا بَعْدَ الدُّخُولِ إِلَى مَسْجِدِهِ ، فَلْيَبْدَأْ بِتَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ بِتَحِيَّةِ صَاحِبِ الْمَسْجِدِ - رَزَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ ذَلِكَ آمِينَ " (١) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨هـ) : " قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ شَعْرَةً مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُهَا عَلَى فِيهِ يَقْبُلُهَا . وَأَحْسِبُ أَنِّي رَأَيْتُهُ يَضَعُهَا عَلَى عَيْنِهِ ، وَيَغْمِسُهَا فِي الْمَاءِ وَيَشْرِبُهَا يَسْتَشْفِي بِهِ . وَرَأَيْتُهُ أَخَذَ قِصْعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَسَلَهَا فِي حُبِّ الْمَاءِ ، ثُمَّ شَرِبَ فِيهَا ، وَرَأَيْتُهُ يَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ رَمَزَ يَسْتَشْفِي بِهِ ، وَيَمْسُحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ .

قُلْتُ : أَيْنَ الْمُنْتَطِعُ الْمُنْكَرُ عَلَى أَحْمَدَ ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ سَأَلَ أَبَاهُ عَمَّنْ يَلْمَسُ رُمَانَةَ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَمَسُّ الْحِجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ ، فَقَالَ : لَا أَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ رَأْيِ الْحَوَارِجِ وَمَنْ الْبِدْعَ " (٢) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، في ترجمة أحمد بن حنبلٍ : " أَبُو بَكْرٍ بْنُ شَادَانَ: حَدَّثَنَا أَبُو عِيْسَى أَحْمَدُ بْنُ يَعْقُوبَ ، حَدَّثَنِي فَاطِمَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، قَالَتْ : وَقَعَ الْحَرِيقُ فِي بَيْتِ أَخِي صَالِحٍ ، وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِبَيْتِي ، فَحَمَلُوا إِلَيْهِ جِهَازًا شَبِيهًا بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، فَأَكَلْتُهُ النَّارُ ، فَجَعَلَ صَالِحٌ يَقُولُ : مَا عَمَّنِي مَا ذَهَبَ إِلَّا تَوْبٌ لِأَبِي كَانَ يُصَلِّي فِيهِ أَنْتَبَرُكَ بِهِ وَأَصَلِّي فِيهِ . قَالَتْ : فَطَفَعِيَ الْحَرِيقُ ، وَدَخَلُوا ، فَوَجَدُوا التَّوْبَ عَلَى سَرِيرٍ قَدْ أَكَلَتِ النَّارُ مَا حَوْلَهُ وَسَلَّمَ " (٣) .

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨٤-٤٨٥) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٢) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣٠) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: "... وَقَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْأَشْجَّ، وَخَرَجَ إِلَيْنَا فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، وَهُوَ يَرْتَعِدُ مِنَ الْبَرْدِ، فَقَالَ: أَبِئْكَونُ عِنْدَكُمْ مِثْلُ ذَا الْبَرْدِ؟ فَقُلْتُ: مِثْلُ ذَا يَكُونُ فِي الْخَرِيفِ وَالرَّبِيعِ، وَرَبِّمَا تُمَسِّي وَالنَّهْرُ جَارٍ، فَنَصْبِحُ وَنَحْتَأْجُ إِلَى الْفَأْسِ فِي نَقْبِ الْجَمْدِ. فَقَالَ لِي: مِنْ أَيِّ خُرَاسَانَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ بُخَارَى. فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: هُوَ مِنْ وَطَنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَ لَهُ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ مَنْ يُتَوَسَّلُ بِهِ فَاعْرِفْ لَهُ حَقَّهُ، فَإِنَّهُ إِمَامٌ" (١).

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: " وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَلْخِي وَرَأَى الْبُخَارِي: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدِ الْأَشْجَّ، وَخَرَجَ إِلَيْنَا فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، وَهُوَ يَرْتَعِدُ مِنَ الْبَرْدِ، فَقَالَ: أَبِئْكَونُ عِنْدَكُمْ مِثْلُ ذَا الْبَرْدِ؟ فَقُلْتُ: مِثْلُ ذَا يَكُونُ فِي الْخَرِيفِ وَالرَّبِيعِ، وَرَبِّمَا تُمَسِّي وَالنَّهْرُ جَارٍ، فَنَصْبِحُ وَنَحْتَأْجُ إِلَى الْفَأْسِ فِي نَقْبِ الْجَمْدِ. فَقَالَ لِي: مِنْ أَيِّ خُرَاسَانَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ بُخَارَى. فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: هُوَ مِنْ وَطَنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَ لَهُ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ مَنْ يُتَوَسَّلُ بِهِ فَاعْرِفْ لَهُ حَقَّهُ، فَإِنَّهُ إِمَامٌ" (٢).

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي السراج أبو الحسن محمد بن الحسن بن أحمد: " حَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مِنْ أَصُولِ صَحِيحَةٍ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ، فَتَبِعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ، فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى، وَتَقَدَّمَ وَصَفَّ خَلْفَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ التَفَتَ فَقَالَ: هَذَا الْقَبْرُ أَمَانٌ لِأَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ" (٣).

وقال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي في ترجمة ابن فورك: " قَالَ عَبْدُ الْغَافِرِ فِي (سِيَاقِ التَّارِيخِ): الْأُسْتَاذُ أَبُو بَكْرٍ قَبْرُهُ بِالْحَيْرَةِ يُسْتَسْقَى بِهِ" (٤).

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، في ترجمة أبو بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد الأزدستاني: " قَالَ شِيرَوِيهِ: كَانَ ثِقَةً يُحْسِنُ هَذَا الشَّأْنَ، سَمِعْتُ عِدَّةً يَقُولُونَ: مَا مِنْ رَجُلٍ لَهُ حَاجَةٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَزُورُ قَبْرَهُ وَيَدْعُوهُ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ. قَالَ: وَجَرَّبْتُ أَنَا ذَلِكَ" (٥).

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/٤٣٠).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/٤٧٨).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/١٦٢).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٢١٥).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٤٢٨).

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، في ترجمة ابن زبيرك محمد بن عثمان بن أحمد القومساني : " وَقَبْرُهُ يُزَار ، وَيُتَبَرَّكُ بِهِ " (١) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، في ترجمة أبي الحسن علي بن حميد بن علي الذهبي : " وَكَانَ وَرِعًا ، تَقِيًّا ، مُحْتَشِمًا ، يُتَبَرَّكُ بِقَبْرِهِ " (٢) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي في ترجمة صالح بن أحمد بن محمد أبو الفضل التميمي الهمداني السمسار : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " (٣) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي : " قال أبو الربيع بن سالم الحافظ : كان وقت وفاة أبي محمد بن عبيد الله قحط مضر ، فلما وضع على شفير القبر توصلوا به إلى الله في إغاثتهم فسقوا في تلك الليلة مطراً وإبلاً ، وما اختلف الناس إلى قبره مدّة الأسبوع إلا في الوحل والطين " (٤) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي في ترجمة صالح بن يونس أبو شعيب الواسطي الزاهد : " ... والدُّعاء عند قبره مُستجاب " (٥) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي في ترجمة القاسم بن محمد بن محمد بن عبدويه ، أبو أحمد الهمداني الصيرفي السراج المتوفى (٣٤٧هـ) : " وكان أحد الصالحين يُتَبَرَّكُ بِقَبْرِهِ " (٦) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي في ترجمة أحمد بن علي أبو بكر الهمداني الشافعي الفقيه، المعروف بابن لال : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " (٧) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي في ترجمة محمد بن الحسن بن فورك ، أبو بكر الإصبهاني الفقيه المتكلم : " قَالَ عَبْدُ الْغَافِرِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ : قَبْرُهُ بِالْحِيرَةِ يُسْتَسْقَى بِهِ " (٨) .

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٨ / ٤٣٤) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٠١) .

(٣) انظر : تذكرة الحفاظ (٣ / ١٢٩) .

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ (٤ / ١١١) .

(٥) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفِيَّاتِ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ (٦ / ٧٥٩) .

(٦) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفِيَّاتِ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ (٧ / ٨٥٦) .

(٧) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفِيَّاتِ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ (٨ / ٧٨٣) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي : " ... وسمعنا علي ابن صيلا ، وأبي شاعر السقلاطوني ، وتجنّي ، وابن يلدرك ، ومنوجهر ، وابن شاتيل . وكان له ابن شيخ إذا جلسنا تبين كأنه الأب ، وعوي على كبير ، وبقية سبعين يوماً أعمى ، ثم برئ وعاد بصره - يعني الابن - فسألنا الشيخ عن السبب فذكر لنا : أنه ذهب به إلى قبر الإمام أحمد ، وأنه دعا وابتهل ، وقلت : يا إمام أحمد ، أسألك إلا شفعت فيه إلى ربك ، يا رب شفّعه في ولدي ، وولدي يؤمن ، ثم مضينا . فلما كان الليل استيقظ وقد أبصر . " (١)

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي في ترجمة أحمد بن عبد المنعم بن أحمد المعمر ركن الدين أبو العباس القزويني الطاوسي الصوفي : " أخبرنا أحمد بن عبد المنعم ، غير مرة ، أنا أبو جعفر الصبدلاني ، كتابه ، أنا أبو علي الحداد ، حضوراً ، أنا أبو نعيم الحافظ ، نا عبد الله بن جعفر ، ثنا محمد بن عاصم ، نا أبو أسامة عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنه كان يكره مس قبر النبي صلى الله عليه وسلم .

قلت : كره ذلك لأنه رآه إساءة أدب ، وقد سئل أحمد بن حنبل عن مس القبر النبوي وتقبيله ، فلم ير بذلك بأساً ، رواه عنه ولده عبد الله بن أحمد .

فإن قيل : فهلا فعل ذلك الصحابة ؟ قيل : لأنهم عاينوه حياً وتملأوا به وقبلوا يده ، وكادوا يقتتلون على وضوئه واقتسموا شعره المطهر يوم الحج الأكبر ، وكان إذا تنخم لا تكاد نخامته تقع إلا في يد رجل فيدلك بها وجهه ، ونحن فلما لم يصح لنا مثل هذا النصيب الأوفر تراءينا على قبره بالالتزام والتبجيل والاستلام والتقبيل ، ألا ترى كيف فعل ثابت البناني ؟ كان يقبل يد أنس بن مالك ويضعها على وجهه ويقول : يد مسّت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذه الأمور لا يحركها من المسلم إلا فرط حبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، إذ هو مأثور بأن يحب الله ورسوله أشد من حبه لنفسه ، وولده والناس أجمعين ، ومن أمواله ، ومن الجنة وحورها ، بل خلق من المؤمنين محبوباً أباً بكر ، وعمراً أكثر من حب أنفسهم .

(١) انظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، (١٠٩/٩) ، سير أعلام النبلاء (٢٤/١٣) ، دار الحديث ، وانظر : طبقات الشافعية الكبرى (١٣٠/٤) .

(٢) انظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٧٦٨/١٣) .

حَكَى لَنَا جُنْدَارٌ ، أَنَّهُ كَانَ بِجَبَلِ الْبِقَاعِ فَسَمِعَ رَجُلًا سَبَّ أَبَا بَكْرٍ فَسَلَّ سَيْفَهُ ، وَصَرَبَ عُنُقَهُ ، وَلَوْ كَانَ سَمِعَهُ يَسُبُّهُ ، أَوْ يَسُبُّ أَبَاهُ لَمَا اسْتَبَاحَ دَمَهُ ، أَلَا تَرَى الصَّحَابَةَ فِي فَرْطِ حُبِّهِمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالُوا : أَلَا نَسْجُدُ لَكَ ؟ فَقَالَ : " لَا " فَلَوْ أَدْنَاهُمْ لَسَجَدُوا لَهُ سَجُودَ إِجْلَالٍ وَتَوْقِيرٍ ، لَا سُجُودَ الْمُسْلِمِ لِقَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَبِيلِ التَّعْظِيمِ وَالتَّبْجِيلِ لَا يُكْفَرُ بِهِ أَصْلًا ، بَلْ يَكُونُ عَاصِيًا ، فَلْيَعْرِفْ أَنَّ هَذَا مِنْهُيَّ عَنْهُ ، وَكَذَلِكَ الصَّلَاةُ إِلَى الْقَبْرِ " (١) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي : " فالله يمتع ببقائه أهل المصريين ، ويجمع له ولمواليه خير الدارين ، بمحمد وآله " (٢) .

وقال الإمام محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري البخاري ، المعروف بابن الإكفاني (٧٤٩هـ) : " والله أسأل أن ينفع به ، بمحمد وآله " (٣) .

وقال الإمام أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري ، شهاب الدين (٧٤٩هـ) : " أدام الله أيام مولاي ، وجعلها موشحة بالخلود منسمة بالإقبال والسعود ما لاحت ذكاء ، وطلعت الجوزاء ، بمحمد وآله " (٤) .

وقال الإمام تقي الدين أحمد بن محمد بن علي الأدمي (كان حياً قبل ٧٤٩هـ) : " وَيُبَاحُ التَّوَسُّلُ بِالصُّلَحَاءِ " (٥) .

وقال الإمام القاضي محمد السعدي المصري الأحنائي (٧٥٠هـ) كتاباً بعنوان : " المقالة المرضية في الرد على من ينكر الزيارة المحمدية " . وقد طبع ضمن كتاب : " البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة " لسلامة القضاعي العزامي .

وقال الإمام عمر بن علي بن عمر القزويني ، أبو حفص ، سراج الدين (٧٥٠هـ) : " وجعل أعمارهم أطول الأعمار ، بمحمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الكرام المنتجبين " (٦) .

(١) انظر : معجم الشيوخ الكبير ، الذهبي ، (٧٣/٧٤) .

(٢) انظر : العبر في خبر من غير (٤/٢٠٠) .

(٣) انظر : نخب الذخائر في أحوال الجواهر (ص ١) .

(٤) انظر : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٧/١٥٥) .

(٥) انظر : كتاب المنور في راجح المحرر على مذهب الإمام المجل والخبير المفضل أحمد بن محمد بن حنبل (ص ١٩٠) .

وقال الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (٧٥٦هـ): " اعلم أنه يجوز ويحسن التوسُّل والاستعانة والتشفع بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ربه سبحانه وتعالى ، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين ، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين ، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان ، ولا سمع به في زمن من الأزمان ، حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار ، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار " (١) .

وقال الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي أيضاً : " وليس المراد نسبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ إلى الخلق والاستقلال بالأفعال ، هذا لا يقصده مسلم ، فصرف الكلام إليه ومنعه من باب التلبس في الدين ، والتشويش على عوام الموحدين ، وإذ قد تحررت هذه الأنواع والأحوال في الطلب من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وظهر المعنى ، فلا عليك في تسميته توسُّلاً ، أو تشفعاً ، أو استغاثة ، أو توجُّهاً - أي : توسُّلاً بالجاه- ، أو توجُّهاً ؛ لأن المعنى في جميع ذلك سواء...

وأما الاستغاثة : فهي طلب الغوث ، وتارة يطلب الغوث من خالقه وهو الله تعالى وحده ، كقوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال : ٩] ، وتارة يطلب ممن يصح إسناده إليه على سبيل الكسب ، ومن هذا النوع : الاستغاثة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وفي هذين القسمين تعدى الفعل تارة بنفسه كقوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال : ٩] ، ﴿فَأَسْتَعِثُّهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾ [القصص : ١٥] ، وتارة بحرف الجر ، كما في كلام النحاة في المستغاث به ، وفي كتاب سيبويه رحمه الله تعالى : فاستغاث بهم ليشتروا له كليباً ، فيصح أن يقال : استغثت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واستغيت بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمعنى واحد ، وهو طلب الغوث منه بالدعاء ونحوه على النوعين السابقين في التوسُّل من غير فرقى ، وذلك في حياته وبعد موته ، ويقول : استغثت الله وأستغيت بالله ، بمعنى : طلب خلق الغوث منه ، فالله تعالى مُسْتَعَاثٌ ، فالغوث منه خَلْقاً وإيجاداً ، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ مستغاثٌ والغوث منه تَسْبِياً وكَسْباً...

وقد تكون الاستغاثة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على وجه آخر ، وهو أن يُقال : استغثت الله بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما تقول : سألت الله بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيرجع إلى النوع الأول من أنواع التوسُّل ،

(١) انظر : مشيخة القزويني (ص ٧٩) .

(٢) انظر : شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص ١٣٣) .

ويصحُّ قبل وجوده وبعد وجوده ، وقد يُحذفُ المفعول به ، ويقال : استغثت بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا المعنى . فصار لفظ الاستغاثة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له معنيان :

أحدهما : أن يكون مستغاثاً ، والثاني : أن يكون مستغاثاً به ، والباء للاستعانة .

فقد ظهر جواز إطلاق الاستغاثة والتوسُّل جميعاً ، وهذا أمر لا يُشكُّ فيه ، فإنَّ الاستغاثة في اللغة طلب الغوث ، وهذا جائزٌ لغةً وشرعاً من كلِّ من يقدر عليه ، بأي لفظ عبر عنه ، كما قالت أم إسماعيل : " أغث إن كان عندك غوث " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي أيضاً : " أمتعني الله بحياته وزاد في حسناته بمنه وكرمه ، بمحمد وآله " (٢) .

وقال الإمام أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي أيضاً : " ... وَاللَّهُ تَعَالَى يُلْهِمُنَا رُشْدَنَا ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ " (٣) .

وقال الإمام أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي أيضاً : " وَاللَّهُ الْمُسْتُوْلُ أَنْ يُوفِّقَنَا لِمَا يُرْضِيهِ ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ " (٤) .

وقال الإمام تقي الدِّين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى السُّبكي وولده تاج الدِّين أبو نصر عبد الوهَّاب (٧٧١هـ) : " أسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم موجباً للفوز لديه وأن يعم النفع به ، بمحمد وآله وصحبه " (٥) .

وقال الإمام إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطَّرسوسي ، نجم الدِّين الحنفي (٧٥٨هـ) : " رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه ، بمحمد وآله أمين " (٦) .

(١) انظر : شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص ١٤٦-١٤٧) .

(٢) انظر : فتاوى السُّبكي (١/ ٢٥٥) .

(٣) انظر : فتاوى السُّبكي (٢/ ٣٠٩) .

(٤) انظر : فتاوى السُّبكي (١/ ٣٠٠) .

(٥) انظر : الإبهاج في شرح المنهاج (٣/ ٢٧٤) .

(٦) انظر : تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك (ص ١) .

وقال الإمام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزليعي (٧٦٢هـ): " أحسن الله عاقبتَهَا بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا دَائِمًا أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ " (١) .

وقال الإمام محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (٧٦٣هـ): " وَيَجُوزُ التَّوَسُّلُ بِصَالِحٍ ، وَقِيلَ : يُسْتَحَبُّ ، قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرْوِذِيِّ : أَنَّهُ يَتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ " (٢) .

وقال الإمام العلامة الفقيه أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد المقدسي، ثم الصالحي الراميني، شيخ الحنابلة أيضاً: " وَرَوَى ابْنُ السُّنِّيِّ فِي كِتَابِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّتُهُ أَحَدَكُمْ بِأَرْضِ فَلَاةٍ ، فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ اللَّهِ أَحْسِنُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ حَاضِرٌ سَيَحْسِبُهُ " . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِيمَانَ أَحْمَدَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : حَجَجْتُ حَمَسَ حَجَّجَ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ رَاكِبًا وَثَلَاثًا مَا شِئْنَا فَضَلَّتِ الطَّرِيقَ فِي حَجَّةٍ وَكُنْتُ مَا شِئْنَا فَجَعَلْتُ أَقُولُ : يَا عِبَادَ اللَّهِ دُلُّوْنَا عَلَى الطَّرِيقِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى وَقَعْتُ عَلَى الطَّرِيقِ ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبِي " (٣) .

وقال الإمام محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي أيضاً: " وَيَجُوزُ التَّوَسُّلُ بِصَالِحٍ ، وَقِيلَ : يُسْتَحَبُّ ، قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرْوِذِيِّ : أَنَّهُ يَتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ ، وَجَزَمَ بِهِ فِي الْمُسْتَوْعِبِ وَغَيْرِهِ ، وَجَعَلَهَا شَيْخُنَا كَمَسْأَلَةِ الْيَمِينِ بِهِ ، قَالَ : وَالتَّوَسُّلُ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ وَحُبَّتِهِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ ، وَنَحْوِهِ بِمَا هُوَ مِنْ فِعْلِهِ وَأَفْعَالِ الْعِبَادِ الْمُؤْمِرِ بِهَا فِي حَقِّهِ مَشْرُوعٌ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة : ٣٥] . وَقَالَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ : فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : " أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ " : الإِسْتِعَاذَةُ لَا تَكُونُ بِمَخْلُوقٍ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ : الدُّعَاءُ عِنْدَ قَبْرِ مَعْرُوفِ التَّرِيَّاكِيِّ الْمَجْرَبِ . وَقَالَ

(١) انظر: تخریج الأحادیث والآثار الواقعة في تفسیر الکشاف للزمخشري (٣٤٧/٤) .

(٢) انظر: کتاب الفروع ومعه تصحیح الفروع لعلاء الدین علي بن سليمان المرادوي (٢٢٩/٣) .

(٣) انظر: الآداب الشرعية (٤٥٧/١-٤٥٨) .

شَيْخُنَا: فَصَدُّهُ لِلدُّعَاءِ عِنْدَهُ رَجَاءَ الْإِجَابَةِ بِدَعَاةٍ لَا قُرْبَةَ بَاتِّفَاقِ الْأَثْمَةِ، وَقَالَ أَيْضًا: يَحْرِمُ بِلَا نِزَاعٍ بَيْنَ الْأَثْمَةِ " (١).

وقال الإمام صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي (٧٦٤هـ): "... وأقوال الشافعي القديمة كلها مذهب مالك رضي الله عنه، وقيل: أنه قال إنما رجعت إلى أقوال الجديدة، لأنني لما دخلت مصر بلغني أن بالمغرب قلنسوة من قلانس مالك، يستسقي بها الغيث، فخفت أن يتمادى الزمان ويعتقد فيه ما اعتقد في المسيح، فأظهرت خلافه ليعلم الناس أنه أمام مجتهد يخطيء ويصيب، وهذا مقصد صالح رضي الله عنه" (٢).

وقال الإمام صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي: "قال الشيخ شمس الدين الذهبي ومن خطه نقلت: حدثني الإمام محمد بن متاب أن عز الدين يوسف الموصلي كتب إليه وأراني كتابه، قال: كان لنا رفيق يشهد معنا في سوق الطعام، يقال له: الشمس بن الحشيشي، كان يسبُّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويبالغ، فلما ورد شأن تغيير الخطبة إذ ترفض القان خربندا افتري وسب، فقلت: يا شمس قبيح عليك أن تسب وقد شبت، مالك وهم، وقد درجوا من سبع مائة سنة، والله يقول: "تلك أمة قد خلت" فكان جوابه: والله إن أبا بكر وعمر وعثمان في النار. قال ذلك في ملأ من الناس، فقام شعر جسدي، فرفعت يدي إلى السماء، وقلت: اللهم يا قاهر فوق عباده، يا من لا يخفى عليه شيء، أسألك بنيك إن كان هذا الكلب على الحق فأنزل بي آية، وإن كان ظالمًا، فأنزل به ما يعلم هو لاء الجماعة أنه على الباطل في الحال، فورمت عيناه حتى كادت تخرج من وجهه، واسودَّ جسمة حتى بقي كالقبر، وانتفخ وخرج من حلقه شيء يصرع الطيور، فحمل إلى بيته، فما جاوز ثلاثة أيام حتى مات، ولم يتمكَّن أحد من غسله مما يجري من جسمة وعينيه، ودفن. وقال ابن متاب: جاء إلى بغداد أصحابنا وحدثوا بهذه الواقعة، وهي صحيحة، وتوفي سنة عشر وسبع مائة" (٣).

وقال الإمام صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي: "لا زال جابراً بقبوله وإقباله، ساتراً بخلاله الكريمة ما خفي عن المملوك من إخلاله بمحمد وآله إن شاء الله تعالى" (٤).

(١) انظر: كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرادوي (٣/٢٢٩).

(٢) انظر: الوافي بالوفيات (٢/١٢٥).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات (٣/١٨-١٩).

(٤) انظر: أعيان العصر وأعوان النصر (٤/٦٦٩).

وقال الإمام محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر الملقب بصلاح الدين (٧٦٤هـ) في ترجمة يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام، جمال الدين الشيخ العلامة الزاهد الضرير، أبو زكريا الصرصري البغدادي الحنبلي اللغوي الأديب الناظم: " وقال أيضاً يمدح سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فاق البسيطة عزة ومهابطة فسما وعز من البرية جـاره

يحمي التزيل وكيف لا يحمي وقد حفت بجاه المصطفى أقطاره (١)

وقال الإمام شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي (٧٦٥هـ): " فالله تعالى يُيقِيه ويمتّع الاسلام ويديم النّفع به الأنام ، بجاه المصطفى سيدنا محمد عليه أفضل الصّلاة والسّلام " (٢) .

قلت : وقد قامت الأيدي الأثيمة بشطب هذا الكلام للإمام الحسيني الدمشقي من نسخة " ذيل تذكرة الحفظ " للإمام شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي ، دار الكتب العلميّة ، الطّبعة : الأولى ، (١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م) ، وذلك من نسخة " ذيل التذكرة " الموجودة ضمن المكتبة الشاملة / الإصدار السادس ... فتنبّهوا لصنيع هذه الفئة الدّخيلة على تراثنا الذي لم يسلم منهم لا في القديم ولا في الحديث ... مع أنّ كلام الإمام الحسيني موجود في " ذيل تذكرة الحفظ " الموجودة في المكتبة الشاملة ، والتي أُضيف إليها : " لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفظ " ، لابن فهد المكي ، و " ذيل طبقات الحفظ " للذهبي للسيوطي ... ودائماً : إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً ...

وقال الإمام خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي ، أبو البقاء (المتوفى: بعد ٧٦٧هـ) : " ... وها أنا أقف موقف الخجل والتّقصير ، وأسأل الله العلي الكبير ، بجاه سيدنا ومولانا محمد رسول الله البشير النذير ، أن يجعله حجاً مبروراً ، وسعيّاً مباركاً مشكوراً ، وعملاً صالحاً متقبلاً مذكوراً " (٣) .

وقال الإمام أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي (٧٦٨هـ) : " اللهم إنا نسألك التّوفيق ، ونعوذ بك من الخذلان والتّعويق ، بجاه نبيك الكريم ، عليه أفضل الصّلاة والتّسليم " (٤) .

(١) انظر : فوات الوفيات (٤/ ٣٠١-٣٠٢) .

(٢) انظر : ذيل تذكرة الحفظ للذهبي (ص ٣١٥) .

(٣) انظر : تاج الفرق في تحلية علماء المشرق (ص ١٤٣) .

وقال الإمام: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي:

ووفق لما ترضى بجاه محمد وواصل له أزكى الصلاة مدياً (٢).

وقال الإمام أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٥٧٦٨هـ):

قصور وحوار لا تطاق صفاتها — وكلّ نعيم ما له العقل يعقل

إلهي بجاه المصطفى لا حرمتمنا — نعيماً بها يا نعم مولى مؤمل

وصل على تاج العلى سيّد الورى رسول كريم لا يساويه مرسل (٣)

وقال الإمام أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي: "نسأل الله الكريم

الاستقامة على الدين القويم، بجاه نبيه عليه أفضل الصلوات والتسليم" (٤).

وقال الإمام أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي: "وأسأله أن يتقبل ما

ذكرت من دعائه، وأن يغفر لنا جميع الذنوب، ويبلغنا من الخيرات كلّ مطلوب، بجاه نبيه المصطفى المكرّم

صلى الله عليه وآله وسلّم" (٥).

وقال الإمام أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٥٧٦٨هـ):

وملجأهم من كلّ ما منه يهرب

إلهي بجاه المصطفى سيّد الورى

طراز جمال الكون أبهج مذهب

وتاج العلي بدر الهدى معدن الندى

لا ضحى ولي شغل بحبك مذهب (٦)

أنلني منائي منك يا غاية المنى

وقال الإمام أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (٥٧٧٠هـ): "وَنَسَأَلُ اللَّهَ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يَنْفَعَهُ بِهٖ طَالِبُهُ وَالنَّاطِرُ فِيهِ، وَأَنْ يُعَامِلَنَا بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْأَطْهَارِ وَأَصْحَابِهِ

الْأَبْرَارِ" (٧).

(١) انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (١٧٥/٢).

(٢) انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٦٨/٢).

(٣) انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٣٢٢/٢).

(٤) انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٧٧/٣).

(٥) انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٢٤١/٤).

(٦) انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٢٤٢/٤).

(٧) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٧١٢/٢).

وقال الإمام تاج الدين عبد الوهّاب بن تقي الدين السُّبكي (٧٧١هـ): "

فاسأل إلهك بالنبي محمد متوسلاً تظفر بكل أمان (١)

وفي كتابه معجم الشيوخ ذكر الإمام تاج الدين عبد الوهّاب بن تقي الدين السُّبكي (٧٧١هـ) قصيدة الإمام الأديب جمال الدين بن نباتة الفارقي (٧٦٨هـ) المسماة بالقصيدة اللامية ، وهي في ديوانه ، وذكر أنه سمعها منه ، وفيها :

يا خاتم الرُّسل لبي في المدينين  
صلى عليك الذي أعطاك منزلةً  
أنت الملائد لنا دنيا وآخره  
غداً على شفاعتك الغراء تعوّل  
شفيعها في مقام الحشر مقبول  
فباب قصدك في الدارين مأهول (٢)

وقال الإمام تاج الدين عبد الوهّاب بن تقي الدين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة الإمام محمد بن عبد اللطيف بن يحيى بن علي بن تمام السُّبكي الفقيه المحدث الأديب المتفنن تقي الدين أبو الفتح : " ومن شعر الشيخ تقي الدين أبو الفتح :

فارج الإله ولا تخف من غيره  
وارغب إليه بالنبي المصطفى في  
تالله ما يرجو نداءه مخلص  
فهو النبي الهاشمي ومن له  
وهو النعيم لمن توفى واتقى  
هو وابل الدنيا إذا شح الحيا  
تجد الإله لضيق صدرك قد شرح  
كشف ضرك عل ياسو ما انجرح  
لسؤاله إلا تهلل وانشرح  
جاه علا وعلو قدر قد رجح  
وهو الجحيم لمن تكبر واتقح  
ومشفع الأخرى إذا عرق رشح (٣)

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٨٢) .

(٢) انظر : معجم الشيوخ (ص ٤٦٢) .

(٣) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١٨١) .

وقال الإمام تاج الدين عبد الوهَّاب بن تقي الدين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة الإمام ابن دقيق العيد ، من كلامه : " ... أعد لها جاه الشَّفيع المشفِّع ... " (١) .

وقال الإمام تاج الدين عبد الوهَّاب بن تقي الدين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة محمَّد بن عبد اللطيف بن يحيى بن علي بن تمام السُّبكي الفقيهِ المُحدث الأديب المتفنن تَقِيَّ الدين أَبُو الفَتْح (٧٤٤هـ) :

وارغب إِلَيْهِ بالنَّبِي المُصْطَفَى  
تالله مَا يَرْجُو نداء مخلص  
فَهُوَ النَّبِيُّ الهُـاشِمِيُّ وَمَنْ لَهُ  
في كشف شرك عل يأسو مَا انجرح  
لسؤاله إِلَّا تهلل وانشرح  
جاه علا وعلو قدر قد رجح (٢)

وقال الإمام تاج الدين عبد الوهَّاب بن تقي الدين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة عُثْمَان بن عبد الرَّحْمَن بن مُوسَى بن أبي نصر الكُرْدِي الشَّهْرَزُورِي : " ... فدفنوه بِطَرْفِ مَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ - وقبره على الطَّرِيقِ فِي طرفها الغربي ظَاهِر يُزار وَيَتَبَرَّكُ بِهِ ، قيل : والدُّعاء عِنْدَ قَبْرِهِ مُسْتَجَاب " (٣) .

وقال الإمام تاج الدين عبد الوهَّاب بن تقي الدين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة أحمد بن علي بن أحمد بن محمَّد بن الفرج بن لال أَبُو بكر الهمذاني : " والدُّعاء عِنْدَ قَبْرِهِ مُسْتَجَاب " (٤) .

وقال الإمام تاج الدين عبد الوهَّاب بن تقي الدين السُّبكي (٧٧١هـ) ، في ترجمة محمَّد بن الحسن بن فورك الأُسْتَاذ أَبُو بكر الأَنْصَارِيِّ الأَصْبَهَانِيِّ : " ... ودعي إلى مَدِينَةِ غَزَنَةَ وَجَرَتْ لَهُ بِهَا مَنَاطِرَاتٌ ، وَلَمَّا عَادَ مِنْهَا سَمِ فِي الطَّرِيقِ ، فَتَوَفِيَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ حَمِيداً شَهِيداً ، وَنَقِلَ إِلَى نَيْسَابُورٍ وَدُفِنَ بِالْحَايِرَةِ وَقَبْرُهُ ظَاهِرٌ ، قَالَ عَبْدُ الْغَافِرِ : يُسْتَسْقَى بِهِ وَيُسْتَجَابُ الدُّعاءُ عِنْدَهُ " (٥) .

وقال الإمام تاج الدين عبد الوهَّاب بن تقي الدين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة حسان بن محمَّد بن أحمد بن هَارُونَ بن حسان بن عبد الله بن عبد الرَّحْمَنِ ابْنِ عَبَّاسَةَ بن سعيد بن العاصِ القُرَشِيِّ الأُمَوِيِّ الإمامِ الجَلِيلِ أَحَدِ

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ٢٢١) .

(٢) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١٨١) .

(٣) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٧٧١هـ) ، (٨/ ٣٢٨) .

(٤) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٢٠) .

(٥) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٣٠) .

أئمة الدنيا أبو الوليد النيسابوري : " ... قَالَ وَسَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهَ يَقُولُ مَا وَقَعَتْ فِي وَرْطَةِ قَطِّ وَلَا وَقَعَ لِي أَمْرٌ مِنْهُمْ فَقَصَدْتُ قَبْرَ أَبِي الْوَلِيدِ وَتَوَسَّلْتُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لِي " (١) .

وقال الإمام تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (٧٧١هـ) : " أَنْشَدَنَا الْإِمَامُ الْبَارِعُ جَمَالَ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ بْنِ نُبَاتَةَ الْمُصْرِيِّ الْأَصْلِيَّ ثُمَّ الدَّمَشْقِيَّ :

يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ لِي فِي الْمُدْنِيِّينَ	عَدَاً عَلَى شَفَاعَتِكَ الْغَرَاءِ تَعْوِيلُ
إِنْ كَانَ كَعْبٌ بِمَا قَدْ قَالَ صَيْفَكَ	فِي دَارِ النَّعِيمِ فَيَلِي بِالْبَابِ تَطْفِيلُ
وَأَيْنَ كَابُنِ زَهَيْرٍ لِي شَذَا كَلِمِ	رَبِّعُهَا بِغَمَامِ الْقُرْبِ مَطْلُولُ
صَلَّى عَلَيْكَ الَّذِي أَعْطَاكَ مَنْزِلَةً	شَفِيعُهَا فِي مَقَامِ الْحَشْرِ مَقْبُولُ
أَنْتَ الْمَلَاذُ لَنَا دُنْيَا وَآخِرَةً	فَبَابِ قَصْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ مَأْهُولُ (٢)

(٢)

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ) : " وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ ، وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِهِ عَلَيْهِ ، أَنْ يَسْكُنَهُ وَإِيَّايَ وَسَائِرَ ذُرِّيَّتِهِ فِي الْجَنَّةِ مَكَاناً مَرْفُوعاً " (٣) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ) :

بجاء رسول الله قد نلت كل ما	أتى وسيأتى دائماً بأمان
فصلّى عليه الله ما ذرّ شارق	وسلّم ما دامت له الملوان (٤)

(٤)

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقي (٧٧٤هـ) : " وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ عَسَّ الْمُدِينَةَ ذَاتَ لَيْلَةٍ عَامِ الرَّمَادَةِ فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَضْحَكُ ، وَلَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ فِي مَنَازِلِهِمْ عَلَى الْعَادَةِ ، وَلَمْ يَرِ سَائِلًا يَسْأَلُ ، فَسَأَلَ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ السُّؤَالَ سَأَلُوا فَلَمْ يُعْطَوْا فَفَقَطَعُوا السُّؤَالَ ،

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٢٢٨) .

(٢) انظر : معجم الشيوخ (ص ٤٦٢) .

(٣) انظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١/ ٣٠) .

(٤) انظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١/ ٢٧٢) .

وَالنَّاسِ فِي هَمٍّ وَضِيقٍ فَهَمُّ لَا يَتَحَدَّثُونَ وَلَا يَضْحَكُونَ . فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي مُوسَى بِالْبَصْرَةِ أَنْ يَا غَوْثَاهُ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ . وَكَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِمِصْرَ أَنْ يَا غَوْثَاهُ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِقَافِلَةٍ عَظِيمَةٍ تَحْمِلُ الْبُرِّ وَسَائِرَ الْأَطْعِمَاتِ ، وَوَصَلَتْ مِيرَةَ عَمْرِو فِي الْبَحْرِ إِلَى جُدَّةَ وَمِنْ جُدَّةَ إِلَى مَكَّةَ . وَهَذَا الْأَثَرُ جَيِّدُ الْإِسْنَادِ ، لَكِنَّ ذِكْرَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فِي عَامِ الرَّمَادَةِ مُشْكِلٌ ، فَإِنَّ مِصْرَ لَمْ تَكُنْ فُتِحَتْ فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَامَ الرَّمَادَةِ بَعْدَ سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ ، أَوْ يَكُونَ ذِكْرَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فِي عَامِ الرَّمَادَةِ وَهَمَّ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " (١) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ) : " وَقَالَ يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي خَلْدَةَ خَالِدِ بْنِ دِينَارٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَالِيَةِ ، قَالَ : لما افْتَتَحْنَا تُسْتَرَ وَجَدْنَا فِي مَالِ بَيْتِ الْهُزْمَانَ سَرِيرًا ، عَلَيْهِ رَجُلٌ مَيِّتٌ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مِصْحَفٌ ، فَأَخَذْنَا الْمُصْحَفَ فَحَمَلْنَاهُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْحَطَّابِ ، فَدَعَا لَهُ كَعْبًا فَنَسَخَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ ، فَأَنَا أَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ قَرَأَهُ ، قَرَأْتُهُ مِثْلَ مَا أَقْرَأَ الْقُرْآنَ هَذَا . فَقُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ (٩٠هـ) : مَا كَانَ فِيهِ ؟ قَالَ : سِيرُكُمْ وَأُمُورُكُمْ وَلِحُونَ كَلَامِكُمْ وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدُ . قُلْتُ : فَمَا صَنَعْتُمْ بِالرَّجُلِ ؟ قَالَ : حَمَرْنَا بِالنَّهَارِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَبْرًا مُتَفَرِّقَةً ، فَلَمَّا كَانَ بِاللَّيْلِ دَفَنَاهُ وَسَوَيْنَا الْقُبُورَ كُلَّهَا ؛ لِنُعْمِيَهُ عَلَى النَّاسِ فَلَا يَنْبِشُونَهُ . قُلْتُ : فَمَا يَرْجُونَ مِنْهُ ؟ قَالَ : كَانَتِ السَّمَاءُ إِذَا حَبِسَتْ عَنْهُمْ بَرَزُوا بِسَرِيرِهِ فَيَمْطُرُونَ . قُلْتُ : مَنْ كُنْتُمْ تَطْنُونَ الرَّجُلَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ دَانِيَالُ . قُلْتُ : مُنْذُ كَمْ وَجَدْتُمُوهُ قَدْ مَاتَ ؟ قَالَ : مُنْذُ ثَلَاثِائَةِ سَنَةٍ . قُلْتُ : مَا تَعَيَّرَ مِنْهُ شَيْءٌ ؟ قَالَ : لَا إِلَّا شَعْرَاتٌ مِنْ قَفَاهُ ؛ إِنَّ لِحُومَ الْأَنْبِيَاءِ لَا تَبْلِيهَا الْأَرْضُ وَلَا تَأْكُلُهَا السَّبَاعُ . وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى أَبِي الْعَالِيَةِ ، وَلَكِنْ إِنْ كَانَ تَارِيخُ وَفَاتِهِ مُحْفُوظًا مِنْ ثَلَاثِائَةِ سَنَةٍ ، فَلَيْسَ بِنَبِيِّ بَلْ هُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ ؛ لِأَنَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيٌّ ، بِنَصِّ الْحَدِيثِ الَّذِي فِي الْبَحَارِيِّ وَالْفَتْرَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمَا أَرْبَعِائَةِ سَنَةٍ ، وَقِيلَ : سِتِّائَةِ . وَقِيلَ : سِتِّائَةِ وَعِشْرُونَ سَنَةً . وَقَدْ يَكُونُ تَارِيخُ وَفَاتِهِ مِنْ ثَمَانِائَةِ سَنَةٍ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ وَفَاتِ دَانِيَالِ إِنْ كَانَ كَوْنُهُ دَانِيَالُ هُوَ الْمُطَابِقُ لما فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ رَجُلًا آخَرَ ؛ أَمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ الصَّالِحِينَ ، وَلَكِنْ قَرَّبَتِ الطَّنُونُ أَنَّهُ دَانِيَالُ ، لِأَنَّ دَانِيَالًا كَانَ قَدْ أَخَذَهُ مَلِكُ الْفُرْسِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ مَسْجُونًا ، كَمَا تَقَدَّمَ " (٢) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ) ، في ترجمة سعد بن علي ابن محمد بن علي بن الحسين أبو القاسم الزنجاني (٤٧١هـ) : " رَحَلَ إِلَى الْأَفَاقِ ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ إِمَامًا

(١) انظر : البداية والنهاية (٩٠ / ٧) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (٣٧٦ - ٣٧٧) .

حَافِظًا مُتَعَبِّدًا، ثُمَّ انْقَطَعَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ بِمَكَّةَ، وَكَانَ النَّاسُ يَتَبَرَّكُونَ بِهِ. قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ (٥٩٧هـ): وَيُقْبَلُونَ يَدَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُقْبَلُونَ الْحِجْرَ الْأَسْوَدَ" (١).

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، في ترجمة محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم، أبو شجاع، الملقَّبُ ظهير الدين، الرُّوذَرِيُّ الْأَصْلُ الْأَهْوَاذِيُّ (٤٨٨هـ): "وَكَانَ كَثِيرَ التَّوَاضُعِ مَعَ النَّاسِ، حَاصِصَتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، ثُمَّ عَزَلَ عَنِ الْوَزَارَةِ فَسَارَ إِلَى الْحُجِّ وَجَاوَرَ بِالْمَدِينَةِ ثُمَّ مَرَّصَ، فَلَمَّا تَقَلَّ فِي الْمَرَضِ جَاءَ إِلَى الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وَهَا أَنَا قَدْ جِئْتُكَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذُنُوبِي وَأَرْجُو شَفَاعَتَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ رَحِمَهُ اللهُ، وَدُفِنَ فِي الْبَقِيعِ" (٢).

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ): "ثُمَّ ظَهَرَتْ عِنْدَنَا بِالْحَرَّةِ وَرَاءَ قُرَيْظَةَ عَلَى طَرِيقِ السُّوَارِيَّةِ بِالْمَقَاعِدِ مَسِيرَةً مِنَ الصُّبْحِ إِلَى الظُّهْرِ نَارٌ عَظِيمَةٌ تَنْفَجِرُ مِنَ الْأَرْضِ، فَارْتَاعَ لَهَا النَّاسُ رَوْعَةً عَظِيمَةً، ثُمَّ ظَهَرَ لَهَا دُخَانٌ عَظِيمٌ فِي السَّمَاءِ يَنْعَقِدُ حَتَّى يَبْقَى كَالسَّحَابِ الْأَبْيَضِ، فَيَصِلُ إِلَى قَبْلِ مَغِيبِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ ظَهَرَتِ النَّارُ لَهَا أَلْسُنٌ تَصْعَدُ فِي الْهَوَاءِ إِلَى السَّمَاءِ حُمْرَاءَ كَأَنَّهَا الْقَلْعَةُ، وَعَظُمَتْ وَفَزِعَ النَّاسُ إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَإِلَى الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ، وَاسْتَجَارَ النَّاسُ بِهَا وَأَحَاطُوا بِالْحُجْرَةِ وَكَشَفُوا رُؤُوسَهُمْ وَأَقْرَبُوا بِذُنُوبِهِمْ وَابْتَهَلُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَجَارُوا بِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَتَى النَّاسُ إِلَى الْمَسْجِدِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَمِنَ النَّخْلِ، وَخَرَجَ النِّسَاءُ مِنَ الْبُيُوتِ وَالصَّبِيَّانُ، وَاجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ وَأَخْلَصُوا إِلَى اللَّهِ" (٣).

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ) في ترجمة ابن تيمية: "... تَقَدَّمَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ أَوْلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدُ بْنُ تَمَّامٍ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ عَقِيبَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، وَقَدْ تَضَاعَفَ اجْتِمَاعُ النَّاسِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ، ثُمَّ تَزَايَدَ الْجَمْعُ إِلَى أَنْ ضَاقَتِ الرَّحَابُ وَالْأَرْزَاقُ وَالْأَسْوَاقُ بِأَهْلِهَا وَمِنْ فِيهَا، ثُمَّ حَمَلَ بَعْدَ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَيْهِ عَلَى الرَّؤُوسِ وَالْأَصَابِعِ، وَخَرَجَ النِّعَشُ بِهِ مِنْ بَابِ الْبَرِيدِ وَاشْتَدَّ الزُّحَامُ وَعَلَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْبُكَاءِ وَالتَّحْيِيبِ وَالتَّرْحُمِ عَلَيْهِ وَالتَّنَاءِ وَالدُّعَاءِ لَهُ، وَأَلْقَى النَّاسُ عَلَى نِعْشِهِ مَنَادِيهِمْ

(١) انظر: البداية والنهاية (١٢/١٢٠).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٢/١٨٥).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٣/٢٢٢).

وعمائهم وثيابهم ، وذهبت النعال من أرجل الناس وقباقيبهم ومناديل وعمائم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنازة ، وصار النعش على الرؤوس تارة يتقدم وتارة يتأخر ، وتارة يقف حتى تمر الناس ، وخرج الناس من الجامع من أبوابها كلها وهي شديدة الزحام ، كل باب أشد زحمة من الآخر ، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها ، لكن كان معظم الزحام من الأبواب الأربعة : باب الفرج الذي أُخرجت منه الجنازة ، وباب الفراءيس ، وباب النصر ، وباب الجابية .

وعظم الأمر بسوق الخيل وتضاعف الخلق وكثر الناس ، ووضعت الجنازة هناك وتقدم للصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن ، فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله رحمه الله ، وكان دفنه قبل العصر بيسير ، وذلك من كثرة من يأتي ويصلي عليه من أهل البساتين وأهل الغوطة وأهل القرى وغيرهم ، وأغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور إلا من هو عاجز عن الحضور ، مع الترحم والدعاء له ، وأنه لو قدر ما تخلف ، وحضر نساء كثيرات بحيث حزرن بخمسة عشر ألف امرأة ، غير اللاتي كن على الأسطحة وغيرهن ، الجميع يترحمن ويبكين عليه فما قيل .

وأما الرجال فحزروا بستين ألفاً إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى ماتني ألف وشرب جماع الماء الذي فضل من غسله ، واقتسم جماعة بقية الصدر الذي غسل به ، ودفع في الحيط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهماً ، وقيل إن الطافية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهماً . وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير ، وتضرع ، وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية وبالبلد ، وتردد الناس إلى قبره أياماً كثيرة ليلاً ونهاراً يبيتون عنده ويصبحون ... " (١) .

فما رأيكم يا من تدعون السلفية بصنيع أتباع ابن تيمية الذي نقله تلميذه ابن كثير بتقرير ومن غير نكير ؟!! فهل تكفرون أتباع ابن تيمية على ما صنعوا من التبرك به أثناء تشييع جنازته ؟!! أم أن هذا الصنيع عندكم حتمٌ لازم بحق من نعمتموه بشيخ الإسلام مع أنه ( شرح الإسلام ) لا شيخه ... أفيدونا ... وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي : " أجزل الله ثوابه ، وأحسن مآبه بمحمد وآله والصحابة آمين " (١) .

(١) انظر : البداية والنهاية (١٤/١٥٦-١٥٧) ، وللأسف فقد تم حذف هذه الفقرة من نسخة البداية والنهاية الموجودة ضمن المكتبة الشاملة ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

وقال الإمام ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، في حديثه عن النار التي ظهرت في الحجاز : " ... وَهَذِهِ النَّارُ فِي أَرْضٍ ذَاتِ حَجَرٍ لَا شَجَرَ فِيهَا وَلَا نَبْتٍ ، وَهِيَ تَأْكُلُ بَعْضَهَا بَعْضًا إِنْ لَمْ تَحِدْ مَا تَأْكُلُهُ ، وَهِيَ تُحْرِقُ الْحِجَارَةَ وَتُذِيبُهَا ، حَتَّى تَعُودَ كَالطِّينِ الْمُبْلُولِ ، ثُمَّ يَضْرِبُهُ الْهَوَاءُ حَتَّى يَعُودَ كَخَبَثِ الْحَدِيدِ الَّذِي يُخْرَجُ مِنَ الْكَبِيرِ ، فَاللَّهُ يَجْعَلُهَا عِبْرَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ " (١) .

أثبت الإمام ابن كثير في البداية والنهاية أنَّ الإمام ابن تيمية قال : " لا يُسْتَعَاثُ إِلَّا بِاللَّهِ ، لَا يُسْتَعَاثُ بِالنَّبِيِّ اسْتِعَاثَةً بِمَعْنَى الْعِبَارَةِ ، وَلَكِنْ يُتَوَسَّلُ بِهِ وَيُتَشَفَّعُ بِهِ إِلَى اللَّهِ " (٢) .

وقال الإمام عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي ، أبو محمد ، محيي الدين الحنفي (٧٧٥هـ) : " ... وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ بِجَاهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيْتَامَهُ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ " .  
 وقال أيضاً : " ... رَزَقَنَا اللَّهُ مَا رَزَقَهُ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٣) .

وقال الإمام خليل بن إسحاق بن موسى ، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (٧٧٦هـ) : " أسألك بجاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عيشة سوية ، وميتة نقيّة " (٤) .

وقال الإمام خليل بن إسحاق بن موسى ، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (٧٧٦هـ) : " ونسأل الله العظيم بجاه النبي الكريم أن يعصمنا منها ، وأن يميّتنا على الإسلام وهو راض عنا " (٥) .

وقال الإمام محمد بن عبد الله بن سعيد السلماي اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشَّهير بلسان الدين ابن الخطيب (٧٧٦هـ) ، في ترجمة علي بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذش الأنصاري : " ... ودفن بمقبرة باب البيرة ، وازدحم النَّاسُ على نعشه ، وكانت جنازته حافلة ، وتفجَّع النَّاسُ على قبره . وقبره مشهور ، يتبرَّك به النَّاسُ " (٦) .

(١) انظر : طبقات الشافعيين (ص ٩٤) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٣/٢٢٤-٢٢٥) .

(٣) انظر البداية والنهاية (١٤/٥١٢) .

(٤) انظر : الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/٣٥٣) (٢/٤٢) .

(٥) انظر : التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب (٨/٦٢٠) .

(٦) انظر : التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب (٨/٢١٥) .

(٧) انظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٤/٧٨) .

وقال الإمام لسان الدّين بن الخطيب ، محمّد بن عبد الله (٧٧٦هـ) : " اللهمّ الإعانة على التّمام بجاه سيّد الأنام ، عليه أفضل الصّلاة وأزكى السّلام " (١) .

وقال الإمام محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر بن محمّد بن عبد الله ، أبو حامد ، جمال الدّين الحبشي الوصّابي الشّافعي (٧٨٦هـ) :

بجاه رسول الله نسأل فاكفنا عَلَيْهِ صَلَاةَ اللَّهِ نُوْفِي بِهَا النَّظْمَا (٢)

وقال الإمام علي بن محمّد بن أحمد بن موسى ابن مسعود ، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين ، الخزاعي (٧٨٩هـ) : " وأسأله متوسّلاً بهذا الرسول الكريم عليه أن يصليّ عليه في كلّ وقت ويسلمّ عليه وعلى آله وأصحابه " (٣) .

وقال الإمام سعد الدّين التفتازاني الشّافعي (٧٩١هـ) : " ... ولهذا ينتفع بزيارة القبور والاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استئزال الخيرات واستدفاع الملمات ، فإنّ للنفس بعد المفارقة تعلقاً ما بالبدن وبالتربة التي دفنت فيها ، فإذا زار الحيّ تلك التربة ، وتوجّهت تلقاء نفس الميت حصل بين النّفسين ملاقة وإفاضات ... " (٤) .

وقال الإمام إبراهيم بن علي بن محمّد ، ابن فرحون ، برهان الدّين اليعمري (٧٩٩هـ) : " وأخبرني جمال الدّين : عبد الله بن محمّد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري المحدث : أحد الصّوفيّة بخانقاه سعيد السّعيداء في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، قال : رحلنا مع شيخنا تاج الدّين الفاكهاني (٧٣٤هـ) إلى دمشق فقصد زيارة نعل سيّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي بدار الحديث الأشرفيّة بدمشق ، وكنت معه ، فلما رأى النعل المكرّمه حسر عن رأسه وجعل يقبله ويمرّغ وجهه عليه ودموعه تسيل ، وأنشد :

فلو قيل للمجنون ليل ووصلها تريد أم الدّنيا وما في طواياها

لقال غبار من تراب نعالها أحبُّ إلى نفسي وأشفى لبلواها (٥)

(١) انظر : الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة (١/٢٥) .

(٢) انظر : نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشّريف والرد على ماقتهم السخيف (ص ٩٠) .

(٣) انظر : تحريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية (ص ٧٩٨) .

(٤) انظر : شرح المقاصد في علم الكلام (٢/٤٣) .

(٥) انظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢/٨١) .

وقال الإمام ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (٨٠٤هـ): " نفع الله بالجميع بمحمد وآله ، وجعلهم مقربين من رضوانه ، مبعدين من سخطه وحرمانه ، نافعين لكاتبهم وسامعهم نفعاً شاملاً في الحال والمآل ... " (١) .

وقال الإمام ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري أيضاً: " أسأل الله الكريم إتمامه مصوناً عاجلاً ، على أحسن الوجوه ، وأبركها ، وأعمها ، وأنفعها ، وأدومها ، بمحمد وآله " (٢) .  
وقال الإمام ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري أيضاً: " جعل الله ذلك خالصاً لوجهه ، بمحمد وآله " (٣) .

وقال الإمام ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري أيضاً: " ... أسأل الله الكريم إتمامه مصوناً عاجلاً ، على أحسن الوجوه ، وأبركها ، وأعمها ، وأنفعها ، وأدومها ، بمحمد وآله " (٤) .

وقال الإمام ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري أيضاً في ترجمة يحيى بن معاذ الرازي الواعظ أبو زكرياً (٢٥٨هـ): " أحد الأوتاد ، وكان أوحد وقته في فنه . مات سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وقبره بنيسابور يستسقى به ، ويترك بزيارته " (٥) .

وقال الإمام ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري أيضاً: " أسأل الله الكريم إتمامه والنفع به بمحمد وآله " (٦) .

وقال الإمام ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري أيضاً: " أدام الله النفع بعلمومه بمحمد وآله أمين " (٧) .

(١) انظر: خلاصة البدر المنير (٥/١) .

(٢) انظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير (١/٣٤٤) .

(٣) انظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير (٢/١٨٥) .

(٤) انظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير (١/٣٤٤) .

(٥) انظر: طبقات الأولياء (ص ٣٢١) .

(٦) انظر: الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (١/١٣٢) .

(٧) انظر: غاية السؤل في خصائص الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص ٦٧) .

وقال الإمام أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (٨٠٦هـ)، في كلامه على حديث: "أُذُنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ" : " ... وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ مَعْرِفَةِ قُبُورِ الصَّالِحِينَ لِزِيَارَتِهَا وَالْقِيَامِ بِحَقِّهَا ، وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَبْرِ السَّيِّدِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلامَةً مَوْجُودَةً فِي قَبْرِ مَشْهُورٍ عِنْدَ النَّاسِ الْآنَ بِأَنَّهُ قَبْرُهُ وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَوْضِعَ الْمَذْكُورَ هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ حِكَايَاتٌ وَمَنَامَاتٌ . وَقَالَ الْحَافِظُ الصَّيَّاءُ : حَدَّثَنِي الشَّيْخُ سَالِمُ التُّلِّ ، قَالَ : مَا رَأَيْتُ اسْتِحْبَابَهُ الدُّعَاءِ أَسْرَعَ مِنْهَا عِنْدَ هَذَا الْقَبْرِ ، وَحَدَّثَنِي الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ الْمَعْرُوفُ بِالْأَرْمَنِيِّ أَنَّهُ زَارَ هَذَا الْقَبْرَ وَأَنَّ نَامَ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ قَبَّةً عِنْدَهُ وَفِيهَا شَخْصٌ أَسْمَرٌ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ مُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ أَوْ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقُلْتُ : قُلْ لِي شَيْئًا فَأَوْمَى إِلَيَّ بِأَرْبَعِ أَصَابِعٍ وَوَصَفَ طُوهَنًا ، فَانْتَبَهْتُ فَلَمْ أَدْرِ مَا قَالَ ، فَأَخْبَرْتُ الشَّيْخَ ذِيَالَ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : يُوَلِّدُكَ أَرْبَعَةٌ أَوْلَادٍ ، فَقُلْتُ : أَنَا قَدْ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً فَلَمْ أَقْرِهْهَا ، فَقَالَ : تَكُونُ غَيْرَ هَذِهِ فَتَزَوَّجْتُ أُخْرَى فَوَلَدَتْ لِي أَرْبَعَةَ أَوْلَادٍ " (١) .

وقال الإمام كمال الدين ، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري أبو البقاء الشافعي (٨٠٨هـ) : " نسأل الله تعالى الثبات عند الممات ، بمحمد وآله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٢) .

وقال الإمام عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ) : " ... نسأله سبحانه وتعالى من فيض فضله العميم ، ونتوسل إليه بجاه نبيه الكريم ، أن يرزقنا إيماناً دائماً ، وقلباً خاشعاً ، وعلماً نافعاً ، و يقيناً صادقاً ، وديناً قيماً ، والعافية من كل بليّة ، وتمام العافية ، ودوام العافية ، والشكر على العافية ... " (٣) .

وقال الإمام محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري ، أبو البقاء ، كمال الدين الشافعي (٨٠٨هـ) : " وكان رجل من عباد الله الصالحين الموحدين يصحب إبراهيم بن أدهم رضي الله تعالى عنه ، فقال له : علمني اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، فقال : قل هذه الكلمات صباحاً ومساءً ، فإنه ما دعا بهنَّ خائف ، إلا أمن ، ولا سائل إلا أعطاه الله مسألته ، وهي هذه الكلمات : يا من له وجه لا يبلى ، ونور لا

(١) انظر : طرح التثريب في شرح التثريب (٣/٣٠٣) .

(٢) انظر : النجم الوهاج في شرح المنهاج (٣/١٢) .

(٣) انظر : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (٦/٤٩) .

يظني ، واسم لا ينسى ، وباب لا يغلق ، وستر لا يهتك ، وملك لا يفنى ، أسألك وأتوسل إليك بجاه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تقضي حاجتي وتعطيني مسألتني " (١) .

وقال الإمام محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدّميري ، أبو البقاء ، كمال الدين الشافعي أيضاً : " ... نصره الله نصراً عزيزاً ، وفتح له فتحاً مبيناً ، بمحمد وآله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحمد لله وحده " (٢) .

وقال الإمام محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدّميري ، أبو البقاء ، كمال الدين الشافعي أيضاً : " ... فنسأل الله التوفيق والهداية والأمانة على الإيثار به وبرسوله ، والاعتقاد الحسن في أوليائه وأصفيائه ، بمحمد وآله " (٣) .

وقال الإمام محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدّميري ، أبو البقاء ، كمال الدين الشافعي أيضاً : " ... أسألك وأتوسل إليك بجاه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تقضي حاجتي وتعطيني مسألتني ، بمحمد وآله " (٤) .

وقال الإمام محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدّميري ، أبو البقاء ، كمال الدين الشافعي أيضاً : " نسأل الله تعالى السلامة ، وحسن الخاتمة ، بجاه سيدنا محمد وآله " (٥) .

وقال الإمام أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، أبو العباس القسنطيني ، ابن قنفذ (٨١٠هـ) : " ومن توسل إليه بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نجاه ونفعه " (٦) .

وقال الإمام علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزبيدي ، أبو الحسن موفق الدين (٨١٢هـ) : " خلد الله ملكه ، وأبقى عدله وزاد كل يوم دولته بمحمد وآله " (٧) .

وقال الإمام علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزبيدي ، أبو الحسن موفق الدين أيضاً : " ... وفي هذه الواقعة يقول القسم بن علي بن هُتَيْمِلٍ يمدح السلطان الملك المظفر : ...

(١) انظر : حياة الحيوان الكبرى (٥٩/١) .

(٢) انظر : حياة الحيوان الكبرى (١٥١/١) .

(٣) انظر : حياة الحيوان الكبرى (١٥١/١) .

(٤) انظر : حياة الحيوان الكبرى (٣١٧/١) .

(٥) انظر : حياة الحيوان الكبرى (٣١٧/١) .

(٦) انظر : وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام (ص ٣١) .

(٧) انظر : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (٢/٢٠٥) .

أحبيته بالعفو ثم لقيته  
ووهبته دمه بجواه محمد  
لو أن غيرك يا مظفر صاده  
ببشاشة وسكينة ووقار  
ورضى علي وجعفر الطيار  
لكساه ثوب ذلة وصغار (١)

وقال الإمام أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (٨٢١هـ): "وأما الكتب التي تكتب إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته، فقد جرت عادة الأمة من الملوك وغيرهم بكتابة الرسائل إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته بالسَّلام والتَّحِيَّة والتَّوَسُّل والتَّشَفُّع به إلى الله تعالى في المقاصد الدنيوية والأخروية، وتسييرها إلى تربته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأكثر النَّاس معاطاة لذلك أهل المغرب لبعدهم، ونزوح أقطارهم" (٢).

وقال الإمام أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري أيضاً: "... تقبَّلها الله تعالى من المملوك ومن كلِّ داعٍ مخلص، ببقاء مولانا ملك الأمراء، أو بدوام أيام مولانا ملك الأمراء، وخلود سعادته، ومزيد تأييده، وعلو درجاته في الدنيا والآخرة، بمحمد وآله".

وقال القلقشندي أيضاً: "... وهو من أكرم فريق، بمحمد وآله".

وقال القلقشندي أيضاً: "والله تعالى يكمل توفيقه، ويسهل إلى نجاح المقاصد طريقه، بمحمد وآله"

وقال القلقشندي أيضاً: "أدام الله تعالى النفع به وبركته، وأشركنا والمسلمين في صالح أدميته، بمحمد وآله وصحبه وعترته".

وقال القلقشندي أيضاً: "أشكر الله وأحمد، بمحمد وآله" (٣).

وقال الإمام الفقيه تقي الدِّين أبي بكر الحصني الدمشقي الشافعي (٨٢٩هـ): "... والمراد أن الاستغاثة بالنبي، واللواذ بقبره مع الاستغاثة به كثير على اختلاف الحاجات، وقد عقد الأئمة لذلك باباً، وقالوا: إنَّ استغاثة من لاذ بقبره، وشكى إليه فقره وضره، تُوجب كشف ذلك الضرِّ بإذن الله تعالى" (٤).

وقال الإمام محمد بن أحمد بن علي، تقي الدِّين، أبو الطَّيِّب المكي الحسني الفاسي (٨٣٢هـ): "فالله تعالى يثيبه ويحسن إليه ويجزيه خيراً بمحمد وآله أجمعين" (٥).

(١) انظر: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (١/١٧٣).

(٢) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (٦/٤٥٨).

(٣) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (٨/١٧٨)، (١١/٣٠٢)، (١٢/٣٦١)، (١٤/٣٦٧)، (١٤/٣٧٢) بالترتيب.

(٤) انظر: دفع شبه من شبه وتمرد (ص ٨٩).

وقال الإمام محمد بن أحمد بن علي ، تقي الدين ، أبو الطيب المكي الحسيني الفاسي أيضاً : " وأسأل الله أن يوفّقني في ذلك للسّداد ، وأن يسعّني ومن أصلح فيه خلافاً نيل المراد ، بمحمد سيّد المرسلين وآله وصحبه الأكرمين " (١) .

وقال الإمام محمد بن أحمد بن علي ، تقي الدين ، أبو الطيب المكي الحسيني الفاسي أيضاً : " ... ونسأل الله أن يسعّفه بمطلوبه بمحمد سيّد المرسلين وآله وصحبة الصّفوة الأكرمين " (٢) .

وقال الإمام شمس الدين أبو الخير ابن الجزري ، محمد بن محمد بن يوسف (٨٣٣هـ) في ترجمة الإمام عبد الله بن المبارك : " ... وتوفّي في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة ، وقبره بهيت (٤) معروف يُزار ، زرته ، وتبرّكت به " (٥) .

وقال الإمام شمس الدين أبو الخير ابن الجزري ، محمد بن محمد بن يوسف (٨٣٣هـ) في ترجمة الإمام الشّافعي : " وقبره بقراة مصر مشهور ، والدعاء عنده مستجاب ، ولما زرته قلت :

زرت الإمام الشّافعي لأنّ ذلك نافعي  
لأنال منه شفاعة أكرم به من شافع (٦)

وقال الإمام شمس الدين أبو الخير ابن الجزري ، محمد بن محمد بن يوسف (٨٣٣هـ) ، في ترجمة إسماعيل بن محمد بن عبد الله التّستري (٧٤٨هـ) : " ... شيخ القراء ، العلامة الأوحد ، الأستاذ ، المقرئ ، النّحوي ، الأصولي ، الشّافعي ، برع في القراءات ، والأصول ، والعربيّة ، وكان شيخ القراءات بالمدرسة الفاضليّة ، مشهوراً بحُسن القراءات ، وجودة الأداء ، انتفع به جماعة ، قرأ القراءات وأجادها على الشّطنوفي والصّايغ وجماعة ، وأخذ العربيّة عن جماعة ، وصحب القونوني ، وأخذ عنه العربيّة والأصول وغير ذلك ، وكان والده من كبار الأولياء مدفون بتستر (٧) ينعت بالشّيخ تاج الدين البناكتي ، يُزار ويتبرّك به " (١) .

(١) انظر : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (١/٤٥١) .

(٢) انظر : ذيل التقييد في رواية السنن والأسانيد (١/٣٣) .

(٣) انظر : ذيل التقييد في رواية السنن والأسانيد (١/٦٩) .

(٤) بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة ، وهي مجاورة للبريّة . انظر : معجم البلدان (٥/٤٢١) .

(٥) انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (١/٤٤٦) .

(٦) انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (٢/٩٦-٩٧) .

(٧) أعظم مدينة بخوزستان اليوم . انظر : معجم البلدان (٢/٢٩) .

وقال الإمام شمس الدين أبو الخير ابن الجزري ، محمد بن محمد بن يوسف أيضاً ، في ترجمة الإمام الشاطبي (٥٩٠هـ) : " ... ودفن ب القرافة بين مصر والقاهرة بمقبرة القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني ، وقبره مشهور معروف يقصد للزيارة ، وقد زرتة مرّات وعرض عليّ بعض أصحابي الشاطبية عند قبره ، ورأيت بركة الدعاء عند قبره بالإجابة - رحمه الله ورضي عنه " (١) .

وقال الإمام ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزرازي (٨٣٧هـ) : " ... وأعاد علينا من بركاته في الدنيا والآخرة ، بمحمد وآله " (٢) .

وقال الإمام محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي ، شمس الدين ، الشهير بابن ناصر الدين (٨٤٢هـ) : " وابتدأت من ذلك بالمحمّدين تبرّكاً باسم سيّد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين " (٣) .

وقال الإمام محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي ، شمس الدين ، الشهير بابن ناصر الدين أيضاً : " فرغ منها كتابة بعد أن تشرف بها مطالعة ، متوسلاً بمن ألفت فيه صلوات الله وسلامه عليه إلى الله تعالى أن يغفر ذنوبه " (٤) .

وقال الإمام شمس الدين محمد بن عمار بن محمد بن أحمد المصري المالكي المعروف بابن عمّار (٨٤٤هـ) : " ... كما أنشدني بلفظه بالشعر المحروس الإسكندرية عام واحد وتسعين وسبعائة شيخنا الرحلة والمعمر بهاء الدين عبد الله المخزومي الدماميني من قصيدة يمدح فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويشكو له من ظلمته مطلعها :

فؤاد لأطلال المحصّب شائقٌ      ونفس لها منه شهيد وسائقٌ  
 إلى أن قال :

وقمت بجـاه القبر يسمعي الذي      له نسب في ذروة المجد شـاهق

(١) انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (١/١٦٨) .

(٢) انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (٢/٢٣) .

(٣) انظر : خزنة الأدب وغاية الأرب (١/٢٢٧) .

(٤) انظر : الرد الوافر (ص ٢٥) .

(٥) انظر : سلوة الكتيب بوفاة الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص ٢٠٩) .

ونصرك قلبي في البرية واثق  
وباطلها في جنب حقك زاهق  
وأنت شفيح الخلق والله رازق  
تأني فقد حقت لدينا الحقائق  
عن الله عن جبريل بالحق ناطق  
ولا شك بين الناس أني صادق  
يدور عليه من حلاه المنساق (١)

(١)

وقلت أغثني يا أماني فإنني  
وقد ذهب الأعداء إلا بما له  
جعلتك قصدي والمهيمن حاكم  
وقلت لخصمي إذ تجردت شاكياً  
تأني فهذا منزلٌ فيه حاكم  
شكوت ولا شك بانك ناصر  
ومن يك بالباب المعظم لائد

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العباس الحسيني العبيدي ، تقي الدين المقرئ (٨٤٥هـ) :  
... تم ذلك على يد جامعته ومنشئه أحمد بن عبد القادر بن محمد المقرئ الشافعي - غفر الله ذنبه وستر عيبه  
بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه " (٢) .

وقال الإمام عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي بن محمد بن أبي بكر ابن عبد الله بن عمر بن  
عبد الرحمن بن عبد الله أبو محمد النأشري (٨٤٨هـ) :

بجاه عريض الجاه والعالي الشان محمد المختار من آل عدنان (٣)

وقال الإمام شمس الدين محمد بن كميل المنصوري الشافعي (٨٤٨هـ) :

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي  
يا صاحب النجدة العظمى لمعتلق  
فأنت قصدي وأنت السؤل والأرب  
بجاهه ولذلك اليوم أرتقب (٤)

(٤)

وقال الإمام أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (٨٥١هـ) في ترجمة أحمد بن علي بن أحمد  
بن بلال أبو بكر الهمداني : " والدعاء عند قبره مستجاب " (٥) .

(١) انظر : مفتاح السعيدية في شرح الألفية الحديثية (ص ٤٦٩) .

(٢) انظر : رسائل المقرئ (ص ٢٥١) .

(٣) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤ / ١٤٠) .

(٤) انظر : المجموعة النبوية ، ، (١ / ٤٨٤) .



وقال الإمام ابن حجر العسقلاني أيضاً: " ونسأل الله حسن الخاتمة بمحمد وآله " (٢) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني أيضاً: " وكبت أعداءه بمحمد وآله " (٢) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني أيضاً: " أبغاه الله تعالى ، وأدام

النَّفْعَ بعلمه بمحمد وآله أمين " (٤) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني أيضاً: " وقال الحاكم في تاريخ

نيسابور ... وسمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر

بن خزيمة وعديله أبي علي الثَّقفي مع جماعة من مشائخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر علي بن موسى

الرُّضي بطوس . قال فرأيت من تعظيمه يعني بن خزيمة لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرُّعه عندها ما تحيِّرنا "

(٥) .

قلت : وقد قامت الأيدي العابثة الأثيمة المجرمة الضَّالَّة المضلَّة بشطب الفقرة السَّابقة من كتاب " تهذيب

التَّهذيب " الموجود في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ... وقد عُدتْ للنُّسخة الورقيَّة من كتاب " تهذيب

التَّهذيب " لابن حجر العسقلاني ، نشر : مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند ، الطبعة : الأولى ، (١٣٢٦هـ)

النُّسخة الورقيَّة ، وفيها النَّص السَّابق ، وقد نقلت عنها النَّص السَّابق الذي فُقد من النُّسخة الموجودة في الشَّاملة

، وهذا يُثبت بلا مَرية أنَّ في الأمر إنَّ ، ولكنَّ ... وأنَّ الحذف مقصودٌ ، وأنَّه أمر دَبَّر ليليل ... وهذه هي أخلاق

من يدعون السِّلَفيَّة ... غُشٌّ ، وكذبٌ ، وتدليسٌ ، وعبثٌ بكتب أهل العلم ... فإلى الله تعالى وحده المشتكى من

أخلاق هذه الشُّرذمة القليلون الذين ما فتئوا يعبثون بكتب علماء الأُمَّة وجهابيذها وأساطينها ... كما تمَّ شطبه

من نسخة تاريخ نيسابور الموجودة في المكتبة الشَّاملة ... فتأمَّل يا رعاك الله ...

وقال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني مخاطباً الحبيب المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعراً :

فأشفع لمادحك الذي بك يتقي أهوال يوم الدين والتعذيب

(١) انظر: بُلُوغُ الْأَرَامِ مِنْ أُدْوَةِ الْأَحْكَامِ (ص ٦٠٧) .

(٢) انظر: نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار (١٢٤/٢) .

(٣) انظر: نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار (١٣٠/٢) .

(٤) انظر: التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز المشهور بـالتلخيص الحبير (ص ٩١) .

(٥) انظر: تهذيب التهذيب (٣٨٧-٣٨٨) .

مَأْهُولٍ مَدْحِكَ نَظْمُ كُلِّ غَرِيبٍ  
 أَصْلُ السَّقَامِ وَأَنْتَ خَيْرُ طَيْبٍ  
 أَصْلُ السَّقَامِ وَأَنْتَ خَيْرُ طَيْبٍ

قصائدي بمديح فيك قد رُصِّفا  
 من الشِّفَاعَةِ فَالْحُطْنِي بِهَا طَرَفَا  
 يَا أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا مَشْرِقًا وَقَفَا  
 مِنْ خَوْفِهِ جَفْنُهُ الْهَامِي لَقَدْ ذَرَفَا

بُأَسَا سَمَا كُلِّ الْوُجُودِ وَجُودَا  
 بَوْلَائِكُمْ مِنْ يَوْمٍ كَانَ وَلِيدَا  
 بَعْدَ الْمَمَاتِ إِلَى النَّعِيمِ شَهُودَا  
 أَحْيَا بِكَ الْإِيمَانَ وَالتَّوْحِيدَا

بِجَاهِكَ أَتَّقِي فَصَلَ الْقَضَاءِ  
 جَنْتَهُ يَدَايَ يَا رَبَّ الْحَبَاءِ  
 إِلَى دَارِ النَّعِيمِ بِلا شِقَاءِ  
 صَلَاةً فِي الصَّبْحِ وَفِي الْمَسَاءِ

تُنَجِّيهِ فِي الْأُخْرَى فَانْجِي وَأَنْجِدَا  
 تَخَوَّفَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ تَوَقُّدَا  
 وَبَابُكَ أَمْسَى مِنْهُ أَسْنَى وَأَسْنِدَا  
 وَأَنْتَ الَّذِي عَرَّفْتَنَا طَرِقَ الْهُدَى (١)

فَلأَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَثَرِيَّ فِي  
 قَدْ صَحَّ أَنْ ضَمَّاهُ زَادَ، وَذَنْبُهُ  
 صَلَّى عَلَيْكَ وَسَلَّمَ اللهُ الَّذِي  
 وَقَالَ أَيْضًا:

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ شَرَّفْتُ  
 مَدْحَتُكَ الْيَوْمَ أَرْجُو الْفَضْلَ مِنْكَ غَدًا  
 بِيَابِ جُودِكَ عَبْدٌ مُذْنِبٌ كَلِفْتُ  
 بِكُمْ تَوْسَلُ يَرْجُو الْعَفْوَ عَنْ زَلَلٍ  
 وَقَالَ أَيْضًا:

يَا سَيِّدَ الرُّسُلِ الَّذِي فَاقَ الْوَرَى  
 هَذِي ضِرَاعُهُ مُذْنِبٌ مُتَمَسِّكٍ  
 يَرْجُو بِكَ الْحَيَا السَّعِيدِ وَبَعَثَهُ  
 صَلَّى عَلَيْكَ وَسَلَّمَ اللهُ الَّذِي  
 وَقَالَ أَيْضًا:

نَبِيِّ اللهِ يَا خَيْرَ الْبَرَايَا  
 وَأَرْجُو يَا كَرِيمَ الْعَفْوِ عَمَّا  
 فَقُلْ يَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ أَذْهَبُ  
 عَلَيْكَ سَلَامٌ رَبِّ النَّاسِ يَتَلَوُ  
 وَقَالَ أَيْضًا:

وَكَمْ مُذْنِبٍ وَأَفَاهُ يَطْلُبُ نَجْدَةً  
 أَيَا خَيْرِ خَلْقِ اللهِ دَعْوَةَ مُذْنِبٍ  
 لَهُ سَنَدٌ عَالٍ بِمَدْحِكَ نَيْرٌ  
 وَأَنْتَ لَذي جَنَّبْتَنَا طَارِقَ الرَّدَى

(١) انظر: ديوان الحافظ ابن حجر العسقلاني (ص ١٠)، (ص ١٦)، (ص ٢٠)، (ص ٢٦)، (ص ٢٩) بالترتيب .

وقال الإمام شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح : " حكي أنّ غلماناً من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصّوالجة وأسقف البحرين قاعد ، فوقعت الكرة على صدره ، فأخذها ، فجعلوا يطلبونها منه فأبى ، فقال غلام منهم : سألتك بحقّ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلّا رددتها علينا ، فأبى لعنه الله وسبّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأقبلوا عليه بصّوالجهم ، فما زالوا يخبطوا حتى مات لعنة الله عليه ، ورفع ذلك إلى عمر رضي الله تعالى عنه ، فو الله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الأسقف ، وقال : الآن عزّ الإسلام ، إنّ أطفالاً صغاراً شتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا ، وأهدر دم الأسقف " (١) .

وقال الإمام شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح : " ولما حججت وزرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تطفّلت على جنبه المعظم وامتدحته بأيّات مطولة ، وأنشدتها بين يديه بالحجّة الشريفة تجاه الصّندوق الشّريف وأنا مكشوف الرّأس ، وأبكي من جملتها :

يا سيّد السّادات جئتك قاصداً	أرجو رضاك وأحتمي بحماكا
والله يا خير الخلائق إنّ لي	قلباً مشوقاً لا يروم سواكا
ووحقّ جاهك إنّني بك مغرم	والله يعلم إنّني أهواكا
أنت الذي لولاك ما خلق امرؤ	كلّا ولا خلق الوري لولاكا
أنت الذي من نورك البدر اكتسى	والشّمس مشرقة بنور بهاكا
أنت الذي لما رفعت إلى السّما	بك قد سمت وتزيّنت لسراكا
أنت الذي ناداك ربُّك مرجباً	ولقد دعاك لقربه وحباكا
أنت الذي فينا سألت شفاعة	ناداك ربُّك لم تكن لسواكا
أنت الذي لما توسّل آدم	من ذنبه بك فاز وهو أبـاك
وبك الخليل دعا فعادت نـاره	برداً وقد خمدت بنور سناكا
ودعاك أيـسـوب لضـرّ مسّه	فأزيل عنه الضّر حين دعاكا
وبك المسيح أتى بشيراً مخبراً	بصفات حسنك مادحاً لعلاكا
وكذاك موسى لم يزل متوسّلاً	بك في القيامة مرتج لنداكا
والأنبياء وكلّ خلق في الوري	والرّسل والأملـاك تحت لواكا

(١) انظر : المستطرف في كل فن مستطرف (ص ٤٧١) .

وفضائل جلت فليس تحاكي  
 والضُّبُّ قد لبَّأك حين أتناكا  
 بك تستجير وتحتمي بحماكا  
 وشكا البعير إليك حين رآكا  
 وسعت إليك مجيبة لنداكا  
 صمَّ الحصى بالفضل في يمناكا  
 والجذع حنَّ إلى كريم لفاكا  
 والصَّخر قد غاصت به قدماكا  
 وملأت كلَّ الأرض من جدواكا  
 وابن الحصين شفيته بشفاكا  
 جرحاً شفيتها بلمس يداكا  
 في خير فشفي بطيب لماكا  
 قد مات أحياء وقد أرضاكا  
 نشفت فدرت من شفا رقاكا  
 فانهلَّ قطر السَّحب عند دعاكا  
 دعواك طوعاً سامعين نداكا  
 ورفعت دينك فاستقام هناكا  
 صرعى وقد حرموا الرُّضا بجفاكا  
 من عند ربُّك قاتلت أعداكا  
 والنصر في الأحزاب قد وفاكا  
 وجمال يوسف من ضياء سناكا  
 نوراً فسبحان الذي سوَّاكا  
 في العالمين وحقَّ من نَبَاكا  
 عجزوا وكلُّوا عن صفات علاكا

لك معجزات أعجزت كلَّ السورى  
 نطق الذُّراع بسُمَّه لك معلناً  
 والذُّئب جاءك والغزاة قد أتت  
 وكذا الوحوش أتت إليك وسلَّمت  
 ودعوت أشجاراً أتتك مطيعة  
 والماء فاض براحتيك وسبَّحت  
 وعليك ظلَّلت الغمامة في السورى  
 وكذلك لا أثر لمشييك في الثرى  
 وشفيت ذا العاهات من أمراضه  
 ورددت عين قتادة بعد العمى  
 وكذا حبيب وابن عفرا عندما  
 وعلي من رمد به داويته  
 وسألت ربُّك في ابن جابر بعدما  
 ومسست شاة لأمَّ معبد بعدما  
 ودعوت عام المحل ربُّك معلناً  
 ودعوت كلَّ الخلق فانقادوا إلى  
 وخفضت دين الكفر يا علم الهدى  
 أعداك عادوا في القليب بجهلهم  
 في يوم بدر قد أتتك ملائك  
 والفتح جاءك يوم فتحك مكة  
 هود ويونس من بهاك تجملاً  
 قد فقت يا طه جميع الأنبيا  
 والله يا ياسين مثلك لم يكن  
 عن وصفك الشعراء يا مدثر

وأتى الكتاب لنا بمدح حلاكا  
أن يجمع الكتاب من معناكا  
والعشب أقلام جعلن لذاكا  
أبدأً وما اسطاعوا له إدراكا  
وحشاشة محشوة بهواكا  
وإذا نطقت فمادح علياكا  
وإذا نظرت فلا أرى إلآكا  
إنّي فقير في الورى لغناكا  
جد لي بجودك وارضني برضاكا  
لابن الخطيب من الأنام سواكا  
فلقد غدا مستمسكاً بعراكا  
ومن التجا لحماك نال وفاكا  
فعسى أرى في الحشر تحت لواكا  
ما حنّ مشتاقٌ إلى مثواكا  
والتّابعين وكلّ من والاكا (١)

إنجيل عيسى قد أتى بك مخبراً  
ماذا يقول المادحون وما عسى  
والله لو أنّ البحار مدادهم  
لم تقدر الثقلان تجمع ذرّة  
لي فيك قلب مغرم يا سيدي  
فإذا سكتّ ففيك صمتي كلّه  
وإذا سمعت فعنك قولاً طيباً  
يا مالكي كن شافعي من فاقتي  
يا أكرم الثقلين يا كنز الورى  
أنا طامع في الجود منك ولم يكن  
فعساك تشفع فيه عند حسابه  
ولأنت أكرم شافع ومشفّع  
فاجعل قرابي شفاعتي لي في غد  
صلّى عليك الله يا خير الورى  
وعلى صحابتك الكرام جميعهم

وجاء في كتاب "المعيار المعرب" لأبي العباس أحمد بن يحيى الوائشريسي المالكي (٨٥٤هـ) ما نصّه: "وسئل بعض القرويين عمّن نذر زيارة قبر رجل صالح أو حي، فأجاب: يلزمه ما نذر وإن أعمل فيه المطي. ابن عبد البر: كلّ عبادة أو زيارة أو رباط أو غير ذلك من الطّاعة غير الصّلاة فيلزمه الإتيان إليه، وحديث: "لا تُعْمَل المطي" مخصوص بالصّلاة، وأمّا زيارة الأحياء من الإخوان والمشيخة ونذر ذلك والرّباط ونحوه فلا خلاف في ذلك، والسنة تهدي إليه من زيارة الأخ في الله والرّباط في الأماكن التي يرباط بها، وتوقّف بعض النّاس في زيارة القبور وءاثار الصّالحين، ولا يتوقّف في ذلك لأنّه من العبادات غير الصّلاة، ولأنّه من باب الزيارة والتذكير لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "زوروا القبور فإنّها تذكركم الموت" (٢)، وكان صلّى الله عليه وسلّم يأتي حراء

(١) انظر: المستطرف في كل فن مستطرف (ص ٢٣٧-٢٣٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/٥٠٠ رقم ١٥٦٩)، بلفظ: "زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ".

وهو بمكة ويأتي قباء وهو بالمدينة ، والخير في أتباعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقتفاء آثاره قولاً وفعلاً لا سيما فيمن ظهرت الطاعة فيه " (١) .

وقد تضمنَ كلام الإمام الوانشرسي أن التبرُّك بزيارة القبور قد قام عليه عمل المسلمين ، بعكس ما يراه من يدعون السلفية الذي خالفوا مجموع الأمة التي لم يرَ علماءها مانعاً يمنع من التوسُّل بالأنبياء والصالحين ...

وقال الإمام أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (٨٥٥هـ) : " وَقَالَ شَيْخَنَا زَيْن الدِّين : وَأَمَّا قَوْل الشَّافِعِيِّ : وَمَهْمَا قَبْلَ مِنَ البَيْتِ فَحَسَن ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرِدْ بِالْحَسَنِ مَشْرُوعِيَّةً ذَلِكَ ، بَلْ أَرَادَ إِبَاحَةَ ذَلِكَ ، وَالْمَبَاحُ مِنْ جَمَلَةِ الْحَسَنِ ، كَمَا ذَكَرَهُ الْأَصُولِيُّونَ . قُلْتُ : فِيهِ نَظَرٌ لَا يَخْفَى ، وَقَالَ أَيضاً : وَأَمَّا تَقْبِيلُ الْأَمَّاكِنِ الشَّرِيفَةِ عَلَى قِصْدِ التَّبَرُّكِ ، وَكَذَلِكَ تَقْبِيلُ أَيْدِي الصَّالِحِينَ وَأَرْجُلِهِمْ فَهُوَ حَسَنٌ مُحَمَّدٌ بِاعْتِبَارِ الْقِصْدِ وَالنِّيَّةِ ، وَقَدْ سَأَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ الْحَسَنَ ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ، أَنْ يَكْشِفَ لَهُ الْمَكَانَ الَّذِي قَبْلَهُ ، رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ سَرْتُهُ ، فَقَبَلَهُ تَبْرُكاً بِأَثَارِهِ وَذَرِيَّتِهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ كَانَ ثَابِتُ الْبَنَانِيِّ لَا يَدْعُ يَدَ أَنْسٍ ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ، حَتَّى يَقْبَلَهَا ، وَيَقُولُ : يَدَ مَسْتِ يَدِ رَسُولِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ أَيضاً : وَأَخْبَرَنِي الْحَافِظُ أَبُو سَعِيدِ ابْنِ الْعَلَاءِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ فِي كَلَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي جُزْءٍ قَدِيمٍ عَلَيْهِ خَطُّ ابْنِ نَاصِرٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْحَفَازِ ، أَنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ سُئِلَ عَنِ تَقْبِيلِ قَبْرِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَقْبِيلِ مَنْبَرِهِ ، فَقَالَ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ ، قَالَ : فَأَرَيْنَاهُ لِلشَّيْخِ تَقِيَّ الدِّينِ بْنِ تَيْمِيَّةٍ فَصَارَ يَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ ، وَيَقُولُ : عَجِبْتُ أَحْمَدَ عِنْدِي جَلِيلٌ يَقُولُهُ ؟ هَذَا كَلَامُهُ أَوْ مَعْنَى كَلَامِهِ ؟ وَقَالَ : وَأَيُّ عَجَبٍ فِي ذَلِكَ وَقَدْ رَوَيْنَا عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ غَسَلَ قَوِيصاً لِلشَّافِعِيِّ وَشَرَبَ الْمَاءَ الَّذِي غَسَلَهُ بِهِ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا تَعْظِيمَهُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ فَكَيْفَ بِمَقَادِيرِ الصَّحَابَةِ ؟ وَكَيْفَ بِآثَارِ الْأَنْبِيَاءِ ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؟ وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَجْنُونٌ لَيْلِي حَيْثُ يَقُولُ :

أمرُّ على الدِّيارِ ديارِ لَيْلِي أَقبُلُ ذَا الجِدَارِ وَذَا الجِدَارَا  
وَمَا حُبُّ الدِّيارِ شَغَفَنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارَا

وقال المحب الطبري (٦٩٤هـ) : وَيُمْكِنُ أَنْ يَسْتَنْبِطَ مِنْ تَقْبِيلِ الْحَجَرِ وَاسْتِلامِ الْأَرْكَانِ جَوَازَ تَقْبِيلِ مَا فِي تَقْبِيلِهِ تَعْظِيمُ اللهِ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَرِدْ فِيهِ خَبَرٌ بِالنَّدْبِ لَمْ يَرِدْ بِالْكَرَاهَةِ . قَالَ : وَقَدْ رَأَيْتُ فِي بَعْضِ تَعَالِيقِ جَدِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، عَنِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الصَّيْفِ (٦٠٩هـ) : أَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ إِذَا رَأَى الْمُصَاحِفَ

(١) انظر : المعيار المعرب (٢/ ٨١-٨٢) .

قبلها، وَإِذَا رَأَى أَجْزَاءَ الْحَدِيثِ قَبْلَهَا، وَإِذَا رَأَى قُبُورَ الصَّالِحِينَ قَبْلَهَا، قَالَ: وَلَا يَبْعُدُ هَذَا، وَاللَّهِ أَعْلَمُ فِي كُلِّ مَا فِيهِ تَعْظِيمُ اللَّهِ تَعَالَى " (١) .

وقال الإمام أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (٨٥٥هـ): " فنسأل الله العظيم متوسلين بنبيه الكريم أن يجرسنا من شر كل ذي شر وحسد، ومن عداوة كل ذي حقد ونكد " (٢) .

وقال الإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (٨٦١هـ): " الْمُفْصِدُ الثَّلَاثُ : فِي زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ مَشَائِخُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: مِنْ أَفْضَلِ الْمُنْدُوبَاتِ وَفِي مَنْاسِكِ الْفَارِسِيِّ وَشَرَحِ الْمُخْتَارِ : أَمَّا قَرِيبَةٌ مِنْ الْجُؤُوبِ لِمَنْ لَهُ سَعَةٌ ... ثُمَّ يَقُولُ فِي مَوْقِفِهِ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَةَ اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ بَلَغْتَ الرَّسَالَهَ وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ وَكَشَفْتَ الْعَمَّةَ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا، جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَازَى نَبِيًّا عَن أُمَّتِهِ ... وَيَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى حَاجَتَهُ مُتَوَسِّلًا إِلَى اللَّهِ بِحَضْرَةِ نَبِيِّهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - . وَأَعْظَمُ الْمَسَائِلِ وَأَهْمُهَا سُؤَالُ حُسْنِ الْحَائِمَةِ وَالرُّضْوَانِ وَالْمَغْفِرَةِ ، ثُمَّ يَسْأَلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّفَاعَةَ يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْأَلُكَ الشَّفَاعَةَ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْأَلُكَ الشَّفَاعَةَ وَأَتَوَسَّلُ بِكَ إِلَى اللَّهِ فِي أَنْ أَمُوتَ مُسْلِمًا عَلَى مِلَّتِكَ وَسُنَّتِكَ ، وَيَذْكُرُ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ قَبِيلِ الْإِسْتِعْطَافِ وَالرَّفْقِ بِهِ ... " (٣) .

وقال الإمام محمد بن محمد بن محمد، أبو الفضل تقي الدين ابن فهد الهاشمي العلوي الأصفهاني ثم المكي الشافعي (٨٧١هـ): " فالله تعالى يُبقيه ويمتعه الإسلام ويديم النفع به الأنام بجاه المصطفى سيّدنا محمد عليه أفضل الصلوة والسّلام " (٤) .

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩/ ٢٤١) .

(٢) انظر: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (ص ٢٠٨) .

(٣) انظر: فتح القدير (٣/ ١٧٩-١٨١) .

(٤) انظر: لحظ الألاحظ بذيل طبقات الحفاظ (ص ٢٠٥) .

وقال الإمام محمد بن محمد بن محمد ، أبو الفضل تقي الدين ابن فهد الهاشمي العلوي الأصفوني ثم المكي الشافعي : " ونعمة شاملة وأفراح بلا كدر كاملة بمحمد وآله " (١) .

وقال الإمام محمد بن محمد بن محمد ، أبو الفضل تقي الدين ابن فهد الهاشمي العلوي الأصفوني ثم المكي الشافعي : " نغمده الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح جنّته بمحمد وآله " (٢) .

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدين (٨٧٤هـ) : " ولما كثر فساد المماليك الأجلاب عمل بعض الظرفاء بليقا ، ذكر فيه أفعال الأجلاب ومساوئهم ، واستطرد إلى أن قال في آخره :

فالله بجاه سيّد عدنان عوّض لنا منك بإحسان (٣)

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدين أيضاً : " عامله الله بعدله وألحق به من بقي من ذريّته ليستريح كلّ أحد من هذه السُّلالة الملعونة ، بمحمد وآله " (٤) .

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدين أيضاً : " أدام الله نعمته ورحم سلفه بمحمد وآله وصحبه وسلّم " .

وقال أيضاً : " نسأل الله تعالى حسن الخاتمة بمحمد وآله " .

وقال أيضاً : " أحسن الله عاقبته بمحمد وآله " .

وقال أيضاً : " أحسن الله عاقبته بمحمد وآله " (٥) .

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدين : " فالله تعالى يحسن العاقبة بمحمد وآله " (٦) .

(١) انظر : لحظ الأخطأ بذيل طبقات الحفاظ (ص ٢٠٩) .

(٢) انظر : لحظ الأخطأ بذيل طبقات الحفاظ (ص ٢٢٠) .

(٣) انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٦ / ١٦١) .

(٤) انظر : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٧ / ٤٢٨) .

(٥) انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١ / ٤٥١) ، (١١ / ١٠٣) ، (١٥ / ٢٥٥) ، (١٦ / ٥٦) بالترتيب .

(٦) انظر : حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور (٢ / ٣٢٩) .

وقال الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل ، موفق الدين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (هـ ٨٨٤) : " لطف الله تعالى به وبلغه إلى مأموله وعفا عنه وعن فروعه وأصوله بجاه مصطفىاه ورسوله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ " .

وقال أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل ، موفق الدين ، أبو ذر سبط ابن العجمي أيضاً :  
 سألتك الله بالمختار سيدنا محمد ذي التقى والطهر والحسب  
 أن لا تريننا سراً حمنا ولا تعاملنا بالمقت والغضب  
 بجاه هذا النبي السيد السند الهادي الشفيع الرفيع القدر والرتب (١)

وقال الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل ، موفق الدين ، أبو ذر سبط ابن العجمي ، في ترجمة السلطان نور الدين الشهيد (هـ ٥٧٨) : " قيل إن الدعاء عند قبره مستجاب " (٢) .

وقال الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (هـ ٨٨٥) : " جعل الفردوس مقره ومأواه بمحمد وآله " (٣) .

وفي ذكره لمجموعة من الفوائد قال الإمام علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الصالح الحنبلي (هـ ٨٨٥) : " ... وَمِنْهَا : يَجُوزُ التَّوَسُّلُ بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ ، عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الْمَذْهَبِ ، وَقِيلَ : يُسْتَحَبُّ . قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : الْمَرْوُذِيُّ يَتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ ، وَجَزَمَ بِهِ فِي الْمُسْتَوْعِبِ وَعَنْرِهِ ، وَجَعَلَهُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ كَمَسْأَلَةِ الْيَمِينِ بِهِ ، قَالَ : وَالتَّوَسُّلُ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ ، وَبِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ ، وَنَحْوِهِ مِمَّا هُوَ مِنْ فِعْلِهِ أَوْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ الْمَأْمُورِ بِهَا فِي حَقِّهِ : مَشْرُوعٌ إِجْمَاعاً ، وَهُوَ مِنَ الْوَسِيلَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] " (٤) .

(١) انظر : كنوز الذهب في تاريخ حلب (١/٤٥) ، (٢/١٠٨) ، بالترتيب .

(٢) انظر : كنوز الذهب في تاريخ حلب (١/٢٧٩) .

(٣) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/٣٨٤) .

(٤) انظر : الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢/٤٥٦) .

وقال الإمام أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشَّرْجِي ، زين الدِّين الزَّيْدِي (٨٩٣هـ) : " والمسؤول من الله تعالى أن ينفع بذلك ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يصلح المقاصد والأعمال بجاه سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين " (١) .

وقال الإمام عبد الرَّحْمَنِ بن عبد السَّلَام الصَّفُورِي (٨٩٤هـ) : " فنسأل اللهمَّ بجاه هذا النَّبِيِّ الكريم ، وبما كان بينك وبينه ليلة الحلوة والحلوة ، والتَّقريب والتَّعظيم ، أن تغفر لنا كل ذنب عظيم ، وتنظر إلينا بعين رحمتك يا رحيم ، وارزقنا شفاعته بفضلك وعلمك ورضاك يا أرحم الرَّاحِمِينَ ، يا رب العالمين ، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم " (٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحْمَنِ بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخَاوِي (٩٠٢هـ) في ترجمة الإمام إبراهيم بن محمَّد بن إبراهيم بن أحمد بن محمَّد بن محمَّد البرهان أبو إسحاق بن الشَّمْسِ الخنجندي المدني الحنفي (٨٩٧هـ) : " وسمعتَه ينشد ممَّا قاله وهو بالقاهرة ممَّا بلغه ما وقع من الحريق بالمسجد النَّبَوِيِّ :

قلت بمصر جاءنا خبر وقد جرى بطيبة أمر مهول

خافت النَّارُ إلهَا فانتحت تتشفع لائذة بالرَّسُولِ (٣)

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو العَبَّاس أحمد بن أحمد بن محمَّد بن عيسى البرنسي الفاسي ، المعروف بزُرُوق (٨٩٩هـ) : " وأن ينفع به الخاصَّ والعام ، بجاه محمَّد عليه الصَّلَاة والسَّلَام " (٤) .

وقال الإمام إبراهيم بن محمَّد بن محمود بن بدر ، برهان الدِّين ، أبو إسحاق الحلبي القبيباتي الشَّافعي النَّاجِي (٩٠٠هـ) : " وباللَّهِ نستعين وعليه نتوكَّل ، وإليه نبنيُّنا أشرف مرسل تنوَّسل في سلوك السَّيْلِ الأعدل ، والطَّرِيق الأمثل ، فهو سبحانه ذو الجلال الأكمل " (٥) .

(١) انظر : التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصَّحيح (ص ١٥) .

(٢) انظر : نزهة المجالس ومنتخب النفاث (٢/١٢٦) .

(٣) انظر : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (١/٨٣) .

(٤) انظر : شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (١/١٠) .

(٥) انظر : عجالة الإملاء المتيسرة من التذنيب على ما وقع للحافظ المنذري من الوهم وغيره في كتابه الترغيب والترهيب (١/١٤٤) .

وقال الإمام شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (٩٠٢هـ) في ترجمة علي بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد أبو الحسن الأدمي ثم المصري الشافعي (٧٦٦هـ): " وَيُقَالُ : أَنَّ الدُّعَاءَ عِنْدَ قَبْرِهِ مُسْتَجَابٌ " (١) .

وقال الإمام شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (٩٠٢هـ) في ترجمة محمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشمس بن الشمس المسوفي الأصل المدني المالكي (٨٨٥هـ) أَنَّهُ أَنشَدَ بِحَضْرَةِ السَّخَاوِيِّ قَصِيدَةً مَطْلَعُهَا :

بجَاهِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى أُوَسَّلْ	إِلَى اللَّهِ فِيمَا أَبْتَغِي وَأُوَمَّلْ
وَأَقْصِدْ بَابَ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدْ	وَفِي كُلِّ حَاجَاتِي عَلَيْهِ أَعُولْ
حَلَلْتُ حَمِي مِنْ لَا يُضَامُ نَزِيلُهُ	فَعَنَّهُ مَدَى مَا دَمْتُ لَا أَتَحَوَّلْ
أَقُولُ حَبِيبِي يَا مُحَمَّدَ سَيِّدِي	مَلَازِي عِيَاذِي مِنْ بِهِ أُوَسَّلْ
عَسَى نَفْحَتُهُ يَا سَيِّدَ الْخَلْقِ أَهْتَدِي	بَهَا مِنْ ضَلَالِي إِنِّي مُتَعَطِّلْ (٢)

(١)

وقال الإمام شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (٩٠٢هـ) ، في ترجمة محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل المغربي الأندلسي ثم القاهري المالكي ويعرف بالرأعي : " ... أَنشَدَ قَبِيلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ فِي حَالِ صِحَّتِهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ مِنْ نَظْمِهِ :

أَفْكَرَ فِي مَوْتِي وَبَعْدَ فَضِيحَتِي	فِيحْزَنُ قَلْبِي مِنْ عَظِيمِ خَطِيئَتِي
وَتَبْكِي دَمًا عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا الْبُكَاءُ	عَلَى سُوءِ أَفْعَالِي وَقَلَّةِ حِيلَتِي
وَقَدْ ذَابَتْ أَكْبَادِي عَنَاءٍ وَحَسْرَةٍ	عَلَى بَعْدِ أَوْطَانِي وَفَقْدِ مَحَبَّتِي
فَهَالِي إِلَّا اللَّهُ أَرْجُوهُ دَائِمًا	وَلَا سِيَّامًا عِنْدَ اقْتِرَابِ مَنِيَّتِي
فَأَسْأَلُ رَبِّي فِي وَفَاتِي مُؤْمِنًا	بِجَاهِ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ (٣)

(٢)

(١) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٦٤/٥) .

(٢) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١١٥/٩) .

(٣) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٢٠٤/٩) .

وقال الإمام شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (٩٠٢هـ): " وذكر الديلمي أن علي بن موسى المذكور لما دخل نيسابور وهو في عمارته على بغلة شهباء ، خرج علماء البلد في طلبه : يحيى بن يحيى ، وإسحاق ابن راهويه ، وأحمد بن حرب ، ومحمد بن رافع ، فتعلقوا بلجامه ، فقال له إسحاق : بحق آبائك الطاهرين حدثنا بحديث سمعته من أبيك ؟ فقال : حدثنا العبد الصالح أبي موسى بن جعفر ، وذكره " (١) .

وقال الإمام شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (٩٠٢هـ) ، في ترجمة علي بن ناصر بن محمد بن أحمد الثور أبو الحسن البلبيسي ثم المكي الشافعي (ت: بعد ٩١٦هـ) : " سائلاً الله بجاه أحمد أن يصلح الشأن " (٢) .

وذكر الإمام شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ، في ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي بن محمد بن أبي بكر ابن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله أبو محمد الناشري ، من شعره :

بجاه عريض الجاه والعالى الشأن محمد المختار من آل عدنان

وقال السخاوي أيضاً في ترجمة محمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشمس بن الشمس المسوفي الأصل المدني المالكى : " ومن نظمه مما كتبه إلى أبيه بخطه وأنشده بحضرتي من لفظه :

إلى الله فيمى أبتغى وأومل	بجاه النبي المصطفى أتوسل
وفي كل حاجاتي عليه أعول	وأقصد باب الهاشمي محمد
فَعَنهُ مَدَى مَا دَمْتُ لَا أَتَحُولُ	حللت حمى من لا يضام نزيله
ملاذي عيادي من به أتوسل	أقول حبيبي يا محمد سيدي
بها من ضلالي إنني متعطل	عسى نفحة يا سيد الخلق أهتدي

وقال السخاوي في ترجمة فاطمة المدعوة ستيتة ورُبما يُقال لها ناجية ابنة القاضي كمال الدين محمود ابن ابن شيرازين الحنفي : " قاله وكتبه السخاوي محمد بن عبد الرحمن راجياً السُّر والغفران متوسلاً بسيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً ، ثم كتبت إلى سائلة أيضاً بقولها :

أنتم ومن لآذ بكم في الورى  
بحق رب بالخفايا عليهم

(١) انظر : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة (ص ٢٢٩) ،

(٢) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤٧/٦) .

وَكَانَ لِلْمَوْلَى كَلِيمِ نَدِيمِ  
سَيِّدِ سَادَاتِ النَّقَا وَالْحَطِيمِ (١)  
(١)

بجاء من أسرى به في الدجى  
محمد المختار من هاشم

وقال الإمام شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي  
أيضاً: "... ومنهم: الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد البكري القاضي. فأنشدني من  
لفظه بحضرة الممدح عند عوده للقضاء قوله:

وعاه الله ما عنت حمائم  
وقد حاسديه طوق ذل  
بجاء محمد خير البرايا  
صلاة الله يتلوها سلاماً

على عود بشجو مستطاب  
وصيرهم بقلب في انقلاب  
وأفضل من مشى فوق التراب  
عليه وآله ثم الصحاب (٢)

(٢)

وقال الإمام شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي  
(٩٠٢هـ) أيضاً: "وأما الصلاة في الأحوال كلها ومن تشفع بجاهه صلى الله عليه وسلم وتوسل بالصلاة عليه  
بلغ مراده وأنجح قصده، وقد أفردوا ذلك بالتصنيف، ومن ذلك حديث عثمان بن حنيف الماضي، وغيره،  
وهذه من المعجزات الباقية على ممر الدهور والأعوام، وتعاقب العصور والأيام، ولو قيل: إن إجابات  
المتوسلين بجاهه عقب توسلهم يتضمن معجزات كثيرة بعدد توسلاتهم، لكان أحسن، فلا يطمع حينئذ في عد  
معجزاته حاصر، فإنه لو بلغ ما بلغ منها حاسر قاصر، وقد انتدب لها بعض العلماء الأعلام فبلغ ألفاً، وإيم الله  
أنه لو أنعم النظر زاد منها آفا تلقى صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً" (٣).

وقال الإمام شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي  
أيضاً: "فالله تعالى يبيقيه ليُنتفع به، بمحمد وآله" (٤).

(١) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤/١٤٠)، (٩/١١٥)، (١٢/١٠٩-١١٠) بالترتيب.  
(٢) انظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (١/٤٦٣).  
(٣) انظر: القولُ البديعُ في الصلاة على الحبيب الشفيع (ص ٢٤٠-٢٤١).  
(٤) انظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (١/٢٨٦).

وقال الإمام شمس الدّين أبو الخير محمّد بن عبد الرّحمن بن محمّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمّد السّخاوي (٩٠٢هـ) أيضاً: "أدام الله به النّفع بمحمّد وآله" (١).

وقال الإمام شمس الدّين أبو الخير محمّد بن عبد الرّحمن بن محمّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمّد السّخاوي أيضاً: "... وروينا في جزء "تمثال النعال" لابن عساكر؛ أن مثال النعال الشّريف إذا امسكته الحامل يمينها وقد اشتد عليها الطلق تيسر أمرها بحول الله وقوته" (٢).

وقال الإمام شمس الدّين أبو الخير محمّد بن عبد الرّحمن بن محمّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمّد السّخاوي أيضاً: "سيدنا محمّد سيّد الأنام كلّهم، ووَسِيلَتَنَا وَسَدِنَا وَذُخْرِنَا فِي الشَّدَائِدِ وَالتَّوَازِلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً أَمِين، أَمِين، أَمِين" (٣).

وقال الإمام شمس الدّين أبو الخير محمّد بن عبد الرّحمن بن محمّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمّد السّخاوي أيضاً في ترجمة محمّد بن محمّد النّصاري الرّنوري المغربي المالكِي: "ثم استوطن المدينة منشداً قوله: بيا بكم حطّ الفقير رحاله وما خاب عبد أمكم متوسلاً" (٤).

وقال الإمام شمس الدّين أبو الخير محمّد بن عبد الرّحمن بن محمّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمّد السّخاوي أيضاً: "قاله وكتبه السّخاوي محمّد بن عبد الرّحمن راجياً السّر والغفران، متوسلاً بسيد ولد عدنان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً" (٥).

وقال الإمام شمس الدّين أبو الخير محمّد بن عبد الرّحمن بن محمّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمّد السّخاوي أيضاً: "ويبوئه من الفردوس الأعلى أعلى درجاته بمحمّد وآله وأصحابه وأزواجه وذرياته" (٦).  
وقال الإمام الحسين بن صديق بن الأهدل (٩٠٣هـ):

يا مريح الوجه يا خير الوري أنت بعد الله نعم المعتمد

(١) انظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (١٨٩٣/٢).

(٢) انظر: ذكره الحافظ السّخاوي في الأجوبة المرضية فيما سئل السّخاوي عنه من الأحاديث النبوية (٣٨٤/١).

(٣) انظر: فتح المغيب بشرح الفية الحديث للعراقي (٤٠٥/٤).

(٤) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤٢/١٠).

(٥) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٠٩/١٢).

(٦) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٢٤/٨).

رَبِّ جَنَّبْنَا بِجَاهِ الْمُصْطَفَى كُلَّ كُدٍّ وَبِلَاءٍ وَنَكْدٍ (١)

وقال الإمام عبد الوهَّاب بن عبد الرَّحْمَنِ الْبَرِيهِي السَّكْسَكِي الْيَمِينِي (٩٠٤هـ): " قُمْ فَاسْتَفْتَحْ بَابَ الْفُرْجِ ... بِمُحَمَّدِ الْبَدْرِ الْبَهْجِ ". وقال أيضاً: " نفع الله بهما وأعاد على الجميع من بركتها بمحمد وآله أمين " (٢).

وقال الإمام علي بن يوسف بن علي بن أحمد، علاء الدين الدمشقي العاتكي الشافعي الشهير بالبصري (٩٠٥هـ): " اللهم قَرِّبْ الْفُرْجَ بِمُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ " (٣).

وقال الإمام يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصَّالِحِي، جمال الدين، ابن المبرِّد الحنبلي (٩٠٩هـ): " نسأل الله التوفيقَ والمدايةَ والإماتةَ على الإيمان بالله وبرسوله، والإعتقاد الحسن في أوليائه وأصفيائه بمحمد وآله " (٤).

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمَّهَوْدِي (٩١١هـ): " ... وعن إسماعيل التيمي، قال: كان ابن المنكدر يصيبه الصمات، فكان يقوم فيضع خده على قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعوتب في ذلك، فقال: أَنَّهُ يَسْتَشْفِي بِقَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٥).

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافِعِي، نور الدين أبو الحسن السَّمَّهَوْدِي (٩١١هـ) أيضاً: " الفصل الثالث في توَسُّلِ الزَّائِرِ وَتَشْفُوعِهِ بِهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى، وَاسْتِقْبَالِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَلَامِهِ وَتَوَسُّلِهِ وَدَعَائِهِ: اعلم أَنَّ الاسْتِغَاثَةَ وَالتَّشْفُوعَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِجَاهِهِ وَبِرُكْتِهِ إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى مِنْ فِعْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، وَسِيرِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ، وَاقِعٌ فِي كُلِّ حَالٍ، قَبْلَ خَلْقِهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَ خَلْقِهِ، فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَمَدَّةِ الْبَرَزَخِ وَعَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ". وقال أيضاً: " وقد يكون التَّوَسُّلُ بِهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَلْبِ ذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْهُ، بِمَعْنَى أَنَّهُ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِرٌ عَلَى التَّسْبَبِ فِيهِ

(١) انظر: معجم أعلام شعراء المدح النبوي (ص ١٢٨).

(٢) انظر: طبقات صلحاء اليمن، المعروف بتاريخ البريهي (ص ١١٣)، (ص ٢٤٨).

(٣) انظر: تاريخ البصري (ص ١٥٧).

(٤) انظر: صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصَّالِحِينَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ (مطبوع ضمن مجموع رسائل ابن عبد الهادي) (ص ١٠٠).

(٥) انظر: خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٤٥٨).

بسؤاله وشفاعته إلى ربّه فيعود إلى طلب دعائه وإن اختلفت العبارة . ومنه قول القائل له : أسألك مرافقتك في الجنة الحديث ، ولا يقصد به إلا كونه صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبباً وشفاعاً " (١) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني السّمهودي (٩١١هـ) أيضاً : " ... وفي كتاب العلل والسؤالات لعبد الله ابن أحمد بن حنبل : سألت أبي عن الرّجل يمَسُّ منبر النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَبَرَّكُ بِمَسِّهِ وتقبيله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى ، فقال : لا بأس به . قال العزّ بن جماعة : وهذا يُبطل ما نقل عن النّووي من الإجماع . وقال السُّبكي : عدم المسح بالقبر ليس ممّا قام الإجماع عليه ، وأستدلّ في ذلك بما رواه يحيى بن الحسن عن عمر بن خالد عن أبي نباتة عن كثير بن يزيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، قال : أقبل مروان بن الحكم فإذا رجل ملتزم القبر ، فأخذ مروان برفقته ، قال : هل تدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه ، فقال : نعم ، إني لم آت الحجر ولم آت اللبن ، وإنما جئت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذكر الحديث الآتي من رواية أحمد ، لكن لم يصرّح فيه برفعه في نسخة يحيى التي وقعت للسُّبكي ، وصرّح برفعه في غيرها ، ثمّ قال المطلب : وذلك الرّجل أبو أيّوب الأنصاري . قال السُّبكي : وعمر بن خالد لم أعرفه ، وأبو نباتة ومن فوقه ثقات ، فإن صحّ هذا الإسناد لم يكره مسّ جدار القبر . قلت : رواه أحمد بسند حسن ، ولفظه : أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر ، فأخذ مروان برفقته ثمّ قال : هل تدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه ، فقال : نعم ، إني لم آت الحجر ، إنّما جئت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم آت الحجر ، سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " لا تبكوا على الدّين إذا وليه أهله ، ولكن أبكوا على الدّين إذا وليه غير أهله " (٢) .

وذكر الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني الشّافعي ، نور الدّين أبو الحسن السّمهودي ، (٩١١هـ) ، أيضاً أخبار النّار التي أضاءت لها أعناق الإبل في بصرى الشّام ، فقال : " ، فتلك النّار نعمة في صورة نقمة ، ولهذا وجلت منها القلوب وأشفقت ، وأيقن النّاس أنّ العذاب قد أحاط بهم . قال القاضي سنان : وطلعت إلى الأمير - وكان عز الدّين منيف بن شيحة - وقلت له : قد أحاط بنا العذاب ، ارجع إلى الله ، فأعتق كلّ مماليكه ، وردّ على النّاس مظالمهم - زاد القاشاني : وأبطل المكس - ثمّ هبط الأمير للنّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبات في المسجد ليلة الجمعة وليلة السّبت ، ومعه جميع أهل المدينة حتى النّساء والصّغار ، ولم يبق أحد في التّخل إلا جاء إلى الحرم الشّريف ، وبات النّاس يتضرّعون ويبيكون ، وأحاطوا بالحجرة الشّريفة كاشفين رؤوسهم ، مقرّين

(١) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٤/١٩٣) ، (٤/١٩٥-١٩٦) ، بالترتيب .

(٢) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/٤٥٦-٤٥٧) .

بذنوبهم ، مبتهلين ، مستجيرين بنبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال القطب : ولما عين أمير المدينة ذلك أفلح عن المخالفة ، واعتبر ، ورجع عما كان عليه من المظالم وانزجر ، وأظهر التوبة والإنابة ، وأعتق جميع مماليكه ، وشرع في ردّ المظالم ، وعزم أهل المدينة على الإقلاع عن الإصرار وارتكاب الأوزار ، وفزعوا إلى التضرّع والاستغفار ، وهبط أميرهم من القلعة مع قاضيهم الشّريف سنان وأعيان البلد ، والتجؤوا إلى الحجرة الشّريفة ، وباتوا بالمسجد الشّريف بأجمعهم حتى النساء والأطفال ؛ فصرف الله تعالى عنهم تلك النّار العظيمة ذات الشّمال ، ونجوا من الأوجال ... " (١) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشّافعي ، نور الدّين أبو الحسن السّمهودي أيضاً : " وتقدّم أيضاً أن بلائاً رضي الله تعالى عنه لما قدم من الشّام لزيارة النّبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى القبر ، فجعل يكي عنده ، ويمرّغ وجهه عليه ، وإسناده جيد كما سبق .

وفي تحفة ابن عساكر من طريق طاهر بن يحيى الحسيني ، قال : حدّثني أبي ، عن جدي ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن علي رضي الله تعالى عنه ، قال : لما رمس رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها ، فوقفت على قبره صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينيها وبكت ، وأنشأت تقول :

ماذا على من شمّ تربة أحمد أن لا يشمّ مدى الزّمان غواليا  
صُبَّتْ عَلَيَّ مِصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ عُدُنَ لِيَالِيَا (٢)

ولم ينكر عليها أحد من الصّحابة صنيعها ...

وقال الإمام عبد الرّحمن بن أبي بكر ، جلال الدّين السّيوطي (٩١١هـ) في ترجمة الإمام شمس الدّين محمّد بن أبي بكر بن عمر بن عمران بن نجيب الأنصاري السّعدي الدّنجايوي (٩٠٣هـ) : " ومن نظمه وإنشاده عندي في الإملاء :

وإنّ الفقير القادري لعـاجز  
وقاه إله العرش من كلّ محنـة  
عن المدح في علياه إذ يتقصـد  
وما أضمرت يوماً عداه وحسد  
بأمداحه جاء الكتاب الممجّد  
بجاء رسول الله أحمد مرسل

(١) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (١١٦-١١٧) .

(٢) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٢١٧-٢١٨) .

عليه مع الآل الكرام وصحبه

صلاة على طول المدى تتجدد<sup>(١)</sup>

وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي أيضاً : " أعادنا الله إلى الإتيان منها كما كنا قريباً بمحمد وآله " (٢) .

وقال أيضاً : " وأسأل الله تعالى أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المائة التاسعة !! بجاه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه أجمعين ، آمين " (٣) .

وقال أيضاً في ترجمة إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن علي بن محمد التنوخي (٧٢٦هـ) : " وألقى الله عليه من القبول والتعظيم ما لم يعهد مثله ؛ وكان صادعاً بالحق ، غيوراً على الدين ، كثير الخشوع ، ساعياً في حوائج الناس ... مولده في حدود سنة سبع وسبعين وستمائة ، ومات يوم السبت سابع المحرم سنة ست وعشرين وسبعمائة ، وقبره بباب البيرة من غرناطة ، يستسقي الناس به " (٤) .

وقال أيضاً : " وأسأل الله تعالى أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المائة التاسعة !! بجاه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه أجمعين ، آمين " (٥) .

وقال أيضاً : " أحسن الله عقباها بمحمد وآله آمين " (٦) .

وقال أيضاً : " والحمد لله الذي جعلنا من حمة السنة بمحمد وآله " (٧) .

وقال أيضاً : " أحسن الله ختامها بمحمد وآله أجمعين " (٨) .

وقال أيضاً : " ... طالباً ممن نظر فيه دعوة خالصة في وقت استجابة أن ينفعنا بهذا القرآن العظيم بجاه نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم " (٩) .

(١) انظر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (٥٧٧/١) .

(٢) انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٣٢٧/١) .

(٣) انظر : تاريخ الخلفاء (ص ٣٦٩) .

(٤) انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٤٢٥/١) .

(٥) انظر : تاريخ الخلفاء (ص ٣٦٩) .

(٦) انظر : الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (ص ٢٢٦) .

(٧) انظر : الحاوي للفتاوي (٥٥/٢) .

(٨) انظر : الحاوي للفتاوي (٣٠٧/٢) .

(٩) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٦١/١) .

وقال أيضاً: " اخلع علينا بُرد حزن ، حتى أقوم على ساق سبق توبة تكابد الحزن إلى يوم ألقاك بجاه مَنْ أنزلت عليه هذا الكتاب الشَّافع المشفَّع ، الماحل المصدِّق ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ " (١) .  
وقال أيضاً: " فلا تُرغْ قلوبنا بعد إذْ هَدَيْتَنَا على صراطك القويم ، بجاه سيِّدنا ومولانا الفاتح الخاتم منقذنا من العذاب الأليم " (٢) .

وقال أيضاً: " عصمنا اللهُ منها بجاه نبيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٣) .  
وقال أيضاً: " اللهم اغفر لنا ولا تؤاخذنا بجاه نبينا وشفيعنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٤) .  
وقال أيضاً: " ... جعل اللهُ لنا منها أوفر نصيب بجاه النبي الحبيب " (٥) .  
وقال أيضاً: " أَثَابَكُمْ رَبُّكُمْ جَنَّتِهِ كَرَمًا ... بِجَاهِ خَيْرِ الْبَرَايَا أَشْرَفِ الرُّسُلِ " (٦) .  
وقال أيضاً:

وَنَلَّتْ جَنَّةَ عَدْنٍ يَوْمَ مَبْعَثِنَا  
بِجَاهِ خَيْرِ الْأَنَامِ الطَّاهِرِ النَّسَبِ " (٧)

وقال أيضاً:

أَثَابَكُمْ رَبُّكُمْ جَنَّتِهِ كَرَمًا  
بِجَاهِ خَيْرِ الْوَرَى الْمُبْعُوثِ مِنْ مُصْرٍ " (٨)

وقال الإمام عبد الرَّحْمَنِ بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي :

أَثَابَكَ اللهُ جَنَّتِ النَّعِيمِ بِمَا  
بِجَاهِ خَيْرِ الْوَرَى الْهَادِي لِأُمَّتِهِ  
أَبْتَتْ مَنْ غُرِّرَ يُشْرِقْنَ كَالدَّرْرِ  
مِنَ الضَّلَالِ وَحَامِيهِمْ مِنَ الضَّرْرِ " (٩)

(١) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣٨٧/١) .

(٢) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣٩٠/١) .

(٣) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (١٥٦/٢) .

(٤) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣٩٥/٢) .

(٥) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٤٢٩/٢) .

(٦) انظر: الحاوي للفتاوي (١٢٩/١) .

(٧) انظر: الحاوي للفتاوي (٤٥٠/١) .

(٨) انظر: الحاوي للفتاوي (٤٥١/١) .

(٩) انظر: الحاوي للفتاوي (٤٠٩/٢) .

وقال أيضاً: " ... اللهم إنا نستودعكها فأحينا عليها ، وأمّتنا عليها ، وثبتنا عند الحاجة إليها بجاه كلامك ونيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (١) .

وقال أيضاً: " فلا تؤاخذنا بذنوبنا ، وعاملنا بفضلك وكرامتك بجاه أكرم الخلق عندك ، وخيرتك صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وَسَلَّمَ " (٢) .

وقال أيضاً: " ولا تؤاخذنا بأفعالنا ، لأننا علمنا أنك عفوّ تحبّ العفو ، فأعف عنا بجاه سيّدنا ومولانا ومنقذنا من الهول العظيم صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله أفضل صلاة وأزكى تسليم " (٣) .

وقال أيضاً: " وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُعَيِّنَ عَلَيَّ إِكْمَالِهِ بِمَحَمَّدٍ وَآلِهِ " (٤) .

وقال أيضاً: " ويا منجّي الهلكى بعد أن يتسوا ، أنقذنا من هذا الوحل العظيم بجاه نبيك الكريم ، عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم " (٥) .

وقال أيضاً: " نسأله سبحانه السلامة والعافية في ديننا ودياننا ، بجاه نبينا وحبيبنا " (٦) .

وقال أيضاً: " ... ويا مَنْ رَأَى عَلَى الْخَطَايَا فَلَمْ يَفْضَحْني ، أَقْبَلْ عَثْرَتِي بِجَاهِ نَبِيِّكَ الْكَرِيمِ عَلَيْكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٧) .

وقال أيضاً: " فقيض لي مَنْ يشفع عندك ، أقسم عليك بجاه نبيك الكريم ، واسمك العظيم " (٨) .

وقال أيضاً: " اللهم إني لم أستح منك ، وبارزت بالعظام ، لكن رجائي فيك قويٌّ ، وتوسلت إليك بجاه النبي الأمي صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وَسَلَّمَ " (٩) .

(١) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٢/ ٤٨٥) .

(٢) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٢/ ٤٩٦) .

(٣) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٢/ ٥٧٠) .

(٤) انظر: الإقتان في علوم القرآن (٤/ ٢٤٤) .

(٥) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٢/ ٦٣١) .

(٦) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/ ٣٧) .

(٧) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي ، (٣/ ٣٤٩) .

(٨) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/ ٣٧١) .

(٩) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/ ٤١٤) .

وقال أيضاً: " لكننا نرجو من كرم الكريم العفو عن اللئيم بجاه نبيه الكريم " (١) .

وقال أيضاً: " هَبَّ لي توبةً منك باقية ، واصرف أزمة الشهوات عني ، وامح زينتها من قلبي بزينة الإيثار

بجاه سيّد الثقلين عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم " (٢) .

وقال أيضاً: " ... أن يجعله نافعاً ولا يذهب ضبيعاً كَبْعاً ، وأن يعصمنا والناظر فيه ، ومن دعا لنا من شرور

أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا بجاه سيّدنا ومولانا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً ما دامت

أشهرًا ومُجمَعاً ... تمّ الكتاب المبارك الميمون المُسمّى بمعترك الأقران ، في إعجاز القرآن للإمام الحافظ السيوطي

نفعنا الله به وبعلومه وسائر العلماء بجاه الفضل على أهل الأرض والسماء سيّدنا ونبينا ومولانا مُحَمَّد - صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وسلّم - ، على يد كاتبه لنفسه ثم لمن شاء المولى بعده الحاج أحمد بن مُحَمَّد المستغانمي منشأ ، الجزائري وطناً

، أصلح الله أحواله وسدّد أقواله وأفعاله وعقبه إلى يوم القيامة بجاه المدفون في تهامة ، لثانية وعشرين يوماً

مضت من شهر الله المعظم ذي القعدة عام (١١٠٦ هـ) " (٣) .

وقال الإمام عبد الرَّحْمَن بن أبي بكر ، جلال الدّين السيوطي كما نقله العلامة النَّبْهاني في " شواهد الحق " :

حَوْزُ الْمُنَى وَبَلُوغُ الْقَصْدِ مِنْ أَمِّ

يَزْهَوُ عَلَى الرَّاهِرِينَ الرَّوْضِ وَالنُّجْمِ

تَعَطُّفٌ عَنْكَ مَعْدُودٌ مِنَ الْخَدَمِ

حَسَنَ الْبَيَانِ أَجْرِي فِي حِمَى الْعَلَمِ

وَأَنْتَ أَذْرَى بِهِ يَا مُسْبِغَ النَّعْمِ

لَهُ رَأْيٌ مِنْكَ حَبْلًا غَيْرَ مُنْفَصِّمِ

فَلَا اعْتِرَاضَ بِمَا يَحْشَاهُ مِنْ نَقَمِ

تَفْصِيلُ جُمَّلِهِ يَرْبُو عَلَى الدَّمِ (٤)

(٤)

يا أكرمَ الرُّسُلِ يا من في إشارته

ومن غدا في الورى توشيحُ مَلَّتِهِ

تَعَطُّفًا لِحُبِّ فَيْكَ لَيْسَ لَهُ

يا صاحبَ العَلَمِ الهادي لِقاصده

فمطلبي أنتَ أَوْلى في النَّجَاحِ لَهُ

من كان فيما عرى تجريد مقصده

ومن يلدُ بِجِمْاهُ وهو مَلْجُؤُنَا

عليه منّا صِلاَةٌ ما لها عدُّ

(١) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٤١٩/٣) .

(٢) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٤٢٥/٣) .

(٣) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٥٢٣/٣) .

(٤) انظر: شواهد الحق في الاستغاثة بسيّد الخلق (ص ٢٩٩) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي ، نور الدين أبو الحسن السهمودي ، في كتابه " وفاء الوفا " : " خاتمة : في نبذ مما وقع لمن استغاث بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو طلب منه شيئاً عند قبره ، فأعطى مطلوبه ونال مرغوبه ، مما ذكره الإمام محمد بن موسى بن النعمان في كتابه : " مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام " .

فمن ذلك ما قال : إتفق الجماعة من علماء سلف هذه الأمة من أئمة المحدثين والصوفية والعلماء بالله المحققين ، قال محمد بن المنكدر : أودع رجل أبي ثمانين ديناراً وخرج للجهاد ، وقال لأبي : إن احتجت أنفقها إلى أن أعود ، وأصاب الناس جهد من الغلاء ، فأنفق أبي الدنانير ، فقدم الرجل وطلب ماله ، فقال له أبي : عدَّ إليَّ غداً ، وبات في المسجد يلوذ بقبر النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة وبمنبره مرة ، حتى كاد أن يصبح ، يستغيث بقبر النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فبينما هو كذلك وإذا بشخص في الظلام يقول : دونكها يا أبا محمد ، فمدَّ أبي يده فإذا هو بصرة فيها ثمانون ديناراً ، فلما أصبح جاء الرجل فدفعها إليه .

وقال الإمام أبو بكر بن المقرئ : كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في حرم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكنا على حالة ، وأثر فينا الجوع ، وواصلنا ذلك اليوم ، فلما كان وقت العشاء حضرت قبر النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقلت : يا رسول الله الجوع ، وانصرفت ، فقال لي أبو القاسم : اجلس ، فإمّا أن يكون الرزق أو الموت ، قال أبو بكر : فقامت أنا وأبو الشيخ والطبراني جالس ينظر في شيء ، فحضر الباب علوي ، فدقَّ ففتحنا له ، فإذا معه غلامان مع كل واحد زنبيل فيه شيء كثير ، فجلسنا وأكلنا وظننا أن الباقي يأخذه الغلام ، فوَلَّى وترك عندنا الباقي ، فلما فرغنا من الطعام ، قال العلوي : يا قوم أشكوتم إلى رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فإنِّي رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام فأمرني أن أحمل بشيء إليكم .

وقال ابن الجلاء : دخلت مدينة النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبني فاقه ، فتقدّمت إلى القبر وقلت : ضيفك ، فغفوت فرأيت النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأعطاني رغيفاً ، فأكلت نصفه ، وانتبهت ويدي النصف الآخر .

وقال أبو الخير الأقطع : دخلت مدينة النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا بفاقة ، فأقامت خمسة أيام ما ذقت ذواقاً ، فتقدّمت إلى القبر ، وسلمت على النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى أبي بكر وعمر ، وقلت : أنا ضيفك يا رسول الله ، وتنحيت ونمت خلف القبر ، فرأيت في المنام النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعلي بن أبي طالب بين يديه ، فحرّكني عليّ وقال : قم ، قد جاء رسول الله صَلَّى اللهُ

تعالى عليه وَسَلَّمَ ، فقامت إليه وقبّلت بين عينيه ، فدفعت إليّ رغيفاً ، فأكلت نصفه ، وانتهت فإذا في يدي نصف رغيف .

وقال أبو عبد الله محمد بن أبي زرعة الصوفي : سافرت مع أبي ومع أبي عبد الله بن خفيف إلى مكة ، فأصابتنا فاقة شديدة ، فدخلنا مدينة الرسول صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبتنا طاوين ، وكنت دون البلوغ ، فكنت أجيء إلى أبي غير دفعة ، وأقول : أنا جائع ، فأتى أبي الحظيرة ، وقال : يا رسول الله أنا ضيفك الليلة ، وجلس على المراقبة ، فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكي ساعة ويضحك ساعة ، فسئل عنه ، فقال : رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضع في يدي دراهم ، وفتح يده ، فإذا فيها دراهم ، وبارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز ، وكنا ننفق منها .

وقال أحمد بن محمد بن محمد الصوفي : تهت في البادية ثلاثة أشهر ، فانسلخ جلدي ، فدخلت المدينة ، وجئت إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسلمت عليه وعلى صاحبيه ثم نمت فرايته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم ، فقال لي : يا أحمد ، جئت ؟ قلت : نعم ، وأنا جائع وأنا في ضيافتك ، قال : افتح كفيك ، ففتحتها فملاهما دراهم ، فانتبهت وهما مملوءتان ، وقمت فاشتريت خبزاً حوارياً وفالودجاً ، وأكلت ، وقمت للوقت ودخلت البادية .

وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه بسنده إلى أبي القاسم ثابت بن أحمد البغدادي ، قال : أنه رأى رجلاً بمدينة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أذن للصبح عند قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال فيه : الصلاة خير من النوم ، فجاءه خادم من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك ، فبكى الرجل ، وقال : يا رسول الله في حضرتك يفعل بي هذا الفعل ؟ ففليح الخادم ، وحمل إلى داره فمكث ثلاثة أيام ومات .

قلت : والواقعة التي نقلها ابن النعمان عن أبي بكر المقرئ رواها ابن الجوزي في كتابه " الوفاء " بإسناده إلى أبي بكر المقرئ ، وبقية الوقائع المذكورة ذكرها غيره أيضاً .

ومن ذلك : ما ذكر ابن النعمان أنه سمعه ممن وقع له أو عنه بواسطة ، فقال : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد ، يقول : كنت بمدينة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعني ثلاثة من الفقراء ، فأصابتنا فاقة ، فجيئت إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقلت : يا رسول الله ليس لنا شيء ، ويكفينا ثلاثة أمداد من أي شيء كان ، فتلقاني رجل فدفعت إليّ ثلاثة أمداد من التمر الطيب .

وسمعت الشريف أبا محمد عبد السلام بن عبد الرحمن الحسيني الفاسي يقول : أقمت بمدينة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أيام لم أستطع فيها ، فأتيت عند منبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فركعت ركعتين ، وقلت : يا

جدِّي جُعْتُ وأُمَّنِّي عليك ثرَّة ، ثمَّ غلبتني عيني فمتم ، فبينما أنا نائم وإذا برجل يوقظني ، فانتبهت فرأيت معه قدحاً من خشب وفيه ثريد وسمن ولحم وأفوايه ، فقال لي : كُلْ ، فقلت له : من أين هذا ؟ فقال : إنَّ صغاري لهم ثلاثة أيام يتمنون هذا الطَّعام ، فلمَّا كان اليوم فتح الله لي بشيء عملت به هذا ، ثمَّ نمت فرأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم وهو يقول : إنَّ أحد إخوانك تمنى على هذا الطَّعام فأطعمه منه .

وسمعت الشَّيخ أبا عبد الله مُحَمَّد بن أبي الأمان ، يقول : كنت بمدينة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلف محراب فاطمة رضي الله تعالى عنها ، وكان الشَّريف مكثراً القاسمي قائماً خلف المحراب المذكور ، فانتبه فجاء إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعاد علينا متبسماً ، فقال له شمس الدِّين صواب خادم الصَّريح النَّبوي : فيم تبسَّمت ؟ فقال : كانت بي فاقة ، فخرجت من بيتي فأتيت بيت فاطمة رضي الله تعالى عنها ، فاستغثت بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقلت : إني جائع ، فمتم فرأيت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعطاني قدح لبن فشربت حتى رويت ، وهذا هو فبصق اللبن من فيه في كَفِّي ، وشاهدناه من فيه .

وسمعت عبد الله بن الحسن الدِّمياطي ، يقول : حكى لي الشَّيخ الصَّالح عبد القادر التَّنيسي بثغر دمياط ، قال : كنت أمشي على قاعدة الفقير ، فدخلت إلى مدينة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسلَّمت على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشكوت له ضرري من الجوع ، واشتهيت عليه الطَّعام من البر واللحم والتَّمْر ، وتقدَّمت بعد الزَّيارة للرَّوضة فصلَّيت فيها ، وبتُّ فيها ، فإذا شخص يوقظني من النَّوم ، فانتبهت ومضيت معه ، وكان شاباً جميلاً خلقاً وخلفاً ، فقدم إليَّ جفنة ترديد وعليها شاة وأطباق من أنواع التَّمْر صيحاني وغيره وخبزاً كثيراً من جملة خبز أقراص سوق النَّبِق ، فأكلت فملاً لي جراي لحمًا وخبزاً وتَمراً ، وقال : كنت نائماً بعد صلاة الضُّحى فرأيت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام وأمرني أن أفعل لك هذا ، ودلَّني عليك ، وعرفني مكانك بالرَّوضة ، وقال لي : إنَّك اشتهيت هذا وأردته .

وسمعت صديقي علي بن إبراهيم البوصيري ، يقول : سمعت عبد السَّلام بن أبي القاسم الصَّقلي ، يقول : حدَّثني رجل ثقة نسي اسمه ، قال : كنت بمدينة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يكن لي شيء ، فضعفت ، فأتيت إلى الحجره وقلت : يا سيِّد الأوَّلِين والآخِرِين ، أنا رجل من أهل مصر ولي خمسة أشهر في جوارك ، وقد ضعفت ، فقلت : أسأل الله وأسألك يا رسول الله أن يسخر لي من يشعني أو يخرجني ، ثمَّ دعوت عند الحجره بدعوات ، وجلست عند المنبر فإذا برجل قد دخل الحجره فوقف يتكلَّم بكلام ، ويقول : يا جدَّاه يا جدَّاه ، ثمَّ جاء إليَّ وقبض على يدي وقال لي : فَمُ ، فمتم وصحبته ، فخرج بي من باب جبريل ، وعدا إلى البقيع وخرج منه فإذا

بخيمة مزروبة وجارية وعبد ، فقال لها : قوما فاصنعوا لضيفكما عيشه ، فقام العبد وجمع الحطب وأوقد النار ، وقامت الجارية وطحنت وصنعت ملة ، وشاغلني بالحديث حتى أتت الجارية بالملة فقسمها نصفين وأتت الجارية بعكّة فيها سمن فصبّ على الملة ، وأتت بتمر صيحاني فصنعها جيّداً ، وقال لي : كُلْ ، فأكلت شيئاً قليلاً ، فصدرت ، فقال لي : كُلْ ، فأكلت ، ثمّ قال لي : كُلْ ، فقلت : يا سيّدي لي أشهر لم أكل فيها حنطة ، ولا أريد شيئاً ، فأخذ النّصف الثّاني وضّمّ ما فضل منّي من الملة وأتى بمزود وصاعين من تمر فوضعها في المزود ، وقال لي : ما اسمك ؟ فقلت : فلان ، فقال : بالله عليك لا تعد تشكو إلى جدّي فإنّه يعزّ عليه ذلك ، ومن السّاعة متى جعت يأتيك رزقك حتى يسبب الله لك من يخرجك ، وقال للغلام : خذه وأوصله إلى حجرة جدّي ، فغدوت مع الغلام إلى البقيع ، فقلت له : ارجع قد وصلت ، فقال : يا سيّدي والله الأحد ما أقدر أفارقك حتى أوصلك إلى الحجرة لئلاّ يُعلم النبيّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيّدي بذلك ، فأوصلني إلى الحجرة ، وودّعني ورجع ، فمكنت أكل من الذي أعطاني أربعة أيّام ، ثمّ جعت بعد ذلك ، فإذا بالغلام قد أتاني بطعام ، ثمّ لم أزل كذلك كلّما جعت أتاني بطعام حتى سبّب الله لي جماعة خرجت معهم إلى ينبع .

وروى ابن النّعمان أيضاً بسنده إلى أبي العبّاس بن نفيس المقرئ الصّريّ قال : جُعْتُ بالمدينة ثلاثة أيّام ، فجنّت إلى القبر ، وقلت : يا رسول الله ، جُعْتُ ، ثمّ نمت ضعيفاً ، فركضتني جارية برجلها ، فقامت إليها ، فقالت : أعزم ، فقامت معها إلى دارها ، فقَدّمت إليّ خبز برّ وتمرّاً وسمناً ، وقالت : كُلْ يا أبا العبّاس ، قد أمرني بهذا جدي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومتى جعت فأْتِ إلينا .

قال أبو سليمان داود في مصنّفه في الزّيارة بعد روايته لذلك كله : أنّه قد وقع في كثير مما ذكر وأمثاله أنّ الذي يأمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك إنّما يكون من الدّرّة الشّريفة ، لا سيّما إذا كان المتناول طعاماً ؛ لأنّ من تمام جميل أخلاق الكرام إذا سئلوا القرى البداءة بأنفسهم ، ثمّ بمن يكون منهم ، فاقتضى خلقه الكريم أن إعطاء سائل القرى يكون منه ومن ذريّته الكريمة .

قلت : والحكايات في هذا الباب كثيرة ، بل وقع لي شيء منها : أني كنت بالمسجد النبويّ عند قدوم الحاج المصريّ للزّيارة ، وفي يدي مفتاح الخلوة التي فيها كتبني بالمسجد : فمرّ بي بعض علماء المصريين ممّن كان يقرأ على بعض مشايخي ، فسألته عليه ، فسألني أن أمشي معه إلى الرّوضة الشّريفة وأقف معه بين يدي النبيّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ففعلت ، ثمّ رجعت فلم أجد المفتاح ، وتطلّبت في الأماكن التي مشيت إليها فلم أجده ، وشقّ عليّ ذهابه في ذلك الوقت الضيق مع حاجتي إليه ، فجنّت إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقلت : يا

سيدي يا رسول الله، ذهب مفتاح الخلوة ، وأنا محتاج إليه وأريده من بابك ، ثم رجعت فرأيت شخصاً قاصداً الخلوة ، فظننته بعض من أعرفه ، فمشيت إليه ، فلم أجده إيّاه ، ووجدت صغيراً لا أعرفه بقرب الخلوة بيده المفتاح ، فقلت له : من أين لك هذا ؟ فقال : وجدته عند الوجه الشريف ، فأخذته منه .

ومن هذا النوع ما اتفق لي في سكناي تلك الخلوة في ابتداء الأمر وغير ذلك مما يطول ذكره .

وأنشدت مرة بين يديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قضية أوديت فيها قصيدة أولها :

يضام بحيككم يا عرب رامه نزيل أنتم صرتم مرامه  
بحقكم وذاك أجل حق له انتصروا فأنتم من تهامه

وهي طويلة تزيد على ستين بيتاً ، ومنها :

له حرم به كرم مفضاض	لساكنه فقد حاز الكرامه
به قد صار عندكم نزيلاً	ويرجو نصركم فيها أضامه
جواركم عدت فيه الأعادي	عليه إذ رأوا منه الإقامه
بحضرتكم فلا يبغي انتقالاً	ولكن قد أطال لها التزامه
وكادوه بما لم يخف عنكم	ليقصوا عن عراصكم خيامه
فأنجز لي رسول الله نصري	لتهنأ لي بذا الحرم الإقامه
ويكبت من عداتي شامتوهم	وتعظم في قلوبهم الندامه
فقد أمّلت جاهك يا ملاذي	لذا ولكل هول في القيامه
وحاشا أن تحيب لي رجاء	وأنت الغوث من عرب برامه
كريم إن أضيم له نزيل	فنصر الله يقدمه أمامه
ومن عاداته نصره نصري وجبري	وعادة مثله أبداً مدامه

فرايت عقب ذلك مناماً يؤذن بالنصر العظيم ، ثم رأيت في اليقظة ، والله الحمد والمنّة .

وقال الفقيه أبو محمد الإشبيلي في مؤلفه في فضل الحج : أنه نزل برجل من أهل غرناطة علّة عجز عنها الأطباء وأيسوا من برتها ، فكتب عنه الوزير أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال كتاباً إلى النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأله فيه الشفاء لدائه والبرء مما نزل به ، وضمّنه شعراً ، وهو :

كتاب وقيد من زمانه مستشف  
بقبر رسول الله أحمد يستشفى

فلم يستطع إلا الإشارة بالكف  
وقد عاقه عن ظعنه عائق الضعف  
حياة صدق تفعم الركب بالعرف  
دعاء مهيض خاشع القلب والطرف  
وقد أخلص النجوى وأيقن بالعطف  
ليصدر داعيه بها جلاء من كشف  
خطاه عن الصف المقدم في الرحف  
بقدره من يجيي العظام ومن يشفي  
لصرف خطوب لا تريم إلى صرف  
وما يقتضيه من مزيد ومن ضعف

لقد قدم قد قيد الدهر خطوها  
ولمأ رأى الزوار يتدرونه  
بكى أسفاً واستودع الركب إذ غدا  
فيا خاتم الرسل الشفيح لربسه  
عتيقك عبد الله ناداك ضارعا  
رجاك لضرر أعجز الناس كشفه  
لرجل رمى فيها الزمان فقصرت  
وإني لأرجو أن تعود سوية  
فأنت الذي نرجو حيا وميتا  
عليك سلام الله عدة خلقه

قال : فما هو إلا أن وصل الركب إلى المدينة ، وقرئ على قبر النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الشعر ،  
وبرأ الرجل في مكانه ، فلما قدم الذي استودعه إياه وجده كأنه لم يصبه ضرر قط " (١) .

وقال الإمام محمد بن محمد بن أحمد الغزال الدمشقي ، بدر الدين ، الشهير بسبط المارديني (٩١٢هـ) : " أدام  
الله بهجته ، وحرس للأنام مهجته بمحمد وآله " (٢) .

وقال الإمام محمد بن قاسم بن محمد بن ، أبو عبد الله ، شمس الدين الغزي ، ويعرف باين قاسم وبابن  
الغرايبي (٩١٨هـ) : " ... ونسأل الله الكريم المنان الموت على الإسلام والإيمان بجاه سيد المرسلين ، وخاتم النبيين  
" (٣) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي (٩١٩هـ) : "  
عرفنا الله خيرته وبركته بجاه سيدنا محمد النبي الأمين سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين ، صَلَّى اللهُ  
وَسَلَّمَ عَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْمُتَخَبِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (٤) .

(١) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٤/٢٠٠-٢٠٥ باختصار) .

(٢) انظر : شرح الفصول المهمة في موارث الأئمة (٢/٧٨٧) .

(٣) انظر : فتح القريب المجيب في شرح الفاظ التقريب (ص ٣٥٠) .

(٤) انظر : شفاء الغليل في حل مقفل خليل (٢/١١٧٣) .

وقال الإمام زين الدّين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدّين خليل بن شاهين الظّاهري الملطّي ثمّ القاهري الحنفيّ (٩٢٠هـ) : " ... رحمه الله ، وتغمّده الله بالرّحمة والرّضوان ، وأسكنه فسيح الجنان ، بجاه سيّدنا محمّد أمين " (١) .

وقال الإمام إبراهيم بن موسى بن أبي بكر ابن الشّيح علي الطرابلسي ، الحنفي (٩٢٢هـ) : " نسأل الله الثّبات على الدّين والموت على الإسلام ، بجاه النّبي محمّد عليه أفضل الصّلاة وأتمّ السّلام وعلى آله وأصحابه الأئمّة العظام البرره الكرام والحمد لله على التّمام " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبّاس ، شهاب الدّين (٩٢٣هـ) : " وعن الحسن البصري قال: وقف حاتم الأصمّ على قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا ربّ ، إنا زرنا قبر نبيّك فلا تردّنا خائبين ، فنودي: يا هذا ، ما أدنا لك في زيارة قبر حبيبنا إلّا وقد قبلناك ، فارجع أنت ومن معك من الزوّار مغفوراً لكم " (٣) .

وقال الإمام أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (٩٢٣هـ) : " ... وينبغي للزّائر أن يكثر من الدّعاء والتّضرّع والاستغاثة والتّشفّع والتّوسّل به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجديرٌ بمن استشفّع به أن يشفّعه الله تعالى فيه .

واعلم أنّ الاستغاثة هي طلب الغوث ، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث منه ، فلا فرق بين أن يعبر بلفظ : الاستغاثة أو التّوسّل أو التّشفّع أو التّجوّه أو التّوجّه ، لأنّها من الجاه والوجهة ، ومعناه : علوّ القدر والمنزلة .

وقد يتوسّل بصاحب الجاه إلى من هو أعلى منه ، ثمّ إنّ كلا من الاستغاثة والتّوسّل والتّشفّع والتّوجّه بالنّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما ذكره في " تحقيق النّصرة " و " مصباح الظّلام " - واقع في كلّ حال ، قبل خلقه وبعد خلقه ، في مدّة حياته في الدّنيا وبعد موته في مدّة البرزخ ، وبعد البعث في عرصات القيامة (٤) .

(١) انظر : نيل الأمل في ذيل الدول (٩/٥) .

(٢) انظر : الإسعاف في أحكام الأوقاف (ص ١٤٥) .

(٣) انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢٠٠/١٢) .

(٤) انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٦٠٤-٦٠٥/٣) .

وقال الإمام أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العباس ، شهاب الدين (٩٢٣هـ) : " وأما التَّوَسُّلُ به - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء وفي كتاب " مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام " للشيخ أبي عبد الله بن النُّعْمَانِ طرف من ذلك .

ولقد كان حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء ، وأقمت به سنين ، فاستعثت به - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله شرفاً ، ومنَّ عليَّ بالعود في عافية بلا محنة ، فيبينا أنا نائم إذ جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه : هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوي ، ثم استيقظت فلم أجد بي - والله - شيئاً مما كنت أجد ، وحصل الشفاء ببركة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

ووقع لي أيضاً في سنة خمس وثمانين وثمانمائة في طريق مكة ، بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر ، أن صرعت خادمنا غزال الحبشية ، واستمر بها أياماً ، فاستشفعت به - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في ذلك ، فأتاني آت في منامي ، ومعه الجنى الصارع لها ، فقال : لقد أرسله لك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فعاتبته وحلفته أن لا يعود إليها ، ثم استيقظت وليس بها قلبه كأنها نشطت من عقل ، ولا زالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة سنة أربع وتسعين وثمانمائة ، والحمد لله رب العالمين " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العباس ، شهاب الدين (٩٢٣هـ) أثناء حديثه عن زيارة قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "... ويجدد التوبة في حضرته الكريمة ، ويسأل الله بجاهه أن يجعلها توبة نصوحاً ، ويكثر من الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويردّ عليه " (٢) .

وقال الإمام زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدين أبو يحيى السنيكي (٩٢٦هـ) : " تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جنانه ، بمحمد وآله وعترته وأصحابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمين " (٣) .

(١) انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/٦٠٦-٦٠٧) .

(٢) انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/٥٩٨) .

(٣) انظر : الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (ص ٦٣) .

وقال الإمام زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدين أبو يحيى السنيكي أيضاً : " تَعَمَّدهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ وَنَفَعَنَا وَالْمُسْلِمِينَ بِرِكَتِهِ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ " (١) .

وقال الإمام زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدين أبو يحيى السنيكي أيضاً : " وَأَحَلَّ كُلاًّ مِنْهُمَا أَعْلَى الْفِرْدَوْسِ وَالرُّضْوَانِ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْكِرَامِ " (٢) .

وقال الإمام زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدين أبو يحيى السنيكي أيضاً : " ... ثُمَّ وَقَفَ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ ، مُسْتَقْبِلَ رَأْسِ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ ، وَيَبْعُدُ مِنْهُ نَحْوَ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ ، نَاطِرًا لِأَسْفَلَ مَا يَسْتَقْبِلُهُ فَارَعَ الْقَلْبَ مِنْ عِلْقِ الدُّنْيَا ، وَيَسْلَمُ بِلا رَفْعِ صَوْتٍ وَقَلْبُهُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ يَتَأَخَّرُ صَوْبَ يَمِينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ فَيُسَلِّمُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ يَتَأَخَّرُ قَدْرَ ذِرَاعٍ فَيَسْلَمُ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَوْفِعِهِ الْأَوَّلِ قِبَالَتهِ وَجْهَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَتَوَسَّلُ بِهِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ ... " (٣) .

وقال الإمام زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدين أبو يحيى السنيكي (٩٢٦هـ) أيضاً : " مَنَّ اللهُ بِوَجُودِهِ الْأَنَامَ ، وَحَرَسَهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ ، بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَشْرَفِ الْأَنَامِ ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْبُرَّةِ الْكِرَامِ " (٤) .

وقال الإمام محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي ، الشهير بـ " بَحْرَق " (٩٣٠هـ) : " متوسِّلاً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِصَاحِبِ الْحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ خَيْرِ الْأَنَامِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ " (٥) .

وقال الإمام أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي (٩٣٨هـ) : " ... لَطْفَ اللَّهِ بِهِ وَنَفْعَ الْجَمِيعِ بِجَاهِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدِ الشَّفِيعِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً " (٦) .

(١) انظر : الغرر البهية في شرح البهجة الوردية (٢/١) .

(٢) انظر : الغرر البهية في شرح البهجة الوردية (٥/٣٣٤) .

(٣) انظر : فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب (هو شرح للمؤلف على كتابه هو منهج الطلاب الذي اختصره المؤلف من منهج الطالبين للنووي) (١٧٦/١) .

(٤) انظر : المقصد لتلخيص ما في المرشد (ص٨) ، مطبوع بهامش منار الهدى في بيان الوقف والابتدا (١١٠٠هـ) .

(٥) انظر : حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار (ص٥٠) .

(٦) انظر : ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي (ص١٣٧) .

وقال الإمام أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي : " ... وتجعلنا من المتبعين لآثارهم بجاه أكرم الخلق عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً " (١) .

وقال الإمام أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي : " ... ولطف بِالْجَمِيعِ بجاه سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً " (٢) .

وقال الإمام علي بن خلف المنوفي المالكي المصري أبو الحسن المالكي (٨٩٣٩هـ) : " ... والله سبحانه وتعالى المسؤول أن يوفقنا للإقبال على امتثال مأموراته ، والإحجام عن ارتكاب محظوراته ، ويلهمنا ما يقرب من أجره وثوابه ، ويباعدنا من سخطه وعقابه بمحمد وآله وصحبه وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين " (٣) .

وقال الإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامي (٨٩٤٢هـ) : " اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ ، وَنَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَحْسِنَ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا " (٤) .

وقال الإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامي (٨٩٤٢هـ) أيضاً : " جماع أبواب التَّوَسُّلِ به - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

الباب الأوَّل : في مشروعية التَّوَسُّلِ به - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى الله تبارك وتعالى : قال الإمام الشُّبكي - رحمه الله تعالى - : أعلم أَنَّ الاستعانة والتَّشْفُعَ بالنَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبجَاهِهِ وبركته إلى رَبِّهِ تبارك وتعالى من فعل الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسير السلف الصالحين واقع في كُلِّ حال ، قبل خلقه وبعد خلقه ، في مدة حياته الدُّنْيَوِيَّةِ ، ومدة البرزخ ، وبعد البعث وعرصات القيامة ، وذلك ممَّا قام الإجماع عليه وتواترت به الأخبار ، وإذا جاز السُّؤال بالأعمال كما في حديث الغار الصَّحِيح ، وهي مخلوقة ، فالسُّؤال بالنَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أولى ، وفي العادة أَنَّ من له عند شخص قدر يتوسَّل به إليه في غيبته ، فإنَّه يجب إكراماً للمتوسَّل به ، وقد يكون ذكر المحبوب أو المعظَّم سبباً للإجابة ، ولا فرق في هذا بين التَّعبير بالتَّوَسُّل ، أو الاستعانة ، أو

(١) انظر : ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي (ص ٢٠٥) .

(٢) انظر : ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي (ص ٣١٧) .

(٣) انظر : كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني (٢/ ٦٧٨) .

(٤) انظر : سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٤٠٨) .

لتشفع أو السُّجود ، ومعناه : التَّوَجُّه بذي الحاجة ، وقد يتوجّه بمن له جاه إلى من هو أعلى منه ، وكيف لا يتشفع ويتوسَّل بمن له المقام المحمود والجاه عند مولاه ، بل يجوز التَّوسُّل بسائر الصَّالحين ، كما قاله السُّبكي " (١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحمن الطَّرابلسي المغربي ، المعروف بالخطاب الرَّعيني المالكي (٨٩٥٤هـ) : " ... وَسُئِلَ الشَّيْخُ عِمَادُ الدِّينِ بِنُ الْعَطَّارِ (٧٢٤هـ) ، تَلْمِيذُ النَّوَوِيِّ - رَحِمَهُمَا اللهُ : هَلْ تَجُوزُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَإِهْدَاءُ الثَّوَابِ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَمَرْنَا اللهُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَحَثَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ وَأَمَرْنَا بِسُؤَالِ الْوَسِيلَةِ وَالسُّؤَالِ بِجَاهِهِ " (٢) .

وجاء في فتاوى الإمام شهاب الدِّين أحمد بن حمزة الأنصاري الرَّملي الشَّافعي (٨٥٧هـ) : " (سُئِلَ) عَمَّا يَبْعُ مِنَ الْعَامَّةِ مِنْ قَوْلِهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ : يَا شَيْخُ فُلَانٌ ، يَا رَسُولَ اللهِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْإِسْتِغَاثَةِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، فَهَلْ ذَلِكَ جَائِزٌ أَمْ لَا ؟ وَهَلْ لِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمَشَائِخِ إِغَاثَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ، وَمَاذَا يُرْجَى ذَلِكَ ؟

(فَأَجَابَ) بِأَنَّ الْإِسْتِغَاثَةَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ جَائِزَةٌ ، وَلِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ إِغَاثَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ؛ لِأَنَّ مُعْجِزَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ لَا تَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِمْ . أَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَلَا تَهْمُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ وَيُحْجُونَ ، كَمَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ ، وَتَكُونُ الْإِغَاثَةُ مِنْهُمْ مُعْجِزَةً لَهُمْ . وَالشُّهَدَاءُ أَيْضًا أَحْيَاءٌ شَوْهَدُوا تَهَارًا جِهَارًا يُقَاتِلُونَ الْكُفَّارَ .

وَأَمَّا الْأَوْلِيَاءُ فَهِيَ كَرَامَةٌ لَهُمْ فَإِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ عَلَى أَنَّهُ يَبْعُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ بِقَصْدٍ وَبِغَيْرِ قَصْدٍ أُمُورٌ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ ، يُجْرِيهَا اللهُ تَعَالَى بِسَبَبِهِمْ ، وَالِدَلِيلِ عَلَى جَوَازِهَا : أَنَّهَا أُمُورٌ مُمَكِّنَةٌ ، لَا يَلْزَمُ مِنْ جَوَازِ وَقُوعِهَا مُحَالٌ ، وَكُلُّ مَا هَذَا شَأْنُهُ فَهُوَ جَائِزٌ الْوُقُوعِ ، وَعَلَى الْوُقُوعِ : قِصَّةُ مَرِيَمَ وَرِزْقُهَا الْآتِي مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَى مَا نَطَقَ بِهِ التَّنْزِيلُ ، وَقِصَّةُ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَضْيَافُهُ كَمَا فِي الصَّحِيحِ ... " (٣) .

(١) انظر : سبيل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/٤٠٣) .

(٢) انظر : مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، شمس الدِّين أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحمن الطَّرابلسي المغربي ، المعروف بالخطاب الرَّعيني المالكي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(٣) انظر : فتاوى الرملي (٤/٣٨٢) .

وقال الإمام موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصّالحي، شرف الدّين، أبو النّجا (٩٦٨هـ): "ولا بأس بالتوسّل بالصالحين" (١).

وقال الإمام طاش كبري زادة (٩٦٨هـ) عن الشّيخ العارف بالله قره جه أحمد: "... أتى بلاد الرّوم وتوطن في موضع قريب من اقحصار، وقبره هناك مشهور يُتبرك به ويُزار، ويُستجاب عنده الدّعاء، ويستشفى به المريض، وذلك مشهور في بلادنا عند الخواص والعوام، قدّس الله سرّه" (٢).

وقال الإمام طاش كبري زادة (٩٦٨هـ): "... اللهمّ ارحمه وارحم والدي كما ربّاني صغيراً، واجمع بيني وبينها في مستقرّ رحمتك، بحرمة نبيّك محمّد صلّى الله عليه وسلّم".

وقال أيضاً: "وارحم والديّ كما ربّاني صغيراً، واجمع بيني وبين والدي بلطفك، إنك مولى الإجابة، في مستقرّ رحمتك يا رحمن يا رحيم بحرمة نبيّك الكريم" (٣).

وقال الإمام زين الدّين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (٩٧٠هـ): "وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُتَوَسِّلاً إِلَيْهِ بِمَنْ صَلَاتُهُ عَلَيْهِ تَتَوَالَى أَنْ يُلْهِمَنِي الصَّوَابَ" (٤).

وقال الإمام زين الدّين بن إبراهيم بن محمّد، المعروف بابن نجيم المصري (٩٧٠هـ): "... قَالَ الرَّمْلِيُّ أَمَّا النِّسَاءُ إِذَا أَرَدْنَ زِيَارَةَ الْقُبُورِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ لِتَجْدِيدِ الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ وَالنَّدْبِ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُنَّ فَلَا تُجُوزُ لَهُنَّ الزِّيَارَةُ، وَعَلَيْهِ حُجْلُ الْحَدِيثِ "لَعَنَ اللَّهُ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ"، وَإِنْ كَانَ لِإِلَاعْتِبَارِ وَالتَّرْحُمِ وَالتَّبَرُّكِ بِزِيَارَةِ قُبُورِ الصَّالِحِينَ فَلَا بَأْسَ إِذَا كُنَّ عَجَائِزَ وَيُكْرَهُ إِذَا كُنَّ شَوَابَّ كَحُضُورِ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسَاجِدِ" (٥).

وقال الإمام أحمد بن محمّد بن علي بن حجر الهيتمي السّعدي الأنصاري، شهاب الدّين شيخ الإسلام، أبو العبّاس (٩٧٣هـ) داعياً: "... ختم الله لنا ولمن رأى في هذا الكتاب بالسّعادة والخير ورفعنا وإياهم في الجنّة إلى

(١) انظر: الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (٢٠٨/١).

(٢) انظر: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية (١٢/١).

(٣) انظر: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية (٢٣٣/١)، (٣١٤/١)، بالترتيب.

(٤) انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٣/١)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري، وبالْحاشية وبالْحاشية: منحة الخالق لابن عابدين.

(٥) انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٢/٢١٠)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري، وبالْحاشية: منحة الخالق لابن عابدين.

المقام الأسنى ، بجاه سيّد الأوّلين والآخريين ، من له علينا وعليهم الفضل والمنّة ، ومن له في الآخرة المقام المحمود في الجنّة ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشَرَّفَ ومجَّد وكرَّم وعظَّم " (١) .

وذكر الإمام أحمد بن محمّد بن علي بن حجر الهيتمي السّعدى الأنصارى ، شهاب الدّين شيخ الإسلام ، أبو العبّاس (٩٧٣هـ) في كتابه " الصّواعق " ، بيتين للإمام الشّافعى يتوسّل بهما بأل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهما :

آل النَّبِيِّ ذَرِيَّتِي \_\_\_\_\_ عَتِي  
وهم إِلَيْهِ وَسِيَّتِي \_\_\_\_\_ لَتِي  
أَرْجُو بِهِمُ أَعْطَى عَدَا  
بيدي الْيَمِينِ صَحِيحِي \_\_\_\_\_ فَتِي (٢)

وقال أيضاً : " أَتَابَكُمُ اللهُ الْجَنَّةَ وَفَسَّحَ فِي مُدَّتِكُمْ بِبَلَدِهِ الْحَرَامِ جَمِيعَ الْمَرَامِ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ " (٣) .

وقال أيضاً : " سائلاً من ذي الجلال والإكرام بجاه من جعلت هذا خدمة لجنابه الرّفيع : أن يتقبّله مني بفضله ، ويجعله متكفلاً لي بجميع ما أوّمله من جوده الواسع " (٤) .

وقال أيضاً : " لَا زِلْتُمْ مَصَابِيحَ الظُّلَامِ وَهُدَاةَ الْأَنْامِ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ " (٥) .

وقال الإمام علاء الدّين علي بن حسام الدّين ابن قاضي خان القادري الشّاذلي الهندي البرهانفوري ثمّ المدني فالمكي الشّهير بالمتقي الهندي (٩٧٥هـ) : " إذا شجاك شيطان أو سلطان فقل : يا من يكفي من كلّ أحد ، يا أحد من لا أحد له ، يا سند من لا سند له ، انقطع الرّجاء إلّا منك ، ففني ممّا أنا فيه ، وأعني على ما أنا عليه ، ممّا قد نزل بي ، بجاه وجهك الكريم ، وبحقّ محمّد عليك أمين " . الدّيلمي عن عمر وعلي معاً " (٦) .

(١) انظر : تحفة الزوار إلى قبر النّبي المختار (ص ٢١٠) .

(٢) انظر : الصّواعق المحرقة على أهل الرّفص والضلال والزندقة (٢/ ٥٢٤-٥٢٥) .

(٣) انظر : الفتاوى الفقهيّة الكبرى (٣/ ٨٤) .

(٤) انظر : الدر المنضود في الصّلاة والسّلام على صاحب المقام المحمود (ص ٣٤) .

(٥) انظر : الفتاوى الفقهيّة الكبرى (٤/ ٢٠١) .

(٦) انظر : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (٢/ ١٢٠) .

وقال الإمام شمس الدين ، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (٩٧٧هـ) : " ... فإذا سألت الله فاسأله الفردوس ، اللهم بجاه محمد صلى الله عليه وسلم أن تجعلنا ووالدينا وأحبابنا من أهله " (١) .  
وقال أيضاً : " لا زال ملحوظاً بعين العناية الإلهية ، موفقاً لسائر الآراء الخيرية محفوظ الجنب ، مقصود الأعتاب ، مسروراً بسائر الأنجال بجاه خاتم رسل ذي الجلال " (٢) .  
وقال أيضاً : " متوسلاً إليه بسيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، وبالتوبة المخصصة للآثام " .  
وقال أيضاً : " جمعني الله وإياهم والمسلمين في مستقر رحمة بمحمد وآله وصحابه " .  
وقال أيضاً : " جعلنا الله تعالى من الفائزين بها بمحمد وآله ، وفعل ذلك بوالدينا وأحبابنا " .  
وقال أيضاً : " جعلنا الله تعالى وأحبابنا معهم بمحمد وآله " .  
وقال أيضاً : " نسأل الله الكريم الفتح أن يوفقنا للعمل الصالح ، وأن يفعل ذلك بأهلينا وذريتنا ومحبينا بمحمد وآله " .

وقال الإمام شمس الدين ، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي : " خاتمة : سُئِلَ الشَّيْخُ عَزَّ الدِّينَ هَلْ يُكْرَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ بِعَظِيمٍ مِنْ خَلْقِهِ كَالنَّبِيِّ وَالْمَلِكِ وَالْوَلِيِّ؟ فَأَجَابَ : بِأَنَّهُ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ عَلَّمَ بَعْضَ النَّاسِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ الْإِنْحِ ، فَإِنْ صَحَّ فَيَبْغِي أَنْ يَكُونَ مَقْصُوراً عَلَيْهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِأَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، وَلَا يُقْسَمُ عَلَى اللَّهِ بغيرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا فِي دَرَجَتِهِ ، وَيَكُونُ هَذَا مِنْ خَوَاصِّهِ . اهـ . وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ لَا يُكْرَهُ بَشْيٍ مِنْ ذَلِكَ " .  
وقال أيضاً : " فَاسْأَلِ اللَّهَ الْكَرِيمَ الَّذِي بِهِ الضَّرُّ وَالنَّفْعُ ، وَمِنْهُ الْإِعْطَاءُ وَالْمَنْعُ ، أَنْ يَجْعَلَهُ لِيُوجِّهَهُ خَالِصاً ، وَأَنْ يَتَدَارَكَنِي بِالطَّافِهِ إِذَا الظُّلُّ أَضْحَى فِي الْقِيَامَةِ قَالِصاً ، وَأَنْ يُخَفِّفَ عَنِّي كُلَّ تَعَبٍ وَمُؤَنَةٍ ، وَأَنْ يَمُدَّنِي بِحُسْنِ الْمُعُونَةِ ، وَأَنْ يَرْحَمَ صَغْفِي كَمَا عَلِمَهُ ، وَأَنْ يَحْشُرَنِي فِي زُمْرَةِ مَنْ رَحِمَهُ ، أَنَا وَوَالِدِي ، وَأَوْلَادِي ، وَأَقَارِبِي ، وَمَسَائِحِي ، وَأَحْبَابِي ، وَأَحِبَّائِي ، وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ " (٣) .

(١) انظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٥٧٢ / ٢) .

(٢) انظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٦١٩ / ٤) ، (٦١٨ / ٤) ، (٣ / ١) ، (١٩٢ / ٢) ، (١٠٢ / ٣) ، (١٢٥ / ٣) بالترتيب .

(٣) انظر : مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٣٩٥ / ١) ، (٥٢٤ / ٦) .

وقال الإمام عبد الباسط بن موسى بن محمد بن إسماعيل العلوي ثم الموقت الدمشقي الشافعي (٩٨١هـ) : " علّقه مختصراً لنفسه ، ثمّ لمن شاء الله من بعده ، المفتقر إلى رحمة ربّه القوي ، عبد الباسط بن موسى العلوي ، ثمّ الموقت الواعظ بالجامع الأموي ، لطف الله به بجاه النبيّ المصطفوي " (١) .  
وقال الإمام أحمد بن قاسم العبادي (٩٩٢هـ) : " طيّب الله تراه ، وجعل الجنة مثواه ، بجاه سيدنا محمد خير أنبيائه " (٢) .

وقال الإمام شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (١٠٠٤هـ) : " ... والله أسأل وبنبيّه أتوسّل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، موجباً للفوز بجنّات النعيم " (٣) .  
وقال الإمام شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي : " ... شيخ الإسلام بلا نزاع وبركّة الأنام بلا دفاع القطب الربانيّ والعالم الصمدانيّ محيي الدين النوويّ ، تعدّده الله برحمته ، ونفعنا والمسلمين ببركته بجاه محمد وآله وعترته ... " (٤) .  
وقال الإمام تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي (١٠١٠هـ) في ترجمة تغري برمش ، سيف الدين الجلالي ، الناصري ثمّ المؤيدي (٨٥٢هـ) : " وقد مدحه محمد بن حسن بن علي النواجي ، بقصيدة فريدة ، منها :

ويا ربّ فاحرسه بجاه محمد وأيده بالمؤمن من حادث الدهر (٥)

وقال الإمام تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي (١٠١٠هـ) ناقلاً كلام الإمام أبو حنيفة في وصيته للقاضي أبي يوسف : " ... وأكثر من زيارة القبور والمشايخ والمواضع المباركة . واقل من العامّة ما يقصون عليك من رؤياهم للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ورؤيا الصّالحين في المنازل ، والمساجد ، والمقابر ... " (٦) .

(١) انظر : العقد التليد في اختصار الدر النضيد (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) (ص ٢٨٨) .

(٢) انظر : حاشية الإمام أحمد بن قاسم العبادي على تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٤٢٩/١٠) .

(٣) انظر : غاية البيان شرح زيد بن رسلان (٢/١) ، (٥/٤٨١) .

(٤) انظر : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (١٠/١) .

(٥) انظر : الطبقات السننية في تراجم الحنفية (ص ٢٠٠) .

(٦) انظر : الطبقات السننية في تراجم الحنفية (ص ٥٣) .

وقال الإمام أبو السعد زين الدين منصور بن أبي النصر بن محمد الطَّبَّلاوي ، سبط ناصر الدين محمد بن سالم (١٠١٤هـ) : " وَاللهُ الْمُوفِقُ لِلصَّوَابِ وَالسَّدَادِ ، وَتَرْجُو مِنْ كَرَمِهِ وَفَضْلِهِ تَبْيِضُ وَجُوهُنَا يَوْمَ الْمَعَادِ ، وَأَنْ يُؤْمِنَ فَرَعْنَا يَوْمَ التَّنَادِ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلَ الْعِبَادِ وَالْعِبَادِ " (١) .

وقال الإمام علي بن سلطان محمد ، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) : " وَقِيلَ : أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَشْفِعُ بِهِ عِنْدَ الْجُدْبِ فَتَمَطَّرَ السَّمَاءَ ، فَأَمَرَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - بِكَشْفِ قَبْرِهِ مُبَالَغَةً فِي الْإِسْتِشْفَاعِ بِهِ ، فَلَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ حِجَابٌ " (٢) .

وقال الإمام علي بن سلطان محمد ، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري : " قَالَ شَيْخٌ مَشَاحِنًا عَلَامَةً الْعُلَمَاءِ الْمُتَبَحَّرِينَ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدَ الْجَزْرِيِّ فِي مُقَدِّمَةِ شَرْحِهِ لِلْمَصَابِيحِ الْمَسْمُومَةِ بِتَصْحِيحِ الْمَصَابِيحِ : إِنِّي زُرْتُ قَبْرَهُ بِنَيْسَابُورَ ، وَقَرَأْتُ بَعْضَ صَحِيحِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّيْمَنِ ، وَالتَّبَرُّكِ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَرَأَيْتُ آثَارَ الْبَرَكَةِ ، وَرَجَاءَ الْإِجَابَةِ فِي تَرْبَتِهِ " (٣) .

وَأَلَّفَ الإمام نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي الشافعي (١٠٢٢هـ) كتاباً سماه : " بَغِيَّةُ ذَوِي الْأَحْلَامِ بِأَخْبَارِ مَنْ فُرِّجَ كَرْبُهُ بِرُؤْيَةِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْمَنَامِ " ، مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم : (٣٦/٣) ، (٣٣٣٥) ، (٦٣ مجاميع) .

وقال الإمام زين الدين محمد المدعو بعبد الرَّؤُوفِ بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثم المناوي القاهري (١٠٣١هـ) : " وَاللهُ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَهَا وَيَرْحَمَ مُؤَلَّفَهَا بِالدرجاتِ العلى فِي الْجَنَانِ بِجَاهِ سَيِّدِي وَوَلَدِ عَدْنَانَ " (٤) .

وقال الإمام زين الدين محمد المدعو بعبد الرَّؤُوفِ بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثم المناوي القاهري أيضاً : " ... قَالَ عَبْدُ الْحَقِّ فِي الْعَاقِبَةِ : فَيَنْدُبُ لَوْلِي الْمَيْتِ أَنْ يَقْصِدَ بِهِ قُبُورَ الصَّالِحِينَ ، وَمَدَافِنِ أَهْلِ الْخَيْرِ ، فَيَدْفِنُهُ مَعَهُمْ وَيَنْزِلُهُ بِإِزَائِهِمْ وَيَسْكُنُهُ فِي جَوَارِهِمْ تَبْرَكَاً وَتَوْسِلاً " (٥) .

(١) انظر : كتاب الشمعة المضية بنشر قراءات السبعة المرضية (٦٧٩/٢) .

(٢) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٨٣٩/٩) .

(٣) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٩/١) .

(٤) انظر : التوقيف على مهمات التعاريف (ص ١٣) .

(٥) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢٢٩/١) .

وقال الإمام زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (١٠٣١هـ) أيضاً: " قال ابن عبد السلام: ينبغي كون هذا مقصوداً على النبي، لأنه سيّد ولد آدم، وأن لا يقسم على الله غيره من الأنبياء والملائكة والأولياء، لأنهم ليسوا في درجته، وأن يكون مما خصّ به تنبيهاً على علو رتبته وسمو مرتبته. قال السُّبكي: ويحسن التَّوَسُّلُ والاستعانة والتشفع بالنبي إلى ربه، ولم ينكر ذلك أحد من السلف ولا من الخلف، حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك، وعدل عن الصراط المستقيم، وابتدع ما لم يقله عالم قبله، وصار بين أهل الإسلام مثله " (١).

وقال الإمام زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري أيضاً: " كان أصحاب أرسطو كلّما أشكل عليهم بحث غامض ذهبوا إلى قبره وبحثوا فيه عنده فيفتح لهم وسره أن نفس الزائر والمزور شبيهان بمرأتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من إحدهما إلى الأخرى، فكلمًا حصل في نفس الزائر الحي من المعارف والعلوم والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله والرّضى بقضائه ينعكس معه نور ذلك الإنسان الميت، وكلمًا حصل في نفس الميت من العلوم المشرقة ينعكس منها نور إلى روح هذا الزائر الحي " (٢).

وقال الإمام زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري أيضاً: " أدام الله على أرجائها أحكامه ونشر على هام الحافقين اعلامه حافظاً له ولا نجاله الكرام لا سيما توفيقه البدر التمام بجاه محمد خاتم الرُّسل الكرام " (٣).

وقال الإمام زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري أيضاً: " فإذا وقف إنسان على قبر إنسان قوي النفس، كامل الجوهر، شديد التأثير، حصل بين النفسين ملاقة روحانيّة، وبهذا الطريق تصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى، والبهجة العظمية لروح الزائر والمزور، ويحصل لهما من السلام والردّ غاية السُرور، وهذا هو السبب الأصلي في مشروعية الزيارة.

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير (١٣٤/٢).

(٢) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير (٤٨٧/٥).

(٣) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير (٥١٠/٢).

وفي العاقبة لعبد الحق عن الفخر التبريزي : أنه كان يشكل عليه مسائل فيطيل الفكر فيها ويبدل الجهد في حلها ، فلا تنجلي حتى يذهب لقبر شيخه التاج التبريزي ، ويجلس بين يديه كما كان في حياته ، ويفكر فيها ، فتنجلي سريعاً ، قال : جرّبت ذلك مراراً " (١) .

وقال الإمام أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التكروري ، التنبكتي (١٠٣٦هـ) : " ختم الله تعالى له بالحسنى بجاه سيّد الأولين والآخرين " (٢) .

وقال الإمام أبو المواهب بن محمد بن علي البكري الصديقي المصري الشافعي (١٠٣٧هـ) :  
 بجاه رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلُ مُرْسَلٍ      ترى الأسد في الغابات من خوفه صرعى  
 عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ      وَأَصْحَابِهِ وَالْآلَ أَجْمَعَهُمْ جَمْعًا (٢)

وقال الإمام محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيذرُوس (١٠٣٨هـ) : " كَانَ الشَّرِيفِ الحُسَيْنِ يَنْظُرُ  
 إِلَيَّ ثُمَّ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى سَيِّدِي الشَّيْخِ وَيَقُولُ القُطْبُ أَنْتَ الْأَكْمَلُ القُطْبُ أَنْتَ الْأَكْمَلُ يَكْررها لِيَحقق مَا كَانَ قَالَهُ  
 لِي فِي المَنَامِ فِي حَالَةِ ذُهُولِهِ ، وَمِنْ شعْرِهِ ... هَذِهِ الوَسِيلَةُ العَظِيمَةُ وَهِيَ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْنًا وَمَدَدًا	أَنْتُمْ الوَالِدِ وَالْعَبْدِ وَلَدِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي جَاهِكَ مَا	يَبْلُغُ القَاصِدِ أَقْصَى مَا قَصَدَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِي عَتَدَ	غَيْرَ حَبِّكَ وَيَا نَعْمَ العَتَدَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ قَوْمِ أَوْدَى	فَلَكُمْ قَوْمَتِ بِالسِّدِّينِ أَوْدَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مِنْ نَظْرَةٍ	تَصْلُحُ القَلْبَ سَرِيعًا وَالجَسَدَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مِنْ جَذْبَةٍ	تَجْذِبُ العَبْدَ إِلَى النِّهْجِ الجَدِّدِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مِنْ عَطْفَةٍ	تَعْطِفُ العَبْدَ إِلَى طَرِيقِ الرِّشْدِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مِنْ نَفْحَةٍ	مِنْكَ تَأْتِي وَمَنْ الفَرْدِ الصَّمْدِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْ لِي شَافِعًا	أَنْتَ وَاللَّهِ شَفِيعًا لَأُتْرَدَ

(١) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (٤٨٧/٥) .

(٢) انظر : نيل الابتهاج بتطريز الديباج (١٠٨/٢) .

(٣) انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١٤٧/١) .

أَيُّ رَبِّي تَسْمَعُ الْقَوْلَ مَقْد  
 قَالَ ذُو الْعَرْشِ لَهُ أَسْجَدَ فَسَجَدَ  
 صَاحِبِ السَّجْدَةِ وَالْقَوْلِ الْأَسَدِ  
 حِجَّةَ اللَّهِ عَلَيَّ كُلِّ أَحَدٍ  
 كُلِّ مَخْلُوقٍ عَلَى بَرِّ الْأَبَدِ  
 فَهُوَ الْجَوْهَرُ وَالْخَالِقُ زَبَدِ  
 يَعْبُزُ الْعَدَّ فَلَا يُحْصَى عَدَدُ  
 فِيهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ بَدَدُ  
 وَاخْتِصَاصَاتٍ بِمَعْنَاهَا أَنْفَرَدُ  
 يَوْمَ لَا وَالِدَ يُغْنِي عَنِّي وَوَلَدُ  
 مِنْ هُمُومٍ وَكُرُوبٍ وَشُدُودِ  
 مَا رَأَى الْكَرْبَ إِلَّا وَشَرْدُ  
 أَنْتَ بَعْدَ اللَّهِ نَعْمَ الْمُعْتَمَدُ  
 أَكْرَمَ الْخَلْقِ إِلَيَّ الْمُسْتَنْدُ  
 فَاجْرِنِي بِقَبُولِ وَمَدَدِ  
 الْعَقْوِ وَالْغُفْرَانِ وَالرِّزْقِ الرَّغْدِ  
 كُلِّ كَدٍّ وَبَلَاءٍ وَنَكَدِ  
 وَاخْتِمْ الْعُمُرَ بِخَيْرٍ إِنْ نَفَدِ  
 قَدْ دَنَا مِنْهُمْ إِلَيْنَا وَابْتَعَدِ  
 لِرَسُولِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَمَدِ  
 قَامَ لِلدِّينِ بِنَصْرِ وَاجْتِهَادِ (١)

يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تَسْمَعُنِي  
 أَنَا بِاللَّهِ وَبِالْوَجْهِ الَّذِي  
 سَيِّدَ الرُّسُلِ خَتَامَ الْأَنْبِيَاءِ  
 أَصْلَ مَبْدَأِ الْكَوْنِ بِلِغَايَتِهِ  
 رَحْمَةَ اللَّهِ الَّتِي عَمَّ بِهَا  
 صِفْوَةَ اللَّهِ مِنَ الْخَلْقِ مَعَا  
 الَّذِي قَدْ خَصَّصَهُ اللَّهُ بِهَا  
 كَلِمًا فِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ شَرَفٍ ضَمِ  
 وَقَدْ زِيدَ عَلَيْهِمْ شَرَفًا  
 مِنْ لِيَوْمِ الْجُمُعِ إِلَّا أَحْمَدُ  
 يَنْقُذُ النَّاسَ بِسَجْدَاتٍ لَعْنُهُ  
 يَا مَجْلِي الْكَرْبِ الشُّوْدِ أَغْثِ  
 يَا مَلِيحَ الْوَجْهِ يَا خَيْرَ السُّورِ  
 يَا عَظِيمَ الْجَاهِ وَالْفَضْلِ وَيَا  
 مَدْحَتِي نَحْوِكَ قَدْ أَهْدَيْتَهَا  
 وَاسْأَلِ الرَّحْمَنَ لِي مِنْ فَضْلِهِ  
 رَبِّ جَنِينَا بِجَاهِ الْمُضْطَفَى  
 وَأَفْضِ حَاجَاتِي وَأَصْلِحْ عَمَلِي  
 وَكَذَلِكَ الْأَلَّ وَالْأَصْحَابِ مِنْ  
 وَصَلَاةِ اللَّهِ مَعَ تَسْلِيمِهِ  
 وَكَذَلِكَ الْأَلَّ وَالْأَصْحَابِ مِنْ

وقال الإمام محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيديرُوس (١٠٣٨هـ) :

(١) انظر : النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص ٢٨-٢٩) .

يَا رَبِّ وَأَخْتِمْ لِي بِخَيْرِ إِنِّي مُتَوَسِّلٌ بِالْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى (١)

وقال الإمام محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العبدُرُوس (١٠٣٨هـ): " في فجر يوم الأحد شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وتسعمائة توفي الشيخ إمام شيخ الإسلام العلامة ذو التصانيف المفيدة والفتاوي السديدة المجمع على جلالته وتحريه وورعه اقضى فضاءه المسلمين أوجد عباد الله الصالحين صفي الدين أبو السرور القاضي أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن القاضي يوسف بن محمد بن علي بن محمد بن حسان بن الملك سيف بن ذي يزن المدحجي السيفي المرادي شهاب الدين الشهير بالمزجد بميم مضمومة ثم زاء مفتوحة ثم جيم مُشددة مفتوحة ودال مُهملة آخر الحروف الشافعي الزبيدي ... قال :

وثق بجمع ما فيه فإني  
إلهي اجعله لي ذخرًا وضاعف  
وجد بقبوله واجعل جزائي  
بجاه محمد خير البرايا  
وصل مسلماً أبداً عليهِ

منحت العلم فيهِ مستفيدة  
ثوابي من عطاياك الحميدة  
رضاك وجنة الخلد المشيدة  
وتنقذهم عن الكرب الشديدة  
وعم جميع عترته السعيدة (٢)

(٢)

وقال الإمام محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العبدُرُوس (١٠٣٨هـ) نقلاً عن الإمام محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي الشافعي المصري (٩٩٣هـ) في لاميته الشهيرة :

ما أرسل الرحمن أو يرسل  
في ملكوت الله أو ملكه  
إلا وطه المصطفى عبده  
واسطة فيها وأصل لها  
فلذ به في كل ما ترجي  
وعذ به من كل ما تختشي  
وحط أحمال الرجا عنده

من رحمة تصعد أو تنزل  
من كل ما يختص أو يشمل  
نبيّه مختاره المرسل  
يعلم هذا كل من يعقل  
فهو شفيح دائماً يقبل  
فإنه المأمّن والمعقل  
فإنه المرجع والموئل

(١) انظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص ١٥).

(٢) انظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص ١٢٧-١٢٨).

أظفَارَهَا واستحکم المعضل  
يا خيرَ مَنْ فيهم به يُسأل  
فَرَجَّتْ كراباً بعضُه يُذهل  
لِشِدَّةِ أقسوى ولا أحمل  
برتبةٍ عنها العُلى تَنزُلُ  
فإن توقفتَ فَمَنْ أسأل  
ولست أدري ما الذي أفعَل  
أتاه من غيرك لا يدخل  
زهرَ الرّواي نسمه شمأل  
وضاع منه النَّدُّ والمنْدُلُ  
ساجعةٌ أمْلُوْدُها مُحضُلُ (١)

ونادوه إن أزمته أنشبت  
يا أكرمَ الخلقِ على ربّه  
قد مسني الكربُ وكم مرّة  
ولن ترى أعجزَ مني فما  
فبالذي خصصك بين الوري  
عجلُ بإذهاب الذي أشتكى  
فحيلتي ضاقت وصبري انقضى  
فأنت بابُ الله أيّ امري  
صلّى الله عليك ما صافحت  
مُسَلِّماً ما فاح عطرُ الحمى  
والآلِ والأصحاب ما غرّدت

وقال الإمام أبو محمّد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري، المعروف بابن عاشر (١٠٤٠هـ):

... بجاه سيّد الأنام " (٢) .

وقال الإمام شهاب الدّين أحمد بن محمّد بن أحمد بن يحيى ، أبو العبّاس المقرئ التلمساني (١٠٤١هـ):

والله يسمح لنا ولهما بجاه النّبي " (٣) .

وقال الإمام شهاب الدّين أحمد بن محمّد بن أحمد بن يحيى، أبو العبّاس المقرئ التلمساني أيضاً: " نسأل الله

بجاه هذا النّبي الشّرف القدر العظيم المزية أن يعتقنا من النّار ويجيرنا في الدّنيا والآخرة من كل مصيبة ورزية "

(٤) .

(١) انظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص ٣٧٤) .

(٢) انظر: المرشد المعين على الضروري من علوم الدّين (٢/٣٠٠) .

(٣) انظر: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (١/٢٢٤) .

(٤) انظر: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٢/٢٥٢) .

وقال الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقرئ التلمساني أيضاً: " ونسأل الله تعالى حسن الختام ، وأن يدفع عن قلوبنا القتام ، بجاه سيّدنا ومولانا محمّد المصطفى خير الأنام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جعلنا مديحه مسك الختام " (١) .

وقال الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقرئ التلمساني أيضاً: " ... نسأله سبحانه أن يبسرّ علينا كرم الله وجهه مرام ، ويتغمّد بالعفو ما ارتكبناه من إصرار وإجرام ، بجاه أشرف الخلق ، ووسيلتهم إلى الحقّ ، سيّدنا محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم ، عليه من الله أفضل صلوات " (٢) .  
 وقال الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقرئ التلمساني أيضاً ناقلاً عن الفقيه أبي زكريّا يحيى بن منصور التّونسي :

والله أسأل رحمة لجميعنا ودخولنا فيمن بجاه وشرفه

متوسّلين بأحمد خير الوري صَلَّى عليه الله ما نطقت شفّه (٣)

وقال الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني أيضاً: " على أنني أقول : اللهم يسّر لي ما فيه الخيرة لي بالمشارك أو بالمغرب ، وجد لي من فضلك حيث حللت بجميع ما فيه رضاك من المآرب ، بجاه نبينا وشفيعنا المبعوث رحمة للأحمر والأسود والأعاجم والأعارب ، عليه أفضل صلاة وأزكى سلام ، وعلى آله وأصحابه الأعلام " (٤) .

وقال الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني أيضاً: " ... نعوذ بالله من شرّ أنفسنا ومن شرّ كلّ ذي شرّ ، بجاه نبينا عليه أزكى صلوات الله وأفضل سلامه " (٥) .

وقال الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني أيضاً:

والله نرجو أن يتبيح الختما بالخير كي نعطي القبول حتما

بجاه خير العالمين أحمدًا صَلَّى عليه الله ما طال المدى (٦)

(١) انظر : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٢/٣٩٢) .

(٢) انظر : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٣/١٩) .

(٣) انظر : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٣/٣٠١) .

(٤) انظر : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (١/٣٢) .

(٥) انظر : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (١/٦٠٣) .

وقال الإمام شهاب الدّين أحمد بن محمّد المقرئ التلمساني أيضاً :

ألبسه الله البرود الصّافيه من منّه وعفوه والعافيه  
 بجاه سيّد البرايا طراً ملجأ من إلى الكروب اضطرّاً (١)

وقال الإمام شهاب الدّين أحمد بن محمّد المقرئ التلمساني أيضاً :

فالله يجزيه الجزء الأوفى في يوم تبدي الأنبياء الخوفا  
 وخطّ هذا المقرئ من وجل مرتجياً من ربّه عزّ وجلّ  
 كشف كروبٍ عقد صبرٍ حلّت منه وغفران ذنوبٍ جلّت  
 بجاه طه الهاشميّ أحمداً عليه أزكى صلواتٍ سرمداً (٢)

وقال الإمام شهاب الدّين أحمد بن محمّد المقرئ التلمساني أيضاً :

وخطّ هذا المقرئ عن عجل مؤملاً من ربه عزّ وجلّ  
 غفران ما جنى من الذنوب والصّفح عن معرّة العيوب  
 بجاه خير العالمين أحمداً صلّى عليه الله دأباً سرمداً (٣)

وقال الإمام شهاب الدّين أحمد بن محمّد المقرئ التلمساني أيضاً : " وأن يحرسه من غير الليل والنّهار ،

ويجعله وارث الأعمار ، بجاه نبينا محمّد المختار " (٤) .

وقال الإمام شهاب الدّين أحمد بن محمّد المقرئ التلمساني أيضاً :

يا أحمد المقرئ دامت بشرك تصحبها الرّعايه  
 بجاه خير العباد طراً والآل والصحب والنّقايه (٥)

(١) انظر : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب (٢/٤٢٦) .

(٢) انظر : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب (٢/٤٣٢) .

(٣) انظر : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب (٢/٤٣٤) .

(٤) انظر : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب (٢/٤٣٩) .

(٥) انظر : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب (٢/٤٥٧) .

(٦) انظر : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب (٢/٤٨٢) .

وقال الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: "أثابه الله تعالى هذه الشهادة بجاه نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشرف وكرم ومجد وعظم" (١).

وقال الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني أيضاً:

فما لي إلا الله أرجوه دائماً ولا سيما عند اقتراب مني

فنسأل ربِّي في وفاي مؤمناً بجاه رسول الله خير البرية (٢)

وقال الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني أيضاً: "... عند نزول طاغية النصارى بمرج

غرناطة أعادها الله تعالى للإسلام بجاه النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام" (٣).

وقال الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني أيضاً: "قال حاشد البغدادي في صاعد اللغوي

، وكان صاعد ينشدهما ويكي ويقول: ما هجيت بشيء أشد عليّ منها:

أقبل هديت أبا العلاء نصيحتي بقبولها وبواجب الشكر

لا تهجـونَ أسنَّ منك فرباً تهجو أباك وأنت لا تدري

نعوذ بالله من لسان الشعراء ، وأنواع البلاء ، بجاه نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (٤).

وقال الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني أيضاً في ترجمة الحاج أبو العباس أحمد ابن عاشر

الصالح (٧٦٥هـ): "والنَّاسُ يشدُّونَ الرِّحالَ إليه من أقطار المغرب ، نفعنا الله تعالى به ، وأعاد علينا من بركاته ،

بجاه نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (٥).

وقال الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني أيضاً: "والله سبحانه وتعالى ينفع به ، بجاه

سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه" (٦).

(١) انظر: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (٢/٦٢٦).

(٢) انظر: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (٢/٦٩٦).

(٣) انظر: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (٢/٧٠٤) ، وانظر: أزهار الرياض في أخبار القاضي

عياض التلمساني ، (٣/٣١٩).

(٤) انظر: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (٣/٩٧).

(٥) انظر: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (٥/٣٥٥).

(٦) انظر: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، (٥/٦٠٥).

وقال الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني أيضاً: " وفي علم الله تعالى ما لا نعلم ، والتسليم لأحكام الأقدار أسلم ، والله تعالى يجتهد لنا بالحسنى بجاه نبيه ومصطفاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (١) .

وقال الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني أيضاً: " اللهم يسر لي ما فيه الخيرة لي بالمشارك أو بالمغرب ، وجُد لي من فضلك حيث حللت بجميع ما فيه رضاك من المآرب ، بجاه نبينا وشفيعنا " .

وقال أيضاً: " نعوذ بالله من شرِّ أنفسنا ومن شرِّ كلِّ ذي شرِّ ، بجاه نبينا عليه أذكى صلوات الله وأفضل سلامه " .

وقال أيضاً: " وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذه المصيبة خاتمة ، ولا يريه بعدها إلا دولة قائمة ونعمة دائمة ، وأن يجرسه من غير الليل والنهار ، ويجعله وارث الأعمار " .

وقال أيضاً: " بجاه نبينا محمد المختار ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه الأطهار ، بمنه وكرمه " .

وقال أيضاً: " أثابه الله تعالى بهذه الشهادة ، بجاه نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشرف وكرم ومجد وعظم " .

وقال أيضاً: " نعوذ بالله من لسان الشعراء ، وأنواع البلاء ، بجاه نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال أيضاً: " نفعنا الله تعالى به ، وأعاد علينا من بركاته ، بجاه نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٢) .

وقال .....: " ولا بأس بالتوسُّل بالصالحين ونصه في منسكه الذي كتبه للمروذي أنه يتوسَّل بالنبِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه ، وجزم به في " المستوعب " ، وغيره " (٣) .

وقال أيضاً: " وَقَالَ السَّامِرِيُّ ، وَصَاحِبُ التَّلْخِيصِ : لَا بَأْسَ بِالتَّوَسُّلِ فِي الإِسْتِسْقَاءِ بِالشُّيُوخِ وَالْعُلَمَاءِ الْمُتَّقِينَ ، وَقَالَ فِي المَذْهَبِ : يُجُوزُ أَنْ يُسْتَشْفَعَ إِلَى اللهِ بِرَجُلٍ صَالِحٍ ، وَقِيلَ : يُسْتَحَبُّ قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرُوذِيِّ أَنَّهُ يَتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ فِي دُعَائِهِ وَجَزَمَ بِهِ فِي المُسْتَوْعَبِ وَغَيْرِهِ " (٤) .

(١) انظر: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (١٣٥/٧) .

(٢) انظر: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (١/٣٢) ، (١/٦٠٣) ، (٢/٤٥٧) ، (٢/٦٢٦) ، (٣/٩٧) ، (٥/٣٥٥) بالترتيب .

(٣) انظر: كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/٧٣) .

(٤) انظر: كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/٦٨) .

وقال أيضاً: " فأنثه " يزوي عن العنبي (هـ ٢٢٨)، قال: كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وقد جئتكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذُنُوبِي، مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي، ثم أنشأ يقول:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طِبْهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكْمُ  
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثم انصرف الأعرابي، فحملتني عيني، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال: يا عنبي الحق الأعرابي، فبسرته أن الله تعالى قد غفر له" (١).

وقال أيضاً: " (و) أبيع (التوسل بالصالحين) رجاء الإجابة واستسقى عمر بالعباس، ومعاوية يزيد بن الأسود. واستسقى به الضحاك بن قيس مرة أخرى ذكره الموفق" (٢).

قال الإمام محمد بن علان الصديقي الشافعي (هـ ١٠٥٧): " لأن التوسل به سيرة السلف الصالح الأنبياء والأولياء وغيرهم" (٣).

وألّف الإمام محمد بن علي بن علان الصديقي المكي (هـ ١٠٥٧) أيضاً كتاباً بعنوان: " المبرد المبكي في ردّ الصّارم المنكي ".

وقال الإمام مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (هـ ١٠٦٧): "... ويحمي أعراضنا عن ناره، الموقدة بحرمة أمين وحيه" (٤).

وقال الإمام حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي (هـ ١٠٦٩): " نسأل الله من فضله العفو والعافية، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم" (٥).

(١) انظر: كشف القناع عن متن الإقناع (٥١٦/٢).

(٢) انظر: دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات (٣٣٥/١).

(٣) انظر: الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٣٦-٣٥/٥).

(٤) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢٠٥٤/٢).

(٥) انظر: مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح، حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي، (٢٠٦/١).

وقال أيضاً: " روى سعيد بن منصور وسمرة ابن حبيب وحكيم بن عمير قالوا: إذا سُوي على الميت قبره وانصرف النَّاسُ ، كانوا يستحبُّون أن يقال للميت عند قبره : يا فلان ، قل لا إله إلا الله ، ثلاث مرات ، يا فلان : قل ربِّي الله وديني الإسلام ، ونبيي مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، اللهمَّ أُنِّي أتوسَّل إليك بحبيبك المصطفى أن ترحم فاقتي بالموت على الإسلام والإيمان ، وأن تشفِّع فينا نبيِّك عليه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام ... " (١) .

وقال أيضاً: " ... وصلى الله على سيِّدنا ومولانا مُحَمَّد خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه وذريته ومن والاه ، ونسأل الله سبحانه متوسِّلين إليه بالنبي المصطفى الرَّحيم أن يجعله وشرحه ومختصره هذا عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به " (٢) .

وقال أيضاً: " وفقنا الله تعالى بفضلته ، ومنَّ علينا بالعود على أحسن حال إليه ، بجاه سيِّدنا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٣) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن مُحَمَّد بن عمر الخفاجي (١٠٦٩هـ) : " وأنا الآن منتظرٌ لألطف ربِّي ، وهو في كلِّ الأمور حسبي ، أن يُعيدني لجواره ، واجتلاء نُور حبيبه ومختاره ، به إليه متوسِّلاً ، وفي نيل رجائي متوكِّلاً لا متأكِّلاً " (٤) .

وقال أيضاً: " جمع الله لنا خيري الدنيا والآخرة ، بجاه المصطفى الأمين ، آمين " (٥) .

وقال أيضاً: " اللهمَّ كما يسَّرت هذا الإتمام يسر لنا حسن الاختتام ، بجاه نبيك عليه أفضل صلاة وسلام وعلى آله وصحبه الكرام " (٦) .

وقال أيضاً: " جعلنا الله ممَّن يُدعى لتلك الأبواب من غير حساب ولا عقاب بجاه سيِّدنا ونبيِّنا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى جميع الأهل والأصحاب " (٧) .

(١) انظر: مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (١/٢١٢) .

(٢) انظر: مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (ص٢٦٩) .

(٣) انظر: مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (١/٢٨٢) .

(٤) انظر: ربحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا (ص٣٨١) .

(٥) انظر: ربحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا (ص٤٤٨) .

(٦) انظر: حاشية الشَّهابِ عَلَى تفسِيرِ البَيْضاوي، المُسْتَأة: عناية القَاضي وكفاية الرَّاظي عَلَى تفسِيرِ البَيْضاوي (٦/٤٠٤) .

(٧) انظر: حاشية الشَّهابِ عَلَى تفسِيرِ البَيْضاوي، المُسْتَأة: عناية القَاضي وكفاية الرَّاظي عَلَى تفسِيرِ البَيْضاوي (٧/٢٣٠) .

وقال أيضاً: " اللهم اجعلنا ممن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، بجاه أكرم الرُّسل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه أجمعين " (١) .

وقال أيضاً: " اللهم إني أسألك بجاه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زكاة نفسي وتقواها فأنت وليها ومولاها " (٢) .

وقال الشيخ العلامة محمد أحمد الخطيب الشوبري الشافعي (١٠٦٩هـ) في الجواب على سؤال ورد إليه عن كرامات الأولياء والاستغاثة بهم بعد الوفاة: " ... ويجوز التوسُّل بهم - يعنى الأولياء - إلى الله تعالى والاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والعلماء والصالحين بعد موتهم ؛ لأنَّ معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء لا فارق بينهما إلاَّ التحدي ، أمَّا الأنبياء فلاَّتَّهم أحياء في قبورهم يصلُّون ويحجُّون ، كما وردت به الأخبار الصحيحة ، فتكون الإغاثة بهم معجزة لهم ، والشهداء أحياء أيضاً عند ربِّهم بالنصِّ القرآني ، وشهدوا جهاراً يقاتلون الكفَّار ، أمَّا الأولياء فهي كرامة لهم ، فإنَّ أهل الحق على أنَّه يقع للأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم ، والدليل على جوازها : أنَّها أمور ممكنة ، لا يلزم من جوازها ووقوعها محال أصلاً ، وكلُّ ما هذا شأنه فهو ممكن الوقوع " (٣) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة الفاسي المالكي (١٠٧٢هـ) : " ... تتوسَّل إليك بجاه أحبِّ الخلق " (٤) .

وقال أيضاً: " ... أبقى الله وجوده كهفناً للإسلام ، وجلاءً لغياب الظلام ، وأعانه على ما هو بصدد من إخماد الكفرة ونصرة الإسلام ، وكبت أعدائه بجاه سيِّدنا محمد عليه أفضل الصلوة وأزكى السَّلام " (٥) .  
 وقال أيضاً: " فأسأل النَّفْعَ بِهِ على الدَّوامِ مِنْ رَبِّنا بِجَاهِ سيِّد الأنامِ " (٦) .

(١) انظر : حاشية الشَّهابِ على تفسير البيضاوي ، المُسنَّاة : عناية القاضي وكفاية الرَّاظي على تفسير البيضاوي (٤٥٤/٧) .

(٢) انظر : حاشية الشَّهابِ على تفسير البيضاوي ، المُسنَّاة : عناية القاضي وكفاية الرَّاظي على تفسير البيضاوي (٣٦٦/٧) .

(٣) انظر : سعادة الدارين في الردِّ على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية (٢٢٨-٢٢٩) .

(٤) انظر : كتاب الدر الثمين والمورد المعين (٣٠٢/٢) .

(٥) انظر : الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين) (ص٨) .

(٦) انظر : الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين) (ص٥٩٩) .

وقال أيضاً: " ... ثمَّ طلب من الله تعالى النَّفْعَ بهذا النَّظْمِ على الدَّوامِ والاستمرارِ متوسِّلاً في نيل ذلك بجاه أي بقدر سيِّد الأنام ... اللهمَّ إِنَّا نتوسَّلُ إليك بجاه أحبِّ الخلق إليك ، وأعظمهم قدراً عندك ، سيِّدنا ونبينا محمَّدَ وبجاه جميع الأنبياء والرُّسل وأهل بدر وجميع الأولياء والصدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين أن لا تدع لنا ذنباً إلاَّ غفرته ولا همماً إلاَّ فرَّجته ... " (١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن سليمان المدعو بشيخي زاده ، يعرف بداماد أفندي (١٠٧٨هـ) : " أَصْلَحَهُمْ اللهُ تَعَالَى وَإِيَّانَا بِجَاهِ نَبِيِّهِ " (٢) .

وجاء في حاشية أبي الضياء نور الدِّين بن علي الشُّبراملسي الأتھري (١٠٨٧هـ) : " ... حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ سُوءٍ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " ، وقال : وَأَسْأَلُهُ الْإِعَانَةَ عَلَى الْإِتِّمَامِ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَمِصْبَاحِ الظُّلَامِ " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد الحِصْنِي المعروف بعلاء الدِّين الحِصْنِي الحنفي (١٠٨٨هـ) : " فنسأل الله تعالى التَّوْفِيقَ والقَبولَ ، بجاه الرَّسول " (٤) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العُكْرِي الحنبلي ، أبو الفلاح (١٠٨٩هـ) في ترجمة الحافظ تقي الدِّين عبد الرَّحيم بن الشَّيْخِ محب الدِّين محمَّد الأوجاني المصري الشَّافعي (٩١٠هـ) : " وقال في مرضه الذي مات فيه :

لَمَّا مَرَضْتُ مِنَ الذُّنُوبِ وَثَقَلَهَا وَأَيْسَتْ مِنْ طَبِّ الطَّبِيبِ النَّافِعِ  
عَلَّقْتُ أَطْمَاعِي بِرَحْمَةِ سَيِّدِي وَأَتَيْتَهُ مُتَوَسِّلاً بِالشَّافِعِيِّ (٥)

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العُكْرِي الحنبلي ، أبو الفلاح (١٠٨٩هـ) ، عن علي بن حميد أبو الحسن الذَّهلي : " ... وقبره يُزار ويُتبرَّكُ به " (٦) .

(١) انظر : الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين) (ص ٦٠٠) .

(٢) انظر : مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (١/ ٥٠١) .

(٣) انظر : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (٥/ ٣٢٣) .

(٤) انظر : الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار (١/ ١٦) .

(٥) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٦٧) .

(٦) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥/ ٢٢٤) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي ، أبو الفلاح في ترجمة تقي الدين أبو بكر بن محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن أبي بكر البلاطيسي الشافعي الحافظ ، شيخ مشايخ الإسلام : " قال الشيخ يونس العيثاوي - وهو تلميذه - : هو من بيت صلاح وعلم ، سمعت مدحه بذلك من السيد كمال الدين بن حمزة ، ودخل دمشق في طلب العلم ، وأخذ عن علمائها المشار إليهم ، ثم استوطنها ، ولم يتناول من أوقافها شيئاً ، وكان يجلس في البادرائية ، وأرسل إليه بأموال ووظائف فلم يقبل .

وكان عالماً ، عاملاً ، ورعاً ، كاملاً ، له مهابة في قلوب الفقهاء والحكام ، يرجع إليه في المشكلات ، لا يتردد إلى أحد لغناه ، وله همّة مع الطلبة ، ونصيحة واعتناء بالعلم ، أمّاراً بالمعروف ، نهّاء عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، لا يدهن في الحق ، له حالة مع الله تعالى ، يستغاث بدعائه ، ويتبرك بلحظه ، قائماً بنصرة الشريعة ، حاملاً لواء الإسلام ، مجدداً في العبادة ، مجانباً للرّياء ، لا يجب أن يمدحه أحد ، يحتّم القرآن في كل يوم جمعة ، ويحتّم في شهر رمضان كل ليلة ختمتين " (١) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي الدمشقي : " وأهل بغداد يستسقون بقبره ويسمونه تريقاً مجرباً ، قال مرة لتلميذه السري السقطي : إذا كانت له إذا كانت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي " (٢) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي ، أبو الفلاح أيضاً ، في ترجمة السيد أحمد البخاري العارف بالله تعالى الشريف الحسيني : " ... وتوفي بقسطنطينية ، ودُفن عند مسجده ، وقبره يُزار ويُتبرك به " (٣) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي ، أبو الفلاح : " قال الشيخ يونس العيثاوي - وهو تلميذه - : هو من بيت صلاح وعلم ، سمعت مدحه بذلك من السيد كمال الدين بن حمزة ، ودخل دمشق في طلب العلم ، وأخذ عن علمائها المشار إليهم ، ثم استوطنها ، ولم يتناول من أوقافها شيئاً . وكان يجلس في البادرائية . وأرسل إليه بأموال ووظائف فلم يقبل .

(١) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/٢٩٨) .

(٢) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/٣٥٣) .

(٣) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/١٥٢) .

وفي حوادث سنة ست وثلاثين وتسعمائة ، قال الإمام ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ) : " ... وفيها تقيي الدين أبو بكر بن محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن أبي بكر البلاطيسي الشافعي الحافظ ، شيخ مشايخ الإسلام ، العلامة المحقق ، الناقد المجتهد . وكان عالماً ، عاملاً ، ورعاً ، كاملاً ، له مهابة في قلوب الفقهاء والحكام ، يرجع إليه في المشكلات ، لا يتردد إلى أحد لغناه ، وله همّة مع الطلبة ، ونصيحة واعتناء بالعلم ، أمّاراً بالمعروف ، نهّاء عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، لا يُدهن في الحقّ ، له حالة مع الله تعالى ، يُستغاث بدعائه ، ويُتبرك بلحظه ... " (١) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي ، في ترجمة صبح بن أحمد الحافظ أبو الفضل التميمي الأحنفي الهمداني السمسار (٣٨٤هـ) : " ... والدُّعاء عند قبره مستجاب " .  
وقال أيضاً في ترجمة أبي بكر أحمد بن علي بن أحمد الهمداني (٣٩٨هـ) : " والدُّعاء عند قبره مستجاب " .  
وقال أيضاً في ترجمة الملك العادل أبو القسم محمود بن زنكي (٥٩٧هـ) : " وروى أن الدُّعاء عند قبره مستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة سيف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن أبي الفوارس القيُمري (٦٥٣هـ) : " والدُّعاء عند قبره مستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة الشَّيخ أبو بكر بن داود الصالح (٨٠٦هـ) : " والدُّعاء عند قبره مستجاب " (٢) .  
وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي ، أبو الفلاح في ترجمة علي بن حميد أبو الحسن الدّهلي إمام جامع همدان : " وقبره يزار ويتبرك به " (٣) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي ، أبو الفلاح : " وإلى ذلك أشار الشَّيخ العارف الصِّديقي أبو محمّد ، المقرئ المعروف والده بالمدوّخ في " وسيلته الجامعة " ، فقال :

بجاه عدّي ذلك ابن مسافر به تسكن الأمواج في لجج البحر  
وإن قلته لئيت لم يخط خطوة ولا الشبر من قاع ولا البعض من شبر (٤)

(١) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٢٩٨/١٠) .

(٢) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠٩/٣) (١٥٠/٣) ، (٢٧٨/٤) ، (٢٦٠/٥) ، (٥٧/٧) .

(٣) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٢٢٤/٥) .

(٤) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣٠٠/٦) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي ، أبو الفلاح في ترجمة أحمد البخاري العارف بالله تعالى الشريف الحسيني : " وتوفي بقسطنطينية ، ودفن عند مسجده ، وقبره يُزار ويُتبرَّك به " (١) .  
 وقال الإمام عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن أحمد البغدادي (١٠٩٣هـ) : " ... وَيَسِرُ لَهُ النَّصْرُ الْمَتِينُ ، وَسَهْلٌ لَهُ الْفَتْحُ الْمُمِينُ ، بِجَاهِ حَبِيْبِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ آمِينَ " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشبي المالكي الخرشبي (١١٠١هـ) : " ... نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِجَاهِ الْحَبِيبِ أَنْ تُبَلِّغَ الْمَقْصِدَ عَنْ قَرِيبٍ فَإِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ " (٣) .

وقال الإمام الحسن بن مسعود بن محمد ، أبو علي ، نور الدين اليوسي (١١٠٢هـ) : " نسأل الله سبحانه أن يكمل ذلك لنا وله ولسائر الأحياء بالفوز يوم الحشر والرضوان الأكبر ، بجاه نبيّه المصطفى المبعوث إلى الأسود والأحمر ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمَجْلِينَ فِي كُلِّ مَفْخَرٍ " (٤) .

وقال الإمام محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحببي في حديثه عن موسى القليلبي الأزهري : " فَمَا اخْتَرْتَهُ مِنْ شَعْرِهِ الْمَعْسُولِ ، هَذِهِ الْقِطْعَةُ مِنْ مَوْشِحٍ قَالَهُ فِي التَّوَسُّلِ بِجَاهِ الرَّسُولِ :

الرَّسُولُ الْمُتَّقَى مَن مَّضَى مَهْبُطُ الْأَسْرَارِ  
 الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الْمُتَّصِي صَاحِبُ الْمَقْدَارِ  
 شَاهِرُ السَّيْفِ الْقَوِيمِ الْمُتَّصِي مَاحِقُ الْأَغْيَارِ  
 كَالِيءِ الْإِسْلَامِ حَتَّى أَنْ سَمَا كَاسِرُ الْأَرْجَاسِ  
 شَافِعُ الْخَلْقِ إِذَا اشْتَدَّ الظَّمَا صَافِعُ الْوَسْوَاسِ  
 قَدْ تَوَسَّلْتُ بِهِ أَرْجُو الْفَرَجَ فَاْمُحْ أَنْتَ أَمِي  
 وَأَزَلَّ عَنِّي عَنَائِي وَالْحَرْجُ وَاجِلُ إِجْرَامِي  
 وَبَلْطَفٍ مِنْكَ بَرِّدْ مَا وَهَجَ وَاشْفِ أَسْقَامِي (١)

(١)

(١) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/١٥٢) .

(٢) انظر : خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب (٥/١) .

(٣) انظر : شرح مختصر خليل للخرشي (١/٥٨) .

(٤) انظر : المحاضرات في اللغة والأدب (ص ١٩) .

وقال الإمام محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل ، الدمشقي (١١١١هـ) : " ... وَنَقَلَ فِي شَرَحِهِ عَلَى الْجَوْهَرَةِ - يعني اللقاني - ، قَالَ : لَيْسَ لِلشَّدَائِدِ وَالْغُمُومِ مِمَّا جَرَّبَهُ الْمُعْتَنُونَ مِثْلَ التَّوَسُّلِ بِهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !!! وَمِمَّا جَرَّبَ فِي ذَلِكَ قَصِيدَتِي الْمَقْلَبَةَ بِكَشْفِ الْكَرُوبِ بِمَلَا حَاتِ الْحَبِيبِ وَالتَّوَسُّلِ بِالْمَحْبُوبِ الَّتِي أَنْشَأْتُهَا بِإِشَارَةِ وَرَدَتْ عَلَى لِسَانِ الْخَاطِرِ الرَّحْمَانِيِّ عِنْدَ نَزُولِ بَعْضِ الْمَلَمَّاتِ ، فَانْكَشَفَتْ بِإِذْنِ خَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَكَاشَفَ الْمُهِمَّاتِ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُهُ ، وَهِيَ :

ودق عظمي وَعَاطَبَتْ عَنِي الْحَيْلِ  
سوى رَحِيمٍ بِهِ تَسْتَشْفَعُ الرَّسُلُ  
يَوْمَ الْبَلَاءِ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ بَلَلُ  
كَهْفِ الضَّعَافِ إِذَا مَا عَمَهَا الْوَجَلُ  
مكرم حِينَ يَعْلُو سره الخجل  
لَهُ الْمُلوْكَ وَمَنْ تَحِيَّا بِهِ الْمُحَلَّ  
وللأرامل ستر سابع خضل  
وطيسها واستحد البيض والأسل  
وَمَنْ بِهِ تَكْشِفُ الْغَمَاءَ وَالْغَلَلُ  
يَوْمَ التَّنَادِي إِذَا مَا عَمْنَا الْوَهْلُ  
بَحْرُ الْعَطَاءِ وَكَنْزُ نَفْعِهِ شَمْلُ  
عَنَّا الْغُمُومِ وَوَلِي الضَّيِّقِ وَالْمَحَلِّ  
وهمة يمتطها الحُزْمُ الْبَطْلُ  
بِنَا الرَّزَايَا وَعَاطَبَ الْخُلَّ وَالْأَخْلُ  
بعسكر الذنب لَا يَلُوى بِهِ عَجَلُ  
وَكَنْ شَفِيحاً لَهُ إِنْ زَلَّتِ النَّعْلُ  
وَأَنْتِ غُوثُ لِمَنْ ضَاقَتْ بِهِ السُّبُلُ  
مَا إِنْ تَعَاقَبْتَ الضَّحْوَاءَ وَالْأَصْلُ

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ قَدْ ضَاقَتْ بِي السُّبُلُ  
وَلَمْ أَجِدْ مِنْ عَزِيزٍ أَسْتَجِيرُ بِهِ  
مِشْمَرِ السَّاقِ يَحْمِي مِنْ يَلُودِ بِهِ  
غُوثِ الْمَحَاوِيحِ إِنْ مَحَلَّ أَلْمَ بِهِمْ  
مُؤَمِّلِ الْبَائِسِ الْمُتْرُوكِ نَصْرَتَهُ  
كَنْزِ الْفَقِيرِ وَعِزِّ الْجُودِ مِنْ خَضَعَتْ  
مِنْ لَيْتِي أَمَى بِمَالِ يَوْمِ أَزْمَتِهِمْ  
لَيْثُ الْكِتَائِبِ يَوْمَ الْحَرْبِ إِنْ حَمَيْتِ  
مِنْ تَرْتِجِي فِي مَقَامِ الْهَوْلِ نَصْرَتَهُ  
مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَلْجَأُؤُنَا  
الْفَاتِحِ الْخَطَاتِمِ الْمِيمُونِ طَائِرِهِ  
اللَّهُ أَكْبَرُ جَاءَ النَّصْرُ وَانْكَشَفَتْ  
عِزْمَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَادِقَةُ  
أَعْتِ أَغْثُ سَيِّدِ الْكُونِينِ قَدْ نَزَلَتْ  
وَلَا حِشْبِي وَوَلِي الْعُمَرِ مُنْهَزِمًا  
كَنْ لِلْمَعْنَى مَغِيثًا عِنْدَ وَحْدَتِهِ  
فَجْمَلَةُ الْقَوْلِ أَنِّي مُذَنْبٌ وَجَلُّ  
صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهِي دَائِمًا أَبَدًا

(١) انظر : نعمة الريحانة وورشحة طلاء الحانة (١/ ٢٠٤).

وَأَلَّكَ الْغَرَّ وَالصَّحْبَ الْكِرَامَ كَذًّا مُسْلِمًا وَالسَّلَامَ الطَّيِّبَ الْحَفْلَ (١)

وذكر الإمام محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (١١١١هـ)، شعراً من شعر أبي المواهب محمد بن علي البكري الصديقي المصري الشافعي (١٠٣٧هـ) في خلاصة الأثر، منه:

ويحفظ رب العالمين كريمكم لكم ربنا الرحمن من فضله يرعى

بجاه رسول الله أفضل مرسل ترى الأسد في الغابات من خوفه صرعى (٢)

وقال الإمام محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (١١١١هـ) في ترجمة محمد بن عبد الحلیم المعروف بالبورسوى وبالاسيري مفتى السلطنة ورئيس علمائها (١٠٩٣هـ)، أن والده المحبي أرسل لصاحب الترجمة برسالة، جاء فيها: "... جعل الله تعالى مجمل سعادته غنيا عن الافصاح، وجياد أوصافه الحسنة متبارية في ميدان المداح، بجاه سيدنا محمد الذي علا على البراق، وتشرفت به الآفاق، وآله الكرام وأصحابه الفخام ... " (٣).

وقال الإمام محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (١١١١هـ) نقلاً عن الإمام محمد بن محمد شمس الدين القدسي الشافعي الدمشقي المعروف في بلاده بأبن خصيب وبالسيد الصادي وفي دمشق بالسيد القدسي (١٠٠٨هـ) في أحد كتاباته: "... أمد الله تعالى أطناب دولته السعيدة، وأدام صولته الشديدة، بمحمد وآله ومن سلك على منواله ... " (٤).

وقال الإمام محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (١١١١هـ) في ترجمة السيد عبد الله بن سيف الله السيد الشريف المعروف بأبن سعدى القسطنطيني وذكر قصيدة لأبيه، وفيها:

هَذَا زَمَانٌ عَجِيبٌ مَا فِيهِ خَلٌّ مِصَافِي  
وَالْفُضْلُ قَدْ صَارَ ذَنْبًا وَلِلزَّوْجِ مَنْصَافِي  
عَسَى الْإِلَهُ قَرِيبًا يَمُنُّ بِالْإِسْعَافِ

(١) انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٨/١).

(٢) انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١٤٧/١).

(٣) انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٤٨٤/٣).

(٤) انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١٥٨/٤).

بجاء خير البرايا والآل أهل العفاف " (١)

وقال الإمام محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (١١١١هـ):  
" متضرعاً لإله يسمع ويرى ، أن يخلد ذكر الدولة المنصورية على صفحات الأيام ، ويربط أطناب معدلتها بأوتاد  
الخلود والدوام ، إلى قيام الساعة وساعة القيام ، بمحمد وآله وعترته الطاهرين وصحبه المنتخبين " (٢) .  
وقال الإمام عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (١١١١هـ) داعياً : " ... أسأل الله أن يرزقه  
منه مسحة قبول بجاء جدّه الرسول وعلى آله وصحبه وسلّم " (٣) .

وقال الإمام عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (١١١١هـ) : " ... ثم قرئ المرسوم  
السلطاني ، وفيه غاية التعظيم والإجلال ، ونشر محاسن مولانا الشريف سعد أعزّه الله بجاء جده الأمين ... " (٤)

وقال الإمام عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (١١١١هـ) : " ... ثم استعفوا مولانا  
الشريف سعد من الثلث وأعطني عشرين ألف ريال فسلمت لمولانا الشريف أعزّه الله بجاء النبي والآل ... " (٥)

وقال الإمام محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي (١١١١هـ) : " ... فالله يمدُّ أطناب  
دولته السعيدة ، ويديم صولته الشديدة ، بمحمد وآله ، ومن سلك على منواله " (٦) .  
وقال الإمام أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدميّطي ، شهاب الدين الشهير بالبناء (١١١٧هـ) : "  
وأتوجه للمولى تعالى أن يقبل هذا العمل ، وأن يكرمني بخدمة كتابه الكريم وحفاظه المكرمين ، بجاء سيّد  
المرسلين عليه أفضل الصلوة وأزكى التسليم ، والحمد لله رب العالمين " (٧) .

(١) انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٤/ ٢٤٦) .

(٢) انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٤/ ٢٩٣) .

(٣) انظر : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (١/ ٧١) .

(٤) انظر : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٤/ ٤٩٠) .

(٥) انظر : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٤/ ٥٢٣) .

(٦) انظر : نفحة الريحانة وورشحة طلاء الحانة (١/ ٩١) .

(٧) انظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص ٣) .

وقال الإمام أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدِّمياطيّ ، شهاب الدِّين الشَّهير بالبناء (١١١٧هـ) : " وأرجو من الله تعالى متوسلاً إليه برسوله سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه عموم النَّفْع به ، وأن يسهِّله على كلِّ طالب " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدِّمياطيّ ، شهاب الدِّين الشَّهير بالبناء (١١١٧هـ) : " ... وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، مستعيناً به متوسلاً إليه في ذلك بنبيِّه سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأسأله أن يُسبل علينا ستره الجميل ... " (٢) .

وقال الإمام علي بن أحمد بن محمَّد معصوم الحسني الحسيني ، الشَّهير بابن معصوم (١١١٩هـ) : " رجع إلى شعر الشَّيخ عبد الرَّحمن صاحب التَّرجمة فمنه أيضاً مادحاً السيِّد ثقبه ومهنتاً له بعافية ابنه السيِّد قتادة ومتشكراً من إنعام أنعمه عليه :

فلا زال في عَزِّ السَّعادة مالِكاً  
بجاه النَّبي الطَّهر مستنصراً وبالاه  
عليهم صلاة الله ثمَّ سلامه  
زمام العلا والدَّهر من جملة الجند  
ثمَّة أعني من ختامهم المهدي  
يدومان ما هزَّ الصَّاعذب الرند (٣)

(٣)

وقال الإمام صدر الدِّين المدني ، علي بن أحمد بن محمَّد معصوم الحسني الحسيني ، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد ، الشَّهير بابن معصوم (١١١٩هـ) : " ... فالله تعالى يقيقك محروساً بجانب مأنوس القباب ، متلفعاً من الجلالة بأشرف جلاباب ، مستقرراً على كراسي الملك ، وأعداؤك في الهلك ، بجاه جدِّك عليه السَّلام ، وآله البررة الكرام ، وصحبه الخيرة الأعلام " (٤) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزُّرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) : " وأسأله الإِعانة عَلَى التَّمامِ خَالِصاً لَوَجْهِهِ بِجَاهِ أَفْضَلِ الأَنامِ " (٥) .

(١) انظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص ٦) .

(٢) انظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص ٦١٩) .

(٣) انظر : سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر (ص ٨٧) .

(٤) انظر : سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر (ص ٤١) .

(٥) انظر : شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٣/ ٣٧٨) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) أيضاً: "... وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ مَتَوَسَّلاً إِلَيْكَ بِأَشْرَفِ رُسُلِكَ ، أَنْ تَجْعَلَهُ خَالِصاً لَوَجْهِكَ ، وَأَنْ تَنْفَعَهُ بِهِ ، وَأَنْ تَجْعَلَهُ سَبِيّاً لِفُؤُوزِ بَرِّصَاكَ وَلِقَائِكَ وَلِقَاءِ حَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... " (١).

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (١١٢٢هـ) أيضاً: " والله أسأل من فضله متوسلاً إليه بأشرف رسله أن يجعله لوجهه خالصاً " (٢).  
وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (١١٢٢هـ) أيضاً: " وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجدير " أي : حقيق " بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه " ، ونحو هذا في منسك العلامة خليل ، وزاد وليتوسل به - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويسأل الله تعالى بجاهه في التوسل به ؛ إذ هو محط جبال الأوزار وأثقال الذنوب ؛ لأنَّ بركة شفاعته وعظمتها عند ربِّه لا يتعاضدها ذنب ، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو المحروم الذي طمس الله بصيرته وأضل سريرته ، ألم يسمع قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ، انتهى .

ولعلَّ مراده التعريض بابن تيمية ، " واعلم أنَّ الاستغاثة هي طلب الغوث " الإعانة والنصر ، " فالمستغيث يطلبُ من المُستغاث به أن يحصل له الغوث منه ، فلا فرق بين أن يعبر بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التجوّه - بجيم قبل الواو ، " أو التوجه " بتقديم الواو على الجيم ؛ لأنَّهما من الجاه والوجهة ، ومعناه : علو القدر والمنزلة " الرتبة .

" وقد يتوسل بصاحب الجاه إلى من هو أعلى منه " ، كالتوسل بالمصطفى إلى الله ، ثمَّ إنَّ كلاً من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما ذكره في " تحقيق النصرة " و " مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام " واقع في كلِّ حال قبل خلقه ، وبعد خلقه في مدَّة حياته في الدنيا ، وبعد موته في مدَّة البرزخ ، وبعد البعث في عرصات القيامة " جمع عرصة ، كلُّ موضع لا بناء فيه " فأما الحالة الأولى " قبل خلقه " فحسبك ما قدمته في المقصد الأوَّل من استشفاع آدم به - عليه الصلوة والسلام - لما خرج من الجنة ، وقول

(١) انظر : شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٤/ ٦٩٥) .

(٢) انظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ٤٣٧) .

الله تعالى له : يا آدم ، لو تشفَّعت إلينا بمحمَّد في أهل السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ لشفَعناكَ " ، أي : لقبَلنا شفَاعتَكَ . وفي حديث عمر بن الخطاب عند الحاكم والبيهقي وغيرهما : " وإنَّ " للتَّعْلِيلِ " سألتني بحقِّه غفرت لك " ما وقع منك " ويرحم الله ابن جابر حيث قال :

به قد أجاب الله آدم إذ دعَا  
وما ضرت النَّارَ الخليلَ لنوره  
ونجَّى في بطن السَّفِينَةِ نوح  
ومن أجلَّه نال الفداء ذبيح  
" وصحَّ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " لما اقترَفَ آدمُ الخطيئةَ قال : يا ربِّ ، أسألكَ بحقِّ محمَّد لما غفرت لي ، قال اللهُ تعالى : يا آدم ، وكيف عرفتَ محمَّداً ولم أخلقه ، قال : يا ربِّ ، إنَّكَ لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيَّ من روحك ، رفعت رأسي ، فرأيت قوائمَ العرشِ مكتوباً عليها : لا إلهَ إلا اللهُ محمَّد رسولُ اللهِ ، فعرفتُ أنَّكَ لا تضيفُ إلى اسمِكَ إلاَّ أحبَّ الخلقِ إليك ، فقال اللهُ تعالى : صدقتَ يا آدم ، إنَّه لأحبُّ الخلقِ إليَّ ، وإذ سألتني بحقِّه فقد غفرت لك ، ولولا محمَّد ما خلقتُكَ " ذكره الطَّبْرِي ، وزاد فيه : " وهو آخرُ الأنبياء من ذريَّتِكَ " .

نجي - بضم النون وشد الجيم ، " وأما التَّوَسُّلُ به بعد خلقه مدَّةَ حياته ، فمن ذلك الاستغاثة به - عليه الصَّلَاة والسَّلَام - عند القحط وعدم الأمطار ، وكذلك الاستغاثة به من الجوع ، ونحو ذلك ممَّا ذكرته في مقصد المعجزات ومقصد العبادات في الاستسقاء ، ومن ذلك : استغاثة ذوي العاهات به ، وحسبك : " كافيك على طريق الإجمال " ما رواه النَّسَائِيُّ والثِّرَمَذِيُّ " والحاكم ، وقال على شرطهما ، " عن عثمان بن حنيف ... " (١) .  
وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوقي ، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) : " آمين آمين آمين بجاه النَّبِيِّ الأَمِين " (٢) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوقي ، المولى أبو الفداء : " نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزَّلَلِ في مسالك الدِّين ، ويوصلنا إلى رضاه في كلِّ قول وعمل وهو المعين ، آمين بجاه النَّبِيِّ الأَمِين " (٣) .

(١) انظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/٢١٩-٢٢٢) .

(٢) انظر : روح البيان ١/١٤٣ .

(٣) انظر : روح البيان (٣/٣٥٥) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) : " واجعل رقيمي هذا سبباً لبياض الوجه كما تبيّض وجوه أوليائك ، وامح مسودات صحائف أعمالى بجاه حبيك محمّد أحبّ أنبيائك " (١) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء أيضاً : " نسأل الله سبحانه أن يخرمنا على أفضل الأعمال الذي هو التّوحيد وذكر رب العرش المجيد ، ويجعلنا فى جنّات تجري من تحتها الأنهار ، ويشرفنا برؤية جماله المنير فى الليل والنّهار ، أمين بجاه النّبي الأمين " (٢) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء أيضاً : " نسأل الله تعالى أن يعثنا أمينين بجاه النّبي الأمين " (٣) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء أيضاً : " نسأل الله سبحانه أن يعصمنا من الزّلل ويحفظنا من الخلل ، ويجعلنا فى القبر والقيامة من الأمنين ، ويشرفنا عند الموت برحمة منه وفضل مبين ، بجاه النّبي الأمين والأنبياء المرسلين والملائكة المقرّبين " (٤) .

وقال الإمام محمّد بن محمّد بن أحمد البديري الحسيني ، الدميّاطي الأشعري الشّافعي ، أبو حامد (١١٤٠هـ) : " منحني الله تعالى به فوق منتهى الأمانى بمحمّد وآله وصحبه ذوي التّهاني وبدور التّداني " (٥) .

وقال الإمام محمّد بن عيسى بن محمود بن كنان الحنبلي (١١٥٣هـ) : " ... ونسألّه القبول بجاه الرّسول " (٦) .

وقال الإمام محمّد بن محمّد بن مصطفى بن عثمان ، أبو سعيد الخادمي الحنفي (١١٥٦هـ) : " وَيَجُوزُ التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالِاسْتِغَاثَةُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ، لِأَنَّ الْمُعْجِزَةَ وَالْكَرَامَةَ لَا تَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِمْ . وَعَنْ الرَّمْلِيِّ أَيْضاً : بَعْدَ انْقِطَاعِ الْكَرَامَةِ بِالْمَوْتِ . وَعَنْ إِمَامِ الْحَرَمِيِّ : وَلَا يُنْكَرُ الْكَرَامَةُ وَلَوْ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَّا رَافِضِيٌّ . وَعَنْ

(١) انظر : روح البيان (٣/٤) .

(٢) انظر : روح البيان (١٠٢/٧) .

(٣) انظر : روح البيان (١٠٥/٩) .

(٤) انظر : روح البيان (٢٠٦/٩) .

(٥) انظر : الجواهر الغوالي فى ذكر الأسانيد العوالي ، مخطوط .

(٦) انظر : يوميات شامية (الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية) ، (ص٤٦) ، (ص١٢٠) .

الأجْهُورِيِّ : الْوَلِيُّ فِي الدُّنْيَا كَالسَّيْفِ فِي غَمْدِهِ فَإِذَا مَاتَ مَجْرَدٌ مِنْهُ فَيَكُونُ أَقْوَى فِي التَّصَرُّفِ ، كَذَا نُقِلَ عَنْ نُورِ  
الْهُدَايَةِ لِأَبِي عَلِيِّ السَّنَجِيِّ " (١) .

وقال الإمام محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان ، أبو سعيد الخادمي الحنفي (١١٥٦هـ) أيضاً : " قَالَ فِي  
الْحُضْنِ الْحُضَيْنِ - يَقْصِدُ الْإِمَامَ الْحَافِظَ ابْنَ الْجَزْرِيِّ الشَّافِعِيِّ (٨٣٣هـ) عِنْدَ تَعَدَادِ آدَابِ الدُّعَاءِ : وَأَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ  
تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْعِظَامِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى ، وَيَتَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَنْبِيَائِهِ وَالصَّالِحِينَ " (٢) .

وقال الإمام إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي ، أبو الفداء (١١٦٢هـ) : " وَمَا  
يُنَاسِبُ إِيْرَادَهُ هُنَا مَا نَسَبَ لِبَعْضِهِمْ :

قَرَّبَ الرَّحِيلَ إِلَى دِيَارِ الْآخِرَةِ  
فَلئن رَحْمَتُكَ أَكْرَمُ رَاحِمٍ  
أَنْسَ مَبِيتِي فِي الْقُبُورِ وَوَحْدَتِي  
فَأَنَا الْمَسِيكِينَ الَّذِي أَيَّامُهُ  
يَا رَبِّ فَارْحَمْنِي بِجَاهِ الْمُصْطَفَى  
وَبخَيْرِ خَلْقِكَ لَمْ أَزَلْ مَتَوَسِّلاً

فاجعل إلهي خير عمري آخره  
وبحار جودك يا إلهي زاخرة  
وارحم عظامي حين تبقى ناخرة  
ولت بأوزار غدت متواترة  
كنز الوجود وذو الهبات الباهرة  
ذو المعجزات وذو العلوم الفاخرة (٢)

وقال الإمام إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي ، أبو الفداء (١١٦٢هـ) أيضاً : "   
وَضَعُ اللَّهُ عَنَّا سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا بِأَفْضَالِهِ الْجَارِي ، وَخَتَمَهَا بِالصَّالِحَاتِ ، بِجَاهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدِ  
السَّادَاتِ " (٤) .

وقال الإمام إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي الشافعي (١١٦٢هـ) : " ... انْتَهَى مَا فِي الْمَوْضُوعَاتِ  
لِلْقَارِي ، وَضَعُ اللَّهُ عَنَّا سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا بِأَفْضَالِهِ الْجَارِي ، وَخَتَمَهَا بِالصَّالِحَاتِ ، بِجَاهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
سَيِّدِ السَّادَاتِ ... " (١) .

(١) انظر : بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (١/٢٠٣) .

(٢) انظر : بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (٣/١٠٧) .

(٣) انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس (٢/٤٨) .

(٤) انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس (٢/٥١٥) .

وقال الإمام حسين بن محمد المحلي الشافعي المصري (١١٧٠هـ) : " وهذا آخر ما أردناه ، جعله الله من الأعمال المقبولة ، المنتفع بها على الدوام ، بجاه سيدنا محمد أشرف الأنام ، وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة والسلام " (١) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عمر بن صالح الميني (١١٧٢هـ) :

وله بالبهاء تعنو الغزاله	لذ بجاه الذي أجار الغزاله
فأياديه بالندي هطاله	لا ترد غير منهل من حماه
وله الله قد أتم كماله	لاح بدرأ للعالمين منيراً
دهش الناس مذ رأوا أهواله	لاذت الأنبيا به يوم هول
ظلّ يمحو إن قام يمشي ظلّاله	لطفت ذاته فشقت بنور
تفتياً ظلّ العقيق وضاله	لمن العيس في الهجير ترامت
في سراها أعطافها الميالـه (٢)	لك يا خير مرسل تتهدى

وقال الإمام أبو الحسن علي بن خليفة بن رزق الله بن عبد الواحد بن علي المساكني (١١٧٢هـ) : " ... والله أسأل أن يختم لنا ولك بالحسنى إذ بلغت الروح التراقي ، وأن يجمعنا وإيّاك ومشايخنا في أعلى المراقي ، بجاه أفضل من علم وعلم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم " (٣) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصعدي العدوي (١١٨٩هـ) : " قوله : " بمحمد وآله " متعلّق بمحذوف حال تنازع فيها الأفعال المتقدّمة ، أي : رجّه الله إلخ في حال كوننا متوسّلين بمحمد وآله " (٤) .

وقال الإمام محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) : " ... وأما صفوان ابن سليم ، فهو : أبو عبد الله ، وقيل : أبو الحرث القرشي الزهري الفقيه ، وأبوه سليم مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف ،

(١) انظر : كشف الحفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس (٤١٩/٢) .

(٢) انظر : مزيد النعمة لجمع أقوال الأئمة (ص ٢٩٩) .

(٣) انظر : معجم أعلام شعراء المدح النبوي (ص ٧٥) .

(٤) انظر : فهرسة علي بن خليفة المساكني (ص ٥٨) .

(٥) انظر : حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني (٥/١) .

قال ابن سعد: ثقة كثير الحديث عابد، وقال يحيى بن سعيد: هو رجل يُستسقى بحديثه، وينزل المطر من السماء بذكره... " (١) .

وقال الإمام محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) أيضاً: "... وقال أحمد بن حنبل هو يُستسقى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره... " (٢) .

وقال الإمام محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى أيضاً: " قال محمود بن محمد، حدَّثنا الميمون، حدَّثنا سريج بن يونس، حدَّثنا إسماعيل بن مجالد، عن أبيه، عن الشعبي، قال: حضرت عائشة رضي الله عنها، فقالت: إنِّي قد أحدثت بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثاً، ولا أدري ما حالي عنده، فلا تدفوني معه، فإنِّي أكره أن أجاور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أدري ما حالي عنده، ثم دعت بخرقه من قميص رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: ضعوا هذه على صدري وادفنوها معي لعلِّي أنجو بها من عذاب القبر " (٣) .

قلت: لقد قامت الأيدي الأثيمة المجرمة عدوة الحق وأهله بإزالة ما نقلناه هنا من كلام نفيس، من نسخة " إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين " الموجودة في ( المكتبة الشاملة / الإصدار السادس، لأنه لا يتوافق مع عقائدهم ومذهبهم ومنهجهم... فهذه هي السلفية في ثوبها الحقيقي: غش، تدليس، كذب، مراوغة، عبث، فجور... ولذلك فإنِّي أدعو الجميع إلى عدم الاطمئنان إلى المكتبة الشاملة، ولا بدَّ لطالب الحق من العودة إلى الكتب الورقية ذات الطبعات القديمة، فإنَّ من يدعون السلفية ما فتئوا يعبثون ويعبثون بكتب التراث... "

وقال الإمام محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقَّب بمرتضى، الزبيدي (١٢٠٥هـ) أيضاً: " وأثارها جليلة كثيرة لا يسعها هذا المختصر، والله يرُدُّها دارَ إسلامٍ، بمحمد وآله عليهم السلام " (٤) .

(١) انظر: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٢٠٠/٥) .

(٢) انظر: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٤٥١/٧) .

(٣) انظر: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٣٣٣/١٠) .

(٤) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (٥١١/١٩) .

وقال الإمام محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني ، أبو الفضل (١٢٠٦هـ) : " ... وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزاده فضلاً وشرفاً ورفعة لديه كثيراً ما يذكر لأصحابه أخبار من مضى من الأمم ليسلكوا بذلك الطريقة المثلى والطريق الأتم ، فتوجه اللهم إليك به إذ هو الوسيلة العظمى لمن استمسك بسببه " (١) .

وألف الإمام سليمان بن عبد الوهّاب (١٢٠٨هـ) كتاباً سمّاه : " فصل الخطاب في الردّ على محمد بن عبد الوهّاب " ، ردّ فيه على أخيه محمد بن عبد الوهّاب ، وهذا أوّل كتاب ألف في الردّ على الوهّابية .

وقال الإمام أبو عبد الله الطّالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاقي (١٢١٩هـ) : " اللهم يا من نفع البعض بالبعض انفعنا بهم بجاه من له جاه عندك يا ربّ العالمين ، آمين " (٢) .

وقال الإمام سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي (١٢٢١هـ) أيضاً : " وَحِكْمَةٌ تَوْسَلُهُ بِهِ دُونَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَنَّهُ أَعْظَمُ وَسِيلَةً حَيًّا وَمَيِّتًا الْإِشَارَةُ إِلَى رِفْعَةِ قَرَابَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ ... " (٣) .

وقال الإمام سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي (١٢٢١هـ) : " قال عبد الله بن المبارك : قدمتُ المدينة في عام شديد القحط ، فخرج الناس يستسقون وخرجت معهم ، إذ أقبل علينا غلام أسود عليه قطعنا خيش قد أتزر بإحدهما ووضع الأخرى على عاتقه ، فجلس إلى جنبي فسمعته يقول : إلهي اختلفت الوجوه بكثرة الذنوب والمساوي ، وقد حبست عنّا غيث السماء لتؤدّب عبادك ، فأسألك يا حليماً ذا أناة ، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم السّاعة ، فلم يزل يقول السّاعة السّاعة حتى اكتست السماء بالغمام ، وأقبل المطر من كلّ مكان . قال ابن المبارك : فجئت إلى الفضيل رضي الله عنه ، فقال لي : أراك كئيباً ، فقلت : قد سبقنا إليه غيرنا وتولّاه دوننا ؛ وقصصت عليه القصّة ، فصاح الفضيل وخرّ مغشياً عليه ... قوله : ( وإنا نتوسّل الخ ) وحكمة توسله به دون النبي مع أنّه أعظم وسيلة حيّاً وميتاً الإشارة إلى رفعة قرابة رسول الله وقربهم من الله " (٤) .

(١) انظر : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (٢/١) ، ، وانظر في سلك الدرر أيضاً : (١١٣/١) ، (١١٥/١) ، (٢٨/٢) ، (٧٤/٢) ، (١٨٧/٢) ، (١٩٨/٢) ، (١٠٥/٣) ، (١٠٦/٣) ، (٢٤٥/٣) ، (٢٧٥/٣) ، (٧٤/٤) .

(٢) انظر : فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور (ص ١٢٨) .

(٣) انظر : تحفة الحبيب على شرح الخطيب "حاشية البجيرمي على الخطيب" (٢٤٣/٢) .

(٤) انظر : تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب) (٤٨٠-٤٨١) .

وألف الإمام السيّد علوي بن أحمد الحداد (١٢٢٢هـ) كتاباً في الموضوع سمّاه: "السيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر".

وقال الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (١٢٢٤هـ): "جعلنا الله تعالى من أهل ذلك المقام، بجاه سيّد الأنام، عليه أفضل الصلّاة وأزكى السّلام" (١).

وقال الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (١٢٢٤هـ) أيضاً: "نسأل الله سبحانه أن يكسوه جلاباب القبول، ويبلغ به كلّ من طالعه، أو حصّله القصد والمأمول، بجاه سيّد الأوّلين والآخرين، سيّدنا ومولانا محمد، خاتم النبيّين وإمام المرسلين" (٢).

وقال الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (١٢٢٤هـ) أيضاً: "نسأل الله سبحانه أن يكسوه جلاباب القبول، ويبلغ به كلّ من طالعه، أو حصّله القصد والمأمول، بجاه سيّد الأوّلين والآخرين، سيّدنا ومولانا محمد، خاتم النبيّين وإمام المرسلين" (٣).

وألف الإمام محمد عطاء الله بن محمد بن إسحاق شيخ الإسلام الرّومي (١٢٢٦هـ) كتاباً بعنوان: "شرح الرّسالة الرّديّة على طائفة الوهابيّة".

وقال الإمام محمود بن سعيد مقديش الملقّب بأبي الثناء الصّفاقسي (١٢٢٨هـ): "... شيخنا وشيخ شيوخنا الحاجّ النَّاسك الأبر أبو الثناء محمود بن سعيد مقديش الصّفاقسي أصلاً ووطناً وقراراً المالكي مذهباً، الأشعري اعتقاداً، أسبل الله علينا وعليه جلايب ستره بجاه سيّدنا محمد نبيّه وعبدّه..." (٤).

وقال الإمام محمود بن سعيد مقديش الملقّب بأبي الثناء الصّفاقسي (١٢٢٨هـ) أيضاً: "وأنشد الأريب الأديب الشّيخ أبو إسحاق الحاجّ الأبر إبراهيم الخراط، أبقى الله مهجته وأحسن عاقبته في هذه الواقعة ما كتب على ضريح الحاجّ الأبر أبي الثناء محمود بن عمر، أحد الشّهداء يومئذ - رحمه الله تعالى - هذه الأبيات:

هذا الضريح المشتهر  
محمد البرّ الـمـنـذـي  
فيه الشّهيد ابن عمر  
طـمـاف وحبّ واعتمر

(١) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١٧/١).

(٢) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣٧٩/٧).

(٣) انظر: البحر المديد (٥٦٤/٨).

(٤) انظر: نزّهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار (٦٢٧/١).



وقال الإمام أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهرير بالصاوي المالكي (١٢٤١هـ): " وَمِنْ خَصَائِصِهَا - أَيِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ - وَجُوبُ زِيَارَتِهَا كَمَا فِي حَدِيثِ الطَّبْرَانِيِّ، وَحَقُّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ زِيَارَتَهَا، فَالرَّحْلَةُ إِلَيْهَا مَأْمُورٌ بِهَا وَاجِبَةٌ، أَيِ: مُتَأَكَّدَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمُسْتَطِيعِ لَهُ سَبِيلًا... وَالْأَفْضَلُ فِي الزِّيَارَةِ الْقُرْبُ مِنَ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ، بِحَيْثُ يَكُونُ النَّبِيُّ يَسْمَعُ قَوْلَهُ عَلَى حَسَبِ الْعَادَةِ، وَيَلْزَمُ فِي تِلْكَ الْحَضْرَةِ الْأَدَبَ الظَّاهِرِي وَالْبَاطِنِي لِيُظْفَرَ بِالْمَنَى... ثُمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ فِي جَمِيعِ مَطْلُوبَاتِهِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ قُبَالَهَ قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ... ثُمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ قُبَالَهَ قَبْرِ عُمَرَ وَثُمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ. ثُمَّ يُخْرَجُ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَسَلِّمُ عَلَى أَهْلِهِ هَكَذَا، وَيَتَوَسَّلُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ... " (١)

وقال الإمام أحمد بن محمد الخلوتي، الشهرير بالصاوي المالكي (١٢٤١هـ) أيضاً: "... ثُمَّ يَأْتِي قُبَالَهَ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ، وَيَقُولُ: " السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا حَبِيبَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا أَشْرَفَ رُسُلِ اللَّهِ... ثُمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ فِي جَمِيعِ مَطْلُوبَاتِهِ. ثُمَّ يَنْتَقِلُ قُبَالَهَ قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ وَيَقُولُ: " السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ،... ثُمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ. ثُمَّ يَنْتَقِلُ قُبَالَهَ قَبْرِ عُمَرَ، وَيَقُولُ: " السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ الْفَارُوقَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ جَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ... ثُمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ. ثُمَّ يُخْرَجُ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَسَلِّمُ عَلَى أَهْلِهِ هَكَذَا، وَيَتَوَسَّلُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ... " (٢)

وقال الإمام أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهرير بالصاوي المالكي (١٢٤١هـ) أيضاً: "... نَعُوذُ بِاللَّهِ، وَتَتَوَسَّلُ بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُخَيِّرَنَا مِنَ النَّارِ " (٣)

وقال الإمام أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهرير بالصاوي المالكي (١٢٤١هـ) أيضاً: " وَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُفْرَجَ كُرْبَ آلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا وَالْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ لَطِيفٌ كَرِيمٌ حَلِيمٌ بِجَاهِ جَدِّهِمْ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتْمُّ التَّسْلِيمِ " (١)

(١) انظر: بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (٧١/٢-٧٢).

(٢) انظر: بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك) (٧٢/٢).

(٣) انظر: بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك) (٧٨٢/٤).

وقال الإمام مصطفى بن سعد بن عبده الشيوطي شهرة ، الرحباني مولداً ثمّ الدمشقي الحنبلي (١٢٤٣هـ) :  
" وَلَا بَأْسَ بِلَمْسِ قَبْرِ بَيْدٍ لَا سِيَّامًا مِنْ تَرْجِيٍّ بَرَكْتُهُ " (١) .

وقال الإمام مصطفى بن سعد بن عبده الشيوطي شهرة ، الرحباني مولداً ثمّ الدمشقي الحنبلي (١٢٤٣هـ) :  
" (وَكَذَا) أُبِيحَ (تَوَسَّلَ بِصَالِحِينَ) عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الْمَذْهَبِ ، قَالَهُ فِي " الْإِنْصَافِ " . (وَقِيلَ : يُسْنُ) ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمُرُودِيِّ : يَتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ " (٢) .

وألف الإمام القاضي إسماعيل التميمي التونسي (١٢٤٨هـ) كتاباً سماه : " المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية ، مخطوط بدار الكتب الوطنية في تونس رقم (٢٧٨٥) ، ومصوّرتها في معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، وقد طبع .

وفي تعليقه على حديث : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ : إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِنُقْضَى لِي ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ " ، قال الإمام الشوكاني (١٢٥٠هـ) : " ... وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ التَّوَسُّلِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ الْفَاعِلَ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَنَّهُ الْمُعْطَى الْمُنْعِ ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا يَشَاءُ لَمْ يَكُن " (٣) .

وقال الإمام محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ) في نهاية أبواب الهدايا والضحايا من كتابه : " نيل الأوطار " :  
" وإلى هنا انتهى النصف الأول من " نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار بمعونة العزيز الغفار " ، وصلى الله على نبيه المختار وآله الأخيار . بك اللهم أستعين على نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار متوسلاً إليك بنبيك المختار " (٤) .

قلت : وكعادتها ... قامت الأيدي المتمسلفة بشطب كلام الإمام الشوكاني السالف ، لأنه يتعارض مع منهجهم وفكرهم حيث لا طاقة ولا قدرة لهم على محاربة فكر مجموع الأمة إلا بالغش والكذب والتدليس

(١) انظر : بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك للمذهب الإمام مالك) ، (٤/٨١٣) .

(٢) انظر : مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (١/٩٣٤) .

(٣) انظر : مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (١/٨١٧) .

(٤) انظر : تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيّد المرسلين (١/٢١٢) .

(٥) انظر : نيل الأوطار من أحاديث سيّد الأخبار شرح منتقى الأخبار (٥/٢٣٥) .

والتزوير وتغيير الحقائق.... وقد عُدت إلى طبعتين تضمّنتا كلام الإمام الشوكاني الذي ذكرت ، وهما : طبعة دار الجليل ، بيروت ، (١٩٧٣م) ، وطبعة إدارة الطباعة المنيرية ، أمّا النسخة الموجودة في المكتبة الشاملة / الإصدار السّادس ، فقد عبث فيها للصوص العابثون المتمسلفون وشطبوا كلام الشوكاني الذي هو كلام مجموع الأئمة التي لم يجد علماءها ما يمنع من التّوسّل ، والنسخة الموجودة في الشاملة هي من تحقيق : عصام الدّين الصّبايطي ، دار الحديث ، مصر ، الطّبعة : الأولى ، (١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م) ، ولم أستطع الحصول على هذه النسخة لأنّ تأكّد من مصدر التّزوير : أهو من دار الحديث أم من القائمين على المكتبة الشاملة ... فمرحى ثمّ مرحى لمن تخصّصوا بتزوير الحقائق وقليها ، وهم هم على مدار الزّمان ، وكأثمّ : " تواصلوا به " ، لكن للحقّ رجال استعملهم الله تعالى لكشف تزويرهم وتدميرهم لكتب التّراث الذي ما فتئوا يحاربونه ويناصبونه العداة ....

وقال الإمام محمّد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ) أيضاً : " التّوسّل به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يكون في حياته وبعد موته ، وفي حضرته ، ولا يخفّاك أنّه قد ثبت التّوسّل به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حياته ، وثبت التّوسّل بغيره بعد موته بإجماع الصّحابة إجماعاً سكوتياً لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توّسّله بالعبّاس ، رضي الله عنه . وعندي أنّه لا وجه لتخصيص جواز التّوسّل بالنّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما زعمه الشّيخ عز الدّين بن عبد السّلام لأمرين : الأوّل : ما عرفناك به من إجماع الصّحابة ، رضي الله عنهم . والثّاني أنّ التّوسّل إلى الله بأهل الفضل والعلم ، هو في التّحقيق توّسّل بأعمالهم الصّالحة ، ومزاياهم الفاضلة ، إذ لا يكون فاضلاً إلاّ بأعماله . وقال : ويتوسّل إلى الله بأنبيائه والصّالحين " (١) .

وقال الإمام محمّد بن علي بن محمّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) أيضاً : " ومنه الدّعاء الوارد إذا تفلّت القرآن ، عزاه السيوطي في أذكاره إلى الدّيلمي في مسند الفردوس ، وابن حبان : " اللهمّ إني أسألك بمحمّد نبيّك ، وإبراهيم خليلك ، وموسى نبيّك ، وعيسى روحك وكلمتك ... الحديث " (٢) .

وقال الإمام محمّد بن علي بن محمّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) أيضاً : " وأحسن الختام بجاه محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صلاة وسلاماً يدومان بدوام الملك العلام " (٣) .

(١) انظر : الدر النضيد في إخلاص كلمة التّوحيد (ص ١٩-٢٠) .

(٢) انظر : الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (١/٢٨٧) .

(٣) انظر : الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (٦/٢٩٤٩) .

وقال الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) أيضاً: " وَقَفَّنا الله تعالى إلى سلوك سبيل السَّلام وأصلح لنا النِّيَّات، وأحسن الختام بجاه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صلاةً وسلاماً يدومان بدوام الملك العَلَّام " (١) .

وقال الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) أيضاً في ترجمة السيّد علي بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير :

فَعَسَى رَبِّي بِجَاهِ الْمُصْطَفَى يُذْهِبُ الدَّاءَ فَتَزُولُ الْغُصَصُ (٢)

وقال الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) أيضاً: " وَلَا زَالَتْ الْعِنَايَةُ الرَبَانِيَّةُ لَهُ مُلَاحَظَةٌ وَالْكَالِيَّةُ الصَّمَدَانِيَّةُ عَلَيْهِ حَافِظَةٌ آمِينَ بِجَاهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ " (٣) .

وقال الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) أيضاً ناقلاً عن الشريف غالب بن مساعد: "... وَعَزِيزُنَا الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْصُورِ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَدَامَ اللهُ لَهُ الْإِقْبَالَ وَبَلَّغَهُ بِجَاهِ جَدِّهِ الْأَمَالِ " (٤) .

وقال الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) أيضاً ناقلاً عن يوسف باشا أمير المدينة المنورة: " دَمَّرَهُمُ اللهُ وَخَذَهُمُ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ " (٥) .

وقال الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني أيضاً ناقلاً عن يوسف باشا أمير المدينة المنورة: " وَدَمَّتْهُمُ سَالِمِينَ بِجَاهِ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ آمِينَ " (٦) .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ): " ... دَامَ فِي عِزٍّ وَإِنْعَامٍ ، وَمَجْدٍ وَاحْتِرَامٍ ، بِجَاهِ مَنْ هُوَ لِلْأَنْبِيَاءِ خِتَامٌ ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ السَّادَةُ الْكِرَامِ ، عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ " (٧) .

(١) انظر: الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (٦/٢٩٦٩) .

(٢) انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/٤٢٢) .

(٣) انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/١٥) .

(٤) انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/١٨) .

(٥) انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/٣٥٩) .

(٦) انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/٣٦٤) .

(٧) انظر: رد المحتار على الدر المختار (٤/١١٩) .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) أيضاً : " وَكَذَا يَقُولُ أَسِيرُ الذُّنُوبِ جَامِعُ هَذِهِ الْأُورَاقِ رَاجِعِيًّا مِنْ مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ ، مُتَوَسَّلًا بِنَبِيِّهِ الْعَظِيمِ وَبِكُلِّ ذِي جَاهٍ عِنْدَهُ تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ كَرَمًا وَفَضْلًا بِقَبُولِ هَذَا السَّعْيِ وَالنَّفْعِ بِهِ لِلْعِبَادِ ، فِي عَامَّةِ الْبِلَادِ " (١) .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) أيضاً : " ... مَوْلَانَا عَبْدُ الْحَمِيدِ أَفَنْدِي كَجَّهْ جِي زَادَهْ الْفَاضِي سَابِقًا بِدِمَشْقِ الشَّامِ ، دَامَ فِي عِزٍّ وَإِنْعَامٍ ، وَبِحُجْدٍ وَاحْتِرَامٍ ، بِجَاهِهِ مَنْ هُوَ لِلْأَنْبِيَاءِ خِتَامٌ ... " (٢) .

وجاء في تنقيح الفتاوى الحامدية للإمام ابن عابدين (١٢٥٢هـ) أيضاً : " وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ - جَاءَ مِنَ الْجُرَادِ شَيْءٌ كَثِيرٌ بِدِمَشْقَ ، وَقَدْ قَتَلَ أَهْلُ دِمَشْقَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْهُ فِي السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، اللَّهُمَّ : أَقْتُلْ كِبَارَهَا ، وَأَمْتِ صِغَارَهَا ، وَأَفْسِدْ بِيضَهَا ، وَادْفَعْ شَرَّهَا عَنْ أَرْزَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، بِجَاهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ... " (٣) .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي (١٢٥٢هـ) أيضاً : " ... يَقُولُ أَسِيرُ الذُّنُوبِ ، جَامِعُ هَذِهِ الْأُورَاقِ رَاجِعِيًّا مِنْ مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ ، مُتَوَسَّلًا بِنَبِيِّهِ الْعَظِيمِ ، وَبِكُلِّ ذِي جَاهٍ عِنْدَهُ تَعَالَى ، أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ كَرَمًا وَفَضْلًا بِقَبُولِ هَذَا السَّعْيِ وَالنَّفْعِ بِهِ لِلْعِبَادِ ، فِي عَامَّةِ الْبِلَادِ ، وَبُلُوغِ الْمُرَامِ ، بِحُسْنِ الْخِتَامِ ، وَالْإِخْتِتَامِ ، آمِينَ " (٤) .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) أيضاً : " وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَعْنِي سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ جَاءَ مِنَ الْجُرَادِ شَيْءٌ كَثِيرٌ بِدِمَشْقَ وَقَدْ قَتَلَ أَهْلُ دِمَشْقَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْهُ فِي السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ اللَّهُمَّ : أَقْتُلْ كِبَارَهَا وَأَمْتِ صِغَارَهَا وَأَفْسِدْ بِيضَهَا وَادْفَعْ شَرَّهَا عَنْ أَرْزَاقِ الْمُسْلِمِينَ بِجَاهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ " (٥) .

(١) انظر : رد المحتار على الدر المختار (٧٨/١) .

(٢) انظر : رد المحتار على الدر المختار (١١٩/٤) .

(٣) انظر : تنقيح الفتاوى الحامدية (٤١٧/٧) .

(٤) انظر : رد المحتار على الدر المختار (٧٨/١) .

(٥) انظر : العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية (٣٢٩/٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشرواني (١٢٥٣هـ) : " وكتب إلي الشيخ الفقيه العالم الفاضل اللوذعي عبد الله بن عثمان بن جامع الحنبلي ببلدة كلكتة أبياتاً ، وهي هذه :

عسى المولى المهيمن ذو العطايا      يلّمّ الشعث أنا كالفقاع  
ويجمعنا بمن نهوى قريباً      فإنّ القلب آذن بانصداع  
بجاه المصطفى طــــه و آل      وصحب قد ففوههم باتّباع (١)

وقال الإمام أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشرواني (١٢٥٣هـ) أيضاً ناقلاً عن السيّد الجليل المولوي ذو المقام السّامي غلامي علي آزاد البلجرامي رحمه الله تعالى :

سقى الإله محلاً أنت ساكنه ما أورك الغصن والوسمى يرويه  
بجاه خير الورى ياربّ أهد له منّا صلاة مدى الأيام ترضيه (٢)

وألّف الإمام محمّد عابد بن أحمد بن عليّ السندي الأنصاري المدني الحنفي (١٢٥٧هـ) كتاباً سمّاه : " جواز الاستغائة والتّوسّل ، وهي رسالة مخطوطة في خزنة الرّباط ، أوّل المجموعة (١١٤٣) كتاني .

وقال الإمام علي بن عبد السّلام بن علي ، أبو الحسن التّسولي المالكي (١٢٥٨هـ) : " ويجعله لنا ولهم سلماً لجنّات نعيم ، بجاه أشرف خلقه سيّدنا محمّد عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم " (٣) .

وقال الإمام علي بن عبد السّلام بن علي ، أبو الحسن التّسولي المالكي (١٢٥٨هـ) أيضاً : " ... فنطلب من سيّدنا- نصره الله- أن يلتزم لنا بفضله من هذه البيعة القبول ، مستشفعين بجاه جدّه الرّسول- صلّى الله عليه وعلى آله الطّيبين وصحابته المنتخبين ، وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين " (٤) .

وقال الإمام علي بن عبد السّلام بن علي ، أبو الحسن التّسولي (١٢٥٨هـ) أيضاً : " ... وأنّ يجعله خالصاً لوجهه الكّريم موجباً للخلود مع الأجبّة والمُسْلِمِينَ فِي جَنَّةِ النّعِيم بجاه عين الرّحمة الواسطة في كل نعمه سيّدنا محمّد المصطفى الكّريم " (٥) .

(١) انظر : نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن (ص ١٤٢) .

(٢) انظر : نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن (ص ١٣٦) .

(٣) انظر : أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد (ص ٣٢٩) .

(٤) انظر : أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد (ص ٣٤١) .

(٥) انظر : البهجة في شرح التحفة (شرح تحفة الحكام) (٧٠٦/٢) .

وَأَلَّفَ الإِمَامَ إِبرَاهِيمَ بنَ عبدِ القادرِ الطَّرَابِلَسِيِّ الرِّيَّاحِيِّ التُّونِسِيِّ المَالِكِيِّ (١٢٦٦هـ) كِتَابًا بِعنوان: " الرَّدُّ عَلَى الوَهَّابِيَّةِ " .

وقال الإِمَامُ شهابُ الدِّينِ محمودُ بنُ عبدِ اللهِ الحُسَيْنِيِّ الألوَسِيِّ (١٢٧٠هـ): " اللهمَّ اجعلنا سعداءَ الدَّارينِ بحرمةِ سيِّدِ الثَّقَلَيْنِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (١) .

وقال الإِمَامُ شهابُ الدِّينِ محمودُ بنُ عبدِ اللهِ الحُسَيْنِيِّ الألوَسِيِّ (١٢٧٠هـ): " وهذا الذي ذكرته إنَّما هو لدفعِ الحرجِ عن النَّاسِ والفرارِ من دعوىِ تَضليلِهِمْ - كما يزعِمُه البعضُ - في التَّوسُّلِ بِجَاهِ عَرِيضِ الجَاهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا لِلْمِيلِ إلى أَنَّ الدُّعاءَ كَذَلِكَ أَفْضَلُ من استعمالِ الأَدْعِيَةِ المَأْثُورَةِ التي جاءَ بها الكِتَابُ وصدحتُ بها أَلْسِنَةُ السُّنَّةِ ، فَإِنَّهُ لا يَسْتَرِيبُ مَنْصَفٌ في أَنَّ ما علِمه اللهُ تَعَالَى ورسولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودرجَ عليه الصَّحابةُ الكرامُ رضي اللهُ تَعَالَى عَنْهُم وتلقاهُ من بعدهم بالقبولِ أَفْضَلُ وأَجْمَعُ وأَنْفَعُ وأَسْلَمُ ، فقد قيلَ ما قيلَ إنَّ حَقًّا وإنَّ كَذِبًا "بقي هاهنا أمران" الأَوَّلُ : أَنَّ التَّوسُّلَ بِجَاهِ غَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بأسَ به أيضًا إنَّ كانَ المتوسِّلُ بِجَاهِهِ مِمَّا علِمَ أَنَّ له جَاهًا عندَ اللهِ تَعَالَى كالمقطوعِ بِصِلاحِهِ وولايته ... " (٢) .

وقال الإِمَامُ الألوَسِيُّ (١٢٧٠هـ): " ... وبعد هذا كلُّه أنا لا أرى بأسًا في التَّوسُّلِ إلى اللهِ تَعَالَى بِجَاهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندَ اللهِ تَعَالَى حَيًّا وميتًا ، ويرادُ من الجاهِ معنى يرجعُ إلى صفةٍ من صفاته تَعَالَى ، مثل : أن يُرادَ به المحبَّةُ التَّامَّةُ المُستدعيةُ عدمَ رَدِّه ، وقبولِ شفاعته ، فيكونُ معنى قولِ القائلِ : إلهي أتوسَّلُ بِجَاهِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تقضِيَ لي حاجتي : إلهي اجعلْ محبَّتَكَ له وسيلةً في قضاءِ حاجتي ، ولا فرقَ بين هذا وقولِكَ : إلهي أتوسَّلُ بِرحمتِكَ أن تفعلْ كذا ، إذ معناه أيضًا : إلهي اجعلْ رحمتَكَ وسيلةً في فعلِ كذا ، بل لا أرى بأسًا أيضًا بالإقسامِ على اللهِ تَعَالَى بِجَاهِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا المعنى ، والكلامُ في الحرمةِ كالكلامِ في الجاهِ ... " (٣) .

وقال شيخُ الإسلامِ أحمدُ عارفُ حَكَمَتُ بنُ السيِّدِ إِبراهيمِ عَصَمَتُ بنِ إِسماعيلِ رائفِ باشا الحُسَيْنِيِّ الحنْفِيِّ (١٢٧٥هـ) في تَقْرِيطِ له : " فَأَيَّدُ اللهُمَّ هذا السُّلْطَانَ الرَّحِيمَ الحَلِيمَ الأَفْخَمَ ، والمَلِكَ الكَرِيمَ

(١) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/٨٥) .

(٢) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣/٢٩٧) .

(٣) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٦/١٢٨) .

السَّليْم الأَكْرَم ، بالفتح المبين ، والنَّصْر على الأعداء والمشرِكين ، بجاه سيِّد المرسلين ، وخاتم النَّبِيِّين ، عليه وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأكمل تسليم " (١) .

وألَّف الإمام أحمد سعيد الفاروقي السَّرهندي النَّقشبندي (١٢٧٧هـ) كتاباً سَمَّاهُ : " الحَقُّ المبين في الرَّدِّ على الوهَّابِيِّين " .

وقال الإمام نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي المهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشَّافعي (١٢٩١هـ) : " ونسأل الله حسن الختام بجاه سيِّد الكائنات عليه وعلى آله وصحابه وأتباعهم أتمَّ الصَّلَاة والسَّلَام ، آمين " (٢) .

وقال الإمام نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي المهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشَّافعي (١٢٩١هـ) : " نفعنا الله به وبعلمومه ، وأعاد علينا من أنوار وأسرار منطوقه ومفهومه بجاه نبيِّه النَّبِيِّ الأَعْظَم أبي القاسم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقَّ قَدْرِهِ ومقدارِهِ ، فهو الفاتح الخاتم " (٣) .

وقال الإمام نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي المهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشَّافعي (١٢٩١هـ) : " ولا ريب أنَّ هذا المؤلَّف من الآلَاء على كلِّ مصنف ، فاض العَدَارَى الحسان ، ولا سيَّما من مخدَّرات اللسان ، جامع أشتاتهِ ومرجع رفاته ، لا زال فينا وهو نصر لدولة فرائده الجوهريَّة ، ذابَّ جموع المعتنين عنها بأقلامه السَّمهريَّة ، بجاه المصطفى وآله الكرام عليهم أكمل الصَّلَاة والسَّلَام " (٤) .

وقال الإمام نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي المهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشَّافعي (١٢٩١هـ) : " فأبقى الله مؤلفه أبا الوفا ، وأدامه ممر الجديدين مجتني ثمر الصِّفا ، ولا برح متمكِّناً من الآداب تمكَّنَ من حَسُنَ له فيها مبتدأ وخبر ، وزاد بيانه سحراً حتى يقال هذه ثغور الغواني إذا نظم ، وهذه نجوم الدَّراري إذا نثر ، بجاه خير الأنام ، خاتم رسل الله عليه أفضل الصَّلَاة وأتمَّ السَّلَام " (٥) .

(١) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص ١٤٦) .

(٢) انظر : المطالِع النَّصريَّة للمطابع المصريَّة في الأصول الحطِّيَّة (ص ٤٢٩) .

(٣) انظر : المطالِع النَّصريَّة للمطابع المصريَّة في الأصول الحطِّيَّة (ص ٤٣٤) .

(٤) انظر : المطالِع النَّصريَّة للمطابع المصريَّة في الأصول الحطِّيَّة (ص ٤٣٧) .

(٥) انظر : المطالِع النَّصريَّة للمطابع المصريَّة في الأصول الحطِّيَّة (ص ٤٤٣) .

وقال الإمام عبد الغني الغنيمي الحنفي (١٢٩٨هـ) ، داعياً : " وصلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّد ، فإنَّه أقرب من يُتوسَّل به إليك ، والمأمول منك القبول " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عlish ، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ) : " فلعلَّ الله بأنفاسِكُمْ يلهمُّ لطرِيقِ الصَّوَابِ بِجَاهِ النَّبِيِّ الْأَوَّابِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عlish ، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ) : " وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَتَوَلَّى هُدَانَا وَإِيَّاهُ بِجَاهِ خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عlish ، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ) : " اللهمَّ أَرِنَا الْحَقَّ فَتَبَّعَهُ وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا فَتَجَنَّبْنَاهُ وَنَسَأَلُكَ بِجَاهِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيْنَا بِحُسْنِ الْخِتَامِ " (٤) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عlish ، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ) : " وَنَسَأَلُ اللهُ تَعَالَى التَّوْفِيقَ لِلصَّوَابِ ، وَأَنْ يَسَلِّكَ بِنَا الزُّلْفَى وَحُسْنِ مَابِ ، بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَالْأَصْحَابِ " (٥) .

وألَّف الإمام داود بن سليمان النَّقَشَبَنْدِي البغدادي الحنفي (١٢٩٩هـ) كتاباً في الرَّدِّ على مُدَّعي السِّلْفِيَّةِ سَمَاهُ : " صلح الإخوان في الرَّدِّ على من قال على المسلمين بالشُّرك والكُفْران " . وألَّف كتاباً ثانياً سَمَاهُ : " التُّحْفَةُ الوهبيَّة في الرَّدِّ على الوهَّابِيَّة " .

وقال الإمام عبد الحميد المكي الشَّرواني (١٣٠١هـ) : " خَاتِمَةٌ : سُئِلَ الشَّيْخُ عَزُّ الدِّينِ : هَلْ يُكْرَهُ أَنْ يَسَأَلَ اللهُ بِعَظِيمٍ مِنْ خَلْقِهِ كَالنَّبِيِّ وَالْمَلِكِ وَالْوَلِيِّ ، فَأَجَابَ : بِأَنَّهُ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ عَلَّمَ بَعْضَ النَّاسِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِ ، فَإِنْ صَحَّ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَقْصُوراً عَلَيْهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِأَنَّهُ سَيِّدٌ وَلَدٌ آدَمَ وَلَا يُقْسِمُ عَلَى اللهِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ ، لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا فِي دَرَجَتِهِ ، وَيَكُونُ هَذَا مِنْ خَوَاصِهِ اهـ . وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ لَا يُكْرَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مُغْنِي وَفِي ع ش بَعْدَ ذِكْرِ كَلَامِ الشَّيْخِ عَزُّ

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٤٤) .

(٢) انظر : فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك (١/١٠٩) .

(٣) انظر : فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك (٢/٢٩٨) .

(٤) انظر : فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك (٢/٣١٤) .

(٥) انظر : منح الجليل شرح مختصر خليل (٧/٤١٦) .

الدِّينَ مَا نَصُّهُ : فَإِنْ قُلْتُ : هَذَا قَدْ يُعَارِضُ مَا فِي الْبَهْجَةِ وَشَرَحَهَا لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ : وَالْأَفْضَلُ اسْتِسْقَاؤُهُمْ بِالْأَتَقِيَاءِ ، لِأَنَّ دُعَاءَهُمْ أَرْجَى لِلْإِجَابَةِ إِخ . قُلْتُ : لَا تَعَارِضُ لِحُجُوزِ أَنْ مَا ذَكَرَهُ الْعِزُّ مَفْرُوضٌ فِيهَا لَوْ سَأَلَ بِذَلِكَ عَلَى صُورَةِ الْإِلْزَامِ ، كَمَا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَقْسِمُ عَلَيْكَ إِخ . وَمَا فِي الْبَهْجَةِ وَشَرَحَهَا مُصَوَّرٌ بِمَا إِذَا وَرَدَ عَلَى صُورَةِ الْإِسْتِشْفَاعِ وَالسُّؤَالِ مِثْلَ : أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ فَلَانَ أَوْ بِحُرْمَتِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ " (١) .

وقال الإمام عبد الحميد الشرواني (١٣٠١هـ) : " ... وأسأله تعالى الإعانة على الإتمام بجاه محمد سيّد الأنام وهو حسبي ونعم الوكيل ... " (٢) .

وألف الإمام السيد أحمد بن زيني دحلان ، مفتي مَكَّة الشَّافعي (١٣٠٤هـ) كتاباً سَمَّاهُ : " الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْوَهَابِيَّةِ " ، مطبوع .

وقال الإمام أبو الطَّيِّبِ مُحَمَّدُ صَدِّيقُ خَانَ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ لُطْفِ اللَّهِ الْحُسَيْنِيِّ الْبَخَارِيِّ الْقُنُوجِيِّ (١٣٠٧هـ) : " فجزاه الله عنّا وعن سائر المسلمين جزاء حسناً، وأفاض علينا من أنواره، وكسانا من حلال أسراره ، وسقانا من حُمَيَّا شرابه ، وحشرنا في زمرة أحبابه ، بجاه سيّد أصفِيائِهِ ، وخاتم أنبيائِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَعَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ ، وشرف وكرم وعظم " (٣) .

وقال الإمام أبو الطَّيِّبِ مُحَمَّدُ صَدِّيقُ خَانَ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ لُطْفِ اللَّهِ الْحُسَيْنِيِّ الْبَخَارِيِّ الْقُنُوجِيِّ (١٣٠٧هـ) أيضاً : " وفي التَّنْزِيلِ وَقَنَا عَذَابَ السَّمُومِ يُرِيدُ النَّارَ أَجَارَنَا اللَّهُ مِنْهَا بِجَاهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ " (٤) .

وقال الإمام أبو الطَّيِّبِ مُحَمَّدُ صَدِّيقُ خَانَ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ لُطْفِ اللَّهِ الْحُسَيْنِيِّ الْبَخَارِيِّ الْقُنُوجِيِّ (١٣٠٧هـ) أيضاً : " فَتَزَهَّتْ عَيُونَ أَمَلِي فِي رَوْضَةِ ذَاتِ أَنْوَارٍ ، وَعَلِمْتُ - وَهِيَ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ - أَنِّي لَا أَدْخُلُ بَعْدَهَا النَّارَ ، وَأَنَا الْآنَ مَمْتَنٌّ لِأَلطَافِ رَبِّي ، وَهُوَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ حَسْبِي ، أَنْ يَعْذِنِي لِجِوَارِهِ ، وَاجْتِلَاءِ نُورِ حَبِيبِهِ وَمَخْتَارِهِ ، بِهِ إِلَيْهِ مَتَوَسِّلاً ، وَفِي نَيْلِ رَجَائِي مَتَوَكِّلاً " (٥) .

(١) انظر : حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج (١٠٨/٢) .

(٢) انظر : حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج (٣٨١/٦) .

(٣) انظر : التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص١٦٩) .

(٤) انظر : بقظة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار (ص١٢٤) .

(٥) انظر : التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص٥٤١) .

وقال الإمام أبو الطيّب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (١٣٠٧هـ) أيضاً: " وفي التنزيل: ﴿وَوَقَدْنَا عَدَابَ السَّمُورِ﴾ [الطور: ٢٧]، يُريد: النَّار، أجازنا الله مِنْهَا بجاه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ " (١) .

وقال الإمام أبو الطيّب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (١٣٠٧هـ)

أيضاً: " ... صانها الله وإيانا عن كل رزية وبليّة، بجاه نبيّه المصطفى خير البريّة صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه كل بكرة وعشيّة " (٢) .

وقال أبو الطيّب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (١٣٠٧هـ) أيضاً: " ... صانها الله وإيانا عن كل رزية وبليّة، بجاه نبيّه المصطفى خير البريّة صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه كل بكرة وعشيّة " (٣) .

وقال الإمام أبو الطيّب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (١٣٠٧هـ) أيضاً: " ... صانها الله وأهلها عن كل رزية وبليّة، بجاه عريض الجاه سيّدنا محمد خير البريّة، صَلَّى اللهُ عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين " (٤) .

وقال الإمام أبو الطيّب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (١٣٠٧هـ) أيضاً: " صانها الله وأهلها عن كل نازلة وبليّة، بجاه محمد خير البريّة، وصلى اللهُ تعالى وَسَلَّمَ عليه وعلى آله وصحبه أُولِي السَّيِّمِ الرِّضِيَّة " (٥) .

(١) انظر: يقظة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر النَّار وأصحاب النَّار (ص ١٢٤) .

(٢) انظر: نيل المرام من تفسير آيات الأحكام (ص ٧) .

(٣) انظر: أبجد العلوم (ص ٧٣٠) .

(٤) انظر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص ٥٢٤) .

(٥) انظر: البلغة إلى أصول اللغة (ص ٢٥٣) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدميّطي (١٣١٠هـ) : " ... وقد نظم بعضهم أسياءهم متوسّلاً بهم ، فقال : يا ربّنا بالقاسم ابن محمد فبزيب فرقية فبفاطمة فبأمّ كلثوم فبعد الله ثمّ بحقّ إبراهيم نجى ناظمه " (١) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدميّطي أيضاً : " ... رزقنا الله الإخلاص والنّجاة حين لا مناص ، وجعلنا من عباده الصّالحين ، بجاه سيّدنا محمد أفضل الخلق أجمعين " (٢) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدميّطي أيضاً : " ... بل يقصد أنّه مفتقر له عليه الصّلاة والسّلام ، وأنّه يتوسّل به إلى ربّه في نيل مطلوبه ، لأنّه الوساطة العظمى في إيصال النّعم إلينا " (٣) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدميّطي أيضاً : " ... وأرجو الله الكريم المنان بجاه سيّدنا محمد سيّد ولد عدنان أن يرزقنا رضاه، وأن يصحّح منّا ما أفسدناه " (٤) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدميّطي أيضاً : " ... رزقنا الله التقوى والاستقامة، وأعاذنا من موجبات الندامة، بجاه سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم المظللّ بالغمامة " (٥) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدميّطي أيضاً : " ... وفّقنا الله للعمل بما فيه ، وأعاذنا من العجز والكسل عن مواظبته ، بجاه سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم وآله وصحبه " (٦) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدميّطي أيضاً : " ... نسأل الله أن يمنّ علينا بالشّهادة ، ويمنحنا الحسنى وزيادة ، ويرزقنا التّقوى والاستقامة ، بجاه سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم المظللّ بالغمامة " (٧) .

(١) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهات الدين) (٣٦/١).

(٢) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (١٥٢/١) .

(٣) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (٢٠٠/١) .

(٤) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (٣١٣/١) .

(٥) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (٧٨/٢) .

(٦) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (١٠٧/٢) .

(٧) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (١٦٤/٢) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدميّاطي أيضاً: " وأتضرّع إلى الله سبحانه وتعالى وأسأله من فضله العميم، متوسلاً بنبية الكريم، أن ينفع بها كما نفع بأصلها الخاص والعام، ويقبلها بفضله كما أنعم بالانعام، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وسبباً للفوز بجنّات النعيم " (١).

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدميّاطي أيضاً: " ... اللهم بجاه سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم اهدنا لأحسن الأخلاق، فإنّه لا يهدي لأحسنها إلّا أنت " (٢).

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدميّاطي أيضاً: " ... ثبتنا الله على الإيمان، ورزقنا التّمتّع بالنّظر إلى وجهه الكريم في الجنان، بجاه سيّدنا محمد سيّد ولد عدنان " (٣).

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدميّاطي أيضاً: " ... يا رحمن ارحمنا، واجعلنا من الرّاحمين، بجاه سيّدنا محمد سيّد الأوّلين والآخريّن " (٤).

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدميّاطي (١٣١٠هـ) أيضاً: " وأرجو من الكريم الوهّاب، متوسلاً بسيّدنا محمد سيّد الاحباب أن يعين على التّمام والكمال، ويمن علينا بجزيل الإفضال " (٥).

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدميّاطي (١٣١٠هـ) أيضاً: " ... يا أرحم الرّاحمين، اقض حوائجنا الدنيويّة، والأخرويّة، ووفّقنا لإصلاح النّيّة، بجاه سيّدنا محمد خير البريّة، وأهل بيته ذوي النّفوس الزكيّة " (٦).

وقال الإمام محمد بن أحمد بن عبد الله متولي (١٣١٣هـ): " و توسّلاً بمحمد المجتبي لمناجاة حضرة قدسه، وتوجّهاً بأحمد المنتقي من هذا العالم جنه وإنسه، صلّى الله وسلّم عليه وعلي آله وأصحابه الذين لم يرغبوا بأنفسهم عن نفسه " (٧).

(١) انظر: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) (٤٢٢/٢).

(٢) انظر: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (١٨٣/٣).

(٣) انظر: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (١٦٠/٤).

(٤) انظر: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (٣٨٧/٤).

(٥) انظر: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) (٣٩٢/٤).

(٦) انظر: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (٣٩٢/٤).

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد النَّاصري الدَّرعي الجعفري السِّلاوي (١٣١٥هـ): " وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةَ تَوَفَّى الشَّيْخَ أَبُو شُعَيْبٍ أَيُّوبَ بْنَ سَعِيدِ الصَّنْهَاجِيِّ الْمَلَقَّبِ بِسَارِيَّةٍ ... كُنْتَ زَرْتِ ضَرِيحٍ هَذَا الشَّيْخِ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ وَمُدْحَتِهِ بِقَصِيدَةٍ سَلَكْتَ فِيهَا مَسَلَكَ الْأَدْبَاءِ مِنَ النَّسَبِ وَغَيْرِهِ وَأَنْشَدْتَهَا عِنْدَ ضَرِيحِهِ فَرَأَيْتَ لَهَا بَرَكَهَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَذْكَرَهَا هُنَا وَهِيَ هَذِهِ ...

سقى ضريحك غيث ما يزال به  
بجواه أفضل خلق الله كلهم  
عليه أزكى صلاة الله ما تليت  
والآل والصَّحْبَ والأزواج قاطبة

بُستَان أنسك وهو مُورق الفنن  
محمد ذي المزايا الغر والمنن  
صُحف وما نسج القريض ذو لسن  
ومن قفا نهجهم في كل ما زممن (١)

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد النَّاصري الدرعي الجعفري السلاوي (١٣١٥هـ): " فنطلب من سيدنا نصره الله أن يلتزم لنا بفضلته من هذه البيعة القبول مستشفعين بجاه جده الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ وَصَحَابَتِهِ الْمُتَخَيَّرِينَ ، وَآخِرَ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (٢) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد النَّاصري الدرعي الجعفري السلاوي (١٣١٥هـ): " ... فنطلب من سيدنا نصره الله أن يلتزم لنا بفضلته من هذه البيعة القبول ، مستشفعين بجاه جده الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ وَصَحَابَتِهِ الْمُتَخَيَّرِينَ ، وَآخِرَ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (٣) .

وألف الإمام محمد النافلاتي الحنفي مفتي القدس الشريف (كان حياً سنة ١٣١٥هـ) كتاباً سماه: " التَّحْرِيْرَاتِ الرَّائِقَةُ " ، مطبوع .

وقال الإمام محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليمياً ، التَّناري بلداً (١٣١٦هـ): " اللهم أجرنا وأجر والدينا من النار بجاه النبي المُخْتَارِ وَأَدْخَلْنَا الْجَنَّةَ مَعَ الْأَبْرَارِ بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ " (٤) .

(١) انظر: إنحاف الأنام وإسعاف الأفهام في وقف حمزة وهشام ، محمد بن أحمد بن عبدالله متولي ، (ص ١) ، مخطوط بمكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية (٣٥٥) .

(٢) انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٢/٢٠٨-٢٠٩) .

(٣) انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٣/٢٩) .

(٤) انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٣/٢٩) .

(٥) انظر: نهاية الزين في إرشاد المبتدئين (ص ٧٧) .

وألف الإمام عبد الله القدومي الحنبلي النابلسي ، عالم الحنابلة بالحجاز والشَّام (١٣٣١هـ) رسالة في الرَّدِّ على محمَّد بن عبد الوهَّاب ، ردَّ عليه في مسألة الزيارة ومسئلة التَّوسُّل بالأَنْبياء والصَّالحين ، وقد ذكر ذلك في رسالته " الرِّحلة الحجازيَّة والرِّياض الأنسيَّة في الحوادث والمسائل " ، طبع .

وألف الإمام محمَّد بن محمَّد مصطفى المشرقي الإغريسي (١٣٣٤هـ) كتاباً سمَّاه : " إظهار العقوق في الرَّدِّ على منع التَّوسُّل إلى الله تعالى بالنَّبِيِّ والولي الصَّدوق " ، طبع بمصر سنة (١٣٣٠هـ ، ١٩١١م) .

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدَّمشقي (١٣٣٥هـ) أيضاً : " ... رحمهم الله أجمعين ، وجمعي بهم في مستقر رحمته بجاه سيِّد المرسلين " (١) .

وقال الإمام عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدَّمشقي أيضاً : " نسأل الله حسن الأحوال ، بجاه سيِّدنا محمَّد والصَّحب والآل " (٢) .

وقال الإمام عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدَّمشقي أيضاً : " نفعنا الله به في الدَّارين بجاه محمَّد سيِّد الكونين " (٣) .

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدَّمشقي أيضاً : " نفعنا الله ببركاته وعلومه الرِّبانيَّة بجاه محمَّد وآله " (٤) .

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدَّمشقي أيضاً في ترجمة السيِّد مرتضى الزَّبيدي ، من أشعاره : "

ويرجو المرتضى منكم قبولاً عسى يعطى الرضى عند القرار

بجاه المصطفى خير البرايا إمام المرسلين المستجار (٥)

وقال الإمام عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدَّمشقي أيضاً في ترجمة الشَّيخ الإمام العالم الأديب أحمد بن علي اليافي (١٢٢١هـ) ... ذكر هذه القصيدة :

(١) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص ١٦١٦) .

(٢) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص ٦٨٣) .

(٣) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص ٩١٥) .

(٤) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص ١٣٠٢) .

(٥) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص ١٥١٣) .

فلا زلت للوراد كعبة قصدهم تطوف وتسعى فيك بالبيض والصفير

بجاه النبي المختار والآل ذي التقى عليهم صلاة الله ما غرد القمرى (١)

وقال الإمام عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي أيضاً: " وفقه الله لمحاسن ما به

أمر، أمين، بجاه طه الأمين " (٢) .

وقال الإمام عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي أيضاً في ترجمة الشيخ السيد أحمد

بن السيد علي بن السيد محمد الشهير بالحلواني (١٣٠٧هـ): " جمعنا الله وإياه في الفردوس بجاه سيدنا محمد عليه

الصلاة والسلام " (٣) .

وقال الإمام عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (١٣٣٥هـ) أيضاً: " ... فأيد اللهم

هذا السلطان الرحيم الحليم الأفخم ، والملك الكريم السليم الأكرم ، بالفتح المبين ، والنصر على الأعداء

والمشركين ، بجاه سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، عليه وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأكمل تسليم " (٤) .

وقال الإمام عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (١٣٣٥هـ) أيضاً ، في ترجمة الشيخ

إبراهيم أبو إسحق برهان الدين الدمشقي: " ... ودفن بالمغارة المعروفة بمغارة الشيخ إبراهيم في سفح جبل

قاسيون في صالحية دمشق ، يُزار ويُتبرك به ، والمشهور أنّ الدعاء عند قبره مُستجاب ، ولأهل دمشق اعتقاد

بزيارته " (٥) .

وألف الإمام مختار بن أحمد المؤيد العظمي (١٣٤٠هـ) كتاباً بعنوان: " جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة

العظام والتوسل بجاه خير الأنام عليه الصلاة والسلام " ، وقد ردّ فيه على كتاب ابن تيمية المسمى: " رفع الملام

... " .

(١) انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١/١٩٦) .

(٢) انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص ١٦١٥) .

(٣) انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص ٢٥٥) .

(٤) انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص ١٤٦) .

(٥) انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١/٣٣) .

وقال الإمام أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألويسي (١٣٤٢هـ): " أعاذنا الله تعالى من غوائل الحسد، وعصمنا من مخائل النكد، بمحمد وآله الطاهرين " (١).

وألّف الإمام مصطفى الكرّيمي ابن الشّرخ إبراهيم السّيامي كتاباً بعنوان: " رسالة السّنّين في الرّدّ على المبتدعين الوهّابيين والمستوهبين، طبع في مطبعة المعاهد سنة (١٣٤٥) هجرية .

وألّف الإمام محمد حسن صاحب السّرهندي، المجددي (١٣٤٦هـ) كتاباً سمّاه: " الأصول الأربعة في ترويد الوهّابية "، مطبوع .

وألّف الإمام المفتي مصطفى بن أحمد الشّطي الحنبلي الدّمشقي (١٣٤٨هـ) كتاباً بعنوان: " التّقول الشّريّة " .

وجاء في " دليل الحيران على مورد الظّمآن " لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التّونسي المالكي (١٣٤٩هـ):

عسى برشدهم به أن أرشدا من ظلم الذّنب إلى نور الهدى  
بجاء سيّد الوري الشّفيح محمد ذي المحتد الرّفيح (٢)

وجاء في " دليل الحيران على مورد الظّمآن " لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التّونسي المالكي (١٣٤٩هـ) أيضاً: " ... ثمّ توّسل بجاء سيّد الوري الشّفيح الذي يحتاج إلى شفاعته عند الله جميع الكبراء سيّدنا، ومولانا محمد رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم، والجاء المنزلة، والوري الخلق " (٣).

وجاء في " دليل الحيران على مورد الظّمآن " لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التّونسي المالكي أيضاً:

بجاء سيّد الوري المؤمل  
صلّى الإله ربّنا عليه  
محمد ذي الشّرف المؤثل  
ما حنّ شوقاً ذنف إليّه (٤)

(١) انظر: غاية الأمان في الرد على النّبھاني (٢/ ٢٥٤).

(٢) انظر: دليل الحيران على مورد الظّمآن (ص ٣٤١).

(٣) انظر: دليل الحيران على مورد الظّمآن (ص ٣٤٢).

(٤) انظر: دليل الحيران على مورد الظّمآن (ص ٤٤٥).

وقال الإمام يوسف بن إسماعيل بن يوسف التَّبَهَّاني (١٣٥٠هـ): " وأسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يجعل هذا الكتاب من أفضل الحسنات الجاري نفعها في الحياة وبعد الممات، بجاه نبيِّه سيِّد الرُّسل الكرام، عليه وعليهم الصَّلَاة والسَّلَام " (١).

وقال الإمام يوسف بن إسماعيل بن يوسف التَّبَهَّاني: "... يصاحبنا في الدُّنيا، ويلازمنا في البرزخ، ولا يفارقنا يوم الدِّين؛ بجاه خير الوسائل إليه، وأقرب المقربين لديه، حبيبه الأكرم، ورسوله الأعظم: سيِّدنا محمَّد سيِّد المرسلين صَلَّى اللهُ عليه وعليهم، وعلى الهَم وأصحابهم الكرام" (٢).

وللإمام يوسف بن إسماعيل بن يوسف التَّبَهَّاني كتاب في الموضوع سمَّاه: " شواهد الحقِّ في التَّوَسُّل بسيد الخلق " .

وقال الإمام كامل بن حسين بن محمَّد بن مصطفى البالي الحلبي، الشَّهير بالغزي (١٣٥١هـ) وهو يتحدث عن مسجد سبتا: " داخل باب الفرج على يسرة الدَّاخِل منه وهو مسجد عامر له منارة جميلة الصَّنعة جداً... مكتوب على دائر موقف المؤذن تحت الدَّرابزون (أنشأ هذه المنارة المباركة فقير عفو الله راجي رحمة الله مستجير من عذاب القبر والنَّار، متوسِّلاً بسيِّد المرسلين أن يمنَّ عليه بالتَّوبة قبل الموت ويثبته على كلمة التَّوحيد والإيمان في الدُّنيا والآخرة تحت رحمة الله محمَّد بن عبد الله القاري، وذلك في اليوم التَّاسع من شهر شعبان المعظم قدره سنة (٧٥١) من الهجرة النَّبويَّة على صاحبها أفضل التَّحِيَّة) ، ومكتوب على زنار هذه المنارة الأوَّل (أنشأ هذه المنارة المباركة العبد الفقير إلى مولاه القدير، المفرُّ بالعجز والتَّقصير محمَّد بن عبد الله متوسِّلاً بسيِّد المرسلين وشفيع المذنبين أن يكون خالصة لوجهه الكريم، وسبباً للفوز بجنَّات النعيم" (٣).

وقال الإمام كامل بن حسين بن محمَّد بن مصطفى البالي الحلبي، الشَّهير بالغزي (١٣٥١هـ): " ودام اقتداره بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً: " خلَّد الله مُلكه، وأعزَّ أنصاره بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً: " أعزَّ الله أنصاره، وضاعف اقتداره بمحمَّد وآله " .

(١) انظر: وسائل الوصول إلى شمائل الرُّسول صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ (ص ٣٦).

(٢) انظر: وسائل الوصول إلى شمائل الرُّسول صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ (ص ٣٩٦).

(٣) انظر: نهر الذهب في تاريخ حلب (١٦٢/٢).

وقال أيضاً: " خَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ ، وَأَدَامَ أَقْتَدَارَهُ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ " (١) .

وَأَلَّفَ الْإِمَامُ مَفْتِي الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ مُحَمَّدٌ بَخِيْتِ الْمَطْبِيعِيِّ الْخَنْفِيِّ (١٣٥٤هـ) كِتَاباً بِعَنْوَانِ التَّوَسُّلِ ...

وقال مفتي الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ مُحَمَّدٌ بَخِيْتِ الْمَطْبِيعِيِّ الْخَنْفِيِّ فِي تَقْرِيزِهِ لِكِتَابِ فَهْرَسِ الْفَهَارِسِ : " ... أَحْسَنُ

الجزء ، وَأَدَامَ النَّفْعَ بِهِ وَحَفَظَهُ مِنَ الْأَسْوَاءِ ، بِجَاهِ مَنْ هُوَ لِلْأَنْبِيَاءِ خِتَامٌ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ " (٢) .

وَكُتِبَ شَيْخُ الْجَمَاعَةِ بِالرَّبَّاطِ ، الْعَلَّامَةُ الدَّرَاكَةُ الْأَكْبَرُ ، صَاحِبُ التَّأْلِيفِ الْعَدِيدَةِ الَّتِي قَارَبَتْ الْمِائَةَ أَبُو عَبْدِ

اللهِ مُحَمَّدٌ الْمَكِّيُّ الْبَطَاوَرِيُّ (١٣٥٥هـ) فِي تَقْرِيزِهِ لِكِتَابِ فَهْرَسِ الْفَهَارِسِ : " بِجَاهِ سِرِّ الْوُجُودِ ، وَقَبْلَةَ السُّجُودِ ،

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ " (٣) .

وقال الإمام أبو الفيض عبد الستار بن عبد الوهَّاب البكري الصديقي المكي الخنفي (١٣٥٥هـ) : " ...

تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ وَعَافَاهُ ، وَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ إِذَا تَوَفَّاهُ ، آمِينَ ، بِجَاهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى عَتْرَتِهِ

وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ " .

وقال أيضاً: " ... طَوَّلَ اللهُ لَنَا فِي عَمْرِهِ بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْأَنْامِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ

وَسَلَّمَ " .

وقال أيضاً: " ... أَدَامَ اللهُ وَجُودَهُمَا ، وَعَمَّ النَّفْعَ بِهِمَا الْمُسْلِمِينَ بِجَاهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ " .

وقال أيضاً: " ... وَأَحْسَنَ خِتَامَنَا بِالْإِيْمَانِ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ " .

وقال أيضاً: " ... حَفَظَهُ اللهُ وَأَدَامَ بِهِ النَّفْعَ لِلْمُسْلِمِينَ آمِينَ ، بِجَاهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ " .

وقال أيضاً: " ... تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ وَعَافَاهُ ، وَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ إِذَا تَوَفَّاهُ ، آمِينَ ، بِجَاهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ

عَلَيْهِ وَعَلَى عَتْرَتِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ " (٤) .

وقال الإمام الحسن بن محمد بن العَسَّالِ الطَّنْجِي (١٣٥٨هـ) : " وَلَا زَالَتِ الْخِلَافَةُ فِيهِ وَفِي عَقْبِهِ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ بِجَاهِ جَدِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ وَالسَّلَامُ " (٥) .

(١) انظر: ر الذهب في تاريخ حلب (١٩/٢)، (٨٠/٢)، (٢٨٤/٢)، (١٨٤/٣) .

(٢) انظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (١١٧٢/٢) .

(٣) انظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (١١٧٣/٢) .

(٤) انظر: فيض الملك الوهَّاب المتعالي بأبناء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي (١٠٥/١)، (١٥٨/١)، (٢١٠/١)، (١/١٠٨٨) ،

(١٤١٧/١)، (٢٠٧٢/٢) .

وقال الإمام محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (١٣٦٠هـ)، في ترجمة الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله الهزميري (٧٠٦هـ): " والدُّعاء عند قبره مستجاب " (٢).

وقال الإمام مصطفى وهيب بن إبراهيم البارودي (١٣٦٢هـ):

بجاه المصطفى خير البرايا وآل ذكرهم أبداً حميد (٣)

وألف الإمام عبد القادر بن محمد سليم الكيلاني الاسكندراني (١٣٦٢هـ) كتاباً بعنوان: " إثبات الوساطة التي نفتها الوهابية " .

وقال الإمام العلامة ، المحدث ، المُسند ، المؤرخ ، الشيخ عبد الله بن محمد الغازي المكي الحنفي ، (١٣٦٥هـ) : " نسأل الحق سبحانه وتعالى متوسلين بالمصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون التوفيق لنا رائداً في كل زمان ، آمين " (٤) .

وقال الإمام العلامة ، المحدث ، المُسند ، المؤرخ ، الشيخ عبد الله بن محمد الغازي المكي الحنفي : " هذا ولنرفع أكفَّ الابتهاج والضراعة، متوسلين بجاه صاحب الشفاعة، قائلين: اللهم آدم النصر والتمكين " (٥) .

وقال الإمام العلامة ، المحدث ، المُسند ، المؤرخ ، الشيخ عبد الله بن محمد الغازي المكي الحنفي : " هذا ولنرفع أكفَّ الابتهاج والإنابة، لسامع الدعاء ومسرع الإجابة، متوسلين بسيدنا محمد صاحب المقام الأسمى، وبأسائه المقدسة الحسنى " (٦) .

وألف الإمام يوسف الدجوي (١٣٦٥هـ) رسالة: " الأجوبة المفحمة في التوسُّل " .

وألف الإمام مصطفى الحمامي المصري (١٣٦٨هـ) كتاباً سبَّاه: " غوث العباد ببيان الرِّشاد " .

وقال الإمام محمد زاهد الكوثري (١٣٧١هـ): " إنِّي أرى أن أُمحِّدُ هنا عن مسألة التَّوسُّل التي هي وسيلة دعائهم إلى ربيهم الأُمَّة المحمديَّة بالإشراك ، وكنت لا أحبُّ طرُقَ هذا البحث لكثرة ما أثاروا حوله من جدل

(١) انظر: الرحلة التتويجية لعاصمة البلاد الإنجليزية (ص ٦٢) .

(٢) انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ٢٨٨) .

(٣) انظر: معجم أعلام شعراء المدح النبوي (ص ٤٢٢) .

(٤) انظر: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى: بإتمام الكلام (٤/ ٣٥٧) .

(٥) انظر: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى: بإتمام الكلام (٤/ ٥٢٤) .

(٦) انظر: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى: بإتمام الكلام (٤/ ٥٣٠) .

عقيم مع ظهور الحجّة واستبانة المحجّة ، وليس قصد أوّل من أثار هذه الفتنة سوى استباحة أموال المسلمين ليؤسس حكمه بأموالهم على دمائهم باسم أنّهم مشركون ، وأنّى يكون للحشويّة صدق الدّعوة إلى التّوحيد؟! . وهم في إنكارهم التّوسّل محجوجون بالكتاب والسّنة والعمل المتوارث والمعقول ... وعلى التّوسّل بالأنبياء والصّالحين أحياء وأموالاً جرت الأمتة طبقة طبقة " (١) .

وللإمام الكوثري رسالة سمّاها : " محقّق التّقوّل في مسألة التّوسّل " .

وألف الإمام أحمد حمدي الصّابوني الحلبي (١٣٧٤هـ) رسالة في الرّد على الوهابيّة .

وألف الإمام ابراهيم بن عثمان السّمودي المصري - من أهل هذا العصر - " نصرّة الامام الشّبكي برّد

الصّارم المنكي " .

وألف الإمام محمّد بن إبراهيم الأحمدى الطّوهرى الشّافعي ، شيخ الجامع الأزهر (١٩٤٤م) كتاباً سمّاها : "

يهوداً لا حنابلة " ، .

وألف الإمام سلامة العزامي القضاعي الشّافعي المصري (١٣٧٦هـ) كتاباً سمّاها : " فرقان القرءان " ، وله

كتاب آخر بعنوان : " رسالة في تأييد مذهب الصّوفيّة والرّد على المعترضين " ، وهو مطبوع . وكتاب : "

البراهين السّاطعة في ردّ البدع الشّائعة " .

وألف الإمام توفيق سوقية الدّمشقي كتاباً بعنوان : " تبين الحقّ والصّواب بالرّد على أتباع ابن عبد

الوهاب " .

وألف الإمام أحمد بن صدّيق الغماري كتاباً بعنوان : " إحياء المقبور من أدلّة استحباب بناء المساجد

والقباب على القبور " .

وقال الإمام محمّد عبّد الحّي بن عبد الكبير ابن محمّد الحسنى الإدريسي ، المعروف بعبد الحّي الكتاني

(١٣٨٢هـ) : " وأسأله متوسّلاً بهذا الرّسول الكريم عليه أن يصلي عليه في كلّ وقت ويسلّم عليه وعلى آله

وأصحابه " (٢) .

وألف الإمام محمّد العربي التّباني (١٣٩٠هـ) كتاب : " براءة الأشعريّين من عقائد المخالفين " .

(١) انظر : مقالات الكوثري (ص ٤٠٩) .

(٢) انظر : الترتيب الإداري والعاملات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة

العلمية (٢/١٢٠) .

وقال الإمام محمد عميم الإحسان المجددي البركتي (١٣٩٥هـ): " اللهم أجرنا من النَّارِ يَا مجير يَا غفار اللهم أنت السَّلام ومنك السَّلام أدخلنا ذارك دار السَّلامَةِ بِحِرْمَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ " (١).

وقال الإمام محمد عميم الإحسان المجددي البركتي (١٣٩٥هـ) أيضاً: " وَالله تَعَالَى الْمَسْئُولُ مِنْهُ الْقَبُولُ بِحِرْمَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ أَجْمَعِينَ وَالْحَمْدُ لله ربِّ الْعَالَمِينَ " (٢).

وقال الإمام عبد القادر بن ملا حويش السيّد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ): " ومنها المغفور له الشَّيخ أمين الجندي الحمصي المتوفى في شوال سنة (١٢٥٧هـ) تعمَّده الله برحمته ، إذ كان مبتلى بداء عضال أعيا الأطباء فنظم قصيدته المشهورة ، واستغاث فيها إليه تعالى ، وتوسَّل بجاه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فشفاه الله وكان مطلعها :

توسَّلت بالمختار أرجى الوسائل نبي لمثلي خير كاف وكافل (٣)

وقال الإمام حسن بن محمد المشاط المالكي (١٣٩٩هـ): " بجاه أفضل الوري محمد ... صَلَّى عليه الله طول الأبد " (٤).

وقال الإمام عبد السَّلام بن عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن الطالب بن محمد -فتحا- ابن سودة (١٤٠٠هـ): " أنزل الله تعالى الرَّفق واللفظ بجاه النَّبي عليه الصَّلَاة والسَّلام " (٥).

وقال الإمام عبد السَّلام بن عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن الطالب بن محمد ابن سودة (١٤٠٠هـ): " ... راجين من الله نيل مرغوبهم ، وتأليف كلمتهم ، وأن يكون في ضمن ذلك صلاح المسلمين ، بجاه سيِّدنا ومولانا محمد خاتم النَّبيين " .

وقال أيضاً: " ... أنزل الله تعالى الرَّفق واللفظ بجاه النَّبي عليه الصَّلَاة والسَّلام " (٦) .

(١) انظر: قواعد الفقه (ص ٢٥٦).

(٢) انظر: قواعد الفقه (ص ٥٦٤).

(٣) انظر: بيان المعاني (٢/ ٥٥٢).

(٤) انظر: إنارة الدجى في مغازي خير الوري صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (ص ٥٨).

(٥) انظر: إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (١/ ٨٩).

وجاء في " الفتاوى الهندية " ، كتاب المناسك : " خاتمة في زيارة قبر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ مَشَائِحُنَا رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى : أَمَّا أَفْضَلُ الْمُنْدُوبَاتِ ، وَفِي مَنْاسِكِ الْفَارِسِيِّ وَشَرَحِ الْمُخْتَارِ : أَمَّا قَرِيبَةٌ مِنَ الْوُجُوبِ لِمَنْ لَهُ سَعَةٌ ... ثُمَّ يَقِفُ عِنْدَ رَأْسِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَالْأَوَّلِ ، وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] . وَقَدْ جِئْنَاكَ سَامِعِينَ قَوْلَكَ طَائِعِينَ أَمْرَكَ مُسْتَشْفِعِينَ بِنَبِيِّكَ إِلَيْكَ ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر : ١٠] ، الْآيَةُ ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ [البقرة : ٢٠١] الْآيَةُ ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصفات : ١٨٠] " (١) .

وقال الإمام محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري (١٤٠٦هـ) : " مع أني صغير السن حين دخولنا هذه الديار عمَّرها الله تعالى بالإسلام وأهله بجاه النبي المختار ، فقد أطلعني الله تعالى على دين الإسلام بواسطة والذي رحمة الله عليه وأنا ابن ستة أعوام وأقل " (٢) .

وألف الإمام محمد حسين مخلوف مفتي الديار المصرية (١٤١٠هـ) رسالة في حكم التوسُّل بالأنبياء والأولياء .

وقال الشيخ علي بن مصطفى الطنطاوي (١٤٢٠هـ) : " ... وأشهد أن طالما أنقذ الشيخ يحيى ناساً من الثوار وغيرهم من أيدي الفرنسيين ، نجَّاهم - بعون الله ثمَّ بجاه الشيخ بدر الدين وبسعيه هو - من القتل " (٣) .  
وقال الدكتور إحسان عباس (١٤٢٤هـ) : " وغدا التوسُّل إلى الرسول وإرسال القصائد إلى الروضة الشريفة موضوعاً واسعاً من موضوعات الشعر الأندلسي يميِّز العصور التالية . وقد شارك ابن أبي الخصال في هذا الموضوع أيضاً ، فله رسالة يحمل فيها " بعث الإيوان ووفد الرحمن " تحياته إلى الرسول ويقول : " فهل أنتم للأمانة مؤدِّون ، ولأخيكم بالدُّعاء له في تلك المواقف ممدُّون ، وبلسان ضميره متكلمون ، وبتحيته على خاتم

(١) انظر : إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (١/٧٣) .

(٢) انظر : الفتاوى الهندية (٦٥-٢٦٦١/٢) .

(٣) انظر : دولة الإسلام في الأندلس (٥/٤٠٣) .

(٤) انظر : ذكريات علي بن مصطفى الطنطاوي (٦/٣٨١) .

الرُّسُل (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مُسَلِّمُونَ ، وَلتَرَبَّتْهُ عَنْهُ بِشَفَاهِكُمْ مُصَافِحُونَ ؟ " ثُمَّ يَشْفَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِثَلَاثِ  
مَقْطَعَاتٍ تَوْسُّلِيَّةٍ يَشْكُو فِيهَا ثِقَلُ ذَنْوِبِهِ ، وَيَتَشَفَّعُ بِجَاهِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ... " (١) .

وقال الإمام محمد إبراهيم محمد سالم (١٤٣٠هـ) :

فِيَا رَبِّ يَا مَنْنَا عَمَّ بِنَفْعِهِ  
بِجَاهِ رَسُولِ شَقَّ جَبْرَيْلُ صَدْرَهُ  
جميع الوري واقبل دعائي تفضُّلاً  
وأودع فيه الذِّكْر والعلم مؤثلاً (٢)  
(٢)

وقال الإمام أبو عبد الله محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري المالكي  
الشَّهير بالشَّيخ باي بلعالم (١٤٣٠هـ) :

يَا رَبِّ يَا رَبِّ بِجَاهِ أَحْمَدِ ارزُقْ لِشَيْخِنَا تَمَامَ الْمَقْصِدِ (٣)

وقال الإمام أبو عبد الله محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري المالكي  
الشَّهير بالشَّيخ باي بلعالم (١٤٣٠هـ) أيضاً : " وَاللَّهِ يَنْفَعُنَا وَإِيَّاهُ بِمَا قَرَأْنَا ، وَيَرْزُقُنَا الْعَمَلَ وَإِيَّاهُ بِمَا عَلَّمَنَا ، بِجَاهِ  
سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (٤) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري المالكي  
الشَّهير بالشَّيخ باي بلعالم (١٤٣٠هـ) أيضاً : " وَلَمَّا مَاتَ السَّيِّدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّيْخِ سَيِّدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّلَانِيِّ مَعَ  
السَّيِّدِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّلَانِيِّ الْمَهْدَاوِيِّ بِطَرِيقِ أُولْفِ رِثَاهُمَا السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِدْرِيسِ بْنِ عَمْرِ التَّلَانِيِّ  
فَقَالَ :

وَيَبِقُ لَنَا الشَّيْخُ الْفَقِيهُ مُحَمَّدًا  
وَيَحْفَظُهُ حَيًّا وَبَعْدَ وَفَاتِهِ  
صَحِيحًا مَعَاوِيَ وَاسِعَ الرَّحْبِ وَالصَّدْرِ  
وَيُنَجِّيهِ مِنْ هَوْلِ الْقِيَامَةِ وَالْقَبْرِ  
وَفِي رِزْقِهِ وَزَادَهُ الطُّوْلَ فِي الْعَمْرِ  
مُحَمَّدَ الْمَرْجُوِّ لِلْحَشْرِ وَالنَّشْرِ  
وبارك في أولاده وفي علمه  
بجاء إمام الرُّسُل والنَّاسِ كُلِّهِمْ

(١) انظر : تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) (ص ١٦٩-١٧٠) .

(٢) انظر : فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات (١/ ٨١٣) .

(٣) انظر : الدررة السنوية منظومة في علم الفرائض (مطبوع مع الكوكب الزهري نظم مختصر الأخصري) ، (ص ٣٦) .

(٤) انظر : الغصن الداني في ترجمة وحياة الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّلَانِيِّ (ص ٣٨) .

عليه صلاة الله ما قال قائل

صدوقاً لربي دائم الحمد والشكر (١)

وقال الإمام محمد سيّد طنطاوي (١٤٣١هـ) : " ورحم الله ابن كثير فقد قال عند تفسيره لهذه الآية :

وقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] يرشد - تعالى - العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيستغفروا الله عنده ، ويسألوه أن يستغفر لهم ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ، ولهذا قال : ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ .

وقد جاء عن الإمام العتبي أنه قال : كنت جالساً عند قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاء أعرابي ، فقال :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ !! سمعت الله يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] : وقد جئتكَ مستغفراً لذنبي ، مستشفعاً بك عند ربي . ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال العتبي : ثم انصرف الأعرابي ، فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم ، فقال : يا عتبي ، الحق

الأعرابي فبشّره أن الله قد غفر له " (٢) .

قال الإمام محمد سعيد رمضان البوطي : " وإذا علمت أن التبرُّك بالشيء إنَّما هو طلب الخير بواسطته

ووسيلته ، علمت أن التَّوسُّلَ بآثار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر مندوب إليه ومشروع ، فضلاً عن التَّوسُّلِ

بذاته الشَّريفة ، وليس ثمة فرق بين أن يكون ذلك في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بعد وفاته ، فأثار النبي صَلَّى اللهُ

الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفضلاته لا تتَّصف بالحياة مطلقاً ، سواء تعلَّق التبرُّك والتَّوسُّلُ بها في حياته أو بعد وفاته ، ولقد

توسَّل الصَّحابة بشعراته من بعد وفاته ، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري في باب شيب رسول الله صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) انظر : الغصن الداني في ترجمة وحياة الشَّيخ عبد الرَّحمن التَّنالاني (ص ٧٦) .

(٢) انظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣/ ٢٠١) .

ومع ذلك فقد ضلَّ أقوام لم تشعر أفئدتهم بمحبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وراحوا يستنكرون التَّوَسُّلَ بذاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، بحجَّة أن تأثير النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد انقطع بوفاته ، فالتَّوَسُّلُ به إِنَّمَا هو تَوَسُّلٌ لا بشيء تأثير له البتَّة . وهذه حِجَّةٌ تدلُّ على جهل عجيب جداً ، فهل ثبت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأثير ذاتي في الأشياء في حال حياته حتى نبحت عن مصير هذا التَّأثير بعد وفاته ؟ إنَّ أحدًا من المسلمين لا يستطيع أن ينسب أي تأثير ذاتي في الأشياء لغير الواحد الأحد ، ومن اعتقد خلاف ذلك يكفر بإجماع المسلمين كلهم... فمناط التَّبَرُّكِ والتَّوَسُّلِ به أو بآثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس هو إسناد أي تأثير إليه ، وإنَّما المناط كونه أفضل الخلائق عند الله على الإطلاق ، وكونه رحمة من الله للعباد ، فهو التَّوَسُّلُ بقربه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ربه ويرحمته الكبرى للخلق ، وبهذا المعنى تَوَسَّلَ الأعمى به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أن يرَدَّ عليه بصره ، فردَّه الله عليه ، وبهذا المعنى كان الصَّحابة يتوسَّلون بآثاره وفضلاته دون أن يجدوا منه أي إنكار . وقد مرَّ بيان استحباب الاستشفاع بأهل الصَّلاح والتقوى وأهل بيت النبوة في الاستسقاء وغيره ، وأنَّ ذلك ممَّا أجمع عليه جمهور الأئمة والفقهاء بما فيهم الشوكاني ، وابن قدامة ، والصنعاني ، وغيرهم . والفرق بعد هذا بين حياته وموته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلط عجيب وغريب في البحث لا مسوغ له " (١) .

وجاء في " الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة " : " التَّوَسُّلُ بالنَّبِيِّ عَلَى مَعْنَى الإِيْمَانِ بِهِ وَحَبِّبِهِ : لا خِلَافَ بَيْنَ العُلَمَاءِ فِي التَّوَسُّلِ بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَعْنَى الإِيْمَانِ بِهِ وَحَبِّبِهِ ، وَذَلِكَ كَأَن يَقُولَ : أَسْأَلُكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ، وَرِيدُ : إِنِّي أَسْأَلُكَ بِإِيْمَانِي بِهِ وَبِمَحَبَّتِيهِ ، وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِإِيْمَانِي بِهِ وَحَبِّبَتِي ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

قال ابن تيميَّة : مَنْ أَرَادَ هَذَا المَعْنَى فَهُوَ مُصِيبٌ فِي ذَلِكَ بِلا نِزَاعٍ ، وَإِذَا حُمِلَ عَلَى هَذَا المَعْنَى كَلَامٌ مَنْ تَوَسَّلَ بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَمَاتِهِ مِنَ السَّلَفِ - كَمَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ الصَّحابة وَالتَّابِعِينَ . وَعَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ - كَانَ هَذَا حَسَنًا . وَحِينَئِذٍ فَلا يَكُونُ فِي المُسْأَلَةِ نِزَاعٌ ، وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ العَوَامِّ يُطْلِقُونَ هَذَا اللَّفْظَ وَلا يُرِيدُونَ هَذَا المَعْنَى ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ مَنْ أَنْكَرَ . وَهَذَا كَمَا أَنَّ الصَّحابة كَانُوا يُرِيدُونَ بالتَّوَسُّلِ بِهِ التَّوَسُّلَ بِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ ، وَهَذَا جَائِزٌ بِلا نِزَاعٍ ، ثُمَّ إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي زَمَانِنَا لا يُرِيدُونَ هَذَا المَعْنَى بِهَذَا اللَّفْظِ .

وقال الألويسي : أَنَا لا أَرَى بَأْسًا فِي التَّوَسُّلِ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِجَاهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَرِيدُ مِنَ الجَاهِ مَعْنَى يَرْجِعُ إِلَى صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَى ، مِثْلَ أَنْ يُرَادَ بِهِ المَحَبَّةُ التَّامَّةُ المُسْتَدْعِيَّةُ عَدَمَ رَدِّهِ وَقَبُولِ شَفَاعَتِهِ ، فَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِ القَائِلِ : إِلَهِي أَتَوَسَّلُ بِجَاهِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُقْضِيَ لِي حَاجَتِي .

(١) انظر : فقه السيرة (ص ٣٢٦) .

إِلَهِي اجْعَلْ مَحَبَّتَكَ لَهُ وَسِيلَةً فِي قَضَاءِ حَاجَتِي ، وَلَا تَفَرِّقْ بَيْنَ هَذَا وَقَوْلِكَ : إِلَهِي أَتَوَسَّلُ بِرَحْمَتِكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا ، إِذْ مَعْنَاهُ أَيْضاً إِلَهِي اجْعَلْ رَحْمَتَكَ وَسِيلَةً فِي فِعْلِ كَذَا ، وَالْكَلَامُ فِي الْحُرْمَةِ (أَيِ الْمُنْزِلَةِ - وَالْمُرَادُ حُرْمَةُ النَّبِيِّ) كَالْكَلَامِ فِي الْجَاهِ .

التَّوَسُّلُ بِالنَّبِيِّ بَعْدَ وَفَاتِهِ : اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَشْرُوعِيَّةِ التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِنَبِيِّكَ أَوْ بِجَاهِ نَبِيِّكَ أَوْ بِحَقِّ نَبِيِّكَ ، عَلَى أَقْوَالٍ :

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ : ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ (المَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَمُتَأَخِّرُو الْحَنَفِيَّةِ وَهُوَ الْمَذْهَبُ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ) إِلَى جَوَازِ هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوَسُّلِ سِوَاءَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ بَعْدَ وَفَاتِهِ قَالَ الْقُسْطَلَانِيُّ : وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ مَالِكاً لَمَّا سَأَلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمُنْصُورُ الْعَبَّاسِيُّ - ثَانِي خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ - يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَدْعُو أَمْ أَسْتَقْبِلُ الْقَبْلَةَ وَأَدْعُو؟

فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيْلَتُكَ وَوَسِيْلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ بَلِ اسْتَقْبِلْهُ وَاسْتَشْفِعْ بِهِ فَيَسْمَعَهُ اللَّهُ .

وَقَدْ رَوَى هَذِهِ الْقِصَّةَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ فَهْرٍ فِي كِتَابِهِ " فَصَائِلُ مَالِكٍ " بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ ، وَأَخْرَجَهَا الْقَاضِي عِيَّاضُ فِي الشُّفَاءِ مِنْ طَرِيقِهِ عَنْ شَيْخٍ عَدَدَةٍ مِنْ ثِقَاتِ مَسَاجِدِهِ .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي بَيَانِ آدَابِ زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثُمَّ يَرْجِعُ الزَّائِرُ إِلَى مَوْقِفِ قُبُلِهِ وَجِهَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَوَسَّلُ بِهِ وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ ، وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ الزَّائِرُ مَا حَكَاهُ الْمَأُورِدِيُّ وَالْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ وَسَائِرُ أَصْحَابِنَا عَنِ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، مُسْتَحْسِنِينَ لَهُ ، قَالَ : كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلَى رَبِّي ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ وَطَابَ مِنْ طَيْبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكْمُ  
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

وَقَالَ الْعَزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ : يَنْبَغِي كَوْنُ هَذَا مَقْصُوراً عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ سَيِّدٌ وَلَدَ آدَمَ ، وَأَنْ لَا يُقَسَمَ عَلَى اللَّهِ بغيرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ الْأَوْلِيَاءِ ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا فِي دَرَجَتِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ مِمَّا خُصَّ بِهِ تَنْبِيهاً عَلَى عُلُوِّ رُتْبَتِهِ .

وَقَالَ السُّبْكِيُّ : وَيَحْسُنُ التَّوَسُّلُ وَالِاسْتِغَاثَةُ وَالتَّشْفَعُ بِالنَّبِيِّ إِلَى رَبِّهِ .  
وَفِي إِعَاثَةِ الطَّالِبِينَ : ... وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَعْفِراً مِنْ ذُنُوبِي مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلَى رَبِّي .  
مَا تَقَدَّمَ أَقْوَالِ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ .

وَأَمَّا الْحَنَابِلَةُ : فَقَدْ قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي الْمُغْنِيِّ بَعْدَ أَنْ نَقَلَ قِصَّةَ الْعُتَيْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، مَعَ الْأَعْرَابِيِّ : وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ  
دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَنْ يُقَدِّمَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى ... إِلَى أَنْ قَالَ : ثُمَّ تَأْتِي الْقَبْرَ فَتَقُولُ ... وَقَدْ أَتَيْتُكَ مُسْتَعْفِراً مِنْ ذُنُوبِي  
مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلَى رَبِّي ... وَمِثْلُهُ فِي الشَّرْحِ الْكَبِيرِ .

وَأَمَّا الْحَنَفِيَّةُ : فَقَدْ صَرَّحَ مُتَأَخَّرُوهُمْ أَيْضاً بِجَوَازِ التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ الْكَمَالُ بْنُ الْمُهْمَمِ  
فِي فَتْحِ الْقَدِيرِ : ثُمَّ يَقُولُ فِي مَوْقِفِهِ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ... وَيَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى حَاجَتَهُ مُتَوَسِّلاً إِلَى اللَّهِ  
بِحَضْرَةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَقَالَ صَاحِبُ الْإِحْتِيَارِ فِيمَا يُقَالُ عِنْدَ زِيَارَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ... جِئْنَاكَ مِنْ بِلَادٍ شَاسِعَةٍ ...  
وَالِاسْتِشْفَاعُ بِكَ إِلَى رَبِّنَا ... ثُمَّ يَقُولُ : مُسْتَشْفِعِينَ بِنَبِيِّكَ إِلَيْكَ .

وَمِثْلُهُ فِي مَرَاقِي الْفَلَاحِ وَالطَّحَاوِيِّ عَلَى الدَّرِّ الْمُخْتَارِ وَالْفَتَاوَى الْهِنْدِيَّةِ .  
وَنَصُّ هَؤُلَاءِ : عِنْدَ زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهْمَّ ... وَقَدْ جِئْنَاكَ سَامِعِينَ قَوْلِكَ طَائِعِينَ أَمْرَكَ  
مُسْتَشْفِعِينَ بِنَبِيِّكَ إِلَيْكَ .

وَقَالَ الشُّوْكَانِيُّ : وَيَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ بِأَنْبِيَائِهِ وَالصَّالِحِينَ ، وَقَدْ اسْتَدَلُّوا مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ بِمَا بَيَّنَّا :  
(أ) قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] .

(ب) حَدِيثُ الْأَعْمَى الْمُتَقَدِّمِ ، وَفِيهِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ .  
فَقَدْ تَوَجَّهَ الْأَعْمَى فِي دُعَائِهِ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، أَيُّ : بِذَاتِهِ .

(ج) قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعَاءِ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ : اغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ ، وَوَسَّعَ عَلَيْهَا  
مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

(د) تَوَسَّلَ آدَمُ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي " دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ " وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ  
عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ ، قَالَ : يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ  
بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا غَفَرْتَ لِي ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا آدَمُ كَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ ؟

قَالَ: يَا رَبِّ إِنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوباً لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : صَدَقْتَ يَا آدَمُ ، أَنَّهُ لِأَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيَّ ، وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكَ ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ .

(هـ) حَدِيثُ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ عِنْدَ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَوَى الطَّبْرَانِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عُمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي زَمَنِ خِلَافَتِهِ ، فَكَانَ لَا يَلْتَمِسُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي حَاجَتِهِ ، فَشَكَا ذَلِكَ لِعُمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الْمِيضَاءُ تَتَوَضَّأُ ، ثُمَّ أَنْتَ الْمُسْجِدُ فَصَلِّ ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِبَيْتِكَ مُحَمَّدَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي ، وَتَذْكُرُ حَاجَتَكَ ، فَأَنْطَلِقَ الرَّجُلُ فَصَنَعَ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَى بَابَ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَجَاءَ الْبُوابُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاجْلَسَهُ مَعَهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَذْكَرُ حَاجَتَكَ ، فَذَكَرَ حَاجَتَهُ فَقَضَاهَا لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَأَذْكَرُهَا ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيَ ابْنَ حُنَيْفٍ ، فَقَالَ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مَا كَانَ يَنْظُرُ لِحَاجَتِي حَتَّى كَلَّمْتَهُ لِي ، فَقَالَ ابْنُ حُنَيْفٍ ، وَاللَّهِ مَا كَلَّمْتَهُ وَلَكِنْ شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَاهُ ضَرِيرٌ فَشَكَا إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ . إِلَى آخِرِ حَدِيثِ الْأَعْمَى الْمُتَقَدِّمِ .

قال المباركفوري : قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ فِي إِنْجَاحِ الْحَاجَّةِ: ذَكَرَ شَيْخُنَا عَابِدُ السَّنْدِيِّ فِي رِسَالَتِهِ وَالحَدِيثِ - حَدِيثِ الْأَعْمَى - يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ التَّوَسُّلِ وَالِاسْتِشْفَاعِ بِذَاتِهِ الْمُكْرَمِ فِي حَيَاتِهِ ، وَأَمَّا بَعْدَ مَمَاتِهِ فَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ عُمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عُمَانَ... إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ .

وَقَالَ الشُّوكَاكِيُّ فِي مُنْهَجَةِ الدَّاكِرِينَ: وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ التَّوَسُّلِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ الْفَاعِلَ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَنَّهُ الْمُعْطِي الْمَانِعِ ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ " (١) .

وجاء في " الموسوعة الفقهية الكويتية " أيضاً : " أَنْوَاعُ الْإِسْتِغَاةِ بِالْخَلْقِ :

وَالِاسْتِغَاةُ بِالْخَلْقِ - فِيمَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ - تَكُونُ عَلَى أَرْبَعِ صُورٍ :

أُولَاهَا : أَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ بِالتَّوَسُّلِ بِهِ تَفْرِيجَ الْكُرْبَةِ ، وَلَا يَسْأَلُ التَّوَسُّلَ بِهِ شَيْئاً ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ : اللَّهُمَّ بِجَاهِ رَسُولِكَ فَرِّجْ كُرْبَتِي . وَهُوَ عَلَى هَذَا سَأَلَ اللَّهُ وَحْدَهُ ، وَمُسْتَعِيثٌ بِهِ ، وَلَيْسَ مُسْتَعِيثاً بِالتَّوَسُّلِ بِهِ .

وَقَدْ اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ لَيْسَتْ شَرْكاً ، لِأَنَّهَا اسْتِغَاةٌ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَلَيْسَتْ اسْتِغَاةٌ بِالتَّوَسُّلِ بِهِ ؛ وَلَكِنَّهُمْ اِخْتَلَفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ مِنْ حَيْثُ الْحُلِّ وَالْحُرْمَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ :

(١) انظر : الموسوعة الفقهية الكويتية (١٤/١٥٦-١٦٠) .

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ : جَوَّازُ التَّوَسُّلِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ حَالَ حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ مَمَاتِهِمْ . قَالَ بِهِ مَالِكٌ ، وَالسُّبُكِيُّ ، وَالكَرْمَانِيُّ ، وَالنَّوَوِيُّ ، وَالْقَسْطَلَانِيُّ ، وَالسَّمْعُودِيُّ ، وَابْنُ الْحَجَّاجِ ، وَابْنُ الْجَزْرِيِّ .

وَاسْتَدَلَّ الْقَائِلُونَ بِجَوَّازِ الْإِسْتِعَاثَةِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ بِأَدْلَةٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا مَا وَرَدَ مِنَ الْأُدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِثْلُ : أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّ مَمْسَايَ هَذَا إِلَيْكَ .

وَمِنْهَا مَا قَالَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعَاءِ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ أُسْدٍ اغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أُسْدٍ ، وَوَسَّعَ عَلَيْهَا مَدْخَلَهَا ، بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي ، فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

وَمِنَ الْأَدْلَةِ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي .

وَمَا وَرَدَ مِنْ حَدِيثِ الْمُعْرَاجِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى مُوسَى وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ وَالصَّلَاةَ تَسْتَدْعِي حَيَاةَ الْبَدَنِ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

[البقرة : ٨٩] ، أَنَّهُ قَالَ : كَانَ أَهْلُ خَيْبَرَ يُقَاتِلُ عَطْفَانَ ، كُلَّمَا نَفَقَتَا هَزَمَتْ عَطْفَانَ الْيَهُودَ ، فَدَعَتِ الْيَهُودُ بِهَذَا الدُّعَاءِ

: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِحَقِّ الَّذِي وَعَدْتَنَا أَنْ تُخْرِجَهُ لَنَا إِلَّا نَصَرْتَنَا عَلَيْهِمْ . فَكَانُوا إِذَا نَفَقُوا دَعَوْا بِهَذَا الدُّعَاءِ فَتَهَزِمُوا الْيَهُودَ عَطْفَانَ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا

اللَّهُ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] . وَهَذَا تَفْخِيمٌ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعْظِيمٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا

يَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ .

وَيَسْتَدِلُّونَ بِحَدِيثِ الْأَعْمَى الْمُتَوَسِّلِ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رَدِّ بَصَرِهِ ...

الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ : اسْتِعَاثَةٌ بِاللَّهِ وَاسْتِعَاثَةٌ بِالشَّفِيعِ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهُ لَهُ : وَهُوَ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ ، وَيَسْأَلَ الْمُتَوَسِّلَ بِهِ أَنْ

يَدْعُوَ لَهُ ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ الصَّحَابَةُ ، وَيَسْتَعِيثُونَ وَيَتَوَسَّلُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ ، ثُمَّ مِنْ

بَعْدِهِ بِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ ، وَبِزَيْدِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَهُوَ اسْتِعَاثَةٌ بِاللَّهِ ، وَاسْتِعَاثَةٌ بِالشَّفِيعِ أَنْ يَسْأَلَ

اللَّهُ لَهُ . فَهُوَ مُتَوَسِّلٌ بِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ ، وَهَذَا مَشْرُوعٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي حَيَاةِ الشَّفِيعِ ، وَلَا يُعْلَمُ فِيهِ خِلَافٌ .

فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ ، كُلِّ ضَعِيفٍ مُسْتَضْعَفٍ ، لَوْ

أَفْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَعْنَاهُ لَوْ حَلَفَ عَلَى اللَّهِ لَيَفْعَلَنَّ كَذَا لَوْ وَقَعَ مَطْلُوبُهُ ، فَيَبُرُّ بِقَسَمِهِ إِكْرَامًا لَهُ ، لِعِظَمِ

مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ . فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ خَصَّهَ اللهُ بِإِجَابَةِ الدَّعْوَةِ ، فَلَا بَأْسَ أَنْ يُسْأَلَ فَيَدْعُوَ لِلْمُسْتَعِيثِ ، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا فِي آثَارٍ كَثِيرَةٍ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ .

الصُّورَةُ الثَّلَاثَةُ : اسْتِعَاثَةٌ فِي سُؤَالِ اللهِ :

وَهِيَ أَنْ يَسْتَعِيثَ الْإِنْسَانُ بِغَيْرِهِ فِي سُؤَالِ اللهِ لَهُ تَفْرِيجَ الْكَرْبِ ، وَلَا يُسْأَلُ اللهُ هُوَ لِنَفْسِهِ . وَهَذَا جَائِزٌ لَا يُعْلَمُ فِيهِ خِلَافٌ .

وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَهَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِبُضْعَائِكُمْ ، أَيُّ : بِدُعَائِهِمْ ، وَصَلَاتِهِمْ ، وَاسْتِعْفَارِهِمْ .

وَمِنْ هَذَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ . أَيُّ : يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ . فَلَا يَسْتَنْصِرُ وَالْإِسْتِزْرَاقُ يَكُونُ بِالْمُؤْمِنِينَ بِدُعَائِهِمْ ، مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ . لَكِنَّ دُعَاءَهُمْ وَصَلَاتَهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ ، وَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ لِلْمُسْتَنْصِرِ بِهِ وَالْمُسْتَرْزِقِ بِهِ مَرِيَّةٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لِأَبْرَهُ . مِنْهُمْ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ أُوَيْسِ الْقُرْنِيِّ : فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يُسْتَعْفَرَ لَكَ فَافْعَلْ . وَقَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ مَا دَعَّاهُ لِلْعُمْرَةِ : لَا تَنْسَنَا مِنْ دُعَائِكَ .

الصُّورَةُ الرَّابِعَةُ : أَنْ يُسْأَلَ الْمُسْتَعَاثُ بِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَلَا يُسْأَلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، كَأَنْ يَسْتَعِيثَ بِهِ أَنْ يُفْرِجَ الْكَرْبَ عَنْهُ ، أَوْ يَأْتِيَهُ بِالرِّزْقِ . فَهَذَا غَيْرُ جَائِزٍ وَقَدْ عَدَّهُ الْعُلَمَاءُ مِنَ الشَّرْكِ ، " لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ \* وَإِنْ يَمَسُّكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَلُوبُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٦-١٧] .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سُحَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ ، فَقَالَ : كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ ؟ فَنَزَلَتْ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] ، فَإِذَا نَفَى اللهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ مَا لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ مِنْ جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرٍّ ، فَعَيْرُهُ أَوْلَى " (١) .

وقالت دائرة الإفتاء الأردنيّة ، في جواب سؤال : " ما حكم التوسّل بجاه النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ الجواب : الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيّدنا رسول الله ...

(١) انظر : الموسوعة الفقهية الكويتية (٤/ ٢٤-٢٨) .

التَّوَسُّلُ بِجَاهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَائِزٌ فِي مَذْهَبِنَا وَمَذْهَبِ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ فِي الْمَعْتَمَدِ مِنْ كِتَابِهِمْ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَقَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَظِيمِ وَمَنْزِلَتَهُ الرَّفِيعَةَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَابِتَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَمَنْ تَوَسَّلَ بِأَمْرٍ ثَابِتٍ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ لِعُمُومِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة : ٣٥] ، خَاصَّةً وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ خَاصٌّ ، وَهُوَ حَدِيثُ عَثْمَانَ بْنِ حَنِيفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ عَلِمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الدُّعَاءَ : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ " رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (رَقْمُ/٣٥٧٨) ، وَقَالَ : حَسَنٌ صَحِيحٌ . يَقُولُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي مَعْرُضِ حَدِيثِهِ عَنْ آدَابِ زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَوْقِفِهِ الْأَوَّلِ قِبَالَ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَتَوَسَّلُ بِهِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ ، وَيَتَشَفَّعُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى " انْتَهَى . " الْأَذْكَارُ " (ص/٢٠٥) . وَيَقُولُ الْكِمَالِيُّ ابْنُ الْهَمَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ : " يَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى حَاجَتَهُ مَتَوَسَّلًا إِلَى اللَّهِ بِحَضْرَةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ " انْتَهَى . " فَتْحُ الْقَدِيرِ " (١٨١/٣) ، وَفِي " حَاشِيَةِ الْعَدَوِيِّ " (٥/١) : " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمُتَّبِعِينَ لَهُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَعَتْرَتِهِ آمِينَ " . وَيَقُولُ الْبَهَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : " وَلَا بَأْسَ بِالتَّوَسُّلِ بِالصَّالِحِينَ ، وَنَصَّهُ - يَعْنِي الْإِمَامَ أَحْمَدَ - فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرْوُذِيِّ أَنَّهُ يَتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ ، وَجَزَمَ بِهِ فِي " الْمُسْتَوْعَبِ " ، وَغَيْرِهِ " انْتَهَى " كَشَّافُ الْقِنَاعِ " (٧٣/٢) . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ : فِالمَسْأَلَةِ مِنْ مَسَائِلِ الْفُرُوعِ الَّتِي لَا يَجُوزُ الْإِنْكَارُ فِيهَا وَإِحْدَاثُ الشُّقَاقِ وَالنِّزَاعِ ، وَهَذَا ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ - وَهُوَ مِنَ الْقَائِلِينَ بِمَنْعِ التَّوَسُّلِ بِالْجَاهِ - يَقُولُ : " وَإِنْ كَانَ فِي الْعُلَمَاءِ مَنْ سَوَّغَهُ ، فَقَدْ ثَبَتَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ نَهَى عَنْهُ ، فَتَكُونُ مَسْأَلَةُ نِزَاعٍ ، فَيُرَدُّ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَيُيَدَّى كُلُّ وَاحِدٍ حُجَّتَهُ كَمَا فِي سَائِرِ مَسَائِلِ النِّزَاعِ ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ مَسَائِلِ الْعُقُوبَاتِ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ، بَلِ الْمَعَاقِبُ عَلَى ذَلِكَ مَعْتَدٌ جَاهِلٌ ظَالِمٌ " انْتَهَى . " مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى " (١/٢٨٥-٢٨٦) ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . " (١) "

وجاء في فتاوى المجلس الإسلامي للإفتاء / بيت المقدس

حكم التَّوَسُّلِ بِالصَّالِحِينَ :

(١) انظر : فتاوى لجنة الإفتاء في المملكة الأردنية الهاشمية ، رقم الفتوى : (٥٧٩) بتاريخ : ٠٤-٠٤-٢٠١٠ .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز التوسل بالصالحين ، وهو القول المعتمد في المذاهب الأربعة ، بل إن الشيخ محمد بن عبد الوهّاب في رسائله إلى أهل القصيم لم ينكر مشروعية التوسل بالصالحين ، وأبلغ من انتصر لهذا القول الإمام الشوكاني السلفي ، وإليك نصوص أفواهم :

نصوص علماء الحنفية : جاء في حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح (ص ٣٦٠ ط) مكتبة الباوي الحلبي / القاهرة سنة (١٣١٨هـ) : قوله فيتوسل إليه بصاحبيه . ذكر بعض العارفين أنّ الأدب في التوسل أن يتوسل بالصالحين إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم ثمّ به إلى حضرة الحقّ جلّ جلاله وتعاضمت أسماؤه ، فإنّ مراعاة الوساطة عليها مدار قضاء الحاجات .

وجاء في تنقيح الفتاوى الحامديّة لابن عابدين (ت:١٢٥٢هـ) (٤١٧/٧) في ذكر حال بعض الجراد الذي غزا البلاد !! : **وَأَدْفَعْ شَرَّهَا عَنْ أَرْزَاقِ الْمُسْلِمِينَ بِجَاهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .**  
وقال ابن عابدين في " حاشية رد المحتار على الدر المختار " (٨٤/١) :

" يقول أسير الذنوب جامع هذه الأوراق راجياً من مولاه الكريم، متوسلاً بنبيه العظيم وبكلّ ذي جاه عنده تعالى أن يمنّ عليه كرمأً وفضلاً بقبول هذا السعي والنفع له للعباد ، في عامة البلاد ، وبلوغ المرام ، بحسن الختام ، والاختتام ، آمين " .

قال خليل أحمد سهارنبوري (١٣٤٩هـ) في كتابه " المهند على المفند " (ص ٨٦-٨٧) ، وهو من كبار علماء أحناف ديوبند بالهند ، في جواب هذا السؤال : هل للرجل أن يتوسل في دعوته بالنبي والصالحين والصدّيقين والشهداء والأولياء ؟

" عندنا وعند مشايخنا يجوز التوسل بهم في حياتهم وبعد وفاتهم بأن يقول : " اللهمّ إنّي أتوسل إليك بفلان أن تجيب دعوتي وتقضي حاجتي " ، كما صرّح به الشاه محمد إسحاق الدهلوي والمهاجر المكي ، ورشيد أحمد الكنكومي . انتهى .

- قال الإمام محمد زاهد الكوثري في كتاب " مقالات الكوثري " : (ص ٤١٠) : وعلى التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتا جرت الأمة طبقة طبقة " اهـ

نصوص علماء المالكيّة : جاء في " الشرح الصّغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك " ، للعلامة أبي البركات أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ، وبهامشه حاشية العلامة الشيخ أحمد بن محمد الصّاوي المالكي ،

(٧٢١٢): "... ثم ينتقل قبالة قبر أبي بكر ويقول: "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَدِيقَ رَسُولِ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ جَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ خَيْرًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَأَرْضَاكَ وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مُتَقَلِّبًا وَمِثْوَاكَ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ كُلِّ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ قِبَالَ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ وَيَقُولُ: "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ الْفَارُوقَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ جَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ خَيْرًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَأَرْضَاكَ وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مُتَقَلِّبًا وَمِثْوَاكَ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ كُلِّ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."

ثم يأتي إلى البقيع فيسلم على أهله هكذا، ويتوسل بهم إلى رسول الله، فلتحفظ تلك الآداب، فإن من فعلها مع الشوق و فراغ القلب من الأغيار بلغ كل ما يتمنى إن شاء الله تعالى".

نصوص علماء الشافعية: جاء في "مغني المحتاج" (١٨٤/١): "سئل الشيخ عز الدين: هل يكره أن يسأل الله بعظيم من خلقه كالنبي والملك والولي؟ فأجاب: بأنه جاء عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه علم بعض الناس: اللهم إني أقسم عليك بنبيك محمد نبي الرحمة... الخ. فإن صحَّ فينبغي أن يكون مقصوراً عليه عليه الصلاة والسلام، لأنه سيّد ولد آدم، ولا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة، لأنهم ليسوا في درجته، ويكون هذا من خواصه، والمشهور أنه لا يكره شيء من ذلك".

قال الإمام النووي قال في كتاب "الأذكار": باب الأذكار في الاستسقاء، (ص ١٦٠): "أنه يستحب إذا كان فيهم رجل مشهور بالصالح أن يستسقوا به فيقولون: اللهم إنا نستسقي ونستشفع إليك بعبدك فلان، كما روى البخاري أن عمر رضي الله عنه استسقى بعبّاس رضي الله عنه، وقال: جاء الاستسقاء بأهل الخير والصّلاح عن معاوية رضي الله عنه وغيره".

نصوص علماء الحنابلة: جاء في الفروع، ابن مفلح في "الفروع" (٢٢٩/٣): "ويجوز التوسل بالصالح، وقيل يستحب".

وجاء في "الإنصاف" للمرداوي (٤٥٦/٢): "يجوز التوسل بالرجل الصالح، على الصحيح من المذهب. وقيل يستحب. قال الإمام أحمد في منسكه الذي كتبه للمروزي: يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه وجزم به في المستوعب وغيره".

وجاء في كشف القناع للإمام البهوتي (٥٤٦/١): "ولا بأس بالتوسل بالصالحين".

وجاء في "منتهى الإرادات" مع شرحه للإمام البهوتي (٥٨/٢): "وأبيح التوسُّل بالصالحين".

وجاء في "غاية المنتهى" مع شرحه للإمام الرحيباني (٣١٦/٢): "وكذا أبيح توسُّل بصالحين".

وجاء في المغني (ج ٢: ص ٤٣٩): "ويستحب أن يستسقى بمن ظهر صلاحه؛ لأنه أقرب إلى إجابة الدعاء،

فإنَّ عمر رضي الله عنه استسقى بالعبَّاس عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال ابن عمر: استسقى عمر عام الرَّمادة بالعبَّاس، فقال: اللهمَّ إنَّ هذا عمُّ نبيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نتوجَّه إليك به فاسقنا. فما برحوا حتى سقاهم الله عزَّ وجلَّ".

وجاء في كتاب مناقب الإمام أحمد ابن الجوزي (ص ٢٩٧): عن عبد الله بن موسى أنه قال: خرجت أنا

وأبي في ليلة مظلمة نزر أحمد فاشتدَّت الظلمة، فقال أبي: يا بني تعال حتى نتوسَّل إلى الله تعالى بهذا العبد الصَّالح حتى يضاء لنا الطَّريق، فمنذ ثلاثين سنة ما توسَّلت به إلَّا قضيت حاجتي، فدعا أبي وأمَّنت على دعائه، فأضاءت السَّماء كأنَّها ليلة مقمرة حتى وصلنا إليه. اهـ

رأي الشوكاني السلفي رحمه الله تعالى: وقال: "ويتوسَّل إلى الله بأبيائه والصَّالحين". أقول: ومن

التوسُّل بالأنبياء: وذكر قصة الأعمى، وأمَّا التوسُّل بالصَّالحين، حديث استسقاء سيِّدنا عمر بسيدنا العبَّاس رضي الله عنهما. انظر: كتاب تحفة الذاكرين (ص ٣٧).

وينقل رضي الله عنه إجماع الصَّحابة على جواز التوسُّل ثمَّ يقول: "وأما التوسُّل إلى الله سبحانه وتعالى

بأحد من خلقه في مطلب يطلبه من ربِّه، فقد قال عزُّ الدِّين بن عبد السلام: أنه لا يجوز التوسُّل إلى الله تعالى إلَّا بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وعندي - أي عند الشوكاني - أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسُّل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ لأمرين: الأوَّل: ما عرَّفناك به من إجماع الصَّحابة رضي الله عنهم. والثاني: أن التوسُّل إلى الله تعالى بأهل الفضل والعلم هو في التَّحقيق توسُّل بأعمالهم الصَّالحة ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلَّا بأعماله".

رأي الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب: حيث في رسالته الموجهة لأهل القصيم الاستنكار الشَّديد على من

نسب إليه تكفير المتوسِّل بالصَّالحين، وقال: إنَّ سليمان بن سحيم افترى عليَّ أموراً لم أفعلها، ولم يأت أكثرها على بالي، فمنها: أني أكفر من توسَّل بالصَّالحين، وأنِّي أكفر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق، وأنِّي أحرقت دلائل الخيرات"، وجوابي عن هذه المسائل: أني أقول سبحانه هذا هتان عظيم. وجاء أيضاً تأييد قوله هذا في رسالة أخرى له بعثها إلى أهل المجمععة يقول فيها: إذا تبين هذا فالمسائل التي شنع بها، منها ما هو من البهتان الظَّاهر،

وهو قوله : أَنِّي أَكْفَرُ من تَوَسَّلَ بِالصَّالِحِينَ ، وَأَنِّي أَكْفَرُ البوصيري ، إلى آخر ما قال ، ثمَّ قال : وجوابي فيها أَنِّي أقول : سبحانك هذا بهتان عظيم (١) .

وقال في موضع آخر : " فكون بعضهم يرخص بالتَّوَسُّلِ بِالصَّالِحِينَ ، وبعضهم يَحْضُهُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه ، فهذه المسألة من مسائل الفقه !!! وإن كان الصَّوَابُ عندنا قول الجمهور من أَنَّهُ مَكْرُوهٌ ، فلا ننكر على من فعله ، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد ، ولكن إنكارنا على من دعا لمخلوق أعظم ممَّا يدعو الله تعالى ويقصد القبر يتضَّرَعُ عند ضريح الشَّيْخِ عبد القادر أو غيره ، يطلب فيه تفرُّج الكُربات ، وإغاثة اللهفات ، وإعطاء الرِّغبات ، فأين هذا ممَّن يدعو الله مخلصاً له الدِّين ، لا يدعو مع الله أحداً ، ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبِيِّكَ أو بالمرسلين أو بعبادك الصَّالِحِينَ ، أو يقصد قبراً معروفاً أو غيره يدعو عنده ، لكن لا يدعو إلاَّ الله مخلصاً له الدِّين ، فأين هذا ممَّا نحن فيه . ( انتهى من فتاوى الشَّيْخِ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب في مجموعة المؤلفات القسم الثالث ص ٦٨ التي نشرتها جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية في أسبوع الشَّيْخِ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب ) .

وهذا يدلُّ على جواز التَّوَسُّلِ عنده وغاية ما يرى أَنَّهُ مَكْرُوهٌ في رأيه ، والمكروه ليس بحرام فضلاً عن أن يكون بدعة أو شركاً .

وخلاصة القول : أَنَّ التَّوَسُّلَ بِالصَّالِحِينَ هو قول جمهور العلماء ، وهو من المسائل الفقهيَّة الفرعيَّة التي لا ينبغي إنكارها ولا التَّشْنِيعَ على فاعلها ، كما يقوم به بعض المتسرِّعين بالتَّفْسِيقِ والتَّضْلِيلِ ، والله تعالى اعلم (٢) .  
قلت : أمَّا الزَّعمُ بأنَّهم يكفِّرون المتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالِحِينَ ... فهذه مغالطة مكشوفة ، فالقوم ما فتنوا يكفِّرون الأُمَّةَ برمتها ... ومن ضمنهم المتوسِّلين ... وقد برهنت لى ذلك في كتابي : " كُفْرُ الوَهَّابِيَّةِ لِعمومِ الأُمَّةِ المُحمَّدِيَّةِ " ...

وجاء في فتاوى دائرة الإفتاء المصريَّة :

حكم التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبأولياء الله الصَّالِحِينَ

أطلعنا على الطَّلَبِ المقيَّد (برقم ٥٥١ لسنة ٢٠١٠م) المتضمَّن : ما حكم التَّوَسُّلِ والوسيلة بسَيِّدنا رسول الله -

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وأولياء الله الصَّالِحِينَ ؟

(١) انظر الرسالة الأولى والحادية عشرة من رسائل الشَّيْخِ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب القسم الخامس ١٢ وص ٦٤ .

(٢) المجلس الإسلامي للإفتاء / بيت المقدس ، الإثنين ١٢ صفر ١٤٣٥هـ الموافق ١٦/١٢/٢٠١٣م .

الجواب : التَّوَسُّلُ بالنَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مِمَّا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُ الْأُمَّةِ الْأَرْبَعَةِ المتبوعين ، ومع ذلك فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُكْفِّرُ مِنْ يَتَوَسَّلُ بالنَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وبغيره .  
وإِسْنَادُ الْفِعْلِ تَارَةٌ يَكُونُ لِكَاسِبِهِ ؛ كَفَعَلَ فَلَانَ كَذَا ، وَتَارَةٌ يَكُونُ لِخَالِقِهِ ؛ كَفَعَلَ اللهُ تَعَالَى كَذَا ، وَالْكَفْلُ حَقِيقَةٌ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢١٣] ، ﴿ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ [الكهف : ١٧] ، ومع هذا فقد قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] ، وهو كثير معروف .

فإن منع بعض الناس الإسناد على وجه الاكتساب فهم غير عقلاء ، وإن ادَّعَوْا أَنَّ الْوَاقِعَ فِي كَلَامِ النَّاسِ هو الإسناد للخالق لا للكاسب ، فهي دعوى كاذبة لم يقيم عليها برهان ، وقد استباح بها بعضهم دماء المسلمين جهلاً وضلالاً ، ومن منع الإسناد على وجه الكسب سقطت مخاطبته ، وانقطع الكلام معه .  
فمثلاً : الغوث من الله تعالى خلق وإيجاد ، ومن النبي - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - تسبب وكسب ، هذا على فرض أننا طلبنا الغوث منه - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ، مع أننا لم نفعل ذلك ، ولو فعلنا لصحَّ على طريق التسبب والاكتساب بطلب الدعاء منه صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وقد قالت أمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَمَا سَمِعَتْ الصَّوْتِ : " أَغِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ " كما في البخاري ؛ فأسندته إليه على سبيل الكسب .  
فكيف يجوز مع هذا تكفير المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم بالتَّوَسُّلِ والاستغاثة . وقد جاء في الحديث الصحيح : " أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ : يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا : إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ " ، رواه مسلم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٩٤] ، فإذا كان هذا في رجل لم يكن منه إِلَّا مَجْرَدُ السَّلَامِ الَّذِي هُوَ تَحِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ ، فكيف بمن يتجاسر على خيار الأمة المحمديَّة ؛ ويكفرهم بالتَّوَسُّلِ بالأنبياء والصالحين بشبهه أوهى من بيت العنكبوت ، ومن المقرَّر : أَنَّ الْيَقِينَ لَا يَزُولُ بِالشَّكِّ ، وَأَنَّهُ يُؤَوَّلُ لِلْمُسْلِمِ مِنْ وَجْهِهِ إِلَى سَبْعِينَ وَجْهًا ، كما نصَّ عليه النووي وغيره من العلماء .

فهل يأخذ هؤلاء بظواهر العبارات أم بالمقصود منها ؟ فإن كان التَّعْوِيلُ عندهم على الظواهر ، كان قول القائل : " أَنْبَتَ الرَّبِيعُ الْبَقْلَ " و" أَرَوَانِي الْمَاءَ " و" أَشْبَعَنِي الْحُبُّ " ... شُرْكَاً وكفراً ، وإن كانت العبرة بالمقاصد والتَّعْوِيلُ على ما في القلوب التي تعتقد أنه لا خالق إلا الله ، وأن الإسناد لغيره إنما هو لكونه كاسباً له أو سبباً فيه

لا لكونه خالقاً؛ لم يكن شيء من ذلك كله كفراً ولا شركاً، ولكن القوم متخبطون، خصوصاً في التفرقة بين الحيِّ والميِّت على نحو ما يقولون، كأنَّ الحيَّ يصحَّ أن يكون شريكاً لله دون الميِّت، أو كأنَّ الأرواح تستمدُّ قوتها وسلطانها من الأشباح لا العكس.

قال ابن القيم في كتاب "الروح": إنَّ للروح المطلقة من أسر البدن وعلاقته وعوائقه في التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود إلى الله تعالى والتعلق به سبحانه وتعالى؛ ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه؛ بسبب انغماسها في شهواتها. فإذا كان هذا في عالم الحياة الأرضية وهي محبوسة في بدنها، فكيف إذا تجردت عنه وفارقت، واجتمعت فيها قواها، وكانت في أصل نشأتها روحاً عالية زكية كبيرة ذات همة عالية؟! فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر. وقد تواردت الرؤى في أصناف بني آدم على فعل الأرواح بعد الموت أفعالاً لا تقدر على مثلها حال اتصالها بالبدن؛ في هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد، والفيالق بالعدد القليل جداً، ونحو ذلك، وقد رثي النبي - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ومعه أبو بكر وعمر - رضي الله عنه - في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم، فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وضعف المؤمنين وقتلتهم. هذا ما قاله ابن القيم.

وقال الشوكاني: "قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض فتاواه ما لفظه: "والاستغاثة - بمعنى أن يطلب من الرسول صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما هو اللائق بمنصبه - لا ينافي فيه مسلم، ومن نازع في هذا المعنى فهو: إما كافر، وإما مخطئ ضال". قال الشوكاني: "وأما التشفع بالمخلوق فلا خلاف بين المسلمين أنه يجوز طلب الشفاعة من المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا"، ثم قال الشوكاني: "وفي سنن أبي داود أن رجلاً قال للنبي - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - "إنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، فقال: أنه لا يُستشفع بالله على أحدٍ من خلقه؛ شأنُ الله أعظم من ذلك"، فأقره على قوله: "نستشفع على الله بك"، إلى أن قال الشوكاني: "وأما التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه؛ فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: أنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - إن صحَّ الحديث فيه. ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي والترمذي وابن ماجه وغيرهم: "أن أعمى أتى النبي - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فقال: يا رسول الله، إني أصبت في بصري، فادع الله لي، فقال له النبي - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - : تَوْضاً وَصَلَّ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدَ، يَا مُحَمَّدَ، إِنِّي أَسْتَشْفَعُ بِكَ فِي رَدِّ بَصَرِي، اللَّهُمَّ شَفِّعْ النَّبِيَّ فِيَّ، وَقَالَ: فَإِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَرَدَّ اللَّهُ

تعالى بصره . " ثم قال الشوكاني : وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسُّل بالنبي - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام ؛ لأمرين :

الأوَّل : ما عَرَّفْنَاكَ بِهِ مِنْ إِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ .

والثَّانِي : أَنَّ التَّوَسُّلَ إِلَى اللهِ بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ هُوَ - فِي التَّحْقِيقِ - تَوَسُّلٌ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ وَمَزَايَاهِمُ الْفَاضِلَةِ ؛ إِذْ لَا يَكُونُ الْفَاضِلُ فَاضِلًا إِلَّا بِأَعْمَالِهِ ؛ فَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِالْعَالِمِ الْفَلَانِي ؛ فَهُوَ بِاعْتِبَارِ مَا قَامَ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - حَكَى عَنِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ دَخَلُوا الْغَارَ فَانطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ : أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تَوَسَّلَ إِلَى اللهِ بِأَعْظَمِ عَمَلٍ عَمِلَهُ ؛ فَارْتَفَعَتِ الصَّخْرَةُ ، فَلَوْ كَانَ التَّوَسُّلُ بِالْأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ غَيْرَ جَائِزٍ أَوْ كَانَ شَرَكًا كَمَا يَزْعُمُهُ الْمُتَشَدِّدُونَ فِي هَذَا الْبَابِ ، كَابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ مِنْ أَتْبَاعِهِ ؛ لَمْ تَحْصُلِ الْإِجَابَةُ مِنَ اللهِ لَهُمْ ، وَلَا سَكَتَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عَنِ الْإِنْكَارِ مَا فَعَلُوهُ بَعْدَ حِكَايَتِهِ عَنْهُمْ . ثُمَّ قَالَ الشُّوكَانِيُّ : وَهَذَا تَعَلَّمَ أَنَّ مَا يُورَدُ مِنَ الْمَانِعُونَ مِنَ التَّوَسُّلِ إِلَى اللهِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصُّلَحَاءِ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] ، وَنَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] ، وَنَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ ﴾ [الرعد : ١٤] ؛ لَيْسَ بِوَارِدٍ ، بَلْ هُوَ مِنَ الْاسْتِدْلَالِ عَلَى مَحَلِّ النِّزَاعِ بِمَا هُوَ أَجْنَبِيٌّ عَنْهُ ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُمْ : ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] ، مُصْرَحٌ بِأَنَّهُمْ عَبْدُوهُمْ لِذَلِكَ ، وَالْمَتَوَسِّلُ بِالْعَالِمِ مِثْلًا لَمْ يَعْبُدْهُ ، بَلْ عَلِمَ أَنَّهُ لَهُ مَزِيَّةٌ عِنْدَ اللهِ بِحَمَلِهِ الْعِلْمَ ، فَتَوَسَّلَ بِهِ لِذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] ؛ فَإِنَّهُ نَهَى عَنِ أَنْ يُدْعَى مَعَ اللهِ غَيْرُهُ ؛ كَأَنْ يَقُولَ : يَا اللهُ ، يَا فُلَانًا ، وَالْمَتَوَسِّلُ بِالْعَالِمِ مِثْلًا لَمْ يَدْعُ إِلَّا اللهُ ، وَإِنَّمَا وَقَعَ مِنْهُ التَّوَسُّلُ إِلَيْهِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ عَمِلَهُ بَعْضُ عِبَادِهِ ، كَمَا تَوَسَّلَ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ انطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ [الرعد : ١٤] ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ دَعَا مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ ، وَلَمْ يَدْعُوا رَبَّهُمُ الَّذِي يَسْتَجِيبُ لَهُمْ ، وَالْمَتَوَسِّلُ بِالْعَالِمِ مِثْلًا لَمْ يَدْعُ إِلَّا اللهُ ، وَلَمْ يَدْعُ غَيْرَهُ دُونَهُ ، وَلَا دَعَا غَيْرَهُ مَعَهُ .

فإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يُورده المانعون للتوسُّل من الأدلة الخارجة عن محلِّ النزاع ... إلى أن قال : والمتوسِّل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء ؛ لا يعتقد أنَّ لمن توسَّل به مشاركة الله جلَّ جلاله في أمر . ومن اعتقد هذا لعبد من العباد - سواء كان نبيًّا أو غير نبي - فهو في ضلال مبين . وهكذا الاستدلال على منع التوسُّل بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ، ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾

[الأعراف: ١٨٨]؛ فَإِنَّ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مَصْرُحَتَانِ بِأَنَّهُ لَيْسَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مِنْ أَمْرِ اللَّهِ شَيْءٌ ، وَأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ، فَكَيْفَ يَمْلِكُ لِغَيْرِهِ ، وَلَيْسَ فِيهِمَا مَنَعُ التَّوَسُّلِ بِهِ أَوْ بغيرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ أَوْ الْعُلَمَاءِ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ ، مَقَامَ الشَّفَاعَةِ الْعَظِيمِ ، وَأَرشَدَ الْخَلْقَ إِلَى أَنْ يَسْأَلُوهُ ذَلِكَ وَيَطْلُبُوهُ مِنْهُ ، وَقَالَ لَهُ : " سَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ... إِلَى أَنْ قَالَ : وَهَكَذَا الْاِسْتِدْلَالُ عَلَى مَنَعِ التَّوَسُّلِ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] : " يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١) ؛ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ فِيهِ إِلَّا التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْتَطِيعُ نَفْعَ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى ضَرَّهُ ، وَلَا ضَرَّ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ نَفْعَهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ لِأَحَدٍ مِنْ قَرَابَتِهِ - فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ - شَيْئًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى . وَهَذَا مَعْلُومٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا أَنْ يَتَوَسَّلَ بِهِ إِلَى اللَّهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ طَلِبُ الْأَمْرِ مِنْ لَهُ الْأَمْرَ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الطَّالِبُ أَنْ يَقْدَمَ بَيْنَ يَدَيْ طَلْبِهِ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِلْإِجَابَةِ مِنْهُ هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْعَطَاءِ وَالْمَنَعِ . انْتَهَى النِّقْلُ عَنِ الشُّوكَانِيِّ

هذا وقد ذكر ابن قدامة الحنبلي في مُغْنِيهِ - الَّذِي هُوَ مِنْ أَجْلِ كُتُبِ الْحَنَابِلَةِ أَوْ أَجْلِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ - فِي صِفَةِ زِيَارَتِهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : " تَأْتِي الْقَبْرَ فُتَوَلَّى ظَهْرَكَ الْقِبْلَةَ ، وَتَسْتَقْبِلُ وَسَطَهُ ، وَتَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَخَيْرَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ ... إِلَى أَنْ قَالَ : اللَّهُمَّ اجْزِ عَنَّا نَبِيَّنَا أَفْضَلَ مَا جَازَيْتَ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ ... إِلَى أَنْ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذُنُوبِي مُسْتَشْفَعًا بِكَ إِلَى رَبِّي " . انْتَهَى النِّقْلُ عَنِ ابْنِ قَدَامَةَ .

(١) أخرجه البخاري (٦/٤ برقم ٢٧٥٣) .

ولا بُعْدَ في استغفاره صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد موته ؛ فقد ورد في الحديث الصَّحِيحُ : " تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ ؛ فَمَا رَأَيْتُمْ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللهُ عَلَيْهِ ، وَمَا رَأَيْتُمْ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللهُ لَكُمْ " . رواه البزار (١) ، وقد أطال المناوي وغيره في تصحيح هذا الحديث . فأنت تراه أثبت استغفاره لنا بعد وفاته بنص الحديث .  
فهذا كلام الحنابلة الأول المتبعين لمذهب الإمام أحمد ، المتمسكين بسنة النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومحَبَّته كسائر علماء المذاهب .

وقد ثبت التَّوَسُّلُ به صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قبل وجوده ، وبعد وجوده في الدُّنْيَا ، وبعد موته في مدَّة البرزخ ، وبعد البعث في عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ :

أَمَّا التَّوَسُّلُ به قبل وجوده ، فيدلُّ له ما أخرجه الحاكم وصحَّحه ولم يتعقبه الذهبي في كتابه الذي تعقب به الحاكم في مستدركه ، وقد صحَّح عن مالك أيضاً على ما رواه القاضي عياض في " الشِّفَاء " : " أَنْ آدَمَ لَمَّا اقْتَرَفَ الْخَطِيئَةَ تَوَسَّلَ إِلَى اللهِ بِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ، فَقَالَ لَهُ : مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أُخْلُقْهُ ؟ فَقَالَ : وَجَدْتُ اسْمَهُ مَكْتُوبًا بِجَنَبِ اسْمِكَ ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ ، فَقَالَ اللهُ : أَنَّهُ لِأَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيَّ ، وَإِذْ تَوَسَّلْتَ بِهِ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكَ " (١) .

وقال مالك للمنصور وقد سأله : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ، أَسْتَقْبَلُ الْقَبْلَةَ وَأَدْعُو أُمَّ اسْتَقْبَلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ؟ : وَلَمْ تَصْرِفْ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيْلَتُكَ إِلَى اللهِ ، وَوَسِيْلَةُ أَبِيكَ آدَمَ " . يشير إلى الحديث الماضي .  
وقال المفسِّرون في قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة : ٨٩] : إِنَّ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ كَانُوا إِذَا حَارَبُوا مُشْرِكِي الْعَرَبِ اسْتَنْصَرُوا عَلَيْهِم بِالنَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَيَتَّصِرُونَ

(١) أخرجه البزار (١/٣٠٧ برقم ١٩٢٥) .

(٢) ونص الحديث هو : " لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ : يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا عَفَرْتَ لِي ، فَقَالَ اللهُ : يَا آدَمُ ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أُخْلُقْهُ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ ، لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَتَفَخَّخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتَ رَأْسِي قَرَأْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَيَّ اسْمِي إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ ، فَقَالَ اللهُ : صَدَقْتَ يَا آدَمُ ، إِنَّهُ لِأَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيَّ إِذْ عُنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكَ [ص : ٧٢٣] وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتَنِي " (أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٧٢٢ برقم ٤٢٨٧ ، وقال : " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ ذَكَرْتُهُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ " ، ولم يتعقبه الذهبي في التلخيص بشيء .

ويأبى مدعو السلفية إلا العبث ... فقد جاء في طبعة المستدرک على الصحيحين ، التي حقَّقها : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م ، جاء ما يلي : " [التعليق - من تلخيص الذهبي] ٤٢٢٨ - بل موضوع " . فتبَّاهم ...

عليهم . فأنت تراهم سألوا الله به قبل وجوده . ولو ذهبنا نستقصي الأدلة على جواز التَّوَسُّلِ به - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - لطال المقام ، وفيها ذكرنا عُنيَةً لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ .

ومن طَيِّبَاتِ مَا سَبَقَ تَرَى أَنَّ التَّوَسُّلَ بِالصَّالِحِينَ مِنْ أَوْلِيَاءِ وَعُلَمَاءٍ لَا يَخْرُجُ عَنِ الْمَعْنَى الْمَذْكُورِ ، وَالنَّفْهِمِ الْمَسْطُورِ . فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا وَأَتْبَعَ سَبِيلًا ، وَإِنْ أَبِي فَلَا أَقْلَ مِنْ أَنْ يَكْفِي النَّاسَ شَرَّهُ ، وَيَمْنَعُ عَنِ عُمُومِ الْمُسْلِمِينَ سُوءَ ظَنِّهِ وَقَوْلِهِ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ " (١) .

فمن خلال ما تقدّم علمنا يقيناً أنّ الأُمَّةَ كُلَّهَا تقول بالتَّوَسُّلِ ، وقد سارت على ذلك قرونًا عديدة ، ولم يؤثر عن أحد من السَّلفِ أو من الخلف قبل ظهور ابن تيمية أنّه منع التَّوَسُّلِ بذوات الأَمْواتِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ (٢) .

فالحقُّ في هذا الباب : أنّه لم يخالف في التَّوَسُّلِ إِلَّا شَرِذْمَةٌ قَلِيلَةٌ تَمَرَّدَتْ عَلَى الدِّينِ وَعَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ، شَرِذْمَةٌ قَلِيلَةٌ أَصَمَّتْ آذَانَهَا عَنْ كَلِمَةِ الْحَقِّ ، وَعَمِيَتْ عَيْوُنُهَا عَنْ مَشَاهِدَتِهِ مَعَ وَضُوحِهِ كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ ، وَهُمْ بِيَانِكَارِهِمُ التَّوَسُّلَ يَرْمُونَ أُمَّةَ الْمَذَاهِبِ وَأَسَاطِينَ الْعِلْمِ وَجَهَابِيذَهُ طِيلَةَ الْقُرُونِ السَّابِقَةِ وَكَذَا الْقُرُونِ اللاحقة بالشُّركِ وَالْكَفْرِ وَالْإِبْتِدَاعِ ، مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " لَا يَجْمَعُ اللهُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ أَبَدًا ، وَيَدُّ اللهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ هَكَذَا ، فَاتَّبِعُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ ، فَإِنَّهُ مِنْ شَدِّ شَدِّ فِي النَّارِ " (٣) . . .

وفيها يلي سرُّدٌ لِأَسْمَاءِ مَنْ نَقَلْنَا عَنْهُمْ التَّوَسُّلَ ، نَاقِلِينَ مَقْرِّينَ مَعْتَقِدِينَ بِهِ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ ، أَوْ قَائِلِينَ بِهِ ، أَوْ عَامِلِينَ بِهِ ... فَمَنْ الَّذِينَ نَقَلْنَا عَنْهُمْ الْقَوْلَ بِالتَّوَسُّلِ وَاعْتِقَادَهُ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ :

أبو عبيدة عامر بن الجراح (١٨هـ) ، عَبْدُ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ (٧٣هـ) ، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (٨٠هـ) ، عبد الملك بن حبيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السَّلْمِيُّ الْإِلبِيرِيُّ الْقُرْطُبِيُّ ، أبو مروان (٢٣٨هـ) ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيبَانِيُّ (٢٤١هـ) ، سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) ، عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ (٨٦هـ) ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدَّيْنُورِيُّ (٢٧٦هـ) ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (٢٨١هـ) ، وقال الإمام أبو بكر أحمد

(١) الرقم المسلسل : ٣٨٥١ / دار الافتاء المصرية ، تاريخ الإجابة : ٢٠١٠ / ١٢ / ٠٩

(٢) انظر في هذه المسألة : مقال التَّوَسُّلِ لِلْإِمَامِ الدَّجُويِّ فِي مَجَلَّةِ الْأَزْهَرِ ، الْجُزْءِ الْخَامِسِ ، الْمَجَلدِ الثَّانِي ، جَادَى الْأَوَّلَى ، سَنَةِ ١٣٥٠ هـ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (١ / ١٩٠ برقم ٣٩٦) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ (١ / ١١٨ برقم ١٥٤) ، الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١ / ٤٢٢) .

بن مروان الدَّيْنُورِي المَالِكِي (٣٣٣هـ) ، مُحَمَّد بن حَبَّان بن أَحْمَد بن حَبان بن معاذ بن مَعْبَد ، التَّمِيمِي ، أَبُو حَاتِم ،  
 الدَّارَمِي ، البُسْتِي (٣٥٤هـ) ، أَبُو اللَّيْث نصر بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم السَّمْرَقَنْدِي (٣٧٣هـ) ، أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن  
 أَبِي إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم بن يَعْقُوب الكَلَابَاذِي البُخَارِي الحَنْفِي (٣٨٠هـ) ، أَبُو الحَسَن عَلِي بن عمر بن أَحْمَد بن  
 مَهْدِي بن مَسْعُود بن الثُّعْمَان بن دِينَار البَغْدَادِي الدَّارَقُطْنِي (٣٨٥هـ) ، أَبُو حَيَّان التَّوْحِيدِي ، عَلِي بن مُحَمَّد بن  
 العَبَّاس (٤٠٠هـ) ، أَبُو عبد الله الحَاكِم مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن مَحْدُويَه بن نُعَيْم بن الحَكَم الضَّبِّي الطَّهْمَانِي  
 النِّسَابُورِي المَعْرُوف بَابن البَيْع (٤٠٥هـ) ، مَنْصُور بن الحَسِين الرَّازِي ، أَبُو سَعْد الأَبِي (٤٢١هـ) ، أَبُو نَعِيم أَحْمَد بن  
 عبد الله بن أَحْمَد بن إِسْحَاق بن مَوْسَى بن مَهْرَان الأَصْبَهَانِي (٤٣٠هـ) ، أَحْمَد بن الحَسِين بن عَلِي بن مَوْسَى  
 الحُسْرُوجَرْدِي الخِرَاسَانِي ، أَبُو بَكْر البِيهَقِي (٤٥٨هـ) ، أَبُو بَكْر أَحْمَد بن عَلِي بن ثَابِت بن أَحْمَد بن مَهْدِي الخَطِيب  
 البَغْدَادِي (٤٦٣هـ) ، أَبُو عمر يَوْسُف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر بن عاصم النَّمْرِي القُرْطُبِي (٤٦٣هـ) ، أَبُو  
 مَعِين الدِّين نَاصِر خَسْرُو الحَكِيم القَبَادِيَانِي المَرْوَزِي (٤٨١هـ) ، أَبُو القَاسِم الحَسِين بن مُحَمَّد المَعْرُوف بِالرَّاعِب  
 الأَصْفَهَانِي (٥٠٢هـ) ، أَبُو حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغَزَالِي الطُّوسِي (٥٠٥هـ) ، شَيْرُويَه بن شَهْرَدَار بن شَيْرُويَه  
 فَنَاخَسْرُو ، أَبُو شَجَاع الدَّيْلَمِي الهَمْدَانِي (٥٠٩هـ) ، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن هَبَة الله العَلُوي الحَسِينِي أَبُو جَعْفَر الأَفْطَسِي  
 الطَّرَابَلَسِي (المتوفى: بعد ٥١٥هـ) ، أَبُو مُحَمَّد القَاسِم بن عَلِي الحَرِيرِي (٥١٦هـ) ، أَبُو الحَسِين ابن أَبِي يَعْلَى ، مُحَمَّد بن  
 مُحَمَّد (٥٢٦هـ) ، أَبُو القَاسِم عَلِي بن الحَسَن بن هَبَة الله المَعْرُوف بَابن عَسَاكِر (٥٧١هـ) ، أَبُو القَاسِم خَلْف بن عبد  
 المَلِك بن بَشْكَوَال (٥٧٨هـ) ، عبد الحق بن عبد الرَّحْمَن بن عبد الله بن الحَسِين بن سَعِيد إِبْرَاهِيم الأَزْدِي ،  
 الأَنْدَلِسِي الأَشْبِيلِي ، المَعْرُوف بَابن الخِرَاط (٥٨١هـ) ، جَمَال الدِّين أَبُو الفَرَج عبد الرَّحْمَن بن عَلِي بن مُحَمَّد الجَوْزِي  
 (٥٩٧هـ) ، عَمَاد الدِّين الكَاتِب الأَصْبَهَانِي ، مُحَمَّد بن مُحَمَّد صَفِي الدِّين بن نَفِيس الدِّين حَامِد ، أَبُو عبد الله  
 (٥٩٧هـ) ، عَلِي بن أَبِي بَكْر بن عَلِي الهُرُوي ، أَبُو الحَسَن (٦١١هـ) ، شَرَفُ الدِّين ، عَلِيُّ بنُ المَفْضَلِ بنِ عَلِيٍّ بنِ مُفَرِّجِ  
 بنِ حَاتِمِ بنِ حَسَنِ بنِ جَعْفَرِ المَقْدِسِيِّ (٦١١هـ) ، ابن جَبِير ، مُحَمَّد بن أَحْمَد بن جَبِير الكَنْنَانِي الأَنْدَلِسِي ، أَبُو الحَسِين  
 (٦١٤هـ) ، مَوْفِقُ الدِّين أَبُو مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن ، ابن الشَّيْخِ أَبِي الحَرَمِ مَكِّي بن عَثْمَانَ الشَّارِعِي الشَّافِعِي (٦١٥هـ)  
 ، مَوْفِقُ الدِّين أَبُو مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن ، ابن الشَّيْخِ أَبِي الحَرَمِ مَكِّي بن عَثْمَانَ الشَّارِعِي الشَّافِعِي (٦١٥هـ) ، نَصِير  
 الدِّين مُحَمَّد بن عبد الله السَّامَرِي الحَنْبَلِي (٦١٦هـ) ، أَبُو البَقَاء عبد الله بن الحَسِين بن عبد الله العَكْبَرِي (٦١٦هـ) ،  
 أَبُو مُحَمَّد جَلال الدِّين عبد الله بن نَجْم بن شَاس بن نَزَار الجَذَامِي السَّعْدِي المَالِكِي (٦١٦هـ) ، أَبُو مُحَمَّد مَوْفِق  
 الدِّين عبد الله بن أَحْمَد بن مُحَمَّد ، الشَّهِير بَابن قَدَامَة المَقْدِسِي (٦٢٠هـ) ، عبد الكَرِيم بن مُحَمَّد بن عبد الكَرِيم ، أَبُو

القاسم الرَّافعي القزويني (هـ ٦٢٣)، شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي (هـ ٦٢٦)، علي بن محمَّد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطَّان (هـ ٦٢٨)، محمَّد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدِّين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (هـ ٦٢٩)، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَّيباني الجزري، عز الدِّين ابن الأثير (هـ ٦٣٠)، سليمان بن موسى الكلاعي، أبو الرَّبيع (هـ ٦٣٤)، أبو عبد الله محمَّد بن سعيد ابن الدَّيبي (هـ ٦٣٧)، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (هـ ٦٣٧)، عثمان بن عبد الرَّحمن، أبو عمرو، تقي الدِّين المعروف بابن الصَّلاح (هـ ٦٤٣)، محمَّد بن نامور بن عبد الملك الخونجي، أبو عبد الله، أفضل الدِّين (هـ ٦٤٦)، عبد العَظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة الحافظ زكي الدِّين أبو محمَّد المنذرى القيرواني ثمَّ المصرى الشَّافعي (هـ ٦٥٦)، ابن الأبار، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (هـ ٦٥٨)، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدِّين ابن العديم (هـ ٦٦٠)، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدِّين، أبو العبَّاس ابن أبي أصيبعة (هـ ٦٦٨)، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (هـ ٦٧١)، ابن الحداد محمَّد بن منصور بن حبيش (المتوفى: بعد ٦٧٣ هـ)، أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (هـ ٦٧٦)، أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلِّكان البرمكي الإربلي (هـ ٦٨١)، عفيف الدِّين اليافعي الشَّافعي (هـ ٦٨٣)، أبو العبَّاس، أحمد بن عبد الله بن محمَّد، محب الدِّين الطَّبَّري (هـ ٦٩٤)، محب الدِّين أحمد بن عبد الله الطَّبَّري (هـ ٦٩٤)، شرف الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن سعيد البوصيري (هـ ٦٩٦)، محمَّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (هـ ٧١١)، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطُّوفي الصَّرصري، أبو الرَّبيع، نجم الدِّين الطُّوفي (هـ ٧١٦)، الإمام عماد الدِّين بن العطَّار (هـ ٧٢٤)، الشَّمس كمال الدِّين الزملكاني محمَّد بن علي بن عبد الوَّاحد الشَّيخ الإمام العلامة المُفتي قاضي القضاة ذو الفُنون جمال الإسلام كمال الدِّين أبو المعالي ابن الزملكاني الأَنْصاري السَّماكي الدَّمشقي كَبير الشَّافعيَّة (هـ ٧٢٧)، محمَّد بن يوسف بن يعقوب، أبو عبد الله، بهاء الدِّين الجُندي اليمني (هـ ٧٣٢)، أحمد بن عبد الوهَّاب بن محمَّد بن عبد الدَّائم القرشي التَّيمي البكري، شهاب الدِّين النويري (هـ ٧٣٣)، أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدِّين الفاكهاني (هـ ٧٣٤)، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج (هـ ٧٣٧)، أبو القاسم، محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي الغرناطي (هـ ٧٤١)، يوسف بن عبد الرَّحمن بن يوسف،

أبو الحجاج ، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزني (٧٤٢هـ) ، عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدين الزليعي الحنفي (٧٤٣هـ) ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي (٧٤٤هـ) ، تقي الدين أبو الفتح السبكي (٧٤٤هـ) ، محمد بن محمد بن علي بن همام أبو الفتح ، تقي الدين ، المعروف بابن الإمام (٧٤٥هـ) ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قنايز الدهبي (٧٤٨هـ) ، محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري البخاري ، المعروف بابن الإكفاني (٧٤٩هـ) ، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري ، شهاب الدين (٧٤٩هـ) ، تقي الدين أحمد بن محمد بن علي الأدمي (كان حياً قبل ٧٤٩هـ) ، عمر بن علي بن عمر القزويني ، أبو حفص ، سراج الدين (٧٥٠هـ) ، تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (٧٥٦هـ) ، إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطرسوسي ، نجم الدين الحنفي (٧٥٨هـ) ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزليعي (٧٦٢هـ) ، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالح الحنبلي (٧٦٣هـ) ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (٧٦٤هـ) ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (٧٦٤هـ) ، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي (٧٦٥هـ) ، خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي ، أبو البقاء (المتوفى: بعد ٧٦٧هـ) ، الإمام أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٧٦٨هـ) ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ، أبو العباس (٧٧٠هـ) ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (٧٧١هـ) ، أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ) ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ) ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ) ، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي ، أبو محمد ، محيي الدين الحنفي (٧٧٥هـ) ، خليل بن إسحاق بن موسى ، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (٧٧٦هـ) ، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (٧٧٦هـ) ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن عبد الله ، أبو حامد ، جمال الدين الحبيشي الوصابي الشافعي (٧٨٦هـ) ، علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود ، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين ، الخزاعي (٧٨٩هـ) ، سعد الدين التفتازاني الشافعي (٧٩١هـ) ، إبراهيم بن علي بن محمد ، ابن فرحون ، برهان الدين اليعمري (٧٩٩هـ) ، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (٨٠٤هـ) ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (٨٠٦هـ) ،

كمال الدين ، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميمري أبو البقاء الشافعي (٨٠٨هـ) ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ) ، أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، أبو العباس القسطنطيني ، ابن قنفذ (٨١٠هـ) ، علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزبيدي ، أبو الحسن موفّق الدين (٨١٢هـ) ، أحمد بن علي بن أحمد الفزازي القلقشندي ثمّ الفاهري (٨٢١هـ) ، تقي الدين أبي بكر الحصني الدمشقي الشافعي (٨٢٩هـ) ، محمد بن أحمد بن علي ، تقي الدين ، أبو الطيّب المكي الحسيني الفاسي (٨٣٢هـ) ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري ، محمد بن محمد بن يوسف (٨٣٣هـ) ، ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراي (٨٣٧هـ) ، محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي ، شمس الدين ، الشهير بابن ناصر الدين (٨٤٢هـ) ، شمس الدين محمد بن عمار بن محمد بن أحمد المصري المالكي المعروف بابن عمّار (٨٤٤هـ) ، أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العباس الحسيني العبيدي ، تقي الدين المقرئ (٨٤٥هـ) ، عبد الرحمن بن محمد بن علي بن بكر بن علي بن محمد بن أبي بكر ابن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله أبو محمد الناشرّي (٨٤٨هـ) ، شمس الدين محمد بن كميل المنصوري الشافعي (٨٤٨هـ) ، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبه (٨٥١هـ) ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ) ، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشهي أبو الفتح (٨٥٢هـ) ، لأبي العباس أحمد بن يحيى الوانشرسي المالكي (٨٥٤هـ) ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتاي الحنفي بدر الدين العيني (٨٥٥هـ) ، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السّيواسي المعروف بابن الهمام (٨٦١هـ) ، محمد بن محمد بن محمد ، أبو الفضل تقي الدين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثمّ المكّي الشافعي (٨٧١هـ) ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظّاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدين (٨٧٤هـ) ، أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل ، موفق الدين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (٨٨٤هـ) ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ) ، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الصالح الحنبلي (٨٨٥هـ) ، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشّرّجي ، زين الدين الزبيدي (٨٩٣هـ) ، عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (٨٩٤هـ) ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي ، المعروف بـ زروق (٨٩٩هـ) ، إبراهيم بن محمد بن محمود بن بدر ، برهان الدين ، أبو إسحاق الحلبي القبيباتي الشافعي النّاجي (٩٠٠هـ) ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السّخاوي (٩٠٢هـ) ، الحسين بن صديق بن الأهدل (٩٠٣هـ) ، عبد الوهّاب بن عبد الرحمن البرهبي السّكسكي اليمني

(٩٠٤هـ) ، علي بن يوسف بن علي بن أحمد ، علاء الدِّين الدَّمشقي العاتكي الشَّافعي الشَّهير بالبصروي (٩٠٥هـ) ،  
يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصَّالحي ، جمال الدِّين ، ابن المبرِّد الحنبلي (٩٠٩هـ) ،  
السُّيوطي (٩١١هـ) ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودي (٩١١هـ) ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني  
الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السَّمهودي (٩١١هـ) ، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد الغزال الدَّمشقي ، بدر الدِّين ،  
الشَّهير بسبط المارديني (٩١٢هـ) ، مُحَمَّد بن قاسم بن مُحَمَّد بن ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين الغزِّي ، ويعرف بابن  
قاسم وبابن الغراييلي (٩١٨هـ) ، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن علي بن غازي العثماني المكناسي  
(٩١٩هـ) ، زين الدِّين عبد الباسط بن أبي الصَّفاء غرس الدِّين خليل بن شاهين الظَّاهري الملطِّي ثمَّ القاهري  
الحنفي (٩٢٠هـ) ، إبراهيم بن موسى بن أبي بكر ابن الشَّيخ علي الطَّرابلسي ، الحنفي (٩٢٢هـ) ، أحمد بن مُحَمَّد بن  
أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (٩٢٣هـ) ، زكريا بن مُحَمَّد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين  
الدِّين أبو يحيى السَّنيكي (٩٢٦هـ) ، مُحَمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، الشَّهير بـ "بَحْرَق"  
(٩٣٠هـ) ، أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (٩٣٨هـ) ، علي بن خلف المنوفي المالكي المصري أبو الحسن  
المالكي (٩٣٩هـ) ، مُحَمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) ، شمس الدِّين أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد  
الرَّحمن الطرابلسي المغربي ، المعروف بالخطاب الرُّعيني المالكي (٩٥٤هـ) ، شهاب الدِّين أحمد بن حمزة الأنصاري  
الرملي الشَّافعي (٩٥٧هـ) ، موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجَّاي المقدسي ، ثمَّ الصَّالحي  
، شرف الدِّين ، أبو النَّجا (٩٦٨هـ) ، طاش كبري زادة (٩٦٨هـ) ، زين الدِّين بن إبراهيم بن محمد ، المعروف بابن  
نجيم المصري (٩٧٠هـ) ، أحمد بن مُحَمَّد بن علي بن حجر الهيثمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ  
الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٣هـ) ، علاء الدِّين علي بن حسام الدِّين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي  
البرهانفوري ثمَّ المدني فالملكي الشَّهير بالمتَّقِي الهندي (٩٧٥هـ) ، شمس الدِّين ، مُحَمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني  
الشَّافعي (٩٧٧هـ) ، عبد الباسط بن موسى بن مُحَمَّد بن إِسماعيل العلُموي ثمَّ الموقت الدَّمشقي الشَّافعي (٩٨١هـ)  
، أحمد بن قاسم العبادي (٩٩٢هـ) ، شمس الدِّين مُحَمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرَّملي  
(١٠٠٤هـ) ، تقي الدِّين بن عبد القادر التَّميمي الدَّاري الغزي (١٠١٠هـ) ، أبو السعد زين الدِّين منصور بن أبي  
النَّصر بن مُحَمَّد الطَّبلاوي ، سبط ناصر الدِّين مُحَمَّد بن سالم (١٠١٤هـ) ، علي بن سلطان مُحَمَّد ، أبو الحسن نور  
الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) ، زين الدِّين مُحَمَّد المدعو بعبد الرُّوف بن تاج العارفين بن علي بن زين  
العابدين الحدَّادي ثمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) ، أبو العبَّاس أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن مُحَمَّد أقيت بن عمر

بن علي بن يحيى التكروري ، التنبكتي (١٠٣٦هـ) ، أبو المواهب بن محمد بن علي البكري الصديقي المصري الشافعي (١٠٣٧هـ) ، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيذرؤوس (١٠٣٨هـ) ، أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري ، المعروف بابن عاشر (١٠٤٠هـ) ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى ، أبو العباس المقرئ التلمساني (١٠٤١هـ) ، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (١٠٥١هـ) ، محمد بن علان الصديقي الشافعي (١٠٥٧هـ) ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (١٠٦٧هـ) ، حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (١٠٦٩هـ) ، محمد أحمد الخطيب الشوبري الشافعي (١٠٦٩هـ) ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة الفاسي (١٠٧٢هـ) ، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المدعو بشيخي زاده ، يعرف بداماد أفندي (١٠٧٨هـ) ، محمد بن علي بن محمد الحصري المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي (١٠٨٨هـ) ، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي ، أبو الفلاح (١٠٨٩هـ) ، عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن أحمد البغدادي (١٠٩٣هـ) ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشبي المالكي الخرشبي (١١٠١هـ) ، الحسن بن مسعود بن محمد ، أبو علي ، نور الدين اليوسي (١١٠٢هـ) ، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبني (١١١١هـ) ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (١١١١هـ) ، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي ، شهاب الدين الشهير بالبناء (١١١٧هـ) ، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني الحسيني ، الشهير بابن معصوم (١١١٩هـ) ، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد البديري الحسيني ، الدمياطي الأشعري الشافعي ، أبو حامد (١١٤٠هـ) ، محمد بن عيسى بن محمود بن كنان الحنبلي (١١٥٣هـ) ، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان ، أبو سعيد الخادمي الحنفي (١١٥٦هـ) ، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي ، أبو الفداء (١١٦٢هـ) ، حسين بن محمد المحلي الشافعي المصري (١١٧٠هـ) ، أحمد بن علي بن عمر بن صالح الميني (١١٧٢هـ) ، أبو الحسن علي بن خليفة بن رزق الله بن عبد الواحد بن علي المساكني (١١٧٢هـ) ، أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصعدي العدوي (١١٨٩هـ) ، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمال (١٢٠٤هـ) ، محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) ، محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني ، أبو الفضل (١٢٠٦هـ) ، أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاقي (١٢١٩هـ) ، سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي

(١٢٢١هـ)، أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن المهدي بن عجيبة الحسيني الأنجري الفاسي الصّوفي (١٢٢٤هـ)، محمود بن سعيد مقديش الملقّب بأبي الثناء الصّفّاقسي (١٢٢٨هـ)، أحمد بن محمّد بن إسمايل الطّحطاوي الحنفي (١٢٣١هـ)، محمّد بن محمّد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السّنّابوي الأزهري، المعروف بالأمر (١٢٣٢هـ)، عبد الرّحمن بن حسن الجبرتي المؤرّخ (١٢٣٧هـ)، أبو العبّاس أحمد بن محمّد الخلوتي، الشّهير بالصّاوي المالكي (١٢٤١هـ)، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرّحبياني مولداً ثمّ الدّمشقي الحنبلي (١٢٤٣هـ)، محمّد بن علي بن محمّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ)، محمّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ)، أحمد بن محمّد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشّرواني (١٢٥٣هـ)، علي بن عبد السلام بن علي، أبو الحسن التّسولي المالكي (١٢٥٨هـ)، شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوّسي (١٢٧٠هـ)، نصر أبو الوفاء ابن الشّيخ نصر يونس الوفائي الهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشّافعي (١٢٩١هـ)، عبد الغني الغنيمي الحنفي (١٢٩٨هـ)، محمّد بن أحمد بن محمّد عيش، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ)، عبد الحميد المكي الشّرواني (١٣٠١هـ)، أبو الطيب محمّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري الفنّوجي (١٣٠٧هـ)، أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمّد شطا الدّمياطي (١٣١٠هـ)، محمّد بن أحمد بن عبد الله متولي (١٣١٣هـ)، شهاب الدّين أبو العبّاس أحمد بن خالد بن محمّد الناصري الدّرعي الجعفري السّلاوي (١٣١٥هـ)، محمّد بن عمر نوي الجاوي البنتي إقليمياً، التناري بلداً (١٣١٦هـ)، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدّمشقي (١٣٣٥هـ)، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمّد بن أبي الثناء الألوّسي (١٣٤٢هـ)، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التّونسي المالكي (١٣٤٩هـ)، يوسف بن إسمايل بن يوسف النّبّهاني (١٣٥٠هـ)، كامل بن حسين بن محمّد بن مصطفى البالي الحلبي، الشّهير بالغزي (١٣٥١هـ)، محمّد بخيت المطيعي الحنفي (١٣٥٤هـ)، أبو عبد الله محمّد المكي البطاوري (١٣٥٥هـ)، أبو الفيض عبد الستار بن عبد الوهّاب البكري الصّدّيقي المكي الحنفي (١٣٥٥هـ)، الحسن بن محمّد بن العسّال الطنّجي (١٣٥٨هـ)، محمّد بن محمّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (١٣٦٠هـ)، مصطفى وهيب بن إبراهيم البارودي (١٣٦٢هـ)، عبد الله بن محمّد الغازي المكي الحنفي، (١٣٦٥هـ)، محمّد زاهد الكوثري (١٣٧١هـ)، محمّد عبد الحيّ بن عبد الكبير ابن محمّد الحسيني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتّاني (١٣٨٢هـ)، محمّد عميم الإحسان المجدّدي البركتي (١٣٩٥هـ)، عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ)، حسن بن محمّد المشاط المالكي (١٣٩٩هـ)، عبد السلام بن عبد القادر بن محمّد بن عبد القادر بن الطّالب بن محمّد ابن سودة (١٤٠٠هـ)، محمّد عبد الله عنان المؤرّخ المصري

، علي بن مصطفى الطَّنطاوي (١٤٢٠هـ) ، إحسان عباس (١٤٢٤هـ) ، محمد إبراهيم محمد سالم (١٤٣٠هـ) ،  
أبو عبد الله محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلي الجزائري المالكي الشهير بالشيخ باي  
بلعالم (١٤٣٠هـ) ، محمد سيّد طنطاوي (١٤٣١هـ) ، محمد سعيد رمضان البوطي (٢٠١٣م) ، بالإضافة إلى أغلب دور  
الإفتاء في العالمين : العربي والإسلامي ...

## الفصل السادس

### أدلة المانعين للتوسل ومناقشتها

إن الناظر في الأدلة القرآنية التي يستدل بها مدعو السلفية في منعهم التوسل بالأنبياء والصالحين ، يجد أنها تدور حول عدة آيات في كتاب الله تعالى ، منها :

١- قوله تعالى : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ۝﴾ [الزمر: ٣] .

٢- وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۚ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ۝﴾ [يونس: ١٠٦] .

٣- وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝﴾ [الحج: ١٨] .

٤- وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ۝﴾ [الأحقاف: ٥] .

٥- وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ۖ إِنَّكُمْ لَكُمْ صَادِقِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٩٤] .

٦- وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾ [العنكبوت: ١٧] .

وقبل الجواب عن استدلالهم هذه الآيات ونظائرها على عدم جواز التوسل ، وأنه شرك وكفر يخرج الإنسان من رتبة التكليف ، فإنني سأنقل ما قاله الإمام سليمان بن عبد الوهَّاب في الردِّ على أخيه محمد بن عبد الوهَّاب ، قال : " فإنَّ اليوم ابتلي النَّاسَ بمن ينتسب إلى الكتاب والسُّنة ويستنبط من علومها ولا يبالي من خالفه ، وإذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل ، بل يوجب على النَّاسِ الأخذ بقوله وبمفهومه ، ومن خالفه فهو عنده كافر ، هذا وهو لم تكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد ولا والله عشر واحدة ، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهَّال ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون .

الأمة كلها تصيح بلسان واحد ، ومع هذا لا يرد لهم في كلمة ، بل كلُّهم كفَّار أو جهَّال ، اللهم اهدِ الضَّالَّ ، وردّه إلى الحقِّ ، فنقول : : قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ ۝﴾ [آل عمران: ١٩] ، وقال تعالى :

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] ، وفي الآية الاخرى: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] .

قال ابن عباس: « حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة » . وقال أيضاً: « لا تكونوا كالخوارج تؤولوا آيات القرآن في أهل القبلة ، وإنما نزلت في أهل الكتاب والمشركين ، فجهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهكوا الأموال ، وشهدوا على أهل السنة بالضلالة » . وكان ابن عمر يرى الخوارج شرار الخلق ، قال : أنتم «عمدوا في آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المسلمين ... » رواه البخاري عنه (١) ، فحينئذ ذكر الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْسِنَةٌ سَلْمَةٌ﴾ [آل عمران: ١٩] ، وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث جبريل في الصَّحِيحِينَ : «الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ...»

وقال ابن القيم : « أجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقد دخل في الإسلام » .

وكذلك أجمع المسلمون « أن المرتد إذا كانت ردة بالشرك فإن توبته بالشهادتين ...»

إذا فهمتم ما تقدّم ، فإنكم الآن تكفرون من شهد أن لا إله إلا الله وحده ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأقام الصلاة ، وأتى الزكاة ، وصام رمضان ، وحجَّ البيت مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ملتزماً لجميع شعائر الاسلام وتجعلونهم كفاراً ، وبلادهم بلاد حرب . فنحن نسألکم : من إمامكم في ذلك ، وممن أخذتم هذا المذهب ، فإن قلتم : كفرناهم لأنهم مشركون بالله ... لكن أهل العلم قالوا في تفسير أشرك بالله أي ادعى أن الله شريكاً كقول المشركين هؤلاء شركاؤنا ... هذه التفاصيل التي تفصلون من عندكم ، أن من فعل كذا فهو مشرك ، وتخرجونه من الإسلام ، من أين لكم هذا التفصيل ، استنبطتم ذلك بمفاهيمكم ، فقد تقدّم لكم من إجماع الأمة أنه لا يجوز لمثلکم الاستنباط ... فبينوا لنا من أين ... (٢) .

وعلى كلِّ حال ، فإن الآيات التي استدلت بها دعو السلفية على منع التوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والأولياء كلها جاءت في سياق الكلام عن المشركين ، فقد صرَّحت بعبادتهم لأصنامهم من دون الله تعالى ، فكيف راق

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (١٦/٩) ، باث قتل الخوارج والمُلجدين بعد إقامة الحجَّة عليهم .

(٢) انظر : الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية ، (ص ٤ فما بعدها) ، مطبعة الفتوح الأدبية ، ميدان الأزهر ، ط ٢ .

لُدَّعِيَ السَّلَفِيَّةَ أَنْ يَطْبَقُوهَا عَلَى التَّمَوِّسَلِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ...!!!؟ وَهُمْ يَعْبُدُونَ وَيُوَحِّدُونَ اللَّهَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ، الْفَرْدَ الصَّمَدَ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ!!!؟  
فَفِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْأُولَى، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْحَجَّاجِ مَجَاهِدُ بْنُ جَبْرِ التَّابِعِيُّ الْمَكِّيُّ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ (١٠٤هـ): "أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: نَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: نَا أَدَمُ، قَالَ: نَا وَرْقَاءُ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنِ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، قَالَ: "هَذَا قَوْلُ قُرَيْشٍ تَقُولُهُ لِلْأَوْثَانِ، وَمَنْ قَبْلَهُمْ يَقُولُونَهُ: لِلْمَلَائِكَةِ، وَلِعِيسَى وَلِعَزْرِيْرٍ" (١).

وَقَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ بْنُ يَزِيدَ بْنِ كَثِيرٍ بْنِ غَالِبِ الْأَمَلِيِّ، أَبُو جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ (٣١٠هـ): "وَقَوْلُهُ: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ يَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، يَقُولُونَ هُمْ: مَا نَعْبُدُكُمْ أَيُّهَا الْأَلْهَةُ إِلَّا لِنُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، قُرْبَةً وَمَنْزِلَةً، وَتَشْفَعُوا لَنَا عِنْدَهُ فِي حَاجَاتِنَا؛ وَهِيَ فِيهَا ذِكْرٌ فِي قِرَاءَةِ أَبِي: "مَا نَعْبُدُكُمْ"، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: "قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ"، وَإِنَّمَا حَسَنَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْحِكَايَةَ إِذَا كَانَتْ بِالْقَوْلِ مُضْمَرًا كَانَتْ أَوْ ظَاهِرًا، جُعِلَ الْغَائِبَ أَحْيَانًا كَالْمُخَاطَبِ، وَيُتْرَكُ أُخْرَى كَالْغَائِبِ، وَقَدْ بَيَّنَّتْ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ فِيمَا مَضَى

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: ثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: "هِيَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: "قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ"، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.  
ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: ثَنَا عِيسَى، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: ثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: ثَنَا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنِ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، قَالَ: قُرَيْشٌ تَقُولُهُ لِلْأَوْثَانِ، وَمَنْ قَبْلَهُمْ يَقُولُهُ لِلْمَلَائِكَةِ وَلِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَلِعَزْرِيْرٍ.  
حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: ثَنَا سَعِيدٌ، عَنِ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، قَالُوا: مَا نَعْبُدُ هَؤُلَاءِ إِلَّا لِنُقَرِّبُونَا، إِلَّا لِنَشْفَعُوا لَنَا عِنْدَ اللَّهِ.

(١) انظر: تفسير مجاهد (ص ٥٧٧).

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثنا أُسْبَاطُ ، عَنِ السُّدِّيِّ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] .

حَدَّثَنِي عَلِيُّ ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا مُعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] ، وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ [الأنعام : ١٠٧] . يَقُولُ سُبْحَانَهُ : لَوْ شِئْتُ لَجَمَعْتُهُمْ عَلَى الْهُدَى أَجْمَعِينَ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] ، قَالَ : " قَالُوا هُمْ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَهُمْ الَّذِينَ يُقَرَّبُونَنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْأَوْثَانِ ، وَالزُّلْفَى : الْقُرْبُ " (١) .

وقال الإمام إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج (٣١١هـ) : " فإن قال قائل : فالذي أنكروا عليهم هو التوسل بغير عبادة الله إلى الله ، لأنهم قالوا : ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] ، فالفرق بين المتوسلين إلى الله بمحبة أنبيائه وملائكته وصالحى عباده أنهم يتوسلون بهم مؤخدين الله عز وجل ، لا يجعلون له شريكاً في العبادة ، والكفار يتوسلون بعبادة غير الله ، فجعلوا الكفر وسيلتهم " (٢) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهرير بالماوردي (٤٥٠هـ) : ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] ، قال كفار قريش هذه لأوثانهم ، وقال من قبلهم ذلك لمن عبده من الملائكة وعزير وعيسى ، أي : عبادتنا لهم ليقربونا إلى الله زلفى ، وفيه ثلاثة أوجه : أحدها : أن الزلفى الشفاعة في هذا الموضع ، قاله قتادة . الثاني : أنها المنزلة ، قاله السدي . الثالث : أنها القرب ، قاله ابن زيد " (٣) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي (٤٦٨هـ) : ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] ، يعني : الآلهة والأصنام ، يقولون : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ

(١) انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١٥٦/٢٠-١٥٨) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٢٤٦/٣) .

(٣) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (١١٤/٥) .

أَوْلِيَاءَ﴾ [الزمر: ٣]، إِلَّا لِيَشْفَعُوا لَنَا إِلَى اللَّهِ، وَذَلِكَ التَّقْرِيبُ هُوَ الشَّفَاعَةُ فِي قَوْلِ الْمَفْسَّرِينَ، وَالزُّلْفَى الْقُرْبَى، وَهُوَ اسْمُ أَقِيمٍ مَقَامِ الْمَصْدَرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، تَقْرِيبًا" (١).

وَفِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّعَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ غَالِبِ الْأَمَلِيِّ، أَبُو جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ (٣١٠هـ): " الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّعَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَا تَدْعُ يَا مُحَمَّدُ مِنْ دُونِ مَعْبُودِكَ، وَخَالِقِكَ شَيْئًا لَا يَنْفَعُكَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَضُرُّكَ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا، يَعْنِي بِذَلِكَ الْأَلَهَةَ وَالْأَصْنَامَ، يَقُولُ: لَا تَعْبُدْهَا رَاجِيًا نَفْعَهَا أَوْ خَائِفًا ضَرَّهَا، فَإِنَّهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، فَإِن فَعَلْتَ ذَلِكَ فَدَعَوْتَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، يَقُولُ: مِنَ الْمَشْرِكِينَ بِاللَّهِ، الظَّالِمِي أَنفُسِهِمْ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَحْسَبِ اللَّهُ يَضُرُّكَ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِيدُكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مَن عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ: وَإِن يُصِيبَكَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ بِشِدَّةٍ أَوْ بَلَاءٍ، فَلَا كَاشِفَ لِدَلِّكَ إِلَّا رَبُّكَ الَّذِي أَصَابَكَ بِهِ دُونَ مَا يَعْبُدُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَلَهَةِ وَالْأَنْدَادِ. ﴿وَإِن يُرِيدُكَ بِخَيْرٍ﴾ [يونس: ١٠٧]، يَقُولُ: وَإِن يُرِيدُكَ رَبُّكَ بِرِخَاءٍ، أَوْ نِعْمَةٍ، وَعَافِيَةٍ، وَسُرُورٍ، ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧]، يَقُولُ: فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَلَا يُرِيدُكَ عَنْهُ، وَلَا يُخْرِمُكَهُ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ دُونَ الْأَلَهَةِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَدُونَ مَا سِوَاهُ. ﴿يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [يونس: ١٠٧]، يَقُولُ: يُصِيبُ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ بِالرِّخَاءِ وَالْبَلَاءِ، وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ مَن يَشَاءُ، وَيُرِيدُ مَن عِبَادِهِ، وَهُوَ الْغَفُورُ لِذُنُوبِ مَنْ تَابَ وَأَتَابَ مَن عِبَادِهِ، مَن كَفَّرَهُ وَشَرَّكَهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ، الرَّحِيمُ بِمَن آمَنَ بِهِ مِنْهُمْ وَأَطَاعَهُ أَنْ يُعَذِّبَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ" (١).

(١) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٥٧٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١٢/ ٣-٤-٣٠٥).

وقال الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي ، الحنظلي ، الرّازي ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ) : " قَوْلُهُ : " وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ " ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ حَمَزَةَ ، ثنا شَبَابَةُ ، ثنا وَرْقَاءُ ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ، قَالَ : الْأَوْثَانُ " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي (٤٦٨هـ) : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ ﴾ [يونس : ١٠٦] ، إن دعوته ، وَلَا يَضُرُّكَ إن تركت عبادته ، ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ [يونس : ١٠٧] ، قال ابن عباس : يريد بمرض وفقر . ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ [يونس : ١٠٧] ، لا مزيل لما أصابك من ضرر إلا هو ﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ﴾ [يونس : ١٠٧] ، أي : وإن يرد بك خيراً ﴿ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس : ١٠٧] ، لا مانع لما تفضل به عليك من رضاء ونعمة يُصِيبُ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِمَّا ذَكَرَ ﴿ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس : ١٠٧] (٢) .

وقال الإمام أبو المظفر ، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (٤٨٩هـ) : " قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس : ١٠٦] ، الدُّعَاءُ يكون بمعنيين : أحدهما : بِمَعْنَى الدُّعَاءِ ، كَقَوْلِكَ : يَا زَيْدُ ، وَيَا عَمْرُو ، وَالْآخَرُ : بِمَعْنَى الطَّلَبِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس : ١٠٦] ، مَعْنَاهُ : لَا يَنْفَعُكَ إِنْ دَعَوْتَهُ ، وَلَا يَضُرُّكَ إِنْ تَرَكْتَ دُعَاءَهُ . وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] ، يَعْنِي : مِمَّنْ وَضَعَ الدُّعَاءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ [يونس : ١٠٧] ، مَعْنَاهُ : إِنْ يَصِيبُكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ، وَالضُّرُّ : هُوَ الخُوفُ وَالْمَرَضُ وَالْجُوعُ وَنَحْوُهُ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُ ﴾ [يونس : ١٠٧] ، أَي : لَا كَاشِفَ لِذَلِكَ الضَّرِّ إِلَّا اللَّهُ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ﴾ [يونس : ١٠٧] ، أَي : يَصِيبُكَ بِخَيْرٍ ، وَالْخَيْرُ : هُوَ الخُصْبُ وَالسَّعَةِ وَالْعَافِيَةُ وَنَحْوُهُ .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٩٩٢/٦) .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٥٦١/٢) .

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧]، أَي: لَا مَانِعَ لِفَضْلِهِ " (١) .

وقال الإمام أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (٥٤٢هـ):  
وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ [يونس: ١٠٦]، معناه: قيل لي: وَلَا تَدْعُ، فهو عطف على أَمِّمٌ، وهذا الأمر والمخاطبة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كانت هكذا فأحرى أن يتحرز من ذلك غيره، وما لا ينفع ولا يضر هو الأصنام والأوثان، والظلم الذي يضع الشيء في غير موضعه، وقوله: ﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بِضُرِّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، مقصد هذه الآية أن الحول والقوة لله، ويبين ذلك للناس بما يحشونه من أنفسهم، و"الضر" لفظ جامع لكل ما يكرهه الإنسان كان ذلك في ماله أو في بدنه، وهذه الآية مظهرة فساد حال الأصنام، لكن كل مميّز أدنى ميز يعرف يقيناً أنّها لا تكشف ضرراً ولا تجلب نفعاً. وقوله: ﴿وَإِنْ يُرِيدْكَ بِخَيْرٍ﴾ [يونس: ١٠٧]، لفظ تامّ العموم، وخصص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالذكر في قوله: "مَنْ يُرِيدُ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ" (٢)، وهو على جهة التّشريف للفقهاء، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، ترجية وبسط ووعد ما (٣).

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (٦٠٦هـ): قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وَالْمُمْكِنُ لِذَاتِهِ مَعْدُومٌ بِالنَّظَرِ إِلَى ذَاتِهِ وَمَوْجُودٌ بِإِيجَادِ الْحَقِّ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَا سِوَى الْحَقِّ فَلَا وَجُودَ لَهُ إِلَّا بِإِيجَادِ الْحَقِّ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فَلَا نَافِعَ إِلَّا الْحَقُّ وَلَا ضَارٌّ إِلَّا الْحَقُّ، فَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَلَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَلَا رُجُوعَ فِي الدَّارَيْنِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ.

ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ الْآيَةِ: ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، يَعْنِي: لَوْ اسْتَعْلَتْ بِطَلَبِ الْمُنْفَعَةِ وَالْمُضَرَّةِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ فَأَنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ، لِأَنَّ الظُّلْمَ عِبَارَةٌ عَنِ وَضْعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَإِذَا كَانَ مَا سِوَى

(١) انظر: تفسير القرآن، السمعاني (٢/٤٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/٢٥٠١ رقم ٧١)، مسلم (٢/٧١٩ رقم ١٠٣٧).

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/١٤٦).

الْحَقُّ مَعْرُوْلًا عَنِ النَّصْرِفِ ، كَانَتْ إِضَافَةُ النَّصْرِفِ إِلَى مَا سِوَى الْحَقِّ وَضَعًا لِلشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، فَيَكُونُ ظَلْمًا .

فَإِنْ قِيلَ : فَطَلَّبُ الشَّبَعِ مِنَ الْأَكْلِ وَالرَّيِّ مِنَ الشَّرْبِ هَلْ يَقْدَحُ فِي ذَلِكَ الْإِخْلَاصُ ؟  
 قُلْنَا : لَا لِأَنَّ وُجُودَ الْخُبْزِ وَصِفَاتَهُ كُلَّهَا بِإِيجَادِ اللَّهِ وَتَكْوِينِهِ ، وَطَلَّبُ الْإِنْتِفَاعِ بِشَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ لِلإِنْتِفَاعِ بِهِ لَا يَكُونُ مُنَافِيًا لِلرُّجُوعِ بِالْكُلِّيَّةِ إِلَى اللَّهِ ، إِلَّا أَنْ شَرَطَ هَذَا الْإِخْلَاصِ أَنْ لَا يَفْعَ بَصْرُ عَقْلِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ إِلَّا وَيَشَاهِدُ بِعَيْنِ عَقْلِهِ أَنَّهَا مَعْدُومَةٌ بِدَوَاتِهَا وَمَوْجُودَةٌ بِإِيجَادِ الْحَقِّ وَهَالِكَةٌ بِأَنْفُسِهَا وَبَاقِيَةٌ بِإِنْقَاءِ الْحَقِّ ، فَحِينَئِذٍ يَرَى مَا سِوَى الْحَقِّ عَدَمًا مُخْضًا بِحَسَبِ أَنْفُسِهَا وَيَرَى نُورَ وُجُودِهِ وَفَيْضَ إِحْسَانِهِ عَالِيًا عَلَى الْكُلِّ ...  
 قَالَ الْمُسْرُونَ : أَنَّهُ تَعَالَى لَمَا بَيَّنَّ فِي الْآيَةِ الْأُولَى فِي صِفَةِ الْأَصْنَامِ أَنَّهَا لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ ، بَيَّنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهَا لَا تَقْدِرُ أَيْضًا عَلَى دَفْعِ الضَّرْرِ الْوَاصِلِ مِنَ الْغَيْرِ ، وَعَلَى الْخَيْرِ الْوَاصِلِ مِنَ الْغَيْرِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :  
 ﴿وَإِنْ يَمَسُّنَا اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس : ١٠٧] ، يَعْنِي بِمَرَضٍ وَفَقْرٍ فَلَا دَافِعَ لَهُ إِلَّا هُوَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس : ١٠٧] ، فَقَالَ الْوَاحِدِيُّ : هُوَ مِنَ الْمَقْلُوبِ مَعْنَاهُ وَإِنْ يُرِيدُ بِكَ الْخَيْرَ وَلَكِنَّهُ لَمَا تَعَلَّقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْآخِرِ جَازَ إِبْدَالِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْآخِرِ ، وَأَقُولُ التَّقْدِيمُ فِي اللَّفْظِ يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ الْعِنَايَةِ ، فَقَوْلُهُ : ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ [يونس : ١٠٧] وَإِنْ يُرِيدُ بِكَ الْخَيْرَ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ الْإِنْسَانُ وَسَائِرُ الْخَيْرَاتِ مَخْلُوقَةٌ لِأَجْلِهِ ، فَهَذِهِ الدَّقِيقَةُ لَا تُسْتَفَادُ إِلَّا مِنْ هَذَا التَّرْكِيبِ " (١) .

وقال الأستاذ سيّد قطب إبراهيم حسين الشّاربي (١٣٨٥هـ) : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس : ١٠٦] ...

لا تدع من دون الله ما لا ينفَعُكَ ولا يضرُّكَ من هؤلاء الشُّركاء والشُّفَعاء ، الذين يدعوهم المشركون لجلب النَّفَعِ ودفع الضَّرِّ . فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَنْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ ! فَمِيزَانُ اللَّهِ لَا يَجَاحِي وَعَدْلُهُ لَا يَلِينُ ...

(١) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٧/٣٠٩-٣١٠) .

﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٧] .. فالضرُّ نتيجة لازمة لسنة الله الجارية حين يتعرَّض الإنسان لأسبابه ، والخير كذلك ...

فإن مسَّك الله بضرٍّ عن طريق جريان سنته فلن يكشفه عنك إنسان ، إنَّما يُكشف باتِّباع سنته ، وترك الأسباب المؤدِّية إلى الضرِّ إن كانت معلومة ، أو الالتجاء إلى الله ليهديك إلى تركها إن كانت مجهولة . وإن أراد بك الخير ثمرة لعملك وفق سنته ، فلن يردَّ هذا الفضل عنك أحدٌ من خلقه . فهذا الفضل يصيب من عباده من يتصلون بأسبابه وفق مشيئته العامة وسنته الماضية . ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٧] ، الذي يغفر ما مضى متى وقعت التوبة ، ويرحم عباده فيكفر عنهم سيئاتهم بتوبتهم وعملهم الصالح وعودتهم إلى الصِّراط المستقيم " (١) .

وفي تفسير الآية الثالثة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] ، قال الإمام أبو محمَّد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (٢٨٣هـ) : " قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] ، قال : أي : لا تدعوا مع الله شريكاً ، أي ليس لأحد معي شريك في شيء يمنع عبادي من ذكرى ، كذلك ما كان لله تعالى فهو على هذه الجهة ، ليس لأحد فيه سبيل المنع والزجر " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ) : " الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا \* وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٨-١٩] : يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [الجن: ١] ، ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا ﴾ [الجن: ١٨] أَيُّهَا النَّاسُ ﴿ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ فِيهَا شَيْئًا ، وَلَكِنْ أَفْرِدُوا لَهُ التَّوْحِيدَ ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ ، ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ : حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] ، كَانَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى إِذَا دَخَلُوا كَنَائِسَهُمْ وَبِعَعْمَهُمْ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ، فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنْ يُوحِدَ اللَّهَ وَحْدَهُ

(١) انظر : في ظلال القرآن (٣/ ١٨٢٥-١٨٢٦) .

(٢) انظر : تفسير التستري (ص ١٧٩) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا مِهْرَانُ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨] ، قَالَ : قَالَتِ الْجِنُّ لِنَبِيِّ اللَّهِ : كَيْفَ لَنَا نَأْتِي الْمَسْجِدَ ، وَنَحْنُ نَأْوُونَ عَنْكَ ، وَكَيْفَ نَشْهَدُ مَعَكَ الصَّلَاةَ وَنَحْنُ نَأْوُونَ عَنْكَ ؟ فَتَزَلْتُمْ : ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] .

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا ابْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، قَالَ : كَانَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى إِذَا دَخَلُوا كَنَائِسَهُمْ وَيَبْعُهُمْ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ، فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَخْلَصَ لَهُ الدَّعْوَةَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا مِهْرَانُ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ خُصَيْفٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨] ، قَالَ : الْمَسَاجِدُ كُلُّهَا (١) .

وقال الإمام أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (٣٧٣هـ) : ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨] ، قال الحسن : يعني : الصلاة لله تعالى ، وقال قتادة : كانت اليهود والنصارى يدخلون كنائسهم ، ويشركون بالله تعالى . فأمر الله تعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَخْلَصَ الدَّعْوَةَ لَهُ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ . وقال القتيبي : قوله : ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨] ، يعني : السُّجُودَ لِلَّهِ . ويقال : هي المساجد بعينها ، يعني : بُنِيَتِ الْمَسَاجِدُ ، لِيَعْبُدُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا . ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، يعني : لا تعبدوا أحداً غير الله تعالى " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق (٤٢٧هـ) : " وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ " ، قال سعيد بن جبير : قَالَتِ الْجِنُّ لِنَبِيِّ اللَّهِ كَيْفَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَ الْمَسْجِدَ وَنَشْهَدُ مَعَكَ الصَّلَاةَ وَنَحْنُ نَأْوُونَ عَنْكَ ؟ فَتَزَلْتُمْ : ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] .

قال قتادة : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم ويبيعهم أشركوا بالله ، فأمر الله سبحانه نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين أن يخلصوا له الدَّعْوَةَ إِذَا دَخَلُوا الْمَسَاجِدَ ، وَأَرَادَ بِهَا الْمَسَاجِدَ كُلُّهَا . وقال الحسن : أَرَادَ بِهَا الْبِقَاعَ كُلُّهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَرْضَ جَعَلَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسْجِدًا ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الْمَسْجِدَ ، قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ .

(١) انظر : تفسير الطَّبْرِي (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (٢٣/ ٣٤٠-٣٤١) .

(٢) انظر : بحر العلوم (٣/ ٤٨٣) .

وقال سعيد بن جبير وطلق بن حبيب : أراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها العبد ، وهي سبعة : القدمان ، والرُّكبتان ، واليدان ، والوجه . وسمعت محمد بن الحسن السلمي يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبو القيم البرازي يقول : قال ابن عطاء : مساجدك أعضاءك التي أمرت أن تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي (٤٦٨هـ) : ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن : ١٨] ، يعني : المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] ، قال قتادة : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم ، أشركوا بالله ، فأمر الله أن يخلص المسلمون له الدعوة إذا دخلوا مساجدهم .

وقال سعيد بن جبير : المساجد الأعضاء التي يسجد عليها العبد . وهذا القول اختيار ابن الأنباري ، قال : يقول : هذه الأعضاء التي يقع السجود عليها مخلوقة لله ، فلا يسجدوا عليها لغيره . وقال الحسن : أراد البقاع كلها . يعني : أن الأرض كلها مواضع للسجود ، وجعلت مسجداً لهذه الأمة ، يقول : الأرض كلها مخلوقة لله ، فلا يسجدوا عليها لغير خالقها " (٢) .

وقال الإمام أبو المظفر ، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (٤٨٩هـ) : " قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] ، إِتِّفَقَ الْقُرَّاءُ عَلَى فَتْحِ الْأَلْفِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَعَلَّةُ النَّصْبِ أَنْ مَعْنَاهُ : وَلِأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ، ثُمَّ حَذَفَتِ اللَّامُ فَانْتَصَبَ الْأَلْفُ . وَقِيلَ : انْتَصَبَتْ لِأَنَّ مَعْنَاهُ : أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ . وَسَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْجِنَّ قَالُوا لِلنَّبِيِّ : نَحْنُ نُوذُّ أَنْ نَصْلِي مَعَكَ ، فَكَيْفَ نَفْعَلُ وَنَحْنُ نَأْوُونَ عَنْكَ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ : ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن : ١٨] ، وَمَعْنَاهُ : أَنْكُمْ إِنْ صَلَّيْتُمْ فَمَقْصُودُكُمْ حَاصِلٌ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَا تُشْرِكُوا بِهِ أَحَدًا ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] ، وَيُقَالُ : هُوَ ابْتِدَاءُ كَلَامٍ . وَالْمَعْنَى : أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يَشْرِكُونَ فِي الْبَيْعِ وَالصَّوَامِعِ ، وَكَذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، فَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ اعْلَمُوا أَنَّ الصَّلَوَاتِ وَالسُّجُودَ وَالْمَسَاجِدَ كُلَّهَا لِلَّهِ ، فَلَا

(١) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠ / ٥٤) .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤ / ٣٦٧-٣٦٨) .

تُشْرِكُوا مَعَهُ أَحَدًا . وَفِي الْمَسَاجِدِ أَقْوَالٌ : أَحَدَهَا : أَتْمَا بِمَعْنَى السُّجُودِ ، وَهِيَ جَمْعُ مَسْجِدٍ . يُقَالُ : سَجَدْتُ سَجُودًا وَمَسْجِدًا ، وَالْمَعْنَى : أَنَّ السُّجُودَ لِلَّهِ ، يَعْنِي : هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلسُّجُودِ .

وَالْقَوْلُ الثَّانِي : أَنَّ الْمَسَاجِدَ ، هِيَ : الْمَوَاضِعُ الْمَبْنِيَّةُ لِلصَّلَاةِ الْمَهْيَأَةُ لَهَا ، وَهِيَ جَمْعُ مَسْجِدٍ ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨] ، نَفِي الْمَلِكِ عَنْهَا ، أَوْ مَعْنَاهُ : الْأَمْرُ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ فِيهَا لِلَّهِ .

وَالْقَوْلُ الثَّلَاثُ : أَنَّ الْمَسَاجِدَ ، هِيَ : الْأَعْضَاءُ الَّتِي يَسْجُدُ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ مِنْ جَبْهَتِهِ وَيَدَيْهِ وَرِكْبَتَيْهِ وَقَدَمَيْهِ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدَ عَلَى هَذِهِ الْأَعْضَاءِ إِلَّا اللَّهُ " (١) .

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) : " قوله عز وجل : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨] ، فيها أربعة أقوال : أحدها : أتمها المساجد التي هي بيوت للصَّلوات ، قاله ابن عباس . قال قتادة : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم أشركوا ، فأمر الله عز وجل المسلمين أن يخلصوا له إذا دخلوا مساجدهم . والثاني : الأعضاء التي يسجد عليها العبد ، قاله سعيد بن جبير ، وابن الأباري ، وذكره الفراء . فيكون المعنى ، لا تسجدوا عليها لغيره . والثالث : أن المراد بالمساجد ها هنا : البقاع كلها ، قاله الحسن . فيكون المعنى : أن الأرض كلها مواضع للسُّجود ، فلا تسجدوا عليها لغير خالقها . والرابع : أن المساجد : السُّجود ، فإنها جمع مسجد . يقال : سجدت سجوداً ، ومسجداً ، كما يقال : ضربت في الأرض ضرباً ، ومضرباً ، ثم يجمع ، فيقال : المساجد ، والمضارب . قال ابن قتيبة : فعلى هذا يكون واحداً : مسجداً ، وفتح الجيم . والمعنى : أخلصوا له ، ولا تسجدوا لغيره " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (٦٠٦هـ) : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، وفيه مسائل :

المسألة الأولى : التقدير : قُلْ أَوْحِي إِلَيَّ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ، وَمَذْهَبُ الْحَلِيلِ أَنَّ التَّقْدِيرَ : وَلِأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا ، فعلى هذا اللام متعلقة ، بلا تَدْعُوا ، أي : فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا فِي الْمَسَاجِدِ لِأَنَّهَا لِلَّهِ خَاصَّةٌ ، وَنَظِيرُهُ

(١) انظر : تفسير القرآن ، السمعاني (٦/٧٠) .

(٢) انظر : زاد المسير في علم التفسير (٤/٣٤٩) .

قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ [المؤمنون: ٥٢] ، عَلَى مَعْنَى ، وَلِأَنَّ هَذِهِ ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾ [المؤمنون: ٥٢] ، أَي: لِأَجْلِ هَذَا الْمَعْنَى فَاعْبُدُون

السُّأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: اخْتَلَفُوا فِي الْمَسَاجِدِ عَلَى وُجُوهِ أَحَدُهَا: وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ: أَنَّهَا الْمَوَاضِعُ الَّتِي بُنِيَتْ لِلصَّلَاةِ وَذَكَرَ اللَّهُ وَيَدْخُلُ فِيهَا الْكِنَائِسُ وَالْبَيْعُ وَمَسَاجِدُ الْمُسْلِمِينَ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يُشْرِكُونَ فِي صَلَاتِهِمْ فِي الْبَيْعِ وَالْكِنَائِسِ ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ وَثَانِيهَا: قَالَ الْحَسَنُ: أَرَادَ بِالْمَسَاجِدِ الْبِقَاعَ كُلَّهَا ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: " جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا " ، كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: الْأَرْضُ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى فَلَا تَسْجُدُوا عَلَيْهَا لِغَيْرِ خَالِقِهَا . وَثَالِثُهَا: رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: الْمَسَاجِدُ هِيَ الصَّلَوَاتُ فَالْمَسَاجِدُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ جَمْعُ مَسْجِدٍ بِفَتْحِ الْجِيمِ ، وَالْمَسْجِدُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى السُّجُودِ . وَرَابِعُهَا: قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الْمَسَاجِدُ الْأَعْضَاءُ الَّتِي يَسْجُدُ الْعَبْدُ عَلَيْهَا ، وَهِيَ سَبْعَةٌ: الْقَدَمَانِ ، وَالرُّكْبَتَانِ ، وَالْيَدَانِ ، وَالْوَجْهُ ، وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتِيَارُ ابْنِ الْأَثْبَارِيِّ ، قَالَ: لِأَنَّ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ هِيَ الَّتِي يَقَعُ السُّجُودُ عَلَيْهَا وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدَ الْعَاقِلُ عَلَيْهَا لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ مَعْنَى الْمَسَاجِدِ مَوَاضِعُ السُّجُودِ مِنَ الْجَسَدِ وَاحِدًا مَسْجِدًا يَفْتَحُ الْجِيمِ . وَخَامِسُهَا: قَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يُرِيدُ بِالْمَسَاجِدِ مَكَّةَ بِجَمِيعِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَسَاجِدِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَكَّةَ قِبْلَةُ الدُّنْيَا وَكُلُّ أَحَدٍ يَسْجُدُ إِلَيْهَا " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ): ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]: فِيهِ سِتُّ مَسَائِلَ:

الأولى: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] ، أَنَّ بِالْفَتْحِ ، قِيلَ: هُوَ مَرْدُودٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الجن: ١] ، أَي: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ . وَقَالَ الْحَلِيلُ: أَي: وَلِأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ . وَالْمَرَادُ الْبُيُوتُ الَّتِي تَبْنِيهَا أَهْلُ الْمِلَلِ لِلْعِبَادَةِ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قَالَتِ الْجِنُّ كَيْفَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَ الْمَسَاجِدَ وَنَشْهَدَ مَعَكَ الصَّلَاةَ وَنَحْنُ نَاءُونَ عَنْكَ؟ فَتَزَلَّتْ: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] ، أَي: بُنِيَتْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ . وَقَالَ الْحَسَنُ: أَرَادَ بِهَا كُلَّ الْبِقَاعِ ، لِأَنَّ الْأَرْضَ كُلَّهَا مَسْجِدٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ: أَيُّنَمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا ، فَأَيُّنَمَا صَلَّيْتُمْ فَهُوَ مَسْجِدٌ . وَفِي الصَّحِيحِ: " وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا " (١) . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيْبِ وَطَلَقَ ابْنَ حَبِيبٍ

(١) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٦٧٣/٣٠-٦٧٤) .

(٢) أخرجه البخاري (١/٧٤ برقم ٣٣٥) ، مسلم (١/٣٧٠ برقم ٥٢١) .

أَرَادَ بِالْمَسَاجِدِ الْأَعْضَاءَ الَّتِي يَسْجُدُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ ، وَهِيَ الْقَدَمَانِ ، وَالرُّكْبَتَانِ ، وَالْيَدَانِ ، وَالْوَجْهُ ، يَقُولُ : هَذِهِ الْأَعْضَاءُ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكَ ، فَلَا تَسْجُدُ لِغَيْرِهِ بِهَا ، فَتَجِدَ نِعْمَةَ اللَّهِ . قَالَ عَطَاءٌ : مَسَاجِدُكَ : أَعْضَاؤُكَ الَّتِي أُمِرْتُ أَنْ تَسْجُدَ عَلَيْهَا لَا تُدَلِّلُهَا لِغَيْرِ خَالِقِهَا . وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظَمَ : الْجُبْهَةِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَنْفِهِ - وَالْيَدَيْنِ ، وَالرُّكْبَتَيْنِ ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ " (١) . وَقَالَ الْعَبَّاسُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا سَجَدَ الْعَبْدُ سَجَدَ مَعَهُ سَبْعَةُ آرَابٍ (٢) . وَقِيلَ : الْمَسَاجِدُ هِيَ الصَّلَوَاتُ ، أَيْ : لِأَنَّ السُّجُودَ لِلَّهِ . قَالَهُ الْحَسَنُ أَيْضاً . فَإِنْ جَعَلْتَ الْمَسَاجِدَ الْمَوَاضِعَ فَوَاحِدَهَا مَسْجِدٌ بِكَسْرِ الْجِيمِ ، وَيُقَالُ بِالْفَتْحِ ، حَكَاهُ الْفَرَّاءُ . وَإِنْ جَعَلْتَهَا الْأَعْضَاءَ فَوَاحِدَهَا مَسْجِدٌ بِفَتْحِ الْجِيمِ . وَقِيلَ : هُوَ جَمْعُ مَسْجِدٍ وَهُوَ السُّجُودُ ، يُقَالُ : سَجَدْتُ سُجُوداً وَمَسْجِداً ، كَمَا تَقُولُ : ضَرَبْتُ فِي الْأَرْضِ ضَرْباً وَمَضْرَباً بِالْفَتْحِ : إِذَا سِرْتُ فِي ابْتِغَاءِ الرِّزْقِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْمَسَاجِدُ هُنَا مَكَّةُ الَّتِي هِيَ الْقِبْلَةُ ، وَسُمِّيَتْ مَكَّةَ الْمَسَاجِدِ ، لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَسْجُدُ إِلَيْهَا . وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَظْهَرَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَهُوَ مَرْوِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ .

الثَّانِيَةُ : قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ لِلَّهِ ﴾ [الجن : ١٨] ، إِضَافَةٌ تَشْرِيفٍ وَتَكْرِيمٍ ، ثُمَّ خَصَّ بِالذِّكْرِ مِنْهَا الْبَيْتَ الْعَتِيقَ ، فَقَالَ : ﴿ وَظَهَرَ بَيْتِي ﴾ [الحج : ٢٦] . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : " لَا تَعْمَلُ الْمُطَيِّبُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ " (٣) . الْحَدِيثُ

(١) أخرجه البخاري (١٦٢/١) برقم (٨١٢) ، مسلم (٣٥٤/١١) برقم (٤٩) .

(٢) آراب : واحدها إرب ، بالكسر والسكون ، وهي الأعضاء .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٦٧/٣٩) برقم (٢٣٨٤٨) ، قال الأرئوط في تخريجه : " إسناده صحيح على وهم فيه ، سيأتي التنبيه عليه .

وهو عند مالك في "الموطأ" ١٠٨/١-١٠٩ ضمن حديث مطول ، ومن طريقه أخرجه يعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" ٢/٢٩٤ ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٥٨١) و (٥٩٠) ، وابن حبان (٢٧٧٢) ، وابن الأثير في "أسد الغابة" ١/٢٣٧ ، والضياء المقدسي في "فضائل بيت المقدس" (٣) .

قال ابن عبد البر في "الاستيعاب" ٢/٣٩-٤٠ : هذا الحديث لا يوجد هكذا إلا في "الموطأ" لبصرة بن أبي بصرة ، وإنما الحديث لأبي هريرة : فلقبتُ أبا بصرة ... فذكر من قال ذلك عن أبي هريرة ، ثم قال : وأظنُّ الوهم جاء فيه من يزيد بن الهاد ، والله أعلم . وقال في "التمهيد" ٢٣/٣٨ : وأظنُّ الوهم فيه جاء من قِبَلِ مالك أو من قِبَلِ يزيد بن الهاد ، والله أعلم . وتعبَّه ابن الأثير في "أسد الغابة" فقال : قول أبي عمر : لا يوجد هكذا إلا في "الموطأ" ، وهم منه ، فإنه قد رواه الواقدي عن عبد الله بن جعفر ، عن ابن الهاد ، مثل رواية مالك : عن بصرة بن أبي بصرة ، فإن هذا أن الوهم من ابن الهاد أو من محمد بن إبراهيم ، فإن أبا سلمة قد روى عنه غير محمد ، فقال : عن أبي بصرة ، والله أعلم .

خَرَجَهُ الْأَيْمَةَ . وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِيهِ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : " صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ " (١) . قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ : وَقَدْ رُوِيَ مِنْ طَرِيقٍ لَا بَأْسَ بِهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي مَسْجِدِي هَذَا " . وَلَوْ صَحَّ هَذَا لَكَانَ نَصًّا . قُلْتُ : هُوَ صَحِيحٌ بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ حَسَبَ مَا بَيَّنَّاهُ فِي سُورَةِ " إِبْرَاهِيمَ " .

الثَّلَاثَةُ : الْمَسَاجِدُ وَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ مَلَكًا وَتَشْرِيْفًا فَإِنَّهَا قَدْ تُنْسَبُ إِلَى غَيْرِهِ تَعْرِيفًا ، فَيُقَالُ : مَسْجِدُ فُلَانٍ . وَفِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي أُضْمِرَتْ مِنَ الْحَفِيَاءِ ، وَأَمَدَهَا تَيْبَةَ الْوَدَاعِ ،

قلنا: وما يؤيد أن الوهم فيه من ابن الهاد وليس من مالك أنه قد رواه جماعة عن ابن الهاد كما هو عند المصنف .  
 فقد أخرجه الحميدي (٩٤٤) ، ويعقوب بن سفيان ٢/٢٩٤ ، والفاكهي في "أخبار مكة" (١٢٠٣) من طريق عبد العزيز بن أبي حازم ، ويعقوب بن سفيان ٢/٢٩٤ ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٥٨٠) و (٥٨٩) من طريق الليث ، والنسائي ٣/١١٣-١١٤ من طريق بكر بن مضر ، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١٠٠١) من طريق عبد العزيز بن محمد ، ويعقوب بن سفيان ٢/٢٩٤ ، والطحاوي (٥٨٣) و (٥٩١) من طريق نافع بن يزيد ، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (١٢١٠) من طريق الواقدي ، عن عبد الله بن جعفر ، ستهتم عن يزيد بن عبد الله بن الهاد ، به . وقرن نافع بن يزيد بابن الهاد عمارة بن غزينة .  
 وأخرجه الطحاوي (٥٨٦) من طريق يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال: لقيت أبا بصرة ... فذكره .  
 وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ٣/١٢٣-١٢٤ ، ويعقوب بن سفيان ٢/٢٩٤-٢٩٥ ، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١٠٠٢) ، وأبو يعلى (٦٥٥٨) ، والطحاوي (٥٨٢) و (٥٨٤) و (٥٨٥) ، والطبراني في "الكبير" (٢١٥٧) (٢١٥٨) و (٢١٥٩) ، وفي "الأوسط" (٨٥٧) ، وابن عبد البر في "التمهيد" ٢٣/٤٧ من طريق زيد بن أسلم ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، فذكره . إلا أن بعضهم سمى الصحابي جميل بن بصرة ، وبعضهم ساه جميل بن بصرة ، وبعضهم ذكر كنيته أبا بصرة مع ذكر اسمه .  
 وأخرجه عبد الرزاق (٩١٦٢) عن ابن جريج قال: حدثت عن بصرة بن أبي بصرة ، فذكر مرفوعه .  
 وأخرج البزار (٤٢٧) - كشف الأستار) من طريق زيد بن أسلم ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، قال: أتيت من الطور ، فلقيني جميل بن بصرة ... ولفظ مرفوعه: " صلاة في مسجدتي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد " .  
 (١) أخرجه أحمد في المسند (٣/١٥٨ رقم ١٦٠٥) ، قال الأرنؤوط : " صحيح لغيره ، وهذا إسناد حسن من أجل عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وباقى رجاله ثقات رجال الصحيح غير سليمان بن داود - وهو الهاشمي - فمن رجال أصحاب السنن ، وهو ثقة . أبو عبد الله القراظ : اسمه دينار . وأخرجه أبو يعلى (٧٧٤) من طريق سليمان بن داود الهاشمي ، بهذا الإسناد .  
 وأخرجه البزار (٤٢٦) - كشف الأستار) من طريق شعبة ، عن موسى بن عبيدة الربدي ، عن عمر بن الحكم ، عن سعد . وهذا إسناد ضعيف لضعف موسى الربدي " .

وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضَمَّرْ مِنَ الشَّيْءِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ . وَتَكُونُ هَذِهِ الْإِصَافَةُ بِحُكْمِ الْمُحَلِّيَةِ كَأَنَّهَا فِي قِبَلَتِهِمْ ، وَقَدْ تَكُونُ بِتَحْيِيْسِهِمْ ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْأُمَّةِ فِي تَحْيِيْسِ الْمَسَاجِدِ وَالْقَنَاطِرِ وَالْمَقَابِرِ وَإِنْ اِخْتَلَفُوا فِي تَحْيِيْسِ غَيْرِ ذَلِكَ .

الرَّابِعَةُ: مَعَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ لَا يُذَكَّرُ فِيهَا إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّهُ يَجُوزُ الْقِسْمَةُ فِيهَا لِلْأَمْوَالِ . وَيَجُوزُ وَضْعُ الصَّدَقَاتِ فِيهَا عَلَى رَسْمِ الْإِسْتِزَاكِ بَيْنَ الْمَسَاكِينِ وَكُلِّ مَنْ جَاءَ أَكَلًا . وَيَجُوزُ حَبْسُ الْغَرِيمِ فِيهَا ، وَرَبْطُ الْأَسِيرِ وَالنَّوْمُ فِيهَا ، وَسُكْنَى الْمَرِيضِ فِيهَا ، وَفَتْحُ الْبَابِ لِلْجَارِ إِلَيْهَا ، وَإِنْشَادُ الشَّعْرِ فِيهَا إِذَا عَرِيَ عَنِ الْبَاطِلِ . وَقَدْ مَضَى هَذَا كُلُّهُ مُبَيَّنًا فِي سُورَةِ " بَرَاءة " . وَ" النُّور " وَغَيْرِهِمَا .

الخَامِسَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] ، هَذَا تَوْبِيخٌ لِلْمُشْرِكِينَ فِي دُعَائِهِمْ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى إِذَا دَخَلُوا كَنَائِسَهُمْ وَبَيْعَهُمْ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ، فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُخْلِصُوا لِلَّهِ الدَّعْوَةَ إِذَا دَخَلُوا الْمَسَاجِدَ كُلَّهَا . يَقُولُ: فَلَا تُشْرِكُوا فِيهَا صَنَاءً وَغَيْرَهُ مِمَّا يُعْبَدُ . وَقِيلَ: الْمَعْنَى أَفْرِدُوا الْمَسَاجِدَ لِذِكْرِ اللَّهِ ، وَلَا تَتَّخِذُوا هُزُؤًا وَمَتَجَرًّا وَمَجْلِسًا ، وَلَا طُرُقًا ، وَلَا تَجْعَلُوا لِعَٰلَمٍ غَيْرِ اللَّهِ فِيهَا نَصِيًّا . وَفِي الصَّحِيحِ: " مَنْ نَشَدَ صَلَاةً فِي الْمَسْجِدِ فَقُولُوا لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا " (١) . وَقَدْ مَضَى فِي سُورَةِ " النُّور " مَا فِيهِ كِفَايَةٌ مِنْ أَحْكَامِ الْمَسَاجِدِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

السَّادِسَةُ: رَوَى الصَّحَّاحُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَدَّمَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى . وَقَالَ: ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] ، اللَّهُمَّ أَنَا عَبْدُكَ وَرَاثُكَ وَعَلَى كُلِّ مَرُورٍ حَقٌّ وَأَنْتَ خَيْرُ مَرُورٍ فَاسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ أَنْ تَفُكَّ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ ، فَإِذَا خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ قَدَّمَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى ، وَقَالَ

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٣١/١) ، ورواه بغير هذا اللفظ: الأزرق في أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (٦٧/٢) ، الفاكهي في أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه (١١٥/٢) برقم (١٢٦٥) ، ابن ماجه (٢٥٢/١) برقم (٧٦٧) ، أبو داود (١٢٨/١) برقم (٤٧٣) ، البزار في المسند (٣٦٦/٣) برقم (١١٦٧) ، النسائي في السنن الكبرى (٧٧/٩) برقم (٩٩٣٢) ، ابن خزيمة في الصحيح (٢٧٣/٢) برقم (١٣٠٢) ، أبو عوانة في المستخرج (٣٣٩/١) برقم (١٢١٢) ، ابن حبان في الصحيح (٥٢٩/٤) برقم (١٦٥١) ، الطبراني في الدعاء (٣٩٦/١) برقم (١٣٣٢) ، الأوسط (٩٧/٣) برقم (٢٦٠٥) ، الكبير (١٠٣/٢) برقم (١٤٥٤) ، البيهقي في الكبرى (٦٢٦/٢) برقم (٤٣٤٣) ، معرفة السنن والآثار (٢٢٢/١٤) برقم (١٩٧٣٥) ، السنن الصغير (١٢٦/٤) برقم (٣٢٣٥) ...

: " اللَّهُمَّ صَبِّ عَلَيَّ الْخَيْرَ صَبًّا وَلَا تَنْزِعْ عَنِّي صَالِحَ مَا أَعْطَيْتَنِي أَبَدًا وَلَا تَجْعَلْ مَعِيشَتِي كَدًّا ، وَاجْعَلْ لِي فِي الْأَرْضِ جَدًّا ، أَي : غني " (١) .

فبناء على أقوال المفسرين للآية الكريمة نرى أنَّها تَصَمَّتْ توبيخاً وتبكيئاً للمشركين في دعواهم مع الله غيره في المسجد الحرام ... ولا سبيل لقياس توَسُّلِ المؤمنين بدعاء الكافرين عند البيت الحرام ، فالمؤمنون آمنوا بالله تعالى ربًّا ، وآمنوا بأنَّه النَّافِعُ الصَّارُّ ، الخالق الرَّازِقُ ، المحيي المميت ، والمشركون اتَّخَذُوا من يدعوهم من أوثانهم وأصنامهم آلهة من دون الله تعالى ، فدعوهم استقلالاً من دون الله تعالى ...

وفي تفسير الآية الرَّابِعة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥] ، قال الإمام مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبْرِي (٣١٠هـ) : " القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥] .

يقول تعالى ذكره : وأَيُّ عبد أضلُّ من عبد يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب له إلى يوم القيامة : يقول : لا تُجيب دعاءه أبداً ، لأنَّها حجر أو خشب أو نحو ذلك .

وقوله : ﴿ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥] ، يقول تعالى ذكره : وألهتهم التي يدعوهم عن دعائهم إيَّاهم في غفلة ، لأنَّها لا تسمع ولا تنطق ، ولا تعقل . وإنَّما عنى بوصفها بالغفلة ، تمثيلها بالإنسان السَّاهي عما يقال له ، إذ كانت لا تفهم ممَّا يقال لها شيئاً ، كما لا يفهم الغافل عن الشَّيء ما غفل عنه . وإنَّما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم ، وقبح اختيارهم في عبادتهم ، من لا يعقل شيئاً ولا يفهم ، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته ، ومن به استغاثتهم عندما ينزل بهم من الحوائج والمصائب .

وقيل : من لا يستجيب له ، فأخرج ذكر الآلهة وهي جماد مخرج ذكر بني آدم ، ومن له الاختيار والتَّمييز ، إذ كانت قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التي تخدم في خدمتهم إيَّها ، فأجرى الكلام في ذلك على نحو ما كان جارياً فيه عندهم " (٢) .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٩/٢٠-٢٢) .

(٢) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢/٩٥-٩٦) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي (٤٦٨هـ) : " ثم ذكر ضلالهم ، فقال : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴾ [الأحاف : ٥] ، يعني : الأصنام لا تحيب عابديها إلى شيء يسألونه ، ﴿ إِنْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ، يعني : أبداً ما دامت الدنيا ، ﴿ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴾ ، لأنّها جماد لا تسمع . ثم إذا قامت القيامة ، صارت الآلهة أعداء لمن عبدها في الدنيا ، وهو قوله : ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحاف : ٦] ، وهذا كقوله : ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مریم : ٨٢] ، وذلك أنّهم يتبرءون من عابديهم ، كقوله : ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [القصص : ٦٣] (١) .

وقال الإمام أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ) : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾ [الأحاف : ٥] ، معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلّهم أبلغ ضلالاً من عبدة الأصنام ، حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كلّ بغية ومرام ، ويدعون من دونه جماداً لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة ، وإذا قامت القيامة وحشر الناس : كانوا لهم أعداء ، وكانوا عليهم ضداً ، فليسوا في الدارين إلّا على نكد ومضرة ، لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة ؛ وفي الآخرة تعاديم وتجدد عبادتهم . وإنما قيل : ﴿ مِنْ ﴾ ﴿ وَهُمْ ﴾ ، لأنّه أسند إليهم ما يسند إلى أولى العلم من الاستجابة والغفلة ، ولأنّهم كانوا يصفونهم بالتميز جهلاً وغباوة . ويجوز أن يريد : كلّ معبود من دون الله من الجن والإنس والأوثان ، فغلب غير الأوثان عليها " (٢) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقي (٧٧٤هـ) : " وَقَوْلُهُ : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴾ [الأحاف : ٥] ، أي : لا أضلّ ممن يدعو أصناماً ، ويطلب منها ما لا تستطيعه إلى يوم القيامة ، وهي غافلة عما يقول ، لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش ؛ لأنّها جماد حجارة صم " (٣) .

(١) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١٠٣/٤) .

(٢) انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٢٩٩/٤) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٢٧٥/٧) .

وقال الإمام أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢هـ): ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، إنكارٌ ونفيٌ لأن يكون أحدٌ يساوي المشركين في الضلال، وإن كان سبك التركيب لنفي الأضل منهم من غير تعرض لنفي المساوي، كما مرّ غير مرّة، أي: هم أضلّ من كلّ ضالّ حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير إلى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة. ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، غاية لنفي الاستجابة، ﴿وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾، الضمير الأول لمفعول ويدعو الثاني لفاعله، والجمع فيها باعتبار معنى مَنْ، كما أنّ الإفراد فيما سبق باعتبار لفظها ﴿غَفْلُونَ﴾، لكونهم جمادات، وضائر العقلاء لإجرائهم إياها مجرى العقلاء، ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعدها، كقوله تعالى: إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ الْآيَةَ " (١).

وفي تفسير الآية الخامسة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالَكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلَيْسَ تَجِيبُوا لَكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، قال الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ): "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالَكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلَيْسَ تَجِيبُوا لَكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤]: يقول جلّ ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان موبخهم على عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الأصنام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ﴾، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وتعبّدونها شركاً منكم وكفراً بالله، ﴿عِبَادًا أَمْثَالَكُمْ﴾، يقول: هم أملاك لربكم، كما أنّتم له تماليك. فإن كنتم صادقين أنّها تضرّ وتنفع وأنّها تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم، ﴿فَلَيْسَ تَجِيبُوا﴾ لدعائكم إذا دعوتهم، فإن لم يستجيبوا لكم لأنّها لا تسمع دعاءكم، فأيقنوا بأنّها لا تنفع ولا تضر؛ لأنّ الضرّ والنفع إنّما يكونان من إذا سئل سَمِعَ مسألة سائلٍ وأعطى وأفصل، ومن إذا شكى إليه من شيء سمع فصّر من استحقّ العقوبة ونفع من لا يستوجب الضرّ" (٢).

(١) انظر: تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) (٧٨/٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١٠/٦٣٥).

وقال الإمام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (٥١٠هـ): ﴿إِنَّ الَّذِينَ دَعَوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، يَعْنِي الْأَصْنَامَ، ﴿عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ﴾، يُرِيدُ أَنَّهَا مَمْلُوكَةٌ أَمْثَالِكُمْ. وَقِيلَ: ﴿أَمْثَالِكُمْ﴾ فِي التَّسْخِيرِ، أَي: أَتَمَّ مُسَخَّرُونَ مُذَلَّلُونَ لِمَا أُرِيدَ مِنْهُمْ. قَالَ مُقَاتِلٌ: قَوْلُهُ: ﴿عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ﴾، أَرَادَ بِهِ الْمَلَائِكَةَ، وَالْخُطَابُ مَعَ قَوْمٍ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ. ﴿فَادْعُوهُمْ فَلَيْسَ تَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أَنَّهَا آلهَةٌ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاعْبُدُوهُمْ هَلْ يُسْتَجِيبُونَكُمْ أَوْ يَجَازُونَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنْ لَكُمْ عِنْدَهَا مَنَفَعَةٌ" (١).

وقال الإمام أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (٥٤٢هـ): "قرأ جمهور الناس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ دَعَوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، بتثقيل ﴿إِنَّ﴾ ورفع ﴿عِبَادُ﴾ وهي مخاطبة للكفار في تحقير شأن أصنامهم عندهم، أي: إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ مَخْلُوقَةٌ مُحَدَّثَةٌ، إِذْ هِيَ أَجْسَامٌ وَأَجْرَامٌ فَهِيَ مُتَعَبِدَةٌ، أَي: مُتَمَلِكَةٌ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْآيَةِ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ خِزَاعَةٍ كَانَتْ تَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ فَأَعْلَمَهُمُ اللَّهُ أَنَّ هُمْ عِبَادُ أَمْثَالِهِمْ لَا آلهَةَ. وَقَرَأَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ دَعَوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، بتخفيف النون من ﴿إِنَّ﴾ على أن تكون بمعنى ما وينصب قوله: ﴿عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ﴾، والمعنى بهذه القراءة: تحقير شأن الأصنام ونفي مماثلتهم للبشر، بل هم أقل وأحقر إذ هي جمادات لا تفهم ولا تعقل، وسيبويه يرى أَنَّ ﴿إِنَّ﴾ إذا كانت بمعنى "ما" فإنها تضعف عن رتبة "ما" فيبقى الخبر مرفوعاً، وتكون هي داخله على الابتداء والخبر لا ينصبه، فكان الوجه عنده في هذه القراءة: "إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ" وأبو العباس المبرد يميز أن تعمل عمل "ما" في نصب الخبر، وزعم الكسائي أَنَّ "إِنَّ" بمعنى "ما" لا تجيء إلا وبعدها إلا كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكُفْرَونَ إِلَّا فِي عُرُوقٍ﴾ [الملك: ٢٠]، ثُمَّ بَيْنَ تَعَالَى الْحِجَّةَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَادْعُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، أَي: فَاخْتَبَرُوا فَإِنَّ لَمْ يَسْتَجِيبُوا فَهَمُ كَمَا وَصَفْنَا" (٢).

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٢/٢٥٩).

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/٤٨٨-٤٨٩).

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ): " قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، حاجهم في عبادة الأصنام. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ ﴾: تعبدون. وقيل: تدعونها آهة. ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾، أي: من غير الله. وسميت الأوثان عباداً لأنها مملوكة لله مسخرة. الحسن: المعنى أن الأصنام مخلوقة أمثالكم. ولما اعتقد المشركون أن الأصنام تضر وتنفع أجزاها مجرى الناس، فقال: ﴿ فَادْعُوهُمْ ﴾، ولم يقل فادعوهن. وقال: ﴿ عِبَادُ ﴾، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ﴾، ولم يقل إن التي. ومعنى: ﴿ فَادْعُوهُمْ ﴾، أي: فاطلبوا منهم النفع والضّر. ﴿ فَلَيْسَتْ جِبُوتًا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤] أن عبادة الأصنام تنفع. قال ابن عباس: معنى فادعوهم فاعبدوهم (١). "

وقال الإمام ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ): ﴿ إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيْسَتْ جِبُوتًا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]. ﴿ عِبَادًا أَمْثَالُكُمْ ﴾، من حيث أنها مملوكة مسخرة. ﴿ فَادْعُوهُمْ فَلَيْسَتْ جِبُوتًا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، أنهم آهة، ويحتمل أنهم لما نحتوها بصور الأناسي، قال لهم: إن قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض (٢). "

وقال الإمام أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ): ﴿ إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيْسَتْ جِبُوتًا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]. هَذِهِ الْجُمْلَةُ عَلَى سَبِيلِ التَّوَكُّيدِ لِمَا قَبْلَهَا فِي انْتِفَاءِ كَوْنِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ قَادِرَةً عَلَى شَيْءٍ مِنْ نَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ، أَيْ: الَّذِينَ تَدْعُوهُمْ وَتُسَمُّوهُمْ آهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ الَّذِي أَوْجَدَهَا وَأَوْجَدَكُمْ هُمْ عِبَادٌ، وَسَمَّى الْأَصْنَامَ عِبَادًا وَإِنْ كَانَتْ جَمَادَاتٍ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ فِيهَا أَنَّهُمْ نَضْرُ وَتَنْفَعُ، فَاقْتَضَى ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ عَاقِلَةً وَأَمْثَالُكُمْ. قَالَ الْحَسَنُ: فِي كَوْنِهَا مَمْلُوكَةٌ لِلَّهِ، وَقَالَ التَّبْرِيذِيُّ: فِي كَوْنِهَا مَخْلُوقَةٌ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: الْمُرَادُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ خِزَاعَةَ كَانَتْ تَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، فَأَعْلَمَهُمْ تَعَالَى أَنَّهُمْ عِبَادٌ أَمْثَالُهُمْ لَا آهَةٌ. انْتَهَى، فَعَلَى هَذَا جَاءَ الْإِخْبَارُ إِخْبَارًا عَنِ الْعُقَلَاءِ.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٤٢).

(٢) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٤٦).

وَقَالَ الزَّحَّشِرِيُّ: ﴿عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ﴾ ، اسْتِهْزَاءٌ بِهِمْ ، أَي: فَصَارَى أَمْرِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَحْيَاءَ عُقَلَاءَ ، فَإِنَّ تَبَّتْ ذَلِكَ فَمِنْهُمْ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ لَا تَفَاضَلَ بَيْنَكُمْ " (١) .

وقال الإمام محمد متولي الشعراوي (١٤١٨هـ): ﴿تَدْعُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٤] ، لها معنيان ، المعنى الأول: يعني أنكم قد تتخذونهم آلهة وتعبدونهم ، والمعنى الثاني: هو أن يقال: " تدعونه " ، أي: تطلب منه شيئاً . والمعنيان يجيئان في هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤] .

وعندما يسمع الإنسان كلمة ﴿عِبَادُ﴾ ، يفهم أتمها من الجنس المتعقل الحي ، فكيف تكون الأصنام عباداً؟ وأقول: نحن هنا نأخذها على شهرة اللفظ ، أمّا إذا أردنا تحقيق اللفظ وتعقيده ، فالبناء مأخوذ من التذلل والخضوع ، ألم يقل موسى لفرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢] ، أي: أدللتهم . وفي الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها تكون الأصنام عباداً أمثالهم في أنهم يُذَلُّون ؛ لأنَّ السَّيْلَ إِذَا نَزَلَ أَوْ هَبَّتْ الرِّيحُ نَجَدَ هَذِهِ الْأَصْنَامَ قَدْ وَقَعَتْ وَتَكَسَّرَتْ رِقَابُهَا ، فيهرع المشركون ليأتوا بمن يعيد ترميم هذه الآلهة !! إذن فأنتم أيها المشركون ؛ لأنكم مخلوقون بالله قد تملكون قدرة ، وقوة تستطيعون بها إن جاء لكم ضرر أن تدفعوا الضر عنكم ، أمّا الأصنام فليست لها أدنى قدرة إن جاءها من يحطمها ، أو يكسرها ، أو يقبلها ، فهي أضعف منكم . وبذلك تكون كلمة ﴿عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤] ، لونا من الترقى . وعلى فرض أنهم عباد أمثالكم ، فالعبد من الأحياء حينما يأتي شيء يستذله ، قد يستطيع أن يدفع عن نفسه بعض الشيء إلا إن كان الشيء قوياً فوق طاقته . فالمراد والمقصود: أنهم عباد أمثالكم ، أي: مذللون ومسخرون ولا يستطيعون دفع شيء عن أنفسهم . وأنت إذا ما نظرت إلى هذه المسألة وأخذت معنى عباد على معناها الإطلاقي ، فأنت تعلم أن العبد هو كل مسخر مذل من العباد .

لكن هناك مذل ومسخر فيما لا اختيار له فيه ، وآخر مذل ومسخر فيما له فيه اختيار أيضاً ، والفرق بين الاثنين: أن الكافر فيما له اختيار؛ أمّا أن يؤمن وأمّا أن لا يؤمن ويختار الكفر ، بل إنَّ الإنسان المؤمن له الاختيار في أن يطيع أو يعصي . ولكن هناك أشياء أخرى تجري على الإنسان لا اختيار له فيها ، كأن يمرض ولا يقدر أن يقول: لا لن أمرض ، أو قد يأتيه الموت فلا يقدر أن يقول: لن أموت . وقد يهلك ماله أو تحترق داره فلا

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير (٢٤٩/٥) .

يستطيع دفع القدر ، وكلّ هذه أمور قهرية يكون الإنسان فيها مذلاً مسخراً ، والكافر والمؤمن في هذه الأمور سواء .

والمؤمن يتميّز بأنّه يتبع منهج الله فيما له فيه اختيار ، وهذه فائدة الإيـمان ، وبذلك يخرج المؤمن عن الاختيار المخلوق لله ، إلى مراد الله منه في الحكم ، ويستوي بكلّ شيء مسخر لله ، ولذلك نقول للذين يكفرون : كفرتم وتأنبتم بما خلق فيكم من الاختيار عن الإيـمان بالله .  
 وقد جعلها الله لكم بقوله : ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] .

وما دام الواحد منكم أيها الكافرون يتأنبى ويستكبر على حكم الله ، إذن فللواحد منكم أيها الكافرون رياضة على التمرد ، فلماذا لا تقول للمرض لن أستسلم لك . ولن يستطيع أحد الكافرين ذلك ، لأنّه إنّما يكفر بما له حقّ ممنوح من الله في منطقة الاختيار ، أمّا في غير ذلك فالكلّ عباد مذلولون ...  
 وقول الحقّ تبارك وتعالى : ﴿فَادْعُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١٩] ، أي : اطلبوا منهم أن يلبوا لكم أي طلب ، وهم لن يستجيبوا لكم ؛ لأنّهم لا يقدرّون أبداً . وفي هذا القول لون من التحدّي ﴿فَلَيْسَتْ جِبُوبٌ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤] ، لكنّهم لن يستجيبوا ، فليست لهم قدرة لأن يخرجوا على أمر ربّنا ويقولوا سنعطيك ما تطلبون ، لأنّ طاقتهم وطبيعتهم لا تقدر أن تستجيب " (١) .

وفي تفسير الآية السادسة ، وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧] .

قال الإمام محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ) : يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قَبْلِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْمِهِ : إِنَّمَا تَعْبُدُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا ، يَعْنِي مِثْلًا كَمَا : حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ [العنكبوت: ١٧] ، أَصْنَامًا " .  
 وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧] ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَاهُ : وَتَصْنَعُونَ كَذِبًا . ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنِ مُعَاوِيَةَ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ ، يَقُولُ : تَصْنَعُونَ كَذِبًا . ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنِ أَبِي ،

(١) انظر : تفسير الشعراوي (الخواطر) (٨/٤٥٢٣-٤٥٢٥) .

قَالَ : ثَنِي عَمِّي ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاءً ﴾ ، يَقُولُ : وَتَقُولُونَ إِفْكَاءً . وَقَالَ آخَرُونَ : وَتَقُولُونَ كَذِبًا . حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثَنَا عَيْسَى ، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثَنَا الْحَسَنُ ، قَالَ : ثَنَا وَرْقَاءُ ، جَمِيعًا ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاءً ﴾ ، يَقُولُ : تَقُولُونَ كَذِبًا . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ : وَتَنْحِتُونَ إِفْكَاءً . ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنِي حَبَّاجٍ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسِيِّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاءً ﴾ ، قَالَ : تَنْحِتُونَ ، تُصَوِّرُونَ إِفْكَاءً . حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاءً ﴾ ، أَي : تَصْنَعُونَ أَصْنَامًا . حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاءً ﴾ ، الْأَوْتَانُ الَّتِي يَنْحِتُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ . وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَعْنَاهُ : وَتَصْنَعُونَ كَذِبًا . وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى الْخَلْقِ فِيمَا مَضَى ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ : إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا ، وَتَصْنَعُونَ كَذِبًا وَبَاطِلًا . وَإِنَّمَا فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِفْكَاءً ﴾ ، مَرْدُودٌ عَلَى إِنَّمَا ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ : إِنَّمَا تَفْعَلُونَ كَذَا ، وَإِنَّمَا تَفْعَلُونَ كَذَا . وَقَرَأَ جَمِيعُ قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاءً ﴾ ، بِتَخْفِيفِ الْخَاءِ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ وَتَخْلُقُونَ ﴾ وَصَمَّ اللَّامِ مِنَ الْخَلْقِ . وَذَكَرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ أَنَّهُ قَرَأَ : « وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاءً » بِفَتْحِ الْخَاءِ ، وَتَشْدِيدِ اللَّامِ مِنَ التَّخْلِيقِ . وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا مَا عَلَيْهِ قُرَّاءُ الْأَمْصَارِ ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَيْهِ " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي (٤٦٨هـ) : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا ﴾ [العنكبوت : ١٧] ، قال ابن عباس : يريد الأصنام التي تتخذ من الحجارة والخشب .

﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاءً ﴾ ، قال السدي : تقولون كذبًا . يعني زعمهم أنّها آلهة ، ثم ذكر عجز الآلهة عن رزق عابديها ، فقال : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاءً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ [العنكبوت : ١٧] ، لا يقدرُونَ أن يرزقوكم ، ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ [العنكبوت : ١٧] ، فاطلبوا الرزق مني ، فأنا القادر على ذلك " (٢) .

(١) انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١٨/٣٧٣-٣٧٥) .  
 (٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤١٦/٣) .

وقال الإمام أبو المظفر ، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (٤٨٩هـ) : قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا ﴾ [العنكبوت : ١٧] ، أي : أصناماً .  
وقوله : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ ، أي : وتصنعون كذباً ، وقال قتادة : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ ؛ أي : أصناماً .  
وسمى الأصنام إفكاً لأنهم سموها آهة . فإن قيل : قد قال : ﴿ وَتَخْلُقُونَ ﴾ ، وقال في موضع آخر : ﴿ هَلْ مِن خَلْقٍ عِزُّ اللَّهِ ﴾ [فاطر : ٣] ، أي : لا خالق غير الله ، فكيف وجه التوفيق بين الآيتين ؟ والجواب عنه : أن الخلق بـمعنى التقدير هاهنا ، قال الشاعر :

ولأنت تفرى ما خلقت      وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى  
ويقال : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ ، أي : تنتحون الأصنام بأيديكم وتعبدونها . وحكى أن بنى حنيقة اتخذوا صنماً من الخيس - وهو التمر مع السمن - ثم أنه أصابتهم مجاعة فأكلوه ، قال الشاعر :

أكلت حنيقة ربها      زمن التفحّم والمجاعة  
لم يحدروا من ربهم      سوء العواقب والتباعة  
قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ [العنكبوت : ١٧] ، أي : فاطلبوا عند الله الرزق " (١) .

وقال الإمام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (٥١٠هـ) : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا ﴾ [العنكبوت : ١٧] ، أصناماً ، ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ ، تقولون كذباً ، قال مقاتل : تصنعون أصناماً بأيديكم فتسمونها آهة ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ [العنكبوت : ١٧] ، لا يقدرُونَ أن يرزقوكم ، ﴿ فَابْتَغُوا ﴾ ، فاطلبوا ، ﴿ عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٧] " (٢) .

وقال الإمام أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ) : " ... والمعنى : أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آهة لا عجز أبين من عجزهم ، لا يقدرُونَ على شيء من أفعال الله ولا من أفعال

(١) انظر : تفسير القرآن (٤/ ١٧٣) .

(٢) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٣/ ٥٥٣) .

العباد ، حيث لا يفعلون شيئاً وهم يفعلون ، لأنَّ عبدتهم يصنعونهم بالنَّحت والتَّصوير ، ولا يَمْلِكُونَ ، أى : لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون ، وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضَّرر وجلب النَّفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنُّشور التي لا يقدر عليها إلاَّ الله أعجز " . (١)

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرّازي الملقب بفخر الدّين الرّازي خطيب الرّي (٦٠٦هـ) : " ذَكَرَ بَطْلَانٌ مَدَّهِبِهِمْ بِأَبْلَغِ الْوُجُوهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُعْبُودَ إِنَّمَا يُعْبَدُ لِأَحَدِ أُمُورٍ ، أَمَّا لِكَوْنِهِ مُسْتَحِقًّا لِلْعِبَادَةِ بِذَاتِهِ كَالْعَبْدِ يُجْدُمُ سَيِّدَهُ الَّذِي اشْتَرَاهُ سِوَاءَ أَطْعَمَهُ مِنَ الْجُوعِ أَوْ مَنَعَهُ مِنَ الْهُجُوعِ ، وَأَمَّا لِكَوْنِهِ نَافِعًا فِي الْحَالِ كَمَنْ يُجْدُمُ غَيْرَهُ لِحَيْرِ يُوصِلُهُ إِلَيْهِ كَالْمُسْتَخْدِمِ بِأَجْرَةٍ ، وَأَمَّا لِكَوْنِهِ نَافِعًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ كَمَنْ يُجْدُمُ غَيْرَهُ مُتَوَقِّعًا مِنْهُ أَمْرًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَأَمَّا لِكَوْنِهِ خَائِفًا مِنْهُ . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا إِشَارَةً إِلَى أَنَّهَا لَا تَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ لِذَاتِهَا لِكَوْنِهَا أَوْثَانًا لَا شَرَفَ لَهَا .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٧] .

إِشَارَةٌ إِلَى عَدَمِ الْمُنْفَعَةِ فِي الْحَالِ وَفِي الْمَالِ ، وَهَذَا لِأَنَّ النَّفْعَ ، أَمَّا فِي الْوُجُودِ ، وَأَمَّا فِي الْبَقَاءِ لَكِنْ لَيْسَ مِنْهُمْ نَفْعٌ فِي الْوُجُودِ ، لِأَنَّ وَجُودَهُمْ مِنْكُمْ حَيْثُ تَخْلُقُونَهَا وَتَنْحِتُونَهَا ، وَلَا نَفْعَ فِي الْبَقَاءِ لِأَنَّ ذَلِكَ بِالرِّزْقِ ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ ذَلِكَ ، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ حَاصِلٌ مِنَ اللَّهِ ، فَقَالَ : ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ ، فَقَوْلُهُ : ﴿ اللَّهُ ﴾ ، إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِحْقَاقِ عِبُودِيَّتِهِ لِذَاتِهِ . وَقَوْلُهُ : الرِّزْقُ إِشَارَةٌ إِلَى حُصُولِ النَّفْعِ مِنْهُ عَاجِلًا وَآجِلًا " (٢) .

والنَّاطِر المدقِّق في الآيات السَّابِقة وفيها قاله أهل العلم في تفسيرها ، يجد أنَّها نزلت في المشركين عبَّاد الأصنام الذين جعلوا أصنامهم آلهة آمنوا بها وعبدوها وقربوا لها القرابين ، وبالتالي فمن الظلم والإجحاف أن نطبِّقها على المتوسِّلين من المؤمنين الموحدِّين ، فإنزلهم لها على المؤمنين هو تماماً كصنيع الخوارج في السَّابِق حيث

(١) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٢٦٣) .

(٢) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٣٨-٣٩) .

الآيات التي نزلت في المشركين فجعلوها في المؤمنين . فقد روى البخاري وغيره عن ابن عمر أنه قال عن الخوارج : " أتهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار ، فجعلوها على المؤمنين " (١) .

فالآيات السابقة لا علاقة لها بالمؤمنين الموحددين البتة ، لأن الأصل في إيمانهم بالله تعالى أن لا تشوبه شائبة ، فهم وإن توسلوا إلى الله تعالى بنبي أو ولي ... يؤمنون :

أولاً : أن التوسل هو أحد طرق الدعاء ، وباب من أبواب التوجه إلى الله سبحانه وتعالى ، فالمقصود الأصلي الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى ، والمتوسل به إنما هو واسطة ووسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، ومن اعتقد غير ذلك فقد أشرك .

ثانياً : أن المتوسل ما توسل بهذه الوسطة إلا لمحبتة لها ، واعتقاده أن الله سبحانه وتعالى يحبها ، ولو ظهر خلاف ذلك لكان أبعد الناس عنها وأشد الناس كراهة لها .

ثالثاً : أن المتوسل لو اعتقد أن من توسل به إلى الله ينفع ويضر بنفسه مثل الله أو دونه فقد أشرك .  
رابعاً : أن التوسل ليس أمراً لازماً أو ضرورياً ، وليست الإجابة متوقفة عليه ، بل الأصل دعاء الله تعالى مطلقاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦] ، وكما قال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء: ١١٠] " (٢) .

وعليه ، فيجب أن لا يغيب عن أذهاننا أن الله تعالى هو وحده المسؤول ، لا فاعل في الوجود إلا هو ، ولا خالق ولا رازق سواه ، وإنما يسأله المؤمنون بوسيلة محبوبة لديه ، من دعاء صالح ، أو عمل صالح ، أو جاه نبي ... فإن للأنبياء والأولياء عند الله تعالى قدرٌ عليّ ، ومرتبة رفيعة ، وجاه عظيم ، لا يزول بالانتقال من دار الدنيا إلى دار البرزخ ، ولذلك فإن البون واسع بين من يدعو اللات أو هبل ... وبين من يدعو الله تعالى وحده بوسيلة محببة لديه من نبي أو ولي ، لأنه سبحانه وتعالى الضارُّ النافع ، والمقدم والمؤخر ، ربُّ كلِّ شيء ومليكة ، لا إله إلا هو ، ولا ربَّ سواه ... فالآيات السابقة كلها نزلت في الكفرة والمشركين الذين اتخذوا من دون الله تعالى آلهة أشركوهم مع الله تعالى ، في الوقت الذي لم نجد فيه مؤمناً عبد نبياً أو ولياً أو دعاه استقلالاً من دون الله تعالى . فدعاء المشركين لأصنامهم التي عبدوها من دون الله تعالى دعاء تعبد وخضوع وخنوع وتذلُّل واعتقاد الضرر

(١) انظر : صحيح البخاري (١٦/٩) .

(٢) انظر : مفاهيم يجب أن تصحح (ص١١٦) .

والنَّفْع فيهم ومن جهتهم ، وتوسَّل المؤمنين دعاء إلى الله تعالى بتقديم وسيلة محبِّبة لديه نتوسَّل إليه بها ، لا يعتقد المتوسَّل فيها النَّفْع والضَّر لنفسها فضلاً عن غيرها . ولذلك فمن الإجحاف والظُّلم الشَّنيع أن نعَمَّ ما يصدر عن بعض الجهلة فنجعله حُكماً يعمُّ جميع الموحدِّين ، عالِمين ومتعلِّمين ، وجهَّال وأمَّيين ، كما فعل مدَّعو السَّلفيَّة الذين كَفَرُوا أُمَّة مُحَمَّد !!! علماء وغير علماء ، ولم يستثنوا من التَّكفير إلَّا من كان على منهجهم وشاكلتهم ، - كما ستجد في هذا الكتاب - بل أَنَّهُم بتكفيرهم كلَّ من نادى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـ (يا مُحَمَّد) كَفَرُوا الإمام ابن تيمية ، لأنَّه أورد الأثر الذي رواه غير واحد من العلماء بسندهم عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ فَخَلِدَتْ رِجْلُهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا لِرَجْلِكَ ؟ قَالَ : اجْتَمَعَ عَصَبُهَا مِنْ هَاهُنَا ، قَالَ : قُلْتُ : ادْعُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ ، قَالَ : يَا مُحَمَّد ، فَبَسَطَهَا " (١) .

والأثر ذكره الإمام تقي الدِّين أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن مُحَمَّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدَّمشقي (٧٢٨هـ) في كتابه (٢) ، ولم يعقِّب عليه بشيء ، بل إنَّ مجرد ذكره له في كتاب سمَّاه بـ (الكلم الطَّيِّب) هو استحسان له ، فهل يستحسن الإمام ابن تيمية الكفر؟! وما حكم من استحسن الكفر!!! نَبُّوني بعلم إن كنتم صادقين ...

ولذلك وجدنا من يدَّعون السَّلفيَّة في حيص بيص أمام هذه المعضلة التي أفضَّت مضاجعهم ، وما كان منهم إلَّا أن استجابوا لشياطين الإنس والجن فعمدوا إلى شطبها من أصلها ، حيث شطبوا (ياء النداء) من الرواية ، وذلك في كتاب " الأدب المفرد " الذي حقَّقه : سمير بن أمين الرَّهيري ، مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع ، الرِّياض ، (الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م) ، كما تمَّ شطبها من نسخة "الكلم الطَّيِّب" الموجودة في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، والتي حقَّقها السيد الجميلي ، وكذا حذفت من نسخة " الوابل الصَّيِّب من الكلم الطَّيِّب " ، لمحمد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة ، (ص ٢٠٤) ، تحقيق : مُحَمَّد عبد الرَّحْمَنِ عوض دار الكتاب العربي ، بيروت ، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م) ، وكذا تمَّ حذفها من نسخة

(١) انظر : الطبقات الكبير ، مُحَمَّد بن سعد (٤/١٤٤ برقم ٥١٢١) ، مسند ابن الجعد (ص ٣٦٩ برقم ٢٥٣٩) ، الأدب المفرد (ص ٤٤١ برقم ٨٦٤) ، غريب الحديث ، إبراهيم بن إسحاق الحروي (٢/٦٧٣) ، عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد (ص ١٤٢ برقم ١٧٢) ...

(٢) الكلم الطَّيِّب ، (ص ٩٦) ، تحقيق : الدكتور السيد الجميلي ، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧هـ ،

عمل اليوم والليلة سلوك النَّبِيِّ مع رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ومعاشرته مع العباد، لأحمد بن مُحَمَّد بن إِسْحَاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّينَوْرِيُّ، المعروف بـ ابن السُّنِّي، (ص ١٤١)، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة، بيروت ... انظر تلاعبهم وعبثهم المتقدّم في المكتبة الشاملة / الإصدار السادس ...

## الفصل السابع

### تكفير مُدَّعي السلفية للمتوسِّلين

لقد تمادى مدَّعو السلفية في تكفيرهم لعموم الأمة المحمَّديَّة ... ومن تكفيرهم لعموم الأمة : تكفيرهم المتوسِّلين إلى الله تعالى بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا بالأولياء والصالحين ، فتراهم يكفِّرون كلَّ من قال : اللهم إني أتوسَّل إليك وأسألك بجاهه أو بحق حبيبك محمَّد أن تقبل توبتي وحبوتي ... فهذا عندهم كافر حلال الدَّم ، يستحقُّ القتل ، وقد طبَّقه ابن عبد الوهَّاب وترجمه عملياً هو ومن معه من أتباعه الرِّعاع الهمج ، فاستحلُّوا دماء المسلمين ، وقتلوا عشرات الآلاف من الموحدِّين ، وأريقَت دماؤهم في أطهر البقاع : أرض الحرمين الشرفيين وغيرها من بلاد المسلمين ، وقد أرَّخ وسطَّر تلك الجرائم مؤرِّخهم : عثمان بن عبد الله بن بشر النَّجدي الحنبلي ، في كتابه : " عنوان المجد في تاريخ نجد " ، وذكر فيه ما يندى له الجبين ، وتبكي منه العيون ، وتتشعَّر له الجلود والأبدان ، وتشمئزُّ منه النفوس ، وترتعد له القلوب ، تلکم الجرائم الشنيعة ، والأعمال الفظيعة التي ارتكبت باسم المحافظة على التَّوحيد الذي لا يعرفون منه إلا اسمه ، وما زال هذا ديدنهم ودينهم في كلِّ أرض وطأتها أقدامهم ، فكفَّروا عموم الأمة المحمَّديَّة ، وأراقوا دماء المؤمنين الموحدِّين ، وسبَّوا نساءهم ، وسلبوا أموالهم ، وحزَّبوا ديارهم ...

لقد بعثوا من جديد ما دفنه العلماء في القرن الثامن من المسائل التي خالف فيها من نعتوه بشيخ الإسلام عموم الأمة المحمَّديَّة ، بعد أن أقاموا عليه الحجَّة والبرهان ، وأودعوه السِّجن إلى أن مات فيه ، ومن ضمن تلك المسائل التي خالف فيها ابن تيمية عموم الأمة : مسألة التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصالحين ... فقد أنكر ابن تيمية التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء وكذا بعباد الله الصالحين ، وجاء بما لم يسبقه إليه أحد من العالمين ، ولم يرعوي لما ساقه علماء الأمة من أدلَّة ناصعة دامغة لجواز التَّوسُّل بهم صلوات الله وسلامه عليهم ، ومن ضمن ما أنكر : استشهادهم واستدلالهم على التَّوسُّل إلى الله تعالى بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ...

قال تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ) : " وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا

رَحِيمًا ﴿ [النساء : ٦٤] ، وَيَقُولُونَ : إِذَا طَلَبْنَا مِنْهُ الْإِسْتِغْفَارَ بَعْدَ مَوْتِهِ كُنَّا بِمَنْزِلَةِ الَّذِينَ طَلَبُوا الْإِسْتِغْفَارَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَيُخَالِفُونَ بِذَلِكَ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ هُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَطْلُبْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُشْفَعَ لَهُ ، وَلَا سَأَلَهُ شَيْئًا ، وَلَا ذَكَرَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُتُبِهِمْ " (١) .

فابن تيمية يزعم أن من استشهد بالآية على التَّوَسُّلِ مخالف للجمهور ، مع أن الجمهور - كما رأيت في هذا الكتاب - استدلل بالآية على التَّوَسُّلِ ، وأتهم ذكروا الآية الكريمة عند زيارتهم لسيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مختلف الأعصار ، فدعوى ابن تيمية داحضة وباطلة ، وهذا هو ديدنه في كل شيء أراد تمريره على الرَّعَاعِ الهمج من أتباعه ، فإنه يلصق ما قاله بالسلف الصَّالِحِ زوراً وعدواناً ...

وقال ابن تيمية : " وَأَمَّا الزِّيَارَةُ الْبِدْعِيَّةُ فَهِيَ الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا أَنْ يُطْلَبَ مِنَ الْمَيِّتِ الْحَوَائِجُ أَوْ يُطْلَبَ مِنْهُ الدُّعَاءُ وَالشَّفَاعَةُ أَوْ يُقْصَدُ الدُّعَاءُ عِنْدَ قَبْرِهِ لِظَنِّ الْقَاصِدِ أَنَّ ذَلِكَ أَجُوبٌ لِلدُّعَاءِ . فَالزِّيَارَةُ عَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ كُلِّهَا مُبْتَدَعَةٌ لَمْ يَشْرَعْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا فَعَلَهَا الصَّحَابَةُ لَا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا عِنْدَ غَيْرِهِ وَهِيَ مِنْ جِنْسِ الشَّرْكِ وَأَسْبَابِ الشَّرْكِ " (٢) .

وقال أيضاً : " وَأَمَّا الزِّيَارَةُ الْمُبْتَدَعَةُ الَّتِي هِيَ مِنْ جِنْسِ زِيَادَةِ الْمُشْرِكِينَ فَمَقْصُودُهُمْ بِهَا طَلَبُ الْحَوَائِجِ مِنَ الْمَيِّتِ أَوْ الْغَائِبِ " (٣) .

وقال أيضاً : " وَهَذَا لَمَّا ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ الدُّعَاءَ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ وَغَيْرِهِ ذَكَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ لَمْ يَذْكُرُوا فِيهَا شَرَعَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْحَالِ التَّوَسُّلَ بِهِ ، كَمَا لَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ دُعَاءَ غَيْرِ اللَّهِ وَالْإِسْتِعَانَةَ الْمَطْلُوقَةَ بِغَيْرِهِ فِي حَالِ مِنْ الْأَحْوَالِ " (٤) .

هذا ما قاله ابن تيمية ، وهو فيها قال يُنكَرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَالَ بِالتَّوَسُّلِ فِي حَالِ مِنَ الْأَحْوَالِ ، وقد تناقض مع نفسه في هذه المسألة ، فقال في موضع آخر من مجموع الفتاوى : " وَلِذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنَسِبِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمُرُودِيِّ صَاحِبِهِ : أَنَّهُ يُتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ ؛ وَلَكِنْ غَيْرُ أَحْمَدَ قَالَ : إِنَّ هَذَا

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/١٥٩) ، قاعدة جلييلة في التَّوَسُّلِ والوسيلة (ص ٢٤) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١/١٦٦) ، قاعدة جلييلة في التَّوَسُّلِ والوسيلة (ص ٣٤-٣٥) .

(٣) انظر : الرد على المنطقيين (ص ٥٣٦) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (١/٣٤٦) ، قاعدة جلييلة في التَّوَسُّلِ والوسيلة (ص ٣٠٩) .

إِقْسَامٌ عَلَى اللَّهِ بِهِ وَلَا يُقْسَمُ عَلَى اللَّهِ بِمَخْلُوقٍ ، وَأَحْمَدُ فِي إِحْدَى الرَّوَائِثِ قَدْ جَوَزَ الْقَسَمَ بِهِ فَلِذَلِكَ جَوَزَ التَّوَسُّلَ بِهِ " (١) .

ومع ما نقله عن الإمام أحمد من تجويزه للتوسُّل فقد زعم ابن تيمية أن التوسُّل بالأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم من أعظم أنواع الشرك !!! فقال : " فَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ مِنْ خِطَابِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ عِنْدَ قُبُورِهِمْ وَفِي مَغِيْبِهِمْ وَخِطَابِ تَمَثُّلِهِمْ ، هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الشَّرْكِ الْمَوْجُودِ فِي الْمُشْرِكِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَفِي مُبْتَدِعَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَحَدَثُوا مِنَ الشَّرْكِ وَالْعِبَادَاتِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى " (٢) .

فابن تيمية الذي سُجن بإجماع من حضر من علماء الأمة بسبب شدوذه وطاماته وأوابده التي ما سبقه إليها أحدٌ من العالمين ، ومات في السُّجن ... يَعتبر وَيُصرِّح بأنَّ التَّوَسُّلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الشَّرْكِ ، وَأَنَّهُ - أَيُّ التَّوَسُّلِ - مِنَ الْعِبَادَاتِ الْمُسْتَحْدَثَةِ الْمُبْتَدِعَةِ الَّتِي لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللَّهُ ... وهو بهذا يجعل المتوسِّلين بل يجعل عموم الأمة من أولئك المشركين الذين استحدثوا وابتدعوا من العبادات التي لم يأذن بها الله تعالى ... وكلامه هذا يصبُّ في مصبِّ : " رمتني بدائها وانسلت " ، لأنَّ ابن تيمية هو من قال وابتدع في العقيدة !!! أقوالاً لا ولم يأذن بها الله تعالى ، بل هي من الطامات العقديَّة التي هي من بنات أفكاره ، أخذ بعضها من سموم الفلاسفة وتبناها ، وتابعه عليها من يدعون السِّلْفِيَّةَ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ ، وَقَدْ ذَكَرَ طَامَاتِهِ الْعَقْدِيَّةَ وَغَيْرَ الْعَقْدِيَّةَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَمِنْ ذَلِكَ :

قال الإمام أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٥٧٥٦هـ) : " ... وَهَذَا الرَّجُلُ كُنْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ فِي إِنكَارِهِ السَّفَرَ لِرِيزَارَةَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي إِنكَارِهِ وَقُوعِ الطَّلَاقِ إِذَا حَلَفَ بِهِ ، ثُمَّ ظَهَرَ لِي مِنْ حَالِهِ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَيْسَ مِمَّنْ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي نَقْلِ يَنْفَرُ بِهِ لِمَسَارَعَتِهِ إِلَى النَّقْلِ لِفَهْمِهِ ، كَمَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، وَلَا فِي بَحْثِ يُنْبِئُهُ لِحَلَطِهِ الْمُقْصُودَ بِغَيْرِهِ وَخُرُوجِهِ عَنِ الْحَدِّ جِدًّا ، وَهُوَ كَانَ مُكْثِرًا مِنَ الْحِفْظِ ، وَلَمْ يَتَهَدَّبْ بِسِيَخٍ ، وَلَمْ يُرْتَضَ فِي الْعُلُومِ ، بَلْ يَأْخُذُهَا بِذَهْنِهِ مَعَ جَسَارَتِهِ وَاتِّسَاعِ خَيَالِ وَشَعْبِ كَثِيرٍ ، ثُمَّ بَلَغَنِي مِنْ حَالِهِ مَا يَقْتَضِي الْإِعْرَاضَ عَنِ النَّظَرِ فِي كَلَامِهِ جُمْلَةً .

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٤٠) ، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٤٢٢) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٥٩) ، قاعدة جلييلة في التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ (ص ٢٥) .

وَكَانَ النَّاسُ فِي حَيَاتِهِ أُبْتُلُوا بِالْكَلامِ مَعَهُ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ ، وَحَسِبَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَوِلاةِ الْأُمُورِ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ مَاتَ " (١) .

وجاء في الفتاوى الحديثية للإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري ، شهاب الدين شيخ الإسلام ، أبو العباس (٩٧٤هـ) : " وَسُئِلَ نَفَعَ اللهُ بِهِ بِمَا لَفِظَهُ : لِابْنِ تَيْمِيَّةِ اعْتِرَاضَ عَلَى مَتَاخِرِي الصُّوفِيَّةِ ، وَلَهُ خَوَارِقُ فِي الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ فَمَا مُحْصَلُ ذَلِكَ ؟ فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ : ابْنُ تَيْمِيَّةِ عَبْدُ خِذْلَةَ اللهُ وَأَصْلَهُ وَأَعْمَاهُ وَأَصْمَهُ وَأَذَلَّهُ ، وَبِذَلِكَ صَرَحَ الْأَئِمَّةُ الَّذِينَ بَيَّنَّا فَسَادَ أَحْوَالِهِ وَكَذَبَ أَقْوَالِهِ ، وَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ بِمِطَالَعَةِ كَلَامِ الْإِمَامِ الْمُجْتَهِدِ الْمُتَّفَقِ عَلَى إِمَامَتِهِ وَجَلالَتِهِ وَبَلُوغِهِ رِيبَةَ الْإِجْتِهَادِ أَبِي الْحَسَنِ السُّبْكَيِّ ، وَوَلَدِهِ النَّجَّاشِيِّ ، وَالشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَزَّازِيِّ بَنِ جَمَاعَةَ وَأَهْلِ عَصْرِهِمْ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ ، وَالْمَالِكِيَّةِ ، وَالْحَنَفِيَّةِ ، وَلَمْ يَقْصِرْ اعْتِرَاضُهُ عَلَى مَتَاخِرِي الصُّوفِيَّةِ بَلْ اعْتَرَضَ عَلَى مِثْلِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كَمَا بَأْتِي . وَالْحَاصِلُ أَنَّ لَّا يُقَامُ لِكَلَامِهِ وَزَنْ ، بَلْ يَرْمِي فِي كُلِّ وَعْرٍ وَحَزَنْ ، وَيَعْتَقِدُ فِيهِ أَنَّهُ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ وَمُضِلٌّ جَاهِلٌ غَالٍ عَامِلُهُ اللهُ بَعْدَهُ ، وَأَجَازَنَا مِنْ مِثْلِ طَرِيقَتِهِ وَعَقِيدَتِهِ وَفَعَلَهُ آمِينَ .

وَحَاصِلُ مَا أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي السُّؤَالِ أَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ : إِنَّ فِي كِتَابِ الصُّوفِيَّةِ مَا هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى أُصُولِ الْفَلَسَفَةِ الْمُخَالَفِينَ لِدِينِ الْمُسْلِمِينَ فَيَتَلَقَّى ذَلِكَ بِالْقَبُولِ مَنْ يَطَّلِعُ فِيهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَتَهَا ، كَدَعْوَى أَحَدِهِمْ أَنَّهُ مُطَّلَعٌ عَلَى اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ ، فَإِنَّهُ عِنْدَ الْفَلَسَفَةِ كَابُنِ سِينَا وَأَتْبَاعِهِ النَّفْسِ الْفَلَكِيَّةِ ، وَزَعَمَ أَنْ نَفُوسَ الْبَشَرِ تَتَّصِلُ بِالنَّفْسِ الْفَلَكِيَّةِ ، أَوْ بِالْعَقْلِ الْفَعَّالِ يَقْظَةُ أَوْ مَنَامًا ، وَهَمَّ يَدَّعُونَ أَنَّ مَا يَحْصُلُ مِنَ الْمَكَاشِفَةِ يَقْظَةُ أَوْ مَنَامًا هُوَ بِسَبَبِ اتِّصَالِهَا بِالنَّفْسِ الْفَلَكِيَّةِ عِنْدَهُمْ ، وَهِيَ سَبَبُ حُدُوثِ الْحَوَادِثِ فِي الْعَالَمِ فَإِذَا اتَّصَلَتْ بِهَا نَفْسُ الْبَشَرِ اسْتَنْقَشَ فِيهَا مَا كَانَ فِي النَّفْسِ الْفَلَكِيَّةِ ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ لَمْ يَذْكُرْهَا قَدَمَاءُ الْفَلَسَفَةِ وَإِنَّا ذَكَرْهَا ابْنُ سِينَا ، وَمَنْ يَتَلَقَّى عَنْهُ ، وَيُوجَدُ مِنْ ذَلِكَ فِي بَعْضِ كَلَامِ أَبِي حَامِدٍ ، وَكَلَامِ ابْنِ عَرَبِيٍّ ، وَابْنِ سَبْعِينَ وَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ تَكَلَّمُوا فِي النَّصُوفِ ، وَالْحَقِيقَةُ عَلَى قَاعِدَةِ الْفَلَسَفَةِ لَّا عَلَى أُصُولِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَقَدْ خَرَجُوا بِذَلِكَ إِلَى الْإِلْحَادِ كَالْحَادِ الشَّيْعَةِ ، وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ ، وَالْقَرَامِطَةِ ، وَالْبَاطِنِيَّةِ ، بِخِلَافِ عِبَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ وَمَتَّصِفَتِهِمْ ، كَالْفُضَيْلِ وَسَائِرِ رِجَالِ الرِّسَالَةِ ، وَهَؤُلَاءِ أَعْظَمُ النَّاسِ إِنْكَارًا لَطَرِيقِ مَنْ هُمْ خَيْرٌ مِنَ الْفَلَسَفَةِ كَالْمُعْتَزَلَةِ وَالْكَرَّامِيَّةِ فَكَيْفَ بِالْفَلَسَفَةِ .

(١) انظر : فتاوى السُّبْكَيِّ (٢/ ٢١٠) .

وَأهل التَّصَوُّفِ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٌ : قوم على مَذَهَبِ أهل الحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ كَهؤلاءِ المذْكَورين ، وقوم على طَرِيقَةِ بعضِ أهل الكَلَامِ من الكراميةِ وَغَيرهم ، وقوم خَرَجُوا إلى طَرِيقِ الفِلسفةِ مثل مَسْلكِ من سَلَكَ رِسَالِةَ إِنْخِوَانِ الصَّفَا ، وَقِطْعَةَ تُوجِدُ فِي كَلَامِ أَبِي حَيَّانِ التَّوْحِيدِيِّ ، وَأَمَّا ابنُ عَرَبِيٍّ وَابْنُ سَبْعِينَ وَنَحْوُهُمَا فَجَاءُوا بِقِطْعِةِ فِلسفِيَّةٍ غَيرِهَا وَخَرَجُوا فِي قَلْبِ التَّصَوُّفِ ، وَابْنُ سِينَا تَكَلَّمَ فِي آخِرِ الإِرشَادَاتِ على مَقَامِ العَارِفِينَ بِحَسَبِ مَا يَلِيقُ بِحَالِهِ ، وَكَذَا مُعْظَمُ من لم يَعْرِفِ الحَقَائِقَ الإِيمَانِيَّةَ . وَالغَزَالِيُّ ذَكَرَ شَيْئاً من ذَلِكَ فِي بعضِ كُتُبِهِ لَا سِوَا فِي الكِتَابِ المَضْمُونِ بِهِ على غَيرِ أَهْلِهِ ، وَمَشْكَاةُ الأَنْوَارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، حَتَّى ادَّعَى صَاحِبُهُ أَبُو بَكْرِ بنِ العَرَبِيِّ ، فَقَالَ : شَيْخَنَا دَخَلَ فِي نَظَرِ الفِلسفَةِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُمَ فَمَا قَدَرَ ، لَكِنْ أَبُو حَامِدٍ يَكْفُرُ الفِلسفَةَ فِي غَيرِ مَوْضِعٍ وَبَيَّنَ فَسَادَ طَرِيقَتِهِمْ ، وَأَنَّهَا لَا تَحْصُلُ المُتَّصِدُونَ وَاشْتَغَلَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ بالبِخَارِيِّ وَمَاتَ على ذَلِكَ ، وَقِيلَ أَنَّهُ رَجَعَ عَنِ تِلْكَ الكُتُبِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَنَّهَا مَكْذُوبَةٌ عَلَيْهِ ، وَكَثُرَ كَلَامُ النَّاسِ فِيهَا لِأَجْلِهَا ، كَالْمَازَرِيِّ ، وَالطَّرطُوشِيِّ ، وَابْنِ الجُوزِيِّ ، وَابْنِ عَقِيلٍ ، وَغَيرِهِمْ . انْتَهَى حَاصِلُ كَلَامِ ابنِ تَيْمِيَّةِ .

وَهُوَ يُنَاسِبُ مَا كَانَ عَلَيْهِ من سِوَا الإِعْتِقَادِ حَتَّى فِي أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إلى أَهْلِ عَصْرِهِ ، وَرَبِّمَا أَدَاهُ اعْتِقَادُهُ ذَلِكَ إلى تَبْدِيعِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ . وَمِنْ جَمَلَةٍ مَنْ تَتَبَعَ الوَلِيَّ القُطْبِ العَارِفِ أَبُو الحُسَيْنِ الشَّاذِلِي نَفَعَنَا اللهُ بِعُلُومِهِ وَمَعَارِفِهِ فِي حِزْبِهِ الكَبِيرِ وَحِزْبِ البُحْرِ وَقِطْعَةٍ من كَلَامِهِ ، كَمَا تَتَبَعَ ابنُ عَرَبِيٍّ ، وَابْنُ الفَارِضِ ، وَابْنُ سَبْعِينَ ، وَتَتَبَعَ أَيضاً الحَلَّاجَ الحُسَيْنَ بنَ مَنصُورٍ ، وَلَا زَالَ يَتَتَبَعُ الأَكْبَارَ حَتَّى تَمَلَأَ عَلَيْهِ أَهْلَ عَصْرِهِ ففَسَقُوا ، وَبَدَعُوا بِلِ كَفَرِهِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ ، وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ بعضُ أَجْلَاءِ أَهْلِ عَصْرِهِ علماً وَمَعْرِفَةً سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِمِائَةٍ مِنْ فُلَانٍ إلى الشَّيْخِ الكَبِيرِ العَالِمِ إِمَامِ أَهْلِ عَصْرِهِ بَزْغَمِيَّةِ ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا أَحْبَبْنَاكَ فِي اللهُ زَمَاناً ، وَأَعْرَضْنَا عَمَّا يُقَالُ فِيكَ إِعْرَاضَ الفَضْلِ إِحْسَاناً ، إلى أَنْ ظَهَرَ لَنَا خِلافَ مُوجِبَاتِ المَحَبَّةِ بِحُكْمِ مَا يَقْتَضِيهِ العَقْلُ وَالحِمْسُ ، وَهَلْ يَشُكُّ فِي اللَّيْلِ عَاقِلٌ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَأَنَّكَ أَظْهَرْتَ أَنَّكَ قَائِمٌ بِالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِقِصْدِكَ وَنِيَّتِكَ ، وَلَكِنَّ الإِخْلَاصَ مَعَ العَمَلِ يَنْتِجُ ظُهُورَ القُبُولِ ، وَمَا رَأَيْنَا آلَ أَمْرِكَ إِلاَّ إلى هَتِكِ الأَسْتَارِ والأَعْرَاضِ ، بِاتِّبَاعِ من لَا يوثِقُ بِقَوْلِهِ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ والأَعْرَاضِ ، فَهُوَ سَائِرُ زَمَانِهِ يَسُبُّ الأَوْصَافَ وَالدَّوَاتِ ، وَلَمْ يَقْنَعِ بِسَبِّ الأَحْيَاءِ ، حَتَّى حَكَمَ بِتَكْفِيرِ الأَمْوَاتِ وَلَمْ يَكْفِهِ التَّعَرُّضُ على من تَأَخَّرَ من صَالِحِي السَّلَفِ ، حَتَّى تَعْدَى إلى الصَّدْرِ الأوَّلِ ، وَمَنْ لَهُ أَعْلَى المَرَاتِبِ فِي الفَضْلِ فَيَا وَيْحَ مَنْ هُوَ لَآءِ خُصْمَاؤُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَهِيَهَاتَ أَنْ لَا يَنَالَهُ غَضَبٌ ، وَأَنَّى لَهُ بِالسَّلَامَةِ ، وَكُنْتُ مِمَّنْ سَمِعَهُ وَهُوَ على مَنبَرٍ جَامِعِ الجَبَلِ بِالصَالِحِيَّةِ ، وَقَدْ ذَكَرَ عَمْرُ بنُ الخُطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ : إِنَّ عَمْرَ لَهُ غَلَطَاتٌ وَبَلِيَّاتٌ وَأَيُّ بَلِيَّاتٍ !!!

وَأخْبَرَ عَنْهُ بَعْضُ السَّلَفِ أَنَّهُ ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَجْلِسٍ آخِرٍ فَقَالَ : إِنَّ عَلِيًّا أَخْطَأَ فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ مَكَانٍ ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مِنْ أَيْنَ يَحْصِلُ لَكَ الصَّوَابُ ؟ إِذَا أَخْطَأَ عَلِيُّ بِزِعْمِكَ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَعَمَّرَ بَنِي الْخَطَّابِ . وَالْآنَ قَدْ بَلَغَ هَذَا الْحَالَ إِلَى مَنْتَهَاهُ ، وَالْأَمْرُ إِلَى مُقْتَضَاهُ ، وَلَا يَنْفَعُنِي إِلَّا الْقِيَامُ فِي أَمْرِكَ وَدَفْعِ شَرِّكَ ، لِأَنَّكَ قَدْ أَفْرَطْتَ فِي الْغِيِّ ، وَوَصَلَ أَذَاكَ إِلَى كُلِّ مَيِّتٍ وَحَيٍّ ، وَتَلَزَمَنِي الْغَيْرَةُ شَرْعًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَيَلْزِمُ ذَلِكَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَائِرِ عِبَادِ اللَّهِ الْمُسْلِمِينَ بِحُكْمِ مَا يَقُولُهُ الْعُلَمَاءُ ، وَهَمَّ أَهْلُ الشَّرْعِ وَأَرْبَابُ السَّيْفِ الَّذِينَ بِهِمُ الْوَصْلُ وَالْقَطْعُ ، إِلَى أَنْ يَحْصِلَ مِنْكَ الْكَفُّ عَنْ أَعْرَاضِ الصَّالِحِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ اهـ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ خَالَفَ النَّاسَ فِي مَسَائِلَ نَبَهَ عَلَيْهَا التَّاجُ السُّبْكِيُّ وَغَيْرُهُ . فَمِمَّا خَرَقَ فِيهِ الْإِجْمَاعُ قَوْلُهُ فِي : عَلِيٍّ الطَّلَاقُ أَنَّهُ لَا يَقَعُ عَلَيْهِ بَلْ عَلَيْهِ كَفَّارَةٌ يَبِينُ ، وَلَمْ يَقُلْ بِالْكَفَّارَةِ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَهُ ، وَأَنَّ طَّلَاقَ الْحَائِضِ لَا يَقَعُ ، وَكَذَا الطَّلَاقُ فِي طَهْرٍ جَامِعٍ فِيهِ ، وَأَنَّ الصَّلَاةَ إِذَا تَرَكْتَ عَمْدًا لَا يَجِبُ قَضَاؤُهَا وَأَنَّ الْحَائِضَ يُبَاحُ لَهَا بِالطَّوْفِ بِالْبَيْتِ وَلَا كَفَّارَةٌ عَلَيْهَا وَأَنَّ الْحَائِضَ تَطُوفُ فِي الْبَيْتِ مِنْ غَيْرِ كَفَّارَةٍ وَهُوَ مُبَاحٌ لَهَا (١) ، وَأَنَّ الطَّلَاقَ الثَّلَاثَ يُرَدُّ إِلَى وَاحِدَةٍ ، وَكَانَ هُوَ قَبْلَ ادِّعَائِهِ ذَلِكَ نَقَلَ أَجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى خِلَافِهِ ، وَأَنَّ الْمَكُوسَ حَلَالَ مَنْ أَقْطَعَهَا ، وَأَنَّهَا إِذَا أَخَذْتَ مِنَ التَّجَارِ أَجْزَاءَهُمْ عَنِ الزَّكَاةِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بِاسْمِ الزَّكَاةِ وَلَا رَسْمِهَا ، وَأَنَّ الْمَائِغَاتِ لَا تَنْجَسُ بِمَوْتِ حَيَّوَانٍ فِيهَا كَالْفَأْرَةِ ، وَأَنَّ الْجَنْبَ يَصِلُ تَطَوُّعُهُ بِاللَّيْلِ وَلَا يُؤَخَّرُهُ إِلَى أَنْ يَغْتَسَلَ قَبْلَ الْفَجْرِ ، وَإِنْ كَانَ بِالْبَلَدِ ، وَأَنَّ شَرْطَ الْوَأَقِفِ غَيْرِ مُعْتَبَرٍ ، بَلْ لَوْ وَقَفَ عَلَى الشَّافِعِيَّةِ صَرَفَ إِلَى الْحَنَفِيَّةِ وَبِالْعَكْسِ ، وَعَلَى الْقُضَاةِ صَرَفَ إِلَى الصُّوفِيَّةِ ، فِي أَمْثَالِ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْأُصُولِ مَسْأَلَةُ الْحَسَنِ وَالْقُبْحِ التَّزَمَ كُلُّ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا ، وَإِنَّ مُحَالَفَ الْإِجْمَاعِ لَا يَكْفُرُ وَلَا يَفْسُقُ ، وَأَنَّ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاهِلُونَ عَلَاقًا كَبِيرًا مَحَلُّ الْحَوَادِثِ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ وَتَقَدَّسَ ، وَأَنَّهُ مُرَكَّبٌ تَفْتَقِرُ ذَاتُهُ لِجُزْءِ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ وَتَقَدَّسَ ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ مُحَدَّثٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ ، وَأَنَّ الْعَالَمَ قَدِيمٌ بِالنُّوعِ ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَ اللَّهِ مَخْلُوقًا دَائِمًا فَجَعَلَهُ مُوجِبًا بِالذَّاتِ لَا فَاعِلًا بِالِاخْتِيَارِ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ ، وَقَوْلُهُ بِالْجِسْمِيَّةِ وَالْجِهَةِ وَالِانْتِقَالِ ، وَأَنَّهُ بَقْدَرِ الْعَرْشِ لَا أَصْغَرَ وَلَا أَكْبَرَ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ هَذَا الْاِفْتِرَاءِ الشَّنِيعِ الْقَبِيحِ ، وَالْكَفْرُ الْبَوَاحُ الصَّرِيحُ ، وَخَذَلُ مُتَّبِعِيهِ وَشَتَّ شَمْلَ مَعْتَقِدِيهِ ، وَقَالَ : إِنَّ النَّارَ تَفْنَى ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ غَيْرَ مَعْصُومِينَ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا جَاهَ لَهُ وَلَا

(١) انظر : الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية الحراني ، (٥/ ٣٢٠) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م ...

يتوسل به ، وأنَّ إنْشاءَ السَّفَرِ إِلَيْهِ بِسَبَبِ الزِّيَارَةِ مَعْصِيَةٌ لَا تُقْصَرُ الصَّلَاةُ فِيهِ ، وسيحرم ذلك يَوْمَ الْحَاجَةِ مَاسَّةً إِلَى شَفَاعَتِهِ ، وَأَنَّ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ لَمْ يَبْدَلْ أَلْفَاظَهُمَا وَإِنَّهَا بَدَلَتْ مَعَانِيَهَا " (١) .

وبسبب متابعة الجهال والعوام له ، سارع علماء عصره إلى الردِّ عليه وإبطال دعاويه ، ومحاججته ومناظرته ، فألجموه الحجَّة ، وأقاموا عليه الحجَّة ، ومن هؤلاء الصَّيْدِ الْأَفْذَاذِ الْأَسَاطِينِ : الإمام تقي الدِّين علي ابن عبد الكافي السُّبُكِيِّ (٧٥٦هـ) ، فقد قال ما نصَّه : " أمَّا بعد ، فَإِنَّهُ لَمَّا أَحْدَثَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ مَا أَحْدَثَ فِي أَصُولِ الْعَقَائِدِ ، وَنَقَضَ مِنْ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ الْأَرْكَانَ وَالْمَعَاقِدَ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ مُسْتَتِرًا بِتَبَعِيَّةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، مَظْهَرًا أَنَّهُ دَاعٍ إِلَى الْحَقِّ هَادٍ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَخَرَجَ عَنِ الْإِتْبَاعِ إِلَى الْإِبْتِدَاعِ ، وَشَدَّ عَنِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ بِمُخَالَفَةِ الْإِجْمَاعِ ، وَقَالَ بِمَا يَقْتَضِي الْجَسَمِيَّةَ وَالتَّرْكِيبَ فِي الذَّاتِ الْمَقْدَّسِ ، وَأَنَّ الْإِفْتِقَارَ إِلَى الْجِزْءِ لَيْسَ بِمَحَالٍ ، وَقَالَ بِحُلُولِ الْحَوَادِثِ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ مُحَدَّثٌ تَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ ، وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ وَيَسْكُتُ ، وَيُحَدِّثُ فِي ذَاتِهِ الْإِرَادَاتِ بِحَسَبِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَتَعَدَّى فِي ذَلِكَ إِلَى اسْتِلْزَامِ قَدَمِ الْعَالَمِ ، وَالتَّزَامِهِ بِالْقَوْلِ بِأَنَّهُ لَا أَوَّلَ لِلْمَخْلُوقَاتِ ، فَقَالَ بِحَوَادِثِ لَا أَوَّلَ لَهَا ، فَأُثِّبَ الصِّفَةَ الْقَدِيمَةَ حَادِثَةً ، وَالْمَخْلُوقَ الْحَادِثَ قَدِيمًا ، وَلَمْ يَجْمَعْ أَحَدٌ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ فِي مَلَّةٍ مِنَ الْمَلَلِ وَلَا نِحْلَةٍ مِنَ النَحْلِ ، فَلَمْ يَدْخُلْ فِي فِرْقَةٍ مِنَ الْفِرَقِ الثَّلَاثِ وَالسَّبْعِينَ الَّتِي افْتَرَقَتْ عَلَيْهَا الْأُمَّةُ ، وَلَا وَقَفَتْ بِهِ مَعَ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَّمِ هَمَّةً ، وَكُلَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كُفْرًا شَنِيعًا مِمَّا تَقَلُّ جَمَلَتَهُ بِالنَّسْبَةِ لِمَا أَحْدَثَ فِي الْفُرُوعِ ، فَإِنَّ مَتَلَقِّي الْأَصُولِ عَنْهُ وَفَاهِمِ ذَلِكَ مِنْهُ هُمُ الْأَقْلُونَ ، وَالدَّاعِي إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ هُمُ الْأَرْذَلُونَ ، وَإِذَا حُوقِقُوا فِي ذَلِكَ أَنْكَرُوهُ ، وَفَرَّوْا مِنْهُ كَمَا يَفْرُونَ مِنَ الْمَكْرُوهِ ... " (٢) .

وقال عنه الإمام صلاح الدِّين خليل بن أبيك الصَّفْدي (٧٦٤هـ) : " انفراد بمسائل غريبة ، ورجح فيها أقوالاً ضعيفة عند الجمهور معيبة . كاد منها يقع في هُوَّةٍ ، ويسلم منها لما عنده من النية المرجوة ، والله يعلم قصده ، وما يترجح من الأدلة عنده ، وما دمر عليه شيء كمسألة الزيارة ، ولا شنَّ عليه مثلها إغارة ، دخل منها إلى القلعة مُعْتَقِلًا ، وجفاه صاحبه وقلا ، وما خرج منها إِلَّا عَلَى الْآلَةِ الْحَدْبَا ، وَلَا دَرَجَ مِنْهَا إِلَّا إِلَى الْبُقْعَةِ الْحَدْبَا " (٣) .

(١) انظر : الفتاوى الحديثية (ص ١٥٦-١٥٩) .

(٢) انظر : الدرّة المضية في الردِّ على ابن تيمية (ص ٩٩-١٠٠) .

(٣) انظر : أعيان العصر وأعوان النصر (١/ ٢٣٥) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ): "وأتفق الشيخ نصر المنبجي كَانَ قد تقدم في الدولة لاعتقاد بيبرس الجاشنكير فيه ، فبلغه أَنَّ ابن تيمية يقع في ابن العربي لأنه كَانَ يعتقد أَنه مُستقيم ، وَأَنَّ الَّذِي يُنسب إِلَيْهِ من الإتحاد أو الإلحاد من قُصور فهم من يُنكر عَلَيْهِ ، فَأُزسل يُنكر عَلَيْهِ ، وَكتب إِلَيْهِ كتاباً طويلاً ، وَنسبه وَأصحابه إِلَى الإتحاد الَّذِي هُوَ حَقِيقَةُ الإلحاد ، فَعظم ذَلِكَ عَلَيْهِم وَأعانه عَلَيْهِ قوم آخرون ضبطوا عَلَيْهِ كَلِمَات في العقائد مُغيرة وَقتت مِنْهُ في مواعيده وفتاويه ، فَذُكروا أَنه ذكر حَدِيث النُّزول فَنزل عَن المنبرِ دَرَجَتَيْن ، فَقَالَ : كنزولي هَذَا فنسب إِلَى التَّجسيم . وَرَدّه على من توَسَّل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ اسْتغاث ، فَأشخص من دمشق في رَمَضان سنة خمس وَسبعمئة ، فَجَرى عَلَيْهِ مَا جرى وَحسب مَراراً ، فَأَقَام على ذَلِكَ نَحْو أربع سنين أَوْ أَكثر وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يشغل ويفتي إِلَى أَن أَتفق أَنَّ الشيخ نصرأَقَام على الشيخ كريم الدين الأملي شيخ خانقاه سعيد السُّعداء ، فَأُخرجهُ من خانقاه ، وَعَلَى شمس الدين الجُزري ، فَأُخرجهُ من تدریس الشَّرِيفِيَّة ، فَيُقَال : أَنَّ الأملي دخل الخُلوة بِمضر أَرْبعين يَوْمًا فلم يخرج حَتَّى زالت دولة بيبرس ، وَخَل ذكر نصر ، وَأطلق ابن تيمية إِلَى الشَّام ، وافترق النَّاس فِيهِ شيعاً ، فَمِنْهُم من نسبه إِلَى التَّجسيم لما ذكر في العقيدة الحموية والواسطية وَغيرهما من ذَلِكَ ، كَقَوْلِهِ : أَنَّ الأيد ، وَالقدم ، وَالسَّاق ، وَالوَجْه صِفَات حَقِيقِيَّة لله ، وَأَنَّهُ مستوٍ على العرش بِذَاتِهِ ، فَقيل لَهُ : يلزم من ذَلِكَ التحيز والانقسام ، فَقَالَ : أَنَا لَا أسلم أَنَّ التحيز والانقسام من خِوَص الأَجْسَام ، فَألزم بِأَنَّهُ يَقول بِتحيزِ فِي ذات الله .

وَمِنْهُم من يُنسبه إِلَى الزَّنَدقة لقوله : أَنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُستغاث بِهِ ، وَأَنَّ فِي ذَلِكَ تنقيصاً وَمنعاً من تَعْظِيم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ أَشدَّ النَّاس عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ النُّور البُكرِي ، فَإِنَّهُ لما عقد لَهُ المجلس بِسَبب ذَلِكَ ، قَالَ بعض الحاضرين يُعزِّر ، فَقَالَ البُكرِي : لَا معنى لهُذَا القَوْل ، فَإِنَّهُ إِن كَانَ تنقيصاً يقتل ، وَإِن لم يكن تنقيصاً لَا يُعزِّر .

وَمِنْهُم من يُنسبه إِلَى النِّفاق لقوله فِي عَليٍّ مَا تَقَدَّمَ ، وَلَقَوْلِهِ : أَنَّهُ كَانَ مَخدولاً حَيْثُ مَا توجه ، وَأَنَّهُ حاول الخِلافة مَراراً فلم ينلها ، وَإِنَّمَا قَاتل للرئاسة لِاللديانة . وَلَقَوْلِهِ : أَنَّهُ كَانَ يَحِبُّ الرِّئَاسَةَ ، وَأَنَّ عُثْمَانَ كَانَ يَحِبُّ المَال . وَلَقَوْلِهِ : أَبُو بكر أسلم شيخاً يَدْرِي مَا يَقول ، وَعَليٌّ أسلم صَبِيًّا ، وَالصَّبِيُّ لَا يَصِحُّ إِسلامه على قول ... " . (١)

(١) انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١٨٠-١٨٢) .

وقال الإمام محمد بخيت المطيعي الحنفي (١٣٥٤هـ) مفتي الديار المصرية: "ولمّا أن تظاهر قومٌ في هذا العصر بتقليد ابن تيمية في عقائده الكاسدة، وتعصيد أقواله الفاسدة، وبثّها بين العامّة والخاصّة، واستعانوا على ذلك بطبع كتابه المسمّى بـ "الواسطيّة" ونشره، وقد اشتمل هذا الكتاب على كثيرٍ ممّا ابتدعه ابن تيمية مخالفاً في ذلك الكتاب والسُّنّة وجماعة المسلمين، فأيقظوا فتنةً كانت نائمة" (١).

وقال الشّيخ عبد الرحمن خليفة بن فتح الباب الحناوي (١٣٦٤هـ): "هذه المسائل التي يثيرها اليوم جماعة أنصار السُّنّة أثرت قديماً، وفرغ العلماء من الرّدّ عليها، وهم مُقلِّدون فيها لابن القيم وشيخه تقي الدّين ابن تيمية وطوائف من الحنابلة، والعجب لهؤلاء يقلِّدون نقرأ من العلماء انفرادوا بمقالات وآراء وافقوا فيها الحشويّة والكراميّة، وخالفوا فيها جميع المسلمين سلفاً وخلفاً..." (٢).

وقال الإمام عبد ربّه بن سليمان بن محمّد بن سليمان القليوبي الأزهري (كان حيّاً في عام ١٣٧٧هـ): "قد عرفت ممّا قدّمنا لك أنّ ابن تيمية هو الذي جمع شتات أقوال الخوارج وغيرهم من الملحدين ودونها رسائل، وتلقّاها عنه تلاميذه الذين فُتنوا بحبّه لنشأتهم على ذلك واستعدادهم له، ووسعوا فيها الضّلالات" (٣).  
ومن المعلوم أنّ ابن تيمية استتابه العلماء مرّات عديدة، وكان في كلّ مرة ينقضّ توبته، ويتنكّر لعهوده وموآثيقه التي قطعها على نفسه أمام العلماء، حتى حُكم عليه بالحبس بسبب أقواله الشّاذّة، وهذه إحدى صور استتابته منقولة من خط يده كما هي مسجّلة في كتاب "نجم المهتدي"، وعليها توقيع العلماء ونصّها: "الحمد لله، الذي أعتقده أنّ في القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديمة الأزليّة وهو غير مخلوق، وليس بحرف ولا صوت، وليس هو حالاً في مخلوق أصلاً ولا ورق ولا حبر ولا غير ذلك، والذي أعتقده في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، أنّه على ما قال الجماعة الحاضرّون وليس على حقيقته وظاهره، ولا أعلم كُنه المراد به، بل لا يعلم ذلك إلاّ الله، والقول في النُّزول كالقول في الاستواء، أقول فيه ما أقول فيه لا أعرف كُنه المراد به، بل لا يعلم ذلك إلاّ الله، وليس على حقيقته وظاهره كما قال الجماعة الحاضرّون، وكلُّ ما يخالف هذا الاعتقاد فهو باطل، وكلُّ ما في خطّي أو لفظي ممّا يخالف ذلك فهو باطل، وكلُّ ما في ذلك ممّا فيه

١ انظر: تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد (ص ١٣).

(٢) انظر: المشبهة والمجسمة (ص ١٢-١٣).

(٣) انظر: فيض الوهّاب في بيان أهل الحق ومن ضلّ عن الصواب (١/١٤٩).

إضلال الخلق أو نسبة ما لا يليق بالله إليه فأنا بريء منه ، فقد تبرأت منه وتائب إلى الله من كل ما يخالفه . كتبه أحمد بن تيمية ، وذلك يوم الخميس سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعمئة .

وكل ما كتبه وقلته في هذه الورقة فأنا مختار في ذلك غير مُكره . كتبه أحمد بن تيمية حسبنا الله ونعم الوكيل " .

وبأعلى ذلك بخط قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ما صورته : اعترف عندي بكل ما كتبه بخطه في التاريخ المذكور . كتبه محمد بن إبراهيم الشافعي ، وبحاشية الخط : اعترف بكل ما كتب بخطه ، كتبه عبد الغني بن محمد الحنبلي .

وبآخر خط ابن تيمية رسوم شهادات هذه صورتها : كتب المذكور بخطه أعلاه بحضوري واعترف بمضمونه ، كتبه أحمد بن الرفعة .

صورة خط آخر : أقر بذلك ، كتبه عبد العزيز النمراوي .

صورة خط آخر : أقر بذلك كله بتاريخه ، علي بن محمد بن خطاب الباجي الشافعي

صورة خط آخر : جرى ذلك بحضوري في تاريخه ، كتبه الحسن بن أحمد بن محمد الحسيني .

وبالحاشية أيضاً ما مثاله : كتب المذكور أعلاه بخطه واعترف به ، كتبه عبد الله بن جماعة .

مثال خط آخر : أقر بذلك وكتبه بحضوري محمد بن عثمان البوريجي " (١) .

وقد ذكر هذه الاستتابة الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) في

كتابه : " الدرر الكامنة " ، فقال : " فأخرج في ربيع الأول في الثالث وعشرين منه وأحضر إلى القلعة ، ووقع

البحث مع بعض الفقهاء ، فكتب عليه محض بأنه قال : أنا شعري ، ثم وجد خطه بما نصه : الذي اعتقد أن

القرآن معنى قائم بذات الله ، وهو صفة من صفات ذاته القديمة ، وهو غير مخلوق ، وليس بحرف ولا صوت ،

وأن قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ، ليس على ظاهره ، ولا أعلم كنه المراد به ، بل لا أعلمه

إلا الله ، والقول في النزول كالقول في الاستواء . وكتبه أحمد بن تيمية ، ثم أشهدوا عليه أنه تاب مما يُنابى ذلك

(١) انظر : بيان زغل العلم والطلب (ص/ ١٧-١٨) .

مُخْتَاراً وَذَلِكَ فِي خَامِسِ عَشْرَى ربيع الأول سنة (٧٠٧هـ) ، وشهد عليه بذلك جمع جم من العلماء وغيرهم ،  
وسكن الحال ، وأفرج عنه " (١) .

وبسبب مقالات ابن تيمية التي خالف فيها الأمة ، شنع عليه العلماء حتى حكم البعض بتكفيره ، ورفض  
الكثيرون نعته بشيخ الإسلام ، حتى قال الإمام محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد  
العلاء أبو عبد الله البخاري العجمي الحنفي (٨٤١هـ) : " أن من أطلق على ابن تيمية شيخ الإسلام فهو بهذا  
الإطلاق كافر " (٢) . والمعنى : أن من أطلع على أقواله واعتقاداته وطاماته ، ومع ذلك وصفه بهذا اللقب فهو  
كافر ...

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " والحاصل أنهم الزموا بن تيمية بتخريم شد الرحل إلى زيارة قبر  
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكرنا صورة ذلك وفي شرح ذلك من الطرفين طول وهي من اشبع  
المسائل المنقولة عن بن تيمية " (٣) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " قوله كان الله ولم يكن شيء قبله تقدم في بدء الخلق بلفظ ولم يكن شيء  
غيره وفي رواية أبي معاوية كان الله قبل كل شيء وهو بمعنى كان الله ولا شيء معه وهي أصرح في الرد على من  
أثبت حوادث لا أول لها من رواية الباب وهي من مستنسخ المسائل المنسوبة لابن تيمية " (٤) .

وقال الإمام الزبيدي : " قال التقي السبكي : وكتاب العرش من أقبح كتبه - يقصد ابن تيمية - ولما وقف  
عليه الشيخ أبو حيان مازال يلعنه حتى مات بعد أن كان يعظمه " (٥) .  
ومن أراد الاستزادة في هذا الموضوع ، فعليه بكتاب " التوفيق الرباني في الرد على ابن تيمية الحراني " ،  
لمجموعة من العلماء . أمّا عن المسائل التي نسبها لابن تيمية العلماء الذين نقلنا عنهم ، فقد استوعبتها وغيرها في  
مصنّف ضخم ، ذكرت فيها أغلب الطّامات التي قالها ابن تيمية وخالف فيها عموم الأمة المحمّديّة ...

(١) انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/١٧٢) .

(٢) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/٢٩٢) .

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/٦٦) .

(٤) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/٤١٠) .

(٥) انظر : تحف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٢/١٠٥) .

فالمهم فيما نحن بصدد بيانه وتوضيحه : أن ابن تيمية يعتقد بدعيّة التوسُّل ، فيقول : " ... المرتبة الثالثة : أن يسأل صاحب القبر أن يسأل الله له ، وهذا بدعة باتفاق أئمة المسلمين ، وقد أخبر الله عن إخوة يوسف أنهم خرُّوا له سجداً ، وكذلك سجد له أبواه ، وهذا السُّجود ليس مشروعاً لنا ، فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد " . (١)

ويستمرُّ ابن تيمية في تدليسه ، فيزعم أن التوسُّل لم يقل به أحد من السلف ، ولم يفعله أحد من الصحابة ، ويعتبر زيارة القبور زيارة بدعيّة شركيّة ، فيقول : " وأما الزيارة البدعيّة : وهي زيارة أهل الشرك من جنس زيارة النَّصَارَى الَّذِينَ يَقْصِدُونَ دَعَاءَ الْمَيِّتِ ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ ، وَطَلَبَ الْحَوَائِجِ عِنْدَهُ ، فَيُصَلُّونَ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَيَدْعُونَ بِهِ ، فَهَذَا وَنَحْوُهُ لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَلَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا اسْتَحَبَّهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَيْمَتِهَا " (٢) .

ولنا في الردِّ على كلامه وقفات :

**الوقفَةُ الأولى :** أمّا عن تلبسه وزعمه بأن زيارة القبر الشريف والدعاء والتوسُّل بصاحبه إلى الله تعالى زيارة بدعيّة شركيّة من جنس زيارة النَّصَارَى ، فيرُدُّه ما قدّمناه في هذا الكتاب من زيارة السلف والخلف على حدِّ سواء ... ونضيف لما تقدّم ذكره ما ذكره الإمام العيني عن الشعبي ، أنه قال : حضرت عائشة رضي الله عنها ، فقالت : إنِّي قد أحدثت بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثاً ، ولا أدري ما حالي عنده ، فلا تدفوني معه ، فإنِّي أكره أن أجاور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا أدري ما حالي عنده ، ثمّ دعت بخرقه من قميص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالت : ضعوا هذه على صدري وادفونها معي لعلِّي أنجو بها من عذاب القبر " . (٣)

فالسيدة عائشة رضي الله عنها طلبت ممن حضر أن يدرجوا في كفنها خرقه من قميص صاحب القبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبرُّكاً منها بقميصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذا منها توسُّل إلى الله تعالى بقطعة من قميص حبيبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكيف بصاحب القبر ؟!!! ...

(١) انظر : تلخيص كتاب الاستغاثة (١/١٤٦) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٢٤/٣٢٧) .

(٣) انظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (١٠/٣٣٣) .

وروى الخطيب البغدادي بسنده عن الإمام الشافعي أنه قال: "إني لأتبرك بأبي حنيفة، وأجيء إلى قبره في كل يوم، يعنني زائراً، فإذا عرضت لي حاجة صلّيت ركعتين، وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تقضى" (١).

وقد ذكرنا في هذا الكتاب الكثير الكثير من توشّلات السلف الصالح التي من شأنها أن تُبكّت دعاوى من يزعمون ويدعون السلفيّة...

ثم إن زعم ابن تيمية واعتباره زيارة القبور زيارة بدعيّة شركيّة، أمرٌ لا نستغربه منه، لأنّه سبق له أن اعتبر زيارة قبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصية لا تقصر فيها الصلّاة، وقد ردّ عليه في هذه المسألة أغلب علماء عصره، وكذا من جاء بعده، وكان قوله هذا سبباً في دخوله السّجن، وبقي فيه حتى الوفاة...

والغريب بابن تيمية أنّه يمنع حتى أهل المدينة المنورة من زيارته، ويصرّح بأنّ من سنّته وعمل أهل المدينة أنّهم لا يزورون القبر الشريف على صاحبه أفضل الصلّاة وأزكى السّلام، ويزعم مفترياً على السلف أنّهم متفقون على ذلك، وفي ذلك يقول ابن تيمية: "أنّه لو كان قبر نبينا يزار كما تزار القبور، لكان أهل مدينته أحقّ الناس بذلك، كما أنّ أهل كلّ مدينته أحقّ بزيارة من عندهم من الصّالحين، فلمّا إنفق السلف وأئمّة الدّين على أنّ أهل مدينته لا يزورون قبره بل ولا يقفون عنده للسّلام إذا دخلوا المسجّد وخرجوا، وإنّ لم يُسمّى هذا زيارة بل يُكره لهم ذلك عند غير السّفير، كما ذكر ذلك مالك، ويبيّن أنّ ذلك من البدع التي لم يكن صدر هذه الأمة يفعلونها: علّم أنّ من جعل زيارة قبره مشروعاً كزيارة قبر غيره فقد خالف إجماع المسلمين" (٢).

هذا ما قاله ابن تيمية، وهو كلام خطير لا يقوله إلا من كان في قلبه شيء من سيّد ولد آدم عليه الصلّاة والسّلام، مع أنّ علماء الأُمَّة أجمعوا على استحباب زيارة قبره الشريف بأبي هو وأمّي، قال القاضي عياض: "وزيارة قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنّة من سنن المسلمين مجمّع عليها، وفضيلة مرغّب فيها" (٣).

وقال الإمام عبد الملك بن محمّد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد (٤٥٧هـ): "ثمّ إنّ بلالاً رضي الله عنه رأى في منامه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال؟ أمّا أن لك أن تزورني يا بلال؟ قال: فانتبه حزينا، وجاء خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) انظر: تاريخ بغداد (١/٤٤٥)، وانظر: مناقب أبي حنيفة (ص ٤٥٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/٢٤٣).

(٣) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/١٩٤).

وَسَلَّمَ ، فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه . وأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما فجعل يضمهما ويقبلهما ، فقالا : يا بلال ننتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السحر ، ففعل ، وعلا سطح المسجد فوق موقفه الذي كان يقف فيه ، فلما أن قال : الله أكبر الله أكبر ارتجت المدينة ، فلما أن قال : أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها ، فلما أن قال : أشهد أن محمداً رسول الله ، خرجن العواتق من خدورهن وقالوا : بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال : فما روي يوماً أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك اليوم " (١) .  
والأثر صححه غير واحد من العلماء ، منهم : الذهبي ، والسهمودي ، والشوكاني ، والصالحى ، والزرقاني ... (١)

ومن الأدلة على استحباب زيارة قبره الشريف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من زار قبري وجبت له شفاعتي " . والحديث حسن (٢) .

وتشجيعاً من ابن تيمية لأتباعه كي يهجروا القبر الشريف فقد أرشدهم وأفتاهم بأن السلام على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاة يُغني عن الإتيان إلى القبر للسلام عليه ، لأن إتيانه بعد الصلاة مرة بعد مرة يُعتبر ذريعة لاتخاذ عيداً ووثناً يُعبد من دون الله تعالى ، وفي ذلك يقول ابن تيمية : " وأما إتيان القبر للسلام عليه ،

(١) انظر : شرف المصطفى (٣/١٩٦) ، تاريخ دمشق (٧/١٣٧) .

(٢) انظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٥/٧٧٣) ، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/٣٥٥) ، نيل الأوطار (٥/١١٤) ، سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/٣٥٩) ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٥/٧١) ، بالترتيب .

(٣) قال الأستاذ المحقق محمود سعيد ممدوح : أخرجه الدارقطني في سننه (٢/٢٧٨) ، والدولابي في الكنى والأسماء (٢/٦٤) ، والبيهقي في شعب الإيثار (٣/٤٩٠) ، والخطيب في تلخيص المشابه في الرسم (١/٥٨١) ، وابن الديبشي في الذيل على التاريخ (٢/١٧٠) ، وابن النجار في تاريخ المدينة (ص ١٤٢) ، والعقيلي في الضعفاء (٤/١٧٠) ، وابن عدي في الكامل (٦/٢٣٥٠) ، والسبكي في شفاء السقام (ص ٢ - ١٤) . جميعهم من طرق عن موسى بن هلال العبدي ، عن عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عمر كلاهما عن نافع عن ابن عمر به مرفوعاً . وهذا الإسناد حسن سواء قال موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر أو عن أخيه عبد الله بن عمر أو عنهما . وقد صححه عبد الحق الإشبيلي ، وصححه أو حسنه السبكي في شفاء السقام ، والسيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ، وآخرون ممن تأخروا عنه . وقد أعل هذا الحديث بعلل لا يصح منها شيء لكن لا بد من ذكرها ثم الجواب عليها بدون تكلف إن شاء الله تعالى ... انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة ، محمود سعيد ممدوح ، (ص ٢٨٠) ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .

فَقَدْ اسْتَعْنَوْا عَنْهُ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ وَعِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالخُرُوجِ مِنْهُ ، وَفِي إِتْيَانِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ذَرِيعَةً إِلَى أَنْ يَتَّخِذَ عِيداً وَوَتْنَا " (١) .

ويحضرنى في هذا المقام ما قاله أحد طلابي من المتمسلة ، حيث قال : " من فَضَّلِ اللهُ عليه أنه اعتمر ولم يُزِرْ قبر مُحَمَّدٍ " . نعم قبر مُحَمَّدٍ ، ولم يقل : صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، في الوقت الذي لا ينطقون فيه اسم ابن تيمية إلا وينعتونه بشيخ الإسلام ... - مع أن مُصطلح " شيخ الإسلام بدعة بناء على مقرراتهم ومنطلقاتهم ، حيث لم يُنعت به أحد من أهل قرون الخيرية - فإلى الله المشتكى من قوم حُذِّثوا الألسنة ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، غزيرو اللحية ، مقصِّرين الثياب ، محلِّقن الرؤوس ، يُحسِنون القيل ويسئون الفعل ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء ...

**الْوَقْفَةُ الثَّانِيَّةُ :** أن ابن تيمية ومعه من يدعون السلفية ما فتئوا يبدعون عموم الأمة المحمدية ، حتى صار التبديع سنناً وطريقاً لهم في كلامهم مع غيرهم ، مع أنهم لم يدركوا معنى البدعة أو أنهم يَغْضُؤْنَ الطَّرْفَ عن المعنى الصحيح للبدعة احتراماً لرأي شيخ إسلامهم الذي علمهم ...

فقد بين علماء السلف والخلف على حدٍّ سواء معنى البدعة ، وأنها تنقسم إلى قسمين : بدعة محمودة ، وهي ما وافق الشَّرع ، وبدعة مذمومة ، وهي ما خالف الشَّرع ...

قال الإمام أبو مُحَمَّدٍ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (٤٥٦هـ) : " والبدعة كل ما قيل أو فعل ممَّا ليس له أصل فيما نسب إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو في الدِّين كل ما لم يأت في القرآن ولا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن منها ما يؤجر عليه صاحبه ويعذر بها قصد إليه من الخير ، ومنها ما يؤجر عليه صاحبه ويكون حسناً ، وهو ما كان أصله الإباحة ، كما روي عن عمر رضي الله عنه : " نعمت البدعة هذه " ، وهو ما كان فعل خير جاء النَّصُّ بعموم استحبابه ، وإن لم يقرر عمله في النَّصِّ . ومنها ما يكون مذموماً ، ولا يعذر صاحبه وهو ما قامت به الحجَّة على فساده فتهاذى عليه القائل به " (١) .

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/٤١٧) .

(٢) انظر : الإحكام في أصول الأحكام (١/٤٧) .

قال الإمام أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي المعروف بأبي شامة (٦٦٥هـ): " عن حرملة ابن يحيى : سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول : البدعة بدعتان : بدعة محمودة ، وبدعة مذمومة ، فما وافق السنة فهو محمود ، وما خالف السنة فهو مذموم " (١) .

وقال الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ) : " البدعة بدعتان :

بدعة هدى ، وبدعة ضلال ، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيز الذم والإتيار ، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه الله أو رسوله فهو في حيز المدح ، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة ، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل له في ذلك ثواباً فقال : " من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها " ، وقال في ضده " ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها " (٢) ، وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم . ومن هذا النوع قول عمر رضي الله عنه : نعمت البدعة هذه . لما كانت من أفعال الخير وداخله في حيز المدح سماها بدعة ومدحها ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستنهاهم ، وإنما صلاها ليالي ثم تركها ولم يحافظ عليها ، ولا جمع الناس لها ، ولا كانت في زمن أبي بكر ، وإنما عمر رضي الله عنه جمع الناس عليها وندبهم إليها ، فهذا سماها بدعة ، وهي على الحقيقة سنة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي " ، وقوله : " اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر " ، وعلى هذا التأويل يحمل الحديث الآخر : " كل محدثة بدعة " ، إنها يريد ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة " (٣) .

وقال الإمام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي ، الملقب بسلطان العلماء (٦٦٠هـ) : " البدعة فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهي منقسمة إلى : بدعة واجبة ، وبدعة محرمة ، وبدعة مندوبة ، وبدعة مكروهة ، وبدعة مباحة ، والطريق في معرفة ذلك أن

(١) انظر : الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص ٢٢) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/٧٤ برقم ١٨٤) ، مسند الشاميين (٣/٤٠٧ برقم ٢٥٦٠) ، البيهقي في شعب الإبان (٩/٢٣٩ برقم ٦٦٠٩) .

(٣) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (١/١٠٦-١٠٧) .

تُعْرَضُ الْبِدْعَةُ عَلَى قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ : فَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْإِجَابِ فَهِيَ وَاجِبَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ التَّحْرِيمِ فَهِيَ مُحْرَمَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمُنْدُوبِ فَهِيَ مُنْدُوبَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمَكْرُوهِ فَهِيَ مَكْرُوهَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمُبَاحِ فَهِيَ مُبَاحَةٌ ، وَلِلْبِدْعِ الْوَاجِبَةِ أَمْثَلَةٌ .

أَحَدُهَا : الْإِسْتِعْآلُ بِعِلْمِ النَّحْوِ الَّذِي يُفْهَمُ بِهِ كَلَامُ اللَّهِ وَكَلَامُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَلِكَ وَاجِبٌ لِأَنَّ حِفْظَ الشَّرِيعَةِ وَاجِبٌ وَلَا يَتَأْتَى حِفْظُهَا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ .  
الْمِثَالُ الثَّانِي : حِفْظُ غَرِيبِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ اللَّغَةِ .

الْمِثَالُ الثَّلَاثُ : تَدْوِينُ أُصُولِ الْفِقْهِ .  
الْمِثَالُ الرَّابِعُ : الْكَلَامُ فِي الْجُرْحِ وَالتَّعْدِيلِ لِتَمْيِيزِ الصَّحِيحِ مِنَ السَّقِيمِ ، وَقَدْ دَلَّتْ قَوَاعِدُ الشَّرِيعَةِ عَلَى أَنَّ حِفْظَ الشَّرِيعَةِ فَرَضٌ كِفَايَةٌ فِيمَا زَادَ عَلَى الْقَدْرِ الْمُتَعَيَّنِ ، وَلَا يَتَأْتَى حِفْظَ الشَّرِيعَةِ إِلَّا بِهَا ذَكَرْنَاهُ .

وَلِلْبِدْعِ الْمُحْرَمَةِ أَمْثَلَةٌ . مِنْهَا : مَذْهَبُ الْقَدْرِيَّةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْجَبْرِيَّةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْمُرْجِيَّةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْمُجَسِّمَةِ ، وَالرَّدُّ عَلَى هَؤُلَاءِ مِنَ الْبِدْعِ الْوَاجِبَةِ . وَلِلْبِدْعِ الْمُنْدُوبَةِ أَمْثَلَةٌ . مِنْهَا : إِحْدَاثُ الرُّبُطِ وَالْمُدَارِسِ وَبِنَاءِ الْقَنَاظِرِ ، وَمِنْهَا كُلُّ إِحْسَانٍ لَمْ يُعْهَدْ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ ، وَمِنْهَا : صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ ، وَمِنْهَا الْكَلَامُ فِي دَفَائِقِ التَّصَوُّفِ ، وَمِنْهَا الْكَلَامُ فِي الْجَدَلِ فِي جَمْعِ الْمُحَافِلِ لِلِاسْتِدْلَالِ عَلَى الْمَسَائِلِ إِذَا قُصِدَ بِذَلِكَ وَجْهُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .  
وَلِلْبِدْعِ الْمَكْرُوهَةِ أَمْثَلَةٌ . مِنْهَا : زُخْرَفَةُ الْمَسَاجِدِ ، وَمِنْهَا تَرْوِيقُ الْمُصَاحِفِ ، وَأَمَّا تَلْحِينُ الْقُرْآنِ بِحَيْثُ تَتَغَيَّرُ الْفَظَاظُ عَنْ الْوَضْعِ الْعَرَبِيِّ ، فَالْأَصَحُّ أَنَّهُ مِنَ الْبِدْعِ الْمُحْرَمَةِ .

وَلِلْبِدْعِ الْمُبَاحَةِ أَمْثَلَةٌ . مِنْهَا : الْمُصَافَحَةُ عَقِيبَ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ ، وَمِنْهَا التَّوَسُّعُ فِي اللَّذِيذِ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَكُلُّ الطَّيَالِسَةِ ، وَتَوْسِيعِ الْأَكْهَامِ . وَقَدْ يُخْتَلَفُ فِي بَعْضِ ذَلِكَ ، فَيَجْعَلُهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْبِدْعِ الْمَكْرُوهَةِ ، وَيَجْعَلُهُ آخَرُونَ مِنَ السُّنَنِ الْمَفْعُولَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهِيَ بَعْدَهُ ، وَذَلِكَ كَالِاسْتِعَاذَةِ فِي الصَّلَاةِ وَالْبَسْمَلَةِ (١) .

والغريب في الأمر أن ابن تيمية تناقض مع نفسه في تعريف البدعة ، فأيد وأقر ما قاله الشافعي في تعريف البدعة من غير نكير ، فقال : " ... وَمِنْ هُنَا يُعْرَفُ ضَلَالُ مَنْ ابْتَدَعَ طَرِيقًا أَوْ اعْتَقَادًا رَعِمَ أَنَّ الْإِيْمَانَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَذْكُرْهُ ، وَمَا خَالَفَ النُّصُوصَ فَهُوَ بِدْعَةٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَا لَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ خَالَفَهَا فَقَدْ لَا يُسَمَّى بِدْعَةً ، قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : الْبِدْعَةُ بِدْعَتَانِ : بِدْعَةٌ خَالَفَتْ كِتَابًا وَسُنَّةً وَإِجْمَاعًا وَأَثَرًا عَنْ

(١) انظر : قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ٢٠٤-٢٠٥) .

بَعْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَذِهِ بَدْعَةٌ ضَلَالَةٌ . وَبَدْعَةٌ لَمْ تُخَالَفْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ، فَهَذِهِ قَدْ تَكُونُ حَسَنَةً لِقَوْلِ عُمَرَ : نِعِمَّتِ الْبَدْعَةُ هَذِهِ . هَذَا الْكَلَامُ أَوْ نَحْوَهُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ الصَّحِيحِ فِي الْمُدْخَلِ " . (١) .

وعلى كل حال فهذا ما قاله أساطين العلم في تعريف البدعة ... ولو دققنا في التعريف لرأينا أن ابن تيمية هو المبتدع بدعاً تصطدم مع مُحكم الكتاب وصحيح السُّنة ... فهو من ابتدع : القول بحدوث لا أول لها ، وقال بالقدم النوعي للعالم ، وقال بأن الله تعالى جسم ، وقال بالحدُّ لله تعالى ، وقال بأن الله تعالى بقدر العرش لا أكبر منه ولا أصغر ، وقال بتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام حتى غدا التوحيد تعديداً ، وقال بأن القرآن محدثٌ في ذاته تعالى ، وقال بأن إنشاء السفر لزيارة نبيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصية لا تُقصر فيها الصلاة ، وقال بأن نبيِّنا عليه الصلاة والسلام ليس له جاه ، ولا يتوسَّل به أحد ، و و و و ...

وتمادى القومُ في غيِّهم وضلالهم فاعتبروا التَّوسُّلَ ضرباً من ضروب الشُّرك ، فقد جاء في كتاب " فتح المجيد " : " وكلُّ من دعا نبياً أو ولياً من دون الله ، فقد اتخذها لهاً وضاهأ النَّصارى في شركهم ، وضاهأ اليهود في تفریطهم . فإنَّ النَّصارى غلوا في عيسى - عليه السلام - واليهود عادوه ، وسبُّوه ، وتنقَّصوه . فالنَّصارى أفرطوا ، واليهود فرطوا " (٢) .

فهل من نقلنا توشلاتهم بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذا بالأولياء والصالحين في هذا الكتاب اتَّخذوا من توسَّلوا به آهة من دون الله وضاهأوا النَّصارى واليهود في إفراطهم وتفریطهم ؟!!! كبرت كلمة تخرُج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ...

وَحَكَمَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ الْجَزَائِرِيُّ عَلَى الْمُتَوَسِّلِينَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي دَعَائِهِمْ اللَّهُ تَعَالَى بِالْكَفْرِ وَالْخُلُودِ فِي النَّارِ ، فَقَالَ : " إِنَّ دَعَاءَ الصَّالِحِينَ وَالِاسْتِغَاثَةَ بِهِمْ ، وَالتَّوَسُّلَ بِجَاهِهِمْ ، لَمْ يَكُنْ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى قُرْبَةً ، وَلَا عَمَلًا صَالِحًا فَيَتَوَسَّلُ بِهِ أَبَدًا ، وَإِنَّمَا كَانَ شُرْكَاً فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، مُحَرَّمًا ، يَخْرُجُ فَاعِلُهُ مِنَ الدِّينِ !!! وَيُوجِبُ لَهُ الْخُلُودَ فِي جَهَنَّمَ " (٣) .

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٦٣/٢٠) ، درء تعارض العقل والنقل (١/٢٤٩) .

(٢) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٢١٩) .

(٣) انظر : عقيدة المؤمن ، أبو بكر الجزائري (ص١٤٤) .

وكأني بأبي بكر الجزائري في هذا النَّصِّ يُنصَّبُ نفسه حاكماً يملك مفاتيح الجنان ، فلا يمنحها إلا لشيئته من غير المتوسّلين ، ويملك مفاتيح النيران ، يُدخل فيها جميع من خالفه في مسألة التَّوسُّل وغيرها ، بعد أن أخرجهم من ربة الدِّين ، وحكم عليهم بالخلود في جهنم ...

وقال عالمهم محمّد أحمد باشميل : " أبو جهل وأبو لب أكثر توحيداً وأخلص إيماناً بالله من المسلمين الذين يقولون الشَّهادتين ، لأنهم يتوسَّلون بالأولياء (١) ...

والكتاب المذكور كان يوزَّع مجاناً في مواسم الحجِّ ، فانتشر التَّكفير بهذه الطَّريقة في مختلف بلدان العالم الإسلامي ، والعياذ بالله .

والباشميل في كلامه السَّابق يجعل كُبراء الكفر والشُّرك والوثنيَّة وفراغته أكثر توحيداً وأخلص إيماناً بالله من المسلمين الذين ينطقون الشَّهادتين بسبب توصلهم إلى الله تعالى بالأنبياء والأولياء ... مع العلم أن الرِّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعت أبا جهل بأنَّه فرعون الأُمَّة ، فقد روى أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : " هَذَا فِرْعَوْنُ أُمَّتِي " (٢) .

ومن المعلوم أن فرعون هو الذي قال لسيدنا موسى عليه السَّلام : ﴿لَئِنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾ [الشعراء : ٢٩] ، وهو القائل : ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص : ٣٨] ، وهو القائل : ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات : ٢٤] . والباشميل بكلامه السَّابق يكفِّر عموم الأُمَّة ... فهل صناديد الشُّرك والكفر والإلحاد وفراغته أكثر توحيداً وأخلص إيماناً بالله من المسلمين المؤمنين الموحِّدين المتوسِّلين إليه سبحانه بوسيلة محبوبه لديه سبحانه ؟ !!!

ونحن لا نستغرب هذه المجازفة الخطيرة من هذا الباشميل وغيره من مُدَّعي السِّلَفِيَّة ، لأنَّ هذا الصَّنيع شنيئة سار عليها مدَّعو السِّلَفِيَّة في تكفير الأُمَّة المحمَّديَّة ، وهو أمرٌ دفعني لتتبُّع تكفيراتهم المبتوثة في كتبهم ، وقد تكفَّلت المادَّة العلميَّة المعدَّة لهذا الأمر بصناعة سفرٍ زادت صفحاته على ستمائة صفحة ، سمَّيته : " تَكْفِيرُ الْوَهَابِيَّةِ لِعُمُومِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ " ...

(١) انظر : كيف أفهم التَّوحيد (ص ١٦) .

(٢) أخرجه أحمد (١/٤٠٣ رقم ٣٨٢٥) .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهّاب بن سليمان التّميمي النّجدي (١٢٠٦هـ): " أنّ التّوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة ، وهو دين الرّسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده . فأولهم نوح - عليه السّلام - أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصّالحين ودّاً ، وسواعاً ، ويغوث ، ونسراً . وآخر الرّسل محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصّالحين ، أرسله الله إلى أناس يتعبّدون !!! ويحجّبون !!! ويتصدّقون !!! ويذكرون الله كثيراً !!! ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله " (١) .

ومراده من هذا الكلام : أنّ النّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قاتل من يتعبّدون ، ويتصدّقون ، فلا مانع يمنع من قتالهم ، لأنّ التّشابه بين من أرسل الرّسول إليهم ومن يعيشون في زماننا واحد ، ولذلك أراق ابن عبد الوهّاب دماء عشرات بل مئات الألوّف ممن خالفوا دعوته ، ولم ينظروا تحت إمّرتهم ، مستحلاًّ ذلك ، داعياً إليه ، بحجّة المحافظة على التّوحيد ...

ثم إنّ ابن عبد الوهّاب المنعوت عند من يدعون السّلفيّة بشيخ الإسلام المجدّد للتّوحيد ، يزعم أنّ النّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسل إلى قوم يتعبّدون !!! ويحجّبون !!! ويتصدّقون !!! ويذكرون الله كثيراً !!! وأنّ خطّهم الوحيد فقط هو أنّهم جعلوا بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ...

إذن وظيفة الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت فقط من أجل محاربة التّوسّل والتّوسّلين ، وأنّ من أرسل فيهم كانوا على قلب رجل واحد في التّوحيد خلا مسألة التّوسّل ... كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً ...

وما كان منهم هذا وغيره إلاّ بسبب ما اخترع لهم منظرهم وموجههم وكبيرهم الذي علّمهم ... ابن تيمية ، حيث اخترع لهم وابتكر القول بتقسيم التّوحيد إلى ثلاثة أقسام ، هي : توحيد الرّبوبيّة ، وتوحيد الألوهيّة ، وتوحيد الأسماء والصفات ، مع أنّ هذا التّقسيم لم يقل به أحد من العالمين بالصّورة التي قسّمه عليها وأراده من خلاها ابن تيمية ، وقد أوحى لهم فيه أنّ الكفرة والمشركين موحدّين لله تعالى توحيد ربوبيّة ، لكنّهم ليسوا موحدّين توحيد ألوهيّة ، ولذلك أدخلوا التّوسّلين بالأنبياء والصّالحين في هذا المدخل فحكموا بشركهم وكفرهم ، والعياذ بالله تعالى ...

وفي هذا يقول ابن تيمية عن علماء الأئمّة من المتكلّمين : " وَهَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُتَأَخَّرُونَ الَّذِينَ خَلَطُوا الْفَلْسَفَةَ بِالْكَلامِ كَثُرَ اضْطِرَابُهُمْ وَشُكُوكُهُمْ وَحَيْرَتُهُمْ بِحَسَبِ مَا أَزْدَادُوا بِهِ مِنْ ظُلْمَةِ هَؤُلَاءِ الْمُتَفَلِّسَةِ الَّذِينَ

(١) انظر : كشف الشبهات (ص ٣) .

خَلَطُوا الْفَلَسَفَةَ بِالْكَلامِ . فَأَوْلَيْكَ قَلَّتْ ظَلَمَتُهُمْ بِمَا دَخَلُوا فِيهِ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْمِلَلِ ، وَهُؤُلَاءِ كَثُرَتْ ظَلَمَتُهُمْ بِمَا دَخَلُوا فِيهِ مِنْ كَلَامِ الْمُتَفَلِّسَةِ .

هَذَا مَعَ أَنَّ فِي الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ مِنَ الْإِضْطِرَابِ وَالشُّكِّ فِي أَشْيَاءَ ، وَالخُرُوجِ عَنِ الْحَقِّ فِي مَوَاضِعَ ، وَاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ فِي مَوَاضِعَ ، وَالْتَقْصِيرِ فِي الْحَقِّ فِي مَوَاضِعَ مَا ذَمَّهُمْ لِأَجْلِهِ عُلَمَاءُ الْمِلَّةِ وَأَيْمَّةُ الدِّينِ ، فَإِنَّهُمْ قَصَرُوا فِي مَعْرِفَةِ الْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، فَعَدَلُوا عَنْهَا إِلَى طُرُقٍ أُخْرَى مُبْتَدِعَةٍ فِيهَا مِنَ الْبَاطِلِ مَا لِأَجْلِهِ خَرَجُوا عَنْ بَعْضِ الْحَقِّ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ ، وَدَخَلُوا فِي بَعْضِ الْبَاطِلِ الْمُبْتَدِعِ ، وَأَخْرَجُوا مِنَ التَّوْحِيدِ مَا هُوَ مِنْهُ كَتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَإِتِّبَاتِ حَقَائِقِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفُوا مِنَ التَّوْحِيدِ إِلَّا تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَهُوَ الْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ . وَهَذَا التَّوْحِيدُ كَانَ يُقَرَّبُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان : ٢٥] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٦-٨٧] وَقَالَ عَنْهُمْ : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

قَالَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ : يَقُولُ هُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ فَيَقُولُونَ : اللَّهُ ، وَهُمْ مَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ . وَإِنَّمَا التَّوْحِيدُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ الْعِبَادَ هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ ، الْمُتَضَمِّنُ لِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ ، بِأَنَّ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئاً ، فَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ " (١) .  
 ولنا على كلام ابن تيمية هذا ملاحظتين :

الملاحظة الأولى : أَنَّهُ اتَّهَمَ الْمُتَكَلِّمِينَ بِأَتَمِّ خَلَطُوا الْفَلَسَفَةَ بِالْكَلامِ ، وَلِذَلِكَ اضْطَرَبَ كَلَامُهُمْ ، وَازْدَادَتْ شُكُوكُهُمْ وَحَيْرَتُهُمْ ، وَازْدَادُوا ظَلَمَةَ مِنَ ظَلَمَةِ الْفَلَسَفَةِ ... مَعَ أَنَّ النَّاطِرَ فِي كِتَابِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ يَجِدُ أَنَّ كَلَامَهُ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ تَمَاماً بِشَهَادَةِ تَلْمِيذِهِ الذَّهَبِيِّ الَّذِي وَجَّهَ لَهُ رِسَالَةً اشْتَهَرَتْ بِاسْمِ : " الرِّسَالَةُ الذَّهَبِيَّةُ " ، نَصَحَ فِيهَا شَيْخَهُ ابْنَ تَيْمِيَّةَ لِلْعُدُولِ عَنْ غِيِّهِ وَضَلَالِهِ وَنَبَشَهُ لِدَقَائِقِ الْكُفْرِيَّاتِ الْفَلَسَفِيَّةِ ، وَأَتَمَّهُمْ فِيهَا بِلِغِ سُمُومِ الْفَلَسَفَةِ وَتَصْنِيفَاتِهِمْ مَرَّاتٍ ، وَنَصَّ الرِّسَالَةَ هُوَ : " الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلَّتِي ، يَا رَبِّ ارْحَمْنِي وَأَقْلِنِي عَثْرَتِي ، وَاحْفَظْ عَلَيَّ إِيْمَانِي ، وَاحْزَنَاهُ عَلَى قَلَّةِ حَزْنِي ، وَأَسْفَاهُ عَلَى السُّنَّةِ وَذَهَابِ أَهْلِهَا ، وَاشْوَقَاهُ إِلَى إِخْوَانِ مُؤْمِنِينَ يَعَاوَنُونَنِي عَلَى الْبِكَاءِ ،

(١) انظر : منهاج السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ فِي نَفْضِ كَلَامِ الشَّيْخَةِ الْقَدْرِيَّةِ (٣/ ٢٨٨-٢٩٠) .

واحزناه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيرات ، آه على وجود درهم حلال وأخ مؤنس .

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وتباً لمن شغله عيوب الناس عن عيبه ، إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك ؟ إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعبارتك وتذم العلماء ، وتتبع عورات الناس مع علمك بنهي الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تذكروا موتاكم إلا بخير ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا " (١) ، بلى أعرّف إنك تقول لي لتنصّر نفسك : إنما الواقعة في هؤلاء الذين ما شتموا رائحة الإسلام ولا عرفوا ما جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جهاد ، بلى والله عرفوا خيراً ممّا إذا عمل به العبد فقد فاز ، وجهلوا شيئاً كثيراً ممّا لا يعينهم و" من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " (٢) .

يا رجل ، بالله عليك كفّ عنّا ، فإنك محجاجٌ عليم اللسان لا تقرّ ولا تنام ، إياكم والأغلوطن في الدّين ، كره نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السُّؤال ، وقال : " إنَّ أخوف ما أخاف على أمّتي كل منافق عليم اللسان " (٣) ، وكثرة الكلام بغير زلل تقسي القلب إذا كان في الحلال والحرام ، فكيف إذا كان في عبارات اليونسيّة والفلاسفة وتلك الكفريات التي تعمي القلوب ؟ والله قد صرنا ضحكة في الوجود ، فإلى كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفيّة بعقولنا ، يا رجل قد بلعت سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرّات ، وكثرة استعمال السُّموم يدمن عليه الجسم وتكمن والله في البدن . واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبّر ، وخشية بتدكّر ، وصمت بتفكّر ، واهماً لمجلس يُذكر فيه الأبرار ، فعند ذكر الصّالحين تنزل الرّحمة ، لا عند ذكر الصّالحين يُذكرون بالازدراء واللعنة ، كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما ، بالله خلّونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب ، وجدوا في ذكر بدع كُنّا نعدّها من أساس الضّلال ، قد صارت هي محض السنّة وأساس التّوحيد ، ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار ، ومن لم يكفّر فهو أكفر من فرعون ، وتعدّ النّصارى مثلنا ، والله في القلوب شكرك إن سلّم لك إيمانك بالشّهادتين فأنت سعيد .

يا خيبة من أتبعك فإنّه مُعرّضٌ للزّندقة والانحلال !!! ولا سيّما إذا كان قليل العلم والدّين باطوليّاً شهوانيّاً ، لكنّه ينفك ويجاهد عنك بيده ولسانه وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه ، فهل معظم أتباعك إلاّ قعيّد

(١) أخرج الشق الأوّل منه : الطيالسي في المسند (٣/ ٩٥ برقم ١٥٩٧) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٦٤ برقم ٥٣) ، وغيره ...

(٣) أخرجه أحمد في المسند ، (١/ ٢٨٩ برقم ١٤٤) ، وغيره ...

مربوط خفيف العقل ، أو عامي كذّاب بليد الدّهن ، أو غريب واجم قوي المكر ، أو ناشف صالح عديم الفهم ، فإن لم تصدّقني ففتشهم وزنهم بالعدل .

يا مسلم ، أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك ، إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار ؟ إلى كم تصدقها وتزدرى الأبرار ، إلى كم تعظمها وتصغر العباد ، إلى متى تُحَالِلُهَا وتمتق الزهّاد ، إلى متى تمدح كلامك بكيفيّة لا تمدح بها والله أحاديث الصّحيحين ، يا ليت أحاديث الصّحيحين تسلم منك بل في كلّ وقت تُغيّرُ عليها بالتّضعيف والإهدار ، أو بالتأويل والإنكار .

أما أن لك أن ترعوي ؟ أمّا حان لك أن تتوب وتنيب ، أمّا أنت في عشر السّبعين وقد قرب الرّحيل . بل والله ما أذكر أنّك تذكر الموت بل تزدرى بمن يذكر الموت ، فما أظنّك تُقبل على قولي ولا تُصغي إلى وعظي ، بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلّدات وتقطع لي أذنان الكلام ، ولا تزال تنتصر حتى أقول لك : والبتّة سكت .

فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشّفوق المحبّ الواد ، فكيف يكون حالك عند أعدائك ، وأعداؤك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء ، كما أنّ أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر .

قد رضيتُ منك بأن تسبّني علانية ، وتتفع بمقالتي سرّاً : " فرحم الله امرءاً أهدي إليّ عيوي " (١) ، فإني كثير العيوب غزير الذنوب ، الويل لي إن أنا لا أتوب ، ووافضيحتي من علامّ الغيوب ، ودوائي عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته ، والحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على سيّدنا محمّد خاتم النبيّين ، وعلى آله وصحبه أجمعين " (٢) .

والرّسالة ثابتة لا مجال للطّعن فيها ، وذلك لـ :

١- أنّ الإمام الدّهبي تلميذ من تلاميذ ابن تيمية المشهورين ، وهو لا يعتقد في ابن تيمية العصمة ، بل خالفه وناقشه في العديد من المسائل ، قال الإمام الدّهبي في معرض كلامه عن ابن تيمية ، على ما نقله عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني : " وأنا لا أعتقد فيه عصمة ، بل أنا مُخَالِفٌ لَهُ فِي مَسَائِلٍ أُصْلِيَّةٍ وَفِرْعِيَّةٍ !!! ... " (٣)

(١) أخرجه من كلام عمر بن الخطّاب : الدارمي (١/٥٠٦ برقم ٦٧٥) .

(٢) انظر : السيف الصقيل في الردّ على ردا ابن زفيل (ص ٢١٧-٢١٩) .

(٣) انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/١٧٦) .

وقال الذهبي في " تذكرة الحفاظ " في حديثه عن ابن تيمية : " وقد انفرد بفتاوى نيل من عرضه لأجلها ، ... فالله تعالى يسامحه ويرضى عنه ، وكلُّ أحد من الأمة فيؤخذ من قوله ويترك " (١) .

وهذا بعكس من يدعون السلفية في زماننا ، أولئك الذين أضفوا على كلام ابن تيمية هالة عظيمة من الجلال والإعظام ، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى الاعتقاد بأن كلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بل دليل أننا لم نر عالماً منهم تجاسر على تخطئة ابن تيمية ، اللهم إلا الألباني - فيما أطلعت - وقد ناقشه وخالفه على استحياء ، بل أنه حين ناقشه في مسألة فناء النار ذكر أن لابن تيمية أجراً !!! فيما اجتهد فيه من القول بفناء النار ، مع أنها مسألة لا مجال فيها للاجتهاد ...

فلا مجال البتة لاعتقاد عدم صحة نسبة الرسالة للإمام الذهبي ، لأن الدين النصيحة ، والإنسان أيّاً كان لا يستغني عن النصيحة ، والرسالة برمتها ما خرجت إلا مخرج النصيحة ، وقد وصف الإمام الذهبي أتباع ابن تيمية في النصيحة بقوله : " يا خيبة من أتبعك ، فإنه معرض للزندقة والانحلال ، لاسيّما إذا كان قليل العلم والدين باطولياً شهوانياً . لكنه ينفعل ويجاهد عنك بيده ولسانه ، وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه ، فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل ، أو عامي كذاب بليد الذهن أو غريب واجم ، قوي المكر أو ناشف صالح عديم الفهم ، فإن لم تصدقني ففتشهم وزنهم بالعدل ... كما أن أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعود وبقر " . ففي هذا المقطع قيم ووزن الذهبي أتباع ابن تيمية ممن يدعون السلفية ، وهذا مدعاة لأن يراجعوا أنفسهم ، فقد وصف أتباعه بأن منهم القعيد والمربوط وخفيف العقل ، وبليد الذهن وقوي المكر ، كما أن أوليائه فيهم الفجرة والكذبة والبقر والعود . وفي هذا إشارة إلى أن فكرهم فيه جهل وكذب . وكم تمنى أن تكون نصيحة الإمام الذهبي لشيخه ابن تيمية مدعاة للمدعي السلفية في زماننا كي يراجعوا حساباتهم وأنفسهم ، خاصة وأنهم ما تركوا عالماً من غير طريقتهم إلا وصموه بالكفر والنفاق والتعطيل والتجهّم والفسق والضلال ...

٢- أن الإمام الذهبي انتقد ابن تيمية غير مرّة ، من ذلك قوله : " فإن برعت في الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة والفلسفة ، وآراء الأوائل ومجازات العقول ، واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسنة وأصول السلف ، ولفقت بين العقل والنقل ، فما أظنك في ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقربها ، وقد رأيت ما آل أمره إليه من الخط عليه ، والهجر والتضليل والتكفير والتكذيب بحق وباطل ، فقد كان قبل أن يدخل في هذه

(١) انظر : تذكرة الحفاظ (٤٤/١٩٢) .

الصَّنَاعَةِ مَنْوَرًا مُضِيئًا ، عَلَى مِحْيَاهُ سِيَمَا السَّلَفِ ، ثُمَّ صَارَ مُظْلِمًا مَكْسُوفًا ، عَلَيْهِ قَتْمَةٌ عِنْدَ خِلَاطِقِ مِنَ النَّاسِ ، وَدَجَالًا أَفَّاكًا كَافِرًا عِنْدَ أَعْدَائِهِ ، وَمَبْتَدَعًا فَاضِلًا مُحَقِّقًا بَارِعًا عِنْدَ طَوَائِفِ مِنَ عَقَلَاءِ الْفَضْلَاءِ ، وَحَامِلَ رَايَةَ الْإِسْلَامِ وَحَامِيَ حُوزَةِ الدِّينِ وَمَحْيِي السُّنَّةِ عِنْدَ عَوَامِّ أَصْحَابِهِ " (١) .

فَالذَّهَبِيُّ ذَمَّ ابْنَ تَيْمِيَةَ بِسَبَبِ خَوْضِهِ بِالْفَلَسَفَةِ ، وَهَذَا الذَّمُّ مِنْهُ يَنْسِفُ مَدْحَهُ لَهُ فِي " تَذَكُّرَةِ الْحَفَاطِ " حِينَ قَالَ : " فَمَا رَأَيْتَ مِثْلَهُ " (٢) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : " فَوَاللَّهِ مَا رَمَقْتُ عَيْنِي أَوْسَعَ عِلْمًا وَلَا أَقْوَى ذِكَاةً مِنْ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ تَيْمِيَةَ ، مَعَ الرَّهْدِ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَلْبَسِ وَالنِّسَاءِ ، وَمَعَ الْقِيَامِ فِي الْحَقِّ وَالْجِهَادِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ ، وَقَدْ تَعَبْتُ فِي وَزْنِهِ وَفَتَشَّتْهُ حَتَّى مَلَلْتُ فِي سَنِينَ مُتَطَاوِلَةٍ ، فَمَا وَجَدْتُ قَدْ أُخْرَهُ بَيْنَ أَهْلِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَمَقْتَتَهُ نَفُوسَهُمْ وَازْدَرَوْا بِهِ وَكَذَّبُوهُ وَكَفَرُوهُ إِلَّا الْكِبَرَ وَالْعَجَبَ ، وَفَرَطَ الْغَرَامِ فِي رِيَاةِ الْمَشِيخَةِ وَالْإِزْدِرَاءِ بِالْكَبَارِ ، فَانظُرْ كَيْفَ وَبَالَ الدَّعَاوِيِّ وَمِحْبَةَ الظُّهُورِ ، نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْمَسَاحَةَ ، فَقَدْ قَامَ عَلَيْهِ أَنْاسٌ لَيْسُوا بِأَوْرَعٍ مِنْهُ ، وَلَا أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَلَا أَزْهَدَ مِنْهُ ، بَلْ يَتَجَاوِزُونَ عَنِ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ وَأَثَامِ أَصْدِقَائِهِمْ ، وَمَا سَلَّطَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِتَقْوَاهُمْ وَجَلَالَتِهِمْ بَلْ بِذُنُوبِهِ ، وَمَا دَفَعَهُ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنِ اتِّبَاعِهِ أَكْثَرَ ، وَمَا جَرَى عَلَيْهِمْ إِلَّا بَعْضُ مَا يَسْتَحِقُّونَ ، فَلَا تَكُنْ فِي رَيْبٍ مِنْ ذَلِكَ " (٣) .

٣- أثبت رسالة الإمام الذهبي لشيخه ابن تيمية الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ) ، فقال : " وقد رأيت له - أي للذهبي - عقيدة مجيدة ، ورسالة كتبها لابن تيمية هي لدفع نسبته لمزيد تعصبه مفيدة " (٤) .

وكذلك أثبتتها الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف ، فقال عن الرسالة : " وهي رسالة بعث بها الذهبي إلى شيخه ورفيقه أبي العباس ابن تيمية الحراني ينصحه فيها ويعاتبه في بعض تصرفاته ، وهي رسالة مفيدة في تبيان عقيدة الذهبي وقد ذكرها السخاوي في الإعلان ... وذهب بعضهم إلى القول بأنها مزورة ، ولا عبرة بذلك " (٥) .

(١) انظر : زغل العلم (ص ٤٢) .

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ (١٩٢/٤٤) .

(٣) انظر : زغل العلم (ص ٣٨) .

(٤) انظر : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧٧) .

(٥) انظر : الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام (ص ١٤٦) .

وذكر الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف نُسخ الرسالة ، وأنها موجودة في : دار الكتب المصرية بخط تقي الدين ابن قاضي شهبة الأسيدي المتوفى سنة (٨٥١هـ) رقم (١٨٨٢٣) ، وفي : دار الكتب الظاهرية برقم (١٣٤٧) ، وقد نقلتها من كتاب : " السيف الصّقل في الردّ على ابن زفيل " للإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة (٧٥٦هـ) ...

الملاحظة الثانية : أنه قسّم التوحيد إلى أقسام ثلاثة : ربوبية ، وألوهية ، وأسماء وصفات . وهذا التقسيم ما سبقه إليه أحد من العالمين ، ولم يقل به أحد من السلف الذي يزعم أنه يقول بقولهم ، وقد اعتاد أتباعه ممن يدعون السلفية ظلماً وزوراً وبهتاناً وعدواناً على هذا التقسيم في مؤلفاتهم ومصنفاتهم ، وكان من أشهرهم : ابن أبي العز شارح العقيدة الطحاوية ، الذي خالف عقيدة الطحاوي في أمور عديدة لا يستحق بسببها أن يُسمى شرحه باسمها ، وقد ذكرتها في كتابي : " إرشاد الفحول إلى ما قاله أساطين العلم في تنزيه الله عن الحركة والنزول " ، ولذلك قال عنه الإمام علي القاري الحنفي : صاحب مذهب باطل تابع لطائفة من المبتدعة ...

وفي الردّ على هذا التقسيم المبتدع ، قال الإمام محمد العربي التباني الشهير بأبي حامد مرزوق (١٣٩٠هـ) : " ... لم يقل الإمام أحمد بن حنبل الذي انتسب إليه كذباً لأصحابه : إن التوحيد قسمان : توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وإن من لم يعرف توحيد الألوهية لا تعتبر معرفته لتوحيد الربوبية ، لأن هذا يعرفه المشركون ، وهذه عقيدة الإمام أحمد مدونة في مصنفات أتباعه في مناقبه لابن الجوزي ، وفي غيره ليس فيه هذا الهذيان .

الوجه الثاني : لم يقل أي واحد من أتباع التابعين لأصحابه : إن التوحيد قسمان : توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وإن من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية ، فلو اجتمع معه الثقلان على إثباته عن أي واحد منهم لا يستطيعون .

الوجه الثالث : لم يقل أي واحد من التابعين لأصحابه : إن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، فلو اجتمع معه الثقلان على إثباته عن أي واحد منهم لا يستطيعون .

الوجه الرابع : لم يقل أي صحابي من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلّم ورضي عنهم أن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وأن من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية ، لأن هذا يعرفه المشركون ، وإني أتحدّى كل من له إلمام بالعلم أن ينقل لنا هذا التقسيم المخترع عنهم ، ولو برواية واهية .

الوجه الخامس : لم يأت في سنة النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الواسعة التي هي بيان لكتاب الله عزَّ وجلَّ من صحاح وسنن ومسانيد ومعاجم ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول لأصحابه ويعلمهم أَنَّ التَّوْحِيدَ ينقسم إلى توحيد الرُّبُوبِيَّةِ وتوحيد الأُلُوهِيَّةِ ، وَأَنَّ من لم يعرف توحيد الأُلُوهِيَّةِ لا يعتدُّ بمعرفته لتوحيد الرُّبُوبِيَّةِ ، لِأَنَّ هذا يعرفه المشركون ، فلو اجتمع معه الثَّقَلَانِ على إثبات هذا الهذيان عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْنَادٍ ولو واهياً لا يستطيعون .

الوجه السَّادس : بل كُتِبَ السُّنَّةُ طافحة بأنَّ دعوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إلى الله كانت إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله ، وخلع عبادة الأوثان ، ومن أشهرها : حديث معاذ بن جبل لما أرسله النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن ، فقال له : " ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أنَّ عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ... الحديث " .

وروى الخمسة وصحَّحه ابن حَبَّانَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبره أعرابي برؤية الهلال ، فأمر بالصَّيام ولم يسأله النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عن الإقرار بالشَّهادتين ، وكان اللازم على هذيانه هذا أن يدعو النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميع النَّاسَ إلى توحيد الأُلُوهِيَّةِ الذي جهلوه ، وأما توحيد الرُّبُوبِيَّةِ فقد عرفوه ! ويقول لمعاذ : ادعهم إلى توحيد الأُلُوهِيَّةِ ! ويقول للأعرابي الذي رأى هلال رمضان هل تعرف توحيد الأُلُوهِيَّةِ ؟!

الوجه السَّابع : لم يأمر الله في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه عباده بتوحيد الأُلُوهِيَّةِ ، ولم يقل لهم : إنَّ من لم يعرفه لا يعتدُّ بمعرفته لتوحيد الرُّبُوبِيَّةِ ، بل أمر وهو :  
الوجه الثَّامن : بكلمة التَّوْحِيدِ مطلقة ، قال الله تبارك وتعالى مخاطباً نبيه صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] ، وهكذا جميع آيات التَّوْحِيدِ المذكورة في القرآن ، مع سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن .

الوجه التَّاسع : يلزم على هذا الهذيان على الله تبارك وتعالى لعباده حيث عرفوا كلَّهم توحيد الرُّبُوبِيَّةِ ولم يعرفوا توحيد الأُلُوهِيَّةِ - أن يبيِّن لهم ولا يضلِّهم ولا يعذبهم على جهلهم نصف التَّوْحِيدِ ولا يقول لهم : ﴿أَيُّوْمَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُمْ عَلَيْكُمْ وَعَمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطَّرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] ، نعوذ بالله من زلقات اللسان ، وفساد الجنان .

الوجه العاشر : الإله هو الربُّ ، والربُّ هو الإله ، فهما متلازمان يقع كلُّ منهما في موضع الآخر ، وكتاب الله تعالى طافح بذلك ، وكذلك سنَّته عليه الصَّلَاة والسَّلَام ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] ، وكان اللازم - على زعمه - حيث كانوا يعرفون توحيد الربوبية ولا يعرفون توحيد الألوهية أن يقول الله : (اعبدوا إلهكم) !!

وقال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] الآية ، وكان اللازم - على زعمه حيث كان التمرود يعرف توحيد الربوبية ويجهل توحيد الألوهية - أن يقول الله تعالى : (ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في إلهه) !!

وكان اللازم على زعمه أن يقول الله في قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] !!

وكان اللازم على زعمه أن يقول الله في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢] ، هل يستطيع إلهك ، وكان اللازم على زعمه أن يقول الله في قوله تعالى : ﴿تُحَرِّمُونَ كَفْرًا بَرِّهْتُمْ بَعْدَ لَوْلَا﴾ [الأنعام: ١] ، لأنَّ الربَّ يعرفونه ، وهو شيء كثير في القرآن ...

الوجه الثلاثون : جعله التَّوَسُّل والاسْتِغَاثَة عبادة للمتوسَّل به والمستغاث به والمستعان به !!  
 قوله : ( وهم مع ذلك يعبدون غيره ) فاسد أيضاً ، ومعناه يقول أحمد بن تيمية الملبَّس بلفظ ( الطَّائِفَة ) ، والْمَلْبَس أيضاً المدَّعي أنَّه ( من السَّلف ) للمالكية والشافعية والحنفية ومستقيمي العقيدة من الحنابلة ( من خلق السموات والأرض فيقولون الله ) ، وهم مع اعترافهم بتوحيد الربوبية مشركون في رأيه لأنَّهم ( يعبدون غيره ) ، أي : يتوسَّلون بالنبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبالصَّالحين من أمته ، ويستغيثون ويستعينون بهم ، وكلُّ من التَّوَسَّل والاستعانة والاسْتِغَاثَة عبادة غير الله تعالى في زعمه !!

وقد اعتمد في تكفير المسلمين بهذه الألفاظ على إرادة نفع جاه المتوسَّل به أو المُسْتِغَاث به مثلاً ، قياساً على عبدة الأوثان بجامع الإرادة المذكورة في كلِّ ، وهو قياس فاسد من سنَّة أوجه :

الأوَّل : جهله حقيقة العبادة ، فإنَّ العبادة لغة : أقصى نهاية الخضوع والتذلل بشرط نية التقرب ، ولا يكون ذلك إلا لمن له غاية التَّعظيم ، فقد تبين منه أنَّ العبادة لغة لا تُطلق إلا على العمل الدال على الخضوع المتقرب به

لمن يعظمه باعتقاد تأثيره في النَّفْع والضَّر ، أو اعتقاد الجاه العظيم الذي ينفعه في الدُّنيا والآخرة ، وهي التي نهى الله سبحانه وتعالى عن أن تقع لغيره ، وكفر من لم ينته عنها ، وما قصر عن هذه المرتبة لا يقال فيه عبادة لغير الله .  
وشرعاً : امتثال أمر الله كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه أمر ، مع المبادرة بغاية الحبِّ والخضوع والتَّعظيم ، فاعتبر فيها ما اعتبر في اللغويَّة من الخضوع والتَّذلل والتَّعظيم .

فاللغويَّة غير مقيَّدة بعمل مخصوص والشَّرعيَّة مقيَّدة بالأعمال المأمور بها ، فكانت جارية على الأعمِّ الأغلب في الحقائق الشَّرعيَّة من كونها أخصَّ من اللغويَّة .

ومن أجل اختصاصها بالمأمور به خرجت عبادة اليهودي مثلاً ، لأنَّه وإن تَمَسَّك بشريعة إلَّا أنَّها لما كانت منسوخة كانت كأن لم تكن ، وعبادة المبتدع في الدِّين ما ليس منه ، والله سبحانه لمَّا نهى الكفَّار عمَّا هم مشتغلون به من عبادة غيره ، ووبَّخهم على وضع الشَّيء في غير محلِّه وتعظيمهم غير أهله ، وبيَّن لهم بالدلائل الواضحة عدم صلوحية ما اتَّخذوه من دونه لما اتَّخذوه إليه ، وكان الحامل لهم على ذلك أتباع أهوائهم ، والاسترسال مع أغراضهم ، وذلك مناف لعبوديتهم ، إذا العبد لا يتصرَّف في نفسه بمقتضى شهوته وغرضه ، وإنَّما يتصرَّف على مقتضى أمر سيِّده ونهيه ، قصد سبحانه أن يخرجهم عن داعية أهوائهم واتباع أغراضهم ، حتى يكونوا عبيداً لله تعالى ، اختياراً كما هم عبيد له اضطراراً ، فوضع لهم الشَّرعية المطهَّرة وبين لهم الأعمال التي تعبدهم بها ، والطُّرق التي توصلهم إلى منافعهم ومصالحهم على الوجه الذي ارتضاه لهم ، ونهاهم عن مجاوزة ما حد لهم ...  
وعلى هذا فشرط كونها عبادة نيَّة التقرُّب للمعبود ، فالسُّجود لا يكون عبادة ولا كفراً إلَّا تبعاً للنيَّة ، فسجود الملائكة عليهم الصَّلَاة والسَّلَام لأدم عليه الصَّلَاة والسَّلَام عبادة لله ، لأنَّه امتثال لأمره وتقرُّب وتعظيم له ، والسُّجود للصَّنم كفر إذا قصد به التقرُّب إليه اذ هو عبادة لغير الله ، وكذا يحكم عليه به عند جهل قصده أو إنكاره لأنَّه علامة على الكفر .

والسُّجود للتَّحِيَّة معصية فقط في شرعنا ، وقد كان سائغاً في الشَّرائع السَّابقة ، بدليل سجود يعقوب وبنيه ليوסף عليهم الصَّلَاة والسَّلَام .

فتحقَّق من تعريفي العبادة لغة وشرعاً أنَّ العبادة التَّذلل والتَّعظيم للمعبود ، وعليه فليس كل تعظيم عبادة ، وأنَّ ضابط التَّعظيم المقتضي للعبادة هو أن يعتقد له التأثير في النَّفْع والضَّر ، أو يعتقد له الجاه التَّام والشَّهادة المقبولة بحيث ينفع في الآخرة ويستنزل به النَّصْر والشُّفاء في الدُّنيا .

والتَّوَسُّلُ لَا يُسَمَّى عِبَادَةً قَطْعاً ، وَلَا يُقَالُ فِيهِ عِبَادَةٌ ، وَإِنَّمَا هِيَ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا ، وَوَسِيلَةُ الشَّيْءِ غَيْرُهُ بِالضَّرُورَةِ .

الثَّانِي : الْوَسِيلَةُ لُغَةً كُلُّ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْغَيْرِ ، وَسَلَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَوْسِيلاً عَمَلًا تَقَرَّبَ بِهِ إِلَيْهِ ، فَتَحَقَّقَ مِنْهُ أَنَّ التَّوَسُّلَ لَا يُسَمَّى عِبَادَةً قَطْعاً ، وَلَا يُقَالُ فِيهِ عِبَادَةٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا ، وَوَسِيلَةُ الشَّيْءِ غَيْرُهُ بِالضَّرُورَةِ وَهُوَ وَاضِحٌ ، فَإِنَّ التَّوَسُّلَ لَا تَقَرَّبُ فِيهِ لِلْمَتَوَسَّلِ بِهِ وَلَا تَعْظِيمُهُ غَايَةَ التَّعْظِيمِ ، وَالتَّعْظِيمُ إِذَا لَمْ يَصِلْ إِلَى هَذَا الْحَدِّ لَا يَكُونُ الْفِعْلُ الْمُعْظَمُ بِهِ عِبَادَةً ، فَلَا يُطْلَقُ اسْمُ الْعِبَادَةِ عَلَى مَا ظَهَرَ مِنَ الِاسْتِعْمَالِ اللَّغَوِيِّ إِلَّا عَلَى مَا كَانَ هَذِهِ الْمَثَابَةُ مِنْ كَوْنِ الْعَمَلِ دَالًّا عَلَى غَايَةِ الْخُضُوعِ مَنْوِيًّا بِهِ التَّقَرُّبُ لِلْمَعْبُودِ تَعْظِيمًا لَهُ بِذَلِكَ التَّعْظِيمِ التَّامِّ ، فَذَا اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْهَا مَنَعَ الْإِطْلَاقَ ، أَمَّا الدَّلَالَةُ عَلَى نِهَايَةِ الْخُضُوعِ فَظَاهِرٌ ، لِأَنَّ مَنَاطَ التَّسْمِيَةِ لَمْ يَوْجَدْ ، وَلِأَنَّ النَّاسَ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ إِلَى الْآنِ يَخْضَعُونَ لِكِبْرَائِهِمْ وَرُؤَسَائِهِمْ بِمَا يَقْتَضِيهِ مَقَامُهُ الدُّنْيَوِيُّ عِنْدَهُمْ وَيَجْبُونَهُمْ بِأَنْوَاعِ التَّحِيَّاتِ ، وَيَتَذَلَّلُونَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَلَا يَعْدُونَ ذَلِكَ قَرْبَةً وَلَا يُطْلَقُونَ عَلَيْهِ اسْمَ الْعِبَادَةِ ، وَإِنَّمَا يَرُونَهُ مِنْ بَابِ الْأَدَبِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِكَوْنِ ذَلِكَ الْخُضُوعِ لَمْ يَبْلُغْ نِهَايَتَهُ وَالْعَظِيمُ النَّاشِئُ عَنْهُ لَمْ يَبْلُغْ غَايَتَهُ ، وَهَذَا ظَهَرَ الْفَرْقَ بَيْنَ التَّوَسُّلِ وَالْعِبَادَةِ . عَلَى أَنَّ عَبْدًا يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ وَتَوَسَّلَ يَتَعَدَّى بِحَرْفِ الْجُرِّ .

وَقَدْ أَوْغَلَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي بِيْدَاءِ الْقِيَاسِ الْفَاسِدِ دَفْعَتَيْنِ ، قِيَاسَهُ مَعَانِي هَذَا الْأَلْفَاظِ ، تَوَسَّلَ اسْتَعَانَ ، اسْتَعَاثَ ، تَشَفَّعَ ، عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَقِيَاسَهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَسِّلِينَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلًا عَلَى عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ دُونِ اللَّهِ بِجَامِعِ أَرَادَةِ الْجَاهِ فِي كُلِّ .

فَلْيَنْظُرِ اللَّيِّيبُ إِلَى أَيْنَ رَمَاهُ جَهْلُهُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَإِنَّهُ لَوْ تَأَمَّلَ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفُلَانٍ ، وَأَجْرَاهُ عَلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّغَةُ لَوَجَدَ مَعْنَاهُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ وَأَتَجَبَّبُ إِلَيْكَ ، فَهُوَ دَالٌّ بِجَوْهَرِهِ عَلَى أَنَّ التَّقَرُّبَ لِلَّهِ لَا لِمَنْ يَرَادُ جَاهَهُ !!

وَمَنْ جَهَلَ الْفَرْقَ بَيْنَ عَبْدٍ وَتَوَسَّلَ ، كَيْفَ يَصِحُّ لَهُ الْقِيَاسُ فِي دِينِ اللَّهِ وَالْحَاقُّ بَعْضَ الْفُرُوعِ بِبَعْضٍ ، وَالْقِيَاسُ أَصْعَبُ أَنْوَاعِ الْاجْتِهَادِ ، لِكَثْرَةِ مَا يُعْتَبَرُ فِي أَرْكَانِهِ مِنَ الشُّرُوطِ ، وَمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَارِضَاتِ وَالْمُنَاقِضَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِعْتِرَاضَاتِ ، فَلَا يَصِفُوهُ مُشْرَبًا إِلَّا لِأَهْلِ الْاجْتِهَادِ وَمَنْ أَحَاطَ بِمَدَارِكِهِمْ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ ، وَمَنْ قَصَرَ عَنِ تِلْكَ الْمَرَاتِبِ لَا يَسُوغُ لَهُ الْجُزْمُ بِالْحُكْمِ الْمَأْخُوذِ مِنْهُ فِي دَانِقٍ ، فَكَيْفَ بِالْحُكْمِ الْمَأْخُوذِ مِنْهُ فِي تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ !!؟

الثالث : وحيث تحقّق الفرق بين العبادة والتّوسّل ، فالعبادة فيها معنى زائد يناسب إناطة الحكم به ، وهو اشتغالها على الأعراض عن الله وإطلاق الإلهيّة على غيره وإقامته مقامه وخدمته بما يستحق أن يخدم ، وقد أشار إلى هذا المعنى بعض فضلاء أهل السنّة ، وملخص كلامه : أنّ الشّبهة الحاملة لعبدة الأوثان على عبادتها هي أنّهم استصغروا أنفسهم فاستعظموا أن يعبدوا الله مباشرة ، ورأوا من سوء الأدب أن يشتغل الحقير من أوّل وهلة بخدمة العظيم ، وقربوا ذلك بأمر مستحسن في العادة ، وهو أنّ الحقير لا ينبغي له أن يخدم الملك حتى يخدم عماله إلى أن يترقى لخدمته ، وقال : وهذه هي الحاملة على التّوسّل إلى الله تعالى بمن له جاه عنده ، إلّا أنّ الشّرع أذن في التّوسّل ولم يأذن في العبادة ، فكانت حاجة الكفّار تندفع بما شرعه الله ، إلّا أنّ الله تعالى أعمى بصائرهم ، ولو تنبّهوا لأمر عادي آخر لأرشدهم ، فإنّ الملك من ملوك الدّنيا إذا استجابه أحد بعظيم من وزرائه وتشفع له بذلك ، ربما أقبل عليه وأخذ بيديه وقضى ما أراه منه . أمّا إذا عظم ذلك الوزير بما يعظم به الملك وعامله بمعاملته وأقامه في مقامه فيما يختصّ به الملك عن غيره ، رجاء أن يقضي ذلك الوزير حاجته من الملك ، فإنّ الملك إذا علم بصنيعه يغضب أشدّ الغضب ، ولا يقتصر في العقوبة على قطع الرّجاء من الحاجة ، بل يفتك به وبالوزير إن أحبّ ذلك !

فمثال التّوسّل الأوّل ، ومثال العبادة الثّاني ، فتأمّل هذا المثال فإنّه واف بواقعة الحال ، وبالله التّوفيق والاعتصام .

الرّابع : القاعدة المشهورة المطّردة ، وهي : أنّ استواء الفعلين في السّبب الحامل على الفعل لا يوجب استواءهما في الحكم ، يدلّ على هاته القاعدة دلالة قطعّيّة ، أنّه لو لم يكن الأمر كذلك بأن كان الاستواء في الحامل يوجب الاستواء في الحكم - كما ادّعه ابن تيمية وقرّره في قياسه التّوسّل على العبادة والمتوسّل على عابد الوثن - ، للزم إبطال الشّريعة وتساوي الأعمال في الأحكام ، واللازم باطل بالاتّفاق ، وهو ضروري غني عن الاستدلال !! " (١) .

ونحن نقول لأصحاب هذا التّوحيد :

هل يُعتبر موحدًا من قال الله فيهم : ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٩] .

(١) انظر : براءة الأشعريين من عقائد المخالفين (١/٩٦-١٢٩ باختصار) .

وهل هم موحدون من قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٠] .

وهل هم موحدون من قال الله فيهم: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءآخَرِينَ \* فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ \* وَلَٰئِن أَطَعْتُم بَشْرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخٰسِرُونَ \* أَعْبُدْكُمْ أَنَّىٰ كُنْتُمْ وَإِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ \* هِيَ هَاتِ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ \* إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣١-٣٧] .

وهل فرعون يُعتبر موحدًا ، وقد قال فيما حكاه الله عنه: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات: ٢٤] ... وهو بهذا القول يدعي الربوبية لنفسه ، وقد سلم له بها قومه ، بعد أن استخف عقولهم ﴿ فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ ﴾ [الزخرف: ٥٤] ، وحكى الله تعالى جدال موسى مع فرعون ، وأن فرعون قال له: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ \* قَالَ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ \* قَالَ لِمَنْ حَوَالَهُ ءَآلَا تَسْتَعْمُونَ \* قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ \* قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٧] .

وهل يدخل في التوحيد من خاطبهم يوسف عليه السلام بقوله: ﴿ يٰصٰحِبِ السِّجْنِ ءَأَرَابٰٓءٌ مُّتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩] .

وهل يدخل في التوحيد من قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَٰذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ \* أَجَعَلَ ٱللَّهَةَ إِلَٰهًا وَّحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ \* وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ ءَآلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ \* مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِن هَٰذَا إِلَّا أَحْتِلَٰقٌ ﴾ [ص: ٤-٧] .

وهل يدخل في التوحيد من قال الله تعالى فيهم: ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ \* قَالُوا لَآءَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ءَآءًا لَمَبْعُوثُونَ \* لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِن هَٰذَا إِلَّا ٱلسِّطْرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٨١-٨٣] .

وهل يُعتبر موحدًا من سيقول لمتبوعه يوم القيامة: ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ \* إِذْ نُسَوِّكُمْ يَرَبِّ ٱلْعٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨] .

وكيف يكون مؤمناً ربوبية من قال الله تعالى فيهم : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] .

وكيف يكون مؤمناً ربوبية من خاطبهم إبراهيم عليه السلام بقوله : ﴿ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥٦] .

وكيف يكون مؤمناً ربوبية من حكم الله تعالى بكفره ، فقال : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد : ٣٠] .

وكيف يكون النمرود مؤمناً ربوبية ، وقد قال الله تعالى عنه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

فالنمرود ادعى الربوبية من دون الله تعالى ، وخلع على نفسه خصائص الربوبية ، من إحياء الموتى ، وإماتة الأحياء ، ولذلك عمد إلى مجادلة إبراهيم عليه السلام في الربوبية لا في الألوهية ... فكيف يزعم متمسلفه هذا الزمان بأن الخلق ومن ضمنهم النمرود يؤمنون بالربوبية لله تعالى !!؟

وكيف يزعم ابن تيمية أن التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية ، وأن توحيد الربوبية كان يُقرُّ به المشركون ؟ وكيف يزعم ابن عبد الوهاب أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلَ إلى قومٍ يتعبدون !!! ويحجون !!! ويتصدقون !!! ويذكرون الله كثيراً !!! مع أن الله تعالى أمر الرسول ومعه الصف المؤمن بمواجهة الكفرة بأن لكم دينكم ولنا دين ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ \* لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ٦-١]

فسورة " الكافرون " تردُّ على دعوى ابن تيمية الفارغة حين زعم أن " المشركين كانوا يُقرُّون بهذا التوحيد - توحيد الربوبية - ومع هذا يُشركون بالله ، فيجعلون له أندادا يُجِيبونهم كحُبِّ الله ، ويقولون : أَنَّهُمْ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَهُ وَأَنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ بِهِمْ إِلَيْهِ ، فَيَتَّخِذُونَهُمْ شُفَعَاءَ وَقُرْبَانًا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ



وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿يونس: ١٨﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] (١) .

هذا ما قاله ابن تيمية ، وهي مجازفة كبيرة وخطيرة أدت فيما بعد إلى أن يتمسك بها الرعاع الجهلة ويجعلوها متمسكاً ودليلاً على تكفير أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي اعتادت على التوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والصالحين ، مع الإيمان المطلق بأن الله تعالى هو مالك الأمر كله ، وأن المتوسل به إلى الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً ...

فالله تعالى أخبرنا أنه سبحانه وتعالى له الأمر من قبل ومن بعد ، وكل شيء بيده سبحانه ، لكنه طالبنا أن نربط الأسباب بمسبباتها ، فهو سبحانه القائل : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات : ٥٨] ، والقائل : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك : ١٥] ، وهو سبحانه القائل : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَإِلَيْهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسْبًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧] ، والقائل : ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَخَرُّوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]

فإن استشهدوا على إيمان الكفرة والمشركين بالربوبية بقول الله تعالى : ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١] ، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣] ، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥] ، ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* قُلْ مَنْ يَدْعُوهُ مَلَائِكَةُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ \* بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٦-٩٠]

قلنا : إنَّ المشركين ما قالوا هذا إلا بعد أن غلبوا بالحجة وألزموا بها ، فقالوه بألسنتهم وأبته قلوبهم ، فنافقوا ، والمنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان الذي هو تصديق القلب ... ثم إنَّ مجرد النطق باللسان لا يدخل الإنسان في دائرة الإيمان إن لم يرافقه تصديق الجنان ، كما أنَّ من يدعون السلفية شنعوا على من فسروا

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٤ / ٣٧٨) .

الإيمان بالتصديق دون العمل ... فكيف أدخلوا المشركين عبدة الأصنام والأوثان في دائرة الإيمان !!! بل جعلوهم أكثر إيماناً ممن يدعون الله الواحد الأحد الفرد الصمد ويتوسلون إليه بأشرف الخلق وحيب الحق محمد صلى الله عليه وسلم !!؟ مع الإيمان المطلق بأن النفع والضرر بيد الله تعالى وحده لا شريك له ، وأن الأنبياء فضلاً عن الأولياء والصالحين لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضرراً ، لا في حياتهم ولا بعد وفاتهم ، لأن النافع والضرار هو الله تعالى وحده ، وقد قال الله تعالى فيما حكاه عن الرسول صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] ، وأن مراد المتوسل من المتوسل به إنما هو الطلب بأن يدعو الله تعالى له ، لأن الموت ليس عدماً أو فناء محضاً ، والنبوة لا تنقطع ربتها بالموت ، الذي هو انتقال من دار الدنيا إلى دار البرزخ ، وللأرواح عمل وتصرف بعد الموت ، فهي ترى ، وتسمع ، وتتكلم ، فتدعو ، وتستغفر ...

وقد حكم الله تعالى بكفر المشركين الذين قالوا : ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣] ، حيث قال الله تعالى في الرد عليهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣] . قال الإمام الطبري في تفسيرها : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١] إِلَى الْحَقِّ وَدِينِهِ الْإِسْلَامِ ، وَالْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ ، فَيُوفِّقُهُ لَهُ ﴿ مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣] ، مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ ، يَتَقَوَّلُ عَلَيْهِ الْبَاطِلَ ، وَيُضِيفُ إِلَيْهِ مَا لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ ، وَيَزْعُمُ أَنَّ لَهُ وَلَدًا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ، كَفَّارٌ لِنَعْمِهِ ، جَحُودٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ " (١) .

وقال الإمام الرّازي : " وَالْمُرَادُ أَنَّ مَنْ أَصَرَ عَلَى الْكُذِبِ وَالْكُفْرِ بَقِيَ مَحْرُومًا عَنِ الْهُدَايَةِ ، وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْكُذِبِ وَصْفُهُمْ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ بِأَنَّهَا آلهَةٌ مُسْتَحَقَّةٌ لِلْعِبَادَةِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا جَمَادَاتٌ حَسْبِيَّةٌ وَهُمْ نَحَوُّهَا وَنَصَرُفُوا فِيهَا ، وَالْعِلْمُ الصَّرُورِيُّ حَاصِلٌ بِأَنَّ وَصْفَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِالْإِلَهِيَّةِ كَذِبٌ مُحْضٌ ، وَأَمَّا الْكُفْرُ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْكُفْرَ الرَّاجِعَ إِلَى الْإِعْتِقَادِ ، وَالْأَمْرُ هَاهُنَا كَذَلِكَ فَإِنَّ وَصْفَهُمْ لَهَا بِالْإِلَهِيَّةِ كَذِبٌ ، وَاعْتِقَادُهُمْ فِيهَا بِالْإِلَهِيَّةِ جَهْلٌ وَكُفْرٌ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ كُفْرَانَ النُّعْمَةِ ، وَالسَّبَبُ فِيهِ أَنَّ الْعِبَادَةَ نَهَابَةَ التَّعْظِيمِ وَنَهَابَةَ التَّعْظِيمِ

(١) انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١٥٨/٢٠) .

لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِمَنْ يَصْدُرُ عَنْهُ غَايَةُ الْإِنْعَامِ ، وَذَلِكَ الْمُنْعِمُ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَهَذِهِ الْأَوْثَانُ لَا مَدْخَلَ لَهَا فِي ذَلِكَ الْإِنْعَامِ ، فَلَا شْتَغَالَ بِعِبَادَةِ هَذِهِ الْأَوْثَانِ يُوجِبُ كُفْرَانَ نِعْمَةِ الْمُنْعِمِ الْحَقِّ " (١) .

فقولهم : ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] ، ما كان إلا تعليلاً زائفاً وفساداً لعبادتهم ما

نحتوا من الحجارة التي عبدوها وقربوا لها القرابين ، فجاء الرَّدُّ القرآني عليهم تبييناً على كفرهم وضلالهم .

فبعد أن أقيمت الحجَّة عليهم بأن ما يعبدون من الأوثان والأصنام التي نحتوها وجسَّموها بأيديهم لا

تملك لهم نفعاً ولا ضرراً ، ولا حياة ولا موتاً ، قالوا مُرغمين بألسنتهم : ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾

[الزمر : ٣] . وهذا من كفرهم وكذبهم الذي كشفه الله في القرآن العظيم ، ف قوله سبحانه : ﴿ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴾

[الزمر : ٣] ، إشارة إلى كذبهم حين زعموا : ﴿ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ لأنهم عبدوا أصنامهم وأوثانهم ، وآمنوا

بأنها تنفع وتضر وترزق ، وأضافوا إليها صفات الربوبية والألوهية ...

فالآية تصوِّر كذبهم في مدعاهم ، وأنهم لو كانوا مؤمنين صادقين في إيمانهم لما أشركوا ما يعبدون من

الأصنام مع الله تعالى ، ولما عبدوا غيره سبحانه ، ولما سبوه حين تُسبُّ آهتهم ، ولذلك نهى الله المسلمين أن يسبوا

أصنام المشركين ، فقال : ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ

عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

قال الطَّبْرِي في تفسيرها : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ : وَلَا تَسْبُوا

الَّذِينَ يَدْعُوا الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْأَلْهَةِ وَالْأَنْدَادِ ، فَيَسْبُ الْمُشْرِكُونَ اللَّهَ جَهْلًا مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ وَاعْتِدَاءً بِغَيْرِ عِلْمٍ

، كَمَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ،

قَوْلُهُ : ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ، قَالَ : قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ

، لَتَنْتَهَيْنَ عَنْ سَبِّ أَهْلِنَا أَوْ لَتَهْجُونَ رَبَّكَ ، فَتَهَاكُمُ اللَّهُ أَنْ يَسْبُوا أَوْثَانَهُمْ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] : كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْبُونَ أَوْثَانَ الْكُفَّارِ ، فَيَرُدُّونَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ،

فَتَهَاكُمُ اللَّهُ أَنْ يَسْتَسْبُوا لِرَبِّهِمْ ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ جَهْلَةٌ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِاللَّهِ .

(١) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٤٢٢/٢٦) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضَلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنِ السُّدِّيِّ : ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ، قَالَ : لما حَضَرَ أَبَا طَالِبٍ الْمَوْتَ قَالَتْ قُرَيْشٌ : انْطَلِقُوا بِنَا فَلْنَدْخُلْ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ فَلِنَأْمُرَهُ أَنْ يَنْهَى عَنَّا ابْنَ أَخِيهِ ، فَإِنَّا نَسْتَحْيِي أَنْ نَقْتُلَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فَتَقُولُ الْعَرَبُ : كَانَ يَمْنَعُهُ ، فَلَمَّا مَاتَ قَتَلُوهُ ، فَانْطَلَقَ أَبُو سُفْيَانَ ، وَأَبُو جَهْلٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَأُمَيَّةُ وَأَبِيُّ ابْنَا خَلْفٍ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْبَخْتَرِيِّ ، وَبَعَثُوا رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : الْمُطَلَّبُ ، قَالُوا : اسْتَأْذِنْ عَلَى أَبِي طَالِبٍ ، فَاتَى أَبَا طَالِبٍ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ مَشِيخَةٌ قَوْمِكَ ، يُرِيدُونَ الدُّخُولَ عَلَيْكَ . فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ ، أَنْتَ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ آذَانَا وَآذَى أَهْلِنَا ، فَنَجِبُ أَنْ تَدْعُوهُ فَنَنْهَاهُ عَنْ ذِكْرِ أَهْلِنَا ، وَلِنَدْعُهُ وَإِلَيْهِ . فَدَعَاهُ ، فَجَاءَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ : هَؤُلَاءِ قَوْمُكَ وَبَنُو عَمِّكَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا تُرِيدُونَ ؟ " قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ تَدْعَنَا وَأَهْلَنَا ، وَنَدْعَكَ وَإِيَّاكَ . قَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ : قَدْ أَنْصَفَكَ قَوْمُكَ ، فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ هَذَا ، هَلْ أَنْتُمْ مُعْطِيي كَلِمَةٍ إِنْ تَكَلَّمْتُمْ بِهَا مَلَكَتُمْ الْعَرَبَ ، وَدَانَتْ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ بِالْحِجَازِ ؟ " ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ : نَعَمْ وَأَبِيكَ لِنُعْطِينَكَهَا وَعَشْرَ أَمْثَالِهَا ، فَمَا هِيَ ؟ قَالَ : " قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " ، فَأَبَوْا وَاشْمَازُوا . قَالَ أَبُو طَالِبٍ : يَا ابْنَ أَخِي قُلْ غَيْرَهَا ، فَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ فَرَعُوا مِنْهَا ، قَالَ : " يَا عَمُّ ، مَا أَنَا بِالَّذِي أَقُولُ غَيْرَهَا حَتَّى يَأْتُوا بِالشَّمْسِ فَيَضَعُوهَا فِي يَدَيَّ ، وَلَوْ أَتَوْنِي بِالشَّمْسِ فَوَضَعُوهَا فِي يَدَيَّ مَا قُلْتُ غَيْرَهَا " ، إِزَادَةَ أَنْ يُؤَيِّسَهُمْ . فَغَضِبُوا وَقَالُوا : لَتَكْفَنَّ عَنْ شَمِّكَ أَهْلَنَا ، أَوْ لَنَشْتَمَنَّكَ وَلَنَشْتَمَنَّ مَنْ يَأْمُرُكَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ نُورٍ ، عَنِ مَعْمَرٍ ، عَنِ قَتَادَةَ ، قَالَ : " كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْبُونَ أَصْنَامَ الْكُفَّارِ ، فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَانزَلَ اللَّهُ : ﴿ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] . حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ، قَالَ : إِذَا سَبَّتَ إِلَهُهُ سَبَّ إِلَهَكَ ، فَلَا تَسْبُوا أَهْلَهُمْ " (١) .

(١) انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (٩/ ٤٨٠-٤٨٢) .

فسدًا للذريعة أمر الله تعالى المؤمنين أن لا يسبوا آلهة الكفرة والمشركين حتى لا يتسببوا بسبب الله تعالى من قبل المشركين الذين كانوا يسبون الله تعالى إذا ما سببت آلهتهم ... فهل من سبب الله تعالى مؤمناً بل أشد إيماناً من المؤمنين بالله تعالى المتوسلين إليه بما يجبُ يا من تدعون وترعمون السلفية زوراً وهتاناً!!!

بقي أمرٌ أخيرٌ لا بدَّ من الإشارة إليه وهو القسم الثالث من توحيد ابن تيمية والذي سمَّاه بـ " توحيد الأسماء والصفات " ، ومراده من هذا القسم أن يقول : من لا يؤمن بأنَّ الله تعالى عين ووجه ويد وكف وأصبع وساق وقدم ... على الحقيقة ، وأنَّه في السماء على الحقيقة ، وأنَّه جالس على العرش على الحقيقة ، وأنَّه يتحرك ويسكن على الحقيقة ، وأنَّه يتكلَّم بصوت وحرف على الحقيقة ، وأنَّ صوته يُشبه صوت الصواعق التي تُقبلُ في أحلى حلاوة سمعها الإنسان ... فمن لا يؤمن بهذه الأمور وغيرها على طريقته ومذهبه فهو كافر خارج من ربة الدين ... وقد استوعبت هذا وغيره في مصنَّف خاص ... أتيت فيه على طاماته ومعاطبه الماثورة في سائر كتبه وكتب من يدعون ظلماً وزوراً وعدواناً الانتساب إلى السلفية التي هي في الحقيقة فترة زمنية مباركة لا مذهباً يُتمذهبُ به ...

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التميمي النجدي (١٢٠٦هـ) : " ... مثال ذلك إذا قال بعض المشركين !!! : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس : ٦٢] ، وأنَّ الشفاعة حق ، أو أنَّ الأنبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاماً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستدلُّ به على شيء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره ، فجأوبه بقولك : إنَّ الله ذكر في كتابه أنَّ الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أنَّ الله ذكر أنَّ المشركين يقرؤون بالربوبية ، وأنَّ كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم : ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعُونََنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس : ١٨] ، هذا أمرٌ محكمٌ بيِّن لا يقدر أحد أن يغيِّر معناه . وما ذكرت لي أيُّها المشرك !!! من القرآن أو كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أعرف معناه ، ولكن أقطع أنَّ كلام الله لا يتناقض ، وأنَّ كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخالف كلام الله " (١) .

وأنا هنا أسأل محمد بن عبد الوهَّاب ، فأقول : من هو الذي ترك المحكم واتبع المتشابه !!!؟ من هو الذي أدار وجهه لقول الله تعالى المحكم : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، هذه الآية المحكمة التي نصَّت على وجوب تنزيه الله تعالى عن الجسمية ، والحيز ، والجهة ، والحد ، وأرشدت إلى أنَّ الله تعالى ليس

(١) انظر : كشف الشبهات (ص ١٦-١٧) .

بجسم مصوّر ، ولا جوهر محدود مقدر ، وأنّه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام ، وأنّه ليس بجوهر ، ولا تحلّه الجواهر ، ولا بعرض ولا تحلّه الأعراض ، بل لا يماثل موجوداً ، ولا يماثله موجود ، ليس كمثلته شيء ، ولا هو مثل شيء . وأنّه لا يحده المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات .

وأنّه مُستَوٍ عَلَى الْعَرْشِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَالَه ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزهاً عن المماسّة والاستقرار ، والتمكّن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش ، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته ، وهو فوق العرش والسماء ، وفوق كلّ شيء إلى نُحُومِ الثَّرى ، فَوْقِيَّةً لَا تَزِيدُهُ قُرْبًا إِلَى الْعَرْشِ وَالسَّمَاءِ ، كَمَا لَا تَزِيدُهُ بُعْدًا عَنِ الْأَرْضِ وَالثَّرى ، بَلْ هُوَ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ عَنِ الْعَرْشِ وَالسَّمَاءِ ، كَمَا أَنَّهُ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ عَنِ الْأَرْضِ وَالثَّرى ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ مَوْجُودٍ ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَبْدِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ، إِذْ لَا يِمَّاثلُ قُرْبُهُ قُرْبَ الْأَجْسَامِ ، كَمَا لَا يَمَّاثلُ ذَاتُهُ ذَاتَ الْأَجْسَامِ ، وَأَنَّهُ لَا يَحُلُّ فِي شَيْءٍ ، وَلَا يَحُلُّ فِيهِ شَيْءٌ ، تَعَالَى عَنِ أَنْ يَحْوِيَهُ مَكَانٌ ، كَمَا تَقَدَّسَ عَنِ أَنْ يَحْدَهُ زَمَانٌ ، بَلْ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ .

وأنّه بائن عن خلقه بصفاته ، ليس في ذاته سواه ، ولا في سواه ذاته ، وأنّه مقدّس عن التغيّر والانتقال ، لا تحلّه الحوادث ، ولا تعتريه العوارض ، بل لا يزال في نعوت جلاله ، منزهاً عن الزوال ، وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال " (١) .

ومن المعلوم أنّ من يدعون السلفيّة وصفوا الله تعالى بالجسميّة في سائر مصنفاتهم ، وقد سبقهم إلى هذا ابن تيمية الذي ما فتى ينافح ويكافح في ترسيخ هذه العقيدة ، حتى قالها وصرّح بها في أغلب كتبه ، ومن أقواله في ذلك : " وكذلك قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، وقوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] ، ونحو ذلك ، فإنّه لا يدلُّ على نفي الصّفات بوجه من الوجوه ، بل ولا على نفي ما يسمّيه أهل الاصطلاح جسماً بوجه من الوجوه " (٢) .

(١) انظر : إحياء علوم الدّين (١ / ٩٠) .

(٢) انظر : درة تعارض العقل والنقل (١ / ١١٥) .

وقال ابن تيمية أيضاً: " وأما ذكر التجسيم وذم المجسمة ، فهو لا يُعرف في كلام أحد من السلف والأئمة !!! كما لا يُعرف في كلامهم أيضاً : القول بأنَّ الله جسم ، أو ليس بجسم ، بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجهميَّة نفي الجسم ، كما ذكره أحمد في كتاب " الردُّ على الجهميَّة " (١) .

قلت : وكتاب " الردُّ على الجهميَّة " الذي يستشهد به ابن تيمية ومعه جمهور المتسلفه ، هو كتابٌ منحولٌ مكذوبٌ على الإمام أحمد ، وهو الكتاب الذي جاء فيه : " لما سمع موسى كلام ربِّه ، قال : يا رب هذا الذي سمعته هو كلامك ؟ قال : نعم يا موسى هو كلامي ، إنَّما كلَّمتكَ على قدر ما يطيق بدنك ، ولو كلَّمتكَ بأكثر من ذلك لَمِتَّ .

قال : فلمَّا رجع موسى إلى قومه قالوا له : صف لنا كلام ربِّك ، قال : سبحان الله ، وهل أستطيع أن أصفه لكم ؟! قالوا : فشبَّهه . قال : هل سمعتم أصوات الصَّواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها ، فكأنَّه مثله " (٢) .

أرأيتم كيف نسب الصَّوت إلى الله تعالى مع أنَّ الصَّوت لم تأت إضافته إلى الله تعالى في حديث صحيح ، ثمَّ كيف شبَّه صوت الله تعالى بصوت الصَّواعق التي تُقبل في أحلى حلاوة سمعتموها ... !!!  
 وعن نسبة الكتاب للإمام أحمد قال الإمام الذهبي : " ... لا كِرْسَالَةَ الإِصْطَخْرِيِّ ، وَلَا كَالرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْمَوْضُوعِ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ كَانَ تَقِيًّا وَرِعًا ، لَا يَتَفَوَّهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ " (٣) .

وقال محقق " سير أعلام النبلاء " : " يرى الذهبي المؤلِّف أنَّ كتاب " الردُّ على الجهميَّة " موضوع على الامام أحمد . وقد شكَّك أيضاً في نسبة هذا الكتاب إلى الامام أحمد بعض المعاصرين في تعليقه على " الاختلاف في اللفظ ، والرَّدُّ على الجهميَّة " لابن قتيبة . ومستنده أنَّ في السَّنَدِ إليه مجهولاً ، فقد رواه أبو بكر غلام الخلال ، عن الخلال ، عن الخضر بن المثني ، عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه ... والخضر بن المثني هذا مجهول ، والرَّوَايَةُ عن مجهول مقدوح فيها ، مطعون في سندها . وفيه ما يخالف ما كان عليه السلف من معتقد ، ولا يتَّسق مع ما جاء عن الإمام في غيره ممَّا صحَّح عنه ، وهذا هو الذي دعا الذهبي هنا إلى نفي نسبته إلى الامام أحمد ، ومع ذلك فإنَّ غير واحد من العلماء قد صحَّحوا نسبة هذا الكتاب إليه ، ونقلوا عنه ، وأفادوا منه ، منهم القاضي أبو يعلى ،

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/٢٤٩) .

(٢) انظر : الرد على الجهميَّة والزنادقة (ص١٣٧) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/٢٨٦-٢٨٧) .

وأبو الوفاء بن عقيل ، والبيهقي (٥٨٤هـ) ، وابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وتوجد من الكتاب نسخة خطية في ظاهرية دمشق ، ضمن مجموع رقم (١١٦) ، وهي تشتمل على نص " الرد على الجهمية " فقط ، وهو نصف الكتاب ، وعن هذا الأصل نشر الكتاب في الشام ، بتحقيق الأستاذ محمد فهد الشقفة . ومما يؤكد أن هذا الكتاب ليس للإمام أحمد : أننا لا نجد له ذكراً لدى أقرب الناس إلى الامام أحمد بن حنبل ممن عاصروه وجالسوه ، أو أتوا بعده مباشرة وكتبوا في الموضوع ذاته كالإمام البخاري (٢٥٦هـ) ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ) ، وأبي سعيد الدارمي (٢٨٠هـ) . والإمام أبو الحسن الأشعري قد ذكر عقيدة الامام أحمد في كتابه " مقالات الإسلاميين " ، ولكنه لم يشر إلى هذا الكتاب مطلقاً ، ولم يستفد منه شيئاً (١) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " وأما الشرع فمعلوم أنه لم يُنقل عن أحد من الأنبياء : ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة أن الله جسم أو أن الله ليس بجسم ؛ بل النفي والإثبات بدعة في الشرع " (٢) .  
 وقال ابن تيمية أيضاً : " ثم لفظ التجسيم لا يوجد في كلام أحد من السلف لا نفيًا ولا إثباتًا فكيف يحل أن يقال : مذهب السلف نفي التجسيم أو إثباته " (٣) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها ، أنه ليس بجسم !!! وأن صفاته ليست أجساماً وأعراضاً ؟ فنفي المعاني الثابتة بالشرع والعقل ؛ بنفي ألفاظ لم ينف معناها شرع ولا عقل ، جهل وضلال " (٤) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " أما ما ذكره من لفظ الجسم وما يتبع ذلك ، فإن هذا اللفظ لم ينطق به في صفات الله تعالى لا كتاب ولا سنة ، لا نفيًا ولا إثباتًا ، ولا تكلم به أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، لا أهل البيت ولا غيرهم " (٥) ...

فهذه بعض أقوال ابن تيمية في التجسيم ، ومع ذلك لم يحذ مدعو السلفية عن قوله ولن يجيدوا قيد أنملة ، وهو في كلامه يصرح بأن الله - تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً - جسماً ، مع أن الأجسام حادثة ومحتاجة إلى

(١) انظر : هامش سير أعلام النبلاء (١١/٢٨٧) .

(٢) انظر : : مجموع الفتاوى (٥/٤٣٤) .

(٣) انظر : : مجموع الفتاوى (٤/١٥٢) .

(٤) انظر : بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/٣٧٣) .

(٥) انظر : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٢/١٩٢) .

من يركبها ، وكذا إلى كل جزء من أجزائها . فالله تعالى ينتزه عن الجسميّة والعرضيّة والجوهريّة ، " واذا ثبت أنّه تعالى ليس بجوهر ، فلا يُتصوّر أن يكون جسماً أيضاً ، لأنّ الجسم اسم للمتركّب عن الأجزاء ، يقال : هذا أجسّم من ذلك ، أي : أكثر تركّباً منه ، وتركب الجسم بدون الجوهريّة وهي الأجزاء التي لا تتجزأ لا تتصوّر ، ولأنّ الجسم لا يُتصور إلّا على شكل من الأشكال ، ووجوده على جميع الأشكال لا يُتصور أن يكون إذ الفرد لا يُتصور أن يكون مطوّلاً ومدوراً ومثلثاً ومربعاً ، ووجوده على واحد من هذه الأشكال مع مساواة غيره إياه في صفات المدح والذم لا يكون إلّا بتخصيص مخصص ، وذلك من أمارات الحدث ، ولأنّه لو كان جسماً لوقعت المشابهة والمماثلة بينه وبين سائر الأجسام في الجسميّة ، وقد قال الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] (١) .

ثمّ إنّ في نسبة أقواله التي ذكرها هنا إلى السلف كذبٌ واضحٌ صريحٌ بيّنٌ ، فلا هو سلفيٌّ ، ولا يقرب من السلف ، والسلف بريئون من تلبيسه وتدليسه ، ويعيدون عمّا قاله بعد الثرى عن الثرى ، وقد وضّحت ذلك وبيّنته أخذاً من كتبه وكتب أتباعه المتسلفة في كتاب مستقل خاص بطامات وأوابد من يدعون السلفيّة . وقد تبين بالبحث أنّ الكثير من أقواله وأفكاره هي ممّا قاله اليهود والفلاسفة ، ويكفي في ذلك أنّه تتلمذ على مجد الدين ابن تيمية الذي أخذ علمه عن غلام ابن المنّي إسماعيل بن عليّ الأزجّي الفيلسوف الذي لم يكن في دينه بداك ، وقد تتلمذ على ابن مرقش النّصرانيّ . قال ابن النّجار : سمعت من أثق به أنّ الفخر صنّف كتاباً سمّاه (نواميس الأنبياء) ، يذكر فيه أنّهم كانوا حكماء كهرمس وأرسطو ، فسألته بعض تلامذته الخصيصين به عن ذلك ، فما أنّكره ... " (٢) .

قال الإمام محمّد بن زاهد الكوثري : " ولو قلنا لم يبل الإسلام في الأدوار الأخيرة بمن هو أضرّ من ابن تيمية في تفريق كلمة المسلمين لما كنّا مبالغين في ذلك ، وهو سهل متسامح مع اليهود يقول عن كتبهم : أنّها لم تحرف تحريفاً لفظياً " (٣) .

(١) انظر : التمهيد لقواعد التوحيد ، أبو الثناء اللامثي (ص ١٠٣) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٢/٢٨-٣٠) .

(٣) انظر : الإشفاق على أحكام الطلاق (ص ٧٢) .

ولذلك وجدنا ابن تيمية ومن وافقه من المتسلفه اعتادوا على الاستدلال لما يرى بها جاء في كتب أهل الكتاب التي حكم القرآن بتحريفها، ومن ذلك ما قاله ابن تيمية في استدلاله على العلوّ المكاني لله تعالى: " . وَفِي " الْإِنْجِيلِ " أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : لَا تَحْلِفُوا بِالسَّمَاءِ فَإِنَّهَا كُرْسِيُّ اللَّهِ . وَقَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ : إِنْ أَنْتُمْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ فَإِنَّ آبَاءَكُمْ - الَّذِي فِي السَّمَاءِ - يَغْفِرُ لَكُمْ كُلَّكُمْ ... " (١) .

ولأنّ ابن تيمية هو زعيمهم الذي علّمهم ... فقد اعتاد مدّعو السلفيّة على الاستشهاد لعقائدهم بكتب أهل الكتاب المحرّفة، فهذا المدعو: حمود التّويجيري يقول: " وأيضاً هذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالّتوراة، فإنّ في السّفَر الأوّل منها: " سنخلقُ بشرأ على صورتنا يشبهها " (٢) .

وقال حمود التّويجيري أيضاً: " وأيضاً فمن المعلوم أنّ هذه النّسخ الموجودة اليوم بالتّوراة ونحوها قد كانت موجودة على عهد النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلو كان ما فيها من الصّفات كذباً وافتراء ووصفاً لله بما يجب تنزيهه عنه كالشّركاء والأولاد لكان إنكار ذلك عليهم موجوداً في كلام النّبي أو الصّحابة أو التّابعين كما أنكروا عليهم ما دون ذلك، وقد عابهم الله في القرءان بما هو دون ذلك، فلو كان هذا عيباً لكان عيب الله لهم به " (٣) . فحمود التّويجيري لا يرى مانعاً البتّة من وصف الله سبحانه وتعالى بما جاء في التّوراة من صفات تجسيميّة بحته لله تعالى ... ولعلنا نُفرد في قادم الأيام بإذن الله تعالى كتاباً مستقلاً لمناقشة المتسلفه في هذه المسألة ... فادعوا لنا ...

وقال الشّيخ عبد الرّحمن بن حسن بن محمّد بن عبد الوهّاب بن سليمان التّميمي (١٢٨٥هـ): " وتأمل ما في هذه الأحاديث الصّحيحة من تعظيم النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربّه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله، وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصّفات التي تدلّ على عظمته، وتأمل ما فيها من إثبات علو الله تعالى على عرشه " (٤) .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنّ من يدّعون السلفيّة لم يقف الأمر بهم عند الاستشهاد بما في كتب أهل الكتاب، بل تعدّوه إلى الكذب لنصرة مذهبهم ومعتقدهم، قال الإمام تاج الدّين عبد الوهّاب بن تقي الدّين السّبكي

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/٥٠٦)، بيان تلبس الجهميّة في تأسيس بدعهم الكلامية (٤/٤٨٩) .

(٢) انظر: عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرّحمن (ص٧٦) .

(٣) انظر: عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرّحمن (ص٧٧) .

(٤) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التّوحيد (ص٥١١) .

(٧٧١هـ): " وفي المبتدعة لا سيما المجسمة زيادة لا توجد في غيرهم ، وهو أنهم يرون الكذب لنصرة مذهبهم والشهادة على من يخالفهم في العقيدة بما يسوءه في نفسه وماله بالكذب تأييداً لاعتقادهم ، ويزداد حنقهم وتقربهم إلى الله بالكذب عليه بمقدار زيادته في النيل منهم فهو لاء لا يحل لمسلم أن يعتبر كلامهم ... وبلغني أن كبيرهم استفتى في شافعيي أيشهد عليه بالكذب ، فقال ألسنت تعتقد أن دمه حلال ، قال : نعم ، قال : فما دون ذلك دون دمه ، فاشهد وادفع فساده عن المسلمين . فهذه عقيدتهم ، ويرون أنهم المسلمون وأنهم أهل السنة ، ولو عدوا عدداً لما بلغ علماءهم ولا عالم فيهم على الحقيقة مبلغاً يعتبر ، ويكفرون غالب علماء الأمة ثم يعتزرون إلى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه !!! وهو منهم بريء ، ولكنه كما قال بعض العارفين ، ورأيت به بخط تقي الدين بن الصلاح : إمامان ابتلاههما الله بأصحابهما ، وهما بريئان منهم : أحمد بن حنبل ابتلي بالمجسمة ، وجعفر الصادق ابتلي بالرأفة " (١) ...

ويستمر محمد بن عبد الوهاب في غيّه وضلاله فيعتبر أهل زمانه مشركين لأنهم يتوسلون إلى الله تعالى بالأنبياء والمرسلين ، فيقول : " ... أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء ، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له !!! وينسون ساداتهم ، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين " (٢) .

وزعم محمد بن عبد الوهاب أن الاعتقاد في الصالحين : توسلاً ، وتبركاً ، عبادة للأصنام ، من فعله كفر ، وتبراً منه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٣) .

ولذلك سموا كل متوسل به بالصنم ، حتى تناولوا أشقاهم على مقام سيدنا وحبيينا وشفيعنا وقدوتنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسماى قبره بالصنم ، فقد كتب المدعو : عبد العزيز بن يحيى البرعي اليمني كتاباً سماه : " قوارع الأسنّة في الردّ على أعداء السنّة " ، قال فيه تحت عنوان : " عبّاد الأصنام " : إن عبادة الأصنام في زماننا كثيرة ... ومن تلك الأصنام : قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٤) ... وهذا كلام خطير يُخشى على صاحبه الخروج من ربقة الدين ...

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (١٦/٢-١٧) .

(٢) انظر : كشف الشبهات (ص ٣٤) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٧٨/١) .

(٤) انظر : قوارع الأسنّة في الردّ على أعداء السنّة (ص ٢٨) .

وقال محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ) وهو يتكلم عن المسجد النبوي: " ... قلت : ومما يؤسف له أن هذا البناء قد بني عليه منذ قرون إن لم يكن قد أزيل تلك القبة الخضراء العالية وأحيط القبر الشريف بالنوافذ النحاسية والزخارف والسجف وغير ذلك مما لا يرضاه صاحب القبر نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل قد رأيت حين زرت المسجد النبوي الكريم وتشرفت بالسلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة (١٣٦٨هـ) ، رأيت في أسفل حائط القبر الشمالي محراباً صغيراً ، ووراءه سدة مرتفعة عن أرض المسجد قليلاً ، إشارة إلى أن هذا المكان خاص للصلاة وراء القبر ، فعجبت حينئذ كيف ظلت هذه الظاهرة الوثنية !!! قائمة في عهد دولة التوحيد ... " (١) .

فبناء على ما قاله الألباني ، فإن الأمة ظلت حامية للوثنية قروناً عديدة حتى جاء هذا " الساعاتي " المنقذ لها من شرِّ يرثن الوثنية التي تعيش فيها ، فهل يجوز وصف الأمة بالضلال والشرك ، ثم كيف سكت السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على المظاهر الشركية التي قال بها من يدعون السلفية زوراً وظلماً وعدواناً وإثماً وهتاناً ...

كيف سكت السلف عن وجود القبر داخل المسجد ؟ أليس عمر بن عبد العزيز هو من قام بتوسعة المسجد وضم القبر إليه ؟!!!

أمّا كلام البرعي فيحمل في طياته منتهى قلة الحياء وقلة الأدب مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مع أننا لم نر ولم نسمع عن أحد من العالمين أنه عبد القبر الشريف ، وهذا مصداق حديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد " (٢) .

نعم ، قد استجاب الله تعالى لدعاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم يجعله وثناً يعبد من دون الله تعالى ، بالرغم من زيارة مئات الملايين لقبره عليه الصلاة والسلام ، تلك الزيارة التي اعتبرها ابن تيمية ومعه من يدعون السلفية معصية لا تقصر فيها الصلاة ، ومع ذلك فلم يلتفت أحد لفتواهم بل لسائر فتاويهم ، وتهافت الناس لزيارة قبره الشريف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تهافت المحب للبقيا الحبيب أو كتهافت الظمآن على الماء ، ولسان الحال يقول :

أمرٌ على الديار ديار ليلسى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

(١) انظر : تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص ٦٨) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٢٤٠ برقم ٥٩٣) .

ولكن حبُّ من سكن الديارا

وما حبُّ الديار شغفن قلبي

وقال الشاعر عمر بهاء الدين الأميري :

بشفتي قلبي وكلي وكنه  
بل هيامي بالذي قبله  
كانت على صفحاته مُرسلة  
طابق بالوحي ابتغاء الصلة

الحجرُ الأسودُ قبلته  
لا لاعتقادي أنه نافع  
محمدٌ أظهر أنفاسه  
قبلت ما قبله ثغره النَّ

فما قبله هو ولا غيره إلا لأن الحبيب صلى الله عليه وسلم قبله ، ولم نسمع أن أحداً عبد الحجر الأسود أو

مقام إبراهيم أو ...

وقد أكد على ما سبق إمامهم ابن باز ، فقد أفتى بأن وجود القبّة الخضراء على ساكنها أفضل الصلاة

والسلام بدعة ، فقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة :

" إقامة القبّة على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ليست حجة "

السؤال الأول من الفتوى رقم (٦٢٥٨) :

س١ : ما هي حقيقة التصوّف ؟ وهل في التصوّف جوانب حسنة وجوانب سيئة ؟ هل التصوّف مفصول

عن الفقه ؟ أرجو من فضيلتكم التحدّث إليّ عن الحضرة النبويّة التي توجد في المفهوم الصوفي ، وهل هي حقيقة

؟ عندي في السودان بعض رجال المتصوّفة يستدلّون على بناء القباب على الميت بالقبّة المشيّدّة على قبر الرّسول

صلى الله عليه وسلم ، ما حكم الدّين في ذلك ؟ ما هي حقيقة هذه الأسماء : الغوثي والقطبي ورجال الكون في

المفهوم الصوفي ؟

ج١ : أولاً : اقرأ في ذلك كتاب " مدارج السّالكيين " لابن قيم الجوزيّة وكتاب " هذه هي الصّوفيّة " لعبد

الرّحمن الوكيل فيما يتعلّق بمسائل التصوّف .

ثانياً : ليس في إقامة القبّة على قبر النبي صلى الله عليه وسلم حجة لمن يتعلّل بذلك في بناء قباب على قبور

الأولياء والصّالحين ؛ لأن إقامة القبّة على قبره لم تكن بوصيّة منه ولا من عمل أصحابه رضي الله عنهم ولا من

التّابعين ولا أحد من أئمّة الهدى في القرون الأولى التي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالخير ، إنّما كان ذلك

من أهل البدع ، وقد ثبت أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌ " (١) ، وثبت عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال لأبي الهياج : " ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟! ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته " ، رواه مسلم (٢) ؛ فإذا لم يثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بناء قبة على قبره ، ولم يثبت ذلك عن أئمة الخير ، بل ثبت عنه ما يبطل ذلك ، لم يكن لمسلم أن يتعلَّق بها أحدثه المبتدعة من بناء قبة على قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبالله التَّوْفِيق . وصَلَّى اللهُ على نبيِّنا مُحَمَّد ، وآله وصحبه وَسَلَّمَ (٣) .

وقال المدعو صالح العصيمي : " إن استمرَّ هذه القبة على مدى ثمانية قرونٍ لا يعني أنَّها أصبحت جائزة ، ولا يعني أن السُّكُوت عنها إقرارٌ لها ، أو دليلٌ على جوازها ، بل يجبُ على ولاة المسلمين إزالتها ، وإعادة الوضع إلى ما كان عليه في عهد النبوة ، وإزالة القبة والزخارف والتقوش التي في المساجد ، وعلى رأسها المسجد النبوي ، ما لم يترتب على ذلك فتنة أكبر منه ، فإن ترتب عليه فتنة أكبر ، فلولي الأمر التَّريُّث مع العزم على استغلال الفرصة متى سنحت " (٤) .

وهذه من العصيمي وغيره من المتسلفه فتوى صريحة لهدم القبة الخضراء ، متى سنحت الفرصة لذلك ، دون النَّظر لمشاعر المسلمين جميعاً ، ودون النَّظر لما سيحدثه الهدم من إساءة للحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّها حول قبرة ...

وما أرى فتاويهم بحقِّ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبره الشَّريف إلا لأنَّ في قلوبهم شيء منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال الإمام التقي الحصني في كلامه عن ابن تيمية : " وهذا وغيره يدلُّ على أنَّ عنده ضغينة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولصاحبيه وكذا لأُمَّته ليفوت عليهم هذا الخير الذي ربَّته على زيارة قبره عليه أفضل

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/٢٧٠ برقم ٢٦٨٦٠) ، مسلم (٣/١٣٤٣) ، ابن ماجه (١/٧ برقم ١٤) ، ابن حبان في الصحيح (١/٢٠٨ برقم ٢٦) ، الدارقطني في السنن (٥/٤٠٢ برقم ٤٥٣٤) ، الشهاب القضاعي في المسند (١/٢٣١ برقم ٣٥٩) ، البيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٥٢ برقم ٣٢٥٣) ، السنن الصغير (٤/١٣١ برقم ٣٢٥٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٢/٦٦٦ برقم ٦٩٦) .

(٣) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢/٢٦٤-٢٦٥) .

(٤) انظر : بدع القبور ، أنواعها ، وأحكامها (ص ٢٥٣) .

الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، فاحذروه ، واحذروا تزويق مقالاته المطوي تحتها أخبت الخباث ، فإنها لا تجوز إلا على عامي  
أو بليد الذهن كالحمار يحمل أسفارا" (١) .

وإلا فما معنى أن يعتبر ابن تيمية في تعليقه على قصّة العتبي من رأى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام  
ضعيفاً في دينه ، وبه نفاق ، ومن المؤلّفة قلوبهم ... قال ابن تيمية : " وأما ما ذكره بعض الفقهاء من حكاية  
العُتْبِيِّ عَنِ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي أَتَى قَبْرَ النَّبِيِّ ، وَقَالَ : يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ إِنْ اللهُ يَقُولُ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾  
[النساء : ٦٤] ، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ ، وَأَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ فِي الْمَنَامِ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَبْشُرَ الْأَعْرَابِيَّ ، فَهَذِهِ الْحِكَايَةُ وَنَحْوَهَا مِمَّا يَذْكَرُ  
فِي قَبْرِ النَّبِيِّ وَقَبْرِ غَيْرِهِ مِنَ الصَّالِحِينَ ، فَيَقَعُ مِثْلَهُمَا لِمَنْ فِي إِيْمَانِهِ ضَعْفٌ ، وَهُوَ جَاهِلٌ بِقَدْرِ الرَّسُولِ وَبِمَا أَمْرُهُ ،  
فَإِنْ لَمْ يَعْفَ عَنْ مِثْلِ هَذَا لِحَاجَتِهِ وَإِلَّا اضْطُرَبَ إِيْمَانُهُ وَعَظُمَ نِفَاقُهُ ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْمُؤَلَّفَةِ بِالْعَطَاءِ فِي حَيَاةِ  
النَّبِيِّ ، كَمَا قَالَ إِنِّي لَا تَأَلَّفُ رَجَالًا بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْهَلَعِ وَالْجَزَعِ وَأَكْلِ رَجَالًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغَنِيِّ  
وَالْحَيْثُ ، مَعَ أَنْ أَخَذَ ذَلِكَ الْمَالَ مَكْرُوهَهُمْ ، فَهَذِهِ أَيْضًا مِثْلُ هَذِهِ الْحَاجَاتِ " (٢) .

وما معنى أن يُنكر ابن تيمية أن تكون البقعة التي ضمت جسد الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من  
الكعبة ومن كل بقاع الأرض ، كما نقل القاضي عياض في " الشفا " ، فقد جاء في فتاوى ابن تيمية : " وَسُئِلَ  
أَيْضًا : عَنْ رَجُلَيْنِ تَجَادَلَا ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : إِنَّ تُرْبَةَ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
، وَقَالَ الْآخَرُ : الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ . فَمَعَ مِنَ الصَّوَابِ ؟ فَأَجَابَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، أَمَّا نَفْسُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا خَلَقَ اللهُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ . وَأَمَّا نَفْسُ التُّرَابِ فَلَيْسَ  
هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ بَلْ الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَلَا يُعْرَفُ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَضَّلَ تُرَابَ الْقَبْرِ عَلَى  
الْكَعْبَةِ إِلَّا الْقَاضِي عِيَاضٌ ، وَلَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إِلَيْهِ ، وَلَا وَافَقَهُ أَحَدٌ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " (٣) .

قلت : وهو في كلامه هذا يهرف بما لا يعرف ، فقد نقل القاضي عياض (٥٤٤هـ) الإجماع على أن البقعة التي  
ضمت جسد الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من الكعبة ومن كل بقاع الأرض ، ولم يخالفه فيها قال أحدٌ إلا  
ابن تيمية الذي خالف الإجماع في غير ما مسألة ، ومما يثبت هذا ما قاله العلماء في تأييد ما ذهب إليه القاضي

(١) انظر : دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد (ص ١١٢) .

(٢) انظر : جامع الرسائل (٢/ ٣٧٨) ، قاعدة في المحبة (ص ١٩٢) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٨) .

عياض ، فقد نقل الإمام النووي قول عياض مقرأً له فقال : " وَنَقَلَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي آخِرِ كِتَابِ الْحَجِّ مِنْ شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ مَوْضِعَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْأَرْضِ وَأَنَّ الْخِلَافَ فِيهَا سِوَاهُ " (١) .

وقال الإمام ابن كثير : " وقد حكى ذلك عياض السبتي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه والله أعلم ، ونقل الأئفاق على أن قبره الذي ضمَّ جسده بعد موته أفضل بقاع الأرض .

وقد سبقه إلى حكاية هذا الإجماع القاضي أبو الوليد الباجي ، وابن بطال ، وغيرهما ، وأصل ذلك ما روي أنه لما مات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختلفوا في موضع دفنه فقيل بالبقيع ، وقيل بمكة ، وقيل ببيت المقدس ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : إن الله لم يقبضه إلا في أحبِّ البقاع إليه " (٢) .

وما معنى أن يزعم ابن تيمية أن معرفة قبور الأنبياء ليس لها فائدة ، فقد قال : " وَلَكِنْ لَيْسَ فِي مَعْرِفَةِ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ بِأَعْيَانِهَا فَائِدَةٌ شَرْعِيَّةٌ ، وَلَيْسَ حِفْظُ ذَلِكَ مِنَ الدِّينِ ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الدِّينِ لَحَفِظَهُ اللَّهُ كَمَا حَفِظَ سَائِرَ الدِّينِ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَامَّةَ مَنْ يَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ إِنَّهَا فَصْدُهُ الصَّلَاةِ عِنْدَهَا ، وَالِدُّعَاءِ بِهَا ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْبِدْعِ الْمُنْهِيِّ عَنْهَا " (٣) .

فمن خلال النَّصِّ السَّابِقِ نجد أن ابن تيمية يدعو لشحن النَّاسِ كي لا يزوروا قبر الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّه لا توجد ثَمَّةُ فائدة من الزَّيَارَةِ ، لأنَّ الزَّائِرَ لا يقصد بزيارته إلا البدع المنهي عنها ، كما أنَّه لا فائدة شرعيَّة أيضاً في معرفة قبور الأنبياء بأعيانها ، وقد سبق له أن اعتبر زيارة قبر الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصية لا تُقصر فيها الصَّلَاةُ ، بل إنَّ ابن تيمية لم يستحب أن يسكن أحد بجوار قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد قال : " وَلَا اسْتَحَبَّ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَلَا عَلَمَاءِ أُمَّتِهِ أَنْ يُجَاوِرَ أَحَدًا عِنْدَ قَبْرِ ، وَلَا يَعْكُفَ عَلَيْهِ ، لَا قَبْرَهُ الْمَكْرَمَ وَلَا قَبْرَ غَيْرِهِ ، وَلَا أَنْ يَقْصِدَ السُّكْنَى قَرِيباً مِنْ قَبْرِ أَيِّ قَبْرِ كَانَ " (٤) .

ويكفي في الرَّدِّ عليه أن نسوق ما رواه ابن حبان وغيره بسندهم عن أبي موسى ، قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيًّا فَأَكْرَمَهُ ، فَقَالَ لَهُ : " اتَّبِنَا " ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " سَلْ حَاجَتَكَ

(١) انظر : المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) (٧/ ٤٧١) .

(٢) انظر : الفصول في السيرة ، ابن كثير ، (ص ٢٩٠) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٤٤) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٣٤) ، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (٢/ ٤٧) .

" ، قَالَ : نَاقَةٌ تَرْكَبُهَا ، وَأَعَزُّزٌ يَحْلِبُهَا أَهْلِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ " ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَالَ : " إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ ، ضَلُّوا الطَّرِيقَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ عُلَمَاؤُهُمْ : إِنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا حَصَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْتِنَا مِنْ اللَّهِ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقَلَ عِظَامَهُ مَعَنَا ، قَالَ : فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ ؟ قَالَ : عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَاتَتْهُ ، فَقَالَ : ذُلِّينِي عَلَى قَبْرِ يُونُسَ ، قَالَتْ : حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي ، قَالَ : وَمَا حُكْمُكَ ؟ قَالَتْ : أَكُونُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ ، فَكَّرَهُ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : أَنْ أَعْطِيَهَا حُكْمَهَا ... " . (١)

فَالنَّصُّ السَّابِقُ يَرُدُّ عَلَى مَا زَعَمَهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ مِنْ أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِي مَعْرِفَةِ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَقَدْ وَضَّحَ النَّصُّ وَبَرَهَنَ عَلَى أَنَّ مَعْرِفَةَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِقَبْرِ سَيِّدِنَا يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَكْفَّلَتْ بِدُخُولِهَا الْجَنَّةَ ، كَرَامَةٌ لَهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ...

أَمَّا عَنْ عَدَمِ اسْتِحْبَابِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ مَجَاوِرَةَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَذِهِ مِصْبِيَّةٌ وَطَامَةٌ ، لِأَنَّ مَجَاوِرَةَ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ مِمَّا تَشْرَبُ لَهُ قُلُوبٌ مَحْبِيَّةٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ : " حَدَّثَنِي أَبُو يَعْلَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَاءِ الْحَنْبَلِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو طَاهِرِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ : حَكَى لِي وَالِدِي عَنْ رَجُلٍ كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : أَيْنَ تَحْبُّ أَنْ تَدْفِنَ إِذَا مِتَّ ؟ فَقَالَ : بِالْقَطِيعَةِ ، وَإِنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ مَدْفُونٍ بِالْقَطِيعَةِ ، وَقِيلَ لَهُ ، يَعْني لِعَبْدِ اللَّهِ ، فِي ذَلِكَ ، قَالَ : وَأَطْنَهُ كَانَ أَوْصَى بِأَنْ يَدْفِنَ هُنَاكَ ، فَقَالَ : قَدْ صَحَّ عِنْدِي أَنَّ بِالْقَطِيعَةِ نَبِيًّا مَدْفُونًا ، وَلِأَنَّ أَكُونَ فِي جَوَارِ نَبِيٍّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَكُونَ فِي جَوَارِ أَبِي " (٢) .

وَلِكَ أَنْ تَسْتَعْرِبَ وَتَتَعَجَّبَ مَعِي يَا قَارِئِي مِنْ تَلَامِذَةِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ وَمَحْبِيَّةِ حِينَ صَرَّحُوا بِاسْتِحْبَابِ مَجَاوِرَةَ وَزِيَارَةِ قَبْرِ شَيْخِهِمْ ابْنِ تَيْمِيَّةَ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَحَدُهُمْ :

قد أودع القبر الشريف علومه  
عجبا لوسع القبر بحراً سائلاً  
قد كان لا يحتاج طالب علمه  
كثر السؤال وليس يلقي سائلاً

(١) أخرجه ابن حبان في الصحيح (٢/ ٥٠٠ برقم ٧٢٣) ، الهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، (ص ٦٠٣ برقم ٢٤٣٥) ، مجمع الزوائد الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٧٠ برقم ١٧٣٤٨ ، وقال : وَرِجَالٌ أَبِي يَعْلَى رِجَالُ الصَّحِيحِ ) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٣) .

قد كَانَ ركنًا فِي الموعظِ جملةً  
وَإِذَا رآكَ يَكُونُ حَقًّا بَادِيًا  
يَا رَبِّ فَارحمه وَبَلِّ ثراه بِالغيبِ  
يَا رَبِّ وَافْعَلْ ذَا بِكُلِّ مَوَادِدِ  
يَا رَبِّ وَارحمنا وَكُلَّ مَشِيعِ

بحراً عميقاً إن أردت مسائلاً  
لكِ بِالسَّلامِ مَوَادِدًا وَمَسَائِلًا  
ث الكَرِيمِ مَعَاوِدًا وَمَوَاصِلًا  
وَمَجَاوِرِ قَبْرِ الإِمَامِ مَوْمِلًا  
صَلِّيَ عَلَيْهِ أَوْ أَتَاهُ مُقْبِلًا (١)

وما معنى أن يمنع ابن تيمية من الدعاء عند القبر الشريف ويعتبره بدعة ... قال ابن تيمية: " وَلَا يَقِفُ عِنْدَ الْقَبْرِ لِلدُّعَاءِ لِنَفْسِهِ ، فَإِنَّ هَذَا بَدْعَةٌ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَقِفُ عِنْدَهُ يَدْعُو لِنَفْسِهِ " (٢) .  
وقال ابن تيمية: " وَكَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصِدُ الدُّعَاءَ عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ؛ لَا قَبْرَ نَبِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا قَبْرَ الْحَلِيلِ وَلَا غَيْرِهِمَا . وَهَذَا ذَكَرَ الْأَئِمَّةُ كَمَا لِكَ وَغَيْرِهِ أَنَّ هَذَا بَدْعَةٌ " (٣) .

وقال ابن تيمية: " بَلْ نَصَّ أئِمَّةُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُوقَفُ عِنْدَهُ لِلدُّعَاءِ مُطْلَقًا ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي " كِتَابِ الْمُبْسُوطِ " ، وَذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضُ . قَالَ مَالِكٌ : لَا أَرَى أَنَّ يَقِفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَدْعُو ؛ وَلَكِنْ يُسَلِّمُ وَيَمْضِي " (٤) .

وقال ابن تيمية: " قصد القبور للدُّعَاءِ عندها أو لها ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ عِنْدَ الْقُبُورِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَمَاكِنِ يَنْقَسِمُ إِلَى نَوْعَيْنِ :

أحدهما : أن يحصل الدُّعَاءُ فِي البقعة بحكم الاتِّفَاقِ لَا لِقَصْدِ الدُّعَاءِ فِيهَا كَمَنْ يَدْعُو اللَّهَ فِي طَرِيقِهِ وَيَتَّفِقُ أَنْ يَمْرًا بِالْقُبُورِ أَوْ مِنْ يَزُورُهَا فَيَسَلِّمُ عَلَيْهَا وَيَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ لَهُ وَلِلْمَوْتَى ، كَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ ، فَهَذَا وَنَحْوَهُ لَا بَأْسَ بِهِ .

الثاني : أن يتحرَّى الدُّعَاءَ عندها بحيث يستشعر أنَّ الدُّعَاءَ هُنَاكَ أَجُوبٌ مِنْهُ فِي غَيْرِهِ ، فَهَذَا النَّوعُ مِنْهُي عَنْهُ أَمَّا نَهْيُ تَحْرِيمِ أَوْ تَنْزِيهِهِ ، وَهُوَ إِلَى التَّحْرِيمِ أَقْرَبُ " (٥) .

(١) انظر : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ص ٤٧١) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١٤٧/٢٦) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، (١١٠/٢٧) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (١١٧/٢٧) .

فابن تيمية يزعم فيما نقلنا عنه في النصوص السابقة أن الوقوف للدعاء عند القبر الشريف بدعة، ولم يكن أحد من الصحابة يفعل ذلك، ولم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقصد الدعاء عند قبر أحد من الأنبياء، وكذا لم يتحرى أحد منهم الدعاء عند أي من قبور الأنبياء...

هذا ما قاله ابن تيمية، وكلامه في هذا الباب باطل عاطل، تردده الروايات الصريحة عن الصحابة الكرام، وأثمهم فعلوا وتحروا ما اعتبره ابن تيمية بدعة...

فقد روى مالك وغيره بسندهم عن عبد الله بن دينار؛ أنه قال: رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى أبي بكر، وعمر (١).

وروى الطبراني وغيره بسندهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: رأيت أسامة بن زيد عند حجرة عائشة يدعو، فجاء مروان فأسمعه كلاماً، فقال أسامة: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله عز وجل يبغض الفاحش البذيء (٢).

وروى البيهقي بسنده عن عبد الله بن منيب بن عبد الله بن أبي أمامة، عن أبيه، قال: "رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فوقف، فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف" (٣).

فالنصوص الثلاثة السابقة تبرهن بوضوح على أن الصحابة: عبد الله بن عمر، وأسامه بن زيد، وأنس بن مالك، وقفوا عند القبر الشريف ودعوا... فهل هم مبتدعة يا من تدعون السلفية زوراً وظلماً وعدواناً... سبحانك ربّي هذا هتان مبين.

وما معنى أن يصرح الألباني بأن من البدع المذمومة في زماننا: إبقاء قبر النبي في مسجده صلى الله عليه وسلم (٤).

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص ٣٣٦-٣٣٧).

(٢) أخرجه مالك، (٢/ ٢٣١ برقم ٥٧٤)، البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٤٠٣ برقم ١٠٢٧٢).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٦٦ برقم ٤٠٥)، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ١٠٥ برقم ١٣١٦).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، (٣/ ٤٩١ برقم ٤١٦٤)، تحقيق: محمد السعيد بسبوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

(٥) انظر: مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف وسرد ما ألحق الناس بها من البدع (ص ٦٠).

وفي دراسة بعنوان : " عمارة مسجد النَّبِيِّ عليه السَّلَام ودخول الحجرات فيه دراسة عقديَّة " ، قدَّمها المدعو الدكتور علي بن عبدالعزيز الشُّبل ، عضو هيئة التَّدريس في جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة في الرِّياض ، اقترح فيها نقل قبر النَّبِيِّ محمَّد "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ، وحجراته من حرم المسجد النَّبَوِيِّ الشَّرِيف ، لتكون الحجرَّة خارج المسجد الذي تتمُّ فيه الصَّلَاة حاليًّا . وطالب فيها بهدم الجدار القبلي العثماني المجيدي ، وتوسيع مقدِّمة المسجد إلى الجنوب ، كما طالب المومئ إليه بتشكيل لجنة متخصصة من أهل العلم المعروفين ، لدراسة حاجة المسجد النَّبَوِيِّ الشَّرِيف ، وتتبع ما فيه من البدع المحدثات ذات الخطر على الدِّين والعقيدة ، ومن ضمنها أبيات العتبي الشُّعريَّة المكتوبة في محيط الحجرَّة ، زاعماً أنَّ ذلك لصفاء التَّوحيد !!! ومنعاً للشرك والتَّوسُّل والاستغاثة بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبره وهو ميِّت .

ونشرت الدِّراسة المذكورة في المجلَّة العلميَّة المحكمة !!! الصَّادرة عن مركز البحث العلمي وإحياء التُّراث الإسلامي ، التَّابع للرَّئاسة العامَّة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النَّبَوِيِّ . فلا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العليِّ العظيم ...

وقال الشَّيخ ابن باز : " ... أمَّا احتجاج بعض الجهلة بوجود قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقبر صاحبيه في مسجده ، فلا حجَّة في ذلك ؛ لأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دفن في بيته وليس في المسجد ، ودفن معه صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولكن لما وسَّع الوليد بن عبد الملك بن مروان المسجد أدخل البيت في المسجد ؛ بسبب التَّوسُّعة ، وغلط في هذا ، وكان الواجب أن لا يدخله في المسجد ؛ حتى لا يحتجَّ الجهلة وأشباههم بذلك ، وقد أنكر عليه أهل العلم ذلك ، فلا يجوز أن يُقتدى به في هذا ، ولا يظنَّ ظانُّ أنَّ هذا من جنس البناء على القبور أو اتخاذها مساجد ؛ لأنَّ هذا بيت مستقلُّ أدخل في المسجد ؛ للحاجة للتَّوسُّعة ، وهذا من جنس المقبرة التي أمام المسجد مفصولة عن المسجد لا تضرُّه ، وهكذا قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفصول بجدار وقضبان . وينبغي للمسلم أن يبيِّن لإخوانه هذا ؛ حتى لا يغلطوا في هذه المسألة . والله وليُّ التَّوفيق " (١)

وجاء في فتاوى ابن باز : " س : قال الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ألا إنَّ من كان قبلكم كانوا يتَّخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتَّخذوا القبور مساجد ، فإني أناكم عن ذلك " . وله أحاديث تنهى عن بناء المساجد على القبور ، فإذا وجد القبر ، فعلينا التَّسوية ، والمسجد النَّبَوِيِّ أسأل الله أن يطعمني زيارته ، ولكن من زار

(١) انظر : مجموع فتاوى العلَّامة عبد العزيز بن باز (١٣/٢٣٨) .

المسجد النبوي ، وجد أن قبر النبي بارز غير مسوّى مع الأرض ، ويصلي عليه أحياناً ، أنا أسأل مع السائلين هل هناك رخصة لقبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط ، وهذا غير وارد . أفتونا جزاكم الله خيراً ؟

ج : النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُفِنَ في بيته ، والصَّحابة رأوا دفنه في البيت حتى لا يتخذ قبره مسجداً ، هذا هو الأصل ، لكن لما وسع أمير المؤمنين في وقته الوليد بن عبد الملك في المائة الأولى مسجد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدخل الحجر في المسجد ، ومن ذلك الوقت دخلت في المسجد ، وإلا فهو مدفون في بيته عليه الصلوة والسلام ، فلا حجة فيه لأحد من النَّاس ؛ لأنَّه عليه الصلوة والسلام لم يدفن في المسجد ، وإنما دُفِنَ في بيته ، ودخلت الحجر برمتها في التوسعة .

أما النَّاس فلا يجوز لهم أن يدفنوا في المساجد ، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن من فعل ذلك ، قال : " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ، فلا يجوز الدفن في المساجد ، ولا يجوز بناء مساجد على القبور ، فكلُّ هذا منكر ، لعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فعله ، والواجب الحذر من ذلك ، أما قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يدفن في المسجد ، بل دُفِنَ في بيته ، ولكن عند التوسعة أدخل البيت في المسجد ، وكان هذا من أخطاء الوليد ، عفا الله عنه " (١) .

قلت : لقد اشتمل كلام ابن باز على ألوان من التَّدليس والمراوغة وعدم المصادقة ، وإليك البيان :  
أما زعمه بأن من أمر بضمِّ القبر للمسجد إنما هو الوليد بن عبد الملك فكذبٌ صراح ، لأنَّ التَّاريخ يشهد بأن من قام بضمِّ القبر للمسجد إنما هو الخليفة الرَّاشد الخامس عمر بن عبد العزيز ، وكان إماماً عالماً فقيهاً ... قال الإمام الذهبي في ترجمته له : " الإمام ، الحافظ ، العلامة ، المُجْتَهِد ، الرَّاهِد ، العابد ، السَّيِّد ، أمير المؤمنين حقاً ، أبو حفص القرشي ، الأموي ، المدني ، ثمَّ المصري ، الحليفة ، الرَّاهِد ، الرَّاشِد ، ... وَكَانَ مِنْ أئِمَّةِ الاجتهاد ... وَكَانَ ثِقَّةً ، مَأْمُونًا ، لَهُ فِقْهٌ وَعِلْمٌ وَوَرَعٌ ، وَرَوَى حَدِيثًا كَثِيرًا ، وَكَانَ إِمَامَ عَدْلٍ - رَحِمَهُ اللهُ ، وَرَضِيَ عَنْهُ " (١) .

قال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدمشقي (٧٧٤هـ) : " ... وَذَكَرَ ابن جرير : أَنَّهُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ كِتَابُ الْوَلِيدِ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَأْمُرُهُ بِهَدْمِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَإِضَافَةِ حُجْرِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْ يُوسَّعَهُ مِنْ قِبَلَتِهِ وَسَائِرِ نَوَاحِيهِ ، حَتَّى يَكُونَ

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (٢/ ٢٣٢) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤-١١٥) .

مَاتَنِي ذِرَاعٍ فِي مَاتَنِي ذِرَاعٍ ، فَمَنْ بَاعَكَ مَلِكُهُ فَاشْتَرَهُ مِنْهُ وَإِلَّا فَقَوْمَهُ لَهُ قِيمَةٌ عَدْلٍ ثُمَّ أَهْدَمَهُ وَادْفَعِ إِلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ ، فَإِنَّ لَكَ فِي ذَلِكَ سَلَفَ صِدْقٍ عُمَرَ وَعُثْمَانَ .

فَجَمَعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَجُوهَ النَّاسِ وَالْفُقَهَاءَ الْعُسْرَةَ وَأَهْلَ الْمَدِينَةِ وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْوَلِيدِ ، ... فَعِنْدَ ذَلِكَ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْوَلِيدِ بِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ الْعُسْرَةَ الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرَهُمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِالْحَرَابِ وَبِنَاءِ الْمَسْجِدِ عَلَى مَا ذَكَرَ ، وَأَنْ يُعَلِّي سُقُوفَهُ . فَلَمْ يَجِدْ عُمَرُ بُدْأً مِنْ هَدْمِهَا ، ... فَأَدْخَلَ فِيهِ الْحُجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ - حُجْرَةَ عَائِشَةَ - فَدَخَلَ الْقَبْرَ فِي الْمَسْجِدِ .. " (١) .

فَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ هُوَ مَنْ أَدْخَلَ الْقَبْرَ فِي الْمَسْجِدِ ، وَلَيْسَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ مَحْذُورٌ لَمَا أُطَاعَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ أَمْرَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، لِأَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ . مَعَ أَنَّ ابْنَ بَازٍ - كَمَا جَاءَ فِي كَلَامِهِ - يَجْعَلُ الْأَمْرَ غَلَطًا مَنَّمَنَ قَامَ بِعَمَلِيَّةٍ ضَمَّ الْقَبْرَ لِلْمَسْجِدِ ، وَهَذَا الْكَلَامُ يَدُلُّ عَلَى دَلَالَةٍ وَاضِحَةٍ عَلَى أَنَّ مِنْ حَضَرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ اسْتَشَارَهُمْ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ مَا كَانُوا يَفْهَمُونَ التَّوْحِيدَ ، حَتَّى جَاءَ ابْنَ بَازٍ لِيُعَلِّمَهُمُ الْخَطَأَ مِنَ الصَّوَابِ ، وَأَتَمَّهُمْ فِيهَا صَنَعُوا قَدْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ...

وَمِنَ الْمَعْلُومِ يَقِينًا أَنَّ الْخَلِيفَةَ الرَّاشِدَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، كَانَ إِذَا وَقَعَ لَهُ أَمْرٌ مُشْكِلٌ جَمَعَ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ ، وَاسْتَشَارَهُمْ ، وَكَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا ، وَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ أَمْرِهِمْ وَنُصْحِهِمْ ، قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ : " وَبَنَى فِي مَدِينَةِ الْوَلِيدِ هَذِهِ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَسَّعَهُ عَنْ أَمْرِ الْوَلِيدِ لَهُ بِذَلِكَ ، فَدَخَلَ فِيهِ قَبْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ كَانَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ مُعَاشِرَةً ، وَأَعَدَّهُمْ سِيرَةً ، كَانَ إِذَا وَقَعَ لَهُ أَمْرٌ مُشْكِلٌ جَمَعَ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ عَيَّنَ عَشْرَةَ مِنْهُمْ ، وَكَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا بِدُونِهِمْ أَوْ مَنْ حَضَرَ مِنْهُمْ ، وَهُمْ عُرْوَةٌ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ سَلِيمَانَ بْنِ خَيْثَمَةَ ، وَسَلِيمَانُ بْنُ يُسَارٍ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَزْمٍ ، وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ . وَكَانَ لَا يُخْرِجُ عَنْ قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ... " (٢) .

فَهُؤُلَاءِ هُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ وَاظَفُوا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى ضَمِّ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ إِلَى الْمَسْجِدِ ... وَيُضَافُ لِمَا سَبَقَ : أَنَّ الْفِتْرَةَ الَّتِي أُدْخِلَ فِيهَا الْقَبْرَ الشَّرِيفَ إِلَى الْمَسْجِدِ كَانَتْ مَا بَيْنَ عَامِي (٨٨٨هـ-٩١هـ) ، وَهِيَ فِتْرَةٌ كَانَتْ فِيهَا بَعْضُ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، مِثْلُ : سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ

(١) انظر : البداية والنهاية (٩/ ٨٩) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (٩/ ٢١٩) .

البر : " واختلف في وقت وفاة سهل بن سعد . فقيل : توفي سنة ثمان وثمانين ، وهو ابن ست وتسعين سنة . وقيل : توفي سنة إحدى وتسعين ، وقد بلغ مائة سنة " (١) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، قال ابن كثير " وَقَدْ اِخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي سَنَةِ وَفَاتِهِ ، فَقِيلَ : سَنَةَ تِسْعِينَ ، وَقِيلَ : إِحْدَى وَتِسْعِينَ ، وَقِيلَ : ثِنْتَيْنِ وَتِسْعِينَ ، وَقِيلَ : ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " (٢) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ صَغِيرٍ ، قال ابن عبد البر في ترجمته : " وتوفي سنة تسع وثمانين ، وهو ابن ثلاث وتسعين . وقيل : سنة سبع وثمانين ، وهو ابن ثلاث وثمانين " (٣) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ الْمُقَدَّمُ بْنُ مَعْدِيكَرْبَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعْدِيكَرْبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ ثَوْرَ بْنِ عَفِيرِ الْكَنْدِيِّ . قال ابن عبد البر في ترجمته : " مات سنة سبع وثمانين " (٤) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَسْرِ الْمَازِنِيِّ . قال ابن عبد البر في ترجمته : " مات بالشَّام سنة ثمانين " (٥) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ . قال ابن عساکر : " قال خليفة بن خياط : توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز " (٦) .

وعاش فيها أيضاً الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ ، قال ابن عبد البر : " ومات سنة مائة أو نحوها . ويقال : أنه آخر من مات ممن رأى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٧) .

ولم نعلم لهؤلاء الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ نَكِيرًا لَمَّا صَنَعَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ إِدْخَالِ الْقَبْرِ إِلَى الْمَسْجِدِ . وَأَمَّا إِنْكَارُ ابْنِ الْمَسِيْبِ لِهَدْمِ حَجَرَاتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَكُنْ إِنْكَارَهُ لِدَاثِ الْإِدْخَالِ ، بَلْ كَانَ لِسَبَبِ آخِرِ

(١) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٦٤) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (٩/ ٩٢) .

(٣) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٨٧٦) .

(٤) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٤٨٢) .

(٥) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٨٧٤) .

(٦) انظر : تاريخ دمشق (٧٤/ ٢٤٤) .

(٧) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٩٨) .

ذكره صاحب " الطبقات " ، قال : " سَمِعْتُ عَطَاءَ الْخُرَّاسِيَّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ عُمَرُ بْنُ أَبِي أَنْسٍ يَقُولُ وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ : أَدْرَكْتُ حُجْرَ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ عَلَى أَبْوَابِهَا الْمُسُوْحِ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ . فَحَضَرْتُ كِتَابَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يَقْرَأُ يَأْمُرُ بِإِدْخَالِ حُجْرِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا رَأَيْتُ أَكْثَرَ بَاطِلًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

قَالَ عَطَاءٌ : فَسَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيْبِ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهُمْ تَرَكُوهَا عَلَى حَالِهَا يَنْشَأُ نَاشِئٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَيَقْدَمُ الْقَادِمُ مِنَ الْأَقْفَى فَيَرَى مَا اكْتَفَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَيَاتِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا يُزْهَدُ النَّاسُ فِي التَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ " (١) .

فسعید بن المسیب علیہ رحمۃ اللہ تعالیٰ ما أنکر إدخال القبر إلى المسجد ، وإنما كان يرى إبقاء حجرات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كي تكون سبيلاً للزهد والتقلل من الدنيا وزينتها ، مع العلم أن من يزعمون السلفية لم يُبقوا على أي أثر من آثار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا آثار الصحابة الكرام الذين أداروا ظهورهم للدنيا زاهدين متقللين ، في الوقت الذي نرى فيه من يدعون السلفية في بحار الدنيا المتلاطمة يسبحون ، وفي رغد من العيش يتنعمون ...

فمن يكون ابن باز إذا وُضع معهم ؟!!! وإني أقسم بالله العظيم غير حانث أنه لولا الدعم المالي والإعلامي منقطع النظير لعاش ابن باز وابن عثيمين و... ولم يسمع بهم أحد من العالمين ... والله في خلقه شؤون ...

من جهة أخرى فإن أهل العلم ذكروا أن جمعاً من الأنبياء مدفونون في بيت الله الحرام ، قال الإمام أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقى (٢٥٠هـ) : " حَدَّثَنِي مَهْدِيُّ بْنُ أَبِي الْمُهَدِّيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَابِطٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا هَلَكَتْ أُمَّتُهُ لِحَقِّ بِمَكَّةَ فَيَتَعَبَّدُ فِيهَا النَّبِيُّ ، وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى يَمُوتَ فِيهِ ، فَهَاتَ بِهَا نُوحٌ ، وَهُودٌ ، وَصَالِحٌ ، وَشُعَيْبٌ ، وَقَبُورُهُمْ بَيْنَ رَمْزَمَ وَالْحَجْرِ " (٢) .

(١) انظر : الطبقات الكبرى (١/ ٣٨٧) .

(٢) انظر : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، الأزرقى (١/ ٦٨) .

وقال الإمام الأزرقي أيضاً: " قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَابِطٍ : كَانَ النَّبِيُّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هَلَكَتْ أُمَّتُهُ لَحِقَ بِمَكَّةَ ، فَتَعَبَّدَ فِيهَا النَّبِيُّ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى يَمُوتَ ، فَمَاتَ بِهَا نُوحٌ ، وَهُودٌ ، وَصَالِحٌ ، وَشُعَيْبٌ ، وَقُبُورُهُمْ بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحِجْرِ . حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ أَبِي الْمُهَدِّيِّ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ ، عَنْ أَبِي خَيْثَمٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَابِطٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ صَمْرَةَ السَّلُولِيَّ ، يَقُولُ : مَا بَيْنَ الرُّكْنِ إِلَى الْمُقَامِ إِلَى زَمْزَمَ إِلَى الْحِجْرِ قَبْرٌ تِسْعَةٌ وَسِتِّينَ نَبِيًّا ، جَاءُوا حُجَّاجًا فُقِّرُوا هُنَالِكَ ، فَتَلَكَ قُبُورُهُمْ غَوْرُ الْكَعْبَةِ " (١) .

وقال الإمام محمد بن الحسن الشيباني: " أَخْبَرَنَا أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَالِمُ الْأَفْطُسُ ، قَالَ : مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَيَهْرُبُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ يُعْبُدُ رَبَّهَا ، وَإِنْ حَوْهَا لَقُبُورَ ثَلَاثِيئَةِ نَبِيٍّ " (٢) .

وقال الإمام محمد بن الحسن الشيباني: " أَخْبَرَنَا أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ ، قَالَ : قَبْرُ هُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ " (٣) .

وقد أخبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ " فِي مَسْجِدِ الْحَيْفِ قَبْرٌ سَبْعِينَ نَبِيًّا " (٤) .

أمَّا ما زعمه ابن باز في قوله: "... وقد أنكروا عليه أهل العلم ذلك ، فلا يجوز أن يُقتدى به في هذا " . فهذا محض كذب وافتراء ... وقد تقدّم ما قاله ابن كثير من جمع عمر بن عبد العزيز العلماء والفقهاء ، وأنه استشارهم في المسألة حتى صدروا على رأي واحد ، وهو تنفيذ ما أمر به الوليد بن عبد الملك من زيادة مساحة مسجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضمّ القبر الشريف إلى المسجد ... ولم يخالف في ذلك أحد ، فكان إجماعاً ...

فكيف سكت علماء الأمة قروناً طويلة على وجود ما ذكره مدعو السلفية من المظاهر الوثنية الشركية في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! ليس الأجدر بعلماء الأمة أن ينبّهوا إلى هذه المسألة الخطيرة؟! وأن يعملوا على إزالتها من قديم الزمان؟! أم أنّ التوحيد لا يعلمه إلا من نسبوا أنفسهم زوراً وهتاناً إلى السلف؟! ألا يعتبر السابقون سلفاً لمن طالبوا بإزالة المظاهر الشركية الوثنية من مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! ألا يعتبر السابقون سلفاً لمن طالبوا بإزالة المظاهر الشركية الوثنية من مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! ...

(١) انظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، الأزرقي (١٣٣/٢) .

(٢) انظر: الآثار (٢/٢٩٠ برقم ٢٦٥) .

(٣) انظر: الآثار (٢/٢٩٢ برقم ٢٦٦) .

(٤) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه (٤/٢٣٧ برقم ٢٥٩٤) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٢/٤١٤ برقم ١٣٥٢٥) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/٢٩٧ برقم ٥٧٦٩) ، وقال: رَوَاهُ الْبِرَّازُ ، وَرَجَّاهُ ثِقَاتٌ .

وَسَلَّمَ!!!؟ ألا يعتبر زمان سيّدنا عمر بن عبد العزيز زمن السلف؟!!! أليس هو من قام بضمّ القبر الشريف للمسجد؟!!! والضمّ كان بموافقة من حضر في ذلكم الزّمان من جهابذة العلماء وأساطينهم .

وزعم علماء نجد أنّه كان قبل مجيء محمّد بن عبد الوهّاب في كلّ بلد من بلدان نجد صنمٌ يُعبد من دون الله تعالى ، فقد جاء في " الدرر السنية " : " ... وكان قبل ذلك في كلّ أرض وبلد من أرض نجد ، أو ثان وأشجار تُعبد من دون الله ، وينذر لها ويذبح لها القربان ، ويعظّمونها أعظم من تعظيم الله " (١) .

وقد نقلت في كتاب : " تكفير الوهّابية لعموم الأمة المحمّديّة " نقولاً عديدة عن محمّد بن عبد الوهّاب كَفَر فيها السّواد الأعظم من أمة محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لدرجة أنّه ومن معه كفّروا كلّ من كان على غير منهجهم ، مع أنّ الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ لِأُمَّتِي أَرْبَعَةَ خِلَالٍ ، فَأَعْطَانِي ثَلَاثًا ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً . سَأَلْتُهُ أَنْ لَا تَكْفُرَ أُمَّتِي صَفْقَةً وَاحِدَةً ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ بِمَا عَذَّبَ بِهِ الْأُمَّمَ قَبْلَهُمْ ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُجْعَلَ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ ، فَمَنَعَنِيهَا " (٢) .

وقد برهنت في كتابي هذا على أنّ الأمة وبمختلف عصورها تقول بالتوسّل ، ولم يخالف في ذلك إلا شرذمة قليلة زعمت متابعة السلف ، والسلف منهم براء ، لأنّهم لم يأتوا بدليل واحد ولا بقول واحد من أقوال السلف منع فيه التوسّل واعتبره شركاً يخرج الإنسان بسببه من دائرة الإيمان ، في الوقت الذي اعتبر فيه مدّعو السلفيّة التوسّل ضرباً من ضروب الشّرك ، فقد جاء في كتاب " فتح المجيد " : " وكل من دعا نبياً أو ولياً من دون الله ، فقد اتّخذهُ إلهاً وضاهأ النَّصارى في شركهم ، وضاهأ اليهود في تفریطهم . فإنَّ النَّصارى غلوا في عيسى - عليه السّلام - واليهود عادوه ، وسبّوه ، وتنقّصوه . فالنّصارى أفرطوا ، واليهود فرطوا " (٣) .

وقال الشّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ) : " ... ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ ، وَغَلَبَ الْجَهْلُ عَلَى أَكْثَرِ الْخَلْقِ ، حَتَّى عَادَ الْأَكْثَرُونَ إِلَى دِينِ الْجَاهِلِيَّةِ !!! بِالْغُلُوِّ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَدَعَائِهِمْ وَالِاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٩٣/١٠) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/٢٤١) برقم (١٨٦٢) .

(٣) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٢١٩) .

من أنواع الشُّرك ، ولم يعرفوا معنى لا إله إلا الله كما عرف معناها كَفَّار العرب !!! فالله المُستعان . ولم يزل هذا الشُّرك يفسو في النَّاس إلى عصرنا هذا بسبب غلبة الجهل وبعد العهد بعصر النُّبوة " (١) .

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ) أيضاً : " أمَّا المشركون المتأخرون فزادوا على الأوَّلين من جهتين ، إحداهما : شرك بعضهم في الرُّبوبيَّة ، والثَّانية : شركهم في الرِّخاء والسُّدَّة ، كما يعلم ذلك من خالطهم وسبر أحوالهم " (٢) .

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ) أيضاً : " ونسأله سبحانه أن يردهم إلى رشدهم ، وأن يكثر بينهم دعاة الهدى ، وأن يوفِّق قادة المسلمين وعلماءهم لمحاربة هذا الشُّرك والقضاء عليه ووسائله ، أنه سميع قريب " (٣) .

وقال المدعو محمَّد بن جميل زينو : الشُّرك في العبادة والدُّعاء : وهو أن يعبد ويدعو مع الله غيره من الأنبياء والصَّالحين ، كالاستغاثة بهم ودعائهم عند السُّدائد أو الرِّخاء ، وهذا مع الأسف كثير في هذه الأُمَّة ، ويحمل وزره الأكبر بعض المشايخ الذين يؤيِّدون هذا النوع من الشُّرك باسم التَّوسُّل ، يُسمُّونه بغير اسمه ، لأنَّ التَّوسُّل طلب من الله بغير واسطة ، وهذا الذي يفعلونه طلب من غير الله ، كقولهم : " المدد يا رسول الله " (٤) .

وقال دَعِيُّ العلم زينو أيضاً : " يفيدُ هذا الحديث : أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا للأعمى وهو حي ، فاستجاب الله دعاءه ، وأمره أن يدعو لنفسه ، ويتوجه إلى الله بدعاء نبيه ، فقبل الله منه ، وهذا دعاء خاص في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا يمكن الدُّعاء بعد الوفاة ، لأنَّ الصَّحابة لم يفعلوه ، ولم يستفد منه العميان بعد هذه الحادثة " (٥) .

وقال دَعِيُّ العلم زينو أيضاً : " التَّوسُّل الممنوع : هو الذي لا أصل له في الدِّين ، وهو أنواع : التَّوسُّل بالأموات ، وطلب الحاجات منهم والاستعانة بهم ، كما هو واقع اليوم ويسمُّونه تَوْسُّلاً ، وليس كذلك ، لأنَّ التَّوسُّل هو الطَّلَب من الله بواسطة مشروعة كالإيمان والعمل الصَّالح وأسماء الله الحسنى ، ودعاء

(١) انظر : مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (٢٤/١) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (٢٦/١) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (٢٧/١) .

(٤) انظر : منهاج الفرقة الناجية (ص ٣٦) .

(٥) انظر : منهاج الفرقة الناجية (ص ٤٦) .

الأموات إعراض عن الله وهو من الشُّرك الأكبر، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْتَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، الظَّالِمِينَ: المشركين .

أما التَّوَسُّلُ بجاه الرِّسول كقولك: " يا ربِّ بجاه مُحَمَّدٍ اشْفِنِي " ، فهو بدعة ، لأنَّ الصَّحابة لم يفعلوه ، ولأنَّ عمر الخليفة توَسَّلَ بالعبَّاس حيًّا بدعائه ، ولم يتوسَّلَ بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته عندما طلب نزول المطر ، و حديث: " توسَّلوا بجاهي " لا أصل له ، كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية ، وهذا التَّوَسُّلُ البدعي قد يُوَدِّي للشُّرك " (١) .

وقال المدعو أحمد بن حجر آل بن علي: " فالعلماء إزاء هذه البدع والشَّرَكِيَّاتِ !!! أصناف ثلاثة : صنفٌ يؤيد تلك البدع والخزعبلات ويدعو إليها ، وقد يكتب وينشر في تأييد مذهبه ، جهلاً أو طلباً لمصلحة دنيويَّة .

وصنفٌ يعرف الحقَّ ، وأنَّ ما عليه جمهور النَّاسِ !!! باطل وضلال ، لكنَّه يساير العامَّةَ وأشباههم ، خوفاً أو طمعاً .

وصنفٌ ينكر ذلك ويدعو النَّاسَ إلى ترك تلك المحدثات ويرشدهم إلى التَّوْحِيدِ والتَّمَسُّكِ بالسُّنَّةِ المطهَّرة ، وقليل ما هم " (٢) .

وقال المدعو أحمد بن حجر آل بن علي أيضاً: " عدم ثبوت التَّوَسُّلِ عن النَّبيِّ وأصحابه ولذا لم يثبت التَّوَسُّلُ عن الأنبياء بعضهم ببعض ، كما لم يثبت التَّوَسُّلُ عن الصَّحابة بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يثبت عن التَّابِعِينَ ، ولا عن الأئمَّةِ الأربعة ، ولا غيرهم مَن يُعْتَدِّهِمْ " (٣) .

وقال المدعو أحمد بن حجر آل بن علي أيضاً: " فهل يستطيع أحد أن يأتي بحرف من القرآن ، أو من السُّنَّةِ الصَّحيحة على مشروعية التَّوَسُّلِ بالأنبياء أو بالصَّالحين ، فضلاً عن الاستغاثة بأحد منهم على غير الوجه المشروع ؟

وهنا فرق ؛ فَإِنَّ الاستغاثة بغير الله شرك لا ريب فيه . وأما التَّوَسُّلُ فهو بدعة أدنى من الشُّرك " (٤) .

(١) انظر: منهاج الفرقة الناجية (ص ٤٦-٤٧) .،

(٢) انظر: تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) (ص ١٠-١١) .

(٣) انظر: تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) (ص ٤٠) .

(٤) انظر: تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) (ص ٤٣) .

وقال المدعو أحمد بن حجر آل بن علي أيضاً : " لو تدبّر هؤلاء المبتدعون تلك الآيات والأحاديث ، وراجعوا تفاسير الأئمة المحققين لتلك الآيات ، وشروح تلك الأحاديث ؟ لعلموا أن توسلاتهم بالرّسول ، أو بالأنبياء والصّالحين ليس لها أصل في الدّين ، بل هي بدعة ضلالة . وأنّ الاستغاثة والاستعانة بهم من الشّرك والكفر المبيّن " (١) .

قلت : ولو نظر الباحث المتمعّن في الأقوال السّابقة لوجد فيها اضطراباً عجبياً ...  
فقد تضمّنت الرّعم بأنّ التّوسّل لم تقل به الصّحابة بعد النّبي صلّى الله عليه وسلّم ، وأنّه شرك ، وأنّه بدعة أدنى من الشّرك ، وقد تؤدّي إلى الشّرك ، وأنّ الجهل غلب على أكثر الخلق حتى عاد الأكثرون إلى دين الجاهليّة ، وأنّ ما عليه جمهور النّاس باطل وضلال ، كما أنّ التّوسّل لم يثبت عن الصّحابة ، ولا عن التابعين ، ولا عن الأئمة المتبوعين المعترين ... مع أنّ ما سقته في هذا الكتاب أظهر للعيان كذبهم وتدليسهم ... وقد سقت فيها مضى أسماء من قالوا بالتّوسّل ، ومن قام به ، وكذا من نقله مقرّراً غير منكر ... فالإله المشتكى من شرذمة قليلة أشاحت بوجهها عن نور الحقّ المبين ...

فالقوم متخاطبون متناقضون مع أنفسهم ومع غيرهم ، ولا أدلّ على ذلك من قول ابن تيمية : " ولم يُقل أحدٌ : إنّ من قال بالقول الأوّل فقد كفر ، ولا وجه لتكفيره ، فإنّ هذه مسألة خفيّة ليست أدلتها جليّة ظاهرة والكفر إنّما يكون بإنكار ما علّم من الدّين ضرورةً أو بإنكار الأحكام المتواترة والمجموع عليها ونحو ذلك . واختلاف النّاس فيما يُشرع من الدّعاء وما لا يُشرع كاختلافهم هل تُشرع الصلاة عليه عند الذّبح ؛ وليس هو من مسائل السّبب عند أحد من المسلمين . وأمّا من قال : إنّ من نفى التّوسّل الذي سمّاه استغاثةً بغيره كفر وتكفيرٌ من قال بقول الشيخ عزّ الدّين وأمثاله فأظهر من أنّ يحتاج إلى جواب ؛ بل المكفر بمثل هذه الأمور يستحقّ من غليظ العقوبة والتّعزير ما يستحقّه أمثاله من المُفترين على الدّين لا سيّما مع قول النّبي صلّى الله عليه وسلّم " : من قال لأخيه : كافراً فقد باء بها أحدُهُما " (٢) .

ويقول محمّد بن عبد الوهّاب : " فكون بعض يرخص بالتّوسّل بالصّالحين وبعضهم يخصّه بالنّبي صلّى الله عليه وسلّم ، وأكثر العلماء ينهي عن ذلك ويكرهه ، فهذه المسألة من مسائل الفقه ، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور أنّه مكروه فلا ننكر على من فعله ، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد ، لكن إنكارنا على من دعا لمخلوق

(١) انظر : تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) (ص ٥٢) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١/١٠٦) ، والحديث أخرجه مالك في الموطأ (٥/١٤٣٣ برقم ٣٦٠٦) .

أعظم مما يدعو الله تعالى ، ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكربات ، وإغاثة الלהفات ، وإعطاء الرغبات فأين هذا ممن يدعو الله مخلصاً له الدين لا يدعو مع الله أحداً ، ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك ، أو بالمرسلين ، أو بعبادك الصالحين ، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده ، لكن لا يدعو إلا الله مخلصاً له الدين ، فأين هذا مما نحن فيه ؟ " (١) .

مع أن ابن عبد الوهّاب حكم بكفر المتوسّلين ، كما نقلنا عنه في غير ما موضع ...  
واعتبر أتباع محمد بن عبد الوهّاب التبرُّك والتوسُّل بقبور الأنبياء والصالحين حراماً ونوعاً من الشُّرك ، وذلك لأنّه إثبات تأثير شيء لم ينزل الله به سلطاناً ، ولم يكن من عادة السلف الصالح أن يفعلوا مثل هذا التبرُّك ، فيكون من هذه الناحية بدعة أيضاً ، وإذا اعتقد المتبرُّك أن لصاحب القبر تأثيراً أو قدرة على دفع الضرر أو جلب النفع كان ذلك شركاً أكبر إذا دعاه لطلب المنفعة أو دفع المضرّة " (٢) .

مع أنّه لا يوجد بين المتوسّلين من يعتقد أو يثبت البتّة لغير الله تعالى أي تأثير في الأشياء ، لأنّهم يؤمنون بأنّ الله تعالى هو الخالق الرّازق ، الضّارُّ النّافع ...

ووصف الشّيخ ابن باز المستغيثين ، والمتوسّلين بالأنبياء والأولياء ، بأنّهم مشركون كفرّة لا تجوز مناكحتهم ، ولا دخولهم المسجد الحرام ، ولا معاملتهم معاملة المسلمين ، ولو ادّعوا الجهل !!! ولا يلتفت إلى كونهم جهّالاً ، بل يجب أن يُعاملوا معاملة الكفّار " (٣) .

وابن باز هنا يجري على المؤمن الموحد المتوسّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصالحين أحكام الكافر ، لأنّه اعتبر التوسُّل ارتداد عن دين الله ، ولو ادّعوا الجهل !!! ، والعياذ بالله ، ولنا على كلامه هذا ثمّة ملاحظات :  
أولاً : لم أر مثل هذا الكلام الشنيع عند غير ابن باز ، وهذا قمّة الإفراط في تكفير الموحدّين ، وابن باز هنا متابع ومقلدٌ لمحمد بن عبد الوهّاب الذي قال : " فإنّك إذا عرفت أنّ الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل فلا يُعذر بالجهل " (٤) .

(١) انظر : الفتاوى ، محمد بن عبد الوهّاب (ص ٦٨-٦٩) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشّيخ محمد بن صالح العثيمين (٢/٢٤٩) .

(٣) انظر : فتاوى في العقيدة ، ابن باز ، رسائل إرشادية لرئاسة الحرس الوطني ، ١٩١ ، (ص ١٣) .

(٤) انظر : كشف الشبهات ، محمد بن عبد الوهّاب ، (ص ١١) .

مع أن جمهور العلماء قال بالعدر بالجهل من غير تفریق بین الأصول والفروع ... قال الإمام الذهبي : " وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ الْهَكَارِيُّ ، فِي كِتَابِ (عَقِيدَةِ الشَّافِعِيِّ) لَهُ : أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى الْحَلِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَلْقَمَةَ الْأَهْرَبِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِي يَقُولُ - وَقَدْ سُئِلَ عَنْ صِفَاتِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ - ، فَقَالَ : اللَّهُ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ ، جَاءَ بِهَا كِتَابُهُ ، وَأَخْبَرَ بِهَا نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُمَّتَهُ ، لَا يَسْعُ أَحَدًا قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ رَدَّهَا ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِهَا ، وَصَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَوْلُ بِهَا ، فَإِنْ خَالَفَ ذَلِكَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ، فَهُوَ كَافِرٌ ، فَأَمَّا قَبْلَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ ، فَمَعْدُورٌ بِالْجَهْلِ ، لِأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ بِالْعَقْلِ ، وَلَا بِالرَّوْيَةِ وَالْفِكْرِ ، وَلَا نُكْفِرُ بِالْجَهْلِ بِهَا أَحَدًا ، إِلَّا بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرِّ إِلَيْهِ بِهَا " (١) .

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) في تعليقه على حديث : " قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ ، لِأَهْلِهِ : إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ ، ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهٗ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : لِمَ فَعَلْتُمْ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ ، يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَعَفَرَ اللَّهُ لَهُ " (٢) ، قال : " وَهَذَا رَجُلٌ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ ، مَقْرَّبٌ بِهِ ، خَائِفٌ لَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ جَهَلَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ ، فَظَنَّ أَنَّهُ إِذَا أَحْرَقَ وَذَرِيَ الرِّيحَ أَنَّهُ يُفُوتُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَغَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِمَعْرِفَتِهِ مَا بِنَبِيِّهِ وَبِمَخَافَتِهِ مِنْ عَذَابِهِ جَهْلَهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِنْ صِفَاتِهِ . وَقَدْ يَغْلُطُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِمُ بِالنَّارِ ، بَلْ تُرْجَأُ أُمُورُهُمْ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ وَبِنَبَاتِهِمْ " (٣) .

وقال الإمام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ، الملقب بسليمان العلماء (٥٦٠هـ) : " كَيْفَ نُكْفِرُ الْعَامِّيَّ بِجَهْلِهِ أَنَّ النَّبُوَّةَ عِبَارَةٌ عَنْ كَوْنِ النَّبِيِّ مُحْبَرًا عَنِ اللَّهِ ، فَلَا

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/٧٩-٨٠) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٣٣٨ برقم ٨٢٢) ، مسلم ، (٤/٢١٠٩ برقم ٢٧٥٦) واللفظ له ، البغوي في شرح السنة (١٤/٣٨٠ برقم ٤١٨٣) .

(٣) انظر : تأويل مختلف الحديث (ص ١٨٦) .

تَرْجِعُ التَّبَوُّةَ إِلَى صِفَةِ وُجُودِيَّةٍ ، بَلْ تَكُونُ عِبَارَةً عَنِ نَسْبَةِ تَعَلُّقِ الْخِطَابِ بِهِ ، ... وَقَدْ رَجَعَ الْأَشْعَرِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -  
عِنْدَ مَوْتِهِ عَنِ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ ، لِأَنَّ الْجُهْلَ بِالصِّفَاتِ لَيْسَ جَهْلًا بِالْمَوْصُوفَاتِ " (١) .

وقال الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) : " وَأَعْلَمُ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّهُ لَا  
يُكْفِرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ ، وَلَا يُكْفَرُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ مَا يُعْلَمُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ  
ضُرُورَةً حَكِيمَ بَرَدَّتِهِ وَكُفِّرَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ أَوْ نَشَأَ بِبَادِيَةِ بَعِيدَةٍ وَنَحْوِهِ مِمَّنْ يَخْفَى عَلَيْهِ فَيَعْرِفُ  
ذَلِكَ ، فَإِنْ اسْتَمَرَ حَكِيمًا بِكُفْرِهِ " (٢) .

فقوله : " مِمَّنْ يَخْفَى عَلَيْهِ " شاملة لكل من خفي عليه شيء من الدين ، سواء كان هذا الذي خفي عليه من  
أصول الدين أو فروعه ، فإنه يُعذر بالجهل ...

ويقول الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قانباذ الذهبي (٧٤٨هـ) : " واعلم أن  
كثيراً من هذه الكبائر ، بل عامتها إلا الأقل ، يجهل خلق كثير من الأمة تحريمه ، وما بلغه الرّجر عنه ولا الوعيد  
، فهذا الضرب فيه تفصيل ؛ فينبغي للعالم أن لا يستعجل على الجاهل ، بل ينبغي الترفق به وتعليمه ممّا علمه الله ،  
ولا سيّما إذا كان قريب العهد بجاهليته ، قد نشأ في بلاد الكفر البعيدة ، وأسر وجلب لأرض الإسلام ، وقد  
يكون الشّخص الذي اشترى هذا المملوكي الجاهل أميراً تركيّاً لا علم عنده ولا فهم ، ، فبالجهل أنه ينطق  
بالشهادتين ، ثمّ قد يفهم معناها بصعوبة شديدة بعد أيام ، ثمّ قد يصليّ أو لا يصليّ ، وقد يتقن الفاتحة مع  
الطول إن كان أستاذه فيه دين ما ، فإن كان أستاذه نسخة منه فمن أين لهذا المسكين أن يعرف شرائع الإسلام ،  
والكبائر واجتنابها ، والواجبات وإتيانها ؟ فإن عرف هذا موبقات الكبائر وحذر منها ، وأركان الفرائض  
واعتقادها فهو سعيد " (٣) .

وبمناسبة النّقل عن كتاب " الكبائر " للإمام الذهبي ، فقد قام المتمسلفون بحذف وشطب الكبيرة الرابعة  
والسّتين منه ، وهي بعنوان : " أذية أولياء الله " ...

وقال الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) : " ... وَأَمَّا جَحْدُ  
ذَلِكَ جَهْلًا ، أَوْ تَأْوِيلًا يُعَدَّرُ فِيهِ صَاحِبُهُ فَلَا يُكْفَرُ صَاحِبُهُ بِهِ ، كَحَدِيثِ الَّذِي جَحَدَ قُدْرَةَ اللهِ عَلَيْهِ وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ

(١) انظر : قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/٢٠٢-٢٠٣) .

(٢) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/١٥٠) .

(٣) انظر : الكبائر ، الذهبي (ص ٢٨-٢٩) .

يَحْرِقُوهُ وَيَذَرُوهُ فِي الرِّيحِ ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ، وَرَجِمَهُ لِجَهْلِهِ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَهُ مَبْلَغَ عِلْمِهِ ، وَلَمْ يَحْدُ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى إِعَادَتِهِ عِنَاداً أَوْ تَكْذِيباً " (١) .

وعلى آية حال فإنَّ الشَّيخ ابن باز خالف جمهور الأُمَّة حين حكم بكفر المؤمن الموحد المتوسِّل إلى الله تعالى بالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بغيره من الأنبياء والأولياء زاعماً أنَّ هذا الصَّنِيع شركٌ مُخْرَجٌ من المِلَّة ، حتى لو كان جاهلاً بالحكم !!! مع أنَّ التَّوَسُّلَ حكم فرعي لا أصولي ، لم يذكره العلماء سلفاً وخلفاً إلا في فصل زيارة قبر الرِّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كتاب الحجِّ ، وهو أمرٌ مشروعٌ ، قام على العمل به السَّلَف والخلف على حدٍّ سواء ، ولم يخالف في ذلك إلا ابن تيمية ثمَّ تبنَّى هذا الأمر ابن عبد الوهَّاب ، فكفَّر كسابقه عموم الأُمَّة ، واستحلَّ دمائهم وأموالهم وعاملهم معاملة الكفَّار ، والعياذ بالله تعالى ...

ثانياً : أنَّ ابن باز بعد أن حكم بكفر المتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين طالب ودعا إلى عدم معاملتهم معاملة المسلمين ، بل يجب أن تطبَّق عليهم جميع أحكام الكفرة ، مثل : عدم تمكينهم من دخول الحرم المكيِّ ، وبُعضهم ومُعاداتهم وعدم موالاتهم ، وإذا ماتوا لا يتولَّى المؤمنون جنازاتهم ، ولا يُدفنون في مقابر المسلمين ، وأنَّهم لا يزوّجوا من المسلمات ، ولا يرثوا المسلمين ، والمسلمون لا يرثوهم ، وأنَّهم لا يمكِّنوا من الإِسْتِقْرار والتَّمَلُّك في جزيرة العرب ، وكذا لا يمكِّنوا من إظهار شعائرهم وعباداتهم ...

ومن أجل طمس معالم الموتى وقبورهم بمن فيهم الأنبياء عليهم الصَّلَاة والسَّلَام ، فقد أفتى ابن باز بعدم جواز البناء على القبور ، ولذلك طالبوا بهدم القبَّة الشَّرِيفَة المنيَّة على قبر الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد جاء في فتاوى ابن باز أيضاً : " س : ما حكم البناء على القبر بها في ذلك المسجد ؟

ج : أمَّا البناء على القبور فهو محرَّم سواء كان مسجداً أو قبةً أو أي بناء لا يجوز ذلك ؛ لأنَّ الرِّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن اليهود ، قال : " لعن الله اليهود والنصارى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ " . فعَلَّل اللعنة باتِّخَاذهم المساجد على القبور ، فدَلَّ ذلك على تحريم البناء على القبور ، وأنَّه لا يجوز ، واتَّخَاذها مساجد من أسباب الفتنة بها ، لأنَّها إذا وضعت عليها المساجد افتتن بها النَّاس ، وربَّما دعوها من دون الله واستغاثوا بأهلها فوقع الشُّرك ، وفي حديث جندب بن عبد الله البجلي عند مسلم في صحيحه يقول النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ألا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتَّخَذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ، ألا فلا تتَّخَذوا القبور مساجد ، فإنِّي أنهاكم عن ذلك " . هكذا يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يحذِّرنا من اتِّخَاذ المساجد على القبور ، فينبغي لأهل

(١) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (١/ ٣٤٨) .

الإسلام أن يحذروا ذلك ، بل الواجب عليهم أن يحذروا ذلك ، وفي حديث جابر عند مسلم عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى عَنْ تَجْصِيسِ الْقُبُورِ وَعَنْ الْقُعُودِ عَلَيْهَا أَوْ الْبِنَاءِ عَلَيْهَا ، فالبناء عليها منهيٌّ عنه مطلقاً ، وأتخاذ القباب والمساجد عليها كذلك ؛ لأنَّ ذلك من وسائل الشُّرك إذا بني على القبر المسجد أو القبَّة ونحو ذلك عظَّمه النَّاسُ ، وفُتِنَ به النَّاسُ ، وصار من أسباب الشُّرك به ، ودعاء أصحاب القبور من دون الله عزَّ وجلَّ ، كما هو واقع في دول كثيرة وبلدان كثيرة عظَّمت القبور ، وبنيت عليها المساجد وصار الجهلة يطوفون بها ، ويدعونها ويستغيثون بأهلها ، وينذرون لهم ويتبرَّكون بقبورهم ويتمسَّحون بها ، كلُّ هذا وقع بأسباب البناء على القبور ، وأتخاذ المساجد عليها ، وهذا من باب الغلو الذي حرمه الله ، يقول النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَاكُمْ وَالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ " ، وقال : " هلك المنتطعون ، هلك المنتطعون ، هلك المنتطعون " ، يعني : المتشدِّدين الغالين .

والخلاصة أَنَّهُ لا يجوز البناء على القبور لا مسجد ولا غير مسجد ولا قبَّة ، وأنَّ هذا من المحرَّمات العظيمة ، ومن وسائل الشُّرك ، فلا يجوز فعل ذلك ، وإذا وقع فالواجب على ولاة الأمور إزالته وهدمه ، وأن لا يبقى على القبور مساجد ، ولا قباب بل تبقى ضاحية مكشوفة ، كما كان هذا في عهد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي عهد أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم والسلف الصَّالح ، ولأنَّ بناء المساجد على القبور من وسائل الشُّرك ، كذلك القباب والأبنية الأخرى كلُّها من وسائل الشُّرك ، فلا تجوز بل الواجب إزالتها وهدمها ؛ لأنَّ ذلك هو مقتضى أمر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هو أمر عليه الصَّلَاة والسَّلَام بأن تُزار القبور للذكرى والعظة ونهى عن البناء عليها ، وأتخاذ المساجد عليها ؛ لأنَّ هذا يجعلها آلهة يجعلها أوثاناً تعبد من دون الله ، فوجب امتثال أمره بالزيارة يعني شرع لنا أن ننفذ الأمر بالزيارة المشروعة ، فالزيارة مستحبة ، يشرع لنا أن نزورها للذكرى والدُّعاء لأهلها بالمغفرة والرَّحمة ، لكن لا نبني عليها لا مساجد ولا قباباً ولا أبنية أخرى ؛ لأنَّ البناء عليها من وسائل الشُّرك ، والفتنة بها من الجهة الأخرى ، وهي وضع القبور في المساجد يدفن الميت في المسجد ، هذا لا يجوز أيضاً بعض النَّاسِ إذا مات ، قال : ادفنوني في المسجد هذا لا يجوز دفنه في المسجد ، بل يجب أن يُنْبش وينقل إلى المقبرة إذا دفن أحد في المسجد ينبش وينقل إلى المقبرة ، ولا يجوز بقاؤه في المسجد أبداً ، هذا هو الواجب على أهل الإسلام ألا يدفنوا في المساجد ، يعني : ليس لأحد أن يدفن في المسجد ، ينبش ينقل إلى المقبرة العامة (١) .

والحقُّ أن ما قاله ابن باز من تحريم البناء على القبور ، مخالفٌ لما ظلت عليه الأمة قروناً طوالاً ...

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (٢/٢٢٩-٢٣٢) .

قال الإمام أحمد بن الصديق الغماري (١٤١٣هـ): " ... وهذا في حقّ عامة الناس ، وأمّا الأولياء والصالحون فنصّ جماعة على جوازه ، بل استحبابه في حقهم تعظيماً لحرمتهم ، وحفظاً لقبورهم من الامتهان والاندثار الذي يعدم معه الانتفاع بزيارتهم والتبرُّك بهم .

وقد أفتى العزُّ بن عبد السَّلام بهدم القباب والبيوت والأبنية الكثيرة الواقعة في قرافة مصر ، لأنَّها واقعة في أرض موقوفة على دفن المسلمين ، واستثنى من ذلك قبة الإمام الشَّافعي ، قال : لأنَّها مبنية في دار ابن عبد الحكم ، وهذا منه ذهاب إلى جواز بناء القباب على مثل قبر الإمام الشَّافعي رضي الله عنه إذا كان ذلك في الملك ولم يكن في أرض الحبس .

بل أفتى الحافظ السُّيوطي باستثناء قبور الأولياء والصالحين ، ولو كانت في الأرض المحبسة ، ووافقته جماعة ممن جاءوا بعده من فقهاء الشَّافعية ، وقد ذكر هو ذلك في جزئه الذي سمَّاه " بذل المجهود في خزنة محمود " ، فقال : الوجه الرَّابع : أنَّ من قواعد الشَّرع أنه يجوز أن يستنبط من النصِّ معنى يخصُّصه وذلك معلوم . فإذا كان هذا في نصِّ الشَّارع ففي نصِّ الواقف أولى ، فيقال : إنَّ مقصود الواقف تمام النِّفع وتام الحفظ ، فإذا وجد من يحتاج إلى الانتفاع بها في تصنيف ، وذلك لا يمكن على الوجه الأتمِّ في المدرسة ووثق بتام حفظه وصونه جاز الإخراج له ، ويستثنى من المنع ويخصُّ عموم لفظ الواقف بهذا المعنى المستنبط كما خصص عموم قوله تعالى : ﴿أَوْلَمَسْتُمُ الْمَسَاءَ﴾ [النساء : ٤٣] ، واستثنى منه المحارم بالمعنى المستنبط وهو الشَّهوة ، ولا دليل لاستثناء المحارم من آية أو حديث سوى هذا الاستنباط فكذلك هنا . وقد ذكر الحافظ عماد الدِّين بن كثير في تاريخه أنَّ في بعض السنين ببغداد منع معلمو الأطفال من تعليمهم في المساجد إلَّا رجلاً واحداً كان موصوفاً بالخير فاستثنوه من المنع ، وأنَّهم استفتوا الماوردي صاحب " الحاوي " من أئمَّتنا ، والقُدوري من أئمَّة الحنفيَّة ، وغيرهما فأفتوا باستثنائه ، واستدلُّوا بأنَّ الرِّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بسدِّ كلِّ خوخة في المسجد إلَّا خوخة أبي بكر ، ففاسوا استثنائهم لهذا الرَّجل على استثناء خوخة أبي بكر ، وهذا الاستنباط دقيق لا يدركه إلَّا الأئمَّة المجتهدون ، كالماوردي ، والقُدوري ، ونحوهما . وقد استندت إلى قولهم هذا قديماً حين استفتيت في أبنية القرافة فأفتيت بهدمها كما هو المنقول إلَّا مشاهد الصالحين فاستندت في هذا الاستثناء إلى ما صنعه الماوردي والقُدوري اهـ .

وهذا إنَّما هو لأجل كونها واقعة في الأرض الموقوفة ، وأمَّا ما لم يكن فيها فقوله فيه الجواز مطلقاً .

وفي حواشي البجيرمي على شرح الخطيب على متن أبي شجاع : ولو وجدنا بناء في أرض مسبلة ولم يعلم أصله ترك لاحتمال أنه وقع بحق قياساً على ما قرّروه في الكنائس . نعم استثنى بعضهم قبور الأنبياء والشهداء والصّالحين ونحوهم قاله البرماوي . وعبرة الرحمائي : نعم قبور الصّالحين يجوز بناؤها ولو بقبة لإحياء الزيارة والتبرُّك . قال الحلبي ولو في مسبلة وأفتى به وقال أمر به الشّيخ الزيايدي مع ولايته (١) .

وفي " المتزح المختار من الغيث المدرار المفتاح لكوائم الأزهار في فقه الأئمة الأطهار ط يعني الزيدية مع حواشيه : والثاني من المكروهات الأناقة بقبر الميت ، وهو أن يرفع بناؤه زائداً على قدر شبر ، فإن ذلك مكروه ، وإنما يكره إذا كان الميت غير فاضل مشهور الفضل ، ولا بأس بما يكون تعظيماً لمن يستحقه كالمشاهد والقباب التي تعمر للأئمة والفضلاء ، فلو أوصى من لا يستحق القبة والتأبوت بأن يوضع على قبره ، قال المؤيد بالله : يمثل لأنه مباح وقيل لا . اهـ

وفي " شرح العميري على العمل الفاسي " : والعمل بالبناء على القبور جاز أيضاً ، وقد كتب شيوخنا سيدي عبد القادر الفاسي في ذلك بما نصّ المراد منه ، ولم ينزل النّاس بينون على مقابر الصّالحين وأئمة الإسلام شرقاً وغرباً ، كما هو معلوم ، وفي ذلك تعظيم حرّامات الله واجتلاب مصلحة عباد الله لانفعاعهم بزيارة أوليائه ودفع مفسدة المشي والحفر وغير ذلك ، والمحافضة على تعيين قبورهم وعدم اندراسها ، ولو وقعت المحافظة من الأمم المتقدّمة على قبور الأنبياء لم تندرس وتجهل بل اندرس أيضاً كثير من قبور الأولياء والعلماء لعدم الاهتمام بها وقلة الاعتناء بأمرهم اهـ ، ذكر ذلك لمن سأله عن البناء على ضريح مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به . وما يؤثر في النهي عن البناء على القبر إنّما ذاك حيث يكون القصد به المباهاة والمفاخرة اهـ .

وفي " مسائل المسناوي " أنّه سئل عن البناء على قبر الرجل والمرأة اللذين ترجى بركتها في الحياة وبعد الموت بقصد التّمييز والتّعظيم لقبره ومقامه ويكون البناء حسناً بالتّزليج هل يجوز ذلك أم لا ؟ وعلى الجواز فهل من أنفق على ذلك البناء من ماله أو صنعه بيده يثاب على ذلك أو لا ثواب له ؟ . فأجاب : إنّ البناء على من ذكر بقصد ما ذكر جائز بل مطلوب إذا كان في أرض مملوكة للباني لما ذكره بعض المحقّقين من شيوخ شيوخنا أنّ فيه جلب مصلحة الانتفاع بالصّالحين ، ودفع مفسدة امتهانهم بالحفر والمشي وغير ذلك . إذ لولا البناء لاندردت قبورهم كما اندردت قبور الأنبياء عليهم السّلام ، فتبطل زيارتهم ، وهي مطلوبة شرعاً - كما لا يخفى وقد أشار

(١) انظر : تحفة الحبيب على شرح الخطيب (حاشية البجيرمي على الخطيب) (٢/٢٩٧) .

إلى مطلوبيتها وما فيها من الفوائد الشَّيخ الإمام العارف الرباني أبو إسحاق إبراهيم التازي الوهراني في قصيدته التي أولها :

زيارة أرباب التُّقى مرهم يبري ومفتاح أبواب السَّعادة والخير

وفي " نوادير الأصول " عن فاطمة عليها السَّلَام أنَّها كانت تأتي قبر حمزة رضي الله عنه في كلِّ عام فترمُّه وتصلحه لثلاً يندرس أثره فيخفى على زائره . وفي فتاوى ابن قَدَّاح : إذا جعل على قبر من أهل الخير علامة فهو حسن ، والعلامة المميَّزة هو البناء الخاص لاشارك غيره (١) .

وفي شرح السجلماسي على العمل الفاسي : مما جرى به العمل لفاس وغيره تحلية قبور الصَّالحين بالبناء عليها تعظيماً ، كما أفتى به الإمام سيِّدي عبد القادر الفاسي والد الناظم ثمَّ ذكر فتواه السَّابقة ، ثمَّ قال : جواز البناء على القبور منقول عن ابن القصار ، وإذا كان ذلك على مطلق القبور مع عدم قصد المباهاة كان البناء بقصد تعظيم من يعظم شرعاً أجوز ، بل حيث كان القصد بالبناء التَّعظيم ينبغي أن يكون مشرفاً بالبناء على البيوت بالنَّقش والتَّزويق ، لأنَّ ذلك كلُّه من كمال التَّعظيم . اهـ

وفي " شرح الرِّسالة " لجسوس : ويكره البناء على القبور ، وقد يجرم ، وقد يجوز إذا كان للتَّمييز ، ويستثنى قبور أهل العلم والصَّلاح فيندب لينتفع بزيارتهم ... بذلك جرى العمل عند النَّاس شرقاً وغرباً من غير نكير . اهـ

وفي " شرح التوبشتي على المصاييح " : وقد أباح السَّلَف البناء على قبور المشايخ والعلماء المشهورين ليزورهم النَّاس وليستريحوا بالجلوس فيها . اهـ

وفي شرح زين العرب على المصاييح أيضاً : وقد أباح السَّلَف البناء على قبور العلماء المشهورين والمشايخ المعظَّمين ليزورها النَّاس وليستريحوا إليها بالجلوس في البناء الذي على قبورهم مثل الرِّباطات والمساجد . اهـ  
وفي " مصباح الأنام وجلاء الظَّلام " للعلامة علي بن أحمد الحداد : ومن قال بكفر أهل البلد الذي فيه القباب وأنَّهم كالصَّنم فهو تكفير للمتقدِّمين والمتأخِّرين من الأكابر والعلماء والصَّالحين من جميع المسلمين من أحقاب وسنين مخالفاً للإجماع السُّكوتي على الأنبياء والصَّالحين من عصور ودهور صالحة . قال تلميذ ابن تيمية الإمام بن مفلح الحنبلي في الفصول : القَبَّة والحظيرة في التُّربة يعني على القبر إن كان في ملكه فعل ما شاء ، وإن كان في مسبله كره للتَّضييق بلا فائدة ويكون استعمالاً للمسبلة فيما لم توضع له . اهـ .

(١) انظر : نوادير الأصول في أحاديث الرِّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/١٢٦) .

قال ابن القيم الحنبلي: ما أعلم تحت أديم السماء أعلم في الفقه على مذهب أحمد من ابن مفلح . اهـ . وقوله : في المسئلة بلا فائدة ، إشارة إلى أن المقبور غير عالم وولي ، أمّا هما فيندب قصدهما للزيارة كالأنبياء عليهم السلام ويتنفع الزائر بذلك من الحرّ والبرد والمطر والرياح ، والله أعلم ، لأنّ الوسائل لها حكم المقاصد " (١) .  
ثمّ ذكر الإمام أحمد بن الصديق الغماري العليل التي يحتجّ به المتمسلفون لتحريم البناء على القبور ، وردّها عليها ردّاً متيناً بلا مزيد ...

ثمّ ذكر الأدلّة على جواز البناء على القبور ... ونظراً لكون هذه المسألة من أعظم ما يدندن حوله المتمسلفون ، رأيت أن أذكر الأدلّة على جوازها ...

" **الدليل الأوّل** : قول الله تعالى في قصّة أصحاب الكهف : ﴿ إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾ [الكهف: ٢١] ، والذين غلبوا على أمرهم هم المؤمنون على الصّحيح ، لأنّ المسجد إنّما بينه المؤمنون ، وأمّا الكافرون فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ، والدليل من هذه الآية : إقرار الله تعالى إيّاهم على ما قالوا وعدم ردّه عليهم ، فإنّ الله تعالى إذا حكى في كتابه عن قوم ما لا يرضاه ذكر معه ما يدلّ على فساده ، وينبّه على بطلانه ، أمّا قبله وأمّا بعده ، فإذا لم ينبّه على ذلك دلّ على رضاه تعالى به ، وعلى صحّته إن كان عملاً ، وصدقة إن كان خبراً ، كقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٩١] ، فإنه أعقبه بقوله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾ [الأنعام: ٩١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ [الأنعام: ١٣٦] ، فإنه أشار إلى فساد ما زعموا بقوله بزعمهم ، وبقوله تعالى : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْعُرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٨] .  
وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ إِفْكٍ أَفْرَنُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَآخِرُونَ ﴾ [الفرقان: ٤] ، فردّه بقوله : ﴿ فَقَدْ جَاءَ وَطْلَمًا وَرُورًا ﴾ [الفرقان: ٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان: ٨] ، فعقبه بقوله : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا ﴾ [الفرقان: ٩] ، إلى غير ذلك من الآيات التي يطول ذكرها .

(١) انظر : إحياء القبور من إدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور (ص ٦-١٠) .

وإنَّ من تأمَّل القرآن وجده لا يقترُّ على باطل يحكيه قولاً كان أو عملاً إذ كتابه كلُّه حقٌّ ونورٌ وهدى وبيان وحنة لله على خلقه ، فلا يحكي فيه ما ليس بحق ثمَّ يقترُّه ، ولا ينبئه على بطلانه ، فإذا ذكر نبأ وأقره دَلَّ على صحته وصدقه ...

**الدليل الثاني :** إنَّ الله تعالى قضى في سابق علمه بأنَّخاذ المسجد على قبر نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، والنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ربِّه جَلَّ وَعَزَّ أعلى قدراً وأحمى جانباً من أن يقع بجسده الشريف ما هو محرَّم مبغض لله تعالى ملعون فاعله ، بل هذا من المتيقن المقطوع ببطلانه لأهل الإيمان ، فلو كان اتخذ المسجد عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممنوعاً متخذة لحمى الله تعالى جانب نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه ، ولصرف العباد عنه كما صرفهم عن غيره ، فلما لم يفعل ذلك دَلَّ على أنَّه جائز ومطلوب ، ومن اعتقد خلاف هذا فهو قرني ممقوت لم يذق للإيمان طعماً ولا عرف من منزلة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العليا ومكانته السامية عند ربِّه شيئاً ، فهو مدخول العقيدة مختل الإيمان .

**الدليل الثالث :** أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر أن يدفن في البناء فقال : " لَمْ يُقْبَرْ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ "

(١)

وحدَّث بهذا الصديق رضي الله عنه حين اختلف الصحابة رضي الله عنهم في موضع دفنه ، فقال قوم : في البقيع ، وقال آخرون : في المسجد ، وقال آخرون : يحمل إلى أبيه إبراهيم فيدفن معه ، فلما حدَّتهم الصديق رضي الله عنه بما عنده في هذا أجمعوا رأيهم واتَّفَقوا عليه ودفنوه في بيت عائشة رضي الله عنها . وهو دليل صريح على وجود البناء حول القبر ، وأنَّ النهي خاصُّ بما كان فوقه ، لأنَّ بالضرورة نعلم أنَّ النهي عن البناء ليس هو عن فعل الفاعل وبناء البناء ، وإنَّما هو عن وجود نفس البناء على القبر ، وإذا جوَّز الشارع وجود الميت داخل البناء ، فقد جوَّز البناء ، إذ لا فارق بين أن يوجد بعد الدفن أو قبله لأنَّ الغاية واحدة ، والصورة متَّفِقة ، وهي وجود القبر داخل البناء ، وإذا جاز ذلك فلا فرق بين أن يكون البناء بيتاً أو قبَّة أو مدرسة ، لأنَّ الكلَّ بناء والعلة في ذاته لا في أشكاله وصوره ، فليس النهي متعلقاً بصورة القبَّة أو المدرسة بل بذات البناء كيفما وجد ، وحيث أجاز الشارع الدفن في البيت الذي هو بناء علمنا أنَّ النهي مخصوص بالبناء كيفما وجد ، وحيث أجاز الشارع الدفن في البيت الذي هو بناء علمنا أنَّ النهي مخصوص بالبناء الذي هو فوق القبر للعلة السابقة غير عام في جميع البناء .

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/٧ برقم ٢٧) ، عبد الرزاق في المصنف (٣/٥١٦ برقم ٦٥٣٤) ، واللفظ له .

**الدليل الرابع:** وإذا ثبت أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى أمر أن يُدفن في بيته الذي هو بناء ، فقد تقرّر في قواعد الفقه أن الرّضي بالشّيء رضى بما يؤول إليه ذلك الشّيء ، فالذي تزوّج امرأة بعد علمه بمرض كذا فيها ثمّ تزايد ذلك المرض إلى حدّ يمنع من الاستمتاع فلا رجوع له لأنّه رضى بمبادئه فكان راضياً بما يؤول إليه ، وبيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ملاصقاً للمسجد وبابه شارعة إليه حتى كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اعتكف يخرج رأسه الشّريف إلى عائشة فترجله وهي في البيت وهو في المسجد ، وقد علم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ أمته ستكثر ، وأنّ المدينة ستتسع وتعظم حتى يصل بناؤها إلى سلع ، كما أخبر هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك وأمر بشدّ الرحلة إلى زيارة قبره الشّريف وإلى مسجده للصلاة فيه ، ورغب في ذلك بقوله : " من زار قبري وجبت له شفاعتي " و " صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام " (١) .

ومسجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في عصره صغيراً لا يسع عشر معشار ربع من يقصده من أمّته ، وقبره الشّريف واقع في بيت عائشة الذي تسكنه ، وهو يعلم ضرورة أنّه يتعدّد على الأمتة زيارته وهو في بيت مملوك لامرأة ساكنة فيه يجب تعظيمها واحترامها كما يجب ذلك في حقّ من يملكه ويسكنه من بعدها ، كما أنّه يعلم أنّ أمّته ستدوم إلى قيام السّاعة ، وأنّ قصدهم لزيارته سيدوم بدوام الأمتة وأنّ البيت الذي سيدفن فيه لا يمكن عادة أن يدوم أكثر من مائة سنة ، لأنّه مبني بالطين واللبن غير محكم البناء ، فهو يعلم علم اليقين أنّ بيته المذكور سيؤول أمره إلى أن يدخل في المسجد ، فإذا علم ذلك وأمر بدفنه فيه فهو رضى منه بدخول قبره الشّريف في المسجد الذي ستصير الأمتة به متخذة على قبره مسجداً كما هو الواقع ، ومن المحال المقطوع به أن يرضى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما هو محرم ملعون فاعله لا سيّما فيما يتعلّق بجسده الشّريف ، فدلّ على أنّ اتّخاذ المسجد على قبره الشّريف غير محرّم ولا مكروه ، وإذا جاز ذلك في حقه جاز في غيره من باب أولى ، لأنّ ما يخشى من الفتنة بقبره

(١) أخرجه الطيالسي في المسند (٧٠٧/٢ برقم ١٤٦٤) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧١/٢ برقم ٧٥٩٦) ، أحمد في المسند (٢٩/٢ برقم ٤٨٣٨) ، الدارمي (٨٨٩/٢ برقم ١٤٥٩) ، مسلم (١٠١٢/٢ برقم ١٣٩٤) ، ابن ماجه ، (٤٥٠/١ برقم ١٤٠٤) ، البزار في المسند (٥٩/٤ برقم ١٢٢٥) ، النسائي في السنن الكبرى (١٠٩/٤ برقم ٣٨٦٧) ، ابن حبان في الصّحيح (٤٩٩/٤ برقم ١٦٢٠) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٣٢/٢ برقم ١٥٥٨) ، المعجم الأوسط (٣٢٨/٢ برقم ٢١٢٦) ، مسند الشاميين (١١٩/٤ برقم ٢٨٨٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (٤٠٤/٥ برقم ١٠٢٧٧) ، السنن الصغير (٢١١/٢ برقم ١٧٧٢) ، معرفة السنن والآثار (١١٠/٤ برقم ٥٦١٩) ، عبد الرزاق في المصنف (١٢٢/٥ برقم ٩١٤٢) ، أبو يعلى في المسند (١٦٣/١٠ برقم ٥٧٨٧) ، عبد بن حميد في المسند (ص ١٨٥ برقم ٥٢١) .

أعظم مما يخشى من الفتنة بقبر غيره ، لأنَّ الفتنة إنما تقع من جهة التَّعظيم ، ولا يوجد في الأُمَّة من يعظم قبراً أكثر من قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

**الدَّلِيلُ الْخَامِسُ :** أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ بِأَنَّ قَبْرَهُ الشَّرِيفَ سَيَكُونُ دَاخِلَ مَسْجِدِهِ ، وَزَادَ فَأَخْبَرَ بِأَنَّ مَا بَيْنَ قَبْرِهِ وَمَنْبَرِهِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَهَذَا مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِحْبَابِ إِدْخَالِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ فِي الْمَسْجِدِ ، لِأَنَّهُ تَرْغِيبٌ يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ ، إِذِ الْمُرَادُ فَضِيلَةُ الصَّلَاةِ مَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ وَالتَّرْغِيبُ فِيهَا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْقَبْرُ الشَّرِيفُ دَاخِلَ الْمَسْجِدِ لَا تَتَصَوَّرُ الصَّلَاةُ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ وَلَا يَتَأْتَى التَّعْبِيرُ بِقَوْلِهِ : " مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ " ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الْمَنْبَرُ وَسَطَ الْمَسْجِدِ وَالْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ قَبْرَهُ الشَّرِيفِ خَارِجَ الْمَسْجِدِ لَمْ يَصِحَّ فِي الْعَادَةِ التَّعْبِيرُ بِالْبَيْنِيَةِ خُصُوصاً عِنْدَ إِرَادَةِ الصَّلَاةِ ، فَإِنَّ الْبَيْتَ وَسُورَهُ حَاجِزٌ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ ، مَانِعٌ مِنَ الصَّلَاةِ فِي مَوْضِعِهِ ، فَلَا يَقُولُ : " مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ " إِلَّا وَهُوَ يَرِيدُ أَنَّ الْقَبْرَ سَيَكُونُ دَاخِلَ الْمَسْجِدِ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَنْبَرِ حَاجِزُ الْبَيْتِ .

فَإِنْ قِيلَ : لَفْظُ الْحَدِيثِ فِي أَكْثَرِ طَرَفِهِ إِنَّهَا هُوَ : " مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي " ، حَتَّى إِنَّ الْبُخَارِيَّ لَمَّا تَرَجَمَ لِلْحَدِيثِ بَابَ فَضْلِ مَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ وَأُورِدَ الْحَدِيثَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ الْمَازِنِيِّ وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بَلْفِظِ : " مَا بَيْنَ بَيْتِي " ، شَرَحَهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ بِقَوْلِهِ : تَرَجَمَ بَلْفِظِ الْقَبْرِ وَأُورِدَ الْحَدِيثَيْنِ بَلْفِظِ الْبَيْتِ ، لِأَنَّ الْقَبْرَ صَارَ فِي الْبَيْتِ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ طَرَفِهِ بَلْفِظِ الْقَبْرِ .

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : الرَّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ : " بَيْتِي " ، وَيُرْوَى : " قَبْرِي " ، وَكَأَنَّهُ بِالْمَعْنَى ، لِأَنَّهُ دَفِنَ فِي بَيْتِ سَكَنَاهُ . وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْفَتْحِ : " قَوْلُهُ : " مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي " ، كَذَا لِلْأَكْثَرِ ، وَوَقَعَ فِي رَوَايَةِ ابْنِ عَسَاكِرٍ وَحَدَهُ " قَبْرِي " بَدَلَ " بَيْتِي " ، وَهُوَ خَطَأٌ ، فَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ هَذَا الْإِسْنَادَ بَلْفِظِ : " بَيْتِي " ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي مَسْنَدِ مَسَدَدِ شَيْخِ الْبُخَارِيِّ فِيهِ . نَعَمْ وَقَعَ فِي حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ عِنْدَ الْبَزَّارِ بِسُنْدِ رِجَالِهِ ثِقَاتٍ ، وَعِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ بَلْفِظِ : " الْقَبْرِ " . قُلْتُ : الْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وَجْهِ :

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ : أَنَّ هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِرَوَايَةِ الْبُخَارِيِّ فَقَطْ لَا بِالنِّسْبَةِ لِسَائِرِ طُرُقِ الْحَدِيثِ ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْحَافِظُ نَفْسَهُ مِنْ كَوْنِهِ وَرَدَ بَلْفِظِ الْقَبْرِ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ بِسُنْدِ رِجَالِهِ ثِقَاتٍ ، وَكَذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ مَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ بَلْفِظِ الْقَبْرِ مِنْ حَدِيثِ هَذَيْنِ فَقَطْ ، بَلْ وَرَدَ كَذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلْمَةَ ، وَأَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ إِنَّ حَدِيثَ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَزَاهُ الْحَافِظُ لِلطَّبْرَانِيِّ أَخْرَجَهُ أَيْضاً جَمَاعَةٌ آخَرُونَ كُلَّهُمْ بَلْفِظِ : " الْقَبْرِ " .

قال الطَّحاوي في " مشكل الآثار " : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ دَاوُدَ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَسْعُودُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ " (١) .

وقال الخطيب في " التَّاريخ " : أَخْبَرَنِي ابْنُ عَلَانَ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ تَمِيمِ الْأَنْطَاطِيِّ ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي الْأَنْصَارِيِّ ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْمَنْذَرِ ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بِهِ مِثْلَهُ بَلْفَظٍ : " الْقَبْرُ " (٢) .

وقال أيضاً في " المَهروانيَّات " : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضْلِ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عَثْمَانَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلِيحَانَ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بِهِ مِثْلَهُ (٣) .

قال الطَّحاوي : وَهَذَا مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ ، يَقُولُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ أَنَّهُ لَمْ يَحْدِثْ بِهِ عَنْ مَالِكٍ أَحَدٌ غَيْرَ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى هَذَا ، وَغَيْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعِ الصَّائِغِ أَهـ . وَقَالَ الْخَطِيبُ فِي " الْمَهروانيَّات " : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ تَفَرَّدَ بِرِوَايَتِهِ عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْأَحْوَلُ وَتَابَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ عَنْ مَالِكٍ (٤) .

قلت : وَهُوَ ثِقَةٌ مِنْ رِجَالِ الصَّحِيحِ وَمَتَابَعَتُهُ أَخْرَجَهَا أَبُو نَعِيمٍ فِي " الْحَلِيَّةِ " .

قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي حَسَّانَ ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ عَثْمَانَ الْجَوْعِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعِ الْمَدِينِيِّ ، عَنْ مَالِكٍ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ مَنْبَرِي لَعَلَى حَوْضِي " (٥) .

طريق آخر عن نافع ، قال الدُّولابي في " الكنى والأسماء " : حَدَّثَنَا عَنْ ابْنِ مَعْبُدِ بْنِ نُوحٍ ، حَدَّثَنَا مُوسَى ابْنُ هَلَالٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخُو عُبَيْدِ اللَّهِ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شِفَاعَتِي " ، وَقَالَ : " وَمَا بَيْنَ قَبْرِي وَمَنْبَرِي تُرْعَةٌ مِنْ تُرْعَةِ الْجَنَّةِ " (٦) .

(١) انظر : شرح مشكل الآثار (٧/٣١٦ برقم ٢٨٧٤) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (١٤/٥٥) .

(٣) انظر : المَهروانيَّات (الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب) (٢/٨٤٧) .

(٤) انظر : شرح مشكل الآثار (٧/٣١٦) .

(٥) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/٣٢٤) .

(٦) انظر : الكنى والأسماء ، الدولابي (٢/٨٤٦ برقم ١٤٨٣) .

وقال الطَّحَاوِي فِي " مَشْكَلِ الْآثَارِ " : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يُونُسَ ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَسْرُوقِي ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، عَنْ عَيْدِ اللَّهِ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْبَرِي عَلَى حَوْضِي " (١) .

طَرِيقَ آخَرَ عَنْ نَافِعٍ ، قَالَ أَبُو نَاعِيمٍ فِي " تَارِيخِ أَصْبَهَانَ " : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مَعْبُدٍ ، ثَنَا عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ السَّنِيِّ ، ثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ، ثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ مُوسَى الْجُهَيْنِيِّ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ " ، قَالَ : وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : إِنَّ مَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ (٢) .

وَحَدِيثُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ أَخْرَجَهُ أَيْضًا الْخَطِيبُ فِي " التَّأْرِيخِ " مِنْ رِوَايَةِ ابْنَتِهِ عَائِشَةَ عَنْهُ بَلْفِظٍ : " الْقَبْرِ " (٣) .

وَحَدِيثُ أُمِّ سَلْمَةَ أَخْرَجَهُ الطَّحَاوِي فِي " مَشْكَلِ الْآثَارِ " ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ أَبِي عَقِيلٍ ، ثَنَا سَفِيَانُ بْنُ عَيْمَةَ ، عَنْ عُمَرَ الدَّهْنِيِّ ، عَنْ أَبِي سَلْمَةَ ، عَنْ أُمِّ سَلْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ قَوَّامٌ مِنْبَرِي عَلَى رِوَاتِبٍ فِي الْجَنَّةِ " (٤) .

وَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي " التَّأْرِيخِ الْكَبِيرِ " ، قَالَ : إِسْحَاقُ بْنُ شَرْقِيٍّ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ ، سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ " ، قَالَ لِي الْحَرَمِيُّ بْنُ حَفْصٍ وَتَابِعَهُ عَفَانٌ ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زِيَادٍ سَمِعَ إِسْحَاقَ (٥) .

قَلْتُ : مُتَابِعَةُ عَفَانَ أَخْرَجَهَا الْخَطِيبُ فِي " التَّأْرِيخِ " ، عَنْ أَبِي نَعِيمٍ ، عَنْ أَبِي الشَّيْخِ ، عَنْ بَنِي الْجَارُودِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَهْوَرٍ ، ثَنَا عَفَانٌ ، ثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ زِيَادٍ ، ثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ شَرْقِيٍّ بِهِ مِثْلُهُ بَلْفِظِ الْقَبْرِ (٦) .

(١) لم أجده في مشكل الآثار بهذا اللفظ بل وجدته بلفظ : " بيتي " ، انظر : شرح مشكل الآثار (٧/٣١٥ برقم ٢٨٧٣) .

(٢) انظر : تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان) ، أبو نعيم الأصبهاني ، (١/٤١٧-٤١٨) .

(٣) انظر : تاريخ بغداد (١٣/١٧١) .

(٤) انظر : شرح مشكل الآثار (٧/٣١٥) .

(٥) انظر : التَّأْرِيخِ الْكَبِيرِ (١/٣٩٢) .

(٦) انظر : تاريخ بغداد (٦/٧٧) .

وأخرجها الطحاوي في "مشكل الآثار": ثنا علي بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة ومحمد بن علي بن داود، قالوا: حدثنا عفان به مثله أيضاً بلفظ القبر (١).

وحديث عبد الله بن زيد قال الطحاوي أيضاً: ثنا يونس ثنا ابن وهب أن مالكا حدثه عن عبد الله بن أبي بكر، عن عباد بن تميم، عن عبد الله بن زيد المازني: "أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة" (٢).

قال: وحدثنا الربيع الجيزي، ثنا مطرف بن عبد الله، ثنا مالك، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عباد بن تميم، عن عبد الله بن زيد المازني: "أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة" (٣).

قال: وحدثنا محمد بن خزيمة وفهد بن سليمان جميعاً، قالوا: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني الليث بن سعد، قال: حدثني بن الهاد، عن أبي بكر بن محمد، عن عباد بن تميم، عن عبد الله بن زيد أنه سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "إن ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة" (٤).

وحديث أبي هريرة كذلك وقع في رواية مالك في الموطأ على بعض الروايات وهي النسخة المطبوعة مع شرح تنوير الحوالك للحافظ السيوطي (٥).

وحديث جابر أخرجه الخطيب في التاريخ من طريق محمد بن كثير الكوفي، ثنا سفيان الثوري، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة" (٦).

(١) انظر: شرح مشكل الآثار، الطحاوي (٧/٣١٨ برقم ٢٨٧٩).

(٢) انظر: شرح مشكل الآثار (٧/٣١٩ برقم ٢٨٨٠).

(٣) انظر: شرح مشكل الآثار (٧/٣١٦ برقم ٢٨٨١).

(٤) انظر: شرح مشكل الآثار (٧/٣١٦ برقم ٢٨٨٢).

(٥) انظر: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (١/١٥٦).

(٦) انظر: تاريخ بغداد (١٣/٧٩).

وحديث عمر أخرجه الإسماعيلي في مسند عمر من رواية عطاء بن زيد الليثي ، حدّثني سعيد بن المسيب ، عن عمر به ، ولفظه : " ما بين قبري واسطوانة التّوبة روضة من رياض الجنّة " . وفي لفظ : " ما بين قبري ومنبري " (١) .

الوجه الثّاني : أنّ ما حكم به الحافظ من الخطأ على رواية ابن عساكر غيره مسلم ولو بالنّسبة إلى رواية البخاري ، إذ يجوز أن يكون الصّواب مع من قال : " قبري " ، ويكون الذي قال بيتي أخطأ أو ذهب ذهنه إلى حديث آخر ممّا ورد بلفظ بيتي . فإنّ لفظه : " قبري " وقعت كذلك في رواية للموطأ أيضاً ، ويؤيّد صحّتها ترجمة البخاري بلفظ القبر . وقد نصّ الطحاوي في " مشكل الآثار " على أنّ أكثر الروايات لهذا الحديث إنّما هي بلفظ : قبري لا بيتي ، كما سأذكر نصّه قريباً ، وإذا كان ذلك فلا وجه لتخطئه من قال في رواية البخاري : " قبري " .

الوجه الثّالث : أنّ المراد بقوله : " بيتي " في الروايات الأخرى هو قوله في هذه الأحاديث : " قبري " ، لأننا بالضرورة ندري أنّ المنبر والبيت لم يكن لها هذا الفضل لمجرّد أعواد المنبر وحجارة البيت وطينه ، فإنّه لا فضل لخشب على خشب ولا لحجارة على حجارة ، بل ولا دخل لهما في وجود فضيلة في الدّين البتّة . وإنّما ذلك لتشرف المنبر بوقوفه صلّى الله عليه وسلّم في الوعظ والتّدكير وتبليغ أمر ربّه ، ولوجود قبره الشّريف في البيت . فإذا المراد هو القبر ، لأنّ الفضل راجع إليه لا إلى البيت ، فمن يحاول من أهل العصر أن ينكر وجود رواية قبري للتّوصّل إلى نفي ما يتعلّق به من فضيلة قبره صلّى الله عليه وسلّم فإنّما يحاول عبثاً ويخطئ خطأ عشوائياً . فالحديث سواء ورد بلفظ : " قبري " أو بلفظ : " بيتي " ، فمعنى اللفظين واحد ، وكلاهما راجع إلى القبر الشّريف ، وعلى هذا المعنى نصّ أكثر المحدّثين ، بل جُلٌّ من تكلم على الحديث أو شرّحه .

قال الطّحاوي في " مشكل الآثار " : وفي هذا الحديث معنى يجب أن يوقف عليه ، وهو قوله صلّى الله عليه وسلّم : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة " ، على ما في أكثر هذه الآثار ، وعلى ما في سواه ، منها : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة " ، فكان تصحيحها يجب به أن يكون بيته هو قبره ، ويكون ذلك علامة من علامات النّبوة جليّة المقدار ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قد أخفى على كلّ نفس سواه صلّى الله عليه وسلّم الأرض التي يموت بها لقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقان: ٣٤] ، فأعلمه الموضع الذي

(١) انظر : مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم ، ابن كثير (١/ ٣٢٩) .

يموت فيه ، والموضع الذي فيه قبره حتى أعلم بذلك في حياته ، وحتى علمه من علمه من أمته ، فهذه منزلة لا منزلة فوقها ، زاده الله تعالى بها شرفاً وخيراً (١) .

وقال ابن حزم في " المحلّ " : قَدْ أُنْذِرَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِمَوْضِعِ قَبْرِهِ بِقَوْلِهِ «مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ» وَأَعْلَمَ أَنَّهُ فِي بَيْتِهِ بِذَلِكَ .

وَلَمْ يُنْكَرْ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَوْنَ الْقَبْرِ فِي بَيْتِ، وَلَا نَهَى عَنْ بِنَاءِ قَائِمٍ، وَإِنَّمَا نَهَى عَنْ بِنَاءِ عَلَى الْقَبْرِ: قَبِيَّةٌ فَقَطْ (٢) ، أي : على نفس القبر ملتصقاً به على هيئة القبّة ، كما جرت به عادة أكثر الناس . وهكذا نصّ على أنّ المراد بالبيت القبر كلّ شراح الحديث ، كما يعلم من مراجعه شروح البخاري ومسلم وغيرهما ، فلا نظيل بذكر نصوصهم .

الوجه الرَّابِعُ : وعلى فرض أنّه أراد نفس البيت لا القبر فقد علم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإعلام الله إياه أنّ بيته سيدخل في المسجد ، وأنّ قبره سيكون فيه ، فيكون القبر داخل المسجد ، وبه صار ما بين البيت والمنبر روضة من رياض الجنة ، فكيفما دار الحديث دلّ على المطلوب ، وهو إذن النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإدخال قبره الشَّريف في المسجد ، والإشارة إلى ذلك بقوله : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة " .

**الدَّلِيلُ السَّادِسُ :** إجماع الصَّحَابَةِ وَاِتِّفَاقُهُمْ بعد الاختلاف في موضع دفنه على دفنه في بيته عملاً بما أخبرهم به أبو بكر رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلو كان ذلك غير صحيح عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو منسوخاً بما ذكره في مرض وفاته ، مع أنّ الخبر لا يدخله النَّسخ لما أجمع الصَّحَابَةُ عليه . وقد قام الدَّلِيلُ على حجِّية الإجماع ، ولا سيّما إجماع الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم .

**الدَّلِيلُ السَّابِعُ :** أجمع التَّابِعُونَ في عهد وجود كبار أئمتهم مثل : عمر بن عبد العزيز ، والحسن ، وابن سيرين ، وفقهاء المدينة ، والكوفة ، والبصرة ، والشَّام ، وغيرها من أقطار الإسلام . ثمّ أجمعت الأُمَّة بعدهم على إدخال بيته المشتمل على قبره داخل المسجد وجعله في وسطه . وإجماعهم حجّة ، ولو كان ذلك منهياً عنه لاستحال أن تتفق الأُمَّة في عصر التَّابِعِينَ على المنكر والاجتماع على الضَّلالة ، لولا أنّهم فهموا من النَّهْيِ أنّ المراد به علته التي زالت باستقرار الإيذان ورسوخ العقيدة . لا يقال أنّهم سكتوا على ذلك لأجل ضرورة توسعة المسجد فإنّه كان في الإمكان توسعته من جهة القبلة والجهة المقابلة لها والجهة الجنوبيّة لها دون الجهة الشَّالِيّة

(١) انظر : شرح مشكل الآثار (٧/٣٢٢) .

(٢) انظر : المحلّ بالآثار (٣/٣٥٧) .

الواقع فيها قبره عليه الصَّلَاة والسَّلَام ، لا سيما والأمر بذلك خليفة العصر الذي اشترى البيوت بالمال لإدخالها في المسجد ، فكان يمكنه أن يشتري البيوت الواقعة في غير جهة قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقي بيت عائشة الذي فيه القبر الشريف خارج المسجد مجاوراً له ، كما كان في عهده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلما فعل ذلك بمراى من التابعين والأئمة ولم ينهه أحد منهم عن ذلك دلَّ دلالة قاطعة على جواز اتِّخاذ المسجد على القبر . وأنَّ المنهي عنه إنَّما هو قصد الصَّلَاة إلى القبر المؤدِّي إلى عبادته والإشراك به . ولذلك لما أدخله عمر بن عبد العزيز في المسجد جعل البيت الذي فيه القبور مثلث الشكل حتى لا يمكن الصَّلَاة إلى القبور .

**الدَّلِيلُ الثَّامِنُ :** أَنَّ الصَّحَابَةَ بنوا مسجداً على القبر في حياة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأقرَّهم على ذلك ولم يأمرهم بهدمه ، ويستحيل أن يقرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على باطل .

قال ابن عبد البر في " الاستيعاب " في ترجمة أبي بصير ما نصَّه : وله قصَّة في المغازي عجيبة ذكرها ابن إسحاق وغيره ، ورواها عبد الرَّازِق ، عن معمر ، عن ابن شهاب في قصَّة القضية عام الحديبية ، قال : ثمَّ رجع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلت قريش في طلبه رجلين فقالا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : العهد الذي جعلت لنا أن تردَّ إلينا كلَّ من جاءك مسلماً فدفعه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرَّجلين فخرجا حتى بلغا به ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمرهم ، فقال أبو بصير لأحد الرَّجلين : والله إنِّي لأرى سيفك هذا جيِّد يا فلان فاستله الآخر ، وقال : أجل والله أنَّه جيِّد ، لقد جرَّبت به ثمَّ جرَّبت ، فقال له أبو بصير : أرني أنظر إليه ، فأمكنه منه فضربه به حتى برد ، وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال : النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رآه : " لقد رأى هذا ذعراً " ، فلما انتهى إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : قتل والله صاحبي ، وإنِّي لمقتول ، فجاء أبو بصير ، فقال : يا رسول الله ، قد والله وفيت ذمتك ، قد رددتني إليهم فأنجاني الله منهم ، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَيْلُ أُمَّهِ مِسْعَرٍ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ " (١) ، فلما سمع ذلك علم أنَّه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر ، قال : وانفلت منهم أبو جندل بن

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣١/ ٢٥٢ برقم ١٨٩٢٨) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين إلا بعض فقرات منه ساقها بإسناد فيه انقطاع أو إرسال. كما سنننه عليها بعد التخريج. وطريق يحيى بن سعيد القطان، عن ابن المبارك الذي أشار إليه ضمن الحديث سيرد برقم (١٨٩٢٩) .

وأخرجه البيهقي في " السنن " ٥/ ٢١٥ (مختصر) و٩/ ١٤٤ و٢١٨ من طريق الإمام أحمد، هذا الإسناد.

سهيل بن عمرو ، فلحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، قال : فوالله ما يسمعون بعيراً خرجت لقريش إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تناشده الله والرحم إلا أرسل إليهم فمن أتاك منهم فهو آمن . وكان أبو بصير يصلي لأصحابه ويكثر من قوله : الله العلي الأكبر من ينصر الله فسوف ينصره . فلما قدم عليهم أبو جندل كان هو يؤمهم واجتمع إلى أبي جندل حين سمع بقدمه ناس في بني غفار ، وأسلم ، وجهينة ، وطوائف من العرب حتى بلغوا ثلاثمائة وهو مسلمون ، فأقاموا مع أبي جندل وأبي بصير ، وكتب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبي جندل وأبي بصير ليقدما عليه ومن معها من المسلمين أن يلحقوا ببلادهم وأهلهم ، فقدم كتاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي جندل وأبو بصير يموت ، فمات وكتاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده يقرأه فدفعه أبو جندل مكانه وصلى عليه وبنى على قبره مسجداً اهـ . باختصار (١) .

وبلا شك يعلم كل ذي حس سليم يعرف سيرة الصحابة مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا يمكن إحداث أمر عظيم مثل هذا ، ولا يذكرونه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو رسول الله تعالى وخليفته في خلقه ، والأمر أمره ، والحكم حكمه ، والصحابة كلهم جنده ونوابه ومنفذون أمره ، وكذلك يستحيل أن يحدث مثل هذا من أصحابه الذين هم تحت حكمه وأمره ، ويكون ذلك حراماً ملعوناً فاعله يجزئ إلى كفر وضلال ، ثم لا يعلمه الله تعالى به ولا يوحى إليه في شأنه ، كما أعلمه بمسجد الضرار وقصد أصحابه من بنائه وأمره بهدمه بل وبها هو أدون من هذا وأقل ضرراً بكثير ، فإذا لا شك أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اطلع على بنائهم المسجد على قبر أبي بصير ولم يأمرهم بهدمه ، إذ لو أمر بذلك لنقل في نفس الخبر أو غيره ، لأنه شرع لا يمكن أن يضيع ، بل

وهو في "المصنف" لعبد الرزاق (٩٧٢٠) ، ومن طريقه أخرجه البخاري مختصراً (٢٧٣١) و (٢٧٣٢) ، وابن حبان (٤٨٧٢) ، والطبراني في "الكبير" ٢ / (١٣) ، والبيهقي ٧ / ١٧١ و ١٠ / ١٠٩ ، وفي "الدلائل" ٤ / ٩٩-١٠٨ ، هذا الإسناد .  
وأخرجه مختصراً ومطولاً أبو داود (٢٧٦٥) و (٤٦٥٥) ، والنسائي في "المجتبى" ٥ / ١٦٩ ، والطبراني في "تفسيره" ٢٦ / ٩٧-١٠١ ، وفي "تاريخه" ٢ / ٦٢٠-٦٢٥ من طريق محمد بن ثور حدثهم عن معمر ، به .

وأخرجه مختصراً البخاري (٢٧١١) و (٢٧١٢) - ومن طريقه البغوي في "شرح السنة" (٢٧٤٨) ، وفي "التفسير" ٧ / ٧٧-٧٨ - من طريق عقيل ، والبخاري (٤١٨٠) و (٤١٨١) ، والطبراني في "الكبير" ٢٠ / (١٥) ، والبيهقي ٧ / ١٧٠ من طريق ابن أخي الزهري ، كلاهما عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، أنه سمع المسور بن مخرمة ومروان يخبران عن أصحاب رسول الله - وقال: ابن أخي الزهري: من خبر رسول الله - فذكر الحديث بنحوه ... "

(١) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/١٦١٢-١٦١٤) .

يستحيل ذلك لخبر الله تعالى أنه حفظ الدين من أن يضيع منه شيء ولا يصل إلى آخر هذه الأمة ما وصل إلى أولها . فلما لم يأمر بهدمه دل ذلك على جوازه .

وأما كونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذر بعد ذلك من اتخاذ المسجد على قبره الشريف بقوله : " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ، يحذر ما صنعوا ، فإنما ذلك لما يخشى من الفتنة بقبره الشريف ، لأن القوم كلهم كانوا أهل جاهلية وعبادة أوثان وصور وأحجار ، وعهدهم بذلك قريب ، فلما آمنوا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشاهدوا من معجزاته الظاهرة ، وكلماته الباهرة ، وأحواله العجيبة الخارقة ، حتى صار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأولادهم وأنفسهم ، لم يأمن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يفتنوا بقبره بعد انتقاله . وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو من هو قد افتتن عند موته وأنكر أن يكون قد مات أو يلحقه الموت ، فأخذ سيفه بيده وجعل يقول : من قال : إن محمداً مات ضربته بسيفي هذا ، وذلك لما قر في نفسه من تلك الكمالات التي لا تتناسب الفناء والموت ، حتى ذكره الصديق رضي الله عنه بالآية الكريمة : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ... " . فحينئذ ثاب إليه عقله ، وعلم أن العبد عبد والرب رب ، فلهذا حذر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اتخاذ المسجد على قبره في أول الأمر ، وأشار إلى جواز اتخاذه عند استقرار الإيمان ، كما فعلت الأمة فأدخلت قبره الشريف في مسجده بعد نحو تسعين سنة من انتقاله . وإنما لم يأمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهدم المسجد الذي بني على أبي بصير لأن أبا بصير لا شهرة له بين الناس بفضل حتى يمكن أن يفتنوا بقبره ، وإنما هو فرد من أفراد المسلمين ، فلم يخش من المسجد على قبره أي ضرر وخلل في الاعتقاد .

**الدليل التاسع :** أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أصحابه بفتح بيت المقدس وأقطع تميم الداري أرضاً بالخليل تحقيقاً لوعدهم الله وخبره بالفتح ، وهو يعلم أن بالخليل قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام . وعلى هذه القبور معبد وقبة ، فلم يأمر أصحابه إذ أمرهم أن يدفعوا التميم الداري الأرض التي أقطعها إياها أن يهدموا البناء الذي هو على قبر إبراهيم وعلى قبر غيره من الأنبياء الموجودين بفلسطين بالقدس والخليل وما بينها . فدل على أن المراد التحذير من علة ذلك لا من نفس بناء المسجد والقبة .

**الدليل العاشر:** أن الصحابة رضي الله عنهم لما فتحوا البلاد في زمن الخلفاء الراشدين لم يهدموا البناء الذي كان على قبور الأنبياء بالشام والعراق وغيرهما من أرض العرب مع قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ كل ما أمرت الشريعة به ، وما ينقل عن عمر رضي الله عنه في قبر دانيال ، فذاك خاص به لما وجد عند قبره من الكتابة التي تخبر بأمور وكوائن غيبية ، وكان عمر رضي الله عنه يباليغ في التنفير من كل علم يخشى أن يفتن الناس به ، ويعرضون معه عن الكتاب والسنة أو يعتقدون معه خلاف ما يجب أن يعتقد في ذلك المخلوق ، حتى كان إذا قبل الحجر الأسعد عند الطواف يقول رافعاً صوته ليسمع الناس : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ، وإنما كان يفعل هذا لأنه خشي على العرب وهم حديثو عهد بجاهلية وعبادة الحجر أنهم لما يرون المسلمين يقبلون الحجر ربما اعتقدوا أن ذلك لتأثير عنده وتصرف ، كما كانوا يعتقدونه في الأحجار التي كانوا يعبدونها ، فلما وجد عند قبر دانيال لوحاً مكتوباً فيه أخبار عن أمور مغيبية وكوائن آتية ، خاف أن يفتن الناس بذلك ، فأمر بهدم البناء الذي على القبر لأن اللوح المذكور ملصق فيه أو الكتابة كانت على نفس البناء الذي على القبر ، أما قبور غيره من الأنبياء فقد أقر عمر رضي الله عنه البناء الذي كان عليها ولم يهدمه ، لأنه لم يكن عليها شيء مما كان على قبر دانيال .

**الدليل الحادي عشر:** أنه جاء في عدة أحاديث وأثار أن جماعة من الأنبياء والمرسلين مدفونون في المسجد الحرام ما بين زمزم والمقام ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن منهم نوحاً ، وهوداً وصالحاً ، وشعيباً ، وأن قبورهم بين زمزم والحجر ، وكذلك ورد في قبر إسماعيل أنه بالمسجد الحرام ، وهو أشرف مسجد على وجه الأرض هو ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلو كان وجود القبر في المسجد محرماً لذاته لنبش النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجهم فدفنهم خارج المسجد ، فإنه أخبر صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأتتهم أحياء في قبورهم ، كما أخبر الله تعالى بمثل ذلك عن الشهداء ، وأمرنا بأن لا نسميهم أمواتاً ، فنكون كاذبين في ذلك وهم أحياء ، ولكن حياة برزخية تلائم الكون في القبر ، ولا نتصور كنهها وحقيقتها ، لأنها من أمور الآخرة التي لا تصل إليها عقول أهل الدنيا .

فلما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك دل على أن وجود القبر في المسجد أو بناء المسجد على القبر ليس محرماً لذاته ، وإنما ذلك لعلته التي بانتفائها ينتفي حكمها ، وإذا علمت أن أفضل المساجد على وجه الأرض مسجد مكة ومسجد المدينة اللذان هما الحرمان الشريفان ، وقد شاء الله تعالى وحكم أن يكون في كل منها قبور متعددة ، ففي حرم مكة قبور جماعة من الأنبياء ، وفي حرم المدينة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر

صاحبيه رضي الله عنهما ومعهما قبر رابع سيدفن فيه عيسى عليه السلام حين نزوله ، - كما ورد في بعض الأخبار - تعلم أن الدفن في المسجد أو اتخاذ المسجد في القبر من أشرف الأعمال تأسيباً بالحرمين الشريفين ، فكل مسجد ليس فيه قبر فهو ناقص الفضل قليل البركة عديم الأسوة بأفضل المساجد وأشرفها .

**الدليل الثاني عشر :** القاعدة المقررة في الفقه : أن الوسائل لها حكم المقاصد ، واحترام قبر الميت المسلم وتعظيمه بعدم الجلوس عليه والمشى فوقه ونبشه وكسر عظامه مقصود شرعاً ، وضده محرّم منهياً عنه أشدّ النهي حتى قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلَصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ» (١) ، رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة ، وورد نحوه بأسانيد صحيحة من حديث عبد الله بن مسعود وعقبة بن عامر وغيرهما ، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كسر عظم الميت ككسره حياً " رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان في الصحيح (٢) ، بل بالغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تعظيم قبور المؤمنين حتى أمر من رآه يمشي بينها بنعلين أن يخلعهما احتراماً لقبور المؤمنين .

وبالضرورة نعلم أن القبر إذا بقي دون بناء حوش حوله أو بيت أو قبة عليه فهو بلا شكّ معرض للمشى فوقه ، والجلوس عليه ، واندراس أثره ، كما هو مشاهد بالعيان من مرور الناس فوق القبور التي لا بناء عليها . وربما يجهل أن هناك قبراً فيبول ويتغوّط فوقه ، بخلاف القبور المحفوظة بالبناء ، كما أننا شاهدنا مرات متعددة من يحفر قبراً في موضع لا يظنه قبراً فيجد فيه جمجمة ميت وعظام يده ورجليه ، فمنهم من يحيد عن ذلك الموضع ويحفر في مكان آخر ، ومنهم من يحملها فيدفنها في حفرة ، ومنهم من يكسره ويرمي بها . وإنما يقع هذا بالقبور التي لا بناء عليها ، أمّا المنيبة فهي محفوظة من ذلك طول الدهر ما وجد ذلك البناء عليها . فإذا كان البناء فيه مصلحة المحافظة على حرمة الميت وحفظ حقه ، وفيه مصلحة الحي بامثال أمر الشارع وعدم اعتدائه على الحدود ، وكونه سبباً موصلاً إلى ذلك ، كان مطلوباً لا محالة ، لأنّه سبب موصول إلى المقصود فيكون له حكمه . وجلّ أحكام الشريعة والفروع التي شرعها الفقهاء ولم يرد بها نصٌّ إنّما هي من هذا القبيل ، أعني مأخوذة من طريق الاستدلال .

(١) أخرجه مسلم (٢/٦٦٧ برقم ٩٧١) .

(٢) أخرجه أحمد (٤١/٢٥٩ برقم ٢٧٣٩) ، ابن ماجه (١/٥١٦ برقم ١٦١٦) ، أبو داود (٣/٢١٢ برقم ٣٢٠٧) ، ابن حبان في الصحيح

(٧/٤٣٧ برقم ٣١٦٧) ، الدارقطني (٤/٢٥٢ برقم ٣٤١٥) ، البيهقي في الكبرى (٤/٩٦ برقم ٧٠٧٩) ، معرفة السنن والآثار (٥/٣٣٥ برقم

**الدَّلِيلُ الثَّلَاثُ عَشَرَ :** القاعدة المقررة أيضاً : أن ما لا يتوصّل إلى المطلوب إلا به فهو المطلوب ، وزيارة القبور مطلوبة . أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها ورغّب فيها ، وفي زيارة قبره المعظم ، فقال في الأوّل : " زوروا القبور ، فإنّها تذكركم الآخرة ، وتزهد في الدنيا " (١) ، وقال في قبره الشريف : " من زار قبري وجبت له شفاعتي " ، وهو حديث صحيح له طرق متعدّدة أفردّها الحفّاظ بالتأليف ، ومنهم التّقي السّبكي وكتابه مطبوع متداول ، فلا نطيل بذكر أسانيده وبيان صحته بعد أن بسط ذلك الإمام تقي الدّين المذكور ، وكذلك رغّب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زيارة قبر الوالدين ، وزيارة قبر الأصدقاء والسّلام عليهم ، وذكر الأئمة والأولياء أن لزيارة القبور تأثيراً عظيماً في تنوير الباطن ، لا سيّما قبور الأولياء والصّالحين ، وأنّ الدّعاء عند قبور بعضهم مُستجاب ، كما قال الإمام الشّافعي رضي الله عنه في قبر موسى الكاظم عليه السّلام : " أنّه التّرياق المجرب " ، وجرب ذلك آلاف مؤلّفة من الخلائق في سائر العصور عند قبر القطب ابن مشيش رضي الله عنه في المغرب (٦٢٦هـ) ، وقبر القطب البدوي رضي الله عنه (٦٧٥هـ) ، وقبر السيّدة نفيسة رضي الله عنها (٢٠٨هـ) بالقاهرة ، وقبور أخرى لغيرهم من أكابر العارفين رضي الله عنهم بما إنكاره مكابرة للمحسوس ودفع للمشاهد المعائن الملموس ، فلولم يبن على قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يدخل في المسجد لاندرس كما اندرست قبور إخوانه من الأنبياء والمرسلين الذين هم مع كثرتهم لا يعرف قبر عشرة ، بل ولا خمسة منهم بسبب عدم البناء عليهم ، ولم يبق محفوظاً إلّا قبر إبراهيم عليه السّلام ومن معه بسبب البناء أيضاً ، ولحرم النّاس منفعة زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الموجبة لشفاعته لهم ، كما حرموا بركة زيارة غيره من الأنبياء الذي اندرست قبورهم لعدم البناء عليها ، فلمّا كان البناء موصلاً لهذا المطلوب الشّرعي كان مطلوباً لا محالة ...

**الدَّلِيلُ الرَّابِعُ عَشَرَ :** أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضع على قبر عثمان بن مظعون رضي الله عنه صخرة عظيمة ، وقال : " أتعلم بها قبر أخي ، وأذفن إليه من مات من أهلي " رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وجماعة (٢) .  
 فهذا تأسيس لوضع العلامة على القبر وتشريع لها وللمحافظة على القبر ، لا سيّما قبور الصّالحين ، والعلامة لا تنحصر في الصّخرة ، وإنّما وضعها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنّها كانت المتيسّرة أمامه ساعة الدّفن

(١) أخرجه ابن ماجه (١/٥٠٠ برقم ١٥٦٩)

(٢) أخرجه أبو داود (٣/٢١٢ برقم ٣٢٠٦) ، البغوي في شرح السنّة (٥/٤٠٣ برقم ١٥١٥) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/٥٧٧ برقم ٥٧٤٤) ، السنن الصغير (٢/٢٩ برقم ١١٢١) .

، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتكلّف لشيء ، بل يقضي بالموجود في كلّ شيء من طعام ، وملبوس ، ومركوب ، وغير ذلك .

فإن جازت العلامّة على القبر لحفظه من الإندراس فلا فرق بين أن تكون بصخرة أو بغيرها ، كما أنّه إذا جازت الصّخرة جاز اثنان وثلاثة وأربعة بحسب ما تدعوه الحاجة إلى إثبات العلامّة ، وكذلك يجوز ربط تلك الأحجار بعضها ببعض بالطّين والجير لثلاثاً تتبعثر ، وكونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهي عن البناء قد برهنّا على أنّ المراد بالبناء الذي يكون فوق القبر لطمسه لا البناء الذي يكون حول القبر .

**الدليل الخامس عشر :** أنّ قبور الشهداء والصّحابة كانت مرتفعة كما في صحيح البخاري عن خارجة بن زيد ، قال : رأيتني ونحن شبّان في زمن عثمان رضي الله عنه أنّ أشدنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه (١) .

وقد سبق أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنّما وضع عليه صخرة : وكون الشّاب لا يستطيع أن يثب عليه إلّا إذا كان قوياً شديداً يدلّ على عظم ارتفاعه وتباعده جانبيه ، وذلك لا يمكن بالتراب وحده ولا بالصّخرة وحدها لوجوه :

أحدها : أنّ وضع التراب الكثير على القبر الزائد على الخارج منه مكروه .

ثانيها : أنّه لا يمكن في العادة أن يبقى التراب الكثير مرتفعاً مجموعاً فوق القبر أزيد من ثلاثين سنة .

ثالثها : أنّ التراب المجلوب لا يمكن أن يرتفع هذا الارتفاع المشار إليه دون أن يخالطه حجارة وطين ، كما أنّه لا يمكن أن يدوم هذه المدّة الطويلة ... فإنّنا نرى التراب الذي يجعل على القبر لا يمرّ عليه سنة أو سنتان حتى يذهب وتنسفه الرّياح ويبقى القبر مسوّى بالأرض .

رابعها : أنّ هذا لا يمكن أيضاً بالنسبة للصّخرة التي وضعها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ عند قبره ، لأنّها وإن كانت كبيرة فهي لا تصل إلى هذا الحدّ الذي لا يستطيع أن يثب عليها إلّا الشّاب القوي . لأنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حملها بيده الكريمة ووضعها عند القبر ، وأيضاً لو كان ذلك بالنسبة لها لقال : وإنّ أشدنا الذي يثب الصّخرة التي على قبر عثمان مع أنّه عبر بالقبر دون الصّخرة ، فدلّ على أنّه كان مبنياً في زمن الخلفاء الرّاشدين الذين فهموا من وضع العلامّة على قبره الأذن في البناء عليه .

(١) انظر : صحيح البخاري (٢/ ٩٥) .

وقال ابن أبي شيبة في " المصنّف " : حدّثنا وكيع ، عن أسامة بن زيد ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : رأيت قبر عثمان بن مظعون مرتفعاً ، فهذا صريح في أنّه كان مبنياً بناء مرتفعاً (١) .

وقال ابن أبي شيبة أيضاً : حدّثنا ابن عليّة ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن الشّعبي ، قال : أتيت على قبور الشهداء بأحد ، فإذا هي شاخصة من الأرض . والقبور المشخصة بالتُّراب لا يمكن عادة أن تبقى من وقت غزوة أحد في السُّنة الثالثة إلّا زمن التّابعين " (٢) ...

ويستمرُّ مسلسل ابن باز في تكفير عموم الأُمَّة ، فقد جاء في فتاوى ابن باز أيضاً : " حكم من يقصد قبور الأولياء للغوث والشفاعة ؟

س : السّائل من الجزائر يقول : تعلق بعض النّاس بالصّالحين وهم موتى ، فترى هذا الإنسان يذهب إلى هؤلاء الموتى يطلب منهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات مع أنّ هؤلاء ماتوا ، ويزعم أنّهم صالحون ، ما حكم عمل هؤلاء ماجورين ؟

ج : ما يفعله بعض النّاس من الذهاب إلى قبور الصّالحين ، أو قبر النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ويستغيث ، هذا من الشُّرك الأكبر !!! هذا شرك المشركين ، هذا شرك الجاهليّة نعوذ بالله ، كان في الجاهليّة ، يطلبون من الموتى ، كما كانوا يسألون اللات ويتقرَّبون إليه وهو رجل صالح ، يزعمون أنّه كان يلت سويق الحاج فمات فعكفوا على قبره وصاروا يسألونه من دون الله يستغيثون به ، ولهذا قال النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ألا وإنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإنّي أنهاكم عن ذلك " .

فالواجب على كلّ مكلف أن يتقي الله وأن يراقب الله ، وأن يخصّ الله بالعبادة ، فلا يدعو إلّا الله ولا يستغيث إلّا به ، ولا يستجير إلّا به هو سبحانه الذي يدعى ويرجى ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ

اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] ، قال سبحانه : ﴿ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٧] ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] ، يعني : المشركين ،

(١) انظر : الكتاب المصنّف في الأحاديث والآثار (٣/ ٢٣ برقم ١١٧٤٦) .

(٢) انظر : إحياء القبور من إدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور (ص ٢٣ فيما بعدها ببعض الاختصار) .

فالذي يقصد أصحاب القبور وإن كانوا صالحين ، ويسألهم الغوث أو الشفاعة أو غفران الذنوب ، أو السّلام من شر الأعداء كلُّ هذا شرك بالله ، شرك أكبر !!! وهكذا دعاء الجن والاستغاثة بالجنّ ، أو بالأصنام والأوثان ، كلُّ هذا من الشّرْك الأكبر ، نسأل الله العافية .

فالواجب الحذر من ذلك ، هذا هو دين المشركين ، دعاء الأموات والاستغاثة بالأموات وبالأصنام وبالجنّ والنّجوم هذا شرك المشركين ، هذا دينهم الباطل ، نسأل الله العافية " (١) .

فابن باز يرمي المتوسّلين بالنّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشّرْك الأكبر وشرك المشركين الجاهليّين ، وهو هنا يشبّه توسّل المشركين الملحدّين المؤمنين باللات ، المعتقدين بالضرّ والنّفع من جانبها ، بتوسّل الموحدّين المؤمنين بأنّ الله تعالى هو وحده النّافع الضارّ ، وأنّه سبحانه وتعالى مالك الأمر كلّه ، وله الأمر من قبل ومن بعد ، ويصف دين المؤمنين المتوسّلين إلى الله تعالى بحبيبه ومصطفاه بأنّه دين المشركين الباطل ، والعياذ بالله تعالى ...

وقال الشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب بن سليمان التّميمي النّجدي (١٢٠٦هـ) : " فإنّ أعداء الله !!! لهم اعتراضات كثيرة على دين الرّسل ، يصدّون بها النّاس عنه ، منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنّه لا يخلق ، ولا يرزق ، ولا ينفع ، ولا يضرّ إلا الله وحده ، وأنّ محمّداً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الاستغاثة نفعاً ولا ضرراً ، فضلاً عن عبد القادر أو غيره ، ولكن أنا مذب ، والصّالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله ، فجاوبه بما تقدّم ، وهو : إنّ الذين قاتلهم رسول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مقرّون بما ذكرت ، ومقرّون أنّ أوثانهم لا تدبّر شيئاً ، وإنّما أرادوا الجاه ، والشفاعة " (٢) .

وكلام ابن عبد الوهّاب اشتمل على أمور عدة ، منها :

١- وصف المؤمنين الموحدّين المتوسّلين إلى الله تعالى بطلب حصول منفعة أو دفع مضرّة منه سبحانه إكراماً لقدر وشرف ومنزلة الأنبياء والصّالحين ، بأنّهم أعداء الله تعالى !!! ...

٢- أنّ التّوسّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصّالحين وما انطوى عليه من أدلّة سبيل لصدّ النّاس عن دين الله تعالى ...

٣- أنّ ابن عبد الوهّاب يعلم حقيقة أنّ المتوسّلين إلى الله تعالى مؤمنين إيماناً مطلقاً بأنّ الله تعالى هو الخالق ، الرّازق ، وأنّه وحده سبحانه النّافع الضارّ ، وأنّ محمّداً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ،

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (٢/ ٢٣٤-٢٣٥) .

(٢) انظر : كشف الشبهات (ص ١٧) .

فضلاً عن عبد القادر أو غيره من الصّالحين ، وأتّهم يقرّون بذنوبهم ، وأنّ الصّالحين لهم جاه عند الله ، وأتّهم يسألون الله تعالى بوسيلة محبوبة مرضيّة عنده ، ألا وهي مكانة ومنزلة وشرف الأنبياء والصّالحين عند الله تعالى ، ومع ذلك أبى ابن عبد الوهّاب إلّا تشبيههم بعبدة الأصنام ، الذين زعم وافتري أنّهم مقرّون بما تقدّم من كونه تعالى الخالق الرّازق ، وأتّهم يعتقدون بأنّ أصنامهم لا تدبّر شيئاً ، وإنّما أرادوا الجاه ، والشّفاة ، ولذلك قاتلهم رسول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وبهذا اللّفّ والمراد والذّوران استطاع ابن عبد الوهّاب إقناع من معه من الأعراب المهمج الرّاع الأجلاف الجهّال ... فثاروا على بلاد المسلمين ، فقتلوا عشرات الآلاف من المؤمنين بدعوى الشّرك والوثنيّة ، ونهبوا أموالهم ، وسبّوا نساءهم ...

وقال الشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب بن سليمان التّميمي النّجدي (١٢٠٦هـ) أيضاً : " ... فإذا تحقّقت أنّهم مقرّون بهذا ولم يدخلهم في التّوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وتحقّقت أنّ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قاتلهم ليكون الدّعاء كلّّه لله ، والنّدرك كلّّه لله ، والاستغاثة كلّها بالله ، وجميع أنواع العبادات كلّها لله ، وعرفت أنّ إقرارهم بتوحيد الرّبوبيّة لم يدخلهم في الإسلام ، وأنّ قصدهم الملائكة ، والأنبياء ، والأولياء ، يريدون شفاعتهم ، والتّقرب إلى الله بذلك ، هو الذي أحلّ دماءهم وأموالهم . عرفت حينئذ التّوحيد الذي دعت إليه الرّسل وأبى عن الإقرار به المشركون " (١) .

وكلام ابن عبد الوهّاب هذا تضمّن عدة أمور ، منها :

١- اعترافه بأنّ الموحدّين المؤمنين المتوسّلين إلى الله تعالى بمنزلة ومكانة وشرف الأنبياء والصّالحين ، يقرّون ويعتقدون بأنّه لا خالق ولا رازق ، ولا نافع ولا ضارّ إلّا الله تعالى ، وأنّ المتوسّل به ما هو إلّا وسيلة محبوبة عند الله تعالى ، ومع ذلك لم يعترف ابن عبد الوهّاب بدخولهم في صفّ المؤمنين بالتّوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وبسبب عدم دخولهم في التّوحيد الذي لا يرتضي غيره ابن عبد الوهّاب كان قتال الرّسول إيّاهم ، ولذلك فابن عبد الوهّاب يزعم أنّه لا يقاتل مخالفه إلّا لأنّ الرّسول قاتلهم ليكون الدّعاء كلّّه لله ، والنّدرك كلّّه لله ، والاستغاثة كلّها بالله ، وجميع أنواع العبادات كلّها لله ...

٢- زعم ابن عبد الوهّاب أنّ المتوسّلين لا يقصدون بتوسّلهم إلّا الملائكة ، والأنبياء ، والأولياء ، يريدون بذلك شفاعتهم ، بمعنى أنّهم يطلبون قضاء الحاجات منهم ... ، وهذا هو الذي أحلّ دماءهم وأموالهم ...

(١) انظر : كشف الشبهات (ص ٦-٧) .

وتحت ستار وغطاء المحافظة على صفاء التوحيد كان ابن عبد الوهّاب يخطب في النَّاس بكفر المتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ، فقد قال مفتي الشَّافعيَّة ورئيس المدرِّسين في مكَّة أَيَّام السُّلطان عبد الحميد ، الشَّيخ العلامَّة أحمد زيني دحلان في حديثه عن محمَّد بن عبد الوهّاب : " كان محمَّد بن عبد الوهّاب الذي ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة في مسجد الدرعيَّة ، ويقول في كلِّ خطبة : ومن توسَّل بالنبي فقد كفر ... وكان — محمَّد بن عبد الوهّاب — ينهى عن الصَّلَاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ويتأدَّى من سماعها ، وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة ، وعن الجهر بها على المنائر ، ويؤذى من يفعل ذلك ويعاقبه أشدَّ العقاب ، حتى أنَّه قتل رجلاً أعمى كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن نهاه عن الصَّلَاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنارة فلم ينته وأتى بالصَّلَاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمر بقتله فقتل ، ثمَّ قال : إنَّ الرِّبَابَةَ فِي بَيْتِ الْخَاطِئَةِ - يعني الزَّانية - أقلُّ إثماً مَن ينادي بالصَّلَاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنائر ، ويلبِّس على أصحابه بأنَّ ذلك كَلِّه محافظة على التَّوحيد ، فما أظفَع قوله وما أشنع فعله . وأحرق " دلائل الخيرات " ، وغيرها من كتب الصَّلَاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويتسرَّت بقوله : إنَّ ذلك بدعة ، وأنَّه يريد المحافظة على التَّوحيد . وكان يمنع أتباعه من مطالعة كتب الفقه والتفسير والحديث وأحرق كثيراً منها ، وأذن لكلِّ من تبعه أن يفسِّر القرآن بحسب فهمه ، حتى همج الهمج من أتباعه ، فكان كلُّ واحد منهم يفعل ذلك وإن كان لا يحفظ شيئاً من القرآن ، فيقول الذي لا يقرأ لآخر يقرأ : أقرأ عليَّ حتى أفسَّر لك ، فإذا قرأ عليه فسَّر له برأيه ، وأمرهم أن يعملوا ويحكموا بما يفهمونه ، وجعل ذلك مقدماً على كتب العلم ونصوص العلماء ، وكان يقول في كثير من الأقوال : الأئمَّة الأربعة ليست بشيء ... وكان ينتقص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً بعبارات مختلفة ويزعم أنَّ قصده المحافظة على التَّوحيد ، فمنها : أن يقول : أنَّه طارش ، وهو في لغة أهل المشرق بمعنى الشَّخص المرسل من قوم إلى آخرين ، فمراده أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حامل كتب ، أي : غاية أمره أنَّه كالطَّارش الذي يرسله الأمير أو غيره في أمر النَّاس ليلبِّغهم إيَّاه ثمَّ ينصرف . ومنها : أنَّه كان يقول : نظرت في قصَّة الحديدية فوجدت بها كذا كذا ، إلى غير ذلك ممَّا يشبه هذا حتى أنَّ أتباعه كانوا يفعلون مثل ذلك أيضاً ، ويقولون مثل قوله بل أقبح ممَّا يقول ويخبرونه بذلك فيظهر الرِّضا ، وربَّما أنَّهم قالوا ذلك بحضرتة فيرضى به حتى إنَّ بعض أتباعه كان يقول : عصاي هذه خير من محمَّد !!! لأنَّها ينتفع بها في قتل الحيَّة ونحوها ، ومحمَّد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً ، وإنَّما هو طارش !! " (١) .

(١) انظر : الدرر السنية في الردِّ على الوهابية (ص ٤٢-٤٤ ببعض الاختصار) .

وجاء في " الدرر السنِّيَّة في الأجوبة النَّجديَّة " : " فإذا عرفت معنى لا إله إلا الله ؛ وعرفت أن من نخا نبياً أو ملكاً أو نذبه أو استغاث به ، فقد خرج من الإسلام ، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (١) .

وهم يقصدون بقولهم : " نخا " ، أي : عَظَّم ، وعلى قولهم : فمن عَظَّم نبياً ، أو ملكاً أو ناداه ، نحو : وامعتصماه ، أو استغاث به ، فقد خرج من الإسلام ، والعياذ بالله تعالى ... مع أن قصَّة المرأة الشَّريفة الهاشميَّة التي صاحت في أسْرِهَا : " وامعتصماه " ، مستغيثة بالمعتصم بعد أن وقعت في أسْرِ الرُّوم ، كانت سبباً في فتح عموريَّة الشَّهيرة ، ولم نسمع من أنكر عليها استغاثتها ونصرة المعتصم لها ... (٢) .  
وزعموا أن أهل الشَّام يعبدون ابن عربي ، جاعلين على قبره صنماً يعبدونه (٣) .

قلت : وما تجرأ هؤلاء وأولئك على انتقاص أعلام العلماء إلا بسبب ما أوحاه إليهم شيخ إسلامهم ابن تيمية ، الذي ما فتئ يكذب على العلماء ، ويلصق أقواله بالسلف الصَّالح لنصرة معتقده وانتقاص الآخرين ...  
ومن كذب وافتراء ابن تيمية على الشيخ الأكبر الإمام ابن عربي : قوله في حقِّه : " ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانيَّة ، كانوا مناقضين للرُّسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب " الفتوحات المكيَّة " و " الفصوص " ، وأشبه ذلك يمدح الكفَّار ، مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم ، وينتقص الأنبياء ، كنوح وإبراهيم وموسى وهارون ، ويذمُّ شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين ، كالجُنيد بن محمد ، وسهل بن عبد الله التُّستري وأمثالهما . ويمدح المذمومين عند المسلمين ، كالحلَّاج ونحوه ، كما ذكره في تجلِّياته الخياليَّة الشَّيطانيَّة " (٤) .

هذا بعض من افتراءاته بحقِّ الإمام الأكبر ابن عربي ، مع أنه لم يأت بدليل واحد من كتب ابن عربي على ما نسبه إليه ، وللعلم فإنَّ الأيدي المتمسلفة العابثة عبثت كثيراً في القديم والجديد بكتب الإمام ابن عربي ... وفي كتابي الخاص بالسلفيَّة فتَحَّتْ فصلاً خاصاً تكلمت فيه عن عبث من يدعون السلفيَّة بكتب التُّراث ، حيث

(١) انظر : الدرر السننية في الفتاوى النجدية (١١٥/٣) .

(٢) انظر قصتها في : الكامل في التَّاريخ (٣٨/٦) فما بعدها ، المختصر في أخبار البشر (٣٣/٢) فما بعدها ، تاريخ ابن الوردي (٢١٣/١) فما بعدها ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٦٢/٢) فما بعدها ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٤٥١/٣) فما بعدها .

(٣) انظر : الدرر السننية في الفتاوى النجدية (٤٥/٢) .

(٤) انظر : الفرقان بين أولياء الرِّحمن وأولياء الشيطان (ص ١١١) .

وقفت على تحريفات يندى لها الجبين ، كل ذلك من أجل نصره مذهبه المصدا المهتري ... ثم ما لبث الفصل أن أصبح كتاباً مستقلاً بعنوان : " كشفُ الخفا عن عبث الوهائية بكتب العلماء " ، وقد تمَّ طبعه ونشره ، والحمد لله التي بحمده تتم الصالحات ...

وها أنذا أضع بين يدي القارئ الكريم عقيدة الإمام الأكبر ، من كتابه : " الفتوحات " ، بقول عليه رحمة الله تعالى : " فيا إخوتي ويا أحبائي رضي الله عنكم ، أشهدكم عبد ضعيف مسكين فقير إلى الله تعالى في كل لحظة وطرفة ، وهو مؤلفُ هذا الكتاب ومنشئه ، أشهدكم على نفسه بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضره من المؤمنين وسمعه أنه يشهد قولاً وعقداً أن : الله تعالى إله واحد لا ثاني له في الوهية ، منزّه عن الصاحبة والولد ، مالك لا شريك له ، ملك لا وزير له ، صانع لا مدبر معه ، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده ، بل كل موجود سواه مفتقر إليه تعالى في وجوده ، فالعالم كله موجود به ، وهو وحده متّصف بالوجود لنفسه ، لا افتتاح لوجوده ، ولا نهاية لبقائه ، بل وجود مطلق غير مقيد ، قائم بنفسه ، ليس بجوهر متحيّز فيقدر له المكان ، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ، ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء ، مقدّس عن الجهات والأقطار ، مرئي بالقلوب والأبصار إذا شاء ، استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذي أراده ، كما أن العرش وما سواه به استوى ، وله الآخرة والأولى ، ليس له مثل معقول ، ولا دلت عليه العقول ، لا يحده زمان ولا يقفه مكان ، بل كان ولا مكان وهو على ما عليه كان ، خلق المتمكّن والمكان ، وأنشأ الزمان ، وقال : أنا الواحد الحيّ ، لا يؤوده حفظ المخلوقات ، ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات ، تعالى أن تحلّه الحوادث أو يحلّها ، أو تكون بعده أو يكون قبلها ، بل يقال كان ولا شيء معه ، فإنّ القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه ، فهو القيوم الذي لا ينام ، والقهار الذي لا يُرام ، ليس كمثله شيء ، خلق العرش وجعله حدّ الاستواء ، وأنشأ الكرسي وأوسع الأرض والسّموات العلى ، اخترع اللوح والقلم الأعلى ، وأجراه كاتباً بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء ، أبدع العالم كله على غير مثال سبق ، وخلق الخلق وأخلق الذي خلق ، أنزل الأرواح في الأشباح أمناء ، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء ، وسخر لنا ما في السّموات وما في الأرض جميعاً منه ، فلا تتحرّك ذرة إلّا إليه وعنه ، خلق الكل من غير حاجة إليه ، ولا موجب أوجب ذلك عليه ، لكنّ علمه سبق بأن يخلق ما خلق ، فهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء قدير ، أحاط بكلّ شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، يعلم السر وأخفى ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي

الصدور ، كيف لا يعلم شيئاً هو خلقه ، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [المك: ١٤] ، علم الأشياء منها قبل وجودها ، ثم أوجدها على حد ما علمها ، فلم يزل عالماً بالأشياء ، لم يتجدد له علم عند تجدد الإنشاء ، بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها ، وبه حكّم عليها من شاء وحكمها ، علم الكليات على الإطلاق ، كما علم الجزئيات بإجماع من أهل النظر الصحيح واتفاق ، فهو عالم الغيب والشهادة ، فتعالى الله عما يشركون ، فعّال لما يريد ، فهو المرید الكائنات في عالم الأرض والسّموات ، لم تتعلّق قدرته بشيء حتى أرادها ، كما أنّه لم يُرده حتى علمه ، إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريد ، كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق في غير حي ، كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها ، فما في الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولا خسران ، ولا عبد ولا حر ، ولا برد ولا حر ، ولا حياة ولا موت ، ولا حصول ولا فوت ، ولا نهار ولا ليل ، ولا اعتدال ولا ميل ، ولا برّ ولا بحر ، ولا شفع ولا وتر ، ولا جوهر ولا عرض ، ولا صحّة ولا مرض ، ولا فرح ولا ترح ، ولا روح ولا شبح ، ولا ظلام ولا ضياء ، ولا أرض ولا سماء ، ولا تركيب ولا تحليل ، ولا كثير ولا قليل ، ولا غداة ولا أصيل ، ولا بياض ولا سواد ، ولا رقاد ولا سهاد ، ولا ظاهر ولا باطن ، ولا متحرّك ولا ساكن ، ولا يابس ولا رطب ، ولا قشر ولا لب ، ولا شيء من هذه النسب المتضادات منها والمختلفات والمتماثلات إلّا وهو مراد للحقّ تعالى ، وكيف لا يكون مراداً له وهو أوجده ، فكيف يوجد المختار ما لا يريد ، لا رادّ لأمره ولا معقب لحكمه ، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء ويعزّز من يشاء ويذلّ من يشاء ، ويضلّ من يشاء ويهدي من يشاء ، ما شاء كان وما لم يشأ أن يكون لم يكن ، لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئاً لم يُرد الله تعالى أن يريدوه ما أرادوه ، أو يفعلوا شيئاً لم يُرد الله تعالى إيجاده وأرادوه عندما أراد منهم أن يريدوه ما فعلوه ، ولا استطاعوا على ذلك ولا أفدرهم عليه ، فالكفر والإيمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته ، ولم يزل سبحانه موصوفاً بهذه الإرادة أزلاً والعالم معدوم غير موجود ، وإن كان ثابتاً في العلم في عينه ، ثمّ أوجد العالم من غير تفكّر ولا تدبّر عن جهل أو عدم علم فيعطيه التّفكّر والتّدبّر علم ما جهل ، جلّ وعلا عن ذلك ، بل أوجده عن العلم السّابق وتعيين الإرادة المنزّهة الأزليّة القاضية على العالم بما أوجده عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان ، فلا مُريد في الوجود على الحقيقة سواه ، إذ هو القائل سبحانه : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠] ، وأنّه سبحانه كما علم فأحكم

وأراد فخصَّصَ وقدَّرَ فأوجد؛ كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى ، لا يجب سماعه البعد فهو القريب ، ولا يجب بصره القرب فهو البعيد ، يسمع كلام النَّفْسِ في النَّفْسِ ، وصوت المماسَّة الخفية عند اللمس ، ويرى السَّواد في الظَّلماء والماء في الماء ، لا يحجبه الامتزاج ولا الظُّلمات ولا النُّور ، وهو السَّميع البصير ، تكلمَّ سبحانه لا عن صمت متقدِّم ولا سكوت متوهم بكلام قديم أزليّ كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته ، كلَّم به موسى عليه السَّلام ، سمَّاه التَّنزيل والزَّبور والتَّوراة والإنجيل ، من غير حروف ولا أصوات ، ولا نغم ولا لغات ، بل هو خالق الأصوات والحروف واللغات ، فكلامه سبحانه من غير لهأة ولا لسان ، كما أنَّ سمعه من غير أصمخة ولا أذان ، كما أنَّ بصره من غير حدقة ولا أجفان ، كما أنَّ إرادته في غير قلب ولا جنان ، كما أنَّ علمه من غير اضطراب ولا نظر في برهان ، كما أنَّ حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان ، كما أنَّ ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان ، فسبحانه سبحانه من بعيد دان ، عظيم السُّلطان ، عميم الإحسان ، جسيم الامتنان ، كلُّ ما سواه فهو عن جوده فائض ، وفضله وعدله الباسط له والقابض ، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه ، لا شريك له في ملكه ، ولا مدبِّر معه في ملكه ، إن أنعم فنعمَ فذلك فضله ، وإن أبلى فعذبَ فذلك عدله ، لم يتصرَّف في ملك غيره فينسب إلى الجور والحيف ، ولا يتوجَّه عليه لسواه حكم فيتصرَّف بالجزع لذلك والخوف ، كلُّ ما سواه تحت سلطان قهره ومتصرَّف عن إرادته وأمره ، فهو الملهم نفوس المكلفين التَّقوى والفجور ، وهو المتجاوز عن سيِّئات من شاء والآخذ بها من شاء هنا وفي يوم النَّشور ، لا يحكم عدله في فضله ، ولا فضله في عدله ، أخرج العالم قبضتين ، وأوجد لهم منزلتين فقال : هؤلاء للجنَّة ولا أبالي وهؤلاء للنَّار ولا أبالي ، ولم يعترض عليه معترض هناك إذ لا موجود كان ثمَّ سواه ، فالكلُّ تحت تصريف أسمائه ، فقبضة تحت أسماء بلائه ، وقبضة تحت أسماء آلائه ، ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيداً لكان ، أو شقيّاً لما كان من ذلك في شأن ، لكنَّه سبحانه لم يرد ؛ فكان كما أراد ، فمنهم الشَّقِي والسَّعِيد ، هنا وفي يوم المعاد ، فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم ، وقد قال تعالى في الصَّلَاة : هي خمس وهي خمسون ، ما يبدل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد ، لتصرفي في ملكي وإنفاذ مشيئتي في ملكي ، وذلك لحقيقة عميت عنها الأبصار والبصائر ، ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضَّمائر ، إلَّا بوهب إلهي وجود رحماني لمن اعتنى الله به من عباده ، وسبق له ذلك بحضرة إشهداه ، فعلم حين أعلم أنَّ الألوهة أعطت هذا التَّقسيم ،

وأنه من رقائق القديم ، فسبحان من لا فاعل سواه ، ولا موجود لنفسه إلا إياه ، والله خلقكم وما تعملون ، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ، فله الحجة البالغة ، فلو شاء لهداكم أجمعين .

الشهادة الثانية : وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بتوحيده ، فكذلك أشهده سبحانه وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بالإيمان بمن اصطفاه واختاره واجتبه من وجوده ؛ ذلك سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الذي أرسله إلى جميع الناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلغ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أنزل من ربه إليه وأدى أمانته ، ونصح أمته ، ووقف في حجة وداعه على كل من حضر من أتباعه ، فخطب وذكّر ، وخوف وحذّر ، وبشّر وأنذر ، ووعد وأوعد ، وأمطر وأرعد ، وما خصّ بذلك التذكير أحداً من أحد ، عن إذن الواحد الصمد ، ثم قال : ألا هل بلغت ؟ فقالوا : بلّغت يا رسول الله ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللهم اشهد ، وإني مؤمن بكل ما جاء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما علمت وما لم أعلم ، فمما جاء به فقرّر أن الموت عن أجل مسمّى عند الله إذا جاء لا يؤخّر ، فأنا مؤمن بهذا إيماناً لا ريب فيه ولا شك ، كما آمنت وأقررت أن سؤال فتاني القبر حق ، وعذاب القبر حق ، وبعث الأجساد من القبور حق ، والعرض على الله تعالى حق ، والحوض حق ، والميزان حق ، وتطير الصحف حق ، والصراط حق ، والجنة حق ، والنار حق ، وفريقاً في الجنة وفريقاً في النار حق ، وكرب ذلك اليوم حق ، على طائفة وطائفة أخرى لا يجزئهم الفرع الأكبر ، وشفاعة الملائكة والنبیین والمؤمنين وإخراج أرحم الراحمين بعد الشفاعة من النار من شاء حق ، وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة والامتنان حق ، والتأييد للمؤمنين والموحدين في النعيم المقيم في الجنان حق ، والتأييد لأهل النار في النار حق ، وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله علم أو جهل حق .

فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كل من وصلت إليه أن يؤدّيها إذا سئلتها حيثما كان ، نفعنا الله وإياكم بهذا الإيمان ، وثبتنا عليه عند الانتقال من هذه الدار إلى الدار الحيوان ، وأحلنا منها دار الكرامة والرضوان ، وحال بيننا وبين دار سراييلها من القطران ، وجعلنا من العصاة التي أخذت الكتب بالإيمان ، وممن انقلب من الحوض وهو ريان ، وثقل له الميزان ، وثبتت له على الصراط القدمان ، أنه المنعم المحسان ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق " (١) .

(١) انظر : الفتوحات المكيّة (١/٣٦-٣٨) .

هذه هي عقيدة الشَّيخ الأكبر ابن عربي من كتابه " الفتوحات " ، فهل ترى فيها شيء مما نسبته إليه العاطلون المبتطلون الآثمون اظالمون ؟!!! ... ولذلك رأينا جمعاً وافراً من العلماء ينفون عنه ما دسَّه في كتبه الحشويَّة الظالمون ، ويصرِّحون بأنَّ الحشويَّة هم من دسَّ السمَّ في كتب الشَّيخ الأكبر ابن عربي ...

قال الإمام عبد الوهَّاب الشَّعراني : " ... وليحذر أيضاً من مطالعة كتب الشَّيخ محي الدِّين بن عربي رضي الله تعالى عنه لعلَّو مراقبها ، ولما فيها من الكلام المدسوس على الشَّيخ ، لا سيَّما " الفصوص " و " الفتوحات المكيَّة " ، فقد أخبرني الشَّيخ أبو طاهر عن شيخه عن الشَّيخ بدر الدِّين بن جماعة أنَّه كان يقول : جميع ما في كتب الشَّيخ محيي الدِّين من الأمور المخالفة لكلام العلماء فهو مدسوس عليه ، وكذلك كان يقول الشَّيخ مجد الدين صاحب " القاموس في اللغة " .

قلتُ - الشَّعراني - : وقد اختصرتُ " الفتوحات المكيَّة " ، وحذفتُ منها كلَّ ما يخالف ظاهر الشَّريعة ، فلمَّا أخبرت بأنهم دسُّوا في كتب الشَّيخ ما يوهم الحلول والاتِّحاد ، وورد عليَّ الشَّيخ شمس الدِّين المدني بنسخة " الفتوحات " التي قابلها على خط الشَّيخ بقونية ، فلم أجد فيها شيئاً من ذلك الذي حذفته ، ففرحتُ بذلك غاية الفرح ، فالحمد لله على ذلك " (١) .

وقال الإمام عبد الوهَّاب الشَّعراني أيضاً : " وقد أخبرني العارف بالله تعالى الشَّيخ أبو طاهر المزني الشَّاذلي رضي الله عنه أنَّ جميع ما في كتب الشَّيخ محيي الدِّين مما يُخالف ظاهر الشَّريعة مدسوسٌ عليه ، قال : لأنَّه رجل كامل بإجماع المحقِّقين ، والكامل لا يصحُّ في حقِّه شطْحٌ عن ظاهر الكتاب والسنة ، لأنَّ الشارع أمَّنه على شريعته " (٢) .

وقال الإمام ابن العماد الحنبلي في كلامه عن الإمام ابن عربي : " ... وحسده طوائف ، فدسُّوا عليه كلمات يخالف ظاهرها الشَّرع ، وعقائد زائغة ، ومسائل تخالف الإجماع ، وأقاموا عليه القيامة ، وشنَّعوا وسبَّوا ، ورموه بكل عزيمة فخذهم الله وأظهره عليهم . وكان مواظباً على السُّنة ، مبالغاً في الورع ، مؤثراً ذوي الفاقة على نفسه حتى بملبوسه ، متحملاً للأذى ، مورِّعاً أوقاته على العبادة ما بين تصنيف وتسليك وإفادة ، واجتمع بزوايته من العميان وغيرهم نحو مائة ، فكان يقوم بهم نفقته وكسوة " (٣) .

(١) انظر : لطائف المنن (ص ٣٩٤) .

(٢) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/٥٤٦) .

ومن المعلوم أن بعضاً ممن لا خلاق له اتهم الإمام الأكبر ببعض العقائد الباطلة الكفرية ، مثل : الإتحاد والحلول ، والمساواة بين الخالق والمخلوق ، وأنَّ الربَّ ربُّ والعبدُ ربُّ ، ... وقاموا بربط هذه العقائد الباطلة الكفرية بالتصوف والصوفيَّة ...

قال المدعو الدكتور محمد بن ربيع هادي المدخلي ، المدرّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة : " الصوفيَّة قد لعبت دوراً كبيراً في حياة المسلمين منذ القرن الثالث الهجري إلى يومنا هذا ، وقد بلغت أوج مجدها في القرون المتأخرة . وقد أثرت تأثيراً بالغاً في عقائد المسلمين وغيرتها عن مسارها الصحيح الذي جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وكان ذلك هو أخطر جانب من جوانب الصوفيَّة ، حيث اقترن بالفكر الصوفي التعلُّق بالأولياء والمشايخ ، والمبالغة في تقديس الأموات ، كما اقترن بها القول بالحلول ووحدة الوجود ، إضافة إلى ما أفسدت الصوفيَّة من الجوانب الأخرى . حيث يتسم أتباعها بالتواكل والرهينة ، كما أنَّها عطلت الروح الجهادية في الأمة الإسلامية " (١) .

وقال المدعو الدكتور محمد بن ربيع هادي المدخلي : " المذهب الثالث : القول بوحدة الوجود : وهو يقرُّ أن الموجود واحد في الحقيقة وكل ما نراه ليس إلا تعينات للذات الإلهية . وزعيم هذه الطائفة ابن عربي الحاتمي الطائفي المدفون بدمشق والمتوفى سنة (٦٣٨هـ) ، ويقول في ذلك في كتابه : " الفتوحات المكية " :

العبد ربُّ والرَّبُّ عبدٌ يا ليت شعري من المكلف  
إن قلت عبدٌ فذاك حقٌّ أو قلت ربُّ أتسى يكلف

ويقول أيضاً في " الفتوحات " : " إنَّ الذين عبدوا العجل ما عبدوا غير الله " .

وابن عربي هذا يلقبه الصوفيَّة بالعارف بالله ، والقطب الأكبر ، والمسك الأذفر ، والكبريت الأحمر ، مع قوله بوحدة الوجود وغيرها من الطائفات ، فإنه يمدح فرعون ويحكم بأنه مات على الإيمان . ويدمُّ هارون على إنكاره على قومه عبادة العجل مخالفاً بذلك نصَّ القرآن ، ويرى أنَّ النَّصارى إنَّما كفروا لأنَّهم خصَّصوا عيسى بالوهية ولو عمَّمو لما كفروا " (٢) .

(١) انظر : حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة (ص ١٠) .

(٢) انظر : حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة (ص ١٨) .

ولأنَّ من يدَّعون السَّلَفِيَّةَ درسوا على شيخ واحد ، فقد اعتادوا على هذه الكِذبة في نسبة هذا الشَّعر الكُفري للإمام الأكبر ابن عربي ، فقد قال المدعو : محمَّد حامد الفقي في تحقيقه !!! لكتاب : " مدارج السَّالِكين " ، لابن القيم :

" قال ابن عربي الحاتمي شيخ الصُّوفيَّة ، الناطق بلسانهم :

العبد ربُّ والرَّبُّ عبْدٌ يا ليت شعري من المكلف  
 إن قلت عبْدٌ فذاك حقٌّ أو قلت ربُّ أنى يكلفُ (١)

ومن المعلوم لدى كلِّ من له اطلاع على حال من يدَّعون السَّلَفِيَّةَ يجد أنَّهم من أجل نصره باطلهم يكذبون ويتحرَّروا الكذب ، والأدلة على ذلك كثيرة ... سنذكر بعضها في معرض ردِّنا على هذا " المدخلي " ، فنقول :  
 إنَّ الإمام الأكبر لم يقل شيئاً مما قلته ، وإنَّها هو الكذب بعينه وشينه ومينه ، لأنَّ الذي قاله الإمام الأكبر هو :

الرَّبُّ حقٌّ والعبدُ حقٌّ يا ليت شعري من المكلف  
 إن قلت عبْدٌ فذاك ميتٌ أو قلت ربُّ أنى يكلفُ (٢)

فهذا هو ما قاله ابن عربي لا ما نسبته إليه أيُّها المدخلي ... وأضيف بياناً لهذا المدخلي ، فأقول : إنَّ ابن تيمية نقل كلام ابن عربي ولم يقل ما نسبته لابن عربي ، بل قال عين ما قاله الإمام ابن عربي ، فقد جاء في " مجموع الفتاوى " : " كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْفُتُوْحَاتِ فِي أَوْهَلَا :

الرَّبُّ حقٌّ وَالْعَبْدُ حقٌّ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ الْمُكَلَّفُ  
 إِنْ قُلْتَ عَبْدٌ فَذَاكَ مَيْتٌ أَوْ قُلْتَ رَبُّ أَنْى يُكَلَّفُ (٣)

ثمَّ إنَّ كتب الإمام ابن عربي طافحة بردِّ ما أُتهم به ، من ذلك قوله : " الرَّبُّ ربُّ والعبدُ عبْدٌ ، فلا تُغالط ولا تُخالط " (٤) .

(١) انظر : هامش كتاب : " مدارج السالِكين " ، لابن القيم ، (٧٢/١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣ م .

(٢) انظر : التنزُّلات الموصليَّة في أسرار الطهارات والصلوات والأيام الأصليَّة (ص ١٢٦) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٨٢/٢) ، (١١١/٢) ، (٢٤٢/٢) ، (١٢/١٤) ، مجموعة الرسائل والمسائل (٩٧/٤) ، جامع المسائل لابن تيمية (٢٧٩/٤) .

(٤) انظر : الفتوحات الربانية (٢٢٤/٣) .

وقوله أيضاً: " فالقديمُ الرَّبُّ ، والحادثُ العبدُ " (١) .

وقوله : " وما قال بالاتحادِ إِلَّا أهلُ الإلحادِ " (٢) .

وقوله : " بل كلُّ ذاتٍ على انفرادٍ من غيرِ شوبٍ ولا اتحادٍ ، ولا حلولٍ ولا انتقالٍ ولا إنفاقٍ ولا

عنادٍ " (٣) .

وأما عن الحلول فيقول : " فإنَّ الله لا يخلُّ في شيءٍ ، ولا يخلُّ فيه شيءٌ ، إذ ليس كمثلته شيءٌ وهو السَّميعُ

البصير " (٤) .

وقوله : " إنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى يتعالى عن الحلول في الأجسام " (٥) .

وقوله : " فلا يجتمع الحقُّ والخلقُ أبداً في وجهٍ من الوجوه ، فالعبدُ عبدٌ والرَّبُّ ربٌّ " (٦) .

ومن قال بالحلولِ فهو معلولٌ ، وهو مرضٌ لا دواءَ لدائه ، ولا طيبٌ يسعى في شفاؤه " (٧) .

وقد افتروا عليه أيضاً أنَّه يعتقدُ بآيانِ فرعونَ ، مع أنَّه يقول : " وهؤلاءُ المجرمونُ أربع طوائفٍ كلُّها في

النَّارِ ، لا يخرجون منها ، وهم المتكبرُّون على الله تعالى كفرعون وأمثاله " (٨) .

والدَّسُّ في كتب الكبراء من أهل العلم ديدنٌ سار عليه أهل الحشو ، ومن ذلك - أيضاً - ما ذكره الإمام

ابن حجر الهيتمي في حديثه عن الإمام عبد القادر الجيلاني ، قال : " وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا وَقَعَ فِي الْعُنْيَةِ لِإِمَامِ

العارفين وقطب الإسلام والمُسْلِمِينَ الْأُسْتَاذِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ ، فَإِنَّهُ دَسَّ عَلَيْهِ فِيهَا مَنْ سَيِّتَمَ اللَّهُ مِنْهُ ، وَإِلَّا

فَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَيْفَ تُرَوِّجُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمُسَالَةَ الْوَاهِيَةَ مَعَ تَصْلُوعِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَقْهِ الشَّافِعِيَّةِ

(١) انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٤٣٨) .

(٢) انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٣٧٢) .

(٣) انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٨١) .

(٤) انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٢) .

(٥) انظر : الفتوحات الربانية (٢/ ٦١٤) .

(٦) انظر : الفتوحات الربانية (٢/ ٦١٤) .

(٧) انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٣٧٩) .

(٨) انظر : الفتوحات الربانية (١/ ٣٠١) .

والخنايلة حَتَّى كَانَ يُفْتِي عَلَى الْمَذْهَبِينَ ، هَذَا مَعَ مَا انضَمَّ لَذَلِكَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ مِنْ عَالِيهِ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْخَوَارِقِ  
الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَمَا أَنْبَأ عَنْهُ مَا ظَهَرَ عَلَيْهِ وَتَوَاتَرَ مِنْ أَحْوَالِهِ " (١) .

وقال الإمام عبد الوهَّاب الشَّعْرَانِي أَيْضاً : " وَقَدْ دَسَّ الرَّنَادِقَةَ تَحْتَ وَسَادَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَرَضِ  
مَوْتِهِ عَقَائِدَ زَائِعَةٌ ، وَلَوْلَا أَنَّ أَصْحَابَهُ يَعْلَمُونَ مِنْهُ صِحَّةَ الْمُعْتَقَدِ لَافْتَنَتُوا بِهَا وَجَدُوهُ تَحْتَ وَسَادَتِهِ ، وَكَذَلِكَ دَسُّوا  
عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ مَجْدِ الدِّينِ الْفَيْرُوزِ أَبِي بَادِي صَاحِبِ " الْقَامُوسِ " كِتَاباً فِي الرَّدِّ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَتَكْفِيرِهِ ، وَدَفَعُوهُ  
إِلَى أَبِي بَكْرٍ الْخَيْطِ ، فَأَرْسَلَ يَلُومُ الشَّيْخَ مَجْدِ الدِّينِ عَلَى ذَلِكَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ : إِنْ كَانَ الْكِتَابُ بِكَفِكَ فَأَحْرَقْهُ ، فَإِنَّهُ  
اِفْتَرَأَ مِنَ الْأَعْدَاءِ ، وَأَنَا مِنْ أَعْظَمِ الْمُعْتَقِدِينَ فِي الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَذَكَرْتَ مَنَاقِبَهُ فِي مَجْلَدِ .

وكذلك دَسُّوا عَلَى الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ عِدَّةَ مَسَائِلَ فِي كِتَابِ " الْإِحْيَاءِ " ، وَظَفَرَ الْقَاضِي عِيَاضُ بْنُ سَخْرَةَ مِنْ  
تِلْكَ النُّسْخِ فَأَمَرَ بِإِحْرَاقِهَا ، وَكَذَلِكَ دَسُّوا عَلَيَّ أَنَا فِي كِتَابِي الْمُسَمَّى بِـ " الْبَحْرِ الْمُرُودِ " جُمْلَةً مِنَ الْعَقَائِدِ الزَّائِعَةِ ،  
وَأَشَاعُوا تِلْكَ الْعَقَائِدَ فِي مِصْرَ وَمَكَّةَ نَحْوَ ثَلَاثِ سِنِينَ ، وَأَنَا بَرِيءٌ مِنْهَا ، وَكَانَ الْعُلَمَاءُ كَتَبُوا عَلَيْهِ وَأَجَازُوهُ ،  
فَمَا سَكَنْتُ الْفِتْنَةَ حَتَّى أُرْسِلَتْ إِلَيْهِمُ النُّسْخَةُ الَّتِي عَلَيْهَا خَطُوطُهُمْ ... إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْحَسَدَةَ دَسُّوا  
عَلَى الشَّيْخِ فِي كِتَابِهِ ، كَمَا دَسُّوا فِي كِتَابِي أَنَا ، فَإِنَّهُ أَمَرَ قَدْ شَاهَدْتَهُ عَنْ أَهْلِ عَصْرِي فِي حَقِّي ، فَاللَّهُ يَغْفِرُ لَنَا وَلَهُمْ  
أَمِينَ " (٢) .

أَمَّا عَمَّا زَعَمَهُ وَافْتَرَاهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَلَى الْإِمَامِ الْأَكْبَرِ مِنْ أَنَّهُ يَنْتَقِصُ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَيَكْفِي فِي  
رَدِّهِ أَنْ يَقُولَ الْإِمَامُ الْأَكْبَرُ : " فَوَاجِبٌ عَلَى الْمَذْكَرِ إِقَامَةَ حُرْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ أَنْ لَا يَقْلُدَ  
الْيَهُودَ فِيهَا قَالُوا فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْمَثَالِبِ وَنَقْلَةَ الْمَفْسِّرِينَ خَذَلَهُمُ اللَّهُ " .

ويقول أيضاً : " إِنَّ شَرَطَ أَهْلِ الطَّرِيقِ فِي مَا يَخْبِرُونَ عَنْهُ مِنَ الْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ أَنْ يَكُونَ عَنْ ذَوْقٍ ، وَلَا  
ذَوْقٌ لَنَا وَلَا لغيرِنَا وَلَا لِمَنْ لَيْسَ بِنَبِيِّ صَاحِبِ شَرِيعَةٍ فِي نُبُوَّةِ الشَّرِيعِ وَلَا فِي الرِّسَالَةِ ، فَكَيْفَ نَتَكَلَّمُ فِي مَقَامٍ لَمْ  
نُصَلِّ إِلَيْهِ أَوْ عَلَى حَالٍ لَمْ نَذُقْهُ لَا أَنَا وَلَا غَيْرِي مِمَّنْ لَيْسَ بِنَبِيِّ ذِي شَرِيعَةٍ مِنَ اللَّهِ ، وَلَا رَسُولٍ ؟ حَرَامٌ عَلَيْنَا  
الْكَلَامُ فِيهِ ... حَضَرَتْ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَارِفِينَ ، فَسَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً : مِنْ أَيِّ مَقَامٍ سَأَلَ مُوسَى الرَّؤْيِيَّةَ  
؟ فَقَالَ الْآخَرُ : مِنْ مَقَامِ الشُّوقِ .

(١) انظر : الفتاوى الحديثية (ص ٢٧١) .

(٢) انظر : البواقيت والجواهر في بيان عقائد الأَكَابِر (ص ٧) .

فقلت له : لا تفعل ، أصل الطريق نهايات الأولياء بدايات الأنبياء ، فلا ذوق للولي في حال من أحوال أنبياء الشرائع ، ومن أصولنا أنا لا نتكلم إلا عن ذوق ، ونحن لسنا برسل ولا أنبياء شريعة ، فبأي شيء نعرف من أي مقام سأل موسى الرؤية " (١) .

فهذه بعض افتراءات المتمسلفة على الإمام الأكبر ابن عربي رحمه الله ، مع أنه لم يسلم من ألسنتهم عالم من علماء الأمة الذين لم يسيروا على منهجهم ، خاصة بعد أن حكموا بكفر من سواه ، فانظروا إلى الشيخ محمد ابن عثيمين وهو يقول مكفراً المتوسلين إلى الله تعالى بالأنبياء والصالحين : " فَأَيُّ إِنْسَانٍ يَدْعُو غَيْرَ اللَّهِ أَوْ يَسْتَعِيثُ بِغَيْرِ اللَّهِ بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ مُشْرِكٌ كَافِرٌ وَكَيْسَ بُولِي اللَّهِ وَلَوْ ادَّعَى ذَلِكَ بَلْ دَعَاؤُهُ أَنَّهُ وَلِيٌّ مَعَ عَدَمِ تَوْحِيدِهِ وَإِيْمَانِهِ وَتَقْوَاهُ دَعْوَى كَاذِبَةٍ تَنَافِي الْوَلَايَةِ ... " (٢) .

ويقول المدعو محمد حامد الفقي في تحقيقه لكتاب : " فتح المجيد " : " في قرّة العيون : فصارت هذه الأصنام بهذا التصوير على صور الصالحين سلماً إلى عبادتها . وكل ما عبد من دون الله ، من قبر أو مشهد ، أو صنم ، أو طاغوت ، فالأصل في عبادته هو الغلو . كما لا يخفى على ذوي البصائر ، كما جرى لأهل مصر وغيرهم ؛ فإن أعظم آهتهم أحمد البدوي ، وهو لا يعرف له أصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة . ومع هذا فصار أعظم آهتهم مع أنه لا يعرف إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصلي . ذكره السخاوي عن أبي حيان . فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ عِبَادَتَهُ فَاعْتَدُوا أَنَّهُ يَتَصَرَّفُ فِي الْكُونِ ، وَيَطْفِئُ الْحَرِيقَ وَيُنْجِي الْغَرِيقَ ، وَصَرَفُوا لَهُ الْإِلَهِيَّةَ وَالرُّبُوبِيَّةَ وَعِلْمَ الْغَيْبِ ، وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَسْمَعُهُمْ وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ مِنَ الدِّيَارِ الْبَعِيدَةِ ، وَفِيهِمْ مَنْ يَسْجُدُ عَلَى عَتَبَةِ حَضْرَتِهِ ، وَكَانَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ كَأَهْلِ عِمَانَ يَعْتَقِدُونَ فِي عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ ؛ كَمَا يَعْتَقِدُ أَهْلُ مِصْرَ فِي الْبَدَوِيِّ . وَعَبْدُ الْقَادِرِ مِنْ مَتَأَخَّرِي الْحَنَابِلَةِ وَلَهُ كِتَابٌ " الْغُنْيَةُ " ، وَغَيْرُهُ مِمَّنْ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ مِنَ الْحَنَابِلَةِ أَفْضَلُ مِنْهُ فِي الْعِلْمِ وَالزُّهْدِ ، لَكِنْ فِيهِ زَهْدٌ وَعِبَادَةٌ ، وَفَتَنُوا بِهِ أَعْظَمَ فَتْنَةٍ ، كَمَا جَرَى مِنَ الرَّافِضَةِ مَعَ أَهْلِ الْبَيْتِ . وَسَبَبُ ذَلِكَ الْغُلُوُّ دَعْوَى أَنَّ لَهُ كِرَامَاتٍ ، وَقَدْ جَرَتْ الْكِرَامَاتُ لِمَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَفْضَلُ كَبَعْضِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَهَكَذَا حَالُ أَهْلِ الشُّرْكَ مَعَ مَنْ فَتَنُوا بِهِ . وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا عِبَادَةُ أَهْلِ الشَّامِ لِابْنِ عَرَبِيٍّ ، وَهُوَ إِمَامُ أَهْلِ الْوَحْدَةِ الَّذِينَ هُمْ أَكْفَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَكْثَرُ مَنْ يَعْتَقِدُ فِيهِ هَوْلَاءُ لَا فَضْلَ لَهُ وَلَا دِينَ كَأَنَّا بِمِصْرَ وَغَيْرِهِ ،

(١) انظر : الفتوحات المكية (٢/ ٥١) .

(٢) انظر : فتاوى مهمة لعموم الأمة (ص ٩٤-٩٥) .

وجرى في نجد قبل هذه الدَّعوة مثل هذا . وفي الحجاز واليمن وغيرها من عبادة الطَّواغيت والأشجار والأحجار والقبور ما عمت به البلوى ، كعبادتهم للجنِّ وطلبهم للشِّفاعة منهم " (١) .

وجاء في " الدرر السَّنيَّة " : " ... وسُئِلَ أيضاً الشَّيخ مُحَمَّد بن الشَّيخ عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن ، عن حكم من اتَّصف بالكفر اليوم وقام به ، من بادية نجد ، هل هو كفر أصلي ، أم طارئ ؟ وهل عمهم الإسلام ، في وقت دعوة شيخ الإسلام ، مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب ، رحمه الله تعالى أم لا ؟

فأجاب : اعلم - وقفتي الله وإياك للصواب - أن أهل نجد باديتهم وحاضرتهم ، قبل دعوة شيخ الإسلام ، وعلم الهداة الأعلام ، مجدد ما اندرس من معالم الإسلام ، الشَّيخ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب ، قدَّس الله روحه ، ونور ضريحه ، في جاهليَّة جهلاء ، وضلالة عمياء ؛ قد اشتدت غربة الإسلام فيما بينهم ، واستحكمت ، وعمَّ الشُّر وطم ، وفشا الشُّرك ، وشاع الكفر وذاع ، في القرى والأمصار ، والبادية والحضار ، وصارت عبادة الطَّواغيت والأوثان ، ديناً يدينون به ، ويعتقدون في الأولياء ، أنهم ينفعون ويضرُّون " (٢) .

وجاء في " الدرر السَّنيَّة " : " وأما إذا كان الشُّرك فاشياً ، مثل دعاء الكعبة والمقام والحطيم ، ودعاء الأنبياء والصَّالحين ، وإفشاء توابع الشُّرك ، مثل الزَّنى والرِّبا ، وأنواع الظُّلم ، ونبذت السُّنَّة وراء الظَّهر ، وفشت البدع والضَّلالات ، وصار التَّحاكم إلى الأئمَّة الظَّلمة ، ونواب المشركين ، وصارت الدَّعوة إلى غير القرآن والسُّنَّة ، وصار هذا معلوماً في أي بلد كان ، فلا يشكُّ من له أدنى علم : أن هذه البلاد ، محكوم عليها بأنها بلاد كفر ، وشرك " (٣) .

وحتى الصَّحابة لم يسلموا من لسان الإمام ابن تيمية ، كما في كتابه : " اقتضاء الصَّراط المستقيم " ، حيث اعترض على عبد الله بن عمر تتبُّعه للأماكن التي صَلَّى فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتحَرَّها لأجل الصَّلَاة فيها ، فقال : " فأما قصد الصَّلَاة في تلك البقاع التي صَلَّى فيها اتفاقاً ، فهذا لم ينتقل عن غير ابن عمر من الصَّحابة ... وتحَرِّي هذا ليس من سنة الخلفاء الرَّاشدين ، بل هو ممَّا ابتدع ، وقول الصَّحابي إذا خالفه نظيره ، ليس بحجَّة ، فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصَّحابة ؟

(١) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التَّوحيد (٢٢٠ هامش) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/٤٤٩) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩/٢٦٠) .

أيضاً : فإن تحري الصلاة فيها ذريعة إلى اتخاذها مساجد ، والتشبه بأهل الكتاب مما ثمينا عن التشبه بهم فيه ، وذلك ذريعة إلى الشرك بالله !!! " (١) .

فابن تيمية يصف الصحابي الجليل ابن عمر رضي الله عنهما بالمتدع ، لأنه كان يتبع الأماكن التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتحررها لأجل الصلاة فيها ، مع أنه ثبت عن الصحابة الكرام أنهم تبركوا بالكعبة ، فاستلموها ومسحوا بأيديهم على وجوههم تبركاً...

فعن ابن جريج قال : أخبرني محمد بن المرتفع ، أنه رأى ابن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز إذا استلما مسحوا وجوههما بأيديهما " (٢) .

وعن عون ابن عبيدة قال : أخبرني شيخ منا يقال له حميد بن حبان قال : رأيت سالم بن عبد الله إذا استلم الركن وضع يده على خده " (٣) .

وعن معمر قال : لم أر أحداً يستلم إلا وهو يقبل يده ، وأدركنا الناس على ذلك ، قال : ولقد رأيت أيوب كثيراً مما يمسح على وجهه بيده إذا استلم بعد أن يقبل يده " (٤) .

وعن سعد بن حماد قال : أخبرني موسى ابن أبي الفرات ، أو فلان بن أبي الفرات قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يستلم الركن اليماني ، ثم يقبل يده ، ثم يمسح بها وجهه " (٥) ...

وهؤلاء الصحابة الكرام ما تبركوا بالركن ومسحوا بأيديهم على وجوههم إلا بعد أن رأوا الحبيب صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ، فقد روى النسائي وغيره بسندهم عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن اليماني قبله ووضع خده الأيمن عليه " (٦) .

قال الإمام ابن حجر العسقلاني : "... واستحب بعضهم تقبيل الركن اليماني أيضاً فائدة أخرى استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الأركان : جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره ، فأما تقبيل يد

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٧٨-٢٧٩) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤١ برقم ٨٩٣٠) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤٢ برقم ٨٩٣١) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤٢ برقم ٨٩٣٢) .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤٢ برقم ٨٩٣٣) .

(٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي (٥/ ٧٦ برقم ٩٥٠٣) ، ورواه ابن أبي شيبة عن مجاهد ، انظر : مُصنّف ابن أبي شيبة

(٤/ ٤٠ برقم ١٥٦١٨) .

الْأَدْمِيَّ فَيَأْتِي فِي كِتَابِ الْأَدَبِ ، وَأَمَّا عَزِيْزُهُ فَنُقِلَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ تَقْيِيْلِ مِنْبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقْيِيْلِ قَبْرِهِ فَلَمْ يَرِ بِهِ بَأْسًا ، وَاسْتَبْعَدَ بَعْضُ أَتْبَاعِهِ صِحَّةَ ذَلِكَ ، وَنَقَلَ عَنِ بْنِ أَبِي الصِّيفِ الْيَبَانِيِّ أَحَدِ عُلَمَاءِ مَكَّةَ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ جَوَازَ تَقْيِيْلِ الْمُصْحَفِ ، وَأَجْزَاءِ الْحَدِيثِ ، وَقُبُورِ الصَّالِحِينَ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ " (١) .

وقال الإمام أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (٨٥٥هـ) نقلاً عن شيخه الإمام زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم العراقي الشافعي (٨٠٦هـ) : " وأما تقبيل الأماكن الشريفة على قصد التبرك ، وكذلك تقبيل أيدي الصالحين وأرجلهم فهو حسن محمود باعتبار القصد والنية ، وقد سأل أبو هريرة الحسن ، رضي الله تعالى عنه ، أن يكشف له المكان الذي قبله ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سرته ، فقبله تبركا بآثاره وذريته ، صلى الله عليه وسلم ، وقد كان ثابت البناني لا يدع يد أنس ، رضي الله تعالى عنه ، حتى يقبلها ، ويقول : يد مست يد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقال أيضاً : وأخبرني الحافظ أبو سعيد ابن العلاءي قال : رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ ، أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وتقبيل منبره ، فقال : لا بأس بذلك ، قال : فأريناه للشيوخ تقيي الدين بن تيمية فصار يتعجب من ذلك ، ويقول : عجب أحمد عندي جليل يقوله ؟ هذا كلامه أو معنى كلامه ؟ وقال : وأي عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به ، وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فكيف بمقادير الصحابة ؟ وكيف بأثار الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام " (٢) .

فالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أجاز تقبيل القبر الشريف ، وكذا منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا بأس بذلك ، في الوقت الذي استغرب فيه ابن تيمية هذا الصنيع من أحمد . فإذا كان ابن تيمية صادقاً في متابعة السلف فلماذا شاح بوجهه عما قاله الإمام أحمد ؟ ولماذا لم يلتزمه ؟ أم أن الأتباع مجرد كلام ليل يمحوه النهار ؟ ولماذا لم يمعن ابن تيمية النظر في صنيع الإمام أحمد حين غسل قميصاً للإمام الشافعي وشرب الماء الذي غسله به ؟ وماذا سيصنع الإمام أحمد لو وجد قميصاً للرسول صلى الله عليه وسلم ؟ أو قميصاً لأبي بكر أو عمر أو غيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ... نبئوني بعلم إن كنتم صادقين ...

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٤٧٥) .

(٢) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩/ ٢٤١) .

وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى مسألة ذكرها الإمام العيني ، وهي تَقْيِيلُ أيدي الصَّالحين وأرجلهم ، وهذا أمر فعله السَّلف الصَّالح ، فقد أخرج الطبراني بسنده عن يَحْيَى بْنِ الْحَارِثِ الدَّمَارِيِّ قَالَ : لَقِيتُ وَائِلَةَ بِنَ الْأَسْقَعِ ، فَقُلْتُ : بَايَعْتَ بِيَدِكَ هَذِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقُلْتُ : أَعْطَيْتَنِي يَدَكَ أُقْبِلُهَا فَأَعْطَانِيهَا فَقَبَّلْتَهَا " (١) .

وذكر الإمام أبو العباس ، أحمد بن عبد الله بن محمد ، محب الدِّين الطُّبري (٥٦٩٤هـ) في كتابه : " الرِّيَاضُ النَّصْرَةُ فِي مَنَاقِبِ الْعَشْرَةِ " عن أبي رجاء العطاردي ، قال : دخلتُ المدينة فرأيت النَّاسَ مجتمعين ، ورأيت رجلاً يقبُّل رأس رجل ، وهو يقول : أنا فداؤك ولولا أنت هلكننا ، فقلت : من المقبُّل ، ومن المقبَّل ؟ قالوا : ذاك عمر يقبُّل رأس أبي بكر في قتاله أهل الرِّدَّة ، إذ منعوا الزَّكَاةَ حتى أتوا بها صاغرين " (٢) .

ولم يزل العلماء يقبِّلون أيدي الصَّالحين ، من غير تكبر ، فقد ذكر الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) كلاماً للإمام الفضيل بن عياض (١٨٧هـ) ، جاء في آخره : " فَقَبَّلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ (١٨١هـ) جَبْهَتَهُ ، وَقَالَ : يَا مُعَلَّمُ الْخَيْرِ مَنْ يُحْسِنُ هَذَا عَيْرِكَ " (٣) .

ولمَّا كانت حرمة المؤمن عند الله تعالى أعظم من حرمة الكعبة المشرفة ، فما المانع من التبرُّك والتَّوسُّل به إلى

الله تعالى ؟!!!

مع أن ابن تيمية ابتدع وأيد عقائد ما أنزل الله بها من سلطان ومن أقوال ابن تيمية في ذلك : قال الإمام ابن تيمية أيضاً : " ولم يذم أحدٌ من السَّلف أحداً بأنه مجسَّم ، ولا ذمَّ الجسمة ، وإنَّما ذمُّوا الجهميَّةَ النفاة لذلك !!! وغيره ... " (٤) .

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " والموصوف بهذه الصِّفات لا يكون إلا جسماً ، فالله تعالى جسمٌ لا كالأجسام !!! قالوا : وهذا ممَّا لا يمكن التَّزاع فيه !! إذا فهم المعنى المراد بذلك ، لكن أيِّ محذور في ذلك ؟!! وليس في كتاب الله ولا سنَّة رسوله ولا قول أحد من سلف الأُمَّة وأئمَّتها ، أنه ليس بجسم ، وأنَّ صفاته ليست

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/٩٤ برقم ٢٢٦) .

(٢) انظر : الرياض النضرة في مناقب العشرة (١/١٤٨) .

(٣) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/٩١) .

(٤) انظر : بيان تلييس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية (١/٣٧٢) .

أجساماً وأعراضاً؟! فنفي المعاني الثابتة بالشَّرع والعقل ؛ بنفي ألفاظ لم ينف معناها شرع ولا عقل ، جهلٌ وضلال " (١) .

قلت : وهذا كلام جدُّ خطير من ابن تيمية ، فَمَن من السَّلف قال بأنَّ الله تعالى : جسم لا كالأجسام ؟ بل إنَّ عقلاء الحنابلة وغيرهم شَنَعُوا على من قال بذلك : قال الإمام أحمد بن حمدان بن سيبب بن حمدان النمري الحَرَاني الحنبلي (٦٩٥هـ) : " ... لا يُشبهه شيئاً ولا يُشبهه شيء ، ومن شَبَّهه بخلقه فقد كفر ، نصَّ عليه أحمد . وكذا من جسَّم ، أو قال : أنَّه جسم لا كالأجسام . ذكره القاضي " (٢) .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدَّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) : " قَوْلُهُ : كَقَوْلِهِ جِسْمٌ كَأَلْجَسَامِ ) وَكَذَا لَوْ لَمْ يَقُلْ كَأَلْجَسَامِ ، وَأَمَّا لَوْ قَالَ لَا كَأَلْجَسَامِ فَلَا يَكْفُرُ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا إِطْلَاقُ لَفْظِ الْجِسْمِ الْمُؤَهَّمِ لِلنَّقْصِ فَرَفَعَهُ بِقَوْلِهِ لَا كَأَلْجَسَامِ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مُجَرَّدُ الْإِطْلَاقِ ، وَذَلِكَ مَعْصِيَةٌ " (٣) .

وقال الإمام عثمان بن علي بن محجن البارع ، فخر الدِّين الزَّيلعي الحنفي (٧٤٣هـ) : " وَالْمُشَبَّهُ إِذَا قَالَ : لَهُ تَعَالَى يَدٌ وَرِجْلٌ كَمَا لِلْعِبَادِ فَهُوَ كَافِرٌ مُلْعُونٌ ، وَإِنْ قَالَ : جِسْمٌ لَا كَأَلْجَسَامِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا إِطْلَاقُ لَفْظِ الْجِسْمِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مُؤَهَّمٌ لِلنَّقْصِ فَرَفَعَهُ بِقَوْلِهِ : لَا كَأَلْجَسَامِ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مُجَرَّدُ الْإِطْلَاقِ ، وَذَلِكَ مَعْصِيَةٌ تَنْتَهِي سَبَبًا لِلْعِقَابِ " (٤) .

فأقلُّ ما قاله العلماء فيمن قال : جسَّم لا كالأجسام : أنه مبتدع عاصٍ يستحقُّ العقاب ، وبعضهم حكم بكفره ، والعياذ بالله ...

وقال الإمام ابن تيمية : " وإذا كان كذلك ، فاسم المشبَّه ليس له ذكرٌ بدمٍ في الكتاب والسُّنة ، ولا كلام أحد من الصَّحابة والتَّابعين ؛ ولكن تكلم طائفةٌ من السَّلف مثل عبد الرَّحمن بن مهدي (١٩٨هـ) ، ويزيد بن هارون (٢٠٦هـ) ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ) ، ونعيم بن حماد ، وغيرهم بدمٍ المشبَّه ، ويَبَيَّنُوا المشبَّهة الذين ذمُّوهم ... " (٥) .

(١) انظر : بيان تلبس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية (١/٣٧٣) .

(٢) انظر : نهاية المبتدئين في أصول الدِّين (ص٣١) .

(٣) انظر : رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين (١/٥٦١) .

(٤) انظر : تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية السُّلبي (١/١٣٥) .

(٥) انظر : بيان تلبس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية (١/٣٨٧) .

وهذا كلام غريب ، وفذلكة من ابن تيمية ومن يدعي السلفية ، وإلا فبالله عليكم ماذا تُسمُّون من يصحِّح حديث الشَّابِّ الأُمرد في كتابه : " بيان تلبس الجهمية " ، وماذا تُسمُّون من يقول : إنَّ الله تعالى صورة كصورة الإنسان !!! وهذا عنوان كتاب لواحد من مدَّعي السلفية اسمه : " عقيدة أهل الإيَّان في خلق آدم على صورة الإنسان " ، وقد قرَّظ الكتاب شيخهم ابن باز ... أليس هذا تشبيهاً لله تعالى بخلقه ... أم ماذا تسمُّونه يا أهل النهي والحجى؟! ذاب الثلج وبان المرج ، ولم يعد شيء خافياً على ذي لبٍّ ...  
وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " والبارئ سبحانه وتعالى فوق العالم فوقيَّة حقيقيَّة ليست فوقيَّة الرتبة " (١) .  
فماذا تسمُّون هذا ...

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " فقلوه : " فإذا أنا بري في أحسن صورة " ، صريحٌ في أن الذي كان في أحسن صورة هو ربُّه " (٢) . وماذا تقولون في هذا التشبيه؟؟  
وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " ... أنَّ حديث أم الطُّفيل نصٌّ في أنَّ الصُّورة كانت للمرئي ، حيث قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر أنَّه رأى ربَّه في صورة شاب موفر ، رجلاه في خضر ، عليه نعلان من ذهب ، على وجهه فراش من ذهب " (٣) .

وهذا أيضاً ... ألا يُعتبر ما تضمَّنه الحديث تشبيهاً لله تعالى بخلقه؟! أم ماذا هو؟! وألا يُعتبر الحديث تحديداً لله تعالى؟ وألا يشتمل الحديث على كونه تعالى متحيِّزاً؟! لأنَّ الشَّابَّ الأُمرد لا يعيش إلا ضمن حيِّزٍ ، ثمَّ أليس الحديث لوناً من ألوان التَّجسيم بأبعاده الثلاثة من الطُّول والعرض والارتفاع؟! مع أنَّ حديث أم الطُّفيل هذا حديث باطل منكر ، حكم بضعفه الإمام أحمد ، قال القاضي أبو يعلى (٤٥٨هـ) : " ورأيت في مسائل مهنا بن يحيى الشَّامي (٢٦٠هـ) ، قال : سألته يعني أحمد عن حديث رواه ابن وهب ، عن عمرو بن الحرث ، عن سعيد بن أبي هلال ، أن مروان بن عثمان حدثه ، عن أم الطُّفيل امرأة أبي بن كعب ، أنَّها قالت : سمعت النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يذكر أنَّه رأى ربَّه في المنام في صورة شاب موفر رجلاه في خضر عليه نعلان من ذهب ،

(١) انظر : بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٩٠) .

(٢) انظر : بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٥٨) .

(٣) انظر : بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ٣٦٥) .

عَلَى وجهه فراش من ذهب " فحوّل وجهه عني وَقَالَ : هَذَا حديث منكر، وَقَالَ : لا نعرف هَذَا رجل مجهول يعني مروان بن عثمان ، فظاهر هَذَا التّضعيف من أَحْمَد لحديث أم الطّفيل " (١) .

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " ... فإذا أنا بريّ في أحسن صورة ، فقال : يا مُحَمَّد ، فقلت : لبيك يا ربّ ، قال : فيم يختصم الملاء الأعلى ؟ قال : قلت : لا أدري ، قالها ثلاثاً ، قال : فرأيتُه وضع كفّه بين كتفي ، حتى وجدت برد أنامله بين ثديي ... " (٢) .

وماذا تسمّون هذا ؟!!! مع أنّ الحديث موضوعٌ تالفٌ وقد ضعّفه الإمام أحمد كما سبق ، وقال الأستاذ حسن السّكّاف في تخرجه للحديث : " هذا الحديث لا يثبت من ناحية سنده ومتنه من وجوه :

الأوّل : رواه التّرمذي في سننه (٥ / ٣٦٦) وحسنه ، والخطيب البغدادي في تاريخه (٨ / ١٥٢) ، وابن الجوزي في الموضوعات (١ / ١٢٥) ، والطّبراني في " المعجم الكبير " (١ / ٣١٧) ، وأورده الحافظ السيوطي في كتابه " اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة " (١ / ٣١) ، وذكر أنّ في سننه حمّاد بن سلمة (١٦٧هـ) ، وقد روي الحديث عن حمّاد بلفظ آخر ، كما قال السيوطي في " اللآلئ المصنوعة " (١ / ٣١) ، ذكر هذا اللفظ الحافظ الذّهبي في " الميزان " ، وابن عدي في " الكامل في الضّعفاء " ، ففي الميزان - أعني " ميزان الاعتدال " - (١ / ٥٩٣) ، قال : رأيت ربّي جعداً أمرد عليه حلة خضراء . قلت : أورد الذّهبي صدر الحديث الذي نحن بصدده والذي اضطرب فيه الرّواية وماجوا اضطراباً عجيباً في كتابه القيم " سير أعلام النبلاء " (١٠ / ١١٣ - ١١٤) من طريق حمّاد هذا ، وقال : وهو بتمامه في تأليف البيهقي (٤٥٨هـ) ، وهو خبر منكر ، نسأل الله السّلامة في الدّين ..

١. قلت : الإمام الحافظ البيهقي قال في كتابه " الأسماء والصفات " (ص ٣٠٠ بتحقيق المحدث الكوثري) : وقد روي من وجه آخر وكلّها ضعيف . ١.هـ قلت : وهذا تصريحٌ من البيهقي بضعف طرق هذا الحديث ، وقول الذّهبي معه بأنّه منكر ، مع إيراد الحافظ السيوطي وابن الجوزي له في " الموضوعات " يثبت وضعه بلا شكّ ولا ريب . كما أنّ الحافظ ابن خزيمة أطلّ في ردّ أحاديث الصّورة في كتابه في " الصفات " .

فإن قال قائل : قد حسن الترمذي الحديث بل قد صحّحه في بعض الرّوايات عنه ، قلنا : هذا لا ينفع لوجوه : منها : أنّ التّرمذي رحمه الله تعالى متساهل في التّصحیح والتّحسين ، مثله مثل الحاكم رحمه الله في المستدرک ، يصحّح الموضوعات ، كما هو مشهور عند أهل الحديث . ومنها : أنّ تضعيف هؤلاء الحفاظ الذين

(١) انظر : إبطال التّأويلات لأخبار الصفات (١/١٤٠-١٤١) .

(٢) انظر : بيان تلبيس الجهميّة في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/٢٠٧) .

ذكرناهم وهم جهابذة أهل الحديث الذين حكموا على الحديث بأنه منكر وموضوع وغير ذلك ، مقدّم على تحسين الترمذي أو تصحيحه . ومنها : أن الثابت من كلام الترمذي رحمه الله من نسخ سننه أنه قال : حسن غريب ، كما نقل ذلك عنه الحافظ المزني في " تحفة الأشراف " ( ٤ / ٣٨٢ / ٤ ) ، والمنذري في " التّرجيب والتّرهيب " ، وقد فصل القول في المسألة الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث قال في كتابه : " النّكت الطّرف " المطبوع مع " تحفة الأشراف " معلقاً على قول الترمذي حسن غريب ما نصّه : " حديث : أتاني ربّي في أحسن صورة ... الحديث . قلت : قال محمّد بن نصر المروزي في كتاب " تعظيم قدر الصّلاة " : هذا حديث اضطرب الرّواية في إسناده ، وليس يثبت عند أهل المعرفة " . ا.هـ. كلام ابن حجر العسقلاني . وقال الحافظ ابن حجر في " تهذيب التّهذيب " ( ٦ / ١٨٥ طبعة دار الفكر ) : قال أبو زرعة الدمشقي : قلت لأحمد : إن ابن جابر يحدث عن ابن اللجلاج عن عبد الرّحمن بن عائش حديث : " رأيت ربّي في أحسن صورة " ، ويحدث به قتادة ، عن أبي قلابة ، عن خالد بن اللجلاج ، عن ابن عبّاس ، قال : هذا ليس بشيء . ا.هـ. وقال ابن الجوزي في كتابه " العلل المتناهية " ( ١ / ٣٤ ) عقب هذا الحديث : أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة ، قال الدّارقطني : كلُّ أسانيده مضطربة ليس فيها صحيح ا.هـ. قلت : والمضطرب من أقسام الضّعيف ، كما هو معلوم ...

الوجه الثّاني : هناك ألفاظ منكرة في متن الحديث تؤكّد وضعه ، منها : إثبات الصّورة لله تعالى ، وكذلك إثبات الكفّ له سبحانه وتعالى عن ذلك ، وأتمّها بقدر ما بين كتفي سيّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإثبات علم ما في السّماوات والأرض للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وغير ذلك ممّا لا أودُّ الآن الإطالة بسرده ، فأقول مجيباً عن بعض هذه المسائل : أمّا الأولى : فالله عزّ وجلّ ليست له صورة ، بلا شكّ ، وذلك لأنّه بيّن أنّ المخلوقات ، ومنها الإنسان : مركّبة من صورة ، وهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، إذ قال سبحانه : ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَيْكَ الْكَرِيمِ \* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ \* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨] ، وأجمع أهل السنّة على استحالة الصّورة على الله عزّ وجلّ ، كما نقل ذلك الاجماع الشّيخ الإمام عبد القاهر البغدادي في كتابه العظيم " الفرق بين الفرق " ( ص ٣٣٢ ) ، وقال الشّافعي (٢٠٤هـ) رحمه الله تعالى ورضي عنه ، كما في " سير أعلام النّبلاء " ، و " الحلية " ( ٩ / ١٠٥ ) ، و " آداب الشّافعي " لابن أبي حاتم ( ٢٣١ ) ، وغير ذلك : الاجماع أكبر من الحديث المنفرد . ا.هـ. أي أنّ الاجماع إذا صادمه حديث آحاد أسقط

الاحتجاج به ، بل يدل ذلك على وضعه ، وأنه لا أصل له ، كما يقول الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه :  
الفقيه والمتفقه " ( ١ / ١٣٢ ) ؟

كما أن قوله في الحديث : " فعلمت ما بين السماوات والأرض " تنقضه نصوص صحيحة صريحة ، منها :  
قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا  
يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] ، ، فالله عز وجل  
أوضح لنا وبين أن علمه بهذه الأشياء الموجودة في ظلمات الأرض مما لا يعلمها إلا هو ، وأما الملائكة فكل منهم  
موكل بشيء محدود معلوم في السماء أو في الأرض ، أما علم جميع وظائفهم ، وما في السماء والأرض فهو لله عز  
وجل . ومنها : قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحجرات : ١٨]  
، فلو كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك أيضاً لقال : " إن الله ورسوله يعلمان غيب السماوات  
والأرض " . وفي الحديث الصحيح : سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي البقاع خير ؟ فقال : " لا أدري " ،  
فقال السائل : أي البقاع شر ؟ فقال : " لا أدري " ، فسأل سيدنا جبريل ، فقال : لا أدري ، فسأل الله تعالى ،  
فأوحى إليه : إن خير البقاع المساجد ، وشر البقاع الأسواق ... " (١) .

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " أنا قد قدمنا أن جميع ما يذكر من هذه الأدلة التي تنفي الجسم على  
اصطلاحهم ، فإنها أدلة باطلة !!! لا تصلح لمعارضة دليل ظني ولا قطعي " (٢) .  
والكلام في مثل هذه المعاني التشبيهية يطول ، والغريب أن من يدعون السلفية لا يجيدون عما قاله ابن تيمية  
قيد أنمله ، بل يعتقدون ما يعتقدون من غير تكبير ولا تغيير ، وهو عندهم المرجع الذي لا يجارى ولا يُبارى ، ومن  
الأمثلة على متابعة من يدعون السلفية لإمامهم ابن تيمية : أن المدعو : عبد الكريم صالح الحميد ، ألف كتاباً  
سمّاه : " القول المختار لبيان فناء النار " ردّ فيه على الشيخ الألباني الذي عارض الإمامين : ابن تيمية وتلميذه ابن  
قيّم الجوزية القائلين بفناء النار ، مع أن بقاء النار من الصّوريات في دين الله تعالى . وكتاب " عبد الكريم  
الحميد " هو من (منشورات مطبعة السفير ، الرياض ، ١٤١٢هـ) . مع العلم أن العلماء قديماً ردّوا على ابن تيمية قوله

(١) انظر : أقوال الحفاظ المنشورة لبيان وضع حديث : " رأيت ربّي في أحسن صورة ، الأستاذ حسن السقاف ، بذيل كتاب دفع شبه التشبيه لابن  
الجوزي (ص ٢٨١-٢٨٦ باختصار) .

(٢) انظر : بيان تلبيس الجهميّة في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/٤٠٧) .

المخالف لعموم الأمة ، انظر مثلاً : " الاعتبار ببقاء الجنة والنار " ، لتقي الدين علي بن عبد الكافي الشبكي ، عني بنشره : القدسي ، مطبعة الترقّي ، دمشق ، " رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار " ، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، بتحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ( المكتب الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م ) ... وقد خالف ابن تيمية في ذلك الجميع (١) .

والعجيب أن الألباني مع كونه أثبت هذا القول الفاسد على ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ، جعل لهما ثواباً على اجتهادهما !!! في القول بفناء النار ، كما تجد ذلك في تعليقه على " رفع الاستار " (ص ٣٢) ، فيا للعجب ...

فالقوم لا يعينهم الدليل بقدر ما يعينهم متابعة مشايخهم الذين قلدهم حذو القدّة بالقدّة ، حتى ولو اضطروا للتأويل الذي لا يقولون به !!!

ويستشهدون على مقالاتهم الباطلة بكلام ينسبونه ظلماً وزوراً للإمام أحمد بن حنبل ، مع أن سادة الحنابلة نفوا ما ألصقه الآثمون به ، فقد نقل الإمام أبو الفضل ، عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث ، التميمي البغدادي ، رئيس الحنابلة ببغداد (٤١٠هـ) عن الإمام أحمد بن حنبل أنه : " أنكر على من يقول بالجسم ، وقال : إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة ، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طولٍ وعرضٍ وسمكٍ وتركيبٍ وصورةٍ وتأليفٍ ، والله تعالى خارج عن ذلك كله ، فلم يجوز أن يُسمّى جسماً لخروجه عن معنى الجسميّة ، ولم يجيء في الشريعة ذلك ، فبطل " (٢) .

فهذا رئيس الحنابلة ببغداد يصوّر العقيدة الحقّة للإمام أحمد ، وأنه أنكر على الجسميّة ، وأنّ الجسم هو كلّ ما كان له طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف ... والله تعالى خارج عن ذلك كلّ ، ثمّ حكم ببطلان ذلك كلّ ...

ونقل الإمام أبو الفضل التميمي الحنبلي عن الإمام أحمد أنه قال : " والله تعالى لا يلحقه تغيرٌ ولا تبدلٌ ، ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش " (٣) .

(١) انظر مثلاً : " لواعم الأنوار البهية " ، لمحمد بن أحمد السفاريني (٢/ ٢٣٥) ، " جلاء العينين في محاكمة الأحمدين " ، لنعمان بن محمد الألويسي (ص ٤٢١) ، محمد رشيد رضا في مجلته المنار : الجزء الأوّل والثاني ، (المجلد الثاني والعشرون) .

(٢) انظر : اعتقاد الإمام أحمد (ص ٤٥) .

(٣) انظر : اعتقاد الإمام أحمد (ص ٣٨-٣٩) .

ففقيدة الإمام أحمد لا تمتُّ بأدنى صلة لعقائد من يدعون السلفية الذين أفسدوا البلاد، وكفروا العباد،  
ففي كتابهم المسمى: "إعصار التوحيد"، كفروا الصوفية، وأهل الطرق، وأهل البلاد الإسلامية، كأهل مصر  
، وليبيا، والمغرب العربي، والهند، وفارس، وآسيا الغربية، وبلاد الشام، ونيجيريا، وتركيا، والبلاد الرومية،  
والأفغانية، وبلاد تركستان الصينية، والسودان، وتونس، ومراكش، والجزائر (١) ...

وهم بهذا يكفرون عموم الأمة المحمدية، ولم يُثِقُوا على التوحيد إلا هم ومن شايعهم من الهمج الرعاع،  
وتكفيرهم الصوفية لم يأت من عبث، فما كان إلا لأنهم يعلمون يقيناً أن الصوفية من أشد الناس محبة للحبيب  
صلى الله عليه وسلم، وأن أغلب العلماء الربانيين إن لم نقل كلهم، من أهل التصوف ...

فمن الرعيل الأول من علماء الصوفية: الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ثم اليربوعي  
(١٨٧هـ)، إبراهيم بن أدهم (١٦٢هـ)، شقيق بن إبراهيم أبو علي الأزدي البلخي (١٩٤هـ)، معروف الكرخي  
(٢٠٠هـ)، أبو سليمان الداراني وهو عبد الرحمن بن عطية ويقال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية (٢١٥هـ)، بشر بن  
الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله الحافي (٢٢٧هـ)، أحمد بن أبي الحواري (٢٣٠هـ)،  
حاتم الأصم (٢٣٧هـ)، أحمد بن خضرويه البلخي (٢٤٠هـ)، أبو بكر الوراق وهو محمد بن عمر الحكيم (٢٤٠هـ)،  
ذو النون بن إبراهيم المصري (٢٤٥هـ)، الحارث بن أسد المحاسبي (٢٤٣هـ)، سري بن المغلس السقطي (٢٥١هـ)،  
يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي (٢٥٨هـ)، أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان (٢٦١هـ)، حمدون بن أحمد بن  
عمارة أبو صالح القصار النيسابوري (٢٧١هـ)، أبو عبد الله المغربي واسمه محمد بن إسحاق (٢٧٩هـ)، سهل بن عبد الله  
التستري (٢٨٣هـ)، أبو سعيد الخزاز واسمه أحمد بن عيسى (٢٨٦هـ)، أبو حمزة البغدادي البزاز (٢٨٩هـ)، إبراهيم  
الخواص وهو إبراهيم بن أحمد بن إسحاق كنيته أبو إسحاق (٢٩١هـ)، الجنيد بن محمد أبو القاسم الخزاز  
(٢٩٧هـ)، أبو عثمان سعيد بن إسحاق بن سعيد بن منصور الحيري النيسابوري (٢٩٨هـ)، شاه الكرماني وهو شاه  
بن شجاع أبو الفوارس (مات قبل ٣٠٠هـ)، يوسف بن الحسين أبو يعقوب الرازي (٣٠٤هـ)، محمد بن الفضل بن  
العباس بن حفص وكنيته أبو عبد الله (٣٠٩هـ)، عبد الله بن محمد الخزاز وهو أبو محمد عبد الله بن محمد (مات قبل  
العشر وثلاثمائة)، أبو الحسين الوراق واسمه محمد بن سعد (مات قبل العشرين وثلاثمائة)، أبو بكر الواسطي واسمه  
محمد بن موسى وأصله من فرغانة وكان يعرف بابن الفرغاني (مات بعد العشرين وثلاثمائة)، أبو علي الروذباري  
واسمه أحمد بن محمد بن القاسم ابن منصور بن شهریار بن مهرذاذاز بن فرغدد بن كسرى (٣٢٢هـ)، إبراهيم

(١) انظر: إعصار التوحيد يحطم وثن الصوفية، عبد العزيز بن باز واللجنة الدائمة للإفتاء، جمع وترتيب: نبيل محمود، دار القاسم، ١٤١٨هـ.

القصار وَهُوَ إِبرَاهِيمُ بن دَاوُد الرقي أَبُو إِسْحَاق (٣٢٦هـ) ، أَبُو الحُسن بن الصَّائغِ الدِينَوْرِي واسمه عَلِيّ بن مُحَمَّد  
ابن سهل (٣٣٠هـ) ، أَبُو بكر الشبلي واسمه دلف يُقَال ابن جحدر وَيُقَال ابن جَعْفَر وَيُقَال اسمه جَعْفَر بن يُوْس  
(٣٣٤هـ) ، أَبُو بكر طَاهِر الأَبْهَرِيّ اسمه عبد الله بن طَاهِر بن حَاتِم الطَّائِي (مَات قرب الثَّلَاثِينَ وثلاثمائة) ، أَبُو  
عَمْرُو الزجَاجي واسمه مُحَمَّد بن إِبرَاهِيم بن يُوْسُف ابن مُحَمَّد (٣٤٨هـ) ، جَعْفَر الخُلْدِيّ وَهُوَ جَعْفَر بن مُحَمَّد بن  
نصير أَبُو مُحَمَّد الحُوص (٣٤٨هـ) ، أَبُو الحُسن البوشنجي واسمه عَلِيّ بن أَحْمَد بن سهل (٣٤٨هـ) ، أَبُو بكر الدقي  
وَهُوَ أَبُو بكر مُحَمَّد بن دَاوُد الدِينَوْرِي (مَات بعد الحُسين وثلاثمائة) ، عبد الله الرَّازِيّ وَهُوَ أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن  
مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الرَّحْمَن الرَّازِيّ الشَّعْرَانِي (٣٥٣هـ) ، أَبُو الحُسن الصَّيْرِيّ وَهُوَ عَلِيّ بن بَنْدَار بن الحُسين  
الصَّيْرِيّ (٣٥٩هـ) ، أَبُو عبد الله وَأَبُو القَاسِم مُحَمَّد وجعفر ابنا أَحْمَد ابن المُقْرِيّ (٣٦٦هـ) ، أَبُو عبد الله الرُّوذَبَارِيّ  
واسمه أَحْمَد بن عَطَاء بن أَحْمَد الرُّوذَبَارِيّ (٣٦٩هـ) ، مُحَمَّد بن أَحْمَد بن حمدون الفَرَّاء أَبُو بكر (٣٧٠هـ) ، أَبُو عُثْمَان  
المغربي وَهُوَ سعيد بن سَلام (٣٧٣هـ) ، ...

وبرغم ما بيّناه وقدّمناه من حقائق عن الصُّوفِيَّة والتَّصَوُّف أباي مدَّعو السِّلْفِيَّة إِلَّا أن يَتَّهَمُوا الصُّوفِيَّة أَنهَآ  
المعول الذي هدم به اليهود والفرس صرح الإسلام العظيم ، وَأَنَّ الصُّوفِيَّة هم من مكَّنوا المستعمر من بلاد  
المسلمين في غير بلج من بلادهم ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب : "المجموع المفيد من عقيدة التَّوْحِيد" : " إِنَّ  
هذه الطُّرُق الصُّوفِيَّة المنتشرة في النَّاس للدَّجَل والدَّجَالين هي المعول الذي هدم به اليهود والفرس صرح  
الإسلام ، وهي اليد الأثيمة التي مزَّقت الإسلام ، وَأَنَّ شيوخ الطُّرُق الصُّوفِيَّة هم الذين يمكَّنون للمستعمرين  
في مراكش ، وتونس ، والجزائر ، والهند ، وفي السُّودان ، وفي مصر ، وفي كلِّ مكان ، أيها المسلمون : لا ينفع  
إسلامكم إِلَّا إذا أعلنتم الحرب الشَّعْواء على هذه الطُّرُق !!! وقضيتم عليها فأخرجتموها من بين جنوبكم ومن  
قلوبكم ومجالسكم ومجامعكم ومساجدكم وزواياكم ، حاربوها قبل أن تحاربوا اليهود !!! فإنَّها روح اليهودية  
والمجوس تغلغت في جسم الإسلام فزلزلته وأوهنته " (١) .

وللرَّد على هذا المتعالم الأفاك نقول : أمَّا ما زعمته من تمكين الصُّوفِيَّة للمستعمرين في بلاد المسلمين ،  
فيكفي في الرَّد عليه أن الجميع يشهد بجهد الصُّوفِيَّة في مختلف الأعصار والأمصار ، وهنا سأذكر بباقة صغيرة  
من جهادهم ، وقد ذكرت أغلب حلقات جهادهم في الرَّد عليك وعلى أمثالك في كتابي : " تكفير الوهابية

(١) انظر : المجموع المفيد من عقيدة التَّوْحِيد (ص ٥٥) .

لعموم الأمة المحمّديّة " ، أقول : ذكر المؤرّخون أنّ إمام المتصوّفين إبراهيم بن أدهم (١٦٢هـ) كان من المرابطين في الثُّغور ، ومات فيها ، قال ابن كثير : " وذكروا أنّه توفي في جزيرة من جزائر بحر الروم وهو مرابط " (١) .

قال الإمام الذهبي عن شقيق البلخي (١٩٤هـ) : " وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ ، عَنْ حَاتِمِ الْأَصَمِّ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ شَقِيقِ بْنِ وَحْشٍ مَصَافُو الْعَدُوِّ التُّرْكِ ، فِي يَوْمٍ لَا أَرَى إِلَّا رُؤُوسًا تَنْدُرُ ، وَسُيُوفًا تَقْطَعُ ، وَرِمَاحًا تَقْصِفُ ، فَقَالَ لِي : كَيْفَ تَرَى نَفْسَكَ ، هِيَ مِثْلُ كَيْلَةِ عُرْسِكَ ؟

قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : لَكَيْتِي أَرَى نَفْسِي كَذَلِكَ . ثُمَّ نَامَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ عَلَى دَرَقِيهِ ، حَتَّى غَطَّ ، فَأَخَذَنِي تُرْكِي ، فَأَضْجَعَنِي لِلذَّبْحِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَطْلُبُ السَّكِينِ مِنْ خُفِّهِ ، إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ ذَبَحَهُ ... وَقَتَلَ شَقِيقٌ فِي غَزَاةِ كَوْلَانَ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ " (٢) .

وقال الإمام ابن العماد العكري الحنبلي عن حاتم الأصم (٢٣٧هـ) : " مات عند رباط يقال له : رأس سرود على جبل فوق واشجرد " (٣) .

وقال أحمد أمين عن الشيخ محي الدين بن عربي (٦٣٨هـ) : " أثار عنه أنّه كان خلال الحروب الصليبيّة يحرّض المسلمين على الجهاد ومقاومة الغزاة الصليبيين " (٤) .

وقد جاء في كتاب " الوصايا " لابن عربي : " وعليك بالجهاد الأكبر فإنّه أكبر أعدائك ، وهو أقرب الأعداء إليك الذين يلونك ، فإنّه بين جنبيك ، والله يقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٣] ، ... فإنّك إذا جاهدت نفسك هذا الجهاد خلص لك الجهاد الآخر في الأعداء الذي إن قتلت فيه كنت من الشهداء الأحياء الذين عند ربهم يرزقون... " (٥) .

(١) انظر : البداية والنهاية (١٥٤/١٠) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (٣١٦-٣١٤/٩) .

(٣) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٦٩/٣) .

(٤) انظر : ظهر الإسلام (٢٢٢/٤) .

(٥) انظر : الوصايا (ص ٤٩) .

وأين أنتم من السلطان الصوفي محمد الفاتح (١٤٨١م) الماتريدي العقيدة فاتح القسطنطينية الذي امتدحه سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: " لَتَفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ ، فَلِنَعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا ، وَلِنَعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ " (١) .

وأين أنتم من الإمام الصوفي العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ) ، الذي كان له دور مشكور في هزيمة التتار ، قال الإمام السيوطي: " ولبس خرقة التصوف من الشهاب السهروردي " (٢) .

وأين أنتم من السلطان الصوفي المجاهد صلاح الدين الأيوبي (١١٩٣م) محرر الأقصى من يد الصليبيين ، وقاهرهم ...

الإمام علي بن ميمون (٩١٧هـ) قال الإمام ابن العماد العكري الحنبلي: " واشتغل بالعلم ودرّس ، ثم ولي القضاء ، ثم ترك ذلك ولازم الغزو على السواحل ، وكان رأس العسكر " (٣) .

وماذا تقولون عن الأمير عبدالقادر الجزائري الصوفي الأشعري (١٨٤٧م) ، قائد الثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي ...

وماذا عن البطل المجاهد الشهيد عمر المختار (١٩٣١م) الصوفي الزاهد قائد الثورة الليبية ضد الطليان !!!؟  
وماذا عن الشيخ محمد بدر الدين الحسني (١٩٣٥م) الصوفي ، قال الزركلي: " لما قامت الثورة على الاحتلال الفرنسي في سورية ، كان الشيخ يطوف المدن السورية ، متنقلاً من بلدة إلى أخرى ، حاثاً على الجهاد ، وحاضراً عليه ، يقابل الثائرين ، ويغذّيهم برأيه وينصح لهم بالخطط الحكيمة ، فكان أباً روحياً للثورة والثائرين المجاهدين " (٤) .

وماذا ، وماذا ، وماذا ... فهل عندكم ردٌّ!!!!؟ وكيف لكم الردُّ ، وأنتم غارقون في بحار التقليد والتبعية ... وانتظروا ردنا الأكبر على ترهاتكم في هذه المسألة في كتابنا الضخم: " تكفير الوهابية لعموم الأمة الإسلامية ... "

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣١/٢٨٧ برقم ١٨٩٥٧) .

(٢) انظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/٣١٥) .

(٣) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/١١٧) .

(٤) انظر: الأعلام (٧/١٥٨) .

وَأَتَمَّوْا الصُّوفِيَّةَ بِالشَّرْكِ ، فقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة : " ونحذركم ما أحدث أهل الطُّرق من تصوّف مدخول ، وأوراد مبتدعة ، وأذكار غير مشروعة ، وأدعية فيها شرك بالله أو ما هو ذريعة إليه ، كالأستغاثة بغير الله ، وذكره بالأسماء المفردة ، وذكره بكلمة آه ، وليست من أسائه سبحانه ، وتوسّلهم بالمشايخ في الدُّعاء ، واعتقاد أنّهم جواسيس القلوب يعلمون ما تكفُّه ، وذكرهم الله ذكراً جماعياً بصوت واحد في حلقات مع ترنحات وأناشيد إلى غير ذلك ممّا لا يُعرف في كتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) .

وهنا أقول لأعضاء اللجنة الدائمة : من هو الذي جاء بالأوراد المبتدعة : الصُّوفِيَّة أم ابن تيمية !!! إن كان الجواب لا يحضركم ، فأنا أذكركم ببعض !!! ما قاله ابن تيمية ، ووافقه عليه تلميذه ابن قيّم الجوزيّة من أوراد لا يوجد مضمونها في أيّ من دواوين السُنَّة ، من ذلك :

قال الإمام ابن القيّم : " وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : مَنْ وَاطَبَ عَلَيَّ " يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ " كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً أَحْبَبَى اللهُ بِهَا قَلْبَهُ " (٢) . مع أنّ هذا الكلام لم يأت - بحسب علمي - مضمونه في أيّ من دواوين السُنَّة ...

وقال ابن القيّم أيضاً : " وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَدَسَ اللهُ رُوحَهُ شَدِيدَ اللَّهْجِ بِهَا جِدًّا ، وَقَالَ لِي يَوْمًا : لِهَذَيْنِ الْإِسْمَيْنِ ، وَهُمَا : الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ تَأْتِيْرٌ عَظِيمٌ فِي حَيَاةِ الْقَلْبِ ، وَكَانَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهَا الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَنْ وَاطَبَ عَلَيَّ أَرْبَعِينَ مَرَّةً كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَعِيْثُ حَصَلَتْ لَهُ حَيَاةُ الْقَلْبِ ، وَلَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ " (٣) .

وقال الإمام البزّار في كلامه عن ابن تيمية : " ... وَكَانَ قد عرفت عَادَتَهُ لَا يَكْلِمُهُ أَحَدٌ بِغَيْرِ ضُرُورَةٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، فَلَا يَزَالُ فِي الذِّكْرِ يَسْمَعُ نَفْسَهُ وَرُبَّمَا يَسْمَعُ ذَكَرَهُ مِنْ إِلَى جَانِبِهِ مَعَ كَوْنِهِ فِي خِلَالِ ذَلِكَ يَكْثُرُ مِنْ تَقْلِيْبِ بَصَرِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ ، هَكَذَا دَابَهُ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ وَيَزُولَ وَقْتُ النَّهْيِ عَنِ الصَّلَاةِ ، وَكَانَتْ مُدَّةَ إِقَامَتِي بِدِمَشْقٍ مَلَاظِمَهُ جَلَّ النَّهَارَ وَكَثِيْرًا مِنَ اللَّيْلِ ، وَكَانَ يَدِينِي مِنْهُ حَتَّى يَجْلِسَنِي إِلَى جَانِبِهِ ، وَكَانَتْ أَسْمَعُ مَا يَتْلُو وَمَا يَذْكُرُ حِينَئِذٍ ، فَرَأَيْتُهُ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ وَيَكْرُرُهَا وَيَقْطَعُ ذَلِكَ الْوَقْتُ كُلَّهُ ، أَعْنِي مِنَ الْفَجْرِ إِلَى اِرْتِفَاعِ الشَّمْسِ فِي تَكْرِيْرٍ تَلَاوَتْهَا ، فَفَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ لَمْ قَدْ لَزِمَ هَذِهِ السُّورَةَ دُونَ غَيْرِهَا ، فَبَانَ لِي وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّ قَصْدَهُ بِذَلِكَ أَنْ يَجْمَعَ

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢/٢٩٢-٢٩٣) .

(٢) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/٢٤٨) .

(٣) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/٤٤٦) .

بتلاوتها حِينَئِذٍ بَيْنَ مَا وَرَدَ فِي الْإِحَادِيثِ وَمَا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ هَلْ يَسْتَحَبُّ حِينَئِذٍ تَقْدِيمَ الْأَذْكَارِ الْوَارِدَةِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ أَوْ الْعَكْسِ ، فَرَأَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ فِي الْفَائِخَةِ وَتَكَرُّرِهَا حِينَئِذٍ جَمْعًا بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ وَتَحْصِيلًا لِلْفَضِيلَتَيْنِ ، وَهَذَا مِنْ قُوَّةِ فَطْنَتِهِ وَثَاقِبِ بَصِيرَتِهِ ... " (١) .

مع أننا لا نقول بأن ما ذكره من الأدعية ممنوع أو بدعة أو ... فالدعاء بابه مفتوح ، وما على الإنسان إلا أن يتوجه بالدعاء إلى الله تعالى ، بلسان حاله ، يطلب سؤاله ، بأي صيغة كانت ...

ويميضي مدعو السلفية في تكفير الصوفية ، فيقول المدعو : عمر بن محمود أبو عمر : " فالصوفية مذهب دخيل ليس من الإسلام في شيء ، وهو ديانة مستقلة ليس لها وجه قرابة مع الإسلام ، لا في أصولها ، ولا في فروعها ، فهي لها عقائد خاصة بها ، وأركان عبادات كذلك ، وشرح هذا الأمر يطول جداً " (٢) .

وقال ابن تيمية واصفاً الصوفية بالابتداع في الدين ، ومحرمًا الذكر باسم الله المفرد : " فأما الاسم المفرد فلا يكون كلاماً مفيداً عند أحد من أهل الأرض ، بل ولا أهل السماء ، وإن كان وحده كان معه غيره مضمرًا أو كان المقصود به تنبيهاً أو إشارة ، كما يقصد بالأصوات التي لم توضع لمعنى لا أنه يقصد به المعاني التي تقصد بالكلام .

ولهذا عدّ النَّاسُ مِنَ الْبِدْعِ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّسَاكِ مِنْ ذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ وَحْدَهُ بَدُونَ تَأْلِيفِ كَلَامٍ ... " (٣) .  
وقال ابن تيمية : " فَأَمَّا " الْإِسْمُ الْمَفْرُودُ " مُظْهِرًا مِثْلَ : " اللَّهُ " " اللَّهُ " . أَوْ " مُضْمَرًا " مِثْلَ " هُوَ " " هُوَ " .  
فَهَذَا لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، وَلَا هُوَ مَأْثُورٌ أَيْضًا عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ ، وَلَا عَنْ أَعْيَانِ الْأُمَّةِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ ، وَإِنَّمَا لَحَجَّ بِهِ قَوْمٌ مِنْ ضَلَالِ الْمُتَأَخِّرِينَ " (٤) .

وقال ابن تيمية : " ولهذا عدّ النَّاسُ مِنَ الْبِدْعِ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّسَاكِ مِنْ ذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ وَحْدَهُ بَدُونَ تَأْلِيفِ كَلَامٍ ... " (٥) .

(١) انظر : الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (ص ٣٨) .

(٢) انظر : ملاحظات على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد (ص ٦٠) .

(٣) انظر : الرد على المنطقيين (ص ٣٥) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٦) .

(٥) انظر : الرد على المنطقيين (ص ٣٥) .

وقال ابن تيمية: " فَأَمَّا " الإِسْمُ الْمَفْرُودُ " مُظْهِراً مِثْلَ: " الله " " الله " . أَوْ " مُضْمِراً " مِثْلَ " هُوَ " " هُوَ " . فَهَذَا لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، وَلَا هُوَ مَأْثُورٌ أَيْضاً عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ ، وَلَا عَنْ أَعْيَانِ الْأُمَّةِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ ، وَإِنَّمَا لَهَجَ بِهِ قَوْمٌ مِنْ ضَلَالِ الْمُتَأَخِّرِينَ " (١) .

أَمَّا عَنْ اعْتِرَاضِهِمْ عَلَى الصُّوفِيَّةِ بِالذِّكْرِ الْجَمَاعِيِّ ، فِيرُدُّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]

قال الإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (٤٦٥هـ): ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ ... الآية : استغرق الذِّكْرُ جميع أوقاتهم ، فإن قاموا فبذكره ، وإن قعدوا أو ناموا أو سجدوا فجملة أحوالهم مستهلكة في حقائق الذِّكْرِ ، فيقومون بحقِّ ذكره ويقعدون عن إخلاف أمره ، ويقومون بصفاء الأحوال ويقعدون عن ملاحظتها والدَّعْوَى فيها . ويذكرون الله قِيَمًا على بساط الخدمة ثم يقعدون على بساط القربة . ومن لم يسلم في بداية قيامه عن التَّقْصِيرِ لم يسلم له قعود في نهايته بوصف الحضور . والذِّكْرُ طريق الحقِّ - سبحانه - فما سلك المريدون طريقاً أصحَّ وأوضح من طريق الذِّكْرِ ، وإن لم يكن فيه سوى قوله : " أنا جليس من ذكرني " (٢) ، لكان ذلك كافياً .

والذَّاكِرُونَ عَلَى أَقْسَامٍ ، وَذَلِكَ لِتَبَايُنِ أحوالهم : فَذَكَرُوا يوجب قبض الذَّاكِرِ لما يذكره من نقص سلف له ، أو قبض حصل منه ، فيمنعه خجله عن ذكره ، فذلك ذكر قبض .

وذكر يوجب بسط الذَّاكِرِ لما يجد من لذائذ الذِّكْرِ ثمَّ من تقرب الحقِّ إِيَّاهُ بِجَمِيلِ إِقْبَالِهِ عَلَيْهِ .

وذاكر هو محو في شهود مذكورة فالذِّكْرُ يجرى على لسانه عادة ، وقلبه مصطلم فيما بدا له .

وذاكر هو محل الإجلال يأنف من ذكره ويستتقذر وصفه ، فكأنه لتصاغره عنه لا يريد أن يكون له في الدُّنْيَا

والآخرة ثناء ولا بقاء ، ولا كون ولا بهاء ، قال قائلهم :

مَا إِنْ ذَكَرْتِكَ إِلَّا هَمَّ يَلْعَنُنِي قَلْبِي وَرُوحِي وَسَرِّي عِنْدَ ذِكْرِكَ

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٦) .

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص ٦٨ برقم ٣٥٢) ، ابن أبي شيبه في المُصَنَّفِ (١/١١٤ برقم ١٢٣١) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/٤٢) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/١٧١ برقم ٦٧٠) .

حتى كأن رقيباً منك يهتف بي إياك ويحك والتذكُّر — أَرِئَاكَ

والذِّكْر عنوان الولاية ، وبيان الوصلة ، وتحقيق الإرادة ، وعلامة صحَّة البداية ، ودلالة صفاء النِّهاية ، فليس وراء الذِّكْر شيء ، وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذِّكْر ، ومنشأة عن الذِّكْر " (١) .  
وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجبية الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) :  
يقول الحقُّ جلَّ جلاله في وصف أولي الألباب : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَفَعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، أي : يذكرونه على الدَّوام ، قائمين وقاعدين ومضطجعين ... " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر نووي الجاوي البتيني إقليمياً ، التناري بلداً (١٣١٦هـ) : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَفَعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، أي : الذين لا يغفلون عن الله تعالى في جميع أوقاتهم ، لاطمئنان قلوبهم بذكره تعالى ، واستغراق سرائرهم في مراقبته ، لما أيقنوا بأنَّ كلَّ ما سواه فائض منه وعائد إليه ، فلا يشاهدون حالاً من الأحوال في أنفسهم ولا في الآفاق إلَّا وهم يعاينون في ذلك شأنًا من شؤونه تعالى . فالمراد : ذكره تعالى مطلقاً ، سواء كان ذلك من حيث الذات أو من حيث الصِّفات والأفعال ، وسواء قارنه الذِّكْر اللساني أو لا . وتخصيص الأحوال المذكورة بالذِّكْر ليس لتخصيص الذِّكْر بها ، بل لأنَّها الأحوال المعتادة التي لا يخلو عنها الإنسان غالباً . والمراد تعميم الذِّكْر للأوقات " (٣) .

وقال الدكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي رحمه الله : " والذين يتداعون إلى هذه الحلقات ويحضرونها ، يحتجُّون بالعموم الذي يدلُّ عليه قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَفَعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، وهو عمومٌ بيِّن لا يخرج من نطاقه إلَّا إذا أخرجه نصُّ آخر من طريق الاستثناء والتَّخصيص ... " (٤) .

وعن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الشُّهَدَاءُ وَالنَّبِيُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَجَلْسَتِهِمْ مِنْهُ ، فَجَبَّتْ أَعْرَابِيٌّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ

(١) انظر : لطائف الإشارات (تفسير القشيري) (١/٣٠٤-٣٠٥) .

(٢) انظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/٤٥٠) .

(٣) انظر : مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (١/١٧٤) .

(٤) انظر : السُّلْفِيَّةُ مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي (ص ١٩٢) .

: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَفَهُمْ لَنَا وَحَلَّهِمْ لَنَا. قَالَ: " قَوْمٌ مِنْ أَقْنَاءِ النَّاسِ مِنْ نِزَاعِ الْقَبَائِلِ تَصَادَفُوا فِي اللَّهِ وَتَحَابُّوا فِيهِ ، يَصُحُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ يَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ ، هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (١) .

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : حَلَقُ الذُّكْرِ " (٢) .

وبناء على ما سبق ، فإنَّ الذُّكْرَ الجماعي لا مانع يمنع منه شرعاً ، بل عموم الأدلة تدعمه ، وكيفيته قد تكون مختلفة ، واختلافها لا يمنع منه ، وتحديد ذلك لا يخرج عن البدعة الحسنة ، مع أنني وجدت ابن تيمية في هذه المسألة يجيب على شبهة من يدعون السلفية ، فقد جاء في فتاوى ابن تيمية : " وَسُئِلَ : عَنْ رَجُلٍ يُنْكِرُ عَلَى أَهْلِ الذُّكْرِ يَقُولُ هُمْ : هَذَا الذُّكْرُ بِدْعَةٌ وَجَهْرُكُمْ فِي الذُّكْرِ بِدْعَةٌ وَهُمْ يَفْتَتِحُونَ بِالْقُرْآنِ وَيَحْتَمُونَ ثُمَّ يَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ وَيَجْمَعُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّكْبِيرَ وَالْحَوْقَالَ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالمُنْكَرُ يُعْمَلُ السَّمَاعَ مَرَّاتٍ بِالتَّصْفِيقِ وَيُبْطَلُ الذُّكْرُ فِي وَفْتِ عَمَلِ السَّمَاعِ "

فَأَجَابَ : الإِجْتِمَاعُ لِذِكْرِ اللَّهِ وَاسْتِئْجَاعُ كِتَابِهِ وَالدُّعَاءُ عَمَلٌ صَالِحٌ ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ وَالْعِبَادَاتِ فِي الْأَوْقَاتِ فَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ فَإِذَا مَرُّوا بِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ " وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ : " وَجَدْنَاهُمْ يُسَبِّحُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ " لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا أَحْيَانًا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَمْكِنَةِ فَلَا يُجْعَلُ سُنَّةً رَاتِبَةً يُحَافِظُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُدَاوِمَةَ عَلَيْهِ فِي الْجَمَاعَاتِ؟ مِنْ الصَّلَوَاتِ الْحُمْسِ فِي الْجَمَاعَاتِ وَمِنْ الْجُمُعَاتِ وَالْأَعْيَادِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَأَمَّا مُحَافِظَةُ الْإِنْسَانِ عَلَى أَوْرَادِهِ لَهُ مِنَ الصَّلَاةِ أَوْ الْقِرَاءَةِ أَوْ الذُّكْرِ أَوْ الدُّعَاءِ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَاءَ مِنْ اللَّيْلِ وَعَيْرِ ذَلِكَ: فَهَذَا سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فَمَا سَنَّ عَمَلُهُ عَلَى وَجْهِ الإِجْتِمَاعِ كَالْمَكْتُوبَاتِ: فُعِلَ كَذَلِكَ وَمَا سَنَّ الْمُدَاوِمَةَ عَلَيْهِ عَلَى وَجْهِ الإِنْفِرَادِ مِنَ الْأَوْرَادِ عَمِلَ كَذَلِكَ كَمَا

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٤/ ١٨٨ برقم ٧٣١٨ ، وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الإِسْنَادُ وَلَمْ يُجَرِّجْهُ ، ووافقه الذهبي) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٥٠ برقم ١٢٥٥١) ، الترمذي (٥/ ٤٨٨ برقم ٣٥١٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ

حَدِيثِ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ) ، البزار في المسند (١٣/ ١١٩ برقم ٦٥٠٠) ، الطبراني في الدعاء (ص ٥٢٨ برقم ١٨٩٠) ، المعجم الكبير (١١/ ٩٥ برقم

١١١٥٨) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٢٦٨) ، البيهقي في شعب الإيثار (٢/ ٦٦ برقم ٥٢٦) ، أبو يعلى

الموصلي في المسند (١/ ٣٩٨) .

كَانَ الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يَجْتَمِعُونَ أحياناً : يَأْمُرُونَ أَحَدَهُمْ يَقْرَأُ وَالْبَاقُونَ يَسْتَمِعُونَ . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : يَا أَبَا مُوسَى ذَكَرْنَا رَبَّنَا فَيَقْرَأُ وَهُمْ يَسْتَمِعُونَ وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ يَقُولُ : اجْلِسُوا بِنَا نُؤْمِنُ سَاعَةً . وَصَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ التَّطَوُّعَ فِي جَمَاعَةٍ مَرَّاتٍ وَخَرَجَ عَلَى الصَّحَابَةِ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ وَفِيهِمْ قَارِئٌ يَقْرَأُ فَجَلَسَ مَعَهُمْ يَسْتَمِعُ .

وَمَا يَحْضُلُ عِنْدَ السَّمَاعِ وَالذِّكْرِ الْمَشْرُوعِ مِنْ وَجَلِ الْقَلْبِ وَدَمَعِ الْعَيْنِ وَافْتِشْرَارِ الْجُسُومِ فَهَذَا أَفْضَلُ الْأَحْوَالِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ . وَأَمَّا الإِضْطْرَابُ الشَّدِيدُ وَالْعَثْيُ وَالْمَوْتُ وَالصَّيْحَاتُ فَهَذَا إِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مَغْلُوبًا عَلَيْهِ لَمْ يَلْمَ عَلَيْهِ كَمَا قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ فَإِنَّ مَنَشَأَهُ قُوَّةَ الْوَارِدِ عَلَى الْقَلْبِ مَعَ ضَعْفِ الْقَلْبِ وَالْقُوَّةَ وَالتَّمَكُّنُ أَفْضَلُ كَمَا هُوَ حَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ وَأَمَّا السُّكُونُ قِسْوَةً وَجَفَاءً فَهَذَا مَذْمُومٌ لَا خَيْرَ فِيهِ . وَأَمَّا مَا ذُكِرَ مِنَ السَّمَاعِ : فَالْمَشْرُوعُ الَّذِي تَصْلُحُ بِهِ الْقُلُوبُ وَيَكُونُ وَسِيلَتَهَا إِلَى رَبِّهَا بِصِلَةٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا : هُوَ سَمَاعُ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ سَمَاعُ خِيَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا سِوَاهُ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ " وَقَالَ : " زَيْنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ " وَهُوَ السَّمَاعُ الْمُدْوَخُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . لَكِنْ لَمَّا نَسِيَ بَعْضُ الْأُمَّةِ حَظًّا مِنْ هَذَا السَّمَاعِ الَّذِي ذُكِّرُوا بِهِ أَلْفَى بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فَأَحْدَثَ قَوْمٌ سَمَاعَ الْقَصَائِدِ وَالتَّصْفِيْقِ وَالْغِنَاءِ مُضَاهَاةً لِمَا ذَمَّهُ اللَّهُ مِنَ الْمِكَاءِ وَالتَّصْدِيَةِ وَالْمُشَاهَبَةِ لِمَا ابْتَدَعَهُ النَّصَارَى وَقَابَلَهُمْ قَوْمٌ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قِسْوَةً : مُضَاهَاةً لِمَا عَابَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ . وَالدِّينُ الْوَسْطُ هُوَ مَا عَلَيْهِ خِيَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ " (١) .

أَمَّا عَنْ اعْتِرَاضِ مُدَّعِي السَّلَفِيَّةِ عَلَى الذِّكْرِ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى الْمَفْرَدِ ... ﴿اللَّهُ﴾ ، فَالذِّكْرُ بِالِاسْمِ الْمَفْرَدِ لَا شَيْءَ فِيهِ ، وَلَا دَلِيلَ عَلَى حَرَمَتِهِ ، بَلْ جَاءَ الدَّلِيلُ عَلَى مَشْرُوعِيَّتِهِ ، وَقَدْ جَاءَ الْاسْمُ الْمَفْرَدُ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ ، مِنْهَا : قَوْلُهُ تَعَالَى ، ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ٤١] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿قُلِ اللَّهُ تَرَدَّدُهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَتَبِيلًا﴾ [المزمل: ٨] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥] ...

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٢٠-٥٢٢) .

وقد ورد الاسم المفرد مكرراً في الحديث الشريف ، من ذلك : عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، فَذَكَرَ بِأَلَا ، فَقَالَ : كَانَ شَحِيحاً عَلَى دِينِهِ ، وَكَانَ يُعَذِّبُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَانَ يُعَذِّبُ عَلَى دِينِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُقَارِبَهُمْ قَالَ : اللَّهُ اللَّهُ ... " (١) .

وقال صَلَّى اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ : اللَّهُ اللَّهُ " (٢) .  
والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ...

وقد نصَّ العلماءُ في مؤلفاتهم على مشروعية الذكر بالاسم المفرد مكرراً ، قال الإمام عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (١٣٦٠هـ) : " فقد اتَّفَقَ الشَّافِعِيُّ ، والحنابلة على أن من عجز عن قراءة الفاتحة في الصَّلَاةِ ، فإن كان يقدر على أن يأتي بآيات من القرآن بقدر الفاتحة في عدد الحروف والآيات ، فإنه يجب عليه أن يأتي بذلك . فإن كان يحفظ آية واحدة أو أكثر فإنه يفترض عليه أن يكرّر ما يحفظه بقدر آيات الفاتحة ، بحيث يتعلّم القدر المطلوب منه تكراره . فإن عجز عن الإتيان بشيء من القرآن بالمرّة ، فإنه يجب عليه أن يأتي بذكر الله كأن يقول : الله الله ... مثلاً ، بمقدار الفاتحة " (٣) .

فإذا كان الذكر بالاسم المفرد جائزاً في الصَّلَاةِ عوضاً عن الفاتحة لمن لا يحسنها ، فما بالكم به خارجها !!!؟

(١) أخرجه معمر بن أبي عمرو وراشد الأزدي مولاها ، أبو عروة البصري ، في الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) ، (١١/ ٢٣٤ برقم ٢٠٤١٢) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٩/ ١٠٠ برقم ١٢٠٤٣) ، قال الأرنؤوط في تخريجه : " إسناده صحيح على شرط الشيخين . وأخرجه الترمذي (٢٢٠٧) عن محمد بن بشار ، عن ابن أبي عدي ، بهذا الإسناد . وقال : حديث حسن . وأخرجه ابن منده في " الإبان " (٤٤٩) من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري ، والحاكم ٤/ ٤٩٤ من طريق عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، كلاهما عن حميد ، به . ولفظ الحاكم : حتى لا يقال في الأرض : " لا إله إلا الله " ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأخرجه الترمذي بائر الحديث (٢٢٠٧) عن محمد بن المثنى ، عن خالد بن الحارث ، عن حميد ، عن أنس موقوفاً . ورجحه على المرفوع ! وأخرج الحاكم ٤/ ٤٩٥ ، والخطيب ٣/ ٨٢ من طريقين عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " والذي نفسي بيده ، لا تقوم الساعة على رجل يقول : لا إله إلا الله ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ... " . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ... ، فتعقبه الذهبي بقوله : سنان لم يرو له مسلم . قلنا : وحديثه حسن في الشواهد . وسيأتي الحديث من طريق حميد الطويل برقم (١٣٠٨٢) ، ومن طريق ثابت البناني برقم (١٢٦٦٠) ، كلاهما عن أنس . وفي الباب عن ابن مسعود عند الحاكم ٤/ ٤٩٤ ، وصححه على شرط الشيخين . وعن أبي هريرة عند ابن عدي في " الكامل " ٦/ ٢٠٩٢ ، والخطيب في تاريخه ٨/ ٢٦٢ .

(٣) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٢٠٨) .

وقال الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٥٠٥هـ): "... وعند ذلك يلقنه ذكراً من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه ، فيجلس ويقول مثلاً : الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات ، فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان ، وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ، ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان ، وتبقى صورة اللفظ في القلب ، ثم لا يزال كذلك حتى يمحي عن القلب حروف اللفظ وصورته ، وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبية عليه ، قد فرغ عن كل ما سواه ، لأن القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان ، فإذا اشتغل بذكر الله تعالى ، وهو المقصود ، خلا لا محالة عن غيره ... " (١) .

وقد يعترض البعض على الذكر باسم الله المفرد لأسباب ، من أشهرها : الترك ، بمعنى أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعلها ... وقد ردَّ على هذه الشبهة الإمام عبد الله الغماري في رسالته الطيبة : " حسن التفهيم والدرك في مسألة الترك " . فلتراجع ، مع العلم أنني توسعت فيها أثناء الردِّ على تكفير الوهابية للصوفية ، في كتابي : " تكفير الوهابية لعُمووم الأمة المحمّدية " ...

والذكر بالاسم المفرد دأب عليه العارفون ، ولم يتركوه حتى خرجوا من الدنيا ، قال الإمام محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري ، أبو عبد الرحمن السلمي (٤١٢هـ) : " وحكي أن أبا الحسين الثوري بقي في منزله سبعة أيام لم يأكل ولم ينام ولم يشرب ، ويقول في وله ودهشه : الله الله ، وهو قائم يدور فأخبر الجنيد بذلك فقال : انظروا أمحفوظ عليه أوقاته أم لا ؟ فقيل : أنه يصلي الفرائض ، فقال : الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان عليه سبيلاً ثم قال : قوموا حتى نزوره أمّا نستفيد منه أو نفيده فدخل عليه ، وهو في وله قال : يا أبا الحسين ما الذي دهاك ؟ قال : أقول : الله الله زيدوا عليّ ... " (٢) .

والحكاية رواها الإمام البيهقي (٤٥٨هـ) ، قال : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ يُوسُفَ ، سَمِعْتُ أَبَا عَبَّاسَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ عَمَرَ الْمُسْعُودِيَّ ، بِدَيْنُورَ ، يَقُولُ : حُكِيَ لَنَا عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ الثَّورِيِّ ، أَنَّهُ بَقِيَ فِي مَسْجِدٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهَا ، لَا يَأْكُلُ ، وَلَا يَشْرَبُ ، وَلَا يَنَامُ ، يَجِيءُ مِنْ أَوَّلِ الْمَسْجِدِ إِلَى آخِرِهِ ، فَأُبْلَغُ ذَلِكَ الْجُنَيْدُ ، وَابْنُ عَطَاءٍ ، وَالشَّيْطَانُ ، فَجَاءُوا فَوَقَفُوا عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا الْجُنَيْدُ ، وَابْنُ عَطَاءٍ وَالشَّيْطَانُ ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فَظَنَرَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُ الْجُنَيْدُ : مَا أَدْرِي دَهَاكَ مَا أَنْتَ فِيهِ ، أَخْبَرْنَا ، فَقَالَ الثَّورِيُّ : أَنَا أَقُولُ : اللهُ ، تَزِيدُوا عَلَيَّ قَوْلِ اللهِ ؟ ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ : إِنْ كُنْتَ

(١) انظر : إحياء علوم الدين (٣/٧٧) .

(٢) انظر : تفسير السلمي (هو حقائق التفسير) (١/٢٩-٣٠) .

تَقُولُ : اللهُ بِاللَّهِ ، فَالْمِنَّةُ لِلَّهِ فِيمَا تَقُولُ ، وَإِنْ كُنْتَ تَقُولُ : اللهُ بِكَ ، فَلَيْسَ لَكَ مِنَ اللهِ شَيْءٌ ، قَالَ : فَسَجَدَ ، فَقَالَ : أَنَا تَائِبٌ ، أَنَا تَائِبٌ ، أَنَا تَائِبٌ ، فَقَالَ الْجُنَيْدُ : إِنَّ سُيُوفَ الشَّيْبِيِّ تَقَطَّرُ دَمًا " (١) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة عبد الأوّل بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق ، مُسند الوقت ، أبو الوقت بن أبي عبد الله السجزي الأصل ، الهروي ، الماليني ، الصوفي (٥٥٣هـ) : " وَكَانَ مُشْتَهَرًا بِالذِّكْرِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الصُّوفِيِّ ، وَأَكْبَ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ " . فَرَفَعَ طَرَفَهُ إِلَيْهِ ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : " يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ " فَدهَشَ إِلَيْهِ هُوَ وَمِنْ حَضَرٍ مِنَ الْأَصْحَابِ ، وَلَمْ يَزَلْ يَقْرَأُ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ ، وَقَالَ : اللهُ اللهُ اللهُ ، ثُمَّ تَوَفَّى وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى السَّجْدَةِ " (٢) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة محمد بن يحيى بن علي بن مسلم بن موسى بن عمران ، القُرشي ، اليميني ، الرّبيدي ، الواعظ ، أبو عبد الله (٥٥٥هـ) : " وقال ابن عساكر : قال ولده إسما عيل : كان أبي في كل يومٍ وليلة من أيام مرضه يقول : اللهُ اللهُ ؛ قريباً من خمسة عشر ألف مرّة ، وما زال يقول اللهُ اللهُ اللهُ حتى طفئ " (٣) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء أبي القاسم علي ابن المسلمة ، أبو الفرج (٥٧٣هـ) : " وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَاجًا فِي رَابِعِ ذِي الْقَعْدَةِ ، فَضْرَبَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ أَرْبَعَ ضَرْبَاتٍ عَلَى بَابِ قَطْفَتَا ، فَحُمِلَ إِلَى دَارِ هُنَاكَ ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : اللهُ ، اللهُ . وَقَالَ : ادفنوني عند أبي . ثُمَّ مَاتَ بَعْدَ الظُّهْرِ ، رَجَمَهُ اللهُ تَعَالَى " (٤) .

وقال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور ، الشّيخ العِماد المقدسي الحنيلي الزاهد القدوة أبو إسحاق (٦١٤هـ) : " قَالَ الضَّيَاءُ : ... وَكَانَ يُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَدْعِيَةِ شَيْءٌ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ غَيْرِهِ قَطُّ ، وَجَرَى بَيْنَنَا ذِكْرُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ ، فَقَالَ : مَا

(١) انظر : شعب الإيمان (٩/٣٩٦ برقم ٦٨٦٣) .

(٢) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفِيَاتِ الْمُشَاهِرِ وَالْأَعْلَامِ (١٢/٦٣) .

(٣) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفِيَاتِ الْمُشَاهِرِ وَالْأَعْلَامِ (١٢/١٠٢) .

(٤) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفِيَاتِ الْمُشَاهِرِ وَالْأَعْلَامِ (١٢/٥٢٩) .

رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا الدُّعَاءِ ، أَوْ قَالَ : أَسْرَعُ إِجَابَةٍ : " يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ أَنْتَ اللَّهُ ، بَلَى ، وَاللَّهِ أَنْتَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ أَنْتَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " (١) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوقي ، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) : " وأما ما قال بعض الكبار من أن الذكر بلا إله إلا الله أفضل من الذكر بكلمة الله الله وهو من حيث أنها جامعة بين النفي والإثبات ، ومحتوية على زيادة العلم والمعرفة ، فبالنسبة إلى حال المبتدي ، فكلمة التوحيد تظهر مرعاة النفس بنارها ، فتوصل السالك إلى دائرة القلب ، وكلمة الله تنور القلب بنورها ، فتوصل إلى دائرة الروح ، وكلمة هو تجي الروح ، فتوصل من شاء الله إلى دائرة السر " (٢) .

وقال أيضاً : " قال الشيخ الكبير صدر الدين القنوي قدس سره : أكده بالتكرار ، ولا شك أن لا يذكر الله ذكراً حقيقياً وخصوصاً بهذا الاسم الأعظم الجامع المنعوت بجميع الأسماء إلا الذي يعرف الحق بالمعرفة التامة ، وأتم الخلق معرفة بالله في كل عصر خليفة الله ، وهو كامل ذلك العصر " (٣) .

وقال العارف بالله ابن عجيبة (١٢٢٤هـ) : " فالاسم المفرد ﴿الله﴾ هو سلطان الأسماء ، وهو اسم الله الأعظم ، ولا يزال المرید يذكره بلسانه ويهتز به حتى يمتزج بلحمه ودمه ، وتسري أنواره في كليّاته وجزئياته... إلى أن قال : فينتقل الذكر إلى القلب ثم إلى الروح ثم إلى السر ، فحينئذ يخرس اللسان ويصل إلى الشهود والعيان " (٤) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدميّاطي (المتوفى: بعد ١٣٠٢هـ) : " وقال سيدي عبد القادر الجيلاني (٥٦١هـ) : الله هو الاسم الأعظم ، وإنا يُستجاب لك إذا قلت الله وليس في قلبك غيره " (٥) . وعلى كل حال فقد استوعبت كل الشبهات التي جاءت في كلام مُدَّعي السلفية المتضمن تكفير أسيادنا ومشايخنا الصوفية في كتابي : " تَكْفِيرُ الْوَهَابِيَّةِ لِعُمُومِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ " ...

## وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١) انظر : انظر : تاريخ الإسلام وَوَفِيَّاتِ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ (١٣/٣٩٥) .

(٢) انظر : روح البيان (٩/٤٥٦) .

(٣) انظر : روح البيان (٣/٢٨٦) .

(٤) انظر : معراج الشوف إلى حقائق علم التصوف (ص ٢٤) .

(٥) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) (١/١٦) .

## فَهْرَسُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

- (١) الإبانة عن أصول الديانة، الأشعري، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م.
- (٢) أبجد العلوم، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
- (٣) إبطال التأويلات لأخبار الصفات، القاضي أبو يعلى، تحقيق: محمد بن حمد الحمد النجدي، دار إيلاف الدولية، الكويت.
- (٤) أبتكار الأفكار في أصول الدين، الأمدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- (٥) الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى الشبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهَّاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
- (٦) إتحاف الأذكياء بجواز التوسُّل بالأنبياء والأولياء، عبد الله بن الصديق الغفاري، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- (٧) إتحاف الأنام وإسعاف الأفهام في وقف حزة وهشام، محمد بن أحمد بن عبد الله متولي، مخطوط بمكتبة الملك عبد الله بن عبدالعزيز الجامعية (٣٥٥).
- (٨) إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عبد الصمد بن عبد الوهَّاب بن أبي الحسن محمد بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين أمين الدين أبو اليمن بن عساكر الدمشقي نزير مكة، تحقيق: حسين محمد علي شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة: الأولى.
- (٣٠٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٣١٠) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
- (٣١١) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، بلا.
- (٣١٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الزرقاني، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- (٣١٣) شرح السنة، البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- (٣١٤) شرح الشفا، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
- (٣١٥) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، السيوطي، تحقيق: عبد المجيد طعمة حلي، دار المعرفة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- (٣١٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- (٣١٧) شرح العقيدة الطحاوية، عبد الغني الغنيمي الحنفي،

- (٩) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشَّهْر بمرتضى ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ١٩٩٤ م .
- (١٠) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ، عبد السَّلام بن عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن الطالب بن محمد - فتحا- ابن سودة ، تحقيق : محمد حججي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧ م .
- (١١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي ، شهاب الدين الشَّهْر بالبناء ، تحقيق : أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ٢٠٠٦ م ، ١٤٢٧هـ .
- (١٢) الإتيان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة : ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤ م .
- (١٣) إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين ، البيهقي ، تحقيق : د. شرف محمود القضاة ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٥هـ .
- (١٤) أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد ، علي بن عبد السَّلام بن علي ، أبو الحسن التَّسُولي المالكي ، تحقيق : عبد اللطيف أحمد الشَّيخ محمد صالح ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٦ م .
- (١٥) الأحاديث المختارة ، الضياء المقدسي ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، الطبعة : الثالثة ، ٢٠٠٠ م .
- تحقيق : محمد مطيع الحافظ ، ومحمد رياض المالح ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٩٢ م .
- (٣١٨) شرح العقيدة الواسطية ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : السادسة ، ١٤٢١هـ .
- (٣١٩) شرح الفصول المهمة في موارث الأئمة ، محمد بن محمد بن أحمد الغزال الدمشقي ، بدر الدين ، الشَّهْر بسبط المارديني ، تحقيق : أحمد بن سليمان بن يوسف العريني ، دار العاصمة ، الطبعة : ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤ م .
- (٣٢٠) الشرح الكبير على متن المنقح ، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجعاعلي الحنبلي ، أبو الفرج ، شمس الدين ، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع .
- (٣٢١) شرح المقاصد في علم الكلام ، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ، دار المعارف النعمانية ، باكستان ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١ م ، وطبعة عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .
- (٣٢٢) شرح المقدمة الحضرمية المسمى بشرى الكريم بشرح مسائل التَّعليم ، سعيد بن محمد باعلي باعشن الدَّوْعِي الرباطي الحضرمي الشَّافعي ، دار المنهاج للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤ م .
- (٣٢٣) شرح رياض الصَّالحين ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة : ١٤٢٦هـ .
- (٣٢٤) شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى

- (١٦) الإحاطة في أخبار غرناطة ، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماي اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشهر بلسان الدين ابن الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤ هـ .
- (١٧) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، محمد ابن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد ، التميمي ، أبو حاتم ، الدارمي ، البُستي ، ترتيب : الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .
- (١٨) الأحكام القرآن ، القرطبي ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة : ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م .
- (١٩) الإحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- (٢٠) إحياء المقبور من إدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور ، أحمد بن الصديق الغماري ، دار لوران ، الإسكندرية .
- (٢١) إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت .
- (٢٢) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، الفاكهي ، تحقيق : د. عبد الملك عبد الله دهيش ، دار خضر ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤ هـ .
- (٢٣) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، الأزرق ، تحقيق : رشدي الصالح ملحس ، دار الأندلس للنشر ، بيروت .
- (٢٤) الاختيار لتعليل المختار ، عبد الله بن محمود بن مودود الموصل البلدحي ، مجد الدين أبو الفضل الحنفي ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٦ هـ ، ١٩٣٧ م .
- البرنسي الفاسي ، المعروف بزروق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م .
- (٣٢٥) شرح مختصر خليل للخرشي ، محمد بن عبد الله الخرشبي المالكي أبو عبد الله ، دار الفكر للطباعة ، بيروت .
- (٣٢٦) شرح مشكل الآثار ، الطحاوي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥ هـ .
- (٣٢٧) شرف المصطفى ، الخركوشي ، دار البشائر الإسلامية ، مكة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤ هـ .
- (٣٢٨) الشريعة ، الآجري ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م .
- (٣٢٩) شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُشْرُو جردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي ، تحقيق : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م .
- (٣٣٠) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى ، دار الفيحاء ، عمان ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٧ هـ . ، وطبعة مكتبة الفارابي ، دمشق ، ( شفاء السقام ، السبكي ، دار المصطفى ، هولندا ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م ، وطبعة مكتبة دار جوامع الكلم ، القاهرة .
- (٣٣١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، محمد بن أحمد بن علي ، تقي الدين ، أبو الطيب المكي الحسن الفاسي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م .
- (٣٣٢) شفاء الغليل في حل مقفل خليل ، أبو عبد الله محمد بن

أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي ، تحقيق  
: الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب ، مركز نجيبويه  
للمخطوطات وخدمة التراث ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ،  
١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .

(٣٣٣) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، طاشكبري  
زادة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

(٣٣٤) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ، يوسف بن  
إبراهيم النهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٣ ، ٢٠٠٣م ،  
ط ٢ ، ٢٠٠٢م .

(٣٣٥) الصارم المنكي في الرد على السبكي ، ابن عبد الهادي ، دار  
الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م .

(٣٣٦) صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصالحين من أولياء  
الله (مطبوع ضمن مجموع رسائل ابن عبد الهادي) ، يوسف بن  
حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالح ، جمال الدين ،  
ابن الميزد الحنبلي ، دار النوادر ، سوريا ، الطبعة : الأولى ،  
١٤٣٢هـ ، ٢٠١١م .

(٣٣٧) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، أحمد بن علي بن أحمد  
الفزازي القلقشندي ثم القاهري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .  
(٣٣٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري ، تحقيق :  
أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة :  
الرابعة ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

(٣٣٩) صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة  
الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، وطبعة  
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م

(٢٥) الإخائية (أو الرد على الإخائي) ، تقي الدين أبو العباس  
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن  
محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق : أحمد بن مونس  
العنزدار ، دار الخراز ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م  
(٢٦) الآداب الشرعية ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مفلح بن  
محمد المقدسي ، ثم الصالح الراميني ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ،  
عمر القيام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٩هـ ،  
١٩٩٩م .، طبعة أخرى عالم الكتب .

(٢٧) أدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي  
المروري الدينوري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة  
التجارية ، مصر ، الطبعة : الرابعة ، ١٩٦٣م .

(٢٨) الأدب المفرد ، البخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار  
البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ،  
طبعة أخرى مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ،  
٢٠٠٣م .

(٢٩) الأذكار ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ،  
تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،  
بيروت ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م ، وطبعة الجفان والجابي ، دار ابن حزم  
للطباعة والنشر ، الطبعة : الأولى ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .،  
وطبعة دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٠هـ ،  
١٩٩٠م .

(٣٠) أربعون حديثا لعلي بن الفضل المقدسي ، سرف الدين ، عي  
بن الفضل بن عي بن مرق بن حاتم بن حسن بن جعفر المقدسي ،  
مخطوط .

(٣١) الأربعين في أصول الدين ، الرازي مكتبة الكليات الأزهرية ،

القاهرة .

(٣٤٠) صحيح البخاري ، ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر

، دار طوق النجاة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ .

(٣٢) الإرشاد ، الجويني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ ، ٢٠٠٢م

(٣٤١) صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء

التراث العربي ، بيروت .

(٣٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، القسطلاني ، المطبعة

الكبرى الأميرية ، مصر ، الطبعة : السابعة ، ١٣٢٣هـ .

(٣٤٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، النووي ، دار مناهل

العرفان ، بيروت .

(٣٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، محمد بن

علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار المعرفة ، بيروت ،

(٣٤٣) صفة الصفوة ، ابن الجوزي ، تحقيق : أحمد بن علي ، دار

الحديث ، القاهرة ، الطبعة : ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

١٩٧٩م ، وطبعة دار الكتاب العربي ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ،

١٩٩٩م .

(٣٤٤) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، أبو القاسم خلف بن عبد

الملك بن بشكوال ، مكتبة الخانجي ، الطبعة : الثانية ، ١٣٧٤هـ ،

١٩٥٥م .

(٣٥) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، أبو يعلى الخليلي ، خليل بن

عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني ، تحقيق : د. محمد

سعيد عمر إدريس ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ،

١٤٠٩هـ .

(٣٤٥) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ،

أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ،

شهاب الدين شيخ الإسلام ، أبو العباس ، تحقيق : عبد الرحمن

بن عبد الله التركي ، كامل محمد الخراط ، مؤسسة الرسالة ،

بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

(٣٦) إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي ، عبد الله بن

الصدّيق الغماري ، تحقيق : الأستاذ حسن السقّاف ، دار الإمام

النووي ، عمّان .

(٣٧) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، الألباني ،

المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م

(٣٤٦) صيد الخاطر ، ابن الجوزي ، المكتبة العلمية ، بيروت ،

وطبعة دار القلم ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م

(٣٤٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدين أبو

الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد

السّخاوي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

(٣٨) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، شهاب الدين أحمد

بن محمد بن أحمد بن يحيى ، أبو العباس المقرئ التلمساني ، تحقيق :

مصطفى السقا ، ورفاقه ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،

القاهرة ، ١٣٥٨هـ ، ١٩٣٩م .

(٣٤٨) طبقات الأولياء ، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر

بن علي بن أحمد الشافعي المصري ، تحقيق : نور الدين شريه ،

(٣٩) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيها

تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز

- والاختصار ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري  
القرطبي ، تحقيق : عبد المعطي امين قلعجي ، دار قتيبة ، دمشق ، دار  
الوعي ، حلب ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .
- (٤٠) الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، شهاب الدّين أبو  
العبّاس أحمد بن خالد بن محمّد الناصري الدرعي الجعفري  
السلاري ، تحقيق : جعفر الناصري ، محمّد الناصري ، دار الكتاب ،  
الدار البيضاء .
- (٤١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر ، تحقيق : علي  
محمّد البجاوي ، دار الجليل ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٢م .
- (٤٢) أسد الغابة في معرفة الصّحابة ، ابن الأثير ، تحقيق : علي محمّد  
معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،  
الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م ، وطبعة دار الفكر ، بيروت ،  
١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .
- (٤٣) الإسعاف في أحكام الأوقاف ، إبراهيم بن موسى بن أبي بكر  
ابن الشّخّ علي الطرابلسي ، الحنفي ، طبع بمطبعة هندية بشارع  
المهدي بالأزبكية بمصر المحمية ، الطبعة : الثانية ، ١٣٢٠هـ ،  
١٩٠٢م .
- (٤٤) الأسماء والصفات ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى  
الحشّروجردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي ، تحقيق : عبد الله بن  
محمّد الحاشدي ، مكتبة السواوي ، جدة ، الطبعة : الأولى ،  
١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .
- (٤٥) الإشارات الإلهية في المباحث الأصولية ، سليمان بن عبد  
القوي بن الكريم الطوفي الصرصري ، أبو الربيع ، نجم الدّين  
الطوفي ، بلا .
- مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .  
(٣٤٩) طبقات الحنابلة ، أبو الحسين ابن أبي يعلى ، محمّد بن  
محمد ، تحقيق : محمّد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت .  
(٣٥٠) الطبقات السنّية في تراجم الحنّفية ، تقي الدّين بن عبد  
القادر التميمي الداري الغزي ، بلا .  
(٣٥١) طبقات الشافعية ، أبو بكر بن أحمد بن محمّد بن عمر بن  
قاضي شهبه ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، الطبعة : الأولى .  
(٣٥٢) طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدّين عبد الوهّاب بن  
تقي الدّين السّبكي ، تحقيق : د. محمود محمّد الطناحي ، د. عبد  
الفتاح محمّد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٢ ،  
١٤١٣هـ .  
(٣٥٣) طبقات الشافعيين ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير  
القرشي البصري ثمّ الدّمشقي ، تحقيق : د أحمد عمر هاشم ، د  
محمّد زينهم محمّد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤١٣هـ ،  
١٩٩٣م .  
(٣٥٤) طبقات الفقهاء الشافعية ، عثمان بن عبد الرّحمن ، أبو  
عمرو ، تقي الدّين المعروف بابن الصّلاح ، تحقيق : محيي الدّين  
علي نجيب ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ،  
١٩٩٢م .  
(٣٥٥) الطبقات الكبرى ، أبو عبد الله محمّد بن سعد بن منيع  
الهاشمي بالولاء ، البصري ، البغدادي المعروف بابن سعد ، تحقيق  
: محمّد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة :  
الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م ، وطبعة مكتبة الخانجي ، القاهرة ،  
الطبعة : الأولى ، ٢٠٠١م .

- (٤٦) الإشارات إلى معرفة الزيارات ، علي بن أبي بكر بن علي الهروي ، أبو الحسن ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ .
- (٤٧) الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ .
- (٤٨) أصول الدِّين ، البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨١م .
- (٤٩) إغاثة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرّة العين بمهمات الدين) ، أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .
- (٥٠) اعتقاد الإمام أحمد ، أبو الفضل ، عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث ، التميمي البغدادي الحنبلي ، بلا .
- (٥١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ، البيهقي ، تحقيق : أحمد عصام الكاتب ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠١هـ .
- (٥٢) إعصار التوحيد محطّم وثن الصّوفيّة ، عبد العزيز بن باز واللجنة الدائمة للإفتاء ، جمع وترتيب : نبيل محمود ، دار القاسم ، ١٤١٨هـ .
- (٥٣) الأعلام ، الزركلي ، دار العلم للملايين ، الطبعة : الخامسة عشر ، ٢٠٠٢م .
- (٥٤) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ، عمر بن علي بن موسى بن خليل البغداديّ الأزجّيّ البزّار ، المحقق : زهير الشاويش ،
- (٣٥٦) طبقات صلحاء اليمن ، المعروف بتاريخ البرهبي ، عبد الوهّاب بن عبد الرحمن البرهبي السكسكي اليمني ، تحقيق : عبد الله محمد الحبيشي ، مكتبة الارشاد ، صنعاء .
- (٣٥٧) طرح الثريب في شرح التقريب ، أبو الفضل زين الدِّين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي ، الطبعة المصرية القديمة ، بلا .
- (٣٥٨) ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، دار النهضة المصرية ، ط ٣ ، ١٩٦٦م .
- (٣٥٩) العاقبة في ذكر الموت ، عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي ، الأندلسي الأشبيلي ، المعروف بابن الخراط ، تحقيق : خضر محمد خضر ، مكتبة دار الأفضى ، الكويت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .
- (٣٦٠) العبر في خبر من غبر ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قانيزابن الذهبي ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسبوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- (٣٦١) العجائب في بيان الأسباب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبد الحكيم محمد الأنيّس ، دار ابن الجوزي .
- (٣٦٢) عجالة الإملاء المتسررة من التذنيب على ما وقّع للحافظ المنذري من الوهم وغيره في كتابه الترغيب والترهيب ، إبراهيم بن محمد بن محمود بن بدر ، برهان الدين ، أبو إسحاق الحلبي القبيباتي الشافعي الناجي ، تحقيق : الدكتور إبراهيم بن حماد الريس ، الدكتور محمد بن عبد الله بن علي القنّاص ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ،

المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠هـ.

١٩٩٩م.

(٥٥) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، ابن الملتن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

(٥٦) الإعلان بالتبويخ لمن ذم التَّاريخ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السَّخاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣م.

(٥٧) أعيان العصر وأعوان النصر، الصفدي، تحقيق: الدكتور علي أبو زيد، ورفاقه، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

(٥٨) إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى: بإتمام الكلام، عبدالله بن محمد الغازي المكي الحنفي، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، بلا.

(٥٩) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية الحراني، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، وطبعة مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٦٩هـ.

(٦٠) الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجواوي المقدسي، ثم الصالح، شرف الدين، أبو النجا، تحقيق: عبد اللطيف محمد موسى السُّبكي، دار المعرفة، بيروت.

(٦١) أقوال الحفاظ المثورة لبيان وضع حديث: " رأيت ربي في أحسن صورة، الأستاذ حسن السقاف، بذيل كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي، دار الإمام النووي، عمان، ط١، ١٩٩٢م.

(٣٦٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السُّبكي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

(٣٦٤) العقد التليد في اختصار الدر النضيد (المعيد في أدب المفيد والمستفيد)، عبد الباسط بن موسى بن محمد بن إسماعيل العلومي ثم الموقت الدمشقي الشافعي، تحقيق: الدكتور مروان العطية، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

(٣٦٥) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، بلا.

(٣٦٦) عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، أبو محمد جلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السعدي المالكي، تحقيق: أ.د. حميد بن محمد لحم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

(٣٦٧) العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، دار المعرفة (٣٦٨) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية،

شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي، بيروت (٣٦٩) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزبيدي، أبو الحسن موفق الدين، تحقيق: محمد بن علي الأكوخ الحوالي، نشر: مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

(٣٧٠) عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، بلا.

(٣٧١) عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، حمود التويجري، دار اللواء، الرياض، ط ٢، ١٩٨٩م.

(٣٧٢) العلل ومعرفة الرجال، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ.

(٣٧٣) علي القاري في شرح الفقه الأكبر، علي القاري، دار النفائس، ط ١، ١٩٩٧م.

(٣٧٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣٧٥) عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد، أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بديح، الدنيوري، المعروف بـ "ابن السني"، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ومؤسسة علوم القرآن، جدة، بيروت.

(٣٧٦) عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل

(٦٢) إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماکولا)، ابن نقطة الحنبلي البغدادي، تحقيق: د. عبد القيوم عبد ريب النبي، نشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

(٦٣) إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجوري المصري الحكري الحنفي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد، أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

(٦٤) الأمالي، ابن بشران، دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

(٦٥) أمالي أبي الفتح المقدسي (المجلس الحادي والعشرون بعد المائة)، نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم ابن داود النابلسي المقدسي، أبو الفتح الشافعي، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤هـ.

(٦٦) إمتاع الأسعاع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

(٦٧) إنارة الدجى في مغازي خير الورى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حسن بن محمد المشاط المالكي، دار المنهاج، جدة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ.

(٦٨) إنباء الغمر بأبناء العمر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

- (٦٩) الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن العليمي الحنبلي ، أبو اليمن ، مجير الدِّين ، تحقيق : عدنان نباتة ، مكتبة دنديس ، عمان .
- (٧٠) الإنصاف ، الباقلائي ، بلا .
- (٧١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، علاء الدِّين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الصالحي الحنبلي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة : الثانية .
- (٧٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي ، تحقيق : مُحَمَّد عبد الرَّحْمَن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ .
- (٧٣) أهوال القبور ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق : عاطف صابر شاهين ، دار الغد الجديد ، المنصورة ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .
- (٧٤) الإيذان ، ابن منده ، تحقيق : د. علي بن مُحَمَّد بن ناصر الفقيهي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٦هـ .
- (٧٥) الباعث على إنكار البدع والحوادث ، أبو شامة ، تحقيق : عثمان أحمد عنبر ، دار الهدى ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .
- (٧٦) بحر الدموع ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحْمَن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي ، تحقيق : جمال محمود مصطفى ، دار الفجر للتراث ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .
- (٧٧) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، زين الدِّين بن إبراهيم بن مُحَمَّد ، المعروف بابن نجيم المصري ، وفي آخره : تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري ، وبالْحاشية :
- ومعاشرته مع العباد ، ابن السني ، تحقيق : كوثر البرني ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن ، جدة ، بيروت .
- (٣٧٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ومعه حاشية ابن القيم : تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته ، العظیم آبادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٥هـ .
- (٣٧٨) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدِّين ، أبو العبَّاس ابن أبي أصيبعة ، تحقيق : الدكتور نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
- (٣٧٩) غاية البيان شرح زبد ابن رسلان ، شمس الدِّين مُحَمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرملي ، دار المعرفة ، بيروت .
- (٣٨٠) غاية السؤل في خصائص الرِّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ابن الملتن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري ، تحقيق : عبد الله بحر الدِّين عبد الله ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت .
- (٣٨١) غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن يوسف ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر .
- (٣٨٢) الغرر البهية في شرح البهجة الوردية ، زكريا بن مُحَمَّد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيى السنيكي ، المطبعة الميمنية .
- (٣٨٣) غريب الحديث ، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق ، تحقيق : د. سليمان إبراهيم مُحَمَّد العايد ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ .

- (٣٨٤) الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التلاني  
، أبو عبد الله محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم  
القبلي الجزائري المالكي الشهير بالشيخ باي بلعام ، مطبعة دار  
هومه ، ٢٠٠٤م
- (٣٨٥) الغنية ، عبد القادر الجيلاني ، بلا .
- (٣٨٦) الفتاوى ، محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق : صالح بن عبد  
الرحمن الأطرم ، ومحمد بن عبد الرزاق الدويش ، مطابع الرياض  
، الرياض .
- (٣٨٧) فتاوى ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن ، أبو عمرو ،  
تقي الدين المعروف بابن الصلاح ، تحقيق : د. موفق عبد الله عبد  
القادر ، مكتبة العلوم والحكم ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة :  
الأولى ، ١٤٠٧هـ .
- (٣٨٨) الفتاوى الحديثية ، ابن حجر الهيتمي ، دار إحياء التراث  
العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨م .
- (٣٨٩) فتاوى الرملي ، شهاب الدين الرملي الشافعي ، جمعها:  
ابنه ، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب  
الدين الرملي ، المكتبة الإسلامية .
- (٣٩٠) فتاوى السبكي ، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي  
السبكي ، دار المعارف .
- (٣٩١) الفتاوى الفقهية الكبرى ، أحمد بن محمد بن علي بن حجر  
الهيتمي السعدي الأنصاري ، شهاب الدين شيخ الإسلام ، أبو  
العباس ، جمعها : تلميذ ابن حجر الهيتمي ، الشيخ عبد القادر بن  
أحمد بن علي الفاكهي المكي ، المكتبة الإسلامية .
- (٣٩٢) الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية ، دار الكتب العلمية ، الطبعة
- منحة الخالق لابن عابدين ، دار الكتاب الإسلامي ، الطبعة : الثانية  
(٧٨) البحر الزخار ، ابن المرتضى ، بلا .
- (٧٩) بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي  
الفقيه الحنفي ، تحقيق : د. محمود مطر جي ، دار الفكر ، بيروت .
- (٨٠) البحر المحيط في أصول الفقه ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن  
عبد الله بن بهادر الزركشي ، دار الكتبي ، الأولى ، ١٤١٤هـ ،  
١٩٩٤م .
- (٨١) البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي  
بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، تحقيق : صدقي محمد  
جميل ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : ١٤٢٠هـ .
- (٨٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، ابن عجيبة الحسيني ،  
تحقيق : أحمد عبد الله القرشي رسلان ، نشر : الدكتور حسن عباس  
زكي ، القاهرة ، الطبعة : ١٤١٩هـ .
- (٨٣) بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي) ، الروياني ، أبو  
المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل ، تحقيق : طارق فتحي السيد ، دار  
الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٩م .
- (٨٤) البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن  
التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة :  
الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة :  
الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، وطبعة دار الفكر ، ١٤٠٧هـ ،  
١٩٨٦م .
- (٨٥) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي  
بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار المعرفة ، بيروت .
- (٨٦) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح

- الكبير ، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ، تحقيق : مصطفى أبو الغيط ، وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .
- (٨٧) بدع القبور ، أنواعها ، وأحكامها ، صالح العصيمي ، بلا .
- (٨٨) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية ، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان ، أبو سعيد الخادمي الحنفي ، مطبعة الحلبي ، الطبعة ، ١٣٤٨هـ .
- (٨٩) بشرى الكتيب بلقاء الحبيب ، السيوطي ، تحقيق : عبد الحميد محمد الدرويش ، دار يعرب للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .
- (٩٠) بصائر ذوي التمييز ، الفيروزآبادي ، دار الباز ، مكة المكرمة ، وطبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ( ) القاهرة .
- (٩١) البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي ، علي بن محمد بن العباس ، تحقيق : د. وداد القاضي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
- (٩٢) البعث والنشور ، البيهقي ، تحقيق : الشيخ عامر أحمد حيدر ، نشر : مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .
- (٩٣) بغية الطلب في تاريخ حلب ، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، كمال الدين ابن العديم ، تحقيق : د. سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، وطبعة المكتبة العصرية ، لبنان ، صيدا .
- (٩٤) بغية ذوي الأحلام بأخبار من فرج كربه برؤية المصطفى عليه الصلاة والسلام في المنام " ، مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت
- الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م .
- (٣٩٣) فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش .
- (٣٩٤) الفتاوى الهندية ، لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٣١٠هـ .
- (٣٩٥) فتاوى في العقيدة ، ابن باز ، رسائل إرشادية لرئاسة الحرس الوطني .
- (٣٩٦) فتاوى مهمة لعموم الأمة ، عبد العزيز بن باز ، محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق : إبراهيم الفارس ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .
- (٣٩٧) فتاوى نور على الدرب ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، جمعها : الدكتور محمد بن سعد الشويعر .
- (٣٩٨) فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، دار الفكر ، بيروت ، وطبعة دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .
- (٣٩٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق : محمود بن شعبان بن عبد المقصود ، ورفاقه ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .
- (٤٠٠) فتح البيان في مقاصد القرآن ، محمد صديق خان ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا ، بيروت ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .
- (٤٠١) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، تحقيق
- (٤٠٢) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولائي ، تحقيق : محمد

- رقم: ٣٦/٣ (٣٣٣٥)، (٦٣ مجاميع).
- (٩٥) بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِذَهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ)، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوئي، الشهير بالصاوي المالكي، دار المعارف، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- (٩٦) البلغة إلى أصول اللغة، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، تحقيق: سهاد حمدان أحمد السامرائي (رسالة ماجستير من كلية التربية للبنات، جامعة تكريت بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد خطاب العمر)، رسالة جامعية، جامعة تكريت.
- (٩٧) بُلُوغُ الْمَرَامِ مِنْ أَدِلَّةِ الْأَحْكَامِ، ابن حجر العسقلاني، بلا.
- (٩٨) البهجة في شرح التحفة (شرح تحفة الحكام)، علي بن عبد السلام بن علي، أبو الحسن التُّسُولِي، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- (٩٩) بيان المعاني، عبد القادر بن ملاحويش السيد محمود آل غازي العاني، مطبعة الترقى، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ، ١٩٦٥م.
- (١٠٠) بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان، تحقيق: د. الحسين آيت سعيد، دار طيبة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- (١٠١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
- (٤٠٣) فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، محمد بن أحمد بن محمد عlish، أبو عبد الله المالكي، دار المعرفة. (٤٠٤) فتح القدير، ابن المهام، دار الفكر. (٤٠٥) فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ. (٤٠٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، دار الفكر، بيروت. (٤٠٧) فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب، محمد بن قاسم بن محمد بن، أبو عبد الله، شمس الدين الغزي، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي، الجفان والجابي للطباعة والنشر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.
- (٤٠٨) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٧، ١٩٥٧م، وطبعة مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ.
- (٤٠٩) فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- (٤١٠) فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب (هو شرح للمؤلف على كتابه هو منهج الطلاب الذي اختصره المؤلف من منهاج

- تحقيق : مجموعة من المحققين ، نشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦هـ .
- (١٠٢) بيان زغل العلم والطلب ، الذّهبي ، بلا .
- (١٠٣) البيان في مذهب الإمام الشافعي ، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليميني الشافعي ، تحقيق : قاسم محمد النوري ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .
- (١٠٤) تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية .
- (١٠٥) تاج المرفق في تحلية علماء المشرق ، خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي ، أبو البقاء ، بلا .
- (١٠٦) التاج المكمل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي ، نشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م .
- (١٠٧) تاريخ ابن الوردي ، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس ، أبو حفص ، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .
- (١٠٨) تاريخ إربل ، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي ، المعروف بابن المستوفي ، تحقيق : سامي بن سيد خاس الصقار ، نشر : وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٨٠م .
- (١٠٩) تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان) ، أبو نعيم الأصبهاني ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .
- الطالبين للنووي) ، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدين أبو يحيى السنيكي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة : ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .
- (٤١١) فتوح الشام ، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله ، الواقدي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .
- (٤١٢) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية ، محمد بن علان الصديقي الشافعي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- (٤١٣) الفتوحات المكّية ، ابن عربي الحاتمي ، دار صادر ، بيروت
- (٤١٤) فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب) ، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمل ، دار الفكر .
- (٤١٥) الفردوس بمأثور الخطاب ، شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو ، أبو شجاع الديلمي الهمداني ، تحقيق : السعيد بن بسبوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .
- (٤١٦) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ابن تيمية الحرائي ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .
- (٤١٧) الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي ، عالم الكتب ، وطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة :

- (١١٠) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ،  
دكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة : الخامسة ،  
١٩٧٨ م .
- (١١١) تاريخ الإسلام وَوَفِيَاتِ الْمُشَاهِرِ وَالْأَعْلَامِ ، الذَّهَبِيُّ ، تحقيق  
: الدكتور بشار عَوَّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة :  
الأولى ، ٢٠٠٣ م .
- (١١٢) تاريخ الأمم والملوك ، مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ كَثِيرِ بْنِ  
غَالِبِ الْأَمَلِيِّ ، أَبُو جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،  
الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧ هـ .
- (١١٣) تاريخ البصري ، علي بن يوسف بن علي بن أحمد ، علاء  
الدِّينِ الدَّمَشْقِيِّ الْعَاتِكِيِّ الشَّافِعِيِّ الشَّهْرَبَارِيِّ ، تحقيق : أكرم  
حسن العلي ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة : الأولى ،  
١٤٠٨ هـ .
- (١١٤) تاريخ الخلفاء ، عبد الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، جلال الدِّينِ  
السيوطي ، تحقيق : حمدي الدمرداش ، مكتبة نزار مصطفى الباز ،  
الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م .
- (١١٥) تاريخ الخميس في أحوال أنفُسِ النَّفِيسِ ، حسين بن مُحَمَّدٍ  
بن الحسن الدِّيَّارِ بَكْرِي ، دار صادر ، بيروت .
- (١١٦) تاريخ الطَّبْرِيِّ (تاريخ الرسل والملوك) ، مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ  
يَزِيدَ بْنِ كَثِيرِ بْنِ غَالِبِ الْأَمَلِيِّ ، أَبُو جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ ، دار الكتب  
العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ .
- (١١٧) التَّارِيخُ الْكَبِيرُ ، البخاري ، الطبعة : دائرة المعارف العشائية ،  
حيدر آباد ، الدكن .
- (١١٨) تاريخ بغداد ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن  
١٤١٢ هـ .
- (١١٩) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الأندلسي ،  
مكتبة الخانجي ، القاهرة .
- (١٢٠) الفصول في السيرة ، ابن كثير ، تحقيق : مُحَمَّدُ الْعِيدِ  
الخطراوي ، محيي الدِّينِ مَسْتَوِي ، مؤسسة علوم القرآن ، الطبعة :  
الثالثة ، ١٤٠٣ هـ .
- (١٢١) فقه السيرة ، البوطي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٨ ،  
١٩٨٠ م .
- (١٢٢) الفقه على المذاهب الأربعة ، عبد الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَوْضِ  
الجزيري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الثانية ،  
١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م .
- (١٢٣) فهرس الفهارس والأبواب ومعجم المعاجم والمشيخات  
والمسلسلات ، مُحَمَّدُ عَبْدُ الْحَيِّ بْنِ عَبْدِ الْكَبِيرِ بْنِ مُحَمَّدِ الْحَسَنِيِّ  
الإدرسي ، المعروف بعبد الحي الكتاني ، تحقيق : إحسان عباس ،  
دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٩٨٢ م .
- (١٢٤) فوات الوفيات ، مُحَمَّدُ بْنُ شَاكِرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
بن شاکر بن هارون بن شاکر الملقب بصلاح الدِّينِ ، تحقيق :  
إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٧٤ م .
- (١٢٥) في ظلال القرآن ، سيّد قطب إبراهيم حسين الشاربي ، دار  
الشروق ، بيروت ، الطبعة : السابعة عشر ، ١٤١٢ هـ .
- (١٢٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير ، زين الدِّينِ مُحَمَّدُ

- المدعو بعد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين ، مهدي الخطيب البغدادي ، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م .
- (٤٢٧) فيض الملك الوهَّاب المتعالي بأبناء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي ، الشَّيخ أبي الفيض عبد الستار بن عبد الوهَّاب البكري الصديقي المكي الحنفي ، دراسة وتحقيق ، أ. د. عبد الملك بن عبدالله بن دهيش ، بلا .
- (٤٢٨) فيض الوهَّاب في بيان أهل الحق ومن ضلَّ عن الصواب ، عبد ربه بن سليمان بن محمَّد بن سليمان الشَّهير بالقليوبي ، مكتبة القاهرة ، مصر ، ١٣٧٧هـ .
- (٤٢٩) قاعدة جلييلة في التَّوسُّل والوسيلة ، تقي الدِّين أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن عبد السَّلَام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدَّمشقي ، تحقيق : ربيع بن هادي عمير المدخلي ، مكتبة الفرقان ، عجمان ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١هـ .
- (٤٣٠) قاعدة في المحبة ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : محمَّد رشاد سالم ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .
- (٤٣١) قوارع الأسنة في الردِّ على أعداء السُّنَّة ، عبد العزيز بن يحيى البرعي اليمني ، بلا .
- (٤٣٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، العز بن عبد السَّلَام ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .
- القوانين الفقهية ، أبو القاسم ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله ، ابن جزى الكلبي الغرناطي ، بلا .
- (٤٣٣) قوت المغتذي على جامع الترمذي ، عبد الرَّحْمَن بن أبي
- (١١٩) تاريخ دمشق ، ابن عساكر ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمري ، دار الفكر ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥ م .
- (١٢٠) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، عبد الرَّحْمَن بن حسن الجبرتي ، دار الجيل ، بيروت .
- (١٢١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشَّريف ، محمَّد بن أحمد بن الضياء محمَّد القرشي العمري المكي الحنفي ، بهاء الدِّين أبو البقاء ، المعروف بابن الضياء ، تحقيق : علاء إبراهيم ، أيمن نصر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤ م .
- (١٢٢) تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة الدينوري ، المكتب الاسلامي ، مؤسسة الإشراف ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩ م .
- (١٢٣) التَّبَرُّكُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبآثاره في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، الدكتور علي مقدادي ، نشر : كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ، الإسكندرية ، المجلد السادس ، ٢٠١٠ م .
- (١٢٤) التبصرة لابن الجوزي ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحْمَن بن علي بن محمَّد الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦ م .
- (١٢٥) التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ، تحقيق : علي محمَّد البجاوي ، نشر : عيسى البابي

- الحلبي وشركاه . بكر ، جلال الدّين السيوطي ، إعداد الطالب : ناصر بن محمّد بن حامد الغريبي ، رسالة دكتوراة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، كلية الدعوة وأصول الدّين ، قسم الكتاب والسنة ، ١٤٢٤ هـ .
- (٤٣٤) القَوْلُ البَدِيعُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْحَبِيبِ الشَّفِيعِ ، شمس الدّين أبو الخير محمّد بن عبد الرّحمن بن محمّد السّخاوي ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ط ٣ ، ١٩٧٧ م .
- (٤٣٥) القول المبين في أخطاء المصلين ، مشهور حسن آل سلمان ، دار ابن القيم ، المملكة العربية السعودية ، دار ابن حزم ، لبنان ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ .
- (٤٣٦) الكامل في التّاريخ ، ابن الأثير ، تحقيق : عمر عبد السّلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م .
- (٤٣٧) الكبائر ، الدّهبي ، تحقيق : أبي عبد الرّحمن السلفي ، مكتبة السّنّة ، القاهرة ، ١٩٩٢ م .
- (٤٣٨) كتاب التعريفات ، الشّريف الجرجاني ، تحقيق : ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .
- (٤٣٩) كتاب الحاوي في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، أبي طالب عبد الرّحمن بن عمر البصري العبدلياني ، تحقيق : د . عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، ، بلا .
- (٤٤٠) كتاب الشمعة المضية بنشر قراءات السبعة المرضية ، أبو السعد زين الدّين منصور بن أبي النصر بن محمّد الطّبرلاوي ، سبط ناصر الدّين محمّد بن سالم ، تحقيق : د . علي سيّد أحمد جعفر ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٣ م .
- (١٢٦) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشّليبي ، عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدّين الزيلعي الحنفي ، الحاشية : شهاب الدّين أحمد بن محمّد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشّليبي ، المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٣١٣ هـ .
- (١٢٧) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، ابن عساكر ، تحقيق : محمّد زاهد الكوثري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، نشر : القدسي ، ١٩٧٩ م .
- (١٢٨) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصّحيح ، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي ، زين الدّين الزبيدي ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، سوريا ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م .
- (١٢٩) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، محمّد ناصر الدّين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الرابعة .
- (١٣٠) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، محمّد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤ هـ ، وطبعة دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧ م .
- (١٣١) تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك ، إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطرسوسي ، نجم الدّين الحنفي ، تحقيق : عبد الكريم محمّد مطيع الحمداوي ، الطبعة : الثانية .
- (١٣٢) تحفة الحبيب على شرح الخطيب " حاشية البجيرمي على الخطيب " ، سليمان بن محمّد بن عمر البجيرمي المصري الشّافعي ، دار الفكر ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م .

- (١٣٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيّد المرسلين ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٨٤ م .
- (١٣٤) تحفة الزوار إلى قبر النبي المختار ، ابن حجر الهيتمي ، تحقيق : السيد أبو عمه ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، ط١ ، ١٩٩٢ م .
- (١٣٥) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ، الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م .
- (١٣٦) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي ، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤ هـ .
- (١٣٧) تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعبارات الشرعية ، علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود ، أبو الحسن ابن ذي الوازتين ، الخزاوي ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٩ هـ .
- (١٣٨) التدوين في أخبار قزوين ، عبد الكريم القزويني ، تحقيق : عزيز الله العطارد ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧ م .
- (١٣٩) تذكرة الحفاظ ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قانئاز الدهمي ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م .
- (٤٤١) كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرادوي ، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م .
- (٤٤٢) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، ابن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٩ هـ .
- (٤٤٣) كتاب المنور في راجح المحرر على مذهب الإمام المجل والحبر الفضل أحمد بن محمد بن حنبل ، تقي الدين أحمد بن محمد بن علي الأدمي ، تحقيق : د. وليد عبد الله المنيس ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م .
- (٤٤٤) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، لسان الدين بن الخطيب ، محمد بن عبد الله ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٦٣ م .
- (٤٤٥) كشف القناع عن متن الإقناع ، البهوتي الحنبلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، وطبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ .
- (٤٤٦) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- (٤٤٧) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ، عبد العزيز بن أحمد بن محمد ، علاء الدين البخاري الحنفي ، دار الكتاب الإسلامي .
- (٤٤٨) كشف الخفاء ومزيل الإلباس ، إسماعيل بن محمد بن عبد

- ١٤٠) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق : الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ .
- ١٤١) التذكرة في الوعظ ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتوح ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ .
- ١٤٢) تذكره الحافظ السخاوي في الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية ، محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، تحقيق : الدكتور محمد إسحاق محمد إبراهيم ، دار الراية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ .
- ١٤٣) الترتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلمية ، محمد عبد الحفيظ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحفيظ الكتاني ، تحقيق : عبد الله الخالدي ، دار الأرقم ، بيروت ، الطبعة : الثانية .
- ١٤٤) التسهيل لعلوم التنزيل ، الكلبي ، تحقيق : الدكتور عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٦هـ .
- ١٤٥) تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) ، أحمد بن حجر آل بن علي ، محمد بن سليمان التميمي ، عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي ، نشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ .
- ١٤٦) تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد ، محمد بنخيت المطيع الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي ، أبو الفداء ، المكتبة العصرية ، تحقيق : عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هندواوي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، وطبعة مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥١هـ .
- ٤٤٩) كشف الشبهات ، محمد بن عبد الوهاب ، طبع وزارة الأوقاف ، الرياض ، وطبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ .
- ٤٥٠) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٤١م .
- ٤٥١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .
- ٤٥٢) كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني ، علي بن خلف المنوفي المالكي المصري أبو الحسن المالكي ، تحقيق يوسف الشَّيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢هـ .
- ٤٥٣) كفاية النبيه في شرح التنبيه ، أحمد بن محمد بن علي الأنصاري ، أبو العبَّاس ، نجم الدين ، المعروف بابن الرفعة ، تحقيق : مجدي محمد سرور باسلوم ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٩م .
- ٤٥٤) الكلم الطيب ، تحقيق : الدكتور السيد الجميلي ، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٧٨م .

- الحنفي، ط تركيا، ١٣٩٧هـ .
- (٤٥٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، الكفوي ، تحقيق : عدنان درويش ، محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- (٤٥٦) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالملكي الشهير بالمتقي الهندي ، تحقيق : بكري حيان ، صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الخامسة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .
- (٤٥٧) كنوز الذهب في تاريخ حلب ، أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل ، موفق الدين ، أبو ذر سبط ابن العجمي ، دار القلم ، حلب ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ .
- (٤٥٨) الكنى والأسماء ، الدولابي ، تحقيق : أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .
- (٤٥٩) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، الكرمانى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، طبعة ثانية : ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .
- (٤٦٠) كيف أفهم التوحيد ، محمد أحمد باشميل ، بلا (٤٦١) لامع الدراري شرح البخاري ، الكنكوهي ، المكتبة الإمدادية ، مكة المكرمة .
- (٤٦٢) لحظ الأحاط بذيل طبقات الحفاظ ، محمد بن محمد بن محمد ، أبو الفضل تقي الدين ابن فهد الهاشمي العلوي الأصفوني ثم المكّي الشافعي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .
- (١٤٧) التعرف لمذهب أهل التصوف ، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- (١٤٨) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، أبو السعود العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- (١٤٩) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .
- (١٥٠) تفسير التستري ، التستري ، جمعها : أبو بكر محمد البلدي ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ .
- (١٥١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، الخازن ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .
- (١٥٢) تفسير الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : د. محمد عبد العزيز بسيوني ، نشر : كلية الآداب ، جامعة طنطا ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .
- (١٥٣) تفسير السلمى (هو حقائق التفسير) ، السلمى ، تحقيق : سيّد عمران ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .
- (١٥٤) تفسير الشعراوي (الخواطر) ، محمد متولي الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم .
- (١٥٥) تفسير القرآن ، أبو المظفر ، منصور بن محمد بن عبد الجبار

- (٤٦٣) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٤ هـ .
- (٤٦٤) لطائف الإشارات (تفسير القشيري) ، القشيري ، تحقيق : إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، الطبعة : الثالثة .
- (٤٦٥) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، ابن رجب ، بلا .
- (٤٦٦) لطائف المنن ، الشعراي ، بلا .
- (٤٦٧) لوامع الأنوار البهية ، السفاريني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩١ م ، وطبعة مؤسسة الخافقين ومكتبتها ، دمشق ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م .
- (٤٦٨) مباحث السائرين بحديث اللهم إني أسألك بحق السائلين ، محمود سعيد ممدوح ، ط ١ ، ١٩٩٥ م .
- (٤٦٩) المبدع في شرح المنع ، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح ، أبو إسحاق ، برهان الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م .
- (٤٧٠) المجالسة وجواهر العلم ، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي ، تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، جمعية التربية الإسلامية (البحرين ، أم الحصم) ، دار ابن حزم (بيروت ، لبنان) ، ١٤١٩ هـ .
- (٤٧١) مجلسان لأبي سعد البغدادي ، أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن علي بن أحمد بن سُلَيْمَانَ البَغْدَادِيِّ الأَصْل ، الأصبهاني ، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٤ هـ .
- ابن أحمد المرزوي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م .
- (١٥٦) تفسير القرآن العزيز ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري ، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَيْنِ المالكي ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة ، محمد بن مصطفى الكنز ، الفاروق الحديثة ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .
- (١٥٧) تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم ، ابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٩ هـ .
- (١٥٨) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م .
- (١٥٩) تفسير الماوردي (النكت والعيون) ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الشَّهْرِي الماوردي ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- (١٦٠) التفسير المظهري ، المظهري ، محمد ثناء الله ، تحقيق : غلام نبي التونسي ، مكتبة الرشدية ، باكستان ، الطبعة : ١٤١٢ هـ .
- (١٦١) تفسير النسفي ، النسفي ، تحقيق : مروان محمد الشعار ، دار الفنائس ، بيروت ، ٢٠٠٥ م ، وطبعة دار الكلم الطيب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م .
- (١٦٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة ، القاهرة ، الطبعة :

- الأولى. (٤٧٢) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المدعو بشيخي زاده، يعرف بداماد أفندي، دار إحياء التراث العربي.
- (٤٧٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيتمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- (٤٧٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
- (٤٧٥) المجموع اللغيف، أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأقطبي الطرابلسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.
- (٤٧٦) المجموع المفيد من عقيدة التوحيد، علي بن محمد سنان، مكتبة دار الكتاب الإسلامي، المدينة المنورة.
- (٤٧٧) المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي)، النووي، دار الفكر.
- (٤٧٨) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر
- (٤٧٩) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، دار الثريا، الطبعة: الأخيرة، ١٤١٣هـ.
- (٤٨٠) مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية الحراني، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، محمد الأنور أحمد البلتاجي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- (١٦٣) تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.
- (١٦٤) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحويدي، تحقيق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
- (١٦٥) تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المكي، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.
- (١٦٦) تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام، الكردستاني، (٢/ ٢٧٤)، دار البصائر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
- (١٦٧) تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة، ونبذ مذهبية نافعة، محمد بن علي بن شعيب، أبو شجاع، فخر الدين، ابن الدهان، تحقيق: د. صالح بن ناصر بن صالح الخزيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
- (١٦٨) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي، المحقق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (١٦٩) التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، تحقيق: عبد السلام المهراس، دار الفكر

- (٤٨١) مجموعة وسائل ابن أبي الدنيا كتاب مجابي الدعوة ، ابن أبي  
الدنيا ، تحقيق : المهندس الشيخ زياد حمدان ، مؤسسة الكتب  
الثقافية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .
- (٤٨٢) محاسن التأويل ، القاسمي ، تحقيق : محمد باسل عيون  
السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ،  
١٤١٨هـ .
- (٤٨٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، أبو  
القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، شركة  
دار الأرقام بن أبي الأرقم ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ .
- (٤٨٤) المحاضرات في اللغة والأدب ، الحسن بن مسعود بن  
محمد ، أبو علي ، نور الدين اليوسي ، بلا .
- (٤٨٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية ،  
تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ،  
بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ .
- (٤٨٦) المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده ، تحقيق : عبد الحميد  
هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ،  
١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .
- (٤٨٧) المحلى بالآثار ، ابن حزم الأندلسي ، دار الفكر ، بيروت .
- (٤٨٨) مختصر العلو للعلي العظيم ، شمس الدين أبو عبد الله  
محمد بن أحمد بن عثمان بن قانباذ الدهمبي ، حققه واختصره : محمد  
ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثانية  
، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .
- (٤٨٩) المختصر في أخبار البشر ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل  
بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر صاحب حماة ، المطبعة  
للطباعة ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .
- (١٧٠) التلخيص الحبير في تخریج أحاديث الراعي الكبير ، أبو  
الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، دار  
الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٨٩م .
- (١٧١) تلخيص صفة صلاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ،  
الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة : الخامسة ، ١٤٠٤هـ ،  
١٩٨٤م .
- (١٧٢) تلخيص كتاب الاستغاثة ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية  
الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد علي عجال ، مكتبة الغرباء الأثرية  
، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .
- (١٧٣) تليح المفهوم في تنقيح صيغ العموم ، خليل بن كيكليدي  
العلائي الدمشقي ، (ص ١٢٦) ، بلا .
- (١٧٤) التمهيد لقواعد التوحيد ، أبو الثناء اللامشي ، مطبوع بذيل  
كتاب التمهيد لقواعد التوحيد للنسفي ، دار الكتب العلمية ،  
بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٧م .
- (١٧٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف  
بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق  
: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ، نشر : وزارة  
عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ١٣٨٧هـ .
- (١٧٦) التمييز في تلخيص تخریج أحاديث شرح الوجيز المشهور بـ  
التلخيص الحبير ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن  
حجر العسقلاني ، تحقيق : الدكتور محمد الثاني بن عمر بن موسى ،  
دار أضواء السلف ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م .
- (١٧٧) التنزلات الموصلية في أسرار الطهارات والصلوات والأيام

- الأصلية ، محيي الدّين محمد بن علي بن عربي ، مكتبة عالم الفكر ،  
القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٦ م .
- (١٧٨) تنقيح الفتاوى الحامدية ، ابن عابدين ، بلا .
- (١٧٩) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ، السيوطي ، المكتبة  
التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩ م .
- (١٨٠) تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، دار الكتب  
العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤ م ، وطبعة مطبعة دائرة المعارف  
النظامية ، الهند ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٦ هـ ، وطبعة مؤسسة الرسالة  
، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م ، الطبعة : الثالثة ،  
١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م .
- (١٨١) تهذيب الكمال ، المزي ، تحقيق : الدكتور بشار عواد ،  
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
- (١٨٢) تهذيب اللغة ، الأزهري ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار  
إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠١ م .
- (١٨٣) التّوحيد ، ابن منده ، تحقيق : الدكتور علي بن محمد ناصر  
الفيهي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، دار العلوم والحكم  
، سوريا ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .
- (١٨٤) التّوسّل ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٥ ،  
١٩٨٦ م .
- (١٨٥) التّوسّل إلى حقيقة التّوسّل ، محمد نسيب الرفاعي ، رئاسة  
البحوث العلمية ، السعودية ، ط ٤ .
- (١٨٦) التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب ، خليل  
بن إسحاق بن موسى ، ضياء الدّين الجندي المالكي المصري ، تحقيق  
: د . أحمد بن عبد الكريم نجيب ، مركز نجيبويه للمخطوطات
- الحسينية المصرية ، الطبعة : الأولى .
- (٤٩٠) مختصر في الطب (العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد  
المغرب) ، عبد الملك بن حبيب بن حبيب بن سليمان بن هارون  
السلمي الإلبيري القرطبي ، أبو مروان ، تحقيق : محمد أمين  
الضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ،  
١٩٩٨ م .
- (٤٩١) مدارج السالكين " ، ابن القيم ، دار الكتب العلمية ،  
بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣ م ، وطبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ،  
الطبعة : الثالثة ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
- (٤٩٢) المدخل ، ابن الحاج ، دار التراث ، وطبعة دار الفكر ،  
١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م .
- (٤٩٣) المدهش ، جمال الدّين أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي بن  
محمد الجوزي ، تحقيق : الدكتور مروان قباني ، دار الكتب العلمية  
، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .
- (٤٩٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث  
الزمان ، أبو محمد عفيف الدّين عبد الله بن أسعد بن علي بن  
سليمان اليافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة :  
الأولى ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
- (٤٩٥) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ، محمد بن عمر  
نوي الجاوي ، تحقيق : محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية  
، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧ هـ .
- (٤٩٦) مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح ، حسن بن عمار بن  
علي الشرنبلالي المصري الحنفي ، المكتبة العصرية ، الطبعة : الأولى  
، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م .

- وخدمة التراث ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .
- (١٨٧) التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين محمد المدعو  
بعبد الرؤف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم  
الناوي القاهري ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ  
، ١٩٩٠م .
- (١٨٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن  
ناصر بن عبد الله السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحي ،  
مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .
- (١٨٩) التيسير بشرح الجامع الصغير ، المناوي ، مكتبة الإمام  
الشافعي ، الرياض ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
- (١٩٠) الثبات عند الملمات ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن  
علي بن محمد الجوزي ، تحقيق : عبد الله الليثي الأنصاري ، مؤسسة  
الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ .
- (١٩١) ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي ، أبو جعفر  
أحمد بن علي البلوي الوادي أشي ، تحقق : عبد الله العمراني ، دار  
الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٣هـ .
- (١٩٢) الثقات ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد ،  
التميمي ، أبو حاتم ، الدارمي ، البستي ، وزارة المعارف للحكومة  
العالية الهندية ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ،  
الطبعة : الأولى ، ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م .
- (١٩٣) ثمر الثمام شرح (غاية الإحكام في آداب الفهم والإفهام) ،  
محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السنبأوي  
الأزهري ، المعروف بالأمير ، تحقيق : عبد الله سليمان العتيق ، دار  
المنهاج للنشر والتوزيع ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٩م .
- (٤٩٧) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار ، موفق الدين أبو محمد بن  
عبد الرحمن ، ابن الشيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي  
الشافعي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ،  
١٤١٥هـ .
- (٤٩٨) المرشد المعين على الضروري من علوم الدين ، أبو محمد  
عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري ، المعروف بابن  
عاشر ، بلا .
- (٤٩٩) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن سلطان  
محمد ، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ، دار الفكر ،  
بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .
- (٥٠٠) مزيد النعمة لجمع أقوال الأئمة ، حسين بن محمد المحلي  
الشافعي المصري ، تحقيق : عبد الكريم بن صنيان العمري ، بلا .
- (٥٠١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، أحمد بن يحيى بن  
فضل الله القرشي العدوي العمري ، شهاب الدين ، نشر : المجمع  
الثقافي ، أبوظبي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ .
- (٥٠٢) مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله ، أبو عبد الله أحمد  
بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق : زهير  
الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ،  
١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- (٥٠٣) المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين ، القاضي  
أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف المعروف بـ ابن  
الفراء ، تحقيق : د. عبد الكريم بن محمد الاحم ، مكتبة المعارف ،  
الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .
- (٥٠٤) المستخرج ، أبو عوانة ، تحقيق : أيمن بن عارف الدمشقي

- (١٩٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق :  
أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ،  
٢٠٠٠م، وطبعات أخرى .
- (١٩٥) جامع الرسائل، ابن تيمية الحراني، تحقيق : د. محمد رشاد  
سالم، دار العطاء، الرياض، الطبعة : الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م .
- (١٩٦) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد  
بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين  
القرطبي، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب  
المصرية، القاهرة، الطبعة : الثانية، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م، دار عالم  
الكتب، الرياض، الطبعة : ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م .
- (١٩٧) جزء فيه ما انتقى أبو بكر أحمد بن موسى ابن مردويه على أبي  
القاسم الطبراني من حديثه لأهل البصرة، أبو القاسم الطبراني،  
تحقيق : بدر بن عبد الله البدر، أضواء السلف، الطبعة : الأولى،  
١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م .
- (١٩٨) الجمل في المنطق، محمد بن نامور بن عبد الملك الخونجي،  
أبو عبد الله، أفضل الدين، بلا .
- (١٩٩) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن  
محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق : محمد علي معوض، وعادل أحمد  
عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة : الأولى،  
١٤١٨هـ .
- (٢٠٠) الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي، محمد بن محمد بن  
محمد بن أحمد البديري الحسيني، الدمياطي الأشعري الشافعي، أبو  
حامد (المتوفى: ١١٤٠هـ)، مخطوط .
- (٢٠١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن
- ، دار المعرفة، بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م .
- (٥٠٥) المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن  
عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهباني  
النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق : مصطفى عبد القادر  
عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١١، ١٩٩٠م،  
وطبعة دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م .
- (٥٠٦) المستصفي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق :  
محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة :  
الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م .
- (٥٠٧) المستطرف في كل فن مستطرف، الأبيهي، عالم الكتب  
، بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤١٩هـ .
- (٥٠٨) المستوعب، نصير الدين محمد بن عبد الله السامري  
الحنبلي، تحقيق : أ. د عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكة  
المكرمة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م .
- (٥٠٩) مسند ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري  
البغدادي، تحقيق : عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت،  
الطبعة : الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م .
- (٥١٠) مسند أبي عوانة في المسند، تحقيق : أيمن بن عارف  
الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة : الأولى، ١٩٩٨م .
- (٥١١) مسند أبي يعلى، تحقيق : حسين سليم أسد، دار المأمون  
للتراث، دمشق، الطبعة : الأولى، ١٤٠٤هـ .
- (٥١٢) مسند أحمد، تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري، عالم  
الكتب، بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، وطبعة  
مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م .

(٥١٣) مسند الزبار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ورفاقه، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م.

(٥١٤) مسند الربيع بن حبيب، تحقيق: محمد إدريس، عاشور بن يوسف، دار الحكمة، مكتبة الاستقامة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

(٥١٥) مسند الروياني، تحقيق: أيمن علي أبو ياني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

(٥١٦) مسند الشاميين، الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.

(٥١٧) مسند الطيالسي، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م  
(٥١٨) مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، ابن كثير، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

(٥١٩) مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدر السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

(٥٢٠) المسودة في أصول الفقه، آل تيمية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي.

(٥٢١) مشارق أنوار العقول، السالمي، مكتبة الاستقامة، ط٢، ٢٠٠٣م.

(٥٢٢) المشبهة والمجسمة، عبد الرحمن خليفة بن فتح الباب

نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي، بالترتيب، نشر: مير محمد كتب خانة، كراتشي.

(٢٠٢) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م

(٢٠٣) الجواهر النفيس في سياسة الرئيس، ابن الحداد محمد بن منصور بن حبيش، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م.

(٢٠٤) حاشية الإمام أحمد بن قاسم العبادي على تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٥٧هـ، ١٩٨٣م  
(٢٠٥) حاشية السندي على سنن النسائي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م

(٢٠٦) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسنة: عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، دار صادر، بيروت.

(٢٠٧) حاشية الصاوي على الجلالين، الصاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

(٢٠٨) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، أحمد بن محمد بن إسحاق الطحطاوي الحنفي، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٣١٨هـ.

(٢٠٩) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، أبو الحسن

- علي بن أحمد بن مكرم الصعدي العدوي ، تحقيق : يوسف الشَّيخ  
محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .
- (٢١٠) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشَّافعي وهو شرح  
مختصر المزني ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري  
الْبغدادِي ، الشَّهير بالماوردي ، تحقيق : الشَّيخ علي محمد معوض ،  
الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،  
الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .
- (٢١١) حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النَّبي المختار ،  
محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، الشَّهير بـ "  
بَحْرَقْ " ، دار المنهاج ، جدة ، تحقيق : محمد غسان نصوح عزقول ،  
الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ .
- (٢١٢) حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النَّبي المختار ،  
محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، تحقيق : محمد  
غسان نصوح عزقول ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الأولى ،  
١٤١٩هـ .
- (٢١٣) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ، زكريا بن محمد بن أحمد  
بن زكريا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيى السنيكي ، تحقيق : د.  
مازن المبارك ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ،  
١٤١١هـ .
- (٢١٤) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، عبد الرَّحمن بن  
أبي بكر ، جلال الدِّين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،  
دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ،  
الطبعة : الأولى ، ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م .
- (٢١٥) حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة ، محمد بن ربيع  
الْحناوي ، ط الأولى ، ١٩٩٩م .
- (٥٢٣) مشكل الآثار ، الطحاوي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ،  
مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٤٩٤م .
- (٥٢٤) مشيخة القزويني ، عمر بن علي بن عمر القزويني ، أبو  
حفص ، سراج الدِّين ، تحقيق : الدكتور عامر حسن صبري ، دار  
البشائر الإسلامية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦هـ .
- (٥٢٥) مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والنام  
، شمس الدِّين بن النعمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- (٥٢٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن  
علي الفيومي ثم الحموي ، أبو العبَّاس ، المكتبة العلمية ، بيروت .
- (٥٢٧) المصنف ، الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرَّحمن الأعظمي ،  
الطبعة : الثانية ، ١٤٠٣ ، نشر : المجلس العلمي ، الهند ، المكتب  
الإسلامي ، بيروت .
- (٥٢٨) مطالب أولي النهي في شرح غاية المنتهى ، مصطفى بن  
سعد بن عبده السيوطي شهرة ، الرحيباني مولدا ثم الدمشقي  
الْحنبلي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م
- (٥٢٩) المَطَالِعُ النَّصْرِيَّةُ لِلْمَطْبَعِ الْمَصْرِيَّةِ فِي الْأَصُولِ الْحَطِيَّةِ ،  
نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي الهوريني الأحدي  
الأزهري الأشعري الحنفي الشَّافعي ، تحقيق : الدكتور طه عبد  
المقصود ، مكتبة السُّنَّة ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦هـ ،  
٢٠٠٥م .
- (٥٣٠) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ، البغوي ،  
تحقيق : محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم  
الْحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧هـ ،

- هادي المدخلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، وأصل الرسالة محاضرة القاها المذكور على طلبة دار الحديث المكية عام ١٤٠١هـ.
- (٢١٦) الحلة السيرة، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البنسي، تحقيق: الدكتور حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٨٥ م.
- (٢١٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤ م.
- (٢١٨) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣ م.
- (٢١٩) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠ م.
- (٢٢٠) حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، عبد الحميد الشرواني، دار الفكر، بيروت.
- (٢٢١) حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.
- (٢٢٢) خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الكاتب الأصبهاني، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد، أبو عبد الله، بلا.
- (٢٢٣) خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين
- ١٩٩٧ م، وطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ. (٥٣١) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨ م.
- (٥٣٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨ م.
- (٥٣٣) المعجم، أبو يعلى، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، نشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.
- (٥٣٤) معجم أعلام شعراء المدح النبوي، محمد أحمد درنيقة، دار ومكتبة الهلال، الطبعة: الأولى.
- (٥٣٥) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣ م.
- (٥٣٦) المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
- (٥٣٧) معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.
- (٥٣٨) معجم الشيخ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: الدكتور بشار عواد، ورفاقه، دار الغرب

- أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراحي، تحقيق: عصام شقير  
، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، الطبعة:  
الأخيرة، ٢٠٠٤م.
- (٢٢٤) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر  
البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،  
القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- (٢٢٥) الخصائص الكبرى، السيوطي، دار الكتب العلمية،  
بيروت.
- (٢٢٦) خلاصة البدر المنير، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر  
بن علي بن أحمد الشافعي المصري، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع،  
الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.
- (٢٢٧) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد  
الحسني السمهودي، تحقيق: د. محمد الأمين محمد محمود أحمد  
الجبيني، طبع على نفقة السيد: حبيب محمود أحمد، وجعله وفقاً لله  
تعالى.
- (٢٢٨) الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على  
الضروري من علوم الدين)، محمد بن أحمد ميارة المالكي، تحقيق:  
عبد الله المنشاوي، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
- (٢٢٩) الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، محمد بن  
علي بن محمد الحصني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي،  
تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، الطبعة:  
الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
- (٢٣٠) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر،  
جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.
- الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤م.
- (٥٣٩) معجم الشيوخ، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن  
بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: الدكتورة وفاء تقي  
الدين، دار البشائر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ،  
٢٠٠٠م.
- (٥٤٠) معجم الشيوخ الكبير، الذهبي، تحقيق: الدكتور محمد  
الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة: الأولى،  
١٤٠٨هـ.
- (٥٤١) المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة  
ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
- (٥٤٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الفكر، بيروت،  
١٩٧٩م، وطبعة إتحاد الكتاب العرب، الطبعة: ١٤٢٣هـ،  
٢٠٠٢م.
- (٥٤٣) معراج التشوف إلى حقائق علم التصوف، ابن عجيبة،  
تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار  
البيضاء، ط١، ١٤٢٥هـ.
- (٥٤٤) معرفة السنن والآثار، البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين  
قلعجي، نشر: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي، باكستان)  
، دار قتيبة (دمشق، بيروت)، دار الوعي (حلب، دمشق)، دار  
الوفاء (المنصورة، القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ،  
١٩٩١م.
- (٥٤٥) معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: عادل بن  
يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى،

- ٢٣١) الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود ، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ، شهاب الدين شيخ الإسلام ، أبو العباس ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦ هـ .
- ٢٣٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ، محمد بن علي الشوكاني ، دار ابن خزيمة ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- ٢٣٣) درء تعارض العقل والنقل ، ابن تيمية ، تحقيق : الدكتور محمد رشاد سالم ، نشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، السعودية ، الطبعة : الثانية ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .
- ٢٣٤) الدرّة الثمينة في أخبار المدينة ، محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار ، تحقيق : حسين محمد علي شكري ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم .
- ٢٣٥) الدرّة السنية منظومة في علم الفرائض (مطبوع مع الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضرى) ، أبو عبد الله محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلي الجزائري المالكي الشهير بالشيخ باي بلعالم ، دار ابن حزم ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م .
- ٢٣٦) الدرّة المضية في الردّ على ابن تيمية ، تقي الدين السبكي ، مطبوع ضمن التوفيق الربّاني في الردّ على ابن تيمية الخرائي لجماعة من العلماء ، بلا .
- ٢٣٧) دَرْجُ الدَّرْرِ فِي تَفْسِيرِ الآيِ وَالسُّوَرِ ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل ، الجرجاني الدار ، تحقيق : وليد بن أحمد بن صالح الحُسَيْن ، إيداد عبد اللطيف القيسي ، نشر : مجلة الحكمة ، بريطانيا ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م .
- ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م .
- ٥٤٦) معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) ، عثمان بن عبد الرحمن ، أبو عمرو ، تقي الدين المعروف بابن الصلاح ، تحقيق : نور الدين عتر ، دار الفكر ، سوريا ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م .
- ٥٤٧) معونة أولى النهي ، شرح المنتهى منتهى الإيرادات ، محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى الحنبلى الشهير بابن النجار ، تحقيق : أ. د عبد الملك بن عبد الله دهيش .
- ٥٤٨) المعيار المغرب ، أبو العباس أحمد بن يحيى الوائشريسي المالكي ، بلا .
- المغني ، ابن قدامة المقدسي الحنبلي ، مكتبة القاهرة ، ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م ، وطبعة عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م .
- ٥٤٨) مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ابن هشام ، تحقيق : د. مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة : السادسة ، ١٩٨٥ م .
- ٥٤٩) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، شمس الدين ، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م .
- ٥٥٠) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين النيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٠ هـ .
- ٥٥١) مفاهيم يجب أن تصحح ، محمد بن علوي المالكي ، ط ٥ ،

- (٢٣٨) الدرر السننية في الأجوبة النجدية ، علماء نجد الأعلام ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الطبعة : السادسة ، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م .
- (٢٣٩) الدرر السننية في الردِّ على الوهابية ، أحمد زيني دحلان ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ، ط٦ ، ١٩٨٩م .
- (٢٤٠) الدرر السننية في الفتاوى النجدية ، مجموعة رسائل ومساائل علماء نجد الأعلام من عهد محمد بن عبد الوهَّاب إلى عصرنا هذا ، جمع : عبد الرحمن بن محمد النجدي ، طبعة مزيدة ومنقحة ، ١٤١٧هـ .
- (٢٤١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، صيدر اباد ، الهند ، الطبعة : الثانية ، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م .
- (٢٤٢) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : الدكتور محمد بن لطفي الصباغ ، نشر: عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، الرياض .
- (٢٤٣) الدُّعاء ، الطبراني ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ .
- (٢٤٤) الدعوات الكبير ، البيهقي ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، غراس للنشر والتوزيع ، الكويت ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٩م .
- (٢٤٥) دفع شبه من شبه وتمرد ، تقي الدين أبي بكر الحصني الدمشقي الشافعي ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .
- (٢٤٦) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، ابن تيمية ، تحقيق : د. محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، الطبعة :
- ١٩٩٣م ، والطبعة العاشرة ، ١٩٩٥م ، وطبعة دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دبي ، ط١٠ .
- (٥٥٢) مفتاح السعيدية في شرح الألفية الحديثية ، شمس الدين محمد بن عمار بن محمد بن أحمد المصري المالكي المعروف بابن عمار ، تحقيق : د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة ، صنعاء ، اليمن ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م .
- (٥٥٣) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ، ودار الفكر ، بيروت .
- (٥٥٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، أبو العباس أحمد بنُ الشَّيخِ المرحومِ الفقيهِ أبي حَفْصِ عُمَرَ بنِ إبراهيمِ الحافظ ، الأنصاريُّ القرطبيُّ ، بلا .
- (٥٥٥) مقالات الكوثري ، الكوثري ، مطبعة الأنوار ، القاهرة ، طبعة دار الأحناف الأولى ، الرياض ، ١٩٩٣م .
- (٥٥٦) مقامات الحريري ، أبو محمد القاسم بن علي الحريري ، مطبعة المعارف ، بيروت ، ١٨٧٣م .
- (٥٥٧) مقدّمات الإمام الكوثري ، دار الثريّا ، دمشق ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .
- (٥٥٨) المقصد لتلخيص ما في المرشد ، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدين أبو يحيى السنيكي ، مطبوع بهامش منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ، أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي ، تحقيق : شريف أبو العلا العدوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة :

الثانية، ١٤٠٤هـ.

الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

(٥٥٩) ملاحظات على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد ،  
عمر بن محمد أبو عمر ، بلا .

(٥٦٠) الممتع في شرح المنقح ، زين الدين المنجي بن عثمان بن  
أسعد ابن المنجي ، تحقيق : أ. د عبد الملك بن عبد الله بن دهيش .

(٥٦١) مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف  
وسرد ما ألحق الناس بها من البدع ، محمد ناصر الدين الألباني ،  
المكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن ، الطبعة : الثالثة ، ١٣٩٧هـ .

(٥٦٢) مناقب أبي حنيفة ، الإمام موفق بن أحمد المكي ، دار  
الكتاب العربي ، بيروت .

(٥٦٣) مناقب الإمام أحمد ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن  
علي بن محمد الجوزي ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي  
، دار هجر ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٩هـ .

(٥٦٤) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ابن الجوزي ، تحقيق :  
محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب  
العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م ، وطبعة  
دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٨هـ .

(٥٦٥) المنتقى من مسموعات مرو ، ضياء الدين أبو عبد الله  
محمد بن عبد الواحد المقدسي ، مخطوط .

(٥٦٦) منح الجليل شرح مختصر خليل ، محمد بن أحمد بن محمد  
عليش ، أبو عبد الله المالكي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٩هـ ،  
١٩٨٩م .

(٥٦٧) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، ابن  
تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، نشر : جامعة الإمام محمد بن

(٢٤٧) دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى

الإرادات ، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس  
البهوتي الحنبلي ، عالم الكتب ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م

(٢٤٨) دلائل النبوة ، البيهقي ، تحقيق : الدكتور عبد المعطى  
قلعجي ، دار الكتب العلمية ، ودار الريان للتراث ، الطبعة : الأولى

، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، وطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ،  
١٩٨٩م ، وطبعة دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٧م .

(٢٤٩) دليل الحيران على مورد الظمان ، أبو إسحاق إبراهيم بن  
أحمد بن سليمان المارغني التونسي المالكي ، دار الحديث ، القاهرة .

(٢٥٠) دولة الإسلام في الأندلس ، محمد عبد الله عنان المؤرخ  
المصري ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧هـ ،  
١٩٩٧م .

(٢٥١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، إبراهيم بن  
علي بن محمد ، ابن فرحون ، برهان الدين اليعمري ، ، تحقيق وتعليق  
: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث للطبع والنشر ،  
القاهرة .

(٢٥٢) ديوان المتبدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم  
من ذوي الشأن الأكبر ، ابن خلدون ، تحقيق : خليل شحادة ، دار

الفكر ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٢٥٣) ذخائر العقبي في مناقب ذوى القربى ، محب الدين أحمد بن  
عبد الله الطبري ، دار الكتب المصرية ، ونسخة الخزانة التيمورية ،  
١٣٥٦هـ .

(٢٥٤) الذخيرة ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد

- الرَّحْمَنُ الْمَالِكِيُّ الشَّهْرِيُّ بِالْقُرَافِيِّ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،  
الطبعة : الأولى ، ١٩٩٤ م .
- (٢٥٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة ، أبو القاسم الحسين بن محمّد  
المعروف بالرأغب الأصفهاني ، تحقيق : د. أبو يزيد أبو زيد  
العجمي ، دار السّلام ، القاهرة ، ١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م .
- (٢٥٦) ذكريات ، علي بن مصطفى الطنطاوي ، دار المنارة للنشر  
والتوزيع ، جدة ، الطبعة : الخامسة ، ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م .
- (٢٥٧) الذّهبي ومنهجه في كتابه تأريخ الإسلام ، بشار عواد  
معروف ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة . ط ١ ، ١٩٧٦ م .
- (٢٥٨) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ، محمّد بن أحمد بن علي  
، تقي الدّين ، أبو الطيب المكي الحسيني القاسمي ، تحقيق : كمال  
يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة :  
الأولى ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م .
- (٢٥٩) ذيل تاريخ مدينة السّلام ، أبو عبد الله محمّد بن سعيد ابن  
الديبشي ، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب  
الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م .
- (٢٦٠) ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي ، محمّد بن علي الحسيني  
الدّمشقي ، بلا .
- (٢٦١) رحلة ابن جبیر ، ابن جبیر ، محمّد بن أحمد بن جبیر الكناني  
الأندلسي ، أبو الحسين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت .
- (٢٦٢) الرحلة التوجيهية لعاصمة البلاد الإنجليزية ، الحسن بن  
محمّد بن الغَسَّال الطنجي ، تحقيق : د. عبد الرحيم مودن ، دار  
السويدي للنشر والتوزيع ، أبو ظبي ، المؤسسة العربية للدراسات  
والنشر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٣ م .
- سعود الإسلامية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م .
- (٥٦٨) منهاج الفرقة الناجية ، محمّد بن جميل زينو ، الطبعة :  
الثامنة عشر .
- (٥٦٩) منهج السّلف في فهم النصوص ، محمّد بن علوي المالكي  
، الطبعة : الثانية .
- (٥٧٠) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، يوسف بن تغري  
بردي بن عبد الله الطّاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدّين ،  
تحقيق : دكتور محمّد محمد أمين ، نشر : الهيئة المصرية العامة  
للكتاب .
- (٥٧١) المهروانات (الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب) ، أبو  
القاسم يوسف بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد المهرواني ،  
الهمداني ، تحقيق : د. سعود بن عيد بن عمير بن عامر الجربوعي ،  
نشر : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عمادة البحث العلمي ،  
الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م .
- (٥٧٢) موارد الضمّان إلى زوائد ابن حبان ، الهيثمي ، تحقيق :  
محمّد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية .
- (٥٧٣) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، شمس الدّين أبو  
عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد الرّحمن الطرابلسي المغربي ، المعروف  
بالخطاب الرّعيني المالكي ، دار الفكر ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٢ هـ  
، ١٩٩٢ م .
- (٥٧٤) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، أحمد بن محمّد بن أبي  
بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبّاس ،  
شهاب الدّين ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .
- (٥٧٥) المؤتلف والمختلف ، الدارقطني ، تحقيق : موفق بن عبد

الله بن عبد القادر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة :  
الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

(٥٧٦) الموسوعة الفقهية الكويتية ، صادر عن : وزارة الأوقاف  
والشئون الإسلامية ، الكويت ، الطبعة : ( من ١٤٠٤هـ ،  
١٤٢٧هـ .

(٥٧٧) الموطأ ، مالك بن أنس ، تحقيق : محمّد مصطفى الأعظمي  
، نشر : مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية  
والإنسانية ، أبوظبي ، الإمارات ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ،  
٢٠٠٤م ، وطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ ،  
١٩٨٥م .

(٥٧٨) نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار ، ابن حجر  
العسقلاني ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، دار ابن كثير ،  
الطبعة : الثانية ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .

(٥٧٩) نثر الدر في المحاضرات ، منصور بن الحسين الرازي ، أبو  
سعد الآبي ، تحقيق : خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية  
، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .

(٥٨٠) النجم الوهاج في شرح المنهاج ، كمال الدين ، محمّد بن  
موسى بن عيسى بن علي الدّميري أبو البقاء الشّافعي ، تحقيق :  
لجنة علمية ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ،  
٢٠٠٤م .

(٥٨١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، يوسف بن  
تغري بردي بن عبد الله الظّاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال  
الدين ، نشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب ، مصر  
.

(٢٦٣) رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين ، محمّد أمين بن  
عمر بن عبد العزيز عابدين الدّمشقي الحنفي ، دار الفكر ، بيروت ،  
الطبعة : الثانية ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(٢٦٤) الرد المحكم المتين في الردّ على القول المبين ، عبد الله بن  
الصديّق الغماري ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٦م .

(٢٦٥) الرد الوافر ، ابن ناصر الدّين الدّمشقي ، المكتب الإسلامي  
، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩١م ، وطبعة المكتب الإسلامي ، بيروت ،  
الطبعة : الأولى ، ١٣٩٣هـ .

(٢٦٦) الرد على الجهميّة والزنادقة ، أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن  
حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق : صبري بن سلامة شاهين  
، دار الثبات للنشر والتوزيع ، الطبعة : الأولى .

(٢٦٧) الرد على المنطقيين ، ابن تيمية الحراني ، دار المعرفة ، بيروت .  
(٢٦٨) ردود على شبهات السلفيّة ، محمّد نوري الدير ثوي ، مطبعة  
الصباح ، ط١ ، ١٩٨٧م .

(٢٦٩) رسائل المقرئزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العبّاس  
الحسيني العبيدي ، تقي الدّين المقرئزي ، دار الحديث ، القاهرة ،  
الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ .

(٢٧٠) رفع المنارة لتخريج أحاديث التّوشل والزيارة ، محمود  
سعيد ممدوح ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .

(٢٧١) روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) ،  
ابن رجب الحنبلي ، جمع وترتيب : أبي معاذ طارق بن عوض الله بن  
محمّد ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ،  
٢٠٠١م .

(٢٧٢) روح البيان ، إسحاق حقي بن مصطفى الإستانبولي ، دار

- الفكر، بيروت . (٥٨٢) نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، محمود بن سعيد مقديش الملقب بأبي الثناء الصفاقسي ، تحقيق : علي الزواري ، محمد محفوظ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٨٨ م .
- (٥٨٣) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري ، المطبعة الكاستلية ، مصر ، ١٢٨٣ هـ .
- (٥٨٤) نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن عبد الله ، أبو حامد ، جمال الدين الحبيشي الوصابي الشافعي ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م .
- (٥٨٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م .
- (٥٨٦) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ .
- (٥٨٧) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة ، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي ، بلا .
- (٥٨٨) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن ، أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشرواني ، مطبعة التقدم العلمية ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٣٢٤ هـ .
- (٥٨٩) نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهَّاب النويري ، تحقيق : مفيد محمية وجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م .
- (٢٧٣) روح المعاني ، الألويسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤ م ، وطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- (٢٧٤) الرُّوح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ، ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- (٢٧٥) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢ هـ .
- (٢٧٦) رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام ، أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي ، تاج الدين الفاكهاني ، تحقيق : نور الدين طالب ، دار النوادر ، سوريا ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م .
- (٢٧٧) الرياض النضرة في مناقب العشرة ، أبو العباس ، أحمد بن عبد الله بن محمد ، محب الدين الطبري ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الثانية .
- (٢٧٨) ریحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة : الأولى ، ١٣٨٦ هـ ، ١٩٦٧ م
- (٢٧٩) زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢ هـ ، وطبعة المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٤ هـ .
- (٢٨٠) زغل العلم ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِيزَ الذَّهَبِي ، تحقيق : محمد بن ناصر العجمي ، مكتبة

- الصحوة الإسلامية .  
(٢٨١) الزهد ، ابن المبارك ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .  
(٢٨٢) الزهد ، هناد بن السري الكوفي ، تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت ، الطبعة الأولى : ١٤٠٦هـ .  
(٢٨٣) السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير ، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوئي ، الشَّهير بالصاوي المالكي ، دار المعارف .  
(٢٨٤) سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، محمد بن يوسف الصالح الشامي ، تحقيق : الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشَّيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .  
(٢٨٥) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدِّين ، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشَّافعي ، مطبعة بولاق (الأميرية) ، القاهرة ، ١٢٨٥هـ .  
(٢٨٦) سعادة الدارين في الردِّ على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية ، إبراهيم السمنودي الأزهرى ، مكتبة الإيوان ، العجوزة ، مصر .  
(٢٨٧) سفر نامه ، أبو معين الدِّين ناصر خسرو والحكيم القبادياني الروزي ، تحقيق : د. يحيى الخشاب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٣م .  
(٢٨٨) سلاح المؤمن في الدُّعاء والذكر ، محمد بن محمد بن علي بن
- (٥٩٠) نهاية الإقدام في علم الكلام ، الشهرستاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤م .  
(٥٩١) نهاية الزين في إرشاد المبتدئين ، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتي التناري ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : الأولى .  
(٥٩٢) نهاية المبتدئين في أصول الدِّين ، ابن حمدان الحنبلي ، تحقيق : ناصر بن سعود السلامة ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ٢٠٠٤م .  
(٥٩٣) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، شمس الدِّين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرملي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : الأخيرة ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .  
(٥٩٤) النهاية في الفتن والملاحم ، ابن كثير ، المكتب الثقافي ، القاهرة .  
(٥٩٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .  
(٥٩٦) نهر الذهب في تاريخ حلب ، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي ، الشَّهير بالغزي ، دار القلم ، حلب ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٩هـ .  
(٥٩٧) نواذر الأصول في أحاديث الرِّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الحكيم الترمذي ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢م .  
(٥٩٨) النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، محي الدِّين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيْدُرُوس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ .

(٥٩٩) نيل الانتهاج بتطريز الديباج ، أبو العبّاس أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمّد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التكروري ، التنكي ، بلا .

(٦٠٠) نيل الأمل في ذيل الدول ، زين الدّين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدّين خليل بن شاهين الظّاهري المطي ثمّ القاهري الحنفي ، تحقيق : عمر عبد السّلام تدمري ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .

(٦٠١) نيل الأوطار ، الشوكاني ، تحقيق : عصام الدّين الصباطي ، دار الحديث ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م ، وطبعة دار الجليل ، بيروت ، ١٩٧٣ .

(٦٠٢) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام ، أبو الطيب محمّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي ، تحقيق : محمّد حسن إسماعيل ، أحمد فريد المرزدي ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م .

(٦٠٣) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه ، أبو محمّد مكي بن أبي طالب ، تحقيق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الشارقة ، نشر : مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الشارقة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .

(٦٠٤) دية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

همام أبو الفتح ، تقيّ الدين ، المعروف بابن الإمام ، تحقيق : محيي الدّين ديب مستو ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .

(٢٨٩) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ، علي بن أحمد بن محمّد معصوم الحسيني ، الشّهير بابن معصوم ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٣٢٤هـ ، ١٩٠٦م .

(٢٩٠) السّلسيل النّبّي في تراجم شيوخ البيهقيّ ، أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣٢هـ ، ٢٠١١م .

(٢٩١) السّلفيّة مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ، د. محمّد سعيد البوطي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ٢٠٠٤م .

(٢٩٢) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، محمّد خليل بن علي بن محمّد بن محمّد مراد الحسيني ، أبو الفضل ، دار البشائر الإسلامية ، دار ابن حزم ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٢٩٣) سلوة الكتيب بوفاة الحبيب صلّى الله عليه وسلّم ، محمّد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمّد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي ، شمس الدّين ، الشّهير بابن ناصر الدّين ، تحقيق : صالح يوسف معتوق ، هاشم صالح مناع ، دار البحوث للدراسات الإسلامية ، الإمارات .

(٢٩٤) السلوك في طبقات العلماء والملوك ، محمّد بن يوسف بن يعقوب ، أبو عبد الله ، بهاء الدّين الجندي اليمني ، تحقيق : محمّد بن علي بن الحسين الأكوخ الحوالي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٥م .

(٢٩٥) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، عبد الملك

- بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .
- (٢٩٦) سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي ، دار الفكر ، بيروت .
- (٢٩٧) سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .
- (٢٩٨) سنن الترمذي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨م .
- (٢٩٩) سنن الدارمي ، تحقيق : حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني ، السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ ، ٢٠٠٠م .
- (٣٠٠) السنن الصغير ، البيهقي ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م .
- (٣٠١) السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجْردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .
- (٣٠٢) السنن الكبرى ، النسائي ، تحقيق : حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .
- (٣٠٣) السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ، النسائي ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ، الطبعة : الأولى ، ١٣٤٤هـ .
- (٣٠٤) سنن سعيد بن منصور ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ،
- (٦٠٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب ، لمحمد بن أبي بكر عبد أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .
- (٦٠٦) واعد الفقه ، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي ، الصدف ببلشرز ، كراتشي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٦م .
- (٦٠٧) الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .
- (٦٠٨) وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، يوسف بن إساعيل بن يوسف النَّبْهَانِي ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٥هـ .
- (٦٠٩) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي ، تحقيق : الشَّيْخ عادل أحمد عبد الموجود ، ورفاقه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .
- (٦١٠) وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصَّلَاة والسَّلَام ، أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، أبو العباس القسنطيني ، ابن قنفذ ، تحقيق : سليمان العيد المحامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .
- (٦١١) الوصايا ، ابن عربي ، مؤسسة الأعظمي ، بيروت .
- (٦١٢) الوصية ، ابن قدامة المقدسي ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

- الدار السلفية، الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م .
- (٦١٣) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، السّمهودي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ .
- (٦١٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلّكان البرمكي الإربلي ، تحقيق : إحسان عبّاس ، دار صادر ، بيروت .
- (٦١٥) يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النّار وأصحاب النّار ، أبو الطيب محمّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي ، تحقيق : د. أحمد حجازي السقا ، مكتبة عاطف ، دار الأنصار ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٨٧م .
- (٦١٦) اليواقيت والجواهر ، عبد الوهّاب الشعراي ، طبع البايي الحلبي ، القاهرة ، ط أخيرة ، ١٩٥٩م .
- (٦١٧) يوميات شامية ( الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية ) ، بلا .
- (٣٠٥) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشّيخ شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م ، وطبعة دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة : ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م .
- (٣٠٦) السيف الصّقل في الرّدّ على رد ابن زفيل ، تقي الدّين علي بن عبد الكافي السّبكي ، ، ومعه تكملة الرّدّ على نونية ابن القيم بقلم : محمّد زاهد بن الحسن الكوثري ، مكتبة زهران ، القاهرة .
- (٣٠٧) شأن الدّعاء ، أبو سليمان حمد بن محمّد بن إبراهيم بن الخطّاب البستي المعروف بالخطّابي ، تحقيق : أحمد يوسف الدّقاق ، دار الثقافة العربية ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .
- (٣٠٨) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، محمّد بن محمّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف ، علّق عليه : عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

٣.....	المُقَدِّمَةُ
٨.....	الفصل الأول: تَعْرِيفَاتٌ لَا بُدَّ مِنْهَا
٨.....	أولاً: مَعْنَى التَّوَسُّلِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا:
١١.....	ثانيًا: مَعْنَى التَّبَرُّكِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا:
١٣.....	ثالثًا: مَعْنَى الاستِغَاثَةِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا:
٢٢.....	رابعًا: مَعْنَى المَدَدِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا:
٢٥.....	خامسًا: مَعْنَى الشَّفَاعَةِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا:
٢٩.....	_ ثلاثة أَصْنَافٍ مِنَ الخَلْقِ يَشْفَعُونَ
٣٠.....	الأول: الملائكةُ البررة:
٣٠.....	الثاني: سيدنا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
٣١.....	الثالث: الأنبياء والشهداء والصالحون:
٣٤.....	سادسًا: مَعْنَى الدُّعَاءِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا:
٣٨.....	الفصل الثاني: الموتُ لَيْسَ بِعَدَمٍ مَحْضٍ وَلَا فَنَاءٍ صَرَفٍ
٤٤.....	حَيَاةُ الأنبياءِ:
٤٤.....	أدلةُ القرآنِ الكَرِيمِ عَلَى حَيَاةِ الأنبياءِ
٥٦.....	أدلةُ السُّنَّةِ عَلَى حَيَاةِ الأنبياءِ:
٧٢.....	أدلةُ السُّنَّةِ عَلَى سَمَاعِ الأمواتِ:
٩٤.....	الفصل الثالث: أنواعُ التَّوَسُّلِ:
٩٤.....	أولاً: التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلَا:
٩٦.....	ثانيًا: التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالقُرْآنِ الكَرِيمِ:

- ثالثاً: التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِحَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَكَذَا  
 بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الصَّالِحِينَ ... : ..... ٩٩
- رَابِعاً: التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِاسْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ..... ١٠٢
- خَامِساً: التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَثَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :  
 ..... ١٠٢
- سَادِساً: التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ : ..... ١٠٣
- سَابِعاً: التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِدُعَاءِ الصَّالِحِينَ : ..... ١٠٤
- الْفَصْلُ الرَّابِعُ: أَدِلَّةُ التَّوَسُّلِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَثَارِهِمْ : ..... ١٠٦
- أَوَّلاً: أَدِلَّةُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ : ..... ١٠٦
- الْفَصْلُ الْخَامِسُ: أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي التَّوَسُّلِ : ..... ٢٤١
- الْفَصْلُ السَّادِسُ: أَدِلَّةُ الْمَانِعِينَ لِلتَّوَسُّلِ وَمُنَاقَشَتُهَا : ..... ٤٣٦
- الْفَصْلُ السَّابِعُ: تَكْفِيرُ مُدَّعِي السَّلْفِيَّةِ لِلْمُتَوَسِّلِينَ : ..... ٤٦٥
- الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ : ..... ٥٩٠
- أَعْمَالُ الْمُؤَلَّفِ الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ عَلِيِّ مِقْدَادِي الْحَاتَمِيِّ ..... ص ٦٣٢

مِنْ أَعْمَالِ الْمُؤَلَّفِ الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ عَلِيِّ مَقْدَادِي الْحَاتِمِيِّ ضَمَّنَ سَلْسِلَةً : " السَّهَامُ الْحَافِضَةُ لِذَيْنِ الرَّافِضَةِ

:"

- (١) عِظْمُ الْمَنَّةِ فِي تَوْضِيحِ عَقِيدَةِ الشَّيْعَةِ بِأَهْلِ السُّنَّةِ .
- (٢) التَّقْيَةُ وَمَكَانَتُهَا الْعَقْدِيَّةُ فِي دِينِ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ .
- (٣) عَقِيدَةُ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ بِصَحَابَةِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ .
- (٤) الْإِرْتَوَاءُ فِي بَيَانِ مَا عِنْدَ الشَّيْعَةِ مِنْ عَقِيدَةِ الْبَدَاءِ .
- (٥) شَحْدُ الْهِمَّةِ فِي إِثْبَاتِ تَأْلِيهِ الشَّيْعَةِ لِلْأُمَّةِ .
- (٦) وَاضِحُ الْبَيَانِ فِي إِثْبَاتِ اعْتِقَادِ الشَّيْعَةِ بِتَحْرِيفِ الْقُرْآنِ .
- (٧) الْإِمَامَةُ وَمَكَانَتُهَا الْعَقْدِيَّةُ فِي دِينِ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ .
- (٨) عِضْمَةُ الْأُمَّةِ عِنْدَ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ .
- (٩) التَّنْفِيذُ مِمَّا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْعَدِيرِ .
- (١٠) قُرَّةُ الْعَيْنِ فِي إِثْبَاتِ أَنَّ الشَّيْعَةَ هُمْ قَتْلَةُ الْحُسَيْنِ .
- (١١) الْأَعْمَالُ الشُّعُوبِيَّةُ وَالْإِجْرَامِيَّةُ لِمَهْدِيِّ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ .
- (١٢) خُرَافَةُ الْمَهْدَوِيَّةِ فِي دِينِ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ .
- (١٣) أَشْهُرُ الطُّعُونِ الشَّيْعِيَّةِ فِي صَحَابَةِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ .
- (١٤) الْإِمْتِنَاعُ فِي بَيَانِ مَوْقِفِ الشَّيْعَةِ مِنَ الْإِجْمَاعِ .
- (١٥) الْمُنْتَعَةُ وَمَكَانَتُهَا الْعَقْدِيَّةُ فِي دِينِ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ .
- (١٦) أَسْمَى الْمَطَالِبِ فِي تَوْضِيحِ تَفْرِيطِ الشَّيْعَةِ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .
- (١٧) أَسْنَى الْمَطَالِبِ فِي تَوْضِيحِ إِفْرَاطِ الشَّيْعَةِ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .
- (١٨) تَحْقِيقُ الْقَوْلِ فِي نَزُولِ كُتُبِ سَمَاوِيَّةٍ عَلَى أُمَّةِ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ .
- (١٩) إِعْلَامُ النَّبِيِّ بِتَفْرِيطِ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ فِي الرَّسُولِ وَأَزْوَاجِهِ وَبَنِيهِ .
- (٢٠) النَّجْعَةُ فِي تَوْضِيحِ مَا عِنْدَ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ مِنْ عَقِيدَةِ الرَّجْعَةِ .
- (٢١) الْأَقْوَالُ الشَّيْعِيَّةُ الْمَوْجِبَةُ لِتَكْفِيرِ الشَّيْعَةِ .
- (٢٢) إِنبَاءُ الْعَالَمِينَ بِخِيَانَةِ الشَّيْعَةِ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .

- (٢٣) إِعْلَامُ الْوَسَنَانِ بِأَحْوَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي إِيرَانَ .
- (٢٤) الذَّرِيعَةُ فِي الْكَلَامِ عَلَى خُمْسِ الشَّيْعَةِ .
- (٢٥) تَبْدِيدُ السَّهَامِ الطَّائِشَةِ عَنْ أُمَّنًا عَائِشَةً .
- (٢٦) الْإِنَافَةُ فِي بَيَانِ مَوْقِفِ عَيِّيٍّ مِنَ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ .
- (٢٧) الرِّيَاضُ الْمُسْتَطَابَةُ فِي عِلَاقَةِ آلِ الْبَيْتِ بِالصَّحَابَةِ .
- (٢٨) إِعْلَامُ الثَّقَلَيْنِ بِمَوْقِفِ الشَّيْعَةِ مِنَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ .
- (٢٩) كَشْفُ الْعَيْبَةِ فِي تَوْضِيحِ مَا عِنْدَ الشَّيْعَةِ مِنْ عَقِيدَةِ الْغَيْبَةِ .
- (٣٠) الْإِبَاحِيَّةُ الْخُنُسِيَّةُ عِنْدَ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ .
- (٣١) مُحَالَفَاتُ الشَّيْعَةِ لِلْقُرْآنِ .
- (٣٢) الْأَقْصَى وَفَلَسْطِينِ فِي عَقِيدَةِ الشَّيْعَةِ الْمَاكِرِينَ .
- (٣٣) مُصِيبَةُ التَّقْرِيبِ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ .
- (٣٤) إِعْلَامُ الْبَرِيَّةِ بِتَوْضِيحِ عَقِيدَةِ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ .
- (٣٥) عَقِيدَةُ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ بِصَحَابَةِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ .
- (٣٦) الْوَافِي فِي نَقْدِ أُصُولِ الْكَافِي .
- (٣٧) إِعْلَامُ الْجُلَسَاءِ بِسَّرْحِ حَدِيثِ الْكِسَاءِ .
- (٣٨) إِرْشَادُ الْكِلَابِ الْهَائِمَةِ الْمُنْتَجِنَةِ عَلَى السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ .
- (٣٩) الْأَمْدُ الْأَقْصَى تَوْضِيحِ اعْتِقَادِ الشَّيْعَةِ بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى .
- (٤٠) إِعْلَامُ الْهَائِمِ بِأَنَّهُ لَا جِهَادَ عِنْدَ الشَّيْعَةِ حَتَّى يُخْرَجَ الْقَائِمُ وَضَمْنَ سُلْسِلَةٍ (فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصَيَّبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ) :
- (٤١) التَّفْوِيضُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ .
- (٤٢) التَّرْوِيضُ فِي تَبْيَانِ حَقِيقَةِ التَّفْوِيضِ .
- (٤٣) تَكْفِيرُ الْوَهَابِيَّةِ لِعُمُومِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ .
- (٤٤) كَشْفُ الْحَقَائِدِ عَنْ عِبَتِ الْوَهَابِيَّةِ بِكُتُبِ الْعُلَمَاءِ .
- (٤٥) الْإِنْحِفَاتُ الْقُدْسِيَّةُ فِي نُصْرَةِ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ وَالرَّدِّ عَلَى الْوَهَابِيَّةِ .

- (٤٦) نُبُوَّةُ النِّسَاءِ بَيْنَ الْمَانِعِينَ وَالْمُجِزِينَ .
- (٤٧) حَادِثَةُ سِحْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
- (٤٨) الْمُحْكَمُ وَالْمُتَشَابِهُ وَعَلَاقَتُهُ بِالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ .
- (٤٩) مَسْأَلَةُ التَّنَاقُحِ بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْحَيَالِ .
- (٥٠) صِفَاتُ الْحَوْرِ الْعَيْنِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .
- (٥١) الْجَوَابُ الْمُخْتَارُ فِي مَسْأَلَةِ فَتُورِ الْوَحْيِ وَمَا نُسِبَ لِلنَّبِيِّ مِنْ مُحَاوَلَةِ الْإِتِّحَارِ .
- (٥٢) كَشْفُ الْحَقِّ فِي مَصِيرِ وَالِدَيْ الْمُصْطَفَى .
- (٥٣) مَصِيرُ أَبْنَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الدِّينِ .
- (٥٤) مَسْأَلَةُ التَّبَرُّكِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي الْإِسْلَامِ .
- (٥٥) أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورَةِ فِي تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الصُّورَةِ .
- (٥٦) مَشْرُوعِيَّةُ الْإِحْتِفَالِ بِمِيلَادِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَالرَّدُّ عَلَى الْوَهَابِيَّةِ .
- (٥٧) مَسْأَلَةُ الْإِحْتِجَاجِ بِالْقَدْرِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ .
- (٥٨) إِرْسَادُ الْفُحُولِ إِلَى مَا قَالَهُ أَسَاطِينُ الْعِلْمِ فِي تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالنُّزُولِ .
- (٥٩) إِعْلَامُ الْخَلْفِ بِتَأْوِيلَاتِ السَّلَفِ .
- (٦٠) خَبَرُ الْأَحَادِ وَمَدَى حُجَّتِهِ فِي الْعَقِيدَةِ .
- (٦١) الْعُلُوُّ لِلْعَلِيِّ الْغَفَّارِ عُلُوُّ مَكَاتِهِ لَا عُلُوُّ مَكَانِ .
- (٦٢) كَشْفُ الْعِطَاءِ عَنْ مَسْأَلَةِ الْإِسْتِوَاءِ .
- (٦٣) إِعْلَامُ الْحُدَاقِ بِحَقِيقَةِ السَّاقِ .
- (٦٤) إِعْلَامُ الْعَبْدِ الْأَوَّاهِ بِحَقِيقَةِ الْوَجْهِ الْمُصَافِ إِلَى اللَّهِ .
- (٦٥) جَلَاءُ الْعَيْنِ بِحَقِيقَةِ مَا أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ مِنْ لَفْظِ الْعَيْنِ .
- (٦٦) الْمَوْرِدُ الْعَذْبُ فِي تَوْضِيحِ مَا أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ مِنْ لَفْظِ الْجَنَّبِ .
- (٦٧) رَفْعُ السَّارِيَةِ فِي الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ الْجَارِيَةِ .
- (٦٨) بَرْدُ الْأَكْبَادِ فِي تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْيَدِ وَالْأَبَادِ .
- (٦٩) رَفْعُ الصَّوْتِ بِمَا جَاءَ عَنِ الْمَوْتِ .

- (٧٠) كِفَايَةُ الْعَبْدِ الْأَوْاهِ بِمَا جَاءَ عَنْ قُرْبِ إِلَهِهِ .
- (٧١) الشَّفَاعَاتُ الْخَاصَّةُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
- (٧٢) إِتْحَافُ الْعَالَمِينَ بِمَشْرُوعِيَّةِ التَّوَسُّلِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ .
- (٧٣) إِنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ بِمَا أُضْيِفَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالِاسْتَهْزَاءِ وَالنَّسِيَانِ .
- (٧٤) إِتْقَانُ الصَّنْعَةِ فِي تَحْقِيقِ مَعْنَى الْبِدْعَةِ / وصل إلى الآن تسعة مجلدات .
- (٧٥) الإِتْحَافَاتُ الْمُقَدَّادِيَّةُ بِتَرَاجِمِ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ / وصل إلى الآن خمسة وأربعين مجلداً بحمد الله تعالى .
- (٧٦) تَشْيِيفُ الْأَذَانِ بِبَعْضِ الْبِدَعِ الْحَسَنَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْقُرْآنِ .
- (٧٧) تبصير الهداة ببعض البدع الحسنة المتعلقة بالصلاة .
- (٧٨) تَنْوِيرُ ذَوِي الْأَبَابِ بِبَعْضِ الْبِدَعِ الْحَسَنَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالسُّلُوكِ وَالْآدَابِ .
- (٧٩) رَفْعُ الصَّوْتِ بِبَعْضِ الْبِدَعِ الْحَسَنَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْمَوْتِ .
- (٨٠) تَذَكِيرُ الْأَكْيَاسِ بِبَعْضِ الْمَسَائِلِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالزُّبْنَةِ وَاللَّبَاسِ .
- (٨١) إِعْلَامُ الْأَنَامِ بِبَعْضِ الْبِدَعِ الْحَسَنَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالصِّيَامِ .
- (٨٢) إِعْلَامُ الْبَرِيَّةِ بِبَعْضِ الْبِدَعِ الْعَقْدِيَّةِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا مُدْعُو السَّلَفِيَّةِ .
- (٨٣) إِتْحَافُ النَّجَبَاءِ بِبَعْضِ الْبِدَعِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا مُدْعُو السَّلَفِيَّةِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ .
- (٨٤) الإِفْصَاحُ عَنْ مَعْنَى السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ فِي اللَّغَةِ وَالِاصْطِلَاحِ .
- (٨٥) غَايَةُ الْمَرَامِ بِبَعْضِ الْبِدَعِ الْحَسَنَةِ الَّتِي اسْتَحْدَثَهَا السَّلَفُ الصَّالِحُ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .
- (٨٦) مِسْكُ الْخِتَامِ بِبَعْضِ الْبِدَعِ الْحَسَنَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .
- (٨٧) إِقَامَةُ الْبَرَاهِينِ عَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا أَفْضَلُ الْمُرْسَلِينَ .